كتاب
المجالس والمسايرات

للقاضي النعمان بن محمد
المتوفى سنة 363/974

تحقيق

الحبيب الفقي
أستاذ محاضر

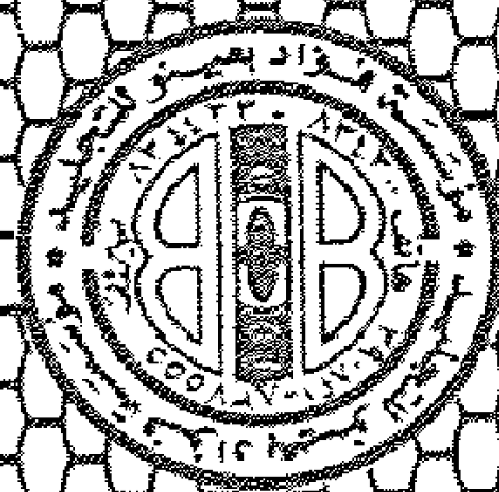
ابراهيم شبوح
باحث بالمعهد القومي
للآثار والفنون

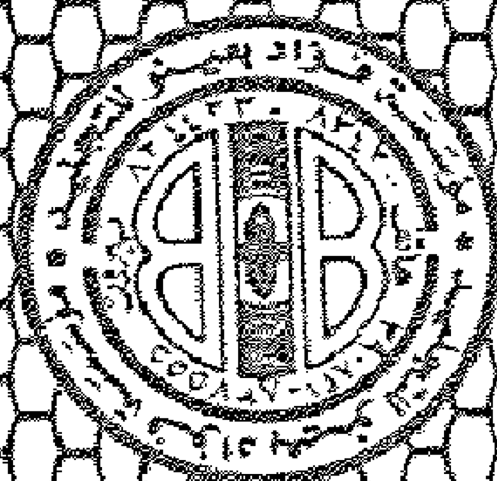
محمد اليعلاوي
أستاذ محاضر

طبعة جديدة منقحة
إعداد
محمد اليعلاوي



دار الغرب الإسلامي





كتاب

المجالس والمسايرات

كتاب
المجالس والمسايرات

للقاضي النعمان بن محمّد
المتوفى سنة 974/363

تحقيق

الحبيب الفقي
أستاذ محاضر

ابراهيم شبّوح
باحث بالمعهد القومي
للآثار والفنون

محمّد اليعلاوي
أستاذ محاضر

طبعة جديدة منقّحة
إعداد
محمّد اليعلاوي



دار الغرب الإسلامي

الطبعة الاولى 1978
نشر الجامعة التونسية

الطبعة الثانية مزيدة

دار الغرب الإسلامي
ص. ب. 5787 - 113 بيروت

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

مقدمة التحقيق

مؤلّف الكتاب:

لا نكاد نجد من بين رجال الدولة الفاطميّة مَن خدم الدعوة الإسماعيليّة وعبّر عن معتقداتها ودافع عنها وأرّخ لأئمّتها مثل القاضي النعمان[1].

---

(1) في ترجمة القاضي النعمان، انظر:
1 ـ الولاة والقضاة للكندي، بيروت 1908 ص 494 ـ 495.
ـ رفع الأصر عن قضاة مصر لابن حجر العسقلاني (ملحق بكتاب الولاة والقضاة للكندي) 586، 596، 603.
2 ـ وفيات الأعيان لابن خلكان، طبعة إحسان عباس ج 5 ترجمة عدد 766. والحديث فيها عن ولدي النعمان خاصة، وقد وليا القضاء بمصر إلى سنة 374 وسنة 389.
3 ـ مرآة الجنان لليافعي، بيروت، د. ت. ج 2 ص 379 (سنة 363).
4 ـ لسان الميزان لابن حجر، ج 6 ص 167 (ترجمة عدد 587، وفيها ذكر من تصانيف النعمان: كتاب تأويل القرآن وكتاب الخلاف وقصيدة المنتخبة).
5 ـ مقدمة ديوان المؤيد في الدين لمحمد كامل حسين، القاهرة 1949 ص 7.
6 ـ Brockelmann: G.A.L. S.I., 324 .
7 ـ الأعلام للزركلي ج 9 ص 8.
8 ـ مقدمة كتاب الهمة في آداب أتباع الأئمة، وضعها ناشره محمد كامل حسين، القاهرة. ص 6 ـ 18.
9 ـ مقدمة دعائم الإسلام لناشره آصف فيضي، القاهرة 1969، ص 11 وفيها إحالة إلى فصل بالإنجليزية كتبه فيضي عن النعمان في مجلة الجمعية الملكية الآسيوية بلندن ـ جانفي 1934.
10 ـ مقدمة كتاب الاقتصار، وضعها بالفرنسية محققة محمد وحيد ميرزا ـ دمشق 1957، ص 27 وما يليها.
11 ـ مقدمة «تأويل الدعائم» لناشره حسن الأعظمي، القاهرة، 1969 ص 13 ـ 14.
12 ـ مقدمة افتتاح الدعوة لوداد القاضي بيروت 1970، (ولم تترجم المحققة لمؤلف الكتاب).
13 ـ مقدمة افتتاح الدعوة، لفرحات الدشراوي، تونس 1975 ص 21 ـ 32.
14 ـ الصليحيون والحركة الفاطمية في اليمن (من 268 إلى 626 هـ) لحسين بن فيض الله الهمداني اليعبري الحرازي، طبع بالقاهرة 1955 (ترجمة النعمان في ص 253 وما يليها). =

ونحن إذ ننشر له اليوم كتاب المجالس والمسايرات، فقصدُنا أن نعرّف أوّلاً بمكانة المؤلّف في المذهب الشيعي وعند الخلفاء الأربعة الأوّلين، وثانياً لنكشف النقاب عن عمق تفكير هذا الرجل الذي كان قاضي الفاطميّين الأوّل وفقيههم بدون منازع، رغم ما يظهر من تواضعه واستظلاله بظلّ الأئمّة في كامل مؤلّفاته، ولا سيّما كتاب المجالس والمسايرات هذا، وثالثاً لنحيي هذا الكتاب الذي انتظره الدارسون طويلاً، لما فيه من تسجيل يوميّ لأقوال المعزّ وأفعاله، حتى لكأنّه سيرة مفصّلة لهذا الخليفة الفاطميّ العظيم.

فالقاضي النعمان هو أبو حنيفة النعمان بن محمد بن منصور بن أحمد بن حيّون التميمي. والنسبة تدلّ على أنّه عربيّ الأصل. أمّا كنيته فلم نجد لها سنداً في مؤلّفاته، بل لا يدعوه الأئمّة إلاّ باسمه: النعمان. فلا حاجة في نظرنا إلى التماس سبب لرواج اسمه بدلاً من كنيته فنبرّره بالهروب من الالتباس بأبي حنيفة النعمان صاحب المذهب الحنفيّ.

لا يعرف تاريخ ميلاده، فلذلك عمد الباحثون إلى التخمين والتقريب مثل ڤوتهايل Gottheil وآصف فيضي[1] اللذين قدّراه بسنة 259 هـ/ 873 وبسنة 293/906. ولعلّه ولد بين سنة 283 و290 كما قدّرنا بدورنا[2] فيكون دخل في

= 15 ـ فهرسة المجدوع نشر علي نقي منزوي، طهران 1966 ص 52.
16 ـ حسن إبراهيم حسن وطه أحمد شرف: المعز لدين الله الفاطمي، القاهرة 1948 ص 258 وما بعدها.
17 ـ محمد كامل حسين: في أدب مصر الفاطمية، القاهرة 1972.
18 ـ محمد عبد الله عنان: الحاكم بأمر الله وأسرار الدعوة الفاطمية، القاهرة 1959 (انظر الفهرس).
19 ـ فصل فرحات الدشراوي عن النعمان في دائرة المعارف الإسلامية 8/119.
20 ـ رضا كحّالة: معجم المؤلفين 13/106.
21 ـ الذهبيّ: سير أعلام النبلاء 16/150 (رقم 106).
22 ـ سزكين 1/575 GAS.
23 ـ حاجيّ خليفة: كشف الظنون 135.

(1) ترجم له Gottheil في مجلة .J.A.O.S سنة 1906.
وآصف فيضي في مجلة .J.R.A.S سنة 1934.

(2) انظر المجالس ص 73 تنبيه 1.

خدمة المهدي في سنّ تتراوح بين 23 و30 سنة.

ولا نعرف كذلك مكان ولادته، وربّما كانت بالقيروان كما يقول الزركلي ووحيد ميرزا دون ذكر للمصدر. ونرجّح ذلك لأنّ أباه دفن بها بباب سَلم عن سنّ عالية (مائة وأربع سنين) سنة 351 حسب كلام ابن خلّكان.

ويقول ابن خلّكان أيضاً إنّ النعمان كان مالكياً ثم تحوّل إلى مذهب الإماميّة. وكذلك يقول مؤرّخو الشيعة، معتمدين على رواج كتابِه في الفقه «دعائم الإسلام» عند الشيعة الاثني عشَريّة. ويرى فيضي - وهو منهم - أنّ النعمان كان إسماعيلي المذهب منذ طفولته، وأنّ مالكيّته أو اثنَيْ عشريّته إنّما كانت منه تقيّة، وكذا يرى الدشراوي في فصله المذكور.

ولا غرابة أن يُنسب إلى المالكيّة، أو إلى الحنفيّة، لأن المالكيّة مذهب الجمهور بإفريقيّة، مع وجود المذهب الحنفي وهو مذهب أسرة بني الأغلب الحاكمة[1]، وهي أسرة تميميّة مثل أسرة النعمان.

ونحن نستبعد أن يكون النعمان قد تمذهب منذ أوّل عمره بغير مذهب الإسماعيليّة: ذلك أنّ دخوله في خدمة الدولة الفاطمية كان مبكّراً، منذ سنة 312/924 واستمرّ وفاؤه لخلفائها إلى يوم وفاته في آخر جمادي الثانية 363/27 مارس 974، بعد أن تقلّب في وظائف سامية بالقصر بجانب الخلفاء الأربعة.

ولعلّ أباه كان داعياً من دعاة الفاطميّين، حسب ما تشعر به عبارة ابن خلّكان نقلاً عن ابن زولاق: أبو حنيفة النعمان بن محمد الدّاعي. فعبارة «الداعي» قد تعني الوالد أيضاً. وإذا أضفنا إلى هذا الافتراض أنّ النعمان قد يكون وُلد سنة 283/896، أي قبل قيام الدولة الفاطميّة بثلاث عشرة سنة، وبعد قدوم أبي عبد الله بثلاث سنوات، وأنّه وجد طريقه إلى الوظائف العالية بسهولة، من «صاحب الخبر» إلى «أمين المكتبة» إلى «قاضي القضاة»، دفعنا رأي من قال إنّه

(1) المقدسي: أحسن التقاسيم، 25 ـ 2، يقول عن القيروان «ليس فيها غير مالكي وحنفي مع ألفة عجيبة» بينما يقلل محمد كامل حسين من وجود هذا المذهب بإفريقية، في كتابه: في أدب مصر الفاطمية 64.

كان مالكيًا أو حنفيًا[1].

وينكشف بعض القناع عن هذه الشخصيّة منذ أن دخل النعمان في خدمة المهديّ كما يقول هو عن نفسه: «وخدمت المهديّ بالله (ص) من آخر عمره تسع سنين وشهوراً وأيّاماً، والإمام القائـم بأمر الله من بعده (صلع) أيّام حياته في إنهاء أخبار الحضرة إليهما فـي كلّ يوم طول تلك المدّة إلاّ أقل الإيّام[2]».

وهكذا يكون قد دخل في خدمة الدولة الفاطميّة وقد مضى على تأسيسها سبعة عشر عاماً. ولا نعرف شيئاً عن هذه الخدمة أكثر من أنّه كان يقوم بنقل أخبار عاصمة الخلافة إلى المهديّ ثم إلى القائم، ولعلّ هذه الوظيفة هي ما عُرف في المشرق بديوان الخبر أو ديوان الرسائل.

وخـدم المنصـور منـذ أيّـام الخليفـة المهـديّ، وسـنّ الأميـر آنـذاك دون العشرين، ثم استمرّت علاقته به طيلة أيّام القائم فكان يورّق له[3] ويجمع الكتب، فيرعاه المنصور بإحسانه. فلمّا آلت الخلافة إليه بعد وفاة القائم استقضاه، فكان «أوّل من استقضاه من قضاته»، وذلك في الفترة التي كتم فيها موت والده حتّى لا يكثر الإرجاف، لانشغال الأذهان بفتنة أبي يزيد مخلد بن كيداد (ما بين وفاة القائم سنة 334 وموت أبي يزيد سنة 336 هـ).

ووصَف النعمان ما حباه به المنصور في هذه المرحلة بأنّه «أعلى ذكره، ورفع قدره، وأنعم عليه من النّعم بما لو أخذ في وصفه لقطع بطوله ما أراد ذكره».

وقد قضّى هذه الحقبة من حياته الرسميّة قاضياً بطرابلس، وكانت امتداداً لإفريقيّة منذ العهد الأغلبيّ.

(1) يذكر محمد بن حارث الخشني في باب من تشرّق ممن كان ينسب إلى علم من أهل القيروان: «محمد بن حيان» الذي كان شيخاً عالي السن، وكان «صاحب الصلاة» بسوسة، وأنه «كان مدنياً، صحب ابن سحنون، فتشرق، فكان لذلك مستترًا». (طبقات علماء إفريقية 223 ـ الجزائر 1914). وقد انتبه إسماعيل قربان بوناوالا إلى أن محمد بن حيان هذا قد يكون محمد بن حيون والد النعمان (انظر فصل «النعمان» في دائرة المعارف الإسلامية).

(2) المجالس ص 73.

(3) المجالس ص 74 وما بعدها. ولد المنصور برقادة سنة 301 (انظر ترجمته في المقفّى للمقريزيّ 2/129).

وبعد إخماد الثورة الخارجيّة استقدمه المنصور من طرابلس[1] بعد فراغه من تأسيس عاصمته الجديدة المنصوريّة سنة 337 هـ، فنراه يخلع عليه ويحيطه بكل مظاهر التكريم، ويأمره أن يقيم صلاة الجمعة ويخطب بجامع القيروان إذ لم يكن جامع المنصورية قد بُني بعد، ويعهد له بقضاء «المنصوريّة والقيروان وسائر مدن إفريقيّة وأعمالها[2]».

وكان يجلس للقضاء بين الناس في سقيفة القصر بالمنصوريّة التي يبدو أنّها لم تستكمل عمرانها آنذاك، «فضاقت الحال لذلك بأكثر الخصوم سيّما بالنّساء والضعفاء ومن يتهيّب الدّخول من باب قصر أمير المؤمنين[3]»، وقد أدرك المعزّ ما يسبّبه ذلك من الإحراج، فتوسّط لدى والده المنصور، فأمر بابتناء «موضع فسيح لشؤون القضاء يصل إليه الناس ويمكنهم ما يريدونه[4]».

وكانت تجربة النعمان في عمل القضاء بحضرة الخلافة لا تخلو من مضايقات وتعقّب، فقد تعرّض لِلَّوْم أكثر من مرّة على تركه التشدّد والصرامة[5].

وتطوّرت خطّة القاضي النعمان فأصبح «قاضياً للقضاة» بجوار الخليفة في عاصمته الجديدة، وقد حدّثنا[6] عمّا كان يوصي به القضاة الخارجين إلى الأعمال من واجب «الوفاء بالعهد وأداء الأمانة فيما قُلّدوه».

ويوضّح كتاب المجالس والمسايرات توثّق الصلّة بين النعمان والأمير المعزّ أيّام خلافة والده. فقد كان يراجعه فيما أعدّه من تقارير للخليفة فيشير عليه بما يرفع منها وما يترك[7]. وكان يتدخّل لفائدته ويدعمه ويشدّ أزره في مناسبات عدّة، فلمّا مات الخليفة المنصور وظهر عليه من الجزع لوفاته وقلّة الصّبر ما ظهر، وقّع له الخليفة الجديد المعزّ: «يا نعمان، ليحسن عزاؤك ويجمل صبرك،

(1) المجالس، ص 47 هـ 3.
(2) المجالس، ص 348.
(3) ص 63 فقرة 8.
(4) ص 64.
(5) ص 69 فقرة 10 وانظر إطراء المعز له لتوخّيه العدل، المجالس ص 280 ف 159.
(6) ص 49 ف 3.
(7) ص 321 ف 182.

فمولاك مضى ومولاك بقي، «وأنت واجد عندنا ما كنت واجدًا عنده، ونحن كنّا سببك عنده ولن ينقطع ذلـك السبب لدينا لك إن شاء الله تعالى، فطب نفساً وقرّ عيناً وليحسن بنا ظنّـك وتسكنّ إلى ما تحبّه لدينا نفسك[1]».

وكان يختصّه بالمؤانسة والسؤال عن أهله وبناته وأولادهنّ[2]. وكان للنعمان ولدان، هما أبو الحسن عليّ وأبو عبد الله محمد[3] لكلّ منهما جارية لا يقنع بها للولد، «وقد تاقت نفسهما إلى ما هو أحسن منهما وإلى التزويج، فعاق أنّ أباهما لم ينظر لهما في مساكن[4]»، فنجد المعزّ يعبّر عن دهشته لهذا التأخير، ويعاتب النعمان عتاباً رقيقاً بقوله: «إلى متى يكون هذا؟ والله لئن لم يفرحا ولم يسرّا في أيّامنا وإقبالنا عليك وعليهما، ويسرّ كذلـك جميع أوليائنا، فأنّى كانت لهما مسرّة مثلها[5]؟!».

ويحدّثنا النعمان مرة أخرى أنّ المعـزّ «أقطع أولياءه مواضع يبنون فيها بالمنصوريّة المباركة، وكان البنون والبنات وبعـض المقرّبات سألوني في سؤال ذلك لهم ليجمع شملهم وتتقارب مساكنهم، ولما فـي ذلك من ستر الحرم عند حاجتهنّ إلى التزاور والتفقّد... ولما نالهم في التفرّق من الوحشة والانقطاع، ولتضايق بعـض مساكنهم، وكون بعضهم معي في مسكن ضاق بهم[6]».

فرفع إليه رقعة وقّع عليها المعزّ بالإجابة، وأمر القائد جوهراً بإنجاز ما طلب. ويمكن أن يكون هذا قد تمّ بين سنتي 358 و360 هـ نظراً إلى أنّ محمد بن النعمان كان متسرّياً إذ ذاك وقد نقدّر سنّه بين 18 و20 سنة، وهو مولود سنة 340.

---

(1) ص 76 ف 15 وص 323 وما بعدها.
(2) ص 501 ف 280.
(3) ولادة علي بإفريقية في ربيع الأول سنة 329 هـ ووفاته بمصر سنة 374 هـ. أما محمد فولادته بالمنصورية يوم الأحد 3 صفر سنة 340 هـ ووفاته بمصر سنة 389 هـ. انظر ترجمة النعمان في الوفيات.
(4) المجالس ص 502.
(5) المصدر والصفحة نفسها.
(6) المجالس ص 504.

وفي أيّام المعزّ كانت شخصيّة النعمان تأخذ أبعاداً غير الأبعاد الرسميّة، فلم يعد مجرّد قاضي القضاة الموظّف، بل أصبح يُسهم في تركيز الدّعوة وفي بسط عقيدتها وتدوين فقهها، وتسجيل أمجادها وأحداثها بما جعل منه دعامةً متينة للفقه الشيعيّ والفكر الإسماعيليّ. فقد أعدّ المعزّ مجلساً في قصره يلتئم إثر صلاة الجمعة، يقرأ فيه القاضي النعمان «كتبا من علم الباطن، فكثر ازدحام الناس وغصّ بهم المكان، وخرج احتفالهم عن حدّ السمّاع، وملأوا المجلس الذي أمر باجتماعهم فيه وطائفة من رحبة القصر، وصاروا إلى حيث لا ينتهي الصوت إلى آخرهم. . . فوصف له أنّ فيهم ممّن قد شملته الدّعوة أهل تخلّف ومن لا يكاد أن يفهم القول، وأنّ مثل هؤلاء لو ميّزوا وجعل لهم مجلس يقرأ عليهم فيه ما يحتملون. . . ».

ففكّر المعزّ ثم ارتأى أن لا يميّز بين الناس وأنّ الحكمة تعرض فينال كلّ منها بحسب طاقته. وهكذا توطّدت تقاليد هذه السنّة في مدارسته الفقه الشّيعيّ والجدل المذهبيّ منذ ذلك الوقت، فيتولّى النعمان قراءة ما يخرجه إليه الخليفة المعزّ من مناشير تتضمّن «الحكمة والوصايا والعلم الحقيقيّ[1]».

وحضر ذات مرّة أحد كبار أسرى المعزّ، وهو محمد بن الفتح، ابن واسول، من أمراء بني مدرار بسجلماسة الذي أسر وأحضر إلى المنصوريّة سنة 348 هـ، فشهد صلاة الجمعة في قيوده ثم جلس في الحلقة بعد الصلاة يستمع إلى النعمان وهو يعرض بعض مسائل الفقه التي تخالف قوله، ويبيّن له النعمان الوجه فيه فيسلّم. ويسأله المعزّ عن الأمر بعد ذلك، فيقول له النعمان: «هو رجل قد قرأ كتب العامّة إلاّ أنّه بَربريّ الطبع، وكأنّه ظنّ أنّه ليس الحقّ إلاّ ما انتهى إليه، فرأيته إذا سمع الحقّ أصْغى إليه، وإذا بيّن له وشرح وفسّر مجمله رجع إليه وانقاد ولم يلجّ في الباطل، كما يفعل كثير ممّن انتحل مذهباً ونشأ عليه ممّن نشاهده[2]».

ولعلّ أشدّ ما يؤخذ على النعمان في تفكيره المذهبيّ هو مغالاته في إطلاق

(1 ـ 2) ص 401 ف 280.

لفظ «الجهّال» و «العامّة» على مخالفيه، كما تدلّ عليه نصوص من هذا الكتاب. وطبيعي أن يخلق له هذا التحامل وحظوته عند الدولة أعداء يكيدون له ويشيعون حوله الشائعات، وكان يضيقُ صدرُه بها ويألم، ولكنّ المعزّ يؤكّد وثوقه به ويرفع عنه الغبن[1].

وقد بدأ اشتغال النّعمان بالتأليف المذهبيّ منذ عهد المنصور، ولم يفتر عن الحديث في «مجالسه» عمّا كان يكشفه له المعزّ من مغاليق الفهم وما يوضّح له من خفيّ المعاني.

وأصبح بعد الدّربة الطويلة في خدمة الخلفاء والوفاء لهم لسان المذهب وفقيهه.

ولا يفتأ النعمان يسند أعماله إلى الخليفة، فهو مسجّل وناطق بلسانه وصادر عن معانيه، يقول: «أمرني الإمام المعزّ لدين الله (صلعم) بتأليف شيء من العلم وقفني على جميع معانيه وأصّلَ لي أصوله، وألقى إليّ جملة من القول فيه، ولم أكن قبل ذلك تقدّمت في تأليف شيء منه ولا اتّسع علمي اتّساعاً يوجب أن أتقدّم في تصنيفه، فلمّا فتق لي المعنى فيه ولخّصه لي وأوضح لي معانيه وأمرني بتأليفه وبسطه تقدّمت في ذلك تقدّم واثق بعون الله به[2]».

كان إذن يعرض عليه ما يصنعه من كتب في الفقه والفتيا لييسّر العمل بها بين الناس، وكان المعزّ يراجعه في مشاكلها وينبّهه إلى المحرّف عن الإئمّة الذي يجب ألاَ يروى ولا يتداوله العامّة[3]. وكان يتلقّى أمره أحياناً بوضع كتاب يحدّد له صفته ومحتواه[4]، وربّما ناقشه الخليفة في مادّة بعض كتبه ونبّهه إلى ما يكون سها عن ذكره[5].

* * *

(1) ص 326 ف 184.
(2) المجالس، 281 ف 503.
(3) ص 364 ف 208.
(4) ص 367 ف 210.
(5) ص 396 ف 227.

ولم يفتأ النعمان يشهد بما كان يصله من فضل الخلفاء ويشمله من نعمتهم الضافية فكان مسكنه مع «الأولياء» داخل المنصوريّة، وقد أقطعه المعزّ أرضاً بها لبناء دور لبناته وولدَيْه، وكانت له رباع ببعض البوادي يغلّها بكراء مرتفع[1] وكان قريباً من قمّة الدولة الفاطميّة أثيراً عند المعزّ تشدّه إليه رابطة عقليّة وشيجة، فلم يتخلّف ولم ينفصل عنه عند انتقاله إلى مصر، ورغم نزارة أخباره في الفترة الإفريقيّة، فإنّا نجده فيمن حضر مع الأستاذ جوذر وفاة القائد ميسور الصقلبيّ الخادم بقصر مياسر خارج برقة[2] وهم في الطريق إلى البلاد المصريّة سنة 362 هـ. ثم نرَاه بعد ذلك في مصلّى القاهرة الذي بناه جوهر ـ وهو الجامع الأزهر فيما بعد ـ في أوّل صلاة للعيد يقيمها الخليفة المعزّ، فكان خلفه يبلّغ التكبير. ونجده أيضاً مع القائد جوهر وراء الخليفة في زيارته للأسطول بالمقس[3].

وانصرفت جهود النعمان في القاهرة عاصمة الخلافة الجديدة إلى تركيز القضاء والعناية به بالرّغم من أنّه لم يكلّف رسميًّا بخطّة القضاء، وقد ظلّ فترة من الوقت يسكن الفسطاط (مصر) ويغدو منها إلى القاهرة[4] حتى انتقل إليها.

وكانت وفاته كما أسلفنا سلخ جمادى الثانية 363/27 مارس 974 مشارفاً للثمانين أو موفياً عليها. وكان في أواخر أيّام المنصور قبل الهجرة إلى مصر يشكو الكبر وقرب الأجل.

وقد حزن المعز لموته وصلى عليه، ودفن في داره بالقاهرة[5].

---

(1) المجالس، ص 484 ف 271.

(2) سيرة الأستاذ جوذر 147 وكان المعز قد نزل هذا القصر في جمادى الأولى سنة 362 هـ. انظر المقريزي: اتعاظ 1:134.

(3) المقريزي: اتعاظ 1:138 ـ 139.

(4) ابن حجر: رفع الأصر (ذيل الولاة والقضاة للكندي 587).

(5) المقريزي: الاتعاظ 1:149ب1.

مؤلّفات النعمان:

لم تصلْ إلينا كتب النعمان كلّها، ولم يبق منها سوى عشرين كتاباً، مع اختلاف عند الباحثين في عددها وأسمائها وصحّة نسبتها إليه: يذكر له إيڤانوف اثنين وأربعين كتاباً، وفيضي يحصي منها أربعة وأربعين وإسماعيل بوناوالا اثنين وستين، في حين أنّ فهرسة المجدوع لم تثبت إلاّ ثمانية عشر عنواناً. ونقتصر هنا على عرض المطبوع منها، وهي:

1 ــ **دعائم الإسلام** (رقم 16 عند بوناوالا)، وهو أهمّ مصنّف في الفقه، يقول المجدوع إنّه ألّفه بطلب من المعزّ، ولم يذكر النعمان في مقدّمة الكتاب طلب المعزّ هذا، بل اكتفى بذكر الدعائم السّبع التي بني عليها الإسلام في نظر الإمام جعفر الصادق، وهي التي أوحت إليه بعنوان «هذا الكتاب الجامع المختصر الذي يسهل حفظه ويقرب مأخذه»، ولا شكّ أنّه أصبح أهمّ كتاب في الفقه الشيعيّ، إلى حدّ أنّ المعزّ حين أبقى القاضي السنيّ على قضاء مصر، اشترط عليه أن يحكم بفقه آل البيت كما دوّن في الدعائم، وكذلك اشترط الخليفة الحاكم على دعاته أن تكون فتاويهم حسب كتاب الدعائم. وقد نشر هذا الكتاب في جزأين بالقاهرة بين سنة 1952 وسنة 1962، بتحقيق آصف فيضي.

2 ــ **تأويل الدعائم** (رقم 40 من ثبت بوناوالا)، وعنوانه الأصليّ: «تربية المؤمنين بالتوقيف على حدود باطن علم الدين». نشر منه محمد حسن الأعظمي بالقاهرة سنة 1967 ثلاثة أجزاء فقط. ويقول الناشر إنّ القاضي النعمان توفّي قبل أن يفرغ من تصنيفه، فيكون هذا الكتاب هو آخر مؤلّفات النعمان.

3 ــ **كتاب الاقتصار** (رقم 5 بوناوالا)، وهو شبيه في مادّته بكتاب الدعائم، ممّا دعا ناشره محمد وحيد ميرزا (دمشق IFEAD 1956) إلى التساؤل عن العلاقة بين الكتابين: إن كان «الاقتصار» مختصراً من الدعائم، أم كان كتاب الدعائم بسطا لما في كتاب الاقتصار؟ على أنّ اسم الدعائم لم يرد صراحة في الكتاب المعنون بهذا العنوان، وقد افترض محمد ميرزا أنّ كتاب الدعائم قد يكون هو كتاب الإيضاح الذي ذكره النّعمان في مقدّمته وقال إنّه جرّد منه كتابيّن: الأخبار، والاقتصار، وأرجوزةَ «المنتخبة». غير أنّ القاضي النعمان في المجالس ذكر الكتاب بعنوانه المصطلح عليه فقال: «سمعت بعضهم يحرّض بعضاً في

الاجتماع لقراءة كتاب دعائم الإسلام الذي بسطه المعزّ لدين الله لهم وجعله في مجلس من مجالس قصره[1]».

4 ــ **أساس التأويل** (رقم 38 من ثبت بوناوالا)، نشره عارف تامر، ببيروت 1960، في طبعة رديئة مليئة بالأخطاء.

هذه أربعة تصانيف في الفقه الفاطميّ تختلف عن بعضها بعضاً في البسط والاقتضاب، أو في اتّباع الظاهر أو التماس الباطن، مع أنّ مادّتها واحدة.

وللنعمان كتب أخرى، في السلوك الواجب نحو الأئمّة، مثل:

5 ــ **كتاب «الهمّة في آداب أتباع الأئمّة»** (رقم 43 بوناوالا)، الذي نشره محمد كامل حسين سنة 1947 في سلسلة مخطوطات الفاطميّين التي أنشأها وسهر عليها حتّى وفاته. ويظهر من المقدّمة الطويلة التي صدّر بها تحقيقه أنّه ليس واثقاً تمام الوثوق من صحّة نسبة الكتاب إلى النعمان، فمعتمَده في ذلك هو كتاب ايڤانوف (رقم 80 من ثَبَته) ومجموعة وثائق مخطوطة حصل عليها من المكتبات الهنديّة.

وفي تاريخ الدعوة الفاطميّة:

6 ــ **افتتاح الدعوة وابتداء الدولة** (رقم 20 من ثبت بوناوالا) «في ذكر أمر الدعوة بأرض المغرب إلى المهديّ (ص) وابتدائها فيها. . .» وهو كتاب نفيس لما يكشفه من مساعي الدعاة الواردين إلى إفريقيّة للإطاحة بالإمارة الأغلبيّة، ونجاحهم في إقامة أوّل دولة شيعيّة إسماعيليّة في تاريخ الإسلام. وقد نُشر الكتاب نشرتين: في بيروت سنة 1970 بتحقيق الآنسة الدكتورة وداد القاضي مع تحليل ضاف لأبواب الكتاب، وبتونس سنة 1975 بتحقيق زميلنا الدكتور فرحات الدشراوي، مع دراسة مفصّلة للكتاب بالفرنسيّة تبيّن أهميّته في معرفة تاريخ الفاطميّين.

7 ــ **المجالس والمسايرات** (رقم 23)، قيّد فيه النعمان ما سمعه من الخليفة المعزّ في مواضيع شتّى، من تاريخ وعقيدة واحتجاج على الخصوم،

---

(1) ص 277 ف 158. وعبارة «الذي بسطه المعز لهم» تدفع الفكرة القائلة بأن النعمان ألف الكتاب بوحي من المعز، أو استمد منه مادته.

وبحوث لغويّة، وهو هذا الكتاب الذي ننشره اليوم. وسيرد الحديث عنه.

8 ـ الأرجوزة المختارة (رقم 25)، نشرها إسماعيل قربان بوناوالا بمونريال (Montréal) بكندا سنة 1970[1]. ألّفها النعمان في عهد القائم للاحتجاج للأئمّة، وهي غير الأرجوزة المنتخبة (رقم 4) التي ذكرها في مقدّمة كتاب الاقتصار.

9 ـ شرح الأخبار في فضائل الأئمّة الأطهار (رقم 22) نشر في 3 أجزاء ببيروت سنة 1994.

هذا، ولا شكّ أن مؤلّفات النعمان تتجاوز هذا القدر: فهناك عناوين أخرى ذكرها مؤرّخو الشيعة والسنّة على السوّاء، وذكرها النعمان نفسه في بعض كتبه:

ففي كتاب افتتاح الدعوة يشير إلى كتاب ألّفه في سيرة المعزّ، وقد رأى الدشراوي أنّه كتاب المجالس بالذات[2]، ويبدو أنّ النعمان نظم هذه السيرة في أرجوزة[3] مثلما فعل في مؤلّفاته الفقهيّة.

وفي المجالس أيضاً إشارات إلى كتب أخرى من تأليفه، وإن كان ينسب مادّتها غالباً إلى الأئمّة:

- كتاب في أخبار الدولة وقد يكون هو افتتاح الدعوة[4].
- كتاب في مناقب آل البيت ومثالب خصومهم[4].
- كتاب في البسملة، يثبت أنّ البسملة هي من صلب القرآن[5].
- تفسير للقرآن أوصله إلى سورة المائدة[5].
- كتاب الدينار، وهو يشتمل «على علم جميع الحلال والحرام، والقضايا والأحكام» حسب عبارة النعمان نفسه. إلاّ أن المعزّ غيّر عنوانه فسمّاه: الاختصار لصحيح الآثار عن الأئمّة الأطهار»[6].

---

(1) Mac Gill University, Montréal, Canada.

(2) افتتاح الدعوة ص 338 وبالخصوص ص 145 فقرة 305 من المقدمة الفرنسية.

(3) المجالس 426 ف 241. ولعلها هي الموسومة بـ «ذات المنن».

(4) المجالس ص 108 ف 57.

(5) ص 125 ف 78.

(6) ص 327 ف 185.

ـ كتاب في الإمامة قدّمه لابن واسول المدراري «خليفة» سجلماسة، لإطلاعه على زيغه[1].

هذه جملةُ ما توصّلنا إلى معرفته من كتب النعمان التي كانت أساساً للدراسات الإسماعيليّة، فكان البعض منها يقرأ في مجالس الحكمة ككتاب الدعائم وكتاب تأويل الدعائم، بدليل ما يوجبه الكرمانيّ على قارئي كتابه «راحة العقل» من البدء بقراءة فصول من كتب النعمان كالدعائم والاقتصار والمناقب والمثالب[2].

هذا وقد استقرى إسماعيل قربان بوناوالا ناشر الأرجوزة المختارة المؤلّفات المنسوبة إلى النعمان، فجرّد منها كما قلنا اثنين وستين عنواناً بعضها مطبوع وبعضها مخطوط، والكثير منها مفقود أو مشكوك فيه[3].

المجالس والمسايرات:

سجل اسم الكتاب على نسخة الآصفية ـ التي اعتدمنا نصفها الأول ـ بهذه الصورة: «المجالس والمسايرات في تاريخ الإسماعيليّة وعقائدهم». ويبدو أنّ اسمه الأصلي هو ما ذكره المجدوع[4]: «المجالس والمسايرات والمواقف والتوقيعات» وهو اسم أكثر مُطابقةً لمحتوى الكتاب ومادّته.

وقد نصّ في مقدّمته على ما سبق له من تآليف كتبها عن الخلفاء المهديّ والقائم والمنصور ثم عن المعزّ منذ بداية إمامته وأعلن عن برنامج كتابه هذا فقال: «. . . أذكر في هذا الكتاب ما سمعتُه من المعزّ (صلع) من حكمة وفائدة وعلم ومعرفة عن مذاكرة في مجلس أو مقام أو مسايرة، وما تأدّى إليّ من ذلك عن بلاغ أو توقيع أو مكاتبة»[5].

وممّا يزيد في الأهميّة الوثائقيّة لهذا الكتاب أنّ النعمان كان حريصاً على

(1) المجالس، ص 381 ص 216.
(2) راحة العقل ص 22.
(3) وقد أمدتنا الدكتورة وداد القاضي بثبت بوناوالا قبل طبعه، فلها منّا جزيل الشكر.
(4) المجدوع، إسماعيل الأجيني: فهرسة الكتب والرسائل 52 (تهران 1966).
(5) المجالس، المقدمة ص 45.

تسجيل مادّته إثر كلّ مجلس مباشرة[1] ويتحرّى في نقل ما ينقله حتى يأتي بلفظ المعزّ كما ورد على لسانه[2] مع ما في هذا العمل من صعوبة وجهد. وكانت مراجعة الخليفة لمحتواه تزيد النعمان وثوقاً من عمله. فيقول: «إنّ ما أثبتُّه في هذا الكتاب كأنّه هو لفظه وإن لم يكن هو بحقيقته، لما أجازه على المعنى وسقط عنه تهمة التحريف والإحالة، وإن سقطت منه فضيلة الفصاحة والجزالة، ومعجز الألفاظ في المقالة، ولكنه صار بذلك من أصدق الحديث وأصحّ النقل[3]».

وإذا كان النعمان قد وضّح خطّة العمل في هذا الكتاب، وحدّد مادّته ومحتواه ومرتبته من الوثوق باعتبار توخّيه التسجيل المباشر أوّلاً، ثم مراجعة المعزّ لهذه الموادّ التي تسقّطها كاتبها على توالي الأيّام، فقد ظلّ التاريخ الذي توقّف فيه مبهماً نظراً لأنّ صفة التأريخ لم تجيء في هذا الكتاب إلاّ بصورة عرضيّة.

وقد ذكر الكتاب بعض الأحداث التي يمكن التوثّق من تاريخها، مثل:

أ ـ أسر ابن واسول واستقدامه إلى المنصوريّة، وذلك سنة 348 هـ[4].

ب ـ بداية العمل في إجراء نهر عين أيّوب إلى القيروان وكان ذلك في المحرّم سنة 348 أيضاً[5].

ج ـ الإعذار الجماعي سنة 351 هـ[6].

د ـ سؤال المعزّ للنعمان في المسايرة رقم 280[7] هل أنجبَ ولداه علي ومحمد، وجواب النعمان أنّ لكلٍّ منهما جاريةً لم يقنع بها للولد، وأنّهما قد تاقت نفسُهما إلى التزويج، وعاق ومنع ذلك أنّه لم ينظر لهما بعد في مَسكِــن. ونحن نعلم من جهة أخرى أنّ أبا الحسن عليّ بن النعمان قد ولد في شهر ربيع الأول

---

(1) المجالس، ص 206.
(2) ص 273.
(3) ص 274.
(4) ص 200. وفي هذا أيضاً دليل على أن النعمان لم يفرغ من تأليفه سنة 346/957 كما قال الدكتور الدشراوي حين ظن أن كتاب المجالس وكتاب سيرة المعز هما كتاب واحد.
(5) ص 304 ف 173.
(6) ص 511.
(7) ص 501 ف 280

سنة 329 هـ[1] وأنّ أبا محمد عبد الله ولد يوم الأحد 3 صفر سنة 340 هـ. فلذلك نقدّر أنّ هذه المسايرة قد حصلت على الأقلّ بعد مولدهما بثمانية عشر عاماً أو عشرين، وهي السنّ التي يكون فيها محمد بن النعمان مؤهّلاً للزواج والتسرّي، وبذلك ترجع هذه الحادثة إلى ما بين سنتي 358 و360 هـ ويمكن بذلك أن نقول إنّ كتاب المجالس والمسايرات قد غطّى الفترة الإفريقيّة من حياة المعزّ كلّها تقريباً، ولم يتجاوز إفريقية معه إلى مصر أو غيرها كما تجاوزت سيرة الأستاذ جوذر إلى مدينة برقة ثم توقّفت[2]. فلا يصحّ بالتالي ما ذهب إليه المؤرّخ المصريّ الدكتور حسن الباشا محمود في خصوص اختراع المعزّ للقلم الخزّان إذ قال إنّ هذه البادرة وقعت بمصر (انظر ص 319 هـ 1 من المجالس).

لم يكن كتاب المجالس كتاب تاريخ ولا كتاب سيرة فقط بل هو أيضاً كتاب عقيدة وكتاب أدب. ففيه إشارات تاريخيّة كالتي ذكرناها، وفيه معلومات عن فتنة أبي يزيد التي دامت مدّة القائم والمنصور، وعن خصومات المعزّ مع الدولة الأمويّة، والثورات المتعدّدة التي قامت بإفريقيّة، وفيه عرض لما أحدثه كلّ من صاحبَيْ سجلماسة وفاس من فتن، وكذلك للمعارك التي وقعت بين الروم والمعزّ.

ونتبيّن من هذا الكتاب مكانة القاضي النعمان في الدولة الفاطميّة ومختلف وظائفه الدينيّة المذهبيّة، والسياسيّة الديوانيّة.

كما نجد فيه مسائل عقائديّة كمبحث الإمامة، وما قيل في نسب الفاطميّين وما نسبه الغلاة إلى الأئمّة ممّا لا يتّفق مع عقيدة الإسلام، ومسائل في الظاهر والباطن.

ونجد كذلك في الكتاب صورة من الصعوبات التي لقيها الفاطميّون في بسط نفوذهم المذهبيّ على المجتمع الإفريقيّ السنّيّ فلم تستقرّ دعائمه إلاّ بقوّة الأنصار الكتاميّين. وقد أشاد المعزّ مراراً بفضلهم وفضل أسلافهم.

ونستخلص منه أيضاً معلومات عن المهديّ والقائمُ والمنصور والمعزّ

(1) ابن خلكان: الوفيات 5:51 ـ 54.
(2) سيرة الأستاذ جوذر 144.

وسياستهم الداخليّة والخارجيّة وعن طباعهم ومعاملتهم للناس مع نماذج كثيرة من حكمتهم ومواعظهم.

وفي خصوص الأئمّة يمكن جمع الأخبار والإشارات الواردة في الكتاب مبثوثة هنا وهناك في كلام المعزّ أو في ذكريات النعمان نفسه:

1 ـ المهديّ:

من أهمّ القضايا التي يثيرها كتاب المجالس، ظروف مقتل أبي عبد الله الشيعي وأخيه أبي العبّاس بانيَيْ صرح الدولة الفاطميّة، وموقف رجال كتامة من هذا الحادث الغامض، وكذلك قضيّة الإمام المستودع والإمام المستقرّ التي ما زالت محلّ بحث عند مؤرّخي الإسماعيليّة[1]: هل كان القائم ابنَ المهديّ حقيقة؟ أم كان المهديّ إماماً مستودعاً، حافظاً للإمامة التي هي من حقّ القائم؟ وقد لا نرتاح إلى ما قيل في هذه المسألة، خصوصاً وأنّ بعض دعاة الإسماعيليّة قد أتوا بمعلومات تحمل على إعادة النظر في قضيّة نسب الفاطميّين. وهذا النعمان نفسه ينقل لنا أنّ بعض نساء المهديّ «... كانت تقول لولد المهديّ ونسائه بعد وفاته: والله لقد خرج هذا الأمر من هذا القصر ـ تعني قصر المهديّ بالله (ص) ـ فلا يعود إليه أبداً، وصار إلى ذلك القصر ـ تعني قصر القائم بأمر الله ـ فلا يزال في ذرّيّة صاحبه ما بقيت الدنيا[2]».

فهذا النصّ يشعر بأنّ القائم لم يكن من ولد المهديّ حقيقة. وقد أشيع أيضاً أنّ المهديّ من سلالة ميمون القدّاح، فيكذّب المعزّ هذا الزعم قائلاً: «لن يجعل الله (عج) ذلك عند الضرورة عند من جعله في يديه من أهل هذا البيت من غير

(1) انظر النصين اللذين نشرهما إيفانوف بمجلة كلية آداب القاهرة 1936 ج 2 ص 89 ـ 135. وهما «استتار الإمام» و «سيرة جعفر الحاجب». وكذلك كتاب «في نسب الخلفاء الفاطميين» الذي نشره حسين بن فيض الله الهمداني ص 14 ـ 22. وانظر كذلك:

Bernard Lewis: The origins of Ismailism, Cambridge 1940

ص 115 إلى 163 من النص العربي: «أصول الإسماعيلية» تعريب خليل جلو وجاسم الرجب. واعتراض ناشري سيرة الأستاذ جوذر على فكرة المستشرق الإنجليزي (تعليق 62 ص 167 من السيرة).

(2) المجالس ص 501 ف 179.

الأعقاب المتّصلة إلاّ مستودعاً عندهم غيرَ مستقرّ فيهم إلى أن يستحقّ ذلك مستحقّه فيأخذَه من أيديهم[1]».

فلا يستبعد أن تخرج الإمامة من أيدي أصحابها إلى جماعة آخرين لمدّة معلومة عند الاضطرار، ثم تعود إلى أصحابها الحقيقيّين.

وقد تتّضح لنا هذه الإشارات إذا قابلناها بما ذكره السلطانُ الخطّاب أحد الدعاة اليمنيّين عن الدعوة الجديدة: «لما ظهر النور باليمن وبلاد المغرب سار وليّ الله في أرضِهِ عليّ بن الحسين (ص) يريد بلاد المغرب حتى كان في بعض طريقه فأظهر الغيبة واستخلف حجّته سعيد الملقّب بالمهديّ (سلام الله عليه) فثبّتَ قواعد الدعوة وجرى عليهما مِمَّن ضدّهما بسجلماسة من العمّال بالمغرب ما جرى، ووقى الله وليّه (سلام الله عليه) كيده لما كان من زحف أبي عبد الله عليه وظفَرِه به واستخراجه وليَّ الله (سلام الله عليه) من سجنه، فلمّا حضرت المهديّ النقلة سلّم الوديعةَ إلى مستقرّها وتسلّمها محمد بن علي القائم بأمر الله تعالى، وجرت الإمامة في عقبه»[2].

وقد يكون في هذا النصّ تفسير لما قالته تلك المرأة من نساء المهديّ.

ويذهب الداعي إدريس عماد الدين هذا المذهب فيقول:

«ولما توطّدت قوانين الدعوة الهادية بالمهديّة وظهر أهل الكهف من كهف التقيّة، وآن الأجل وانقضى المهل، سلّم الإمام المهديّ بالله إلى ولده القائم رتبته وأدّى إليه وديعته وأمانته وأظهر الغيبة[3]».

فكأنّ القائم لم ينسب إلى المهديّ إلاّ على أساس النبوّة الروحيّة، مثلما اعتبروا سلمان الفارسيّ واحداً من أهل البيت لانتسابه روحيًّا إليهم، ولعلّ المهديّ لم يكن غير إمام مستودع. ويذكر نصّ المجالس أنّ ولد المهدي مرض بالجدري فعمي. وهذه دلالة أخرى على أنّ الإمامة قد خرجت من بيته إلى بيت آخر.

---

(1) المجالس، ص 376.

(2) السلطان الخطاب بن الحسن المجدريّ الهَمدانيّ (ت 533/1138): غاية المواليد، خط. انظر بوناوالا، 133.

(3) الداعي إدريس عماد الدين بن الحسن (ت 872/ 1468) زهر المعاني، بوناوالا 169.

وقد تشعرنا هذه النصوص أيضاً بأنّ حقيقة العلاقة بين المهديّ والقائم لم تخفَ عن الداعي أبي عبد الله الشيعيّ ولا عن أخيه أبي العبّاس، فيكون اكتشافهُما سرَّ الإمامة سبباً لانتقاضهما على المهديّ، فقتلهما.

2 ـ القـائـم:

لم تزوّدنا المجالس بأخبار هامّة عنه، ونستنتج من الإشارات العابرة أنّ القائم لقي صعوباتٍ في سياسة دولته ولم يستطع التغلّب على المعارضين، وبالخصوص على ثورة أبي يزيد التي كادت تودي بالخلافة الشيعيّة.

ويبدو لنا خليفةً ناقص الحزم، لا يميل إلى الغزو ولا يفكّر في التوسّع، وذلك منذ كان وليّاً للعهد، فيروي لنا الكتاب جوابه للمهديّ حين كلّفه بالتجهّز إلى مصر، فقال: «يا أمير المؤمنين، قد خوّلك الله وملّكك وأعطاك من الدنيا ما فيه سعة وكفاية، فعلامَ تغمّ نفسك وتشغل صدرك؟ فدع هذا حتى يأتي الله به عفوًا[1]».

ونستشفّ من الكتاب صورة من الخلافات العائليّة والتنافس على الحكم، ودور أمّهات الأولاد في صرف ولاية العهد عن هذا إلى ذاك. من ذلك أنّ القائم كتم تعيينه للمنصور وليًّا للعهد أكثر من عشر سنوات، وكأنّه غير مطمئنّ إليه راغب في تعويضه بغيره، فيتألّم المنصور كثيراً لهذا التردّد: «... أقمت مدّة حياته [القائم] ثلاث عشرة سنة انظر إلى مَن قرب منه ومَن بعد عنه (ص) يسعَون بالفساد في دولة هي لي، قد قلّدني الله أمرها... وأهل خاصّتي يُؤذَوْنَ ويُستطال عليهم فلا يجد عندي أحد منهم نصرة... ويُنال منّي وتؤكل أموالي وأنا في ذلك كلّه بمعزل أتجرّع غصص الغموم...»[2].

وربّما فكّر القائم مدّة في صرف الخلافة إلى المعزّ مباشرة فيعترف له بأنّه آثره على أبيه، حتى صار يشفق عليه من نقمة المنصور: «إنّ أخوفَ ما أتخوّفُه عليك من أبيك ما عَلِمَهُ من إيثاري إيّاك وما أعلمُه من ميله إلى أمّهات إخوتك،

(1) المجالس، ص 230 ف 124.
(2) المجالس، 415 ف 235.

فأخشى أن يعدل بهذا الأمر عنك إلى غيرك منهم. . . ولولا صغر سنّك اليوم ما عَدَتْك[1]».

3 ـ المنصور:

أمّا المنصور ثالث الخلفاء فقد ذكر في الكتاب أكثر من سالفَيْه. وسبب ذلك أنّه مصدر كلّ الأخبار التي تخصّ المهديّ والقائم، فعنه يروي المعزّ، وبه يستشهدُ وبأقواله يتمثّل.

وكانت فتنة أبي يزيد عند تولّي المنصور قد استفحلت وعمّت أرجاء إفريقيّة، فجمع قواه وقضى عليها بجهدٍ جهيد[2].

ويبدو أن كثيراً من المؤرّخين القدامى اعتمدوا ـ في عرضهم لفتنة أبي يزيد ـ على ما سجّله القاضي النعمان في كتبه: من هؤلاء المؤرّخين، المقريزي في ترجمته للمنصور في كتابه «المقفّى[3]».

وكان حادّ الذهن عالماً شجاعاً حازماً، تولّى المهديّ تربيته فكان يطلعه على كتب الدعوة وعقيدة أهل البيت[4]، فنشأ محبًّا للكتب والعلم.

وكان صارماً مهاباً لا يسمح لأحد من الأولياء بالتواني فيما يكلّفه به، فنراه مثلاً يلوم النعمان على تقصيره في القضاء، وينهاه عن السجود له، وربّما تعرّض منه المعزّ نفسه إلى اللوم.

4 ـ المعزّ:

أكثر ارتباط النعمان كان بالمعزّ، فقد عاصره وعاشره وليَّ عهد ثم خليفةً وصاحبه إلى مصر إلى أن مات قبله بسنتين.

---

(1) ص 434 ف 247.

(2) ص 66 ف 9 و103 ف 52 و 413 ف 235.

(3) نشكر الدكتور سهيل زكار الذي أمدنا بنص هذه الترجمة المخطوطة. والكتاب نشرناه محقّقاً في 8 أجزاء ببيروت، دار الغرب الإسلاميّ 1992. وترجمة المنصور وردت في الجزء الثاني ص 129 رقم 780.

(4) ص 462 ف 261.

وتعظيم النعمان للمعزّ لا مزيد عليه: فهو الإمام وهو مصدر العلوم وأساس التأويل وكاشف الأسرار. وهو وليّ نعمته لم تنقطع ثقته ولا فتر عطفه، وهو الملجأ الذي يسكن إليه، إذا دهمه أمر أو حيّرته قضيّة أو غمضت عليه السّبل.

فلذلك أحاط النعمان شخصيّة المعزّ بالعناية التامّة فألّف هذا الكتاب وجعله سجّلا يومياً لأقواله ومآثره وتوقيعاته.

ومعظمُ كتب النعمان أُلّفت في عهد المعزّ، فيقول إنّه كتبها بطلب منه إذ يمدّه بمادّتها ويلخّصها له، فيتبسّط فيها النعمان، ثم يعرضها عليه فيستحسنها غالباً، وينصحه أحياناً بالزيادة فيها أو بالتشذيب منها، ويشير عليه بتبسيطها أو تحوير عنوانها.

وكان الأولياء يتهيّبون المعزّ فلا يتجاسرون على استفتائه في العقيدة ولا سؤاله في الأمور المعتادة، بالرغم من تحريضه لهم على ذلك وحسن معاملته لرعاياه من أهل الدعوة وحتّى من خصومها كما فعل مع ابن واسول، إذ سمح له بحضور صلاة الجمعة بإمامته، وتواضع له فناقشه في بعض مسائل الفقه كتحليل لحوم الخيل. وكذلك نراه يتألّم لمقتل حميد بن يصل ويقول إنه كان يصفح عنه لو أظهر الندم على قيامه عليه: «... فمن تاب إلينا قبلناه، ومن استرحمنا رحمناه ومن استقالنا أقلناه...[1]».

ويعلمنا الكتاب أنّ المعزّ كان شاعراً بالتنافر الحاصل بين الدولة الفاطميّة ورعاياها ممّن يسمّيهم «العامّة» أي أهل السنّة، فعمل على أن يظهر للناس بمظهر المنقذ الهادي جاء ليخلّص الدين من أعدائه سواء كانوا من النصارى البيزنطيّين أو ممّن يدّعون الإسلام مثل بني أميّة بالأندلس وبني العبّاس ببغداد أو البرابرة بالمغرب الأوسط والمغرب الأقصى، وقد استفحلت فيهم الدعوة الخارجيّة فصاروا يثورون بين الفينة والأخرى فيرسل عليهم خلصاءه من كتامة وعبيده الصقالبة.

وكان عطفه على كتامة عظيماً لأنّهم كانوا حزب الفاطميّين منذ بداية

(1) ص 231 ف 125.

الدعوة، لهم فضل السبق والجهاد، فلم ينس لهم المعزّ صنيعهم فكان يقرّبهم دوماً ويثني عليهم: «بارك الله فيهم وكثّر أعدادهم! فما أسرّني بهم وباحتفالهم، وما أحبّ إليّ أشخاصَهم وأزيَن في عيني منظرَهُم!.. أرأيت مثلهم في بهائهم وجمال مراكبهم وحسن مناظرهم[1]؟».

وربّما أثار هذا العطف حفيظة العبيد من الصقالبة ـ ممّا يشعر بشيء من التنافس بينهم وبين الكتاميّين ـ فيغضب عليهم المعزّ ويؤكّد فضل كتامة لأنّهم في نظره قد آزروا الدعوة متطوّعين، أمّا الصقالبة فبحكم عبوديّتهم كانوا من صفّهم، ففضلهم أقلّ.

وكذلك يعمل على تطمين رجال كتامة إذا ما ظهر منهم تحفّظ إزاء قائد صقلبيّ أمّره المعزّ عليهم، وهو جوهر، فيستدرجهم بلطف ولين وكأنّه يخشى انتقاضهم عليه.

ونراه يوصي الولاة دوماً والعمّال بالعدل والأمانة، والصدق والإخلاص، ويُحذّرهم من إخفاء ما يجب تبليغه إلى الإمام، ويحثّهم على الرفق بالرعيّة والتحرّي في التهمة قبل إنزال العقوبة[2]. ويدعو إلى المحافظة على الأخلاق القويمة، ولا يسمح بارتكاب ما ينهى الشرع عنه. ويذكر النعمان أنّ المعزّ تشدّد كثيراً في تتبّع النائحات المحترفات في المآتم ومنع احتفالهنّ لما يقع فيه من المحظور، وطالبه بإنزال العقوبة بهنّ حتّى إنّه اتّهمه بالتقصير في هذه القضية[3].

المعزّ والعقيدة:

يصوّر لنا القاضي النعمان في كتابه المجالس والمسايرات المعزّ على أنّه الرجل الذي تحصّل على علم الأوّلين والآخرين. فالمعزّ متبحّر في كلّ علم وفنّ، عارف بعلم الظاهر وعلم الباطن وبأحكام الدين وأصوله وفروعه وبالعلوم الرياضيّة والطبّ والهندسة وعلم النجوم والفلسفة، وله باع طويل في المباحث

(1) ص 223 ف 116.
(2) ص 456 ف 257.
(3) ص 493 ف 278.

اللغويّة أيضاً[1]. وهو صاحب اختراعات عجيبة لم يسبق إليها كالقلم الخازن للحبر[2]، وله معرفة بتركيب الأدوية. وهو متضلّع من الفقه يجيب عن قضايا عويصة، ولا غرابة، فإنّ هذا العلم يرثه وراثة كما يرث الخلافة، وهو العلم الذي يتنقّل من إمام إلى آخر. فعلم المعزّ لم يكن قد حصل له بالتحصيل والتعلّم، بل بالتأييد الإلآهيّ إذ لم يكن له مؤدّب أدّبه في طفولته، ولا جالَسَ ذوي العلم والمعرفة ولا رحل فخالط الناس[3]. فهو مثل جدّه النبيّ (ص) اتصل بالعلم كما اتّصل محمّد بالوحي سواء بسواء. ويؤكّد المعزّ ذلك فيقول إنّ العلم انتقل إليه فجأة عند وفاة المنصور ويستشهد بحادثة وقعت له معه: «كان المنصور ألقى عليّ مسائل قبل وفاته (ص) تعذّر عليّ الجواب فيها وأظلم، فما هو إلاّ أن قبض (ص) حتى تهيّأ لي ما كان اعتاص عليّ من جوابه دفعة بغير تدبّر ولا رويّة. فعلمت أنّ ذلك كما قيل: إنّ الله ينقل ما كان عند الماضي من الأئمّة إلى التالي منهم في آخر دقيقة تبقى من نفس الماضي[4]».

ويبدو أنّ القاضي النعمان يغالي في فطريّة علم المعزّ: ففي الكتاب شواهد كثيرة على تتلمذه لأبيه المنصور في طرق المناظرة وأساليب الجدال، مع حضور لمجالس الحكمة التي تعقد بالقصر.

وكان المعزّ يثور على الأتباع الذين يُضفون على الأئمّة صفاتٍ مغاليةً كمعرفة الغيب، أو ينسبون إليهم مواقف مارقة، فيعيبُ غلوَّهم ويلومهم.

وهذا المنصور يستنكر ما نسبه أحد الغلاة إلى الأئمّة فادّعى أنّهم يقولون: «عندنا من حكمة الله وعلمه ما نزيل به الجبال ونخرق به البحار[5]».

وقد كان هذا الغلوّ يصدر حتّى عن الأولياء والدعاة المقرّبين. وربّما وجد هذا الغلوّ منطلقه وغذاءه في أقوال الأئمّة أنفسهم: فهذا المهديّ يتنبّأ للمنصور

(1) انظر: محمد اليعلاوي: قضايا لغوية في كتاب المجالس والمسايرات، في كتابنا «أشتات في اللغة والأدب والنقد» بيروت 1992.

(2) ص 289 ف 166.

(3) ص 138.

(4) المجالس ص 241 ف 132، وانظر شرح ذلك في نفس الجزء ص 267.

(5) المجالس ص 387 ف 219.

وهو جنين بكشف غمّة أبي يزيد[1]، ويقول إنّ الإئمّة يخبرون بدنوّ أجلهم[2]. وكذلك في سكوتهم عن نوع من الدعاية يستغربه من لا يدين بمذهبهم: فالمعزّ يحلّ بمكان يشكو الجفاف والجدب فينزل معه المطر وتخصب الأرض وتزول آفة الجراد. ثمّ إنّ الأئمّة يحوون العلم كلّه، ويعرفون جواب كلّ مسألة. وهم شفعاء عند الله، والتوسّل بهم باب الإجابة.

وختاماً، فإنّ المعزّ، لئن لم يؤلّف كتباً غير كتاب تأويل الشريعة المنسوب إليه، فإنّ النعمان يؤكّد أنّه فيما كتب، تأثّر به وتلقّى العلم منه وصدر عن وحيه[3].

وقد رفع الدعاة شأن المعزّ وعظّموه، وقالوا إنّه أمر بتجديد الشريعة لأنّه سابع إمام من أئمّة دَور السَتْر، أي ابتداء من أوّل إمام بعد محمد بن إسماعيل، وعندهم أنّ الإمام السابع يمتاز بقوّة كبيرة لأنّه خاتم دور.

وهكذا أتاح لنا كتاب المجالس أن نتعرّف على شخصيّة المعزّ من خلال كلامه وأفعاله.

* * *

صفة النسخة المعتمدة:

اعتمدنا نسخة تتركّب من نصفين غير موحّدين:

النصف الأول:

صوّرته[4] لجنة معهد إحياء المخطوطات العربية برئاسة المرحوم رشاد عبد المطلب من المكتبة الآصفية بحيدرآباد يوم 16 ماي 1952 (الفيلم رقم 3175) والأصل محفوظ هناك ومسجل برقم 2590 تاريخ. وقد كتب على ورقته

(1) ص 500 ف 279.

(2) ص 219 ف 114.

(3) ولكنّ الجرد الذي صنّفه إسماعيل بوناوالا في دليله (ص 68 ـ 70) بعد جرد إيفانوف تضمّن ثمانية عناوين منسوبة إلى المعزّ.

(4) ساعدنا الصديق الباحث أيمن فؤاد السيد على اقتناء المصرّرة، فله جزيل الشكر.

الأولى بخطّ مغاير لنسخة الكتاب:

بسم الله الرحمن الرحيم

كتاب

المجالس والمسايرات في تاريخ الإسماعيلية وعقائدهم

تأليف القاضي أبي حنيفة النعمان بن محمد اليماني

من

أكبر قضاة دولة المعز لدين الله صاحب مصر وباني القاهرة

وترجمة المؤلّف

مبسوطة في وفيات الأعيان لابن خلكان

وهوأشهر من أن يعرّف

ويقع هذا الجزء في 220 ورقة أي 440 صفحة مقاسها 120 × 230 مليمتر مسطرته 13 سطراً يبدأ بخطبة الكتاب وينتهي بآخر الجزء العاشر. خطّه نسخي معتاد. وهو غير مؤرّخ، إلاّ أنّه حديث الخطّ من أعمال هذا القرن الهجري. ولم يثبت الناسخ اسمه. وقد كتب بآخره «تمّ الكتاب». فهل كان يعني تمام النصف ـ والنصف أربعة عشر جزءاً في الواقع ـ أم كان ذلك كلّ ما وقع إليه من الكتاب؟ والنصّ والعناوين مسترسلة غير متمايزة بحجم الخطّ ولا بأوائل السطور، عدا مدّ قد رسم فوق الطوالع عند لفظة «كلام» أو «حديث» وفوق كلمة «قال» غالباً التي تعني القاضي النعمان.

النصف الثاني:

من نسخة أخرى تبدأ بالجزء الحادي عشر، أولها: «النصف الثاني من

بسم الله الرحمن الرحيم



كتاب

المجالس والمسايرات

في

تاريخ الاسماعيلية وخلفائهم

تأليف

القاضي ابي حنيفة النعمان بن محمد اليماني

من

اكبر قضاة دولة المعز لدين الله صاحب مصر وباني القاهرة

ومن ترجمة المؤلف

مبسوطة في وفيات الاعيان لابن خلكان

وصار اشهر من ان يعرف

الورقة الأولى من مصورة معهد إحياء المخطوطات العربية (عن مخطوطة المكتبة الآصفية)

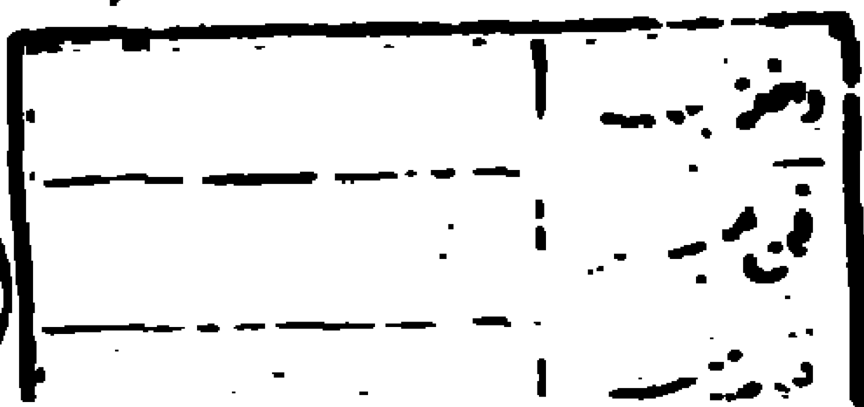


الورقة الثانية (ص 2 و3) من مصورة معهد إحياء المخطوطات العربية، عن المكتبة الآصفية

فهاذه وصايا قالها لهم ملقنكم من وصايا الائمة
انا نامركم ان تقتدوا بنا في جميع الامور
فما رأيتمونا نحبه ونفعله ونامر به
فافعلوه وامروا به وما رأيتمونا نكرهه
ونجتنبه فاكرهوه واجتنبوه ففينا والله
لكم خير اسوة حسنة والدالها الوصية
امسوا سليمان السلام لي وقد احتضر قال
لي اني اجمع لك الوصايا كلها في كلمة واحدة
فانظر فما كنت رأيتني افعله فافعله وما
كنت رأيتني تركته فاتركه واصنع بعد
وفاتي ما كنت رأيتني اصنع في حياتي

فنجو السلف الثالث

تم الكتاب





الصفحة الأخيرة (ص 440) من مخطوط الآصفية

كتاب المجالس والمسايرات[1] ثمّ البسملة. ثمّ: قال القاضي النعمان بن محمد: «سمعت الإمام المعزّ لدين الله صلوات الله عليه يوماً وقد قرب عيد الأضحى وسأل عن مجيء كتامة من الأعمال لشهود العيد...» وتنتهي بـ «ـآخر الجزء الثامن والعشرين وبه تمام الكتاب».

يقع هذا المجلّد في 673 صفحة لا نعلم مقاس أصلها، مسطرة 13، كتبت بخطّ نسخيّ معتاد أكثر يبوسة من خطّ النصف الأوّل، كلّه مسترسل اتّصلت نصوصه وعناوينه وأقسامه، ويبدو أنّه فرّق بينها في الأصل بتلوين الأحبار.

والنسخة حديثة جداً فرغ من كتابتها صباح يوم الثلاثة 14 ربيع الأوّل سنة 1361 هـ/ 1932. كتبها «الشيخ آدم بن محمد علي الكجراتي وطنا السورتي مسكنا»، وقد سجّل بعقبه في ص 674 أنّه نقلها من نسخة سجّلت بآخرها عبارة: «تمّ كتاب المجالس والمسايرات، والحمد لله وصلّى الله على محمد وآله وسلّم تسليماً، في اليوم التاسع والعشرين من شهر صفر المظفّر من اثنين وثلاثين وثلاثمائة وألف سنة 1332 (الموافق لـ 27 جانفي 1914) من هجرة رسول الله (صلعم) كتبه أحقر الأحقرين محمد علي ابن ملاّ سلطان علي في بلد برهانبور المسمّى بدار السرور غفر الله ذنوبهما».

وهذا النصف مصوّر في مجلّدين بمكتبة جامعة القاهرة تحت رقم 26060، ولا نعلم شيئاً عن أصل هذه النسخة. وقد استفدنا من السجلاّت أنّ هذه النسخة من المجالس كانت تامّة في نصفين، وقد أضاع النصف الأوّل منها وسدّد ثمنه سنة 1962 الدكتور محمد كامل حسين كما هو مثبت بسجلّ مخطوطات الجامعة.

وقد اصطلحنا على هذه النسخة المركّبة من نصفين مختلفين برمز «أ».

أمّا نسخة «ب» فهي صورة فوتوغرافيّة من نسخة مدرسة الدراسات الشرقيّة والإفريقيّة BSOAS بلندن، رقم 25737 كما هو مذكور في آخرها.

---

(1) لا يمكن أن يكون الجزء الحادي عشر بداية النصف الثاني، لأن الكتاب يحوي ثمانية وعشرين جزءاً. ثم إننا نجد في آخر الجزء الرابع عشر عبارة: تم الجزء الرابع عشر، وهو نصف الكتاب.

٢

النصف الثاني

من كتاب المجالس والمسائرات

بسم الله الرحمن الرحيم

قال القاضي النعمن بن محمد سمعت الامام
المعز لدين الله صلوات الله عليه يوما وقد
قرب عيد الاضحى يسأل عن مجيء كتامة
من الاعمال لشهود العيد فقيل له يا امير
المؤمنين يتسابقون وقد خف القوم
فقال يا [illegible]

٣

بهم وباستقبالهم وما العجب الى اشتياقي اليهم ولمحبتي
في عيني مناظرهم ثم نظر الي فقال لقد رأيت
مثلهم في عمائمهم وجمال مراكبهم وحسن منظرهم
اما اني ربما اقول في نفسي اذا اعجبني ذلك
منهم ان ذلك لفرط محبتي لهم فقلت هم والله
على ما وصفهم امير المؤمنين عند الولي والعدو
ولقد اتصل بنا من غير وجه ان مخلدا واصحابه
اللعنا كانوا يقولون ايام الفتنة وهم يقاتلونهم
اما [illegible] كتامة وجمالهم فيهم فانا ندعيه
والا فنا [illegible] فيه فقال هم والله الذين اذاقوهم
[illegible] الموت واحلوهم محل الذلة [illegible]
في ظباء السيوف وحد الرماح حتى الجؤوهم
[illegible] الجبال في اطراف البلاد ثم استنزلوهم.

الورقة الأولى (ص 2 و3) من نسخة «أ». وهي مصورة جامعة القاهرة عدد 26060

٦٧٢

لما فيه صلاح جميعهم فلكل زمان رجال و
ليس لكن يسير في اليوم هذا الخلق كثير
ممن يظن ان الامر لا يعد وما انا اليوم
عليه فاعرفوا قدر ما من الله عليكم به و
اشكروه يزدكم من فضله فقال بعض من
حضر وكيف لنا بشكر ما اولاه امير المؤمنين
فقال ان الذي اولى الله عباده اجل و
اعظم وقد اخبر عز وجل ان من قد شكره اذ قد
شكروا بما قدروا عليه فاخلصوا نياتكم
وما يريد منكم الا الاخلاص فقبلوا الارض
مما بين يديه وشكروا بما قدروا عليه
وانصرفوا فخلع يومئذ على جميع من حضر
المجلس خلعا رفيعة وكان يوم سرور وجمع

ابلاه

٦٧٣

ايام الظهور التي قدمنا ذكر السرور فيها
وما علم الناس من فضل ولي الله صلى
الله عليه وعلى الائمة الطاهرين من سلفه
والصفوة المهديين من خلفه وسلم تسليما .
وقع الفراغ من زبر هذا المجلد الثاني من
كتاب المجالس والمسايرات صباح الثلثاء
الرابع عشر من شهر ربيع الاول من سنة ١٣٥١هـ
المطابق للتاريخ السادس عشر من اكست
من سنة ١٩٣٢ع كتبه الاقل الراجي رحمة ربه
العلي شيخ آدم ابن الشيخ الملا محمد علي
الكراجي وطنا السورتي مسكنا ثبته الله تعالى على
طاعته وعلى طاعة جميع حدوده العلويين والسفليين
الروحانيين والجسمانيين بحق سيدنا محمد وآله الطاهرين
آمين يا رب العالمين

الورقة الأخيرة (ص 672 ـ 673) من مصورة جامعة القاهرة

نقلته من النسخة التي عبارة لغزها مثله
تم كتاب المجالس والمسايرات والحمد لله
وصلى الله على محمد وآله وسلم تسليما في اليوم
التاسع والعشرين من شهر صفر المظفر من
اثنين وثلثين وثلثمائة وألف ١٣٣٢ سنة
من هجرة رسول الله صلعم كتبه أحقر الأمة
محمد علي ابن ملا سلطان علي في بلد برهانپور
المسمى بدار السرور وغفر الله ذنوبهما

تصوير لمرا ابراهيم سعيد أحمد بمكتبة
جامعة فؤاد الأول

الصفحة الأخيرة (ص 674) من نسخة أ (جامعة القاهرة)

وتشتمل هي أيضاً على الأجزاء 11 إلى 28، وقد جلّدها «عبد الحسين ابن الملاّ هبة الله المتوطن بلد رامبورة»، وهو من أتباع سلطان البهرة الراحل، «مولانا طاهر سيف الدين»، بتاريخ 15 ربيع الثاني 1922/1342.

وتقع هذه النسخة في 145 ورقة، وكل صفحة تتضمّن 20 سطراً، وخطّها متداخل مهمل.

وقد كتب في آخرها بخطّ مائل مغاير: كاتبه المرحوم...... ملاّ داود بن أيّوب مأمور... ساكن جيت، المدفون في... مندرة في 1315.

وتشترك هذه القطع الثلاث في التنبيه على بداية كلّ جزء حسب تسلسله، والتنصيص على نهايته بعبارة: تمّ الجزء كذا... مع عبارات الحمدلة والتصلية. وقد حافظنا على أرقام الأجزاء في بداية كلّ جزء، وحذفناها من الخواتم.

وبالمناسبة يمكن أن نتساءل عن الأساس الذي بني عليه هذا التقسيم: فهو لا يناسب تفريعاً واضحاً في أبواب الكتاب، ثمّ إنّ النعمان لم يشر إليه في مقدّمته، وإن أشار في غضون الكتاب[1] إلى نوع من الترتيب على الفصول والأبواب، وكأنّه يعني بالباب الجزء، وبالفصل الفقرات المعنونة.

ولعلّه أخذ بنصيحة المعزّ إذ أشار عليه بتجزئة كتبه «لتكون أقرب وأسهل على السّامع، لأنّه لا يبتدىء البادىء في جزء منه إلاّ وقد اشتهى النظر فيه، وإن طال عليه ملّه[2]».

* * *

على أنّنا ـ زيادة في التوضيح ـ فصّلنا الفقراتِ ورقّمناها بحسب مواضيعها وأضفنا عناوينَ في الهامش موفيةً بفحوى الفقرة، إذ إنّ عناوين المؤلّف مبهمة غالباً.

أمّا منهجنا في التحقيق، فيعتمد على ضبط النصّ بالاعتماد على:

ـ نُسختَي «أ» و «ب» أساساً.

ـ نسخة اكتشفناها أخيراً في قائمة المصوّرات (ميكروفيلم) التي أهداها المستشرق

(1) ص 327 ف 185.

(2) ص 364 ف 208.

Hellmut Ritter إلى جامعة Uppsala السويديّة ورقمها 15ـ 1: Ritter Mf 15 فاستقدمناها وقابلناها على اضطرابها وتقطّعها بالنسختين السالفتي الذكر. ونرمز إليها بحرف س.

ـ نقول الداعي إدريس في كتابه عيون الأخبار(1). ونرمز إليها بحرف ع.

وعملنا على تعريف الأعلام وتوضيح الإشارات التاريخيّة والعقائديّة بالرجوع إلى كتب التاريخ والدراسات الخاصّة بالفاطميّين، ولا سيّما كتب العقائد الإسماعيليّة ممّا ألّفه الدعاة كالداعي إدريس والكرمانيّ وغيرهما.

وقد حاولنا أن نصوّب القراءات، بالمقابلة بين النسختين «أ» و «ب» في الأجزاء 11 ـ 28، وبمراقبة محتوى النصّ. واضطررنا إلى الافتراض أحياناً، فكلّ كلمة يقتضي السياق زيادتها، وضعناها بين حاصرتين [ ] وكلّ زيادة وثقنا أنّها من سهو النسّاخ أو من الغلط الظاهر، حذفناها مع التنبيه إليها غالباً. هذا، ولم يقعد بنا المجهود إلاّ في مواضع قليلة من النصّ، فلفتنا إليها انتباه القارىء، وعرضنا عليه غالباً قراءة أو تأويلاً للعبارة التي عسر علينا فهمها(2).

والله وليّ التوفيق، وهو حسبنا ونعم الوكيل.

المحقّقون

---

(1) ينقل الداعي إدريس عماد الدين في كتابه «عيون الأخبار» كثيراً عن كتاب المجالس والمسايرات (انظر ص 601 من كتابه). فحين نشرنا منه القسم الخاصّ بالخلفاء الفاطميّين بالمغرب أمكن لنا تصويب كثير من قراءاتنا الأولى، وإنّا ننبّه إلى هذه النقول والتصويبات (محمد اليعلاوي).

(2) تنبيه على هذه الطبعة الثانية:

حافظنا على جلّ التعليقات والإشارات والإحالات الواردة في الطبعة الأولى طبعة الجامعة التونسية سنة 1978. وهذه الهوامش كانت من صنع:

ـ الحبيب الفقي في القضايا الفلسفيّة والعقديّة الإسماعيلية.

ـ إبراهيم شبّوح في التوضيحات التاريخيّة ولا سيّما تلك المتعلّقة بالآثار الفاطميّة وبحضارة إفريقيّة.

ـ محمد اليعلاوي في المباحث اللغويّة والأدبيّة وأحياناً التاريخيّة.

أمّا الزيادات والتنقيحات والتصويبات التي أُدخلَت على الكتاب في طبعته الثانية هذه، فهي من عمل المحقّق الثالث، ولا سيّما الإحالات إلى مراجع ما بعد سنة 1978.

وقد استرخَصْنا من الزميلين الذيْن حقّقا معنا الطبعة الأولى في تجديد الطبع بتنقيحاتنا وإضافاتنا فوافقا مشكورين (محمد اليعلاوي).

الورقة الأولى من نسخة مدرسة الدراسات الشرقية والإفريقية بلندن رقم 25737 (نسخة ب)

الورقة الأخيرة من نسخة مدرسة الدراسات الشرقية والإفريقية (نسخة ب)

هذا كتاب المجالس والمسايرات

[illegible]

Nu'mān ibn Muḥammad ibn Manṣūr, called
Ibn Ḥaiyūn.

[Al-majālis wa 'l-musā'irāt. Parts
11-28. Arabic manuscript.]

الصفحة الأخيرة من نسخة (ب)

كتاب المجالس والمسايرات

للقاضي النعمان بن محمد

المتوفى سنة 974/363



مقدمة المؤلّف

2 الحمد لله الذي أكرمنا بوَلاية أوليائه، وفضّلنا بإمامة الأئمّة من أهل بيت نبيِّه وهدانا بنورهم، وبصّرنا سبلهم، وأنعم علينا بهم فيما له علينا من النّعم، بما لا نُحصيه، حمداً يُحبّه ويرتضيه، ويوجب المزيد من نِعَمِهِ عليه. وصلّى الله على محمد/ نبيّه وعلى الأئمّة الطاهرين من أهل بيته. 2

أمّا بعد، فإنّا لمّا أثَرنا ما أثرناه من الفضائل والحكمة والعلم والمعرفة عن أسلافِ أئمّتنا بنقل مَن أدّى ذلك عنهم إلينا من صالحي إخواننا، وأخاير أسلافنا، وكان لهم بما يحملونه من ذلك إلينا فضلُ المبلّغِ الحامل، وثوابُ الصادق الناقل، دَعَتْنا الرغبة في ثواب ذلك إلى نقل ما سمِعنَاه، وتأدّى إلينا وَرَوَيْنَاه، وأثرناه عمّن شاهدناه وأدركناه منهم، صلوات الله عليهم، إلى غيرنا ممّن غاب عن ذلك/ من 3
3 أهل عصرنا، لينقلوا ذلك عنّا إلى من يأتـي من بعدنا، كما نَقَلَ إلينا ما أثرناه، مَن أدركناه عمّن مضى مِن قبلنا.

فقد رَوَيْنَا[1] عن رسول الله ﷺ، فيما نقل الرواة إلينا من أئمّتنا أنّه قال(صلع): رحم الله امرءًا سمع مقالتي فوعاها وبلّغها من لم يسمعها، فربّ حامل فقه إلى من هو أفقه منه، وربّ حامل فقه وليس بفقيه. وأنّه قال (صلع): يحمل هذا العلمَ من كلّ خَلَف عُدُولُه ينفُون عنه تحريفَ الجاهلين وتأويلَ الغالين وانتحال المبطلين[2].

---

(1) تساءل آصف فيضي طويلاً في مقدمة «دعائم الإسلام» (ص 19 من طبعة 1969) عن قراءة «روينا» أ بالمعلوم هي أم بالمجهول، وآثر أن يقرأها: رُوِّينا بضم الفاء وتشديد العين.

(2) الحديث: انظر الدعائم ج 1 ص 80 عدد 151 ومشكاة المصابيح ج 1 ص 82 رقم 248. أما=

وعن جعفر بن محمّد[1] صلوات الله عليه أنّه قال: رحم الله من أحيا أمرَنا.
4 فقيل: يا ابنَ رسول/ الله (صلع)، وما إحياءُ أمرِكم؟ قال: ذكرُه، ونشرُه، وتبليغُه من لم يكن بلغَه.

وعنه عليه السلام أنّه قال لبعض شيعته: تحدّثوا عنّا واجتمعوا في مجالسكم على ذكرنا، فما من قوم من أهل وَلايتنا يجتمعون على ذكر فضلنا ويتفاوضون فيما علموا من عِلْمِنا، إلاّ وهم يسرحون في رياض الجنّة. وإنّ الملائكةَ لتُظلّهم وتستغفرُ لهم، وإنّ الله عزّ وجلّ ليُقبل بوجه رحمته عليهم.

فلهـذا وغيره من كثير من الرغائب فيما ذكرناه واختصرناه رغبنا فيما وضعناه، وآثرنا ما قصدناه.

5 ولقد كنت جمعت عن المهديّ بالله، والقائم بأمر الله، والمنصور/ بالله[2] صلوات الله عليهم ورحمته وبركاته، وفيهم وفي[3] فضائلهم، من الكتب ما يطول ذكرها[4]. وألّفت سيرة المعزّ لدين الله صلوات الله عليه، من الوقت الذي أفضى

= حديث: رحم الله امرءاً... فقد خرجه ابن ماجة ج 1 ص 84 رقم 230، والترمذي ج 10 ص 124.

(1) جعفر الصادق، أبو عبد الله (ت 148/765) الإمام السادس. وهو آخر إمام مشترك بين الشيعة الاثني عشرية أو الإمامية، والشيعة الإسماعيلية أو السبعية. ذلك أنه عين ابنه إسماعيل إماماً بعده، فتوفي قبله، فعين أخاه عبد الله فتوفي أيضاً. فعين ابناً ثالثاً، وهو موسى الكاظم. ولكن قسماً من الشيعة صححوا إمامة إسماعيل ونقلوها إلى ابنه محمد فكان منطلق الشيعة الإسماعيلية. واعترف جمهور الشيعة بإمامة موسى ومن يليه إلى الإمام الثاني عشر قبل الغيبة، فكانوا هم الشيعة الاثني عشريّة.

كان جعفر الصادق محدثاً، روى عنه جماعة، منهم مالك وأبو حنيفة. وإليه ينسب فقه الشيعة أو الفقه «الجعفري». انظر وفيات الأعيان، وتاريخ اليعقوبي ج 2 ص 418، و443 و458 وابن الجوزي: صفة الصفوة ج 2 ص 94. وفصل «جعفر الصادق» بدائرة المعارف الإسلامية.

(2) هؤلاء هم الأئمة الفاطميون الأولون منذ انتصاب الدولة برقادة سنة 296/909.

(3) في الأصل: ومن.

(4) الأولى أن يقول: ذكره. هذا وقد ذكر إيڤانوف في قائمة مؤلفات النعمان عناوين قد توافق ما يشير إليه القاضي هنا: المناقب والمثالب (رقم 77)، شرح الأخبار في فضائل الأئمة الأطهار (رقم 78)، معالم المهدي (رقم 101).

الله عزّ وجلّ بأمر الإمامة إليه إلى اليوم[1]. وأنا دائب في ذلك إلى أن ينقضي عمري إن شاء الله تعالى، ويصلَها مَنْ بعدي مِن عَقِبي وأعقابهم بتوفيق الله إيّاهم بطول بقاء وليّه، ودوام عزّه وسلطانه، ولا حول ولا قوّة إلاّ بالله.

ثمّ رأيت وجوهاً من الحِكَم والعلم والآداب والمعرفة تنفجر عن منطقه
وتندفع من ألفاظه وتشير عن رمزه وإشارته، ولا تجري مجرى السِّيَر/ التي 6
صنّفتها، ولا تدخل في أبوابها التي ألّفتُها، على ما في تلك السيَر من الحكمة
والعلم والمعجزات، والبراهين والدلائل والآيات. فرأيتُ إفرادَ هذه في كتبٍ
تُشبهُها وتليق بها، وأن أُفرِدَ السّيَر في كتابها مع ما شاكلها وكان في معناها، وأن
5 أذكرَ في هذا الكتاب ما سمعتُه من المعزّ صلوات الله عليه من حكمة وفائدة وعلم
ومعرفة، عن مذاكرة في مجلس أو مقام أو مسايرة، وما تأدّى إليّ من ذلك عن
بلاغ أو توقيع أو مكاتبة، على تأدية المعنى دون اللفظ[2] حقيقة بلا زيادة ولا
نقص، بعد بسط العُذر في/ التخلّف عن تأدية حقيقة لفظه بحسبَه، إذ هو الجوهر 7
الذي لا يتعاطى البشرُ صَنعتَه، بلِ الله الذي أبدع خلقَه. بل هو خيرٌ من الجوهر،
كما ذكر سفيان الثوري[3] أنّه دخل على جعفر بن محمّد صلوات الله عليه، فحدّثه
بحديث بألفاظ لم يقف سمعُ سفيانَ [على] مثلها، فما تمالك إذ سمعها أن قال:
هذا والله الجوهرُ. فقال له جعفر بن محمّد: يا سفيان، بل هو والله خيرٌ من

---

(1) أشار النعمان إلى هذه السيرة في آخر كتابه «افتتاح الدعوة» (ص 338 من طبعة الدشراوي وص 282 من طبعة وداد القاضي) فقال: وقد أثبتُّ سيرة المعز وما خصه الله به من فضله... مذ أفضى إليه بخلافته إلى وقت بسطي هذا الكتاب، وقتاً فوقتاً ويوماً فيوماً...» ويعتقد الدكتور الدشراوي أن هذه السيرة إنما هي كتاب المجالس والمسايرات. فيكون النعمان قد فرغ منه سنة 346، وهو مخالف لما يأتي في المجالس (ص 334 ف 173) من إشارة إلى عمال عمرانية أمر بها المعز سنة 348 وكذلك خبر الإعذار الجماعي سنة 351. وهذا وغيره يؤكد أن هذه السيرة كتاب آخر، غير المجالس، وغير المنظومة «ذات المنن» في سيرة المعز (عدد 99 من قائمة إيڤانوف). هذا ويعود النعمان في ص 271 ف 155 من المجالس والمسايرات إلى ذكر كتاب دون فيه كلام المعز وفعله، وعرضه عليه. ولا ندري صلته بالسيرة المذكورة هنا ولا بكتاب المجالس نفسه.

(2) في الأصل: على تأدية المعنى عن اللفظ دون حقيقة. وقد تكون القراءة أيضاً: على تأدية حقيقة المعنى دون اللفظ.

(3) سفيان الثوري: أحد كبار المحدثين، توفي سنة 161/778.

الجوهر، هل الجوهر إلاّ الحجرُ؟ (قال): فقلت: الله أعلم حيث يجعل رسالته.

فأمير المؤمنين صلوات الله عليه نَجْل جعفر وسليلُه، ونسل رسول الله (ص)
8 وولَدُه، وهم كما قال الله عزّ وجلّ/ : ﴿ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ﴾[1] لا تُتَعَاطى حكايتهم، ويَعجِز الخلقُ دونهم عن أن يأتوا بمثل ما يكون منهم.

وقد روينا أنّ بعض أصحاب رسول الله ﷺ، سئل، فقيل له: حدّثْنا حديثاً كما سمعتَه من رسول الله (ص) بلفظه لا يزيد ولا ينقص. قال: لقد كلّفتموني شططاً، حسْبي[2] أن أؤدّيَ إليكمُ المعنى على أن لا آلُوَ تحريًا لإصابة لفظه، ولا أتعمّدَ تبديل شيء منه إن شاء الله تعالى.

* * *

(1) آل عمران، 34.

(2) في الأصل: حبيره، ولا معنى لها هنا.

الجــزء الأوّل

[بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ][1]

ذكر كلام جرى في موقف:

تخريج النعمان لأوّل كلمة سمعها من المعز[2]...

1 ــ قال القاضي النعمان بن محمد: أوّل لفظة سمعتها من أمير المؤمنين المعزّ لدين اللّه صلوات اللّه عليه يوم قدمتُ من/ مدينة طرابلس وكان المنصور و بالله استقضاني عليها ثم أنفذ إليّ أمره بالقدوم فقدمت، فلمّا أشرفتُ على المنصوريّة واجهتُ المعزّ لدين الله صلوات الله عليه خارجاً لبعض ما كان يخرج إليه في موكب ضخم، فنزلتُ وبادرتُ إليه للسّلام عليه وهيّأتُ كلاماً. فما هو إلاّ (أن) قربت منه وملأتْ عيني [من شخصه الزكيّ، حتّى] ملأتْ صدري هَيْبَتُهُ ورأيتُ جلال الإمامة في وجهه، فوالله ما دريت ما أقول ولا عوّلتُ إلاّ على تقبيل الأرض. ثم أومأ إليّ بيده فقبّلتُها، وأفْحِمْتُ هيبةً له وإجْلاَلاً، فابتدأني بالكلام/ فقال: «قدِمتَ خيرَ مَقْدَمٍ وبارك الله فيك وجزاك خيراً عن نفسك، فقد انْتهى إلينا خبرُك. سِر راشداً إلى باب أميرِ المؤمنين!». وحَرَّكَ دابّتَه[3].

ولمّا مثلت بين يدي المنصور بالله صلوات الله عليه، قال لي فيما قال: يا نعمان، إذا جزى الله المحسنين خيراً فجزاك الله عنّا أفضلَ الجزاء!

فما كنتُ بشيء أسرَّ منّي بما سمعتُ يومئذ من المنصور والمعزّ لدين الله

(1) البسملة مفقودة من هذا الجزء فلذلك وضعناها بين مربعين.

(2) العناوين الهامشيّة هي من وضع المحقّقين الثلاثة، وقد حوّرنا بعضها أو اختزلناهُ في هذه الطبعة. وسيجدها القارىء في الفهرس التفصيليّ لموادّ الكتاب.

(3) قدوم النعمان من طرابلس كان سنة 340. انظر ص 53 هـ 1.

صلوات الله عليهما. ونزّلتُ ذلك القولَ وتدبَّرته بحسب ما ينبغي أن يُنَزَّلَ ويُتَدَبَّرَ قولُ أولياءِ الله، فرأيت قولَ المعزّ لدين الله صلوات الله عليه: وجزاك خيراً عن
11 نفسك/ ، قولاً ظاهراً مكشوفاً بيّناً معروفاً غيرَ محتاج إلى التأويلِ ومستغنياً عن الدليل، يُصدِّقُه قولُ الله عزّ وجلّ: ﴿إِنْ أَحْسَنْتُم أَحْسَنْتُمْ لأَنْفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا﴾[1].

.. ومن المنصور وقول المنصور بالله صلوات الله عليه: إذا جزى الله المحسنينَ خيراً فجزاك الله عَنَّا أفضلَ الجزاء، مثله في معناه، إذ كان المحسنون لم يحسنوا إذا عملوا الصالحات، إلى الله، تعالى عن ذلك، وإنّما أحسنوا إلى أنفسهم كما قال الله عزّ وجلّ.

وقوله: فجزاك الله عنّا، محتاج إلى التأويل وغيرُ مستغنٍ عن الدليل ويَحْتَمِل وجوهاً:

أحدها أن يكون قوله: جزاك الله عنّا أي منّا، وبنا، ونحو هذا، لأنّ
12 حروفَ/ الخفض عند أهل العربيّة يخلف بعضها بعضاً. قال الله عزّ وجلّ، حكاية عن فرعون: ﴿وَلأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ﴾[2]، أي على جذوع النخل. وكان الدعاء معناه في ذلك أن يجزيَ الله الجزاء على أيديهم أو بهم أو منهم في عاجل الدنيا أو في آجل الآخرة أو فيهما معاً. وذلك الذي أرْجوه، واثقاً بقبول الدعوة، ولا قوّة إلاّ بالله.

وقد يكون مجاز قوله: عنّا، أي: عن ولايتنا ومحبّتنا والنصيحة لنا.

أو يكون معناه: جزاك ثواب ما قمت به ممّا وَلَّيْنَاك أمرَه فأحسنت فيه إلى نفسك. أو ما يجري هذا المجرى.

13 والكلام فيه يتّسعُ والشواهد/ عليه كثيرة، تركنا ذكرها اختصاراً لا على أن يظُنَّ ظانٌّ أو يتوهَّم متوهِّمٌ أنّ له على أولياء الله مِنَّةً أو فضلاً أو نعمةً يجب أن يجازى عليها.

---

(1) الإسراء، 7.

(2) طه، 71. ونيابة حروف الجر عن بعضها بعضاً ـ وهو ما يسمّيه بعضهم «تضميناً» ـ لا يتّفق عليها الجمهور.

وجوب الإخلاص في العمل

2 ــ وقد روينا عن رسول الله (صلع) فيما رواه لنا الرواة عن أئمّتنا، أنّه قال لرجل من الأنصار: قد كانت لأبيك عندي يدٌ، فهل لك من حاجة؟ فقال لرسول الله (صلع): تسألُ اللّهَ ليَ الجنَّة. قال: نعم، فَأعنِّي على ذلك بكثرة السجود[1].
وذكر لأبيه جهاداً تقدّم. وقال لغير واحد: جزاك اللّهُ خيراً عن نبيِّه، اختصرنا ذكرهم تخفيفاً، لقوم جاهدوا ونصَحُوا وذلك بلا/ شكّ ولا مدافعة ولا اختلاف 14
ولا منازعةٍ، إحْسَانٌ منهم إلى أنفسهم لا إلى رسول الله ﷺ[2]. فقد منَّ ببعض ذلك من جهلٍ منهم فأنزل الله عزّ وجلّ: ﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أن أَسْلَمُوا، قُلْ لاَ تَمُنُّوا عَلَيَّ إسْلاَمَكُمْ بَلِ اللّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أنْ هَدَاكُمْ لِلإيمَانِ إنْ كُنْتُمْ صَادِقِين﴾[3] . فليس لأحدٍ من الناس على الله جلّ ذكره ولا على أحد من أوليائه مِنّةٌ في عملٍ ولا قولٍ ولا في غير ذلك ولو تقطَّع فيه إرباً إرباً، لأنّ ذلك، إن فَعَلَه، فلنفسه يُمَهِّدُ ولحظِّه يقصد، ولا سيّما من استُخْدِمَ بأجر يَصِيرُ إليه وعَمِلَ على ثواب أُعْطِيَهُ، فسبيلُه سبيلُ الأجير، إنْ نصح في عمله/ فقد أدّى ما عليه، وإن خان أو غشّ فيه فقد استحقّ 15
العقوبةَ وباءَ بالإثم. وكلٌّ من عمِل اليومَ لأئمّتنا صلوات الله عليهم فعلى ذلك يعمل.

النعمان يوصي القضاة بالإخلاص والأمانة...

3 ــ ولقد قلت لبعض من أوصيتُه من القضاة الخارجين إلى بعض الأعمال: إنَّ أحقَّ ما نظرتم فيه وعمِلتم له، الوفاءُ بالعهد وأداءُ الأمانة فيما قُلِّدْتُمُوه وامتثال ما عهد أمير المؤمنين عليه السلام إليكم فيه لما يجب للّه وله عليكم في ذلك، ولا أقلَّ من أن تنظروا فيما تدومُ لكم به النعمةُ وأن تقتدوا في ذلك بمن تشاهدونه من عوامّ الناس من ضَرّاب وصائغ وخيّاط فصاروا أمثالهم من الصُّنَّاع: فقد تَرَوْنَ أنّ أحدَهُمْ يُسَلَّمُ إليه العملُ/ يساوي المالَ العظيمَ يعمَلُه 16
بالأجر التافه اليسير ولا يُشهدُ به عليه ولا يُتَوَثَّقُ فيه مِنْه، وقد يكون فقيراً أو غيره،

... مثل الصائغ الفقير يفي بالمال العظيم

ولا أَمينَ ولا ناظرَ في علم ولا دين، فيفي بأمانته ويصرِف ما رُفِع إليه إلى مَنِ اسْتعمَلَه فيه ويقبِضُ تافهاً من الأجر عليه، ولا يدعوه إلى ذلك إلاّ أنّه يعلم أنّه إن احتَبَسَ ما دُفع إليه وأنكرَه، تَنَاذره الناسُ فلم يستعمِلُوه فيرى أنَّ مَا يأخذُه من الأجر شيئاً بعد شيء أجرى عليه وأنفعُ له.

(1) الحديث: ورد في صحيح مسلم (كتاب الصلاة، فضل السجود) مع اختلاف في أوّل متنه.
(2) صورة التصلية هذه مصطلح عليها في المطابع. والنعمان في الواقع لا يذكر التسليم، فيكتفي بعبارة: صلّى الله عليه.
(3) الحجرات، 17.

وأنتم تصيبون من فضل وليّ الله ما إن استدمتُمُوه بحفظ ما استحفظَكُم، دام
17 لكم مع حسن/ الأحدوثة فيكم ورجاء الزيادة لكم وما ترجون من ثواب ربّكم.
فمن سمِع من أولياء الله مثلَ ما قدّمتُ ذكرَه فَلْيُنَزِّله على ما نَزَّلتُه ولا يذهَبْ به إلى حيثُ ذَهب مَن نطقَ الكتابُ بذَمِّهِ وبيّن اللّهُ عليه فسادَ ما توهَّمَهُ وذهب إليه، والله يهدي من تمسّك بحبل أوليائه إلى طاعته وطاعتهم، والعمل بما يرضيه ويرضيهم قولاً وعملاً ونيّة وموافقة للصّواب إن شاء الله تعالى.

[ذكر كلام في موقف][1]:

كلام الأئمّة فيه ظاهر وباطنٌ

4 ــ ولمّا استقضاني المنصور بالله (ص) [صحبته] يوماً وقد خرج إلى بستان لكنية[2] ووقف به. فمثلت بين يديه فتحدّث بحديث طويلٍ في فنون كثيرة
18 ثم نظر إلى بعض/ رجاله فقال: كيف الحديث الذي كنتَ حدّثتني عن فلان؟ فذكر حديثاً فيه كذب شنيع ثم نظر إليّ فقال: وهذا الرجل معروف بالكذب الشنيع ولقد بلغ القائمَ بأمر الله عليه السلام أمرُه، فعجب ممّا يَتَهَيّأ له من ذلك وينطاع.

ثم قال لي: شهِدَ هذا المعروفُ بالكذب عند فلان ـ يعني بعضَ القضاة ـ بشهادة في اعتراف بغل. فأرسل ذلك القاضي إلى هذا ـ يعني الرجلَ الذي حُدّثَ عنه بالكذب ـ يكشفه عن حاله ويخبره فيما يشهد فيه فأرسل إليه: هُوَ عندنا عَدْلٌ
19 في بغل. وتبسّمَ المعزّ لدين الله عليه السلام/. ثم قال: فأجاز القاضي شهادَتَهُ تلك. أفرأيت أعجَبَ من هذا؟

فلمّا سمعت ذلك منه عليه السلام، ذكرتُ قول من قال في قصص الله عزّ وجلّ في كتابه: أمر الأمم التي بعث إليه رسلَه فعَصَتِ الرسلَ فأهلكها اللّهُ بالعذاب، وأنّ ذلك، وإن كان إخباراً عن أمرهم وهُلكهم وكيف جرتِ الحال لهم، فإنّه وعيد من الله عزّ وجلّ لمن فعل مثلَ فعلهم وتحذيرٌ من ذلك العذاب أن يَنْزِلَ بهم. فعلمت أنّه رَمَزَ صلوات الله عليه بما أجراه من ذلك إلى أن لاَ يُقْصَدَ في
20 السؤال عن البيّنات مثلُ ذلك الرجل، وإن كان له/ موضع من القرب والخدمة. فإنّ للكشف عن البيّنات من هو أولى بذلك منه. ولم أُنْزِل حديثَه بذلك منزلةَ

(1) هذا العنوان من س ورقة 12.
(2) لا نعرف هذا الموضع.

الخبر والمذاكرة بغير معنى ولا فائدة إذا كان التنزّه له على ذلك أولى.

فكذلك ينبغي لمن سمع قولاً من أولياء الله عليهم السلام أن يتدبَّره حق تدبيره[1] ولا يعرض عنه فيمرّ صفحاً، فإنّ في كلّ لفظة لهم حكمةً، وتحت كلّ كلمة فائدة لمن هداه الله لعلم ذلك وأبان الله وجهه ووفّقه لعلمه ويسّر له نفعَه. والله يهدي من يشاء بفضله.

5 ــ (قال) وسايرت المعزّ لدين الله صلوات الله عليه يوماً فذكر رجلاً
فقلت/ : إنّه كان معنا في أيّام الفتنة[2] بالمهديّة. 21

قال: وكيف كان ذلك؟

الأولياء الصادقون يدخلون الجنة مع الأئمة

قلت: لمّا قَرُبَ الدّجّالُ اللعينُ مَخْلَدٌ منّا، نزع إلينا من البادية بنفسه وأهله وبولده وبما قدر عليه من ماله، وخلّف شيئاً كثيراً، فانتُهبَ فعوّضه الله من ذلك بأن كان قد نَقَلَ إلينا طعاماً[3]، فلمّا عفِنَ الطعامُ باع منه بمال عظيم بعدما احتبس قُوته وقوتَ عياله، فأخلفَ اللّهُ عليه ما ذهب له أضعافاً مضاعَفَةً.

فقال لي عليه السلام: يا نعمان، والله للّذي أعدّه الله له من ثوابه في كريم
مآبه لأعظَمُ من ذلك، والله ما صبَر معنا يومئذ مؤمنٌ عرَفَ حقَّنا وآثر الكونَ معنا/ 22
على البأساء والضرّاء، على الكوَن مع عَدُوّنَا على الخفض والرخاء، إلاّ وهو معنا غداً في الجنّة يُدخل مُدخلنا ويستظلّ بظلّنا، واللهِ لو كان عليه من الذنوب بعدد الرملِ لغفر الله له وأدخله الجنّة بشفاعتنا وكونه معنـا.

فما رضيَ أن أخبرني بذلك عليه السلام حتى حلف عليه بالله مراراً، يؤكّده عندي. فنظرت فيما قاله من ذلك عليه السلام وأكّـده، فوجدت كتاب الله يؤيّده، وخبرَ الرسول (ص) يشدّه، وقول جعفر بن محمد الصادق (ص) يعضُده: فأمّا كتاب الله، فقوله جلّ وعزّ: ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ﴾[4]، وقولُه حكايةً عن

(1) ننتظر «تدبّره».

(2) يعني ثورة أبي يزيد، أي بين سنة 333 و336. وقد تدل عبارة «معنا» على أن النعمان لم يكن بطرابلس أيام الفتنة.

(3) الطعام هو القمح أو ما شابهه.

(4) المائدة، 51.

23 خليله إبراهيم/ عليه السلام: ﴿فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي﴾[1]. وقول رسول الله(صلع): سلمانُ منَّا أهلَ البيت[2]. وسلمان فارسيّ النسب إلاّ أنه كان يتولّى أهلَ بيت رسول الله ﷺ فنسبه إليهم وأدخله في جملتهم، وقال (ص) لبعض مَن خاطبَه: أنت مع من أحببتَ[3]. وقال جعفر بن محمد صلوات الله عليه لبعض شيعته: أنتم منّا أهلَ البيت.

فمن تولّى أولياء الله ونزع إليهم وكان في الدنيا معهم سيّما في حال الضيق والشدّة والبأساء والضرّاء والمحنة، فهو معهم في الجنّة برحمة الله، وفي عدله. وقد قال الله تعالى جلّ ذكره: ﴿وَلاَ تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ﴾[4].

24 فإذا/ كان من ركن إلى أعدائه أدخله النارَ، فمِن عدله أن يُدخلَ الجنّةَ مَن عدلَ عنهم وركَن إلى أوليائِه. كما روينا عن جعفر بن محمد صلوات الله عليه أنّه قال: من حفِظ مال يتيم عليه وثمّرَهُ له، أدخله الله الجنّة.

فقال له بعض من سمع ذلك منه: يا ابن رسول الله (صلع) من أينَ قلت هذا؟ أشيءٌ بلغَك عن رسول الله (ص)؟

مثال من القياس بالمقابلة

قال: أوَلَيْسَ مِن عدل الله أنّه لمّا تواعد مَنْ أكلَ أموالَ اليتامى بالنّار، أن يُدخل من حَفِظَها وثمّرها الجنّة؟

فهذا كلُّه يؤيّد ما قاله المعزّ لدين الله (ص) ويُؤكِّدُهُ. وكُلُّ قولِ أولياء الله،
25 إذا تدبّره من وُفّقَ لفهمه، أصابه مؤكَّداً بقول الله جلّ ذكره/ وقولِ رسول الله (ص).

---

(1) إبراهيم، 36.
(2) سلمان الفارسي: صحابي جليل، أسلم بالمدينة بعد أن كان مزدكياً، ولازم الرسول (ص) حتى قال فيه هذه الشهادة: سلمان منا أهل البيت. وقال فيه علي: علم العلم الأول والعلم الآخر، وهو بحر لا ينزف. (أسد الغابة، ترجمة عدد 2149)، وقد حظي بإجلال خاص عند الشيعة، ونسجت حوله الأساطير. توفي بالمدائن سنة 36 هـ.
(3) البخاري: فضائل الصحابة، 6 أدب 95 ـ 96.
(4) هود، 113.

جواب عن سؤال في مسايرة:

6 ــ قال القاضي: ولما استقضاني المنصور بالله (صلع) بالمنصوريّة[1] وأقمت بها كنت إذا وقفت للسلام عليه، قبّلتُ الأرضَ بين يديه تعظيماً له وإجلالاً لمكانه. فقال لي مراراً كثيرة: لا تفعَلْ مثلَ هذا يا نعمان! ـ وأنا كلّ ذلك أفعله وأرى أنّ نهيَه ذلك ليس بنهي كراهيةٍ إذ كان المعزّ صلوات الله عليه يومئذ يفعلُه ومَن دُونَه من الخاصّة وسائرِ الناس خلا من يجهل حقَّه من الرعاع الذين لا يعقِلون. فكرهت الدخول في جملتهم والكونَ في ذلك معهم إلى أن خرج صلوات الله عليه يوماً لبعض/ ما كان يخرج إليه، وخرج المعزّ (ص) معه 26
بحسب ما كان يخرج إليه. فقبّلتُ الأرض بين يدي المنصور بالله (ص) فقال لي بقولٍ مغلظ مُنكِرٍ: قد نهيتُك عن هذا مراراً ثم لا أراك تنتهي عنه! فجاءني من ذلك ما تحيّرت به واغتمَمْتُ له ولم أدرِ كيف الوجه فيه. فقصدت حينئذ إلى المعزّ عليه السلام وهو بين يدي الموكب وراء ظهره فذكرت له ما كان منه إليَّ، ورأى أثرَ الغمّ من ذلك عليّ، فتبسّم (ص) في وجهي، وقال: لا يغمَّك ما سمعتَ من أمير المؤمنين عليه السلام ولا يصرفْك ذلك عمّا كنتَ تفعله، ودُمْ عليه ولو نهاك/ عن 27
ذلك ألفَ مرّة. فوالله لَلّذي يجب له من الحقّ وينبغي له من التعظيم أكثر من ذلك.

فأزال قولُه (ص) عنّي ما كنت أجده، وتدبّرت ما ذكره وأمر به من ترك امتثال أمر الإمام صلوات الله عليه وما أمر به من ارتكاب نهيه، فوجدت كثيراً من أمر الله عزّ وجلّ ونهيه في كتابه يُخَرَّج على غير الإلزام ويُجْرَى على وجوه من التأديب والإرشاد والاختبار والامتحان، لو ذكرتُها لخرجتُ من ذلك عن حدّ هذا الكتاب. ومن نظر في شيء من علم القرآن فقد علِمَ ذلك.

وذكرت اعتذار عبد الله بن عمرو بن العاص للحسين بن علي صلوات الله عليه/ لمّا أنكر عليه خروجه على عليّ (صلع) بصفّين وأنّه قال له: يا ابنَ رسول 28
الله (ص)، والله ما دعاني إلى ذلك إلاّ أنّ عَمْراً أبي كان نقَم عليَّ شيئاً فشكاني فيه إلى رسول الله (ص) فقال لي رسول الله (ص): يا عبدَ الله أطع أباك[2]! فلمّا خرج

(1) سمي النعمان قاضياً على المنصورية سنة 340 (انظر المقفى 2/173).
(2) ورد هذا الحديث في ترجمة عبد الله بن عمرو في أسد الغابة، 3090 وقد أورد النعمان هذه المجادلة في كتابه «شرح الأخبار في فضائل الأئمّة الأطهار» 1/145.

مع معاوية دعاني فذكرت قول رسول الله (صلع) فأجبته وأطعته كما أمرني.

فقال له الحسين (صلع): يا عبد الله، أفما سمعتَ قول الله عزّ وجلّ يقول بعد أن أمر ببِرّ الوالدَيْنِ: ﴿وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا﴾[1]، وقول رسول الله (ص): لا طاعةَ لمخلوق في معصيةِ الخالق. وقوله ﷺ: إنّما الطاعة في المعروف[2].

29 فتغيّر وجه عبد الله/ وقال: كأنّي والله يا ابنَ رسول الله ما سمعت هذا، ولقد سمعته.

فرأيت أنا كذلك وعلمت وجه ما قال المعزّ لدين الله (صلوات الله عليه) أنّ الطاعة لمّا أن كانت لا تكون إلاّ في المعروف فإنّ النهي عن المعروف لا يكون نهياً لازماً، ورأيت أنّ أمر المنصور (ص) لي مع بيان المعزّ بترك تقبيل الأرض أمْرُ اختبار وامتحان كأمر الله عزّ وجلّ إبراهيم ﷺ بذبح إسماعيل ابنه ليمتحن صبره ويختبر أمره[3]. ولا جرم أنّي عدت إلى ذلك كما أمرني المعزّ (صلع) فما أنكره بعد ذلك عليّ أيّام حياته صلوات الله عليه ورحمته وبركاته. وقوله كلّ ذلك
30 لي بالرضى/ عنّي يتزايد كلَّ وقت ويتأكّد بحمد الله عليَّ ثناؤه بما هو أهله، نسأل الله إيزاع الشكر وتمامَ الأمر.

السجود للأئمة طاعة ومعروف، والنهي عن المعروف ليس نهياً لازماً

ولمّا جرى ذكر ما ذكرناه من تقبيل الأرض بين يدَيْ أولياء الله[4] كان ينبغي أن نذكر أَنَفَةَ الجهّال من ذلك وتكفيرَهم مَن فَعَله وفُعِلَ له، وذهابَهم إلى أنّ ذلك كفرٌ بالله وسجودٌ لمن هو دونه، تعالى الله ونزّه أولياءَه عمّا يقول الظالمون الجاهلون. ومن البلاء والمحنة بالجهّال أن تتكلّف إقامةَ الحجّة على قوم لا يعقِلون. فهَبْهُم رأوْا ذلك سجوداً، أفما سمعوا قولَ الله عزّ وجلّ يحكي في كتابه

تقبيل الأرض ليس سجوداً على الحقيقة...

---

(1) العنكبوت، 8.

(2) باب السمع والطاعة من ك. الأحكام في صحيح البخاري ج 9، ص 78. أما حديث: لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، فلم يورده البخاري بلفظه بل بمعناه، وأورده السيوطي بلفظه في الجامع الصغير 2/203. وينسب بهذا اللفظ إلى الإمام علي، انظر: المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة: قصار الحكم، رقم 165.

(3) الصافات، 102 ـ 107.

(4) قد طرق النعمان هذه الأفكار وأورد هـذا الاحتجاج في ك. الهمة ص 105.

عن يعقوب وولده ـ وهم أنبياء ـ أنّهم سجدوا ليوسف عليه السلام/ إذ[1] دخلوا 31
عليه وهو نبيّ[2] وأنَّ ذلك كان بتأويل رُؤْيَاهُ إذ رأى الشمس والقمر والنُّجومَ له ساجِدِينَ؟ فهل كفرَ هؤلاءِ الأنبياءُ عندَهُمْ بهذا السُّجود؟ على أن لا نقول نحن إنَّا نسجُدُ لأحد من دون الله، تعالى الله عن ذلك. ولكنّا نقبّلُ الأرضَ تعظيماً لأولياء الله. والسجودُ حقيقةً غيرُ ذلك. ولو سُئل هؤلاء الجهّالُ عن رجلٍ قبّل الأرضَ في صلاته في حال السجود ولم يضَع جبينَهُ عليها كما يفعَلُ الساجدون: هل يكون ذلك سجوداً، لم يَكُن مِن قولهم: إنّه سجود، فكيف من يفعل ذلك لا ينوي به السجود يزعمُون أنّه سَجَدَ؟ ولو سجد عندهم على الحقيقة رجلٌ وهو لا ينوي
السجود/ لم يكن ساجداً، كما أنّه لو أمسك عن الطعام يوماً إلى الليل وهو لا 32
ينوي الصّوم لم يكن صائماً.

...وتقبيل اليد كالركوع...

ومع هذا إنّهم يقبّلون أيدي الأئمّة صلوات الله عليهم، وهم يروُون عن بعض أسلافهم أنّ قُبلةَ اليد سجدة، ولا أقلّ من أن تكونَ، على قياس ما ذهبوا/ إليه، ركعةً، لأنّ الفاعل لها يخفِض رأسه كما يخفِض في الركوع، فهم على قياس قولهم يركَعون لهم من دون الله، تعالى [الله] عن ذلك ونزّه أولياءه عن أن يرضَوْا بذلك أو يُجيزُوه لإحدٍ من أصحابهم. والذي رَوَوهُ عن النبيّ ﷺ [مع] بعض من
جاءه من أصحابه من أرض الحبشة وقد رآهم/ يسجدون لملوكهم، فسجد له، فنهاه 33
عن ذلك وقال: لو أمرت لأحد أن يسجد لأحد لأمرت المرأةَ أن تسجد لزوجها[3]. فذلك ـ إن ثبت حديثهم ـ هو السجود من دون الله لأنّ فاعله إنّما اقتدى فيه بالحبشة وهم مجوس[4] لم تبلغهمُ الدعوةُ يومئذ، فنهى رسول الله ﷺ عن التأسّي بهم. وليس في حديثهم تقبيلُ الأرض، وإنّما فيه النهيُ عن السجود.

... والقرآن أقرّ سجود يعقوب ليوسف

وقد ذكرنا أنّ تقبيل الأرض ليس بسجود. وذلك إجماعٌ لا نعلم فيه اختلافاً أنّه لا يُجزي عن السجود سيّما إذا كان بغير نيّةٍ في السجود. ولسْنَا نقولُ إنَّ سجودَ

(1) في الأصل: إذا.

(2) «ورفع أبويه على العرش وخروا له سجدا وقال: ياأبت، هذا تأويل رؤياي من قبل» (يوسف، 100). وعبارة «وهو نبي» تقابل قوله: «وهم أنبياء».

(3) سنن أبي داود، كتاب النكاح، باب حق الزوج على المرأة. وبقية الحديث: «...لما جعل الله لهم عليهن من الحق».

(4) المعروف عن الحبشة أنهم كانوا نصارى زمن الهجرة الأولى.

34 يعقوب وولدِهِ وأهلِ/ بيته ليوسفَ سجودٌ من دون الله، تعالى الله عن ذلك ونزّه أولياءه عنه، ولكنّه سجودُ طاعةٍ وتعظيمٍ/ له وتسليمٍ لأمره، لما آثره الله وخصّه به من الفضل. وهذا من أعظم ما تزري به علينا الجهّال وهم بالزراية أحقُّ، وبالجهل أجدرُ، وقد بيّنّا جهلهم لو كانوا يهتدون.

كلام تأدّى عن مشاهدة:

قدرة المعزّ على استنباط الأحكام

7 ـــ (قال) خرج أمير المؤمنين المنصور بالله صلوات الله عليه لبعض ما كان يخرج إليه من اطّلاع الحال فانتهى إلى طنباس[1] وخرج المعزّ عليه السلام معه، وكنت فيمن خرج معهما. فانتهى إلى واد يجري فيه ماءُ المطر فيسقي
35 أراضي كثيرة/ لمنازل شتّى فإذا فيه سدّ عظيم. فلمّا انتهى إليه ووقف عليه، وقف إليه رجلان من وكلاء الضياع، فذكر أحدهما [أنّ] الآخر سدّ بذلك السدّ عن الضياع التي يتولاّها، ما كانت تشرب به من سيل المطر. وذكر الآخر أنّ ذلك من حقّه، وممّا يجب له أن يفعله. واحتجّ كلّ واحد منهما بحجج كثيرة وعلت أصواتُهما واعتكر الكلامُ بينهما. وكان تنازُعُهما والمنصورُ صلوات الله عليه يسمعُ كلَّ ذلك ولم يفصل بينهما، والمعزّ صلوات الله عليه قائم على فرسه ناحيةً والناس
36 بالبعد ركوب على دوابّهم، وقيامٌ ينظرون إلى ذلك ويسمع/ أكثرهم كلامَ الرجلين[2]. وكنت فيمن يسمع ذلك ولا أرى وجهاً لفصل ما بينهما، وكلّما قلت في نفسي: قامت الحجّة لأحدهما، أدخل الآخر عليه حجّةً.

فقال لي بعض من كان في الموكب ممّن قرب منّي: أما تسمع ما دار بين هذين؟

قلت: نعم.

قال: ما ترى فيه؟

---

(1) طنباس: وردت بلفظ طنبياس في ورقات ح.ح. عبد الوهّاب ج 3 ص 203، وبلفظ طساس في القطعة التي نشرها المنجي الكعبي من تاريخ الرقيق(ص 116 وص 126) وقد افترض الناشر أنها هي قرية الأصنام بين القيروان وجلولاء. ووردت «ساقية طنباس» في عيون الأخبار، 282.

(2) في عيون الأخبار، 529: الوكيلين.

فقلت: والله ما وقفت من ذلك على حقيقة أمر أقطع القول به ولقد اشتبه عليّ أمرهما وحسبك ما ترى من توقّف أمير المؤمنين (ص) عن[1] الفصل بينهما، ولكنّي أقول: إنَّهُمَا لو وقفا بين يدي الأمير ـ أعني المعزّ لدين الله صلوات الله عليه ـ لفصل بينهما.

قال: ومن أين قلتَ/ ذلك؟ 37

قلتُ: لعلمي به. والله ما ضاق عليّ أمر رأيته واشتَبَه[2] عندي وجهُ الحقّ فيه فرفعته إليه إلاّ أجابَني عنه قبل استيفائِه آخرَه، أو عندما يستوفيه، بجوابٍ ما خطرَ ببالي بعد الرويّة له والفكر فيه الأيّام الكثيرة والليالي العديدة، [و] بما لا أشكّ فيه أنّه الحقّ الذي لا وجه له غيره. وذكرتُ له وجوهاً من ذلك، سنذكرها
24 وغيرهـا مما يجري مجراها في كتابي هذا إن شاء الله.

فإنّي لعلى ذلك أحدّثُه وهو يتعجَّب ممّا يهيّئُه الله له ويَهديه إليه من الصواب في ذلك، إذ نظرنا إلى الرجلين قد انصرفا من بين يديٍ المنصور بالله عليه السلام/ إليه فوقفا بين يديه، وكان أقرب إلينا من المنصور (صلع). فما هو إلاّ أن 38
وقفا بين يديه حتّى انصرفا إلينا وما سمعنا لهما كلمةً. وجاء أحدهُما حتّى وقف بيني وبين الرجل الذي كنت أخاطبه ورأيت وجهه يتهلّل، فقلت له: ما كان من أمركما؟

قال: انقطع كلامنا وفصل الأمير بيننا في كلمة واحدة بعدما سمعت مَا كان بين يديْ مولانا عليه السلام.

فقلت: وكيف ذلك؟ ونظرت إلى الرجل الذي كنت قلت له من ذلك ما قلت، وقلت له: ألم أقل لك؟

قال له الرجل: وكيف كان ذلك؟

قال: إنّه لمّا طال مقامنا وكثر كلامنا/ بين يدَي مولانا قال لنا: اذهبا إلى 39
مولاكما ينظرْ فيما بينكما!

---

(1) في الأصل: من.
(2) في الأصل: ولا اشتبه.

فانصرفنا إليه فلمّا مثلنا بين يديه وأردنا أن نتكلّم قال: اسكتا! أكفيكُما ونفسي. ثم نظر إلى صاحبي فقال: أليس هذا الوادي وما يجري فيه من الماء وما يسقي من الأراضي لنا؟

قال: نعم.

قال: وإنّما تنازعتُما في هذا السقي ليطلبَ كلّ واحد منكما به توفيرَ ما يجري لنا على يديه؟

قال: نعم.

قال: فأخبرني: لوكنتَ وكيلاً على الموضعين، أكنتَ تسقي موضعاً وتدعُ موضعاً بلا شرب؟ فسكت.

فقال: قُلْ [لا][1] إن كنت تؤثرُ قولَ الحقّ!

قال: يا مولاي ما كنت أفعل ذلك.

40 قال: صدقتَ! فما لم تكن تفعلُه لنفسك فلا تُلزِمْه لغيرك/. اذهب فأزِلِ السَّدَّ واسقِ ما عندك، وهذا ما عِنْدَهُ، بحسب ما يُعطيك الماء ويُعطيه. فحكم لي بما كنت طلبتُ، فانصرفت.

فنظر إليَّ الرجل الذي كنت خاطبتُه وقال لي: كأنّما والله كُشف لك عن غيب هذا الأمرِ.

قلت: ما ذاك إلاّ بما جرّبتُه وعرفتُه بما قدّمت عندك ذكرَ بعضه.

المعزّ أفقه من أبيه المنصور مثلما كان سليمان أفقه من داود...

ثمّ نظرتُ في هذه القضية العجيبةِ التي ألهَمَهُ اللهُ عزّ وجلّ إيّاها وستَرها عن الإمام فذكرت قول الله عزّ وجلّ: ﴿وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الحَرْث إِذْ نَفَشَتْ فِيه غَنَمُ القَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ، فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلاًّ آتَيْنَا حُكْماً
41 وَعِلْماً﴾/ الآية[2]، وما روى لنا الرواة عن أئمّتنا صلواتُ الله عليهم من أنَّ رجلَيْنِ اخْتَصَمَا إلى داود النبيّ عليه السلام في غَنَم لأحدهما وقعت في زرع الآخر

(1) الزيادة من ع 531.
(2) الأنبياء، 77 ـ 78.

فأفسدتْه، فقال داود عليه السلام في ذلك قولاً ثم صرفهما إلى سليمانَ عليه السلام لينظرَ بينهما، فقال سليمان: إن كان صاحب الغنم تعمّد إرسَالَهَا في الزرع فهو ضامن لما أفسدَتْ. فإن لم يتعمّدْ ذلك وأفلتَتْ من غَيْرِ إرادة منهُ ولا قصدٍ لذلك، فلا شيء عليه، والعجماءُ جُبَارٌ. فالعجماء: البهائمُ، والجُبارُ: الهَدَرُ، يعني أنّ ما أصابت البهائمُ من ذات أنفسها فهو هدَر.

42 (قال): وهذا فإنّما يكون في النهار/، وعلى أصحاب الحوائط حياطةُ حوائطهم بالنهار. فأمّا إن أفلتَتْ في الليل فصاحبُها ضامنٌ لما أصابَتْ، تعمّد ذلك أو لم يتعمّدْ، لأنّ على أهل المواشي أن يحفظوا مواشيَهم ليلاً ويمنعُوها من الخروج عن منازلهم، وليس على أهل الحَوائِط أن يحفظوا حوائطهم ليلاً. ففهّمَ [الله] سليمانَ هذه القضيّة في حياة أبيه وحجبها عنه ليريَه فضلَه في حياته ويَسُرَّه بما أودعه من حكمته. وكذلك فهَّم المعزَّ لدين الله صلوات الله عليه هذه القضيّةَ في حياة المنصور (صلع) ليَسرَّهُ به وليبيّن أيضاً فضلَه وما ألهمه من الحكمة وَلِيُقِرَّ بِهِ عينَه/ . 43

وكما روى لنا الرواة أيضاً عن أئمّتنا صلوات الله عليهم «أنّ أعرابيًّا أتى إلى مسجد رسول الله (صلع) في أيّام عمر[1] فقال له: إنّي رجل مُحْرِم مررتُ على ... ومثلما كان
بَيْض نَعام فجنَيتُ وشَوَيْتُ وأكلتُ. فقال: ما عِنْدِي في هذا علمٌ، ولكن اجلس الحسن أنقه من
فالسّاعةَ يجيءُ مَن عِنْدَه علمُ ذلك. فجلس حتّى أقبل أمير المؤمنين عليّ بن أبي أبيه علي
طالب صلوات الله عليه. فقال عمر للأعرابي: سل هذا! وكان الحسن (ص) يومئذ غلاماً مع عليّ، فأتى الأعرابيّ إلى عليّ (ص) فقال: إنّي رجل مُحرِم مررتُ على بَيض نعام فجنيت وشويت وأكلت.

فقال له عليّ: سل هذا! وأومأ إلى الحسن (ص).

/ فقال الأعرابيّ: يا وَيْلَتَاهُ! ما لي ولكُم يا أصحابَ محمّد؟ أعجزتم عن الجواب؟ كلّما سألت واحداً منكم أحالني على آخر!

فقال له عبد الله بن مسعود: سله يا أعرابيّ فإنّه من أهل بيت النّبوّة!

فسأله الأعرابيّ، فقال له الحسن (ص): يا أعرابيّ، ألك إبل؟

قال: نعم.

---

(1) لا ترضية على سيدنا عمر (رضه) عند النعمان.

قال: فخذ بعِدّة البيْض نوقا فاضربهنَّ بالفحل، فما حَمَلَ منهُنَّ وفصَل من أولادهنَّ، فاجعله هَدْياً.

عمر يغار من الحسن

فقال الأعرابيّ: فرّجتَ عنّي فرّج الله عنك! وقام. فاستَقْبَلَه عمر، فقال: ما الذي قال لك؟ فأخبره، فقال: ارجع إليه، فقل له: أما علِمْتَ أن النُّوقَ يُزْلِقْنَ[1]؟

45 فقال الحسن (ص): قل للّذي قال لك هذا/ : أوَ ما علمت أن البَيضَ يَمْرَقْنَ[2]؟

فقام إليه أبوه (ص) فقبّل بين عينَيْه وقال: ﴿ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[3].

قال عبد الله بن مسعود: إنّ الذي فهّم هذا الغلامَ هذه القضيّةَ، هو الذي فهّمَ سليمان بن داود عليهما السلام تلك القضيّة، والذي أنطق [هذا][4] الغلام بالحكمة هو الذي أنطق يحيى بن زكريا بالحكمة. واللّهِ لو رُدَّ هذا الأمرُ في نصابه لأكلوها خضراء خضرةً عن أيْمَانهم وعن شمائِلهم! فقال عمر: يا ابن مسعود، تؤلّب علينا الناس؟ فقال له الحسن عليه السلام: كنتَ تفتيه ولا ترشده إلينا[4].

46 فهذه القضيّة/ أيضاً كانت من الحسن (ص) بحضرة عليّ (ص) إلهَاماً من الله له ليُقِرَّ بِهِ في حياته عينَه كما ذكرنا في قضيّة المعزّ (صلع).

تفسير حكم الحسن في قضية البيض

ودلّ قول الأعرابيّ أنّه شوى البيض وأكلهنّ على أنّه لم يكن فيهنّ فِراخ فأمره الحسن (صلع) لذلك بأن يرسل الفحلَ في عدّة نوق كعدّة ماأصاب من البَيْض فما حمل من ذلك الضرب ونتج، أهداه. وإن لم يحمِل أو حمَل بعضُها لم يكن عليه غيرُ هدي ما نَتَجَ لأنَّ البَيْضَ كذلك، وقد يفسد كما ذكر الحسن (عم)، ولو كان فيهن فراخ لم تنشأ فيها الأرواحُ كان عليه أن يضربَ النّوقَ بالفحل حتى

(1) يزلق: يجهضن.
(2) مرقت البيضة (وزن فرح): فسدت. وقد وردت القصّة في كتاب الغدير 6/103، والفتوى فيه منسوبة إلى عليّ (رضه).
(3) آل عمران، 34.
(4) الزيادة من س 28 ومن ع 532.

يتبيّن حملَها/ فما نتج منها كان هدْياً. ولو كانت قد نشأتْ فيها الأرواحُ كان عليه 47
أن يضرِب النّوقَ بالفحلِ حتى تحمل وتتحرّكَ أجنَّتُها في بطونها فما نتج بعد ذلك منها أهداه، وما مات في بطونها لم يكن عليه بدَلُه لأنّ الفراخ كذلك قد تموتُ في البَيْض[1].

الأئمة ينكرون نكاح المتعة

وقول المعزّ عليه السلام للرجل: ما لم تكن تفعله لنفسك فلا تُلزِمه لغيرك، من قول آبائه (صلع): أحِبْ للناس ما تحبُّ لنفسك وحسبُك أدباً لنفسك ما كرِهتَه من غيرك. ومن قول بعضهم لبعض من سأله عن نكاح المُتعة فقال: هل ترضى لنفسك أن تُنْكَحَ ذاتُ مَحْرَمٍ منك نكاحَ متعة؟/ 48

قال: لا والله!

قال: فكفاك بهذا أن لا ترضَى لغيرك إلاّ ما ترضاه لنفسك[2].

وكلام أولياء الله كالبنيان يشدّ بعضه بعضاً ويشهد بعضه لبعض، لأنّهم بنور الله يستبصرون، ومنهُ يقتبسون، وبحكمته ينطقون، وعن أسلافهم يأخذون، فهم حجج الله عزّ وجلّ في الأرض كما قال الله تعالى: ﴿ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِن بَعْضٍ﴾[3].

---

(1) لم يذكر القاضي النعمان هذا الحكم في باب الديات من كتابه «دعائم الإسلام»، وإنما ذكر قضية حكم فيها علي حكماً مماثلاً أقرّه الرسول (ص) بعد أن عجز عنه الشيخان (دعائم ج 2 ص 424 عدد 1477).

(2) الإسماعيليّة يُنكرونَ نكاحَ المتعة. انظر قول النعمان في كتاب الاقتصار (دمشق 1957 ص 109): «ولا يحلّ نكاحُ المتعة». فهو إنكار صريح. وقد أنكرهُ عليّ (رضه) إنكارَ شديداً. انظر: دعائم الإسلام 2/229.

(3) آل عمران، 34. وبعد هذا في س 29: آخر الجزء الأوّل من أجزاء المؤلّف.

الجـزء الثانـي

بسم اللّٰه الرحمن الرحيم
وصلّى الله على سيّدنا محمد وآله وسلّم

حديث في مسايرة:

8 ـــ قال القاضي النعمان بن محمد: ولـمّا استقضاني المنصور بالله صلوات
الله عليه على/ المنصوريّة أمرني بالجلوس للنّظر بين الناس في سقيفه قصره وقال 49
لي: لو اتّسع لي أن أجلسَك بين يديّ في مجلس داخل قصري لكان ذلك أعجب
لي. فإذا كان ذلك لا يمكن فاجلس في سقيفة قصري فإنّه أحقّ موضع أقيمت فيه
الحقوق ونَفَذَتْ فيه الأحكام.

فجلست حيث أمرني فيه بالجلوس، فضاقت الحال لذلك بأكثر الخصوم المعزّ أرفق بالناس
سيّما بالنساء والضعفاء ومن يتهيّب الدخولَ من باب قصر أمير المؤمنين (ص). من المنصور
فتبيّنتُ ذلك ورُفع إليّ أيضاً، فتهيَّبْتُ مفاوضةَ أمير المؤمنين (صلع) فيما رآه وأمر
به، إلى أن خرج المعزّ/ لدين الله (صلع) يوماً فيما يخرج إليه فسايرته فقال لي: يا 50
نعمان، كيف الحال في جُلوسك في السقيفة؟ فتهيّبت أن أقول له في ذلك بخلاف
ما قاله أمير المؤمنين، فذكرتُ قوله وأمسَكْتُ.

فقال: كيف بالمرأة والضعيف ومن تقتحمه العيونُ ومزاحمةَ رجالنا
وعبيدنا؟ وكيف بك إن وجب عندك حدّ أو أدب على أحدٍ؟ فأين يتهيّأ لك أن
تقيمه هنالك؟ لا والله ما هو بموضع يصلح لذلك! ولأنْ تكون بارزاً للناس ظاهراً

يصل إليك الضعيفُ ويبلغ حاجتَه لديك، وتقف المرأةُ وتبلغ إليك في استتارٍ
51 ويمكنك إقامةُ ما يجب إقامتُه من الحدود والآداب، أهنأ وأجمل/ وأفضل.

فقلت: الرأي ما رآه الأمير وفّقه الله وسدّده.

وكان ذلك ممّا رأيت أنّ الله عزّ وجلّ فهّمه إيّاه من وجه الصّواب، وهداه إليه من فصْل الخطاب، وممّا قدّمت ذكره في الباب الذي قبل هذا الباب[1].

ثمّ لمّا انصرف خرج إليّ توقيع من المنصور بالله صلوات الله عليه مع مال أمر به لابتناء موضع فسيح أجلِسُ فيه حيث يصل فيه إليّ الناس ويمكنُهم ما يريدونه من أمورهم على ما ينبغي عِنْدي. فعلمتُ أنّ ذلك لأمرٍ أجراه المعزّ لدين الله صلوات الله عليه عنده، على أنّه قال ما قال له قبل ذلك وفعل ما فعله عن علم
52 وحكمة/ .

وكذلك كان ما أراه الله المعزَّ لدين الله صلوات الله عليه من ذلك الرأي، فيه للناس رَأفٌ ورحمة، وليس في هذا تغاير ولا اختلافٌ، بل هو كلُّه علمٌ وحكمةٌ وائتلافٌ، لأنّ الذي رآه المنصور صلوات الله عليه في ذلك هو إعزازُ الحقّ وتأييدُه وإظهَارُ هيبتِه في القلوب وفي رأي العَيْن. والذي رآه المعزّ صلوات الله عليه هو أرفق بالناسِ وأجمع للوجهَيْن، فهما في ذلك كما قال الله عزّ وجلّ في داود وسليمان: ﴿وَكُلاًّ آتَيْنَا حُكْماً وَعِلْماً﴾[2]. وكان هذا ممّا ذكَرْنَا من إدخال السرور
53 على/ أولياء الله بأن يريَهُم في أوصيائهم ووُلاَةِ عُهُودهم في حياتهم ما تقرُّ به أعيُنُهم من إيدَاعِهم من العلم فوقَ ما أوْدَعوهم وتعليمهم من الحكمة أكثرَ ممّا علّموهم، وليس ذلك بنقصٍ لهم بل هو رِفعة وفضلٌ ونِعمةٌ منه عليهم، إذ كان شرف المولود هو شرفُ الوالد، وإذ سرور الوالد أن يكون ولده أشرَف منه.

الآباء يشرفون بشرف أبنائهم

وسمعت المعزّ لدين الله صلوات الله عليه يذكر مثل هذا في مجلس ذُكر فيه الأئمّةُ صلوات الله عليهم، فقال في ذلك: وفضّل الله محمّداً نبيّه ﷺ بإمامتهم.
54 ثم بيّن ذلك لئلاّ يتأوّله من سمعه على غير/ معناه، فقال في الوقت: ولا أقول هذا إلاّ تفضيلاً لمحمد ﷺ إذ جعل اللّهُ عزّ وجلّ هذه الكرامة والفضيلة له بأن

(1) انظر فيما تقدم حكم المعز في قضية اقتسام ماء السد، ص 58.
(2) الأنبياء، 78.

جعلها في ذرّيته وخلّدها في عَقِبِهِ، فنالوا ذلك بكرامة الله عزّ وجلّ له، لاَ أنَّ فضلَه هو إنّما كان من قِبَلِهم بل هو سيّدهم وسيّدُ العالمِينَ وبه شرُفوا وبفضله استحقّوا ما استحقّوا، وذلك من نعمة الله وجميل صنعه إليه. فهذا يدلّ على ما ذكرته ويؤيّد ما قدّمته من إكرام الله الأئمّةَ بما يريهم من الفضل في الصفوة من ذرّيَاتهم في أيّام حياتهم لتشفّ[1] أنفسهم بصنعه لهم بعد وفاتهم.

ومن هذا/ الوجه، وممّا يدخل في هذا المعنى، ما حدّثني به بعض إخواننا 55
عن المنصور بالله صلوات الله عليه أنه قال: أردت أن أستعمل على بعض الثغور عاملاً فأجلتُ فكري في اختيـار من أراه يصلح لذلـك، فلم يقع اختياري إلاّ على رجل ـ سمّاه لي الرجل[2] ـ فلمّا لم أرَ اختياري كلما أجلتُه وفكري كلّما صرفتُه لا يقع إلاّ عليه[3] علمت أنّ ذلك من توفيق الله. فأردتُ امتحانَ ما عند الله عزّ وجلّ لمن رجوتُه لمقامي وآثرتُه بأمري. فكتبت اسمَ الرجل الذي خطر ببالي في ورقة وختمتُ عليها ووضعتُها بين يديّ ودعوت به ـ يعني المعزّ لدين الله صلوات الله

شاهد من المنصور على فراسة المعزّ

عليه ـ فسلّم ثم وقف، فقلت: يا بنيّ أردتُ إخراجَ عاملٍ إلى بلد/ كذا وكذا 56
ـ وذكرتُ البلد ـ فمن تراه يصلح لذلك؟

فقبّل الأرضَ وقال: يا مولاي، وأيُّ رأيٍ لي مع رأيك، والله يُمِدُّك بالتوفيق؟

فقلت: قل لي على ذلك. فامتنع من القول وجعل يعتذر ويستعفي.

فقلت له: لا بدّ من أن تقولَ في ذلك، فإنّي ذكرتُ رجلاً، واسمُه في هذه الرُّقعة فخُذْ أنتَ رقعةً فاكتُبْ مَن تراه.

(قال) فلمّا لم يجد من ذلك بدًّا تناول قلماً ورقعةً وكتب، ودفع إليّ الرقعة فإذا فيها[4] اسم الرجل الذي وقع اختياري عليه، فحمِدت الله على ما أنعمَ به عليّ فيه، ورميتُ إليه بالرقعة التي ختمتُ عليها، وفيها ذلك الاسـمُ وقلت له: فُكَّهَا

(1) في الأصل: لتشق. وفي اللسان: الشَفُّ: المَهْنَأ.
(2) أي المتحدّث إلى النعمان.
(3) في الكلام نقص، والزيادة من س 34 وع 535.
(4) في الأصل: فيه.

57 وانظُرْ ما فيها! ففعل. فلمّا/ رأى ما وافق من ذلك من رأيــي حمِد الله تعالى واستبشر وتهلّل وجهُه لذلك.

وهذا ممّا قدّمتُ ذكرَه وكرّرتُه في هذا الباب وفي الباب الذي قبله من إدخال الله السرورَ على أوليائِه بما يُريهم فيمن أقامُوه مقامَهم وفوّضوا إليهم أمرَهم. ثمّ أخبرني المعزّ عليه السلام بهذا الخبر بعد ذلك.

حديث في مسايرة:

اغترّ كثير مــن أنصار الأئمّة بأبي يزيد...

9 ــ (قال) وسايرتُ المعزّ لدين الله (صلع) يوماً في حياة المنصور صلوات الله عليه، فذكرَ أيّامَ الفتنة وبعضَ من كان اتّبع مخلد اللعين فيها وتولاّه ونَزع إليه، فقال: أولئك والله حزبُ الشيطان، وَحْشُو الجحيم وحطَبُ النّيران، من كان منهم
58 قد/ فارقنا، وتولّى عدوّنا، وأعان علينا، ومات على ذلك غيرَ تائب منه، ولا راجع عنه.

قلت: يا مولاي، فمن كان قد ندِم على ذلك وتاب منه وأناب إليكم وتلافى ما فات منه لديكم؟

قال: يا نعمان، نحن أبوابُ الله والوسائلُ إليه، فمن تقرّب بنا قُبل، ومن توسّل بنا وصل، ومن تشفَّعَنَا له شفَعْنا فيه، ومن استَغفَرْنَا له غُفِرَ ذنبُه. ولكن والله لا يستوي من أذنــب ومن لا ذَنْبَ له، ولذلك كانت الدرجاتُ في الآخرة، وإنّ الله ليعاقب من يشاء من خلقه في الدنيا بذنبه، فذلك أخفُّ عِقابه.

59 قلت: يا مولاي، والله لقد رأيتُ أكثر من فُتِنَ/ في تلك الأيّام المفتنة ممّن

فعَجّـلَ الله لهــمُ العقاب

كانت له معكم سابقة في جهاد أو صحبة أو ولاية قلّما يسلَم من مصيبة في الدنيا أو عقوبة: إمّا أن قُتل على أيدي أوليائكم أو على يد من تولاّه، أو أصابتْه مصيبةٌ في نفسه أو في أهله أو في ماله.

قال: يا نعمان، الشقيُّ والله من مات على الإصرار على ما صار من ذلك إليه، فأمّا من مات وقد تلافى نفسَه منهم بأمرنا، فهم على درجات: إن أقبلَ المقبلُ إلينا منهم بمثل ما أدبر عنّا فقد غسل ذنوبه ونظّف نفسَهُ، وإن زاد في إقباله علينا على إدباره عنّا زاد ثواباً وأجراً، وإن نقَص من ذلك نقَص من حظّه. فأمّا ما
60 أصيبوا/ فيه في عاجل الدنيا فهو من أخفّ العقوبة، ولا بدّ والله من التمحيص:

أرأيتَ الذهبَ إذا خالطه الغشُّ، هل له إلاّ أن يصفَّى بالنّار حتى يُحرَقَ ما خالطه ويَصْفُوَ؟ وكذلك مثَل المؤمنين.

حكمٌ على حزب أبي يزيد

فما فتَق سمعي كلام قبله مثلُه أجلَّ قدراً وأكثرُ فائدة. وتدبّرتُه، فرأيتُه كلَّه
مشتقًّا من كتاب الله جلّ ذكره ومن قول الرسول (صلع): فأمّا إيجابُه النار لمن
مات على ولاية اللعين الدجّال مخلد بن كيداد، عادلاً عن ولاية أولياء الله إلى
ولاية أعدائه، نازعاً عن حزب الله، راكناً إلى حزب الشيطان، فهو من قول الله
عزّ وجلّ: ﴿وَلاَ تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا/ فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ﴾[1]، ولا أعلمُ فئةً أظلم 61
وأهلَ نحلةٍ أفسقَ من فئةِ مخلد وحزبِه.

الصادّون عن الأئمة مخلدون في النار بحكم القرآن والسنّة

ومن ذلك أيضاً قول الله تعالى: ﴿لاَ تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾[2]، وقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَتَوَلَّوْا قَوْماً غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾[3] وقوله: ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ﴾[4].

وأمّا قوله فيمن تاب وأناب، فإنّ الله عزّ وجلّ يقول: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ﴾[5] ويقول: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لاَ تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ، وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ﴾، الآية[6] وقال: ﴿غَافِرِ الذَّنْبِ/ وَقَابِلِ التَّوْبِ﴾[7].

62 وأمّا قولُه: في درجات الآخرة، فمن قول الله جلّ من قائل: ﴿انْظُرْ كَيْفَ
فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَلَلآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلاً﴾[8] وقوله
عزّ وجلّ: ﴿لاَ يَسْتَوِي مِنكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الفَتْحِ وَقَاتَلَ، أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً
مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلاًّ وَعَدَ اللَّهُ الحُسْنَى﴾[9]، فأخبر عزّ وجلّ أنّهم

---

(1) هود، 113.
(2) المجادلة، 22.
(3) الممتحنة، 13.
(4) المائدة، 51.
(5) الشورى، 25.
(6) الزمر، 50 ـ 51.
(7) غافر، 3.
(8) الإسراء، 21.
(9) الحديد، 10.

إن كانوا في الجنّة فإنّهم فيها على درجات وقال: ﴿هُمْ دَرَجاتٌ عِنْدَ اللَّهِ﴾[1].

وقد روى لنا الرواة عن أئمّتنا صلوات الله عليهم عن رسول الله ﷺ أنّه
63 قال: يمرُّ قومٌ من أهل عِلِّيِّينَ على من هم أسفل منهم فيقولون: ربّنا بمَ بلَّغتَ/ عبادك هذه الكرامة؟ فيقال لهم: كانوا يقومون الليلَ وكنتم تنامون، وكانوا يصومون النهارَ وكنتم تأكلون وتشرَبُون، وكانوا يُنفِقون في سبيل الله وكنتم تبخَلُون، وكانوا يجاهدون وكنتم تجبُنون. وقال: إنّ أهلَ الجنّة ينظرون إلى أهل عِلِّيِّين كما ينظر أهلُ الأرض إلى الكواكب في السماء[2].

وأمّا قوله في العقوبة في الدنيا بالمصائب فيها، فمن قول الله جلّ ذكره: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ﴾[3]. ومن قول رسول الله ﷺ الـذي رواه الرواة لنا عن أئمّتنا عنه (صلع) أنّه سئل عن قول الله
64 عزّ وجلّ: ﴿مَنْ يَعْمَلْ سُوءاً يُجْزَ بِهِ﴾[4] وقيل له: يا/ رسولَ الله، إن جُوزينا في الآخرة بكلّ سوء عملناه في الدنيا فقد هلكنا؟ فقال: إنّكم لتجازَوْن في الدنيا: أما تُصابُون؟ أما تَألَمُونَ؟ أما تحزَنون؟ أما يُصيبكم البأساءُ والضرّاءُ واللأوَاءُ؟ قالوا: بلى يا رسول الله! قال: فهو من ذلك[5].

وقول الله عزّ وجلّ: «مَنْ يَعْمَلْ سُوءاً يُجْزَ بِهِ» يشهد أيضاً لقول المعزّ صلوات الله عليه: لا بدّ والله من التمحيص، وتمثيله المؤمنَ الذي يكسِب الخطايا بالذهب الذي يدخلُهُ الغِشُّ.

وكلام أولياء الله على مثل هذا: كلّه مشتقّ من كتاب الله جلّ ذكره ومن قول
65 رسول الله ﷺ. فمن سمع شيئاً من كلامهم فلم يجد له/ من ذلك مخرجاً، فَلْيَعْلَمْ أنّه إنّما أتي في ذلك مِن تخلّفِهِ عن الفهم، وعُدْمِه التوفيقَ. ونسأل الله الهدايةَ ونشهد لأوليائه بالعلم والحكمة والوَلاية.

---

(1) آل عمران، 163.
(2) حديث علّيين: سنن أبي داود، ك. الحروف والقراءات، ج 2 ص 358. أما حديث «يمر قوم من أهل عليين...» فإنه لم يذكر في الصحاح والمسانيد التي بين أيدينا.
(3) الشورى، 30.
(4) النساء، 123.
(5) مسند أحمد، ج 1 ص 182 رقم 68 و69 و71. والحديث فيه موجّه إلى أبي بكر.

جواب عن مسألة في مسايرة:

تأنيب المنصور للنعمان على تقصير في قضائه

10 ـــ (قال) ولمّا استقضاني المنصور بالله ﷺ على المنصوريّة عارضني بعض الناس في بعض ما أنظر فيه، فرفعت ذلك إليه صلوات الله عليه في رُقْعة، فوقّع إليّ في أسفلِها: يا نعمانُ، ما أقمتَ نفسك بحيثُ أقمناك ولا كنتَ في الضبط عند ما رجوناك، بل نرى معلِّمَ كِتَابِ الله أهيبَ منك!

فلمّا قرأتُ توقيعَه ذلك أسْقِطْتُ في يدي وأظلمت الدنيا عليَّ/ ، ولم أكن 66
أرى إلاّ أنّي قد تجاوزتُ في الشدّة وتعدّيتُ في التهيّب والغِلظةِ. ووافق ذلك
خروجُ المعزّ صلوات الله عليه إلى بعض ما كان يخرج فيه. فسلّمت عليه وسايرتُه
وشكوتُ إليه ما لقِيتُ من المنصور صلوات الله عليه، على أنّي، فيما رأيتُ، قد
تجاوزتُ وتعدّيتُ. ونظر إلى ما أدركني في ذلك من الغمّ فقال: يا نعمانُ، لا
يضيقُ صدرُك ولا يحزن قلبك، ولا تتجاوزْ ولا تتعدَّ في أمرك، فوالله إنّي لأسمعُ
منه كثيراً في نحو ما قلتَ، فما أفعل إلاّ ما كنت قد فعلت ومَا لنا أن نتأسّى بغير
فعله، وما ينبغي أن نقتديَ في كلّ الأمور إلاّ به. والله/ لقد لزم طريقةً مِنَ[1] الرفق 67
ما يجب في سياسة أمر الدنيا لزومُها، بل في تدبير أهل الدنيا أنّ الأمور تفسد
بها. ولكنّ الله أصلحها له بما اطّلع عليه من نِيَّتِه وعِلمَه من جميل طوِيَّتِهِ، وإنَّمَا
يقولُ ما يقولُ من هذا تأديباً وتنبيهًا، ولئَلاَّ تقعَ الغفلة ويتأسّى به في اللين جميعُ
أهل الخدمة. والله يرعى له ما استرعاه إيّاه ويحفظه فيما استحفظه وآتاه.

فحمدت الله وشكرت له وذهب عنّي ما كنت من الغمّ أجدُه[2].

ثم ركب المنصور بالله صلوات الله عليه بعد ذلك فسلّمت عليه وأنا خائفٌ
شديد الخوف ممّا كان إليّ منه، فقرّبني وأدناني وأثنى عليّ/ بما هو أهله، وقال: 68
يا نعمان، استعمل الشدّةَ في موضعها والرفقَ في موضعه، فوالله إنّي لأرى
العصفورَ يُذبَح فيرِقّ قلبي له، وأنت تراني أخوضُ الدمَ في موضع الحقّ وفيما
لا بدّ منه.

---

(1) في الأصل: أمر.
(2) في الأصل: ما كنت أدركت. . .

لا اختـــلاف بين شدّة المنصور ولين المعزّ

فاعتبرت قولَ المنصور بالله وقول المعزّ لدين الله صلوات الله عليه، فوجدته واحداً لا اختلاف فيه: لم يأمُر المنصور صلوات الله عليه لمّا أمر بالغلظة والشدّة، بالدخول في الباطل ولا بالتعدّي إليه. ولم يأمر المعزّ لدين الله صلوات الله عليه لمّا أمر بالرفق، بترك الحقّ ولا بالإدهان فيه، فوجدت قولهما صلوات الله
69 عليهما/ مأخوذاً من كتاب الله جلّ ذكرُه، وقول رسول الله ﷺ: فقد قال الله تعالى لنبيه: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾[1]. وقال: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ﴾[2]. فوصفه باللين في موضعه وأمَره بالغلظة في مكانه ووصَف المؤمنين من أصحابه فقال: ﴿أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾[3].

وروى لنا الرواة عن أئمّتنا عن رسول الله ﷺ أنّه قال: من لقِيَ الكافر فَلْيَلْقَه بوجهٍ مكفهرّ[4]! وأنّه قال صلوات الله عليه: لقِيَ عيسى بنُ مريمَ يحيى بن
70 زكريّا عليهما السلام/، فتبسّم عيسى وجهُه، وقطّب يحيى وقال: تضحك يا روحَ الله كأنّك أصبحت آمنا من عذاب الله؟

قال عيسى: وأنت يا نبيَّ الله تُقطِّبُ كأنّك أصبحتَ آيِساً من رحمة الله!

فأوحى الله إليهما: أحبُّكما إليّ أبشُّكما بصاحبه[5].

وقال ﷺ: إذا لقيَ المؤمنُ أخاه فَلْيُسَلِّمْ عليه وليصافِحْه وليلقَهُ بوجهٍ طلق! وإذا لقـيَ الكافرَ والفاسقَ فليلقَه بوجهٍ مكفهرّ[6]!

وقال عليّ عليه السلام: المؤمن شديدٌ في غير صلف، ليّنٌ في غير ضُعفٍ.

---

(1) التوبة، 73، والتحريم، 9.
(2) التوبة، 129.
(3) الفتح، 29.
(4) حديث: من لقي الكافر. . . في الجامع الصغير ج 1 ص 133.
(5) حديث عيسى ويحيى: لم نجده في أمهات كتب الحديث.
(6) الجزء الأول من هذا الحديث في مشكاة المصابيح، رقم 4650، برواية أبي هريرة مع زيادة ونقص، وعند السيوطي: الجامع الصغيرة ج 1 ص 153، وأخرجه أبو داود في ك. الأدب باب المصافحة مع اختلاف.

وقال أبو جعفر محمد بن علي[1] صلوات الله عليهم: إنَّ للّه في الأرض آنية فأحبُّها إليه ما رقّ منها وصفا وصلُبَ.

قيل له: وما تلك الآنية يا ابنَ رسول الله/ صلّى الله عليه؟ 71

قال: قلوبُ المؤمنين، فرقّتُها، على المؤمنين. وصلابتُها، في الدين. وصفاؤُها، من الذّنوب.

فكلّ هذا يؤكّدُ ما ذكرتُه عن المنصور والمعزّ لدين الله صلوات الله عليهما أنّ للشدّة موضعاً تصلح فيه، واللين له موضع يصلُح فيه، فمن سمع أو بلغه عن أولياء الله أحدُ الوجهين فلا يحمِلْه على الكُلّ وليجعَلْ كلَّ وجه من ذلك فيما ينبغي أن يجعَلَه فيه ويتأوَّلَه عليه، وما التوفيقُ إلاّ بالله وهو حسبُنا ونعمَ الوكيل.

كلام فيه تأديب:

11 ــ (قال) ورُفعَ إلى المنصور بالله صلوات الله عليه قوم يتظلّمون من بعض العمّال، فأشخص العاملَ وأمرني بإحضاره معهُم والنظرِ في ظُلامتهم/ ، 72 فادّعَوا عليه أشياء تناولها منهم، فأقرَّ ببعضِها وذكر أنّ ذلك ممّا أباحه له أميرُ المؤمنين المنصورُ بالله عليه السـلام. فكتبتُ دعواهُم وما أقرّ به وادّعى إباحتَه له، ورفعتُ ذلك إلى أمير المؤمنين المنصور بالله (صلع).

لوم آخر للنّعمان فأرسل إليَّ المعزّ لدين الله (صلع) وأحضرني إليه. فلمّا مثَلْتُ بين يديه قال لي: إنّ أميرَ المؤمنين عليه السلام إنّما يصرِفُ إليك من يصرفُه ممّن يشتكي من العُمّال لتسمعَ قولَ الناس فيهم وشكواهُم وتُنصِفَهُم فيما يجب من دعواهم وتغلظ فيما ينبغي فيه الإغلاظ عليهم. وقد وقف أمير المؤمنين على ما حكيت من إقرار فلان بما أقرّ به من تناول ما لا ينبغي له تناوله/ وأنّه ادّعى أنّ ذلك ممّا أبيحَ له، 73 فرأى أنّه كان ممّا ينبغي لك أن لا تقبل ذلك منه وأن تُغْلِظَ له فيه.

---

(1) محمد بن علي هو محمد الباقر خامس الأئمة، سمي الباقر لأنه «بقر» العلم، أي فتحه ووسعه. توفي الباقر حوالي 117 هـ. (انظر: تاريخ اليعقوبي ج 2 ص 384. وصفة الصفوة لابن الجوزي ج 2 ص 60 وتهذيب التهذيب لابن حجر ج 9 ص 350 ووفيات الأعيان). وضمير الجمع في التصلية يشمل جعفر الصادق ابنه وعليّ زين العابدين أباه.

قلت: يا مولاي، لمّا قال ما قال وادّعى بدعواه، رأيت أن لا أعْجَل عليه حتى أعرف ما يكونُ من مولانا (ص) في أمره وما ادّعى به.

قال: لقد كان في هذا كلامٌ جمُلنَا عنك فيه واعتذَرْنَا لك منه، فتحفّظْ من مثله فيما تستقبلُه. انصرفْ راشداً وطِبْ نفساً، فليس لك عند أمير المؤمنين عليه السلام إلاّ ما تحبّه.

فشكرت له وانصرفت.

فتدبّرتُ الأمر في ذلك فرأيت أنّي قد سقطتُ فيـه للإغفال، وتبيّنَ لي فسادُ
74 ما قدّمتُه من المقال، بأنْ ذكرتُ ما رواه/ لنا الرواة عن أئمّتنا عن رسول
الله (صلع) أنّه قال: إنّكم ستحدّثونَ ومن يأتي بعدي بما لم أقُلْه. فمن بلَغه عني
حديثٌ فليعرِضه على كتابِ الله، فإن وافقَه فليقْبَلْه وليْعْلَمْ أنّي قُلته، وإن خالفَه،
فليدفَعُه وليعلم أنّي لم أقله! وكيف أخالف كتابَ الله وإنّما هدانيَ اللهُ به[1]؟ وقول
جعفر بن محمد صلوات الله عليه: ما جاءكم عنّا من صواب وحقّ، فنحن قلناه
فاروُوهُ عنّا، وما جاءكم من باطل يُنسَب إلينا فادفَعُوه واعلَمُوا أنّه كذب وَافتراءٌ
علينا! فعلمتُ أنّه كان من الواجب عليَّ تكذيبُ الرجل فيما قاله ونسبه إلى أمير
75 المؤمنين عليه السلام ممّا لا يُشبِه أن يأمرَ/ به، وإن كنتُ لم أصدّقْه فيه إلاّ أنّه كان
ممّا ينبغي أن يرى من تظلّم منه تكذيبي له فلا يكونون في شبهة منه.

لا بدّ من تمحيص الرواية

وليس هذا بأوّل ما أثرناه من أولياء الله ولا هو وحده اهتدَيْنا بهم إليه. وكلّ علم علمناه أو فقهٍ أفَدْناه أو هُدًى اقتبَسْناه، فعنهم أخذناه، ومنهم أثَرْنَاه، ومن زواخرِ بحورهم اغترفناه، وهـم هداتُنا إلى الحقّ، وهم أئمّةُ الخلقِ صلوات الله عليهم من أئمّةٍ رضيَهُم واصطفاهم وارتضاهم، أتمَّ صلاة صلاّها وأطهرها وأزكاها وأعلاها.

رمز [كان] في مسايَرة:

12 ــ (قال) وخدمت المهديّ بالله صلوات الله عليه من آخر عمره تسع

(1) الحديث: لم نجده بهذا اللفظ في الكتب المشهورة وإنما ذكرت أحاديث كثيرة «في تعظيم الكذب على رسول الله» (ابن ماجة مقدمة 30 ـ 40، والترمذي، 10/126).

سنين وشهوراً وأياماً[1]، والإمام القائم بأمر/ الله من بعده (صلع) أيّام حياته في 76
إنهاء أخبار الحضرة إليهما في كلّ يوم طولَ تلك المدّة إلاّ أقلّ الأيّام. وكانَ لهما
صلوات الله عليهما من النِّعمِ والفضل عليّ في ذلك ما لا أحصيه عدداً ولا أقوم
ببعض شكره أبداً: أقلّ ذلك تغمُّدُ الزَّلل منّي والصفحُ عمّا يأتيهما عنّي، وأنا
أعلمُ، وإن اجتهدت وتحفَّظْتُ واحترستُ، أنّي لا أسلَم من ذلك. فما أتاني عن
أحد منهما طولَ هذه المدّة إنكارٌ علِمته ولا انتقادُ شيء جهلتُه. وأرجو أن يكون
ذلك مَوْصُولاً بعفو الله ورحمته. وما ذكرت ذلك إلاّ ذكرتُ حديث أنس بن
مالك[2] الذي/ يُعتَدّ به وقوله فيه: خدمت النبيَّ ﷺ تسعَ سنين فما قال لي قطّ 77
لشيء صنعتُه: أخطأتَ، ولا: بئسَ ما صنعت. وأفكر في ذلك وما صحبَني[3]
من رضى المنصور بالله والمعزّ لدين الله صلوات الله عليهما وتغمُّدِهِمَا وصَفْحِهِمَا
فأذكر قول أنس هذا، فأقول: هم صلوات الله عليهم كما قال الله تعالى فيهم:
﴿ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[4].

النعمان لم يتعرّض قطّ إلى لوم من المهديّ ولا من القائم

فإن كان ذِكْرُ أنس ذلك يريد به تجاوزَ رسول الله ﷺ وصفحَه وعفوَه ورحمتَه
كما ذكرتُ أنا ذلك عن أميرِ المؤمنين (صلع) في نفسي، فقد أصاب وأحسن.
وإن ذهب بذلك/ إلى أن سَلِمَ طولَ هذه المدّةِ من الزلل فبئس ما ظَنَّ! ولو لم 78
يكن له إلا ما يؤثَرُ عَنْهُ من ردّه عليًا صلوات الله عليه عن باب رسول الله ﷺ ثلاثَ
مرّاتٍ لِمَا سمِعَه من رسول الله (صلع) وقد قُرِّبَ إليه طائِرٌ مشوِيّ، وهو يدعو،
ويقول في دعائه: اللَّهُمَّ سُقْ إليّ أحَبَّ خَلْقِكَ إلَيْكَ لِيأكُلَ معي من هذا

حادثة ردّ أنس بن مالك عليًا عن الرسول

(1) توفي المهدي يوم 14 ربيع الأول سنة 322، فيكون النعمان دخل في خدمته قبل ذلك التاريخ بتسع سنين ونيف، أي حوالي سنة 312/924. فإذا قدرنا سنّه آنذاك بثلاثين عاماً، يكون مولده سنة 283، فتكون مدة حياته ثمانين عاماً، إذ توفي سنة 363. وبذلك ندفع تقدير فوتهايل وماسينيون. (Gottheil, J.A.O.S. 1907 Massignon: Esquisse d'une bibliographie qarmate, 322) بأنه ولد سنة 259 هـ. وعمر بالتالي مائة وأربع سنين، ولا شك أن الأمر التبس عندهما بوالد النعمان الذي توفي عن هذه السنّ كما جاء في وفيات الأعيان.

هذا وقد يصح تقدير فيضي الذي قال إنه قد يكون ولد سنة 293 (انظر مقدمة ك. الاقتصار لمحمد وحيد ميرزا، ص 27 ومقدمة ك. الهمة لمحمد كامل حسين ص 5).

(2) أنس بن مالك: صحابي خدم الرسول (ص) وروى عنه كثيراً. توفي سنة 91/719.

(3) في الأصل وفي س 47: ما صحب لي.

(4) آل عمران، 34.

الطائر[1]! فجاء عليّ (ص) فيما ذكر أنس، فقرع الباب فخرج إليه فقال له: رسول الله (صلع) نائم. ثم جاء الثانيةَ فقال له: رسول الله (صلع) على حاجة. ثم جاء الثالثة فأراد ردَّه بمثل ذلك، فدفع في صدره ودخل وهو يقول: يا ابن مالك،
79 ابتلاك الله/ ببيضاءَ لا تُوارِيهَا العِمامة[2]! فقال أنس: فلدعوة علي أصابني ما أصابني من البرَص. (قال) فلمّا دخل، قال له رسول الله (ص): ما أبطأ بك عنّي يا عليّ؟ فأخبرَه. قال أنس: فتغيّر وجهُ رسولِ الله ﷺ وقال لي: (يا) أنس، ما حمَلك على ذلك؟ قلت: يا رسول الله، الحبّ بقومي، وسمعتُ دعوتَك فأحببت أن يكون الرجل الذي يأتيك يأكلُ معك رجلاً من الأنصار. (قال) وسكت عنّي. وفي هذا كلام يطول ولم أقصد إليه فأستقصيَه.

13 ـــ وكنت أخدم المنصور بالله صلوات الله عليه بعض أيّام المهديّ بالله
80 صلوات الله عليه وأيّامَ القائم (صلع) كُلها، وكانت/ له عليّ من النعم والآلاء ما لا أحصي عددها. وكانت خِدمتي إيّاه في جمع الكتب له وانتساخها[3]. فلمّا قُبِضَ القائم صلوات الله عليه[4]، استقضاني قبلَ أن يُظهر أمره[5] ـ وكنت أوّل من

خدمة النعمان للمنصور قديمة

(1) الترمذي: مناقب علي، 170/13. وفي الأصل: سبق إلي.

(2) هذا الدعاء من علي على أنس بن مالك روي في نهج البلاغة، ج 2 ص 379. ولفظه: «إن كنت كاذباً، فضربك الله بها بيضاء لامعة لا تواريها العمامة» والظرف الذي دعا فيه علي يختلف عن رواية القاضي النعمان هنا. وقد قيل إن أنس بن مالك أصيب بالبرص في وجهه. وانظر المعارف لابن قتيبة، 580.

(3) نستنتج من هذه الإشارة ومن سابقاتها (انظر ص47 هـ 3، وص53 هـ 1، وكذلك ص73 هـ 1) ثلاثة أمور في حياة النعمان:

أ) أنه لم يتولَّ القضاء إلا للمنصور، وذلك منذ وفاة القائم في شوال 334، و «قبل أن يعلن أمره» أي قبل أن يرتقي إلى الخلافة علانية في سنة 336. واستقضاه على طرابلس أولاً ثم على المنصورية بمجرد انتقال الخلافة من المهدية إليها في سنة 337. ومعلوم أن المنصورية أسست سنة 336. فالنعمان كان قاضي إقليم ثم صار قاضي القضاة على كامل إفريقية. على أن المقريزي في ترجمة المنصور (المقفّى 173/2) يقول إن النعمان وليَ قضاة المنصوريّة بعد قضاء طرابلس في أوّل سنة 340.

ب) غير أنه خدم المهدي في التسع الأواخر من خلافته، ثم القائم، بخطة «صاحب الخبر»، المعروفة في الدولة العباسية مثلاً: ذاك ما نفهمه من عبارة النعمان «إنهاء أخبار الحضرة إليهما».

(4) كما كان في نفس الوقت يخدم المنصور بالسهر على مكتبته.

(5) مات القائم في 13 شوال 334/ ماي 946.

استقضاه من قُضاتِه ـ وأعلى ذكري ورفع قدري، وأنعم عليّ من النعم بما لو أخذتُ في وصفه لقُطِعَ بطوله ما أردتُ ذكره. فلم تكن قبله عليّ نعمةٌ أعظمُ من نِعمتِه مع الذي افترض اللهُ عزّ وجلّ عليّ من معرفة حقّه ومودّته. فلم يكن في أيّامِه أحدٌ أعزَّ عليّ منه ولا أعظمَ قدراً ولا أجلّ في قلبي[1] خطَراً. وكنتُ إذا تَمَنَّيْتُ كان أفضلُ ما أتمنّاه أن أموتَ في أيّامه وعلى رضاه.

14 ـــ فلمّا اعتلّ صلوات الله عليه/ العلّةَ التي قُبِض فيها[2] تداخلني لذلك 81
ذُعرٌ شديد وخوف عظيم. وكان المعزّ لدين الله صلوات الله عليه في أيّامه سببي إليه، ومعوَّلي في جميع أموري عنده عليه، وكنت ألقاه، والمنصور على عِلَّتِهِ[3]، فأسأله عنه فيذكر من صلاح حاله ما أسكُنُ إليه. ثمّ استأذنَ لي يوماً في جماعة من[4]الأولياء فأدخَلَني عليه، فرأيتُه شديدَ العِلّة ضعيفاً. فما خرجت من بين يديه حتّى كاد قلبي يذوبُ وجعلت ألقى المعزَّ (صلع) فأسأله عن حله فيذكر أنّه صالح الحال، وأنا أرى في وجهه صلوات الله عليه من أثر الغمّ ما غيّره وأحاله عمّا كان
عليه من الإشراق والنّضارة، وأرى كلّ/ يوم ذلك يزيد[5] به، والغمّ بذلك 82
يتضاعف عليّ حتى رأيت من حال المعزّ لدين الله صلوات الله عليه ما أربى غمّي به على غمّي بما كنت أتوقّعُه في المنصور ﷺ.

مرض المنصور وجزع النعمان عليه

ثُمَّ خرج في اليوم الذي قبض فيه، ولا علمَ لي بذلك، فلقِيتُه بحسَب ما كنت ألقاه، ورأيتُ ظاهرَ حاله أصلحَ ممّا كنت أراه، فسُررت بذلك، ثمّ سألته سؤالَ مستبشِرٍ عن المنصور قدّس الله روحه، فقال لي: يا نعمان، إذا كانت هذه الشمس والقمرُ والنجوم والسماء والأرض والجبال زائلة ذاهبة فَانيةً، فما ظنُّك بما دونَها من هذا البشر؟ ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذائِقَةُ المَوْتِ﴾[6] كما قال الله جلّ ذكره: ﴿كُلُّ

(1) أي قبل أن يعلن رسمياً عن وفاة القائم وارتقاء المنصور الخلافة. وقد كتم الخبر «إلى سنة 336، فأظهر [المنصور] موت أبيه بعد أن ظفر بأبي يزيد» (المقريزي. اتعاظ الحنفاء، ص131).
(2) س 49: فؤادي.
(3) اعتلّ المنصور في شهر رمضان 341 وتوفي في أواخر شوّال ولم يُعلَن عن وفاته إلاّ في السابع من ذي الحجّة (اتّعاظ 129).
(4) ص 49: جماعة الأولياء.
(5) س 49: يتزيّد.
(6) آل عمران، 185.

83 شَيْءٍ هَالِكٌ/ إِلاَّ وَجْهَهُ﴾[1]. فعلمتُ أنّ المنصورَ قد قُبض (صلع). وهجم عليّ من ذلك ما كدتُ أن أسقُطَ له إلى الأرض. ثم تداركتُ نفسي، ورأيت الناسَ حولي، فاستثبتُّ[2] وقلتُ كلاماً نحوَ ما قاله المعزّ صلوات الله عليه لا أفهَمُه، وأنسانِيهِ ما كنتُ فيه. وانصرفتُ عنه والعَبرة تخنُقُنِي والدموعُ تَبتَدِرُ[3] من عَيْنِي حتّى صرتُ إلى خَلاء في الفَحْصِ، فأرسلتُ عَبْرَتِي ورفعتُ عَقِيرتي وبكَيْتُ كذلك مليًّا حتّى خفَّ ذلك عنّي. وأقمتُ أيّاماً على ذلك: إذا امتلأ صدري وعِيل صبري خرجتُ إلى ذلك المكان فاستفرغت ما عِنْدي.

84 واستفاض أمرُ المنصور (صلع)، وأرى/ المعزَّ لدين الله أدامَ الله تعمِيرَه وضاعف عليه صلاتَه[4] كلّ يوم يتسلّى ويزيد صبره ويحسن ظاهرُه، وأنا أعلم من مكانه عندَه ومحلِّه لدَيْه وموقِعه من قلبه ما قد كنتُ أخاف عليه إنْ حدث به حدَثٌ من أجله. فرأيتُ من العزاء والصبر والتجلّدِ وجميلِ الأمر ما قد أيقنتُ [معه] أنّ ذلك لانتقال الإمامة إليه، ورأيت تأثيرها ومخايلَها فيه. وأنا على ذلك ما أتمالك جزَعاً وهلَعاً. غير أنّه سهّل عليَّ بعضَ ذلك، ما رأيتُه من صبر المعزّ لدين الله صلوات الله عليه وحسنِ عَزائه وما منحَه الله جلَّ ذكرُه من الضبط والكفاية وأولاه من 85 لطيف/ الصنع والرعاية.

15 ـــ وأظنّه (ص) رأى في ظاهر حالتي ما بيّن له مِن شدّة جزعي وقلّة صبري، فوقّع إليّ يوماً بخطّ يده، أعلاها الله: يا نعمانُ، ليحسُنْ عزاؤك ويجمُلْ صبرُك! فمولاك مضى، ومولاك بقي، وأنت واجدٌ عندنا ما كنتَ واجداً عِنْدَه، ونحن كنّا سببَك عندَه ولن ينقطع ذلك السبب لدينا لك إن شاء الله تعالى، فطِب نفساً وقرَّ عيناً وَلْيَحْسُنْ بنا ظنّك وتسكُنْ إلى ما تحبُّه لدينا نفسُك!

عطف المعزّ على النعمان

فبينا أنا كنت أخشى من الوجد عليه إذ صار يعزّيني عنهُ صلوات الله عليه، لتأييد الله له وتوفيقه إيّاه وما وهب له من جميل المادّة وأجراه عليه من حسن 86 العادة/ .

---

(1) القصص، 88.

(2) فاستكنت في ع 511. وفضّلنا قراءة الأصل وس 50.

(3) في اللسان (بدر): ابتدرت عيناني: سالتا بالدموع.

(4) عمرَه الله وعمّره: أبقاه. وهذه الصيغة من الدعاء غير معهودة عند النعمان.

[كلام جرى في مجلس][1]:

(قال) وسمعته يقول صلوات الله عليه لجماعة من أوليائه حضروا مجلِسَه وهو يحضُّهم على طلب الفضل عنْده والتماس الخير منه: إنّ الله جلّ وعزّ إذا حبَسَ الغيثَ عن عباده الذي جعل به صلاح معايشهم وقِوَامَ أبدانهم، اجتمعوا عند الأئمة طبّ وبرزوا عن ديارهم واستسقَوْه ودعَوْه ورغبوا إليه. فإذا كان هذا ممّا ينبغي لهم أن الأروح يفعلوه لما يرجُونه من حياة هذه الأجسام الفانيةِ وما يؤمّلونه من بقايا مدّة يسيرة وأيّام قليلة، فكيف ينبغي لهم أن لا يفعلوا فيما يرجون به خلاصَ أرواحهمُ الباقيةِ من عذاب الآخرة الدائم، وخلودَها في النعيم المقيم؟/ أليس ينبغي أن تكون 87
رَغبتهم في هذا أشدّ وابتغاؤهم أكَدَّ[2]؟ أوَ مَا علمتم أنّ غيثَ السماء له أوَانٌ يُرتَجَى فيه وينفعُ الله به؟ وإذا ذهب أوانُه ذهب نفعُه ولم ينبغِ سؤاله؟ فكذلك والله هذه النّعمةُ العظيمة والرحمةُ الواسعة، لها أوَانٌ تكونُ فيه، ووقتٌ تحلّ به، فإن مضى أوانها وتقضّى وقتُها لم تجدُوها ولم ينفَعْكم حينئذ أن تطلبُوها. ألا، وهذا وقت أوانها وحينُ إبّانِها، فاحذَرُوا الغفلةَ، واستعملوا الطلبَ والرَّغبة، وبادِروا قبل الفَوْتِ واعملوا قبل الموتِ، فإنّما هي أيّام قلائل، ووقتُ ما تُرتجى فيه النجاة والرحمةُ زائلٌ.

ثم قال:/ من ذا وجد من إمَام قبلَنا ما وجدتُمُوه عندنا؟ إنّا لنجيب من سأل 88
ونبتدىءُ من لم يسألْ ممّنْ نرى أنّه يقبل، وما يخيب لدينا إلاّ المعرضُون عن الله وعنّا.

أدب [ذكر][3] في مسايرة:

16 ــ (قال) وسمعته يقول وأنا أسايره وقد ذكر السرّ، وما ينبغي من كتمانه وجوب الكتمان وطيّه فقال: لقد كان المنصور بالله (صلع) ربّما أسرّ إليَّ السرَّ، فلِما أعتقدُه من طيّه وكتمانِه ربّما أُنسِيتُه ويسألُني بعدَ ذلك عنْه فلا أعرِفُه.

---

(1) هذا العنوان من س 52.

(2) في س 53: آكد. وأكدّ أنسب للقافية مع أشدّ، وهي بعد أفعل التفضيل من كدّ بمعنى: أشتدّ.

(3) زيادة من س 53.

موعظة جرت في مجلس:

17 ــ (قال) وسمعته يقول وقد ذَكر رجلاً مشوّه الخَلق أعمى مُقعداً، وأنّه
89 رآه في بعض الطرقات، وهذا الرجلُ معروف. فقال المعزّ لدين/ الله صلوات الله عليه: ينبغي لمن نظر إلى ذلك وأشباهه من ذوي العاهات والبلوى أن يحمَد الله على ما عافاه ويتفكّرَ في عظيم نعمته عنده.

إذا لقيت صاحبَ بلوى أو عاهة، فــاحمــد الله على سلامتك

وهذا يشبه قول جدّه رسول الله ﷺ: من نظر إلى صاحب بلاء فقال: الحمد لله الذي عافاني ممّا ابتلاك به وفضّلني على كثير من خلقه تفضيلاً، كان حقيقاً على الله أن لا يصيبه بذلك البلاء[1].

[كلام في الغلوّ] ذكر في مجلس:

18 ــ (قال) وسمعته يقول: سمعت القائم بأمر الله (صلع) يقول في قوم من الدّعاة بلَغَه أنّهم غلَـوْا فيه وفي آبائه الأئمّة الصادقين صلوات الله عليهم
90 أجمعين/ وقالوا إنّهم يعلَمُون الغيب، فلعَنهم وقال: هؤلاء الصادّون عنّا الكاذبون علينا، والله ما أرادوا بما وصفُونا به إلاّ تكذيباً لَنَا وأبعدوا الناس عنّا لأنّهم إذا وصفونا لهم بما ليس فينا فلم ير النـاس ذلك ولا وجدوه عندنا، لم يَرَوْا أنّا أئمّةٌ.

الأئمّة لا يعلمون الغيب

ثم قال المعزّ لدين الله صلوات الله عليه: الغيبُ الذي تعلَمُه الأئمّةُ هو ما غاب عن الناس من العلم الذي أودَعَهُمُ الله إيّاه واستحفظهم سرّه. فأمّا الغيب الذي قال جلّ ذكره: ﴿قُل لاَ يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ الغَيْبَ إلاّ اللَّهُ﴾[2] فلا يعلَمُه إلاّ هو كما قال عزّ وجلّ.

91 وقولُ القائمِ بأمر الله هذا يشبه قولَ جدّه جعفر بن محمد صلوات/ الله عليـه لمّـا بلغـه أنّ أبـا الخطّـاب[3] قـال فيـه مـا قـال مـن الغلـوّ. قـال

(1) الترمذي: دعوات ج 12 ص 313. وابن ماجة، دعاء 3892.
(2) النمل، 65.
(3) أبو الخطاب: هو محمد بن أبي زينب الذي «عزا نفسه إلى جعفر الصادق» ثم قال بألوهية الأئمة، وإليه تنسب فرقة الخطابية. قتل أبو الخطاب سنة 138/755. انظر: اتعاظ الحنفاء، =

المفضّل(1): فدخلت عليه يوماً فأصبته منقبِضاً مستعبِراً؛ فقلت له: ما لك، جعلت فداك؟

قـال: أي مفضّل، زعم هذا الكافر الكذّاب أنّي أعلم الغيبَ، سبحان الله! ولا إلاه إلاّ هو ربّي وربّ آبائي الذي خلقنا وهو الذي أعطانا وخوّلَنا، فنحن أعلامُ الهدى والحجّة العظمى! أخرج إلى هؤلاء ـ يعني أصحاب أبي الخطّاب ـ فقل لهم: إنّا خلائقُ مخلوقون وعِبَاد مربوبُون، ولكن، لنا من الله عزّ وجلّ منزلة لم يَنزِلها أحدٌ غيرَنا ولا تصلُح إلاّ لنـا، ونحن نورٌ من نور الله وشيعتُنا منّا، وسائرُ الخلقِ في النار.

جعفر الصادق يقاوم الخطابية

فائدة في مسايرة/ : 92

(قال) وَسَايَرْتُه يوماً فقال لنا، ونحن جماعة في الموكب حوله: قولوا شيئاً! تكلّموا عمّا لا تعلَمُون تجدُوا عندنا جوابَ ما تريدون، إذ انصرافكم عنّا بلا فائدة منّا خسارةٌ عليكم، ونقصٌ بكم!

فقلت: أعاذنا الله من الانصراف عن وليّه بلا فائدة! والله ما أعلمُ أنّي رأيتُه قطُّ فانصرفْتُ إلاّ بفائدة: إمّا مِمّا أسمعُه منه أو ممّا أراه فيه. وقد قال بعضُ الحكماء: كلُّ صامتٍ ناطقٌ. فإذا كان هذا في الجماد إذا اعتُبِر، فكيف بأولِيَاءِ الله عزّ وجلّ؟

وجوب الاستفادة من علم الأئمة

فقال: هو كما قلتَ، وإنما تُبصرُ ذلك العقُولُ الصافية.

كلام ذكر في مسايرة:

19 ــ (قال) وسايرتُه يوماً فجرى/ الحديث بقول الناس: القمَرانِ: 93

= ص 48. ودائرة المعارف الإسلامية، فصل: أبو الخطاب. وكذلك محمد الطالبي: الإمارة الأغلبية ص 562 ـ 563 (639 ـ 640 من الترجمة العربيّة).

(1) المفضل: هو المفضل بن عمرو صاحب جعفر الصادق، انظر دعائم الإسلام ج 1 ص 50، رقم 81 حيث نقل القاضي النعمان هذا الخبر مفصَّلاً. ويسميه ابن شهراشوب (معالم العلماء طبعة النجف 1961 ترجمة 836) المفضل بن عمر، وكذلك الطوسي يسميه المفضل بن عمر الجعفي (ص 314 من رجال الطوسي).

تسميةُ المتلازمين بتثنية أحدهما

الشّمسُ والقمرُ، وأنهم نسبُوهُما إلى الأشهر منهُما[1] وهو القمر، وقالوا: لأنّه يُرى ليلاً ونهاراً، ولأنّ الأبصار أكثرُ وقوعاً عليه منها على الشمس، ولأنّ العربَ كانت تسمَرُ في الليل في أندِيَتها وتراه أكثرَ ممّا يكُون ذلك منها في النهار، وكان عندها أشهرَ من الشمس.

قلت: وقد ذهب بعض الرواة ببيت الفرزدق (طويل):

تأويل بيتِ الفرزدق

أخـذنـا بـآفـاق السّمـاء عليكِـمُ   لنا قمرَاها والنّجومُ الطوالعُ[2]

إلى غير هذا المذهب ونحا به نحو الباطن، فزعم أنّه إنّما أراد بالقَمرَيْن إبراهيم ومحمّداً[3] صلوات الله عليهما وعلى آلِهما، وأراد بالنجوم الطوالعِ الخلفاءَ لأنّه أمسُّ بقريشٍ ممّن فخَر عليه[4].

94 / فقال (صلع): ما أصاب هذا القائلُ، وإن كان عند الناس قد أغرب في المقال وجاء عندهم بمعنى لطيف.

ثمّ جاش له من المعزّ لدين الله (صلع) في ذلك بحر زاخر من الباطن، ففتح القولَ فيه ما نحا إليه هذا القائل. ثم قال: فإن أراد الباطن فهذا هو، وقد أخطأ. وإن أراد الظاهرَ، فهو خلاف ما قال بشاهد العيان.

ثمّ قال عليه السلام: وبمثل هذا زاغ من زاغ عن الهدى ممّن انتحل عِلْمَنا وقال بزعمه بقولنا، ممّن جرّد الباطن وقال به، ودفع الظاهر وأنكَره. وما يستحقّ
95 من فَعَل ذلك إلاّ أن يُخرجَ روحَه من جسمه/ فيَرى هل يقوم ذلك الـروح بلا جسم أو هل يقوم [ذلك][5] الجسم بغير روح؟ ومن ههنا هلك من هلك وضلَّ من ضلَّ لمّا أفردوا الباطن ودانوا به ورفضوا الظاهرَ وتركوا العمل به وأباحوا المحارمَ إذا لم يرَوْا ظاهراً يقوم. وكيف يثبُت ذلك عندَ الأشقياءِ؟ وهل يقالُ باطنٌ إلاّ وله

لكلّ قولٍ ظاهرٌ وباطنٌ

---

(1) في الأصل: إلى أشهر منهما...

(2) ديوان الفرزدق، نشر عبد الله الصاوي، ص 519، والقصيدة في النقائض (ص 700 من طبعة أوروبا، البيت 22).

(3) محمد: هو الملقب بـ «النفس الزكية». وأخوه إبراهيم هو «قتيل باخمرى». وهما حفيدان للحسن بن علي بن أبي طالب، ثارا على العبّاسيّين بالبصرة والمدينة. فقتلا سنة 145/762.

(4) وهو جرير.

(5) زيادة من س 58.

ظاهرٌ؟ وإذا لم يَثبت ظاهر، فلما ذا يكون الباطن؟ وكذلك إذا لم يكن باطن فلا ظاهر إذن، وإنّما يصحّ كل واحد منهما ويقوم بإثبات الآخر. ولو لم يثبت أحدهما لم [يَـدُلَّ][1] اسم الثاني عليه. ولا يقال باطن إلاّ لما له ظاهر، ولا يقال
96 ظاهر إلاّ لما له باطن، وإلاّ كان ذلك القول محالاً. ومن جهل/ مثل هذا لم يكن في عدد من يعقل، إذ ليس ذلك بالغامض ولا بالمشكل.

كلام في مسايرة:

شفاعة الأئمة لِمَن أحبَّهُم

20 ــ (قال) وسمعته صلوات الله عليه يقول وقد ذَكَر الولايةَ والمحبّة فقال: والله ما يضيع ذلك لمن اعتقدَه. ولقد رأيتُ فلاناً في المنَام ـ وذكر رجلاً ظاهريًا[2] غالياً في مذهبه إلاّ أنّه كان مُتَّصِلاً بالقائم صلواتُ اللّهِ عليه وكانت له عليه نِعمة ـ قال: فرأيتُه في المنامِ بعدَ أن ماتَ فقلتُ: ماذا صرتَ إليه؟ فقال: انتفعتُ والله بمحبّتي للقائم عليه السلام. قال له بعض من حضر: أفَتَرَى ذلك
97 يُنجِيه وهو على ما كان عليه؟/ فقال: لاوالله، ولكنَّهُ كما قال ينفَعُه بعضَ النفع.

شفاعة للمنصور في رؤيا للمعز

(قال): ورأيتُ فلاناً ـ يعني بعضَ الأولياء ـ كان له تخليط، ثم حسُنَت حاله وَغَنَاؤه وجِهادُه، واختصّه المنصور بالله صلوات الله عليه، ثم مات بعده. قال المعزّ لدين الله صلوات الله عليه: فرأيته بعد أن مات بليلة وقد مرّ بي فدعوته فنظر إليّ، وكأنّه في غمرة وشدّة، فقال لمّا دعوتُ به: دعني، أما ترى ما أنا فيه؟ (قال) فأصبحت وقد غمّني له ما رأيت من ذلك، فلمّا كانت الليلة الثانية رأيتُه في أحسنِ
98 حال وأقبل إليّ ضاحكاً. فقلت: ما حالك، وماذا صرتَ إليه؟ فقال: إلى خير/ والحمد لله! ما خلق الله في الخلق مثل أبيك. والله ما زال بي حتّى خلّصني قسراً من شدّة شديدة وأمر عظيم.

قلت: إنّ في رؤيا أمير المؤمنين لبرهاناً عظيماً، وقلّ من يرى في مَنَامِه إلاّ التخليطَ والأضغاثَ.

فتبسّم عليه السلام، وقال: أرأيت صبيانَ المكتب إذا انصرفُوا من عند

(1) الجملة غير مفهومة، فلذلك زدنا الكلمة تخميناً.
(2) هذه إشارة وحيدة في الكتاب إلى وجود المذهب الظاهري بإفريقية.

المؤدّب، واختلافَ أحوالِهم: أحدهم يمشي متوقِّراً يقصد قصدَ حاجتِه ويُصلِحُ من أمره ما يعود إليه في مكتبه مثلَ لوحِهِ ودواتِه ومُصْحَفِه، وآخر يسارع إلى اللّعب والبِطالة والولَع؟

قلت: أجل.

99 قال: ذلك على/ مقاديرِ ما هم عليه قبل ذلك واهتمامِهم بما هم فيه.

قلت: نعم.

قال: فكذلك النفوس، إذا توفِّيت عندَ المنام إنّما تجول وتسرَحُ على مقاديرِ طباعها وما كانت عليه في يقَظَتِها.

الجـزء الثالث

بسم الله الرحمن الرحيم

كلام في الأمانة ذكر في مجلس:

21 ـــ قال القاضي النعمان بن محمد: سمعتُ المعزّ لدين الله صلوات الله عليه يصف بعض الدعاة ـ وقد مات ـ بما كان عليه من الصحّة والأمانة والولاية، فقال: إنّه كان يشتري لنا فيما يبعث به إلينا ممّا نأمره ببعثه، المسْكَ فيُفرغُه على ثوبه ليَزِنَه، ويُودِعُه الوِعَاءَ/ فتعلقُ رائحتُه بثوبه فيُخرِجُ من ماله لتلك الرائحة ثمناً 100
يضعُه في ما لَنا في يديه من أموالنا، تحرّزاً من الخيانة. 61

أمانة الدعاة وتواضعهم

ثمّ ترحّم عليه وأثنى عليه بالجميل، ثمّ قال: ولقد أخبرني بعضُ من كان من أهل دعوته أنّه ربّما صبَّ الماء على يديه، فإذا فرغ من ذلك أخذ الإناءَ وصبّ على يدَيْ ذلك الرجلِ، فيمتنعُ من ذلك ويتعاظمُه، فيقول له: والله لأفعَلَنَّ! إن كنتَ إنّما أردتَ بصبّكَ الماءَ على يديَّ بِرًّا تنالُه وثواباً، فأنا إلى ذلك أحوجُ، وإن كان ذلك لحقٍّ رأيتَه لي عليك، فالحقّ لوليّ الله. فما أردتَ أن تقضِيَه، فقضاؤُه إليه.

وصيّة في مجلس:

المعزّ يوصي أنصاره بالصدق والعفاف والتواضع

22 ـــ (قال)/ وسمعته يوماً في مجلس حضره فيه جماعة من رجال كتامة، 101
وهو يعظُهم ويُوصيهم، فقال في بعض ما قال لهم: أريدُ منكم ثلاثاً، وأكرَهُ لكم ثلاثاً: أريد منكم الصّدقَ وأكره لكمُ الكذبَ، وأريدُ منكمُ العَفاف وأكرهُ لكمُ الخيانةَ، وأريد منكم التواضُعَ وأكره لكم الكِبْرَ، وهذا أخوف ما أتخوّفه عليكم.

كلام في العدل جرى في مجلس:

23 ـ (قال) وسمعتُه يوماً ﷺ يقول في مجلس: أمَا إنّي لو شئتُ رضَى الناس لبلغتُ رضاهم بأيسَر الأمور عندَهُم. ولكنّ ذلك، لو تـدرُونَ فيه اقتحامُ 62
النار.

فقيل له: وما هو يا أميرَ المؤمنين؟

102 قال: التَّخْلِيَةُ بينهم وبين شهواتهم/: نُبيحُ لهم ـ وأعوذ بالله ـ المُظاهرة بشُرب الخمور والزّنَى واللّواطِ وإظهارِ الملاهي والمعازِفِ، كما يفعلُه اليوم المتغلّبُون من ملوك الأرض لأنفُسِهم، ويُبيحُونَه لمن تغلَّبُوا عليه. فما كنّا نسمعُ منهم إلاّ الثناءَ والشكرَ. ولكنَّ الله عزّ وجلّ قلّدَنا أمورَهم وافترض علينا تقويمَهم واستنقاذ مَن أناب إلينا منهم، والأمرَ بالمعروف النّهيَ عن المنكر فيهم. فنحن نريد نجاتَهم من النار، وهم يسخَطون علينا، ونُحبُّ إدخالَهمُ الجنّةَ، وهم يكرهون ذلك منّا.

المعزّ لا يسمح بـارتكاب المعاصي...

فذكر له بعض من حضر المجلس أمْرَ المتغلّبين من بني أميّة بالأندلس،
103 وأنّهم/ ورعايَاهم يشربون الخمر ويبتاعونَها في أسواقهم جهاراً، ويتفكَّهُونَ بالغِلمان صُراحاً ويزنُون علانيَةً، وأنَّ سِجنَ النساء عندهم ليأتِي إليه من يؤثِر الزّنَى فيدخُلُ إلى السّجّان فيختارُ مِنَ النساء على عَيْنِه من أراد، ولكلّ واحدةٍ منهنّ رسمٌ معروفٌ، فأيّتُهنّ اختارَ دفَعَ[1] رسمَها وفَجَر بها، فـي وجوهٍ كثيرة من المُنكَر ظاهرةٍ بيّنةٍ، ذكرَهَا.

كما يفعل بنو اميّة بالأندلس

فقال عليه السلام: هٰذا الذي قدّمْنا ذكرَه. ونحن نَعْلَمُ أنّ استصلاحَ ظاهرِ العامّة واستمالَةَ قلوبِها أيسرُ وأقربُ من استصلاحها واستمالتها بالدين والحملِ
104 على الحقّ: إنّ الحقَّ مرٌّ إلاّ عِنْدَ القليل، وما كرِه الناس/ منّا في القَديمِ والحديثِ غيرَه، ولَوْلاَ حَمْلُ عليّ، عليه السلام، الناسَ عليه جميعاً وتركه الإغضاءَ عَن شيءٍ منه، والرخصةَ فيه والمداراةَ عنه، لما عدل إلى معاويَةَ من عدَل، ومال إليه عنه. فالرخصةُ في الباطل، والمداهنةُ في الحقّ، والحيَفُ، والأثَرَةُ بالدنيا، وتركُ

صرامـةُ عليّ في الحـقّ هـي التـي افقدَتْه الأنصار

(1) رفع في الأصل، وأخذنا بقراءة ع 581 وس 62.

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإقامةِ حقوقِ الله وحدودِه التي أمرَ بإقامتها، كان سببَ تغلُّبِ بني أُميّةَ أوّلاً، وبه تمسّكوا إلى اليوم[1]. وتمسُّكُنا بالحقّ هو الذي قصّر بنا عند عامّة الناس. لا والله، لا ندَعُه حتى يُظهرَ اللَّهُ أمرَه، فقد قال جلّ ثناؤُهُ: ﴿بَلْ/ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ﴾[2]، وأرجو أنَّ 105
[ذلك] قد قرُب أوانُه وحان حينُه إن شاء الله.

وصيّة في مجلس:

المنصور على فراش الموت يوصي المعزّ

24 ــ (قال) وسمعته (صلع) يقول يوماً: لمّا احتُضر المنصور بالله صلوات الله عليه جعل يوصيني بما أعمل عليه بعده، وهذا قائم ـ وأومأ إلى رجلٍ من عبيده كان قائماً بين يديه ـ (قال) ثمّ نظر إليه وقد دمعـ[ـت عيناه][3] فقال: واللَّهِ لتُعَايِنُ من مولاكَ هذا ومن جميل أفعاله وسيرَتِه وما يُجريهِ الله من الخير على يديه، ويضعه من الجميل له، ويؤيّدُه به ويمكّنه له ويفتحه عليه، ما لم تَرَ ولا سمعتَ 106
قطّ/ مثلَه.

فقال له الرجل: يا مولاي، وأيّ شيء بقي له من ذلك لم تفعَلْهُ أنتَ؟

قال: كثير، والله، جدًّا، هو في القوّة لم يظهر بعد إلى الفعل، يُظْهِرُهُ الله لـه ويجريه على يديه.

ومن رمز له بالحكمة ذكر في المجلس:

25 ــ (قال) وسمعته (صلع) يوماً وهو يقول: واللَّه ما تلذّذتُ بشيء تلذّذي بالعلم والحكمة! لو وجدت من أفضِي إليه بها لكنتُ قد بلغتُ غايةَ المنى والشهوة.

الإمام لا يعطي حكمته إلاّ لحجّته

وقوله هذا عندي فيه كناية، والذي يفضي إليه بحكمـ[ـتـ]ـه هو حجّته[4]

---

(1) في الأصل: إلى اليوم بالحق، وأسقطناها لعدم المطابقة كما سقط من ع 581.
(2) الأنبياء، 18.
(3) زيادة من ع 540.
(4) الحجة: كلمة حجّة يراد بها عموماً الشخص الذي يلي الناطق (الرسول) أو الإمام. فلا بدّ لكلّ نبي من حجّة، وحجته هو وصيُّهُ أو أساسه. فهارون مثلاً حجة موسى ووصيّه، وصاحب السر أو الباطن أي التأويل. وكذلك لا بد لكل إمام من حجة. =

والله يقرّب ما أمَلَه من ذلك لـه ولنا إن شاء الله تعالى، فهو الذي يُفضي إليه
107 بجميع ما لديه من الحكمة كسنّة الله فيمن مضى/ وبقيَ من أوليائه. فأمّا الإفضاءُ منها بما يُمكنُ وبمقدار احتمال من يسمَعُ، فهو ﷺ يُفضي بذلك في كلّ حين.

وقد يكون أراد أن يجد أكثر منّا احتمالاً لما يحمِّل منها ونسأل [الله] أن يجعَلَنا ممّن يحتمِلُ ما حُمِّل منها ويرعاه حقَّ رعايته وممّن أمدّ أولياءَه فيه بقدرته.

كلام من الحكمة ذكر في مجلس:

المعزّ شغوفٌ بالحكمة

26 ـ وسمعته صلوات الله عليه يقول فيما يجده في نفسه من مثل هذا: والله إنّي لأجدُ من اللذّة والراحة والشهوة في النظر في الحكمة ما لو وجده أهلُ الدنيا لاطَّرَحُوها له، ولولا ما أوجب الله سبحانَه عليّ من أمور الدنيا لأهلها وإقامة
108 ظاهرها ومصالحِهم فيها، لرفضتُها/ للتلذّذ بالحكمة، والنظر فيها، وإن كان الذي قُلِّدتُه من أمور الدنيا والنظر فيها حكمةً بالغةً لمن أبصَر، وحجّةً لمن تدبَّر ونظَرَ.

حديث في فضل المعزّ لدين الله صلوات الله عليه:

محبّة القائم للمعزّ...

27 ـ (قال) وسمعت الإمام المعزّ لدين الله صلوات الله عليه يوماً يحدّثُ عن محبّة القائم بأمر الله (صلع) له واختصاصه إيّاه وما كان يؤثره به ويتوخّاهُ له، ممّا كنّا نعرِفُه ويبلغُنَا عنه، فقال: لقد قال لي يوماً: لولا صغر سنّك لجعلتُ هذا

= أما رتبة الحجة في نظام الدعوة، فتختلف اختلافاً بسيطاً من مفكّر إلى آخر. فجعفر بن منصور اليمن أحد كبار الدعاة الإسماعيليين يجعل من الحجة مرتبة تلي مرتبة الإمام (انظر: الشواهد والبيان ص 170، الرضاع في الباطن ص 37، 80) ونجد نفس هذا الترتيب عند القاضي النعمان (انظر: أساس التأويل ص 70، 85، 87)، بينما يحتل الحجة المرتبة الثالثة بعد الإمام عند الكرماني: الإمام، الباب، الحجة (انظر راحة العقل ص 134 ـ 139).

أمّا وظيفة الحجة فتتمثّل في نقل أوامر الإمام إلى الدعاة، وهو المكلّف بنشر المعرفة التأويليّة لمن له الحقّ.

والحجة يقيم الباب، أي إنه يعين الشخص الذي يحتل هذه المرتبة (انظر اختلاف الترتيب الذي ذكرناه عن الكرماني وغيره)، ويقيم كذلك ثلاثين داعياً يساعدونه على تحمّل أعباء الدعوة. ويقول الكرماني: إنّ للحجة الحكم في ترتيب المراتب وارتضاء الآراء والاعتقادات على موازنة الخلق وإظهار تأويل الكتاب (راحة العقل ص 134). وانظر كذلك فصل «حجة» في دائرة المعارف الإسلامية.

الأمرَ إليك[1]، ولكنْ أنت أبو تميم حقًّا كما كُنِّيتَ. (قال) فكان كثيراً ما يقول لي ذلك ويكرّره: أنتَ أبو تميم حقًّا، وما أعرف يومئذ ما يريدُ بذلك.

(قال) وكنت يومَ قُبِضَ/ صلوات الله عليه[2] عليلاً متخلِّفاً لأمر عرض لي. 109
وسأل عنّي فكرِهُوا أن يُخبِروه بعلّتِي، وأغمِيَ عليه. ثم أفاق فسأل عنّي فقال: ائتوني به! ثم أغميَ عليه كذلك مراراً، فلمّا أفاقَ سألَ عنّي فَأتَوْا بِي إليه، وقد مُنِعَ الكلامَ. فلمّا رآني ضمّني إليه، ثمّ أغمِيَ عليه، فنُحِّيتُ عنه، وأفاق فردَّنِي كذلك، ثم قُبِض ﷺ.

ثم قال المعزّ عليه السلام: شهِدتُ مشهدَيْن لو حُمِّلتِ الجبالُ ما حُمِّلْتُه فيهما لما أطاقَتْه: هذا، ووفاة المنصور عليه السلام[3].

وهذا، من فعل القائم عند الموت بالمعزّ[4] لدين الله عليه السلام، كفعل رسول الله ﷺ بالحسن والحُسَين عليهما السلام/ عندما قُبِضَ: فقد رُوِي عنه عليه 110
السلام أنّه دعا بهما كذلك وضمّهُما إلى نفسه ثم أغمِيَ عليه فنحّاهُما عليّ عليه
67 السلام. ثم أفاق فقال: أي ابنايَ؟ فقال له عليّ عليه السلام: أزلتُما عنك يا رسولَ الله لِمَا رأيتُه بك، وهذان هما. فقال: فقرّبْهُما! وقال: دَعْهُما يستمتِعَانِ مِنِّي وأستمتِعُ منهُما! فما زالا كذلك حتّى قُبِضَ ﷺ.

كمحبّة الرسول (ص) للحسن والحسين

(1) يظهر من كلام القائم أن تعيين وليّ العهد موكول إلى الإمام وحده، وأنه في ذلك قد يتجاوز ابنه إلى حفيده. وهذا مخالف للمبادىء الإسماعيلية التي تنصّ على أنّ الإمامة تكون في الولد الأكبر بعد والده، ولا تنتقل من الإمام إلى أخيه، باستثناء السابقة الفريدة في الحسن والحسين.
وقد خالف المعزّ هذا المبدأ حين عيّن لولاية العهد ابنه الثاني عبد الله فتجاوز ابنه الأكبر تميماً، كما في سيرة الأستاذ جوذر، 139، أو عزله، كما في أخبار ملوك بني عبيد لابن حماد ص 47.
وخولف المبدأ أيضاً فيما بعد حين تنازع الأخوان نزار والمستعلي ابنا المستنصر الفاطمي، فتولّى الإمامة المستعلي ـ وهو الابن الأصغر ـ فانشقّت الإسماعيلية إلى نزارية ومستعلية.

(2) في 13 شوال 334/ ماي 946.

(3) انظر وصف مرض المنصور فيما سبق ص 75.

(4) التركيب الواضح هو: من فعل القائم بالمعز عند الموت.

حديث في فضل الأئمّة عليهم السلام:

التوفيق في اتباع الخاطر الأوّل

28 ــ (قال) وسمعته صلوات الله عليه يقول: قال لي المنصور عليه السلام فيما أوصاني به: إذا عرض بقلبك أمر فاستحكِمْ فيه، فإنْ لم تجِدْ لنفسك حيلةً في
111 دفعه عنك/ فخذ به واعمَل عليه، وإن كان الرأي والتدبير فيما يظهر إليك بخلافهِ. واعلم أنّ ذلك إذا كان، فإنّما هو شيء من قِبَلِ الله عزّ وجلّ ألقاه في قلبك.

(قال) فما أحصِي ما عرض لي مثل ذلك ورأيتُ أنّ النظرَ والرأيَ في خلافه فتركتهما وعمِلتُ على ما وقع في قلبي، فكان في ذلك التوفيقُ وحسُنَتْ فيه العاقبةُ.

29 ــ (قال) وسمعته صلوات الله عليه يوماً وقد حضر مجلسَه جماعة من مشايخ كتامة ووُجوهِهم، وهو يُوصيهم، فقال فيما قال لهم: إنّي قد أنزَلْتُ كبارَكم منّي منازلَ الإخوةِ وصغارَكم منازل الأولاد، وأنتم في خير زمان، فاعرِفُوا
112 قدرَ النِّعَمِ عليكُم وقيسُوا أنفسَكُم اليومَ بمن مضى منكم/ بالأمس مِن قومٍ أنتم بعض

ولاء كتامة قديم باقٍ، رغم زيغ من زاغ منهم

حسناتهم لسَبْقِهِم وجهادِهم وقِدمِهم: وما أقام الله عزّ وجلّ من هذا الأمر بأسيافِهِم وأيديهم، وكانوا على الطريقة المُثلى حتّى اعترض عليهم الشيطانُ بفسادِ وَهْمٍ توهَّمُوه، وباطل ظنٍّ ظنّوه، فلم يُقَالُوا العثرةَ ولا غُفِرَت لهُمُ الزّلّةُ، وحلّ بهِمُ الهَلاَكُ على أسوإ حال. وكان ذلك هو الذي أوجبه الزمانُ والحقُّ والعدلُ والإمكان، وأرجو طُهْرًا لِمَا دَنّسُوه، وإنّ الله عزّ وجلّ لا يضيع لهم ما سبق منهم. وأنتمُ اليومَ معَنا في خير زمانٍ مع خير إمام: برٍّ بكم، عَطوفٍ عليكم، محسنٍ إليكم يُقيلكمُ العثرةَ، ويغفِرُ لكم الزَّلَّةَ ويُحسِنُ إلى مُحْسِنكم ويَتَغَمَّدُ عن مُسيئِكم.

113 فشكروا له وقبّلوا الأرضَ بين يديه وقالوا/: يا أمير المؤمنين، نحنُ عبيدُك وما فعلتَه فينا من جميل، فالله يَجزيك به، ولو شكرنَا باقِيَ أعمارنا لم نبلُغ قدرَ أقلّ إحسانِك إلينا وفضلِك علينا.

فقال عليه السلام: إذا عرفتم ذلك فقد شكرتم النعمة، وامتريتم مَزيدها إن شاء الله تعالى.

30 ـــ (قال) وسمعته يقول عليه السلام: قال لي المنصور بالله صلوات الله عليه لمّا احْتُضِر: الوصيّة عند الموت مُبْكِيَة ومحزِنةٌ ولكنّي أوصيك بوصيّة جامعة: اعمل من الأعمال ما يسرّك أن يُقْتَدَى بِكَ فيه. وصيّة المنصور للمعز

حديث في إقامة الحقّ عن المهديّ[1] صلوات الله عليه:

31 ـــ (قال) وذكرت له عليه السلام يوماً شيئاً/ بلغنا عن المهديّ بالله صلوات الله عليه: أنّ رافِعاً رفعَ إليه نصيحة ـ فيما زعم ـ فيها أنّ العامَّةَ[2] لو طُولبُوا بمذاهِبهم وأجرِيَ الحكمُ بها عليهم في تركِهم توريثَ ذوي الأرحام[3]، وردّهم كثيراً من ذلك، في قول كثير منهم، إلى بيت المال، لكان في ذلك توفيرٌ للمال من حيثُ لا يُنكِرُونه ولا يدفَعُونَه، وأنّ المهديّ صلوات الله عليه أنكرَ ذلك من قولِه واستشاط غَضَباً عليه، وأمر بطَلَبه، وقال: ما أراه أرادَ هذا بما قال إلاّ الطعنَ علينا وأن نَحْكُم بخلافِ ما أنزل الله تعالى، وإنّما أقَامَنَا اللهُ جلّ ذكره لنقيمَ دينه لعباده لا أن نتكثّرَ من دنياهم بما يأتي من غير حِلِّه! 114

الفاطميّون يورّثون ذوي الأرحام خلافاً لفقهاء إفريقيّة

(1) تأخير فاسد هنا أيضاً: حديث عن المهدي في إقامة الحق.
(2) العامة هم أهل السنة عند الشيعة.
(3) هم الأقارب الذين لم ينصّ القرآن على توريثهم، ولا يرثون بالتعصيب. «وهم بالجملة بنو البنات، وبنات الإخوة، وبنو الأخوات وبنات الأعمام، والعم، وأخو الأب للأم فقط، وبنو الإخوة للأم، والعمّات والخالات والأخوال» (بداية المجتهد لابن رشد باب الفرائض ص 333 من الجزء الثاني). وقد اختلفت المذاهب السنّيّة في توريث ذوي الأرحام: منعهم مالك والشافعي، وجوّز أبو حنيفة وأصحابه توريثهم.
ويفهم من «نصيحة» هذا الرجل إلى المهدي أن الفاطميّين طبقوا بإفريقيّة مذهبهم في توريث ذوي الأرحام، فالفقه الشيعي يعتمد على سابقة من علي إذ ورّث العمّة والخالة، وعلى فهم جعفر الصادق لعبارة «الأقربين» القرآنية بأنها تعني ذوي الأرحام فقطع بتوريثهم بحكم النصّ القرآني. وكانوا يزعمون أن الرسول (صلع) منع أن يضمّ إلى بيت المال «تركة من له عمة أو خالة» (انظر دعائم الإسلام للقاضي النعمان ج 2، فصل 5 ص 377). من ذلك غضب المهدي ـ إن صدق ـ إذ أنّ الناصح يدعوه إلى توفير مال الدولة بتطبيق أحكام الفقه المالكي على جمهور إفريقية وهم مالكيّون، مخالفاً في ذلك أحكام الفقه الجعفري. وقد فرض جوهر على القاضي السنّي أبي الطاهر الذهلي حين أقرّه على قضاء مصر «أن يحكم في المواريث بقول أهل البيت. . .» (ذيل ك. الولاة والقضاة ص 584 س 16).

115 فقال المعزّ لدين الله: صدق/ المهديّ (صلع) ونضّر الله وجهَه ورفع درجَتَه! لا والله، ما نحكُم في عبادِ الله إلاّ بما أنزلَهُ الله أحبّوا ذلك أم كرهوا، رضوا أو سخِطوا. ولا ندَعهُم أن يخالفوا حكمَ الله لأنّ الله تعبَّدَنَا بذلك، وما نَقَمُوا علينا إلاّ ذلك. ولو تركناهم وانتحالَهم واختيارَهم كما تركهم المتغلّبُون الذين لم يكن قصدُهم إلاّ نيلَ دنياهم فلم يلتفتُوا إلى شيء من إقامة الدينِ، وتركوا الأئمّة مختلفينَ فيه، لأحبّونا[1] وسلّموا لنا كما سلّموا لأولئك. ولكن أبى الله عزَّ وجلَّ لنا ذلك بما افترضه علينا من إقامة دينه وتَقديمِ عباده على نهجه
116 ومنعهم من الحكم وإظهار العمل بخلافه/ .

تطبيق هذا المبدإ زاد في كراهة أهل القيروان لهم

توقيع في السّتر على المؤمن[2]:

ينبغي أن نتجاهل المغرضينَ

32 ــ (قال) وسألني صلوات الله عليه عن أمرٍ رُفِعَ إليه في بعض الحُكّام قَرِفَ به في نفسه، فكتبتُ إليه فيه أنّ ذلك يقال عَنْهُ، ويُستفاضُ فيه ويتكلَّمُ الناس به عن غير حقيقة يُثْبَتُ بها، واللهأعلم بذلك. فوقّع إليَّ تحتَ ذلك: قد سَتَرْنا، وكذلك قال مولاك عليّ بن الحسين[3] عليه السلام: لم يعِشْ مع الناس إلاّ من جَهِلَهُمْ.

حديث في مجلس فـي الانتفاع بالنّيّة:

33 ــ (قال) وسمعته عليه السلام يقول يوماً في مجلس، وقد ذكر بعض من كان في خدمة المنصور صلوات الله عليه، والمهديّ والقائم مِن قَبْلِه عليهم

(1) في كلام المعزّ هنا، اعتراف ضمني بأنّ جمهور السنة لا يحبّ الحكم الشيعي.
(2) التوقيعات هي الأجوبة التي يكتبها الملوك والخلفاء عن رسالة أو طلب أو استشارة ترفع إليهم، وقد يكون التوقيع بمبادرة منهم. ونجد في سيرة جوذر نماذج من توقيعات القائم (ص 42) والمعز (ص 87 وما يليها). وانظر تعليق ماريوس كانار (رقم 48 ص 6) وكذلك فصل فرحات الدشراوي في مجلة «أرابيكا» Arabica، ج 8 ص 190) بعنوان:
Contribution à l'histoire des Fatimides en Ifriqiya
ففيه يظهر الفرق بين التوقيع والعهد.
ويظهر أن الخلفاء الفاطميين كانوا يستعملون عباراتٍ مخصوصة في توقيعاتهم (عبد المنعم ماجد: ظهور الخلافة الفاطمية وسقوطها، ص 13).
(3) لعله علي زين العابدين الإمام الرابـع(ت 94/713).

السلام، وكانت له/ ولاية، فقيل فيه عند المنصور (صلع)، فأعرض عنه بعض 117
الإعراض، فوقع من ذلك في غمّ عظيم وخاف له خوفاً شدِيداً، فقال المعزّ لدين الله صلوات الله عليه: فلقيني يوماً فَشَكا إليّ ما حلّ به، فقلت له: إن صدَقْتَني عن نفسك وجدتُ لك فرَجاً ومَخْرجاً.

إخلاص الأولياء للأئمّة لا ينقص لغضبٍ منهم عارضٍ

فقال: يا مولاي، وكيف لا أصدقك؟

قلت: هل غيّر هذا الإعراضُ شيئاً من نيّتك أو أحال وجهاً من وجوه ما كنتَ عليه تنطوي وتضمرُ لمولانا عليه السلام من المحبّة والإخلاص وغير ذلك من الواجب له، وما كنتَ تعتقدُه في حالة الرّضى عنك والإحسان إليك؟

/ قال: لا والله، ما حال عندي شيء من ذلك! 118

قلت: اللّهَ؟

قال: اللّه!

قلت: فطب نفساً واقرَرْ عيناً، فوالله ما نالك شيء تكرهه من قِبَلِهِ!

فكان كما قلت له: لم ير ضرراً إلى أن مات في حياة المنصور عليه السلام وهو من الخدمة على سبيل ما كان فيه ثم حفظ ولدَه له وأقامه مقامَه، وما ذاك إلاّ أنّه كان، كما ذكر، مُخلِصاً.

ثم ذكر المعزّ لدين الله عليه السلام بعض هفوات ولده هذا وأنّه تناول بعض الأولياء بما ليس فيه، فأغضى عنه صلوات الله عليه حفظاً لأبيه، وأكثرُ ما كان منه في ذلك أن جعل يتعجّب ويقول: قال فلان لفلان: أنت كذا وكذا ـ لشيء قاله له
من السبّ/ ـ ونحن نعلم من حالِهما ما نعلَمُه، وما يرمي البريءَ بالعيب إلاّ مَن 119
كان من أهل العيوب. فأنشدته البيت السائر في ذلك (وافر):

وأجْـرَأُ مَـنْ رَأيْـتَ بِظَهْـرِ غَيْـبِ على عَيْبِ الرّجالِ، ذَوُو العيوبِ[1]

(1) البيت في البيان والتبيين للجاحظ غير منسوب إلى قائل (ج 1 ص 59 من طبعة السندوبي). وفي طبعة هارون (ج 1 ص 58) نسب البيت إلى مكي بن سوادة دون إحالة إلى مرجع. وكأن الناشر استنتج هذه النسبة من اتّفاق البيت مع بيتين آخرين لهذا الشاعر في الوزن نفسه والرويّ، وهو في تمثال الأمثال للعبدريّ الشيبيّ ص 443 منسوب إلى رجل من ثقيف. وورد البيت كذلك في عيون الأخبار لابن قتيبة (طبعة دار الكتب ج 2 ص 14) غير منوب إلى قائل. وفي=

فقال عليه السلام: صدق قائله.

حديث في مسايرة في سوءِ تمييز الجهّال:

لا كرامةَ لعالمٍ في قومِهِ

34 ــ (قال) وسمعته يقول في مسايرة: إنَّا نَـأثُرُ(1) عن جدّنا عليّ عليه السلام أنّه قال: ما قرّب الله الخير قطّ من قوم إلاَّ زَهِدُوا فيه. وقال: ومن عرّفه للناس ورأوه تهاوَنُوا بعِلمه. وأكثرُ ما يكبر في صدورهم ما أتاهم عمّن لا
120 يعرُفونه. (قال) ولذلك قيل/ إنّ بعض الحكماء خرج في ابتداء أمره من بلده لطلب الحكمة، فجوّل في البلاد وأمعن في الطلب حتى لم يجد عند أحدٍ أكثرَ ممّا عنده. فانصرف إلى بلده وكان أهلُ ذلك البلد قد عرفوا طلبَه، وانتهى إليهم ما أفَادَهُ من الحِكمة وبلغَهُ من العلم، فأتَوْا إليه يسألونه الفائدةَ ويلتمسون منه الحِكمَةَ، فأغلق دونَهمْ بابَه وأبى أن يُفيدهم شيئاً. فقيل له في ذلك، فقال: ما لقيتُ حكيماً في بلد من البلدان أو عالِماً ألتمسُ منه علماً أو حكمةً إلاَّ وجدتُ
121 أهلَ ذلك البلدِ يستقِلُّونَه ويضعون منه ويفضّلونَنِي عليه، وأنا أعلم فضلَه/ عليَّ. فلستُ بناشرٍ في بَلَدِي علماً ولا حكمة أعرّضُها لزرايةِ الجُهَّال واستقلال من لا تميُّزَ له من الرجال.

وخرج إلى حيث لا يُعرَفُ فأظهَرَ ذلك فأخِذَ عنه وانتُفِعَ به في حياته ومن بعد وفاتِه.

وفي هذا حديث مرفوع: إنّ أزهدَ الناس في العالِم أهلُ بيته ثمّ جيرانُه ثمّ الأقربُ والأقرب إليه. وإنّما مثَل العالِم في القبيلة كمثَل العينِ من الماء في القَرْيَة لا يدَّخِرُ أهلُها شيئاً من ذلك الماء لأنّهم يرَوْن أنّهم متى شاؤوا أخذُوا منه، فبينما
122 هم كذلك إذ غَارَتِ العَيْنُ فحينئذ يندَمون. كذلك العالِم إذا مات/ ندِم من عرفه عل أن لم يأخُذْ عَنْه(2).

= نقد النثر المنسوب لقدامة بن جعفر ص 3 ورد بلفظ: «وأسرع ما...» غير منسوب.

(1) أثر يأثر (بضم عين المضارع وكسرها) الحديث: رواه ونقله.

(2) الحديث المرفوع هو الذي يرفع سنده إلى الرسول (صلع). وهذا الحديث ذكره النعمان في الدعائم ج 1 ص 82 عدد 167 مع اختلاف طفيف، ولعله من الأمثال السائرة إذ أورده الميداني، 1/457. وقد نقل الناشر فيضي عن إحدى النسخ التي اعتمدها، جزءاً من كلام القاضي النعمان هنا.

ثم قال: والعلماء في طلبهم العلمَ وازديادهم منه كالأغنياء يطلبون التزيّد في قليل المال وإن كان عندهم الكثير منه.

خوفُ الناس من الموت

35 ــ (قال) وسمعته عليه السلام يقول في مسايرة: جرى عند المنصور عليه السلام ذكرُ الموت وخوفُ أولياء الله وأنبيائه منه، على علمهم بما لهم عند الله من الكَرامة وأنّهم ينتقلون إلى أفضلَ ممّا كانوا عليه.

فقلت: أوَ يَكُونُ ذلك منهم؟

فقال لي: نعم! هم أشدّ خوفاً من الموت من كافّة الناس، استعظاماً لأمره وتهوّلاً له.

قلت: وكيف ذلك؟

قال: لعظمة جلال الله في/ قلوبهم وموقِعِه من صدورهم، فهم يخافونَ منه 123
ويتهيَّبُون من لقائه، وهذا ممَّا يؤثَر مثله عن عليّ بن الحسين صلوات الله عليه[1] أنه كان إذا أخذ في الوضوء للصلاة تغيّر لونه وارتعَدَتْ فرائصُه، فيقال له في ذلك فيقول: إنّي أريد الوقوف بين يدَيْ ملكٍ عظيمٍ.

حديث في مجلس في ذمّ البغي:

لقائم يقتل رجلاً بوشايةٍ كاذبةٍ

36 ــ (قال) وسمعته صلوات الله عليه يوماً ذكر بعض من كان يتّصل بالقائم صلوات الله عليه، فلعنَه، وقال: سعى برجل إلى القائم (صلع) وشهِد عليه بما
يُوجب القتل، وكان يظنُّ به الخيرَ، فأمر بِقتل الرَّجل فقُتِل/. وكان المنصور 124
(صلع) يعلَمُ براءته ممّا قد نسبَه ذلك الرجلُ إليه، فبادر إلى القائم عليه السلام فَذكَرَ ذلك له. فأرسل رسولاً مُسرِعاً ليتدارَكَه فأصابَه قد قُتِل. فاغتمَّ لذلك وأمرَنِي أن أخرجَ إلى ذلك الرجلِ الذي شهِد عليه برسَالَته وقال: قل له: إنِّي قد أخبَرَني الثِّقَةُ عندي بأنَّ الرَّجُلَ الذي قلتَ فيه ما قُلتَ بريءٌ منه.

(قال) فقلت له ذلك، فقال لي: قل له: فلا يكُنْ هذا الثقةُ عندك ثقةً بعد هذا، فقد قال غيرَ الحقّ.

(1) علي زين العابدين.

فأعلمتُ القائم صلوات الله عليه بقوله، فتغيّر لونُه لذلك واستعظَمَه
125 وامتعضَ منه، وقال: هذا/ أعظمُ ممّا جاء به أوّلاً. اخرج إليه فقل له: كيفَ قطعتَ عليه بالقول الذي قلتَه؟

فجاء بحكاية تكذّبُه فيما يشهَد به وتُثبِتُ قولَ المنصور عليه السلام، فبلّغتها عنه، فاشتدّ عضبُ القائم عليه السلام وقال فيه قولاً غليظاً[1].

وكان لذلك المقتولِ سببٌ أوجبَ قتلَه غيرَ الذي شَهِد به ذلك الرجلُ عليه. وأراد القائمُ عليه السلام أن يَقِفَهُ عليه، وأكثرَ التعجّبَ من قطع هذا بما قطعَه عليه من غير علم، ثمّ ما جاء به من الجرأةِ على وليّ الله وردّه عليه في قوله لمن أخبَرَه
126 بأنّه ثقةٌ عنده: لا يكن ثقةً عندك بعد هذا، وتجرّيْه على القطع/ بالقول بذلك في من لا يعرِفُه. فمات هذا الرجل بعد ذلك أسوأ حال ميتةٍ بعد أن ظهَرَ نِفاقُه،
عقاب هذا الواشي من الله، فيه وفي عقبه
وساءت حالَته وأظهر ولدُه من بعده ما كان عليه وقُتِل أسوأ قِتْلَةٍ وعجّلَ اللَّهُ من انتقامِه، ولم يكنِ اللَّهُ عزّ وجلّ لِيُبقِيَ من تجرّأ على أوليائِه بمثلِ ما تجرّأ به حتّى ينتقِمَ منه في الدنيا، ﴿وَلَعَذَابُ الآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَى﴾[2] كما قال الله عزّ وجلّ.

توقيع في جرأة الجهّال:

37 ــ ووقّع إليّ صلوات الله عليه ابتداءً منه[3]. يا نعمان، ما أحلم الله عزّ وجلّ عن خلقه وأعظَم إمهَالَه جلّ ذكره! ذكر لي فلان بالأمس كذا وكذا
127 وسألني كيت وكيت/. وهذا الرجلُ الذي سمّاه مشهورٌ بعَيبٍ قبيح، والذي سأله أمرٌ أرادَ أن يتوسّل به إلى ذلك من القبح، فحمله الجهلُ وفرطُ الشّهوةِ إلى أن
عقاب الله للمتطاولين على الأئمّة عقاب عاجل
تجرّأ على وليّ الله صلواتُ الله عليه بذلك، وحلُم عَنهُ. ولا أراه وقّعَ ذلك إليّ إلاّ طلباً للتفرّج فيه لِمَا ضاق به صدرُهُ، ولم يُمكنه في الواجب غيرُ التّغافلِ.

فكثُرَ تعجُّبي من حِلمه صلوات الله عليه عمَّنْ قابلَه بمثلِ ذلك ممَّن لا قدرَ له ولا خَطَرَ. ثم لم يمضِ بذلك إلا مدّةٌ يسيرةٌ حتى عمِيَ ذلكَ الرجلُ، فعلِمتُ أنّ

(1) نلاحظ أن القاضي النعمان قلما يذكر الأسماء والأماكن، فتأتي إشارته غامضة مبهمة لا يمكن استعمالها لتدقيق تاريخ الدولة الفاطمية وأحوالها.

(2) طه، 127.

(3) ابتداء منه: يكون التوقيع أيضاً بمبادرة من الإمام إلى أوليائه (انظر ص 89 تنبيه 1).

الله عزّ وجلّ لا يدَعُ له مثلَ تلك الجراةِ حتّى يبتلِيَهُ بمثل ما ابتلاه به. فنظرتُ إليه
128 وقد خرج المعزّ صلوات/ الله عليه وقد أتِيَ به إليه يُقاد، فقال لي عليه السلام: لو
كان من أعمَى الله قلبَه أعمى هكذا بَصَرَه لكان ذلك من تعجيلِ العقوبة، وعقوبةُ الآخرةِ أخزى وأشدُّ.

حديث في الصبر عند المصائب:

منع البكاء على الأئمة

38 ـ (قال) وسمعتُه صلوات الله عليه يقول في مسايرة: لمّا احتُضِرَ المنصور عليه السلام وقرُب منه من أمر الله ما قرُب، أغمِي عليه، فرأيتُ منه منظراً لم أتمالَك له أن بَكَيْتُ. فأفاقَ وأنا أبكي فقال: آها، مالَكَ؟ ألَمْ أنهَكَ عن البُكاء؟

قلت: وكيف يحسُنِ الصبرِ بمن يراك على هذه الحال يا مولاي؟

129 فقال لي: ما جازيتني جزائي: أنا أسَرُّ لك/ وأفرَحُ بما يصيرُ لك بعدي من
عاجلِ الدنيا، ويسوءُك أنتَ وتحزَن بما أصير إليه من نعيم الآخرة؟ لا تعُدْ إلى هذا، ولا تستقبِلْ ما خوَّلَكَ الله من دولتِك بالحُزن والبكاءِ! بل فافرَح بما آتاك الله من دُنياك وما أصارَني إليه وأعطانِيهِ في آخرتي!

ففعل (صلع) ما أوصى به، فلم يُلْطَمْ عليه خدّ ولم يُشَقَّ عليه جَيْبٌ. وبذلك أوصى المنصورُ عليه السلام. كما جاء أنّ جدَّه جعفر بن محمد (صلع) أوصى به كذلك: لا يُناحُ عليه، ولا يُبكى عليه ولا يُلطم عليه خدٌّ ولا يُشقُّ عليه جَيْب ولا
130 يُسَوَّدُ عليه ثوبٌ[1]، وذلك تواضع لله منهما وإن كانت الرخصة/ قد جاءت في
النَّوْحِ والبُكَاء على الأئمّةِ ومن يكرُمُ عليهم لعِظم رُزْءِهِمْ وجليلِ مُصَابهم.

فقد جاء عن رسول الله ﷺ أنّه سمع نساء الأنصار يبكِينَ قتلى أُحُد، فقال:

(1) هذا النص المهمّ في النهي عن البكاء والنوح عند وفاة الأئمة نقله ناشرا سيرة الأستاذ جوذر في التعليقات (ص 182 تعليق 108). وقد أفاض في هذا الموضوع ماريوس كانار في ترجمته للسيرة (ص 151 تعليق 340)، ذاكراً مراجع كثيرة سنية وشيعية منها القاضي النعمان نفسه في دعائم الإسلام (كتاب الجنائز باب التعازي والصبر وما رخّص فيه من البكاء، ص 230 ج 2).
وقد عاد النعمان إلى الموضوع في تأويل الدعائم ج 2، ص 44 ـ 45، وانظر: المجالس ص 493وما بعدها.

عادة بواكي المدينة في البكاء على حمزة أوّلاً

لكنّ حمزةَ بينُهم لا بواكيَ له(1)، فبلغ ذلك نساءَ الأنصارِ فأتَيْن بأجمعِهِنّ إلى دار حمزة فجعلْنَ يندُبنَه ويبكين عليه، فقال: ما هذا؟ فأخبر بما بلغَهُنَّ عنه، وأنّهُنّ لذلك فَعَلْنَ ما فَعَلْنَ، فأثنى عليهِنّ خيراً، فصارتْ إلى اليوم سنَّةً بالمدينة: لا تندُبُ نادِبةٌ مَيّتَها حتّى تَندُبَ حمزَة عليه السلام قبلَه.

البكـــاء على الحسين. . .

131 ونيح على الحسين صلوات الله عليه/ سَنة كلّ يوم(2)، وثلاثَ سنينَ في اليوم الذي أصيب فيه، فَعَلَ ذلك نساءُ بني عبد المطّلب بحضرة عليّ بن الحسين صلوات الله عليه. وكان من بَقِيَ من الصحابة والتابعين يأتُون إلى مأتم النّساء فيستمعُون إليهنّ ويبكُونَ.

. . . وعلى المهديّ

ونيح وبكِيَ على المهدِيّ بالله عليه السلام مدّةً من أيّام القائم عليه السلام. وكثيرٌ منَ الأئمّة لم يُبْكَ ولا نيحَ عليهم.

وجاء النهي عن النَّوْح عن رسول الله ﷺ، وعن الأئمّة من ذرِّيتِه عليهم السلام، بِقولٍ مجمَل يدلّ على أنّ النَّهْـيَ إنَّما جاء في ذلك لسائر النّاس ورُخِّصَ

132 فيه عليهِم وعلى نُقَبَائِهم ومن حلَّ بمثلِ/ محلِّهم ومحلّ حمزة رضوان الله عليه منهم، وأنّ ذلك ليس بفرضٍ واجبٍ، لَتَرْكَ من تَرَكَهُ منهم، ووصيَّة من أوصى بتركه.

رمز بالحكمة وما يجب من ذلك:

الحكمةُ لا تُعطى إلاّ للقـــادر على فهمِهَا

39 ــ (قال) وسمعتُه صلوات الله عليه يوماً رمَز بالحكمة رمزاً خَفيًّا في مجلس جلس فيه جماعة من أوليائِه. ففهمتُ عنه (صلع) ما أشار إليه، ولم أرَ على من حضَر دليلاً من الفهم، وأحبَبْتُ أن لو قد فهِموا ذلك. فذكرتُ ذلك له سِرًّا في مجلس آخرَ، فقال: إنّا لو كشَفْنَا كلَّ شيءٍ لكم وأوضَحْنَاه لسائرِكم لبَطَلَ التفضيل بينكم، ولنَالَ الفضلَ مستحقّه وغيرُ مستحقّه. ولكنَّا نريدُ أن يَصل

---

(1) ابن ماجه 507/1 (رقم 1591) مع نهي عن البكاء في آخره. وابن حنبل 98/7 (رقم 4984).

(2) أي كلّ يوم طيلة سنة، ثم في يوم ذكرى مقتله (10 محرم) ثلاث سنوات. ومعلوم أن الحداد عند العرب لا يتجاوز العام، قال لبيد: «ومن بيك حولاً كاملاً فقد اعتذر».

الفضلُ/ إلى مستحقِّه ويمرَّ القولُ صفحاً على سَمْعِ غيرِ المستَحِق. 133

ثُـمَّ ذَكَرَ بعضَ الدُّعَاةِ فقال: أهْلَكُوا بمثلِ هذا أمماً ممّن حَمَّلوه فوق حَمْلِهِ وأعطَوْه فوق استحقاقِه ولم يتحفّظُوا مثل هذا التَّحَفُّظِ، ولو أنزلوا الناس على مراتِبِهم وطبقاتِهم واستحقاقِهم، لسلِمُوا وسلِمَ النّاسُ من سوء فعلهم[1].

حديث في فضل المنصور صلوات الله عليه:

المنصور ينعى نفسه ببيت لبيد

40 ــ (قال) وقلّبت يوماً وأنا بين يديه صلوات الله عليه كتباً، وتصفّح كتاباً منها فأدام النظر فيه، ثمّ استعبر وقد نظر إلى شيء في عرض الكتاب، ثمّ قال عليه السلام: نظرت في هذا الكتاب، وهو بخطّ المنصور عليه السلام/ 134 فرأيتُه قصّر فيه وحال عن جودة خطّه المعروف، فلم أدرِ لِمَ كان ذلك، حتّى رأيتُ هذا البيت في عرضه، وهو بيت تمثّل به صلوات الله عليه، وهو قول لبيد (طويل):

بلِينَا وَمَا تَبْلَى النُّجُومُ الطَّوَالِعُ وَتبقى الجبالُ بعدنَا وَالمَصَانعُ[2]

ثم قال المعزّ عليه السلام: هذا النعي الذي نعى به نفسه عليه السلام أحالَ خطَّهُ، وأظُنُّ ذلك كان في عِلَّته. ثم قال: وإلى هذا والله المصيرُ.

حديث فيما ينكره الجهّال:

الأئمة موحّدون

41 ــ (قال) وسمعته عليه السلام يقول: والله ما نقَم الناس منّا إلاّ أنّا وحّدنا الله عزّ وجلّ حقَّ توحيده[3] ونفَيْنا عنه سبحانه ما لا يليقُ به/ . 135

---

(1) في وجوب كتمان العلم على غير المستعدّين لحمله يقول ابن هانيء شاعر المعز (القصيدة 91 البيت 179 من طبعتنا).

«إذا كانت الألباب يقصر شأوها فظلم لسرّ الله إن لم يكتم»

(2) طالع مرثية لبيد لأخيه أربد. انظره في الديوان ص 88 طبعة صادر 1966. وانظر ع 503.

(3) مسألة التوحيد من أهمّ المبادىء الإسماعيلية، وقد يشبه قولهم فيها ما ذهب إليه المعتزلة ولا يكاد يخلو كتاب من ذكر التوحيد بل إن التوحيد أوّل مسألة يفتتح بها كل كتاب.

ورأي الإسماعيلية في هذه المسألة معقّد. فعندهم أن الله لا ينال بصفة من الصفات، وأنه ليس بجسم ولا في جسم، ولا يعقل ذاته عاقل ولا يحس به محس وليس بصورة ولا مادة ولا=

حديث في سوء التوجيه والكذب على أولياء الله:

42 ــ (قال) وسمعته (صلع) ذكر بعض الدعاة فلعنه، وقال: أباح المحارمَ وقال لبعض من قِبِل[1] عنه: إنَّ ترك المعاصي سوءُ ظنّ بالله عزّ وجلّ أنّه لا يغفِر الذنوبَ. ثم قال المعزّ عليه السلام: أَفَأُبقِي هؤلاءِ الفسقَةَ في الشناعة علينا والصدّ عنّا وهم يقولون مثلَ هذا القول القبيح، وينسبون أنفسَهم إلينا؟ ونحن نبرأ إلى الله عزّ وجلّ من هؤلاء ونتقرّب إليه بلَعنهم والبراءة منهم. زيغ بعض الدعاة

قول فيه تقريع وحضّ على الخير:

43 ــ (قال) وسمعته عليه السلام يقول لقوم طلبوا إليه نَيْلَ رحمة الله على
136 يديه وألحّوا في ذلك عليه، فقال عليه السلام لهم قولاً أبان فيه/ تخلُّفَهم عن درجة ما طلبوه فقالوا: يتفضَّلُ علينا مولانا بالعفو ويتلافانا بالرّحمة.

لا يُؤْتمن الخائن ما لم تصحّ توبته

فقال: أرأيتُمْ لو أنّ سارقاً سرق مالاً من أموالكم فاطّلعتُّم بذلك عليه فصفَحْتُم وغفَرْتُم عَنْه، أكان ينبغي لكم أن تأتوني به فتُرَشِّحوه عندي لأمانةٍ فآمَنُه عليها؟

قالوا: لا.

= معه فيما هو هو ما يجري مـ مجرى مادة يفعل فيها، وليس له ضد ولا مثل ولا يوجد في اللغات ما يمكن الإعراب عنه بما يليق به. وإن أصدق قول في التوحيد والتنزيه والتجريد ما يكون من قبيل نفي الصفات الموجودة في الموجودات وسلبها عنه، وهذا تصديق لقوله تعالى: «ليس كمثله شيء». أما الأسماء التي وردت في القرآن فهم يطلقونها على أول موجود وهو المسمى عندهم بالمبدع الأول والسابق والقلم، وهو العقل الكلي، وفي ذلك يقول المؤيد: «إن ألفاظ القرآن وردت في توحيد الله وتكبيره وتمجيده على صفات تحتمل المشاركة فيها والمضادة، من قول القائل: إنه حي وعالم وقادر وسميع وبصير. وهذه النعوت كلها نعوت خلق الله الذي خلقه، ولا يستحق أن تكون نعتاً له سبحانه لأنا إذا قلنا إنه حي أوجبنا مشاركة الأحياء له في الحياة، وهذه شركة له، ثم إن ضد الحياة هو الموت وذلك مضادة، وعلى هذه السبيل مجرى النعوت التي أوردناها، من العالم والقادر. فالدائن بذلك مشرك الشرك الخفي». (المجالس المؤيدية، المجلس 79 من المائة الرابعة).

انظر هذه المسألة مفصلة في كتاب راحة للعقل للكرماني: السور الثاني ص 37 ــ 56. والينابيع للسجستاني ص 15 وما بعدها. والمجالس المؤيدية الرابعة م 79 وما بعده.

(1) كذا بالأصل، وهي قراءة صالحة. وقد تكون: نقل عنه.

قال: فكذلك مَن علمتُ أنا منه ما أكرَه، لم يَنبغِ لي إنْ عفوتُ عنه أن نُورِدَه على الله عزّ وجلّ حتّى نرى أنّه يستحقّ ذلك. فحسِّنوا أحوالكم، وزكُّوا أنفسَكم بأعمالكم، وطهّروها من الدَّنَس، وأطْلِقُوها عن اللَّبس، تستحقُّوا ما تَسْأَلُون إن شاء الله تعالى.

حديث في الشفاعة:

44 ـــ (قال) وسمعت الإمام المعزّ لدين الله صلوات الله عليه يوماً يوصي جماعة/ من أوليائه في بعض مجالسه لهم وَيُعَاتِبُهم على التقصير بأنفسهم عمّا 137
يُستَحَقّ به شرفُ الدين. ثمّ إنّه عليه السلام قال لهم بعقب ذلك: إنَّما نحبُّ لكم أن تنزِلوا منازلَ الكرامة بأعمالكُمُ الزكيَّةِ وأفعالِكُمُ الرضيَّةِ. فأمَّا استنقاذُكم من الهُلكَة ما اعتقدتُم ولايَتَنَا، فنحن لكم لذلك إن شاء الله تعالى. سمعت المنصور بالله (صلع) يقول: إذا لَمْ أدخِلْ يدي ها هنا ـ وأومأ إلى إبطِه ـ في خلاص من ظَلم نفسَه ممّن تولاّني، فبماذا أستحقُّ الفضلَ؟

الأئمة يحضّون الأولياء على العمل الصالح

وهذا يشبه قول جعفر الصادق صلوات الله عليه لبعض أوليائه: أعِينُونَا على ما نُريده من الخير بالأعمالِ الصّالحة! والله إنّكُم/ كلّكم لفي الجنّة ولكن ما 138
أقبحَ بالرّجلِ منكم أن يكونَ فيها مع قومٍ نزلُوها بصالح أعمالِهم، وهو فيها بينهم مكشوفُ السّترِ بادي العَوْرَةِ بما سلف من زَلاَّته، معروفٌ بذلك، وإن غُفِرَتْ لَهُ.

حديث في قلّة الثقات:

45 ـــ (قال) وسمعته عليه السلام يوماً يقول: لو وجدتُ عشَرة على ما أحبّ، لبلغتُ بهم ما أريد.

المعزّ لا يجد أولياء ثقات بالرغم من اتّساع مُلكه

فقلت: أفلَمْ يعلَمْ أمير المؤمنين عليه السلام أنّ ذلك لم يكمل لرسول الله (صلع) ولا لوصيّه عليّ (صلع)، ولا وَجَدَاهُ؟

فقال: هو كذلك، ولكنّي رجوت أن أبلغ من ذلك ما لم يبلغاه وأجدَ ما لم يجداه، لأنّ الله عزّ وجلّ بحمده قد مكّنني وجمع عندي/ من الدنيا والآخرة ما لم 139
يجمعه لمن تقدّم من سَلَفِي.

فقلت: يبلّغُ الله مولانا أمَلَه وسُؤْلَه إن شاء الله تعالى.

فقال: ما شاء الله تعالى.

رمز في [مجلس فيه][1] مثله:

إذا كان لليتيم وصيٌّ فليس بيتيم

46 ـ (قال) وسمعته صلوات الله عليه يقول: اليتيم من لا وصيّ له، فأمّا إذا كان له وصيٌّ فهو يقوم مقامَ الأب وليس يقال له حينئذ يتيم.

وهذا فيه رمز يفهمه من مُنحَ الفهم. فأمّا ظاهر قول الله عزّ وجلّ ﴿وَابْتَلُوا الْيَتَامَى حَتَّى إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ الآية﴾[2] فإنَّهُ يقعُ على من عليه وصيّ وعلى من ليس له وصيّ، ممَّنْ مات أبوه وخلّفه طفلاً.

رمز أيضاً في مجلس:

140 47 ـ (قال) وسمعته صلوات الله عليه يقول: سمعت المنصور صلوات/ الله عليه يقول: حضرت مائدة المهديّ عليه السلام، ومعي من وَلَده وولدِ ولَدِه من ولَدِه[3] القائمِ أبي، صبيانٌ جماعة، وجاريةٌ واقفة بالماء على المائدة. فقالت لأحدِهِم: أتريدُ الماء؟

قال: لا.

لا يُرَدُّ الماء على مَن عَرَضَهُ

فغضب المهديّ (صلع) لذلك غضباً شديداً، وقال: لولا حرمةُ الطعام لعاقبتُكُم جميعاً عقوبةً شديدة! وقال للجارية: ما حملك على أن تَعرِضي الماء عليه ولم يَسْتَسْقِكِ؟ وقال للصبيّ: وما عليك أن تشربَ شيئاً وإن لم يكن لك حاجةٌ؟ الماء أكرَمُ وأشرَفُ من أن يُعرض على من لم يسألْه وأن يعرَضَ على أحدٍ فَيَرُدَّه.

141 قال المنصور بالله/ عليه السلام: فلم أعلَمْ معنى ذلك يومئذ لمَا كنت عليه من الحداثة وصِغَرِ السّنّ.

---

(1) س 85.

(2) النساء، 6.

(3) في تكرار عبارة «ولده» غموض. ونفهم أن الصبيان فيهم أولاد المهدي وأحفاده من ابنه القائم دون أن يكونوا أشقاء للمنصور.

وهذا أيضاً فيه رمز أولياء الله، فظاهره قائم بنفسه قويّ الدّلالة.

كلام في فضل المؤمن:

المسجد معظَّمٌ ولكنَّ المؤمنَ أعظم منه

48 ـ (قال) وسمعت المعزّ لدين الله صلوات الله عليه يذكر فضل المسجِدِ وما ينبغي من توقيره، وذلك بعقِب كلامٍ عن رجلٍ ذكر له أنّه كان فيما مضى من الزمان دَخَلَ المسجِدَ راكباً على دابته. فقبّح فعلَه واستعظَمَ ما جاء منه وذكر ما ينبغي من تعظيم المسجدِ وفضله. ثمّ قال: والمؤمنُ أفضلُ منه وأشرفُ حالاً.

وهذا يشبه قول جدّه محمد رسول الله ﷺ لمّا نظر إلى الكعبة/ البيت 142
الحرام فقال: والله إنّكِ لعظيمة عندَ الله وإنّي لأعْلَمُ من هو أعظم منك عندَه. فقيل: ومن ذلك يا رسول الله؟ قال: المؤمنُ، لأنّ الله عزّ وجلّ حرّم مالَه وعِرضَه وأن يُظَنَّ به سُوءٌ[1].

وصيّة موجزة:

شروط الفوز بولاء الأئمّة

49 ـ (قال) وسألَه ﷺ بعْض الأولياء فقال: يا مولانا، علِّمْنا عمَلاً يكون لنا به الفَوْزُ عندَ الله وعندك.

فقال عليه السلام: والله ما بذلك من خفاء لنظر أحدكم: ما أحبّه واستحسنه لنفسه ولوَلدَه، فلْيفعَله لنا، فبذلك يفوز عند الله عزّ وجلّ وعندَنا.

حديث في فضل الأئمّة صلوات الله عليهم جرى في مجلس:

143
50 ـ (قال) وسمعتُه ﷺ/ يقول: من سعِد منكم فإنّما سَعِدَ بنا.

الأئمّة هم أبوابُ السعادة

وهذا قول موجز يقتضي كلاماً كثيراً:

منه أنّ السعادةَ من الله عزّ وجلّ لعباده إنّما أجراها على أيدي أوليائه، فبِهِم سعِد من سعِد.

ومنه أنَّ السعادة لا تكون إلاّ لمَن عرفَهُم ودان بإمامَتِهم فلولاهم لم يسعَدِ السعيدُ.

(1) ابن ماجه، 2/1297 (رقم 3932).

ومنها أنّ من سعِد فإنَّما سعد بما أنالوه. ويتصرّفُ ذلك كذلك على وجوه كثيرة.

حديث في مجلس، فيه أدب ووصيّة:

سوء عاقبة الجلوس إلى غير الأئمة

51 ــ (قال) وحضرتُ يوماً مجلسَه صلوات الله عليه، وعنده جماعة من وجوه الأولياء، فذُكِر لأحدِهم سعايةٌ سَعَى به فيها إلى المنصور صلوات الله عليه بعض رجاله
144 ممّن كان يختلف/ إلى محلّه ويغشَى مجلسَه كاد أن يُحِلّ به فيه المكروهَ، وذكر قولَ الذي سعى به ومَا نُسِب منه إليه. فحلَف الرجلُ بالله وبما أكّد اليمينَ به ما كان كما قال القائل، ووصف القصّةَ والكلامَ كيف كان، وكيف حرَّفَ الساعي به القولَ عليه. فقال بعضُ من حضر من الأولياء: يستحقّ هذا وأكثرَ منه. وهذا جزاء من ترك قصر مولاه وعمَّر مجالسَ الناس وسعى إليهم واختلفَ إلى أبوابهم.

فقال المعزّ عليه السلام: نعَم، هذا جزاؤه وأَشَدُّ منه، والله ما أحوجنَاكم إلى غيرِنا ولا جعَلْنا عليكم يداً غير أيدِينا ولا اضْطَرَرْنَاكُم إلى اتّخاذِ وليجة[1]
145 دونَنا وما/ أرَدْنا بذلك إلاّ إعزازَكم وإكرَامَكم، ولئَلاّ ينالَ مثلُ هذا منكم، فأبَيْتُم إلاّ وضعَ أنفسكم وانتقاصها. فمَن رغِب عمّا ارتضَيْنَاه له واخْتار خلافَه لنفسه فلم يُلَمْ في مكروه، إن نزل به من أجل ذلك غيْره. قد كفاكمُ الله عنْدنا ما كان يتوقَّعُه من مضى قبلَكُم عند غيرِنا من أذًى قريب أو بعيد. والله مَا يضرُّ أحَداً عندنا إلاّ نفســه ولا يضعُه إلاّ ذنبُه ولا يرفعُه إلاّ عملُه. تحرَّوْا رضانا ولا تبالُوا من يسخَط: فوالله ما يُرضينا إلاّ ما يُرضي الله عنكم ولا ترَوْنَ أحداً ينفعُكُم ولا يضرُّكم غيرنا،
146 لا يرجو أحدٌ منكم غيرَ فضلنا عندَنا بحُسنِ نيّتِه وعمَلِه ولا يخافُ إلاّ ما جناه/ على نفسه.

وهذا القول يشبه قولَ جدّه عليّ عليه السلام: أربعةٌ لو شُدَّتِ المطايا إلَيْهِنَّ حتّى يُنْضَيْنَ كان قليلاً: لاَ يخاف أحدٌ إلاّ ذنبَه، ولا يرجو إلاّ ربَّه، ولا يستحيِي الجاهل أن يتعلَّم ولا العالِم إذا سئل عمّا لا يعلَم أن يقول: لا أعلمُ[2].

(1) الوليجة: البطانة وخاصة الخلطاء.
(2) نهج البلاغة ج 2ص 324 عدد 79، مع اختلاف في المتن.

الجـزء الرابـع

حديث جرى في مجلس في ذكر رؤيا رآهـا المنصور صلوات الله عليه:

52 ــ قال القاضي النعمان: كنت جالساً بين يدي المعزّ صلوات الله عليه، فذكر أمر الفتنة وما كان من عظيم المحنة فيها، وما حلّ بالناس في ذلك وما كشفه الله عنهم جل وعزّ بالمنصور (صلع) من ذلك واستنقذَهم/ على يديه 147
منه. فقال عليه السلام: لقد أخبرَنا المنصور عليه السلام قبل ذلك برؤيا رآهـا ما غادَرَتْ شيئاً كان في ذلك. قال: رأيتُ آتياً أتاني وفي يده ورَق كبير فنشَرَهُ بين يديَّ وقال لي: انظر إلى هذا، فنظرتُ، فإذا فيه دوائرُ كثيرةٌ، فقلت: قد رأيتُ هذه الدوائرَ فما هي؟ قال: هذه مملكَتُكُمْ. فجعلتُ أنظرُ إليها، فإنِّي لأنظرُ كذلك إذ نظرتُ إلى سوادٍ غشِيِ بعضَها وجعل يمتدُّ فيها ذلك السوادُ ويَغْشَى منها شيئاً بعد شيء حتّى ستَرَهَا كلَّها غيرَ واحدة كانت أقرَبَهُنَّ إليَّ، فارتَعَبْتُ لذلك وقلت: إذا كانت هذه مملكتنا وقد غشيها هذا/ السواد فما ذلك 148
لخير. فقال لي ذلك الرجل: ضع أصْبَعَك على ما غشَّاهُ هذا السوادُ منها أوّلاً فأوَلاً، ففعلتُ، فما وضعتُ أصْبَعِي على شيء منها إلاّ انجلى عنه ذلك السوادُ وعادت على حسَب ما كانت، حتّى أتيتُ عليها كلَّها، وذهب ذلك السواد عن جميعها. ثمّ انتَبَهْتُ.

المنصور يـرى في منامه فتنة أبي يزيد وانفراجَ الشدّة على يدَيْهِ.

(قال) فكذلك كان الأمر: لم يطأ المنصور عليه السلام أرضـاً في طلبَ اللعين مخلد[1] وأصحابِه إلاّ أخرجَهُم منها فلم يعودُوا بعد ذلك إليها، ثمّ أمكن الله من الفاسقِ وطهّر الأرضَ من رجسِه.

---

(1) أبو يزيد صاحب الحمار مخلد بن كيداد.

حديث في مجلس في ذكر ذي الفَقَارِ سيفِ رسول الله ﷺ:

149 53 ـ (قال) وجلست/ يوماً بين يديه مع جماعة من أوليائه فَذَكَر ذا الفقار سيفَ رسول الله (صلع) ثم أمر بإخراجه إلينا، فنظرتُ إليه فإذا هو حديدٌ كلُّه قطعةٌ واحدة، قائمُه وبدَنُه، يكون طوله قدْرَ ثلاثة أشبار فيما قدّرتُه، وعُرضُه أقلّ من عُرض ثلاثة أصابعَ، وعُرضُه ممّا يلي قائمَه أقلُّ قليلاً من عُرض مضربه، وذُبابُه حديدٌ كحديد الرُّمح، يصلُح للضرب والطّعن، وله شفرتَان، وفي وسطه عَمُودٌ، وخَفِيَ[1].

السيف ذو الفقار عند المعزّ.

قال المعزّ عليه السلام: كان بنو العباس قد غلبونا عليه فردَّه اللهُ إلينا، وذلك أنّه لمّا قُتل جعفر المُتَسَمِّي بالمقتدر[2] وانتُهِب قصره، كان فيمن شهِد ذلك
150 بعضُ أوليائنا، /فنظرَ إلى امرأة من حرَم جعفر وقد كُشِفَت وهي تقول: ألا رجلٌ حرٌّ يستُرُني حتّى يوصِلَنِي إلى مكان كذا وكذا؟ فرقَّ لها ذلك الرجل وسَتَرها، وقال لها: سِيري بين يديَّ أبَلِّغْك، فقالت: والله ما عندي ما أجْزِيكَ به، ولكن ادخلْ هذا البيتَ، ففيه صندوق ـ وأرَتْهُ مكانَه ـ فيه ذو الفقار سيف رسول الله ﷺ. فأخذَه ومضى بها إلى حيث سألَته. وأصاره الله إلينا بحمده ونعمته.

انتقـالـه إلى الفاطميّن.

ثمّ قال المعزّ عليه السلام: سمعت المنصور عليه السلام وقدّسَ روحَه يقول، وكان قد تقلّده عند خروجه لقتال مخلد اللعين، ولم يكُن يفارقُه: ما
151 ضاق/ عليَّ أمرٌ في موقفِ من مواقفِ القتالِ فانتضَيْتُه إلاّ انهزَم العدوُّ من بين يديَّ حين انتضيتُه. فقال جماعة ممّن حضرَ المجلِس ممّن كان شهِد مع المنصور عليه السلام: والله لقد رأيناه يوم الخصوص[3] وكان يوماً شديداً، وقد أخذ العدوُّ علينا

مناقب ذي الفقار.

(1) أي: وقد خفي. ولعله يعني: انطمس هذا العمود بطول الاستعمال.

(2) المقتدر هو الثاني عشر من خلفاء بني العبّاس، خرج لقتال مؤنس «لابساً بردة النبيّ ومتقلّداً ذا الفقار سنة 320/932». انظر: غريب 176. والكامل 6/220 ومتز 1/255. والوفيات 6/330.

(3) يوم الخصوص: اسم وقعة من وقائع الفتنة في آخر أيامها، ولم يذكر عند المؤرخين بهذا الاسم. وقد دارت في جبال كيانة شمالي الزاب حيث اعتصم أبو يزيد في آخر أيامه. يقول ابن حماد:

«ورحل وراءه المنصور إسماعيل يوم الجمعة غرة رمضان سنة 335 هـ فنزل بموضع =

مضايقَ الجبال/ التي /أحاطت بنا وأحدَقُوا بنا من كلّ جانب، وهو بيننا ﷺ يقدُمنا وهذا السيفُ في يده قد انتضاه، فإذا رفع يدَه به وحمل على ناحيةٍ من نواحي العدوّ انهزموا بين يديه كأنّما غشيتْهم صاعقةٌ من السماء، ولم يصل إليهم حتّى فرّجها(1).

= يعرف بالناظور ـ وهو موضع معروف بأروسن من جنات القلعة ـ محاصراً لأبي يزيد، ثم صعد يوم السبت الثاني من رمضان إلى جبل كيانه وصعد في وعر بين صخور ومشى فيها راجلاً في أماكن كثيرة، فكانت بينه وبين أبي يزيد وقعة عظيمة تعرف بوقعة الحريق، وأحرق فيها إسماعيل أخصاصاً كثيرة لأصحاب أبي يزيد» (أخبار ملوك بني عبيد، 31 ـ والترجمة الفرنسية 51 الحاشية 1 ففيها محاولة لتعريف الموقع). ويقول المقريزي في ك. المقفى 2/142:

«. . . ورحل المنصور من المسيلة في يوم الجمعة غرة شهر رمضان (سنة 335) حتى نزل على ستّة أميال من أبي يزيد، وركب في يوم السبت بعساكره فسلك طريقاً صعبة في جبال شامخة وأودية ضيقة وترجّل عن دابّته في بعض تلك الأوعار ومشى راجلاً نحو ثلاثمائة خطوة، ثم ركب وسار حتى أشرف على أخبية أبي يزيد وخصوصه، وهو يرتّب الناس للقتال في ذلك الوعر، ويأمرهم بتقوى الله والإمضاء على أعداء الله وينهاهم عن النهب.

وانتشب القتال فكانت بينهم حرب شديدة، وقصد المنصور أبا يزيد بنفسه فلما رآه ولّى منهزماً على عادته، وأسلم أخبيته وخصوصه، فأمر المنصور بإلقاء النار فيها. . .».

ويذكر الحميَري في الروض المعطار، ص 504، أن جبل كيانة بمقربة من المسيلة في البلاد الإفريقية، وهي جبال شاهقة ضيقة المسالك لا يستطاع الوصول إلى من فيها.

والخُص بالضم جمع أخصاص وخصوص: البيت من القصب أو الشجر.

(1) للسيف ذي الفقار شأن كبير عند الشيعة. يقول ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة 1/9: وسمّوا عليّا سيّدَ الفتيان، وعضدوا مذهبهم بالبيت المشهور المرْويّ أنّه سُمع من السماءِ يوم أُحُد:

«لا سيـــف إلاّ ذو الفقـــا ر ولا فتـــى إلاّ علـــي»

وربما نقشوا هذا البيت على حديد السيوف تيمّناً بسيف الرسول (صلع). هذا وقد أشاد ابن هانيء كثيراً بهذا السيف (القصيدة 78 بيت 74):

«سمّاه جدك ذا الفقار وإنما سماه من عاديتَ، عزرائيلا»

ونستشف شيئاً من «كرامة» ذي الفقار في هذا العرض لإحدى الوقائع التي دارت بين المنصور وأبي يزيد حول القيروان سنة 335:

«. . . فأقبل أبو يزيد في جماعة يريد المنصور، فحمل عليهم المنصور مشهراً سيفه ذا الفقار، وأراد الصقلبي أن يلقي المظلة عن رأسه ليخفيَ موضعَه، فزجره ونهره وقال: لا تجزع، فإن لله وعداً لا يخلفه. وأقبل نحو أبي يزيد حتى كاد أن يضع سيفه في رأسه. =

حديث في مجلس في لعن بني أميّة:

152 54 ــ (قال) وسمعته/ صلوات الله عليه يقول: ذكر لي هذا الرسول القادمُ من بني أميّة يسأل السلم في بعض ما ذكر عن عبد الرحمان اللّعين[1] أنّه قال يَعنينا: كيف جاز له أن يلعَنَنَا ونحنُ مسلمون؟ فإنْ كان آباؤنا قد لعَنَهُم رسولُ الله ﷺ كما قال، فما ذنبُنَا نحنُ؟ وما الذي أوجبَ لَعْنَنَا؟

رسـول مـن عبـد الرحمان الناصر إلى المعـزّ يطلـب الصلح

ثمّ قال المعزّ صلوات الله عليه: أفسمِعتُم أجهلَ من هذا الشقيّ؟ كأنّه لم يسمع قول الله عزّ وجلّ: ﴿أَلاَ لَعْنَةُ الله عَلَى الظَّالِمِينَ﴾[2] وهو أحدُهم؟ وقوله: ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنكُمْ فَإِنَّهُ مِنهُمْ﴾[3]. وهو يتولّى ـ لا يدفَعُ ذلك ـ جدَّيْه طريدَيْ رسول الله (صلع) ولَعِينَيْه[4]، وقول الله عزّ وجلّ: ﴿وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي
153 الْقُرْآنِ﴾[5]، و [قول] أئمّته في الدين الذين يَروي عنهُم ويأخُذُ/ بقَوْلِهِم أنّ الشجرةَ ههنا بنو أميّة، والشجرة لا يقع عليها اسم شجرة إلاّ مع أغصانها وفروعها ولا يسمّى الأصل وحدَه شجرةً. وقول عليّ بن أبي طالب (صلع) يشدّ هذا القول، ولم يقله إلاّ عن رسول الله ﷺ، أنّه قال: مَا مِنْ قوم إلاّ وفيهم نجيب أو ناج خلا بني أميّة فإنّه لا يكون منهم نجيب ولا ناج[6].

بنـو اميّـة شجـرةٌ ملعونةُ الأصول والفروع.

55 ــ (قال) وجلس يوماً عليه السلام وجلسنا جماعة من الأولِياءِ بين يديه، فحدّثَنا وأفادَنا فوائدَ من العلم والحكمة شكَرْنـا له عليها وقبّلْنا الأرضَ بينَ يديه لمّا سَمِعْنَاها منه.

= وألقى الله الرعب في قلب أبي يزيد فولّى هارباً مع أصحابه...» (المقريزي: ك. المقفى 133/2).

(1) يعني عبد الرحمن الناصر.

(2) هود، 18.

(3) المائدة، 51.

(4) اللعينان ـ واللعن هو الطرد ـ هما الطريدان اللذان نفاهما الرسول (صلع) عن المدينة: الحكم بن أبي العاص وابنه مروان بن الحكم، جد بني مروان. وسيعود القاضي النعمان إلى اللعينين في ص 258 ف 144.

(5) الإسراء، 60. وانظر كتاب المعتضد العبّاسي بلعْن بني أميّة على المنابر في الكامل 484/7 تحت سنة 284.

(6) حديث بني أمية: لم تذكره المصادر الستّة، ولعله حكم من علي كما تشعر به عبارة النعمان.

فقال: إنّي لأحبُّ أن تراجعُوني فيما تسمعُون، وتذكرون من ذلك ما تشكوّن فيه/ ويشكل عليكم فأوضّحهُ لكم، ولا تأخذ[وا] ذلك على التسليم 154 وتتلقَّوْه بالقَبُول، وأنتم ترَوْنَ أنّه يدخل فيه لقائلٍ مقالٌ، أو يختلِجُ في قلوبكم منه شيءٌ، فإنَّ ذلك إذا راجعتمُونَا فيه أبَنَّاهُ وزِدْنَاكُم من القول قَدْ[رَ مَا] فيه. فمن عرَض له ذلك فليذكُر ما عرض له، ولا يُقِمْ على الشُّبهة فإنّما نسمَحُ لأوليائنا بالمزيد من فضل الله عندنا ونرغبُ في ذهاب الشكوك عنهم وإزالةِ الشبُهات عن قلوبهم. ومن ثبَتَ ذلك في قلبه وقَبِلَتْه نفسُه فليحمَدِ اللهَ عليه، ثمّ إن أحبَّ أن يسألَ عن الحُجَّة في ذلك على من خالفَه ليقْهَر بها خصمَه ويقطعَ بها مخالِفَه ويدفعَ بها عدُوَّه/ ، فَلْيَفعَلْ يَجِدْ عندنا من ذلك ما يريدُهُ. قال الله عزّ وجلّ: ﴿بَلْ 155 نَقْذِفُ بِالحَقِّ عَلَى البَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ﴾[1]. واللهِ ما لِمَنْ خالَفَنَا غيرُ الويل في خلافه إيَّانا!.

المنصور يعلّم المعز الجدل والمناظرة.

ثمّ قال: لقد كان المنصور عليه السلام إذا أفادني شيئاً من العلمِ والحكمة قال لي: قل في هذا ما يعرِض لك أنّه يدخُل فيه. فربّما قلتُ: ما عرضَ لي فيه شيء، فيقول: فاسألْ عمّا أشْكَلَ عليك منه، فلا يكونُ عندي فيه إشكال، فأقول: ما أشكَلَ عليَّ منه شيء. فيقول: قل فيه بما عسى أن ترى أنَّ عَدُوَّنَا ومخالِفَنا 96 يقول، فإنّ العلمَ والحكمةَ لا يثبُتان في القلوب إلاّ بعدَ الحُجّة والمعارضة/ . 156 فربّما قلتُ في ذلك فيتفجّرُ عليَّ منه من بحورِ العلم والحكمةِ ما لم أكُن أؤمِّلُه ويزيدُني من الفوائد ما لم أكن أرجُوه ويظهَرُ لي في ذلك ما لم أكن أظُنُّه. فهكذا فَافعَلوا تأخذُوا الحكَم وتكْثُرِ الفوائدُ عندكم!.

المرءُ يقصر عن شكر الله لا محالة.

56 ــ (قال) وسمعته صلوات لله عليه يعدّد نِعَم الله عزّ وجلّ عليه ويستقلُّ شكرَه عليها، فقال في بعضِ ما قاله من ذلك: والله لو عبَدَ اللهَ امرؤٌ عُمُرَ الدنيا رَاكِعاً وساجداً لا يفتُرُ، وذاكراً صائماً لا يُفطِر، ليقضيَ بذلك حقَّ شكرِ شربةِ ماءٍ سقاه الله عزّ وجلّ إيّاهُ، ما قضَى ذلك ولا أقلَّ منه ممّا أنعَمَ به عليه. وكيفَ يقضي ذلك ببذل النفس/ المشكور بذلُها، خلقَها فسوَّاها، أو ببذل نِعمةٍ هو أفادها 157 وأعطاها، أو بطاعةٍ وعبادةٍ هو هدى إليها وأولاها وأيّدها وقوّى علَيْهَا وسدَّدَ وفتحَ

(1) الأنبياء، 18.

فيها؟ وكيف يشكر من خلق فسوّى، وبصّرَ فهدى، وأنْعَمَ وأعطى، وعُصِيَ فعفا، ومنَّ من المِنَن بما لا يحصى، ولا تبلغ نهايتُه فتُستَقْصَى؟ اللهمّ إنّي بالعجز أبوءُ إليك، وبالتقصير أعترف عِندك عن بلوغ شيء من شكرك.

كتابان للنعمان: 57 ـ (قال) وأمرني صلوات الله عليه وأدام عُلُوَّ أمرِه بجمع أخبار الدولة في كتاب[1]، ومناقب بني هاشم ومثالب بني عبد شمس في كتاب[2]، ففعلتُ
158 وجمعتُ من كلّ فنّ من هذين الفنَّين كتاباً/ ضخماً جامعاً يجتمعُ على أجزاء كثيرة على ما رتَّبه لي وأفادَنيه[3] عليه السلام، ورفعتُهُما إليه فاستحسنهما وارتضاهما
أخبار الدولة... واستجاد معناهما وقال عليه السلام: أمّا أخبار الدولة ومن قام فيها وسعى في إقامتها من الدعاة والمؤمنين، فإنّي أحبُّ أن تُخلّد أخبارهم هكذا في الباقين، ويبقى ذكرُهم بالخَيْر في الغابِرين، ويخلفهم فيها دعاءُ السامعين، ويُعرَّفَ ذلك لأعقابهم من بعدهم ممّا أعدّه الله عزّ وجلّ لهم من الكرامة في دار المُقام؛ وهذا ممّا يجب علينا لهم من الحفظ والحقّ إذ لـم يلحقونا فنُؤدّي ذلك إليهم.

159 وأمّا فضل الآباء ومناقبهم، وضَعةُ الأعداء/ ومثالبُهم، فإنّ ذلك ممّا ينبغي أن يَعْرِفَهُ الأبناءُ والذُّرّيّةُ والأوْلياءُ، ويُبْكَتَ به المخالِفون والأعداءُ، ويُنْشَرَ في الأنام ويبقى على الأيّام، وإن كانَ فضلُ أهل الفضل وضَعةُ أهل الضَّعة معروفيْن
وكتاب المناقب والمثالب غيرَ مجهولَيْن وظاهرَيْن غيرَ مستُورَيْن، فقد ألقَوْا كثيراً من الشُّبُهات واحتالُوا بصنوف من الاحتيالات، وهم في ذلك كما قال الله عزّ وجلّ: ﴿يُرِيدُونَ لِيُطفِئُوا نُورَ اللهِ بِأفْوَاهِهِمْ وَاللهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الكَافِرُونَ﴾[4].

58 ـ (قال) وسمعته صلوات الله عليه يقول: والله إنَّا لَنُحِبّ من الخير للناس كافّةً ما عسى أنّهم لا يحبّونَه لأنفسهم، إنَّا والله ما نُريدُ لهم إلاّ سعادتَهم

(1) لعله كتاب «افتتاح الدعوة وابتداء الدولة» أو ك. «شرح الأخبار عن الأئمة الأطهار» (رقم 78 من ثبت إيڤانوف).

(2) ثبت إيڤانوف تحت عدد 77 بعنوان: ك. المناقب والمثالب، أو مناقب بني هاشم ومثالب بني أمية.

(3) يدلّ هذا النص وغيره في هذا الكتاب أن المعزّ هو الذي يشير على النعمان بمادّة كتبه وطريقة تبويبها.

(4) الصف، 8.

ورضاءَ رَبِّهم عنهم فإنَّ الهوى/ ليَميلُ بهم إلى خلاف ذلك، وإنّا لندعوهم إلى 160
الله/ وإن صدُّوا عن السبيل، ونقوّمُهم وإن آثرُوا المَيْلَ، ولو أطاعونا لأكَلُوا من
فَوْقهم ومن تحتِ أرجلهم ولَبَلَغُوا رضاءَ ربّهم. والله ما رغب عنّا من رغب بنفسه
إلاّ استنكافاً عن أن نهدِيَه، كأن لم يسمَعُوا قول الله عزّ وجلّ لمحمد ﷺ: ﴿إِنَّمَا
أَنْتَ مُنْذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾[1]. فنحن والله هُدَاتُهم، في كلّ عصرٍ منّا هادٍ لمن كان
في عصره منهم، والله [نحن] أعلامُ الحقّ ونحن هداةُ الخَلْق ﴿فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ
وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ﴾[2]. إنّما أراد القوم أن يكونوا أئمّةَ أنفسهم وألاّ تكون لهم
واسطةٌ فيما بينَهم/ وبين ربِّهم. قال الله أصدقُ القائلين: ﴿فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكِرَةِ 161
مُعْرِضِينَ؟ كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُسْتَنْفِرَةٌ فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ، بَلْ يُرِيدُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ يُؤْتَى
صُحُفاً مُنَشَّرَةً﴾[3].

لا بدّ لكلّ عصر من إمامٍ هادٍ.

(قال) وسمعته صلوات الله عليه يُثني على بعض عبيده ويرتضي خدمتَه وأمانتَه ونصيحتَه وطريقتَه بما هو أهلُه، ثمّ قال: [و] الله ما يفوقُه الولدُ عندي حتى يبلغَ مبلغ التفضيل، وما لمن أحسَنَ عندنا إلاّ هذا وما هو أكثرُ منه.

نقمة الناس على القائم بسبب زيغ بعض رؤوس كتامة.

59 ـ (قال) وسمعتُه عليه السلام وقد ذكر أيّامَ الفتنة وما نَقَمَهُ أهلُها فقال:
أكثرُ ما نقَموا علينا والله فعلُ من/ آثَرْناه بسُلطانِنا ورجَوْنَاه للقَبول عنّا ولزوم أمرِنا، 162
فتعدّى ولم يَقبَلْ كما لم يقبَلْ خالدُ بن الوليد عن رسول الله ﷺ فبرىء إلى الله
منه[4]، ولم يلحَقْهُ (صلع) ذمُّ ما فَعَلَه.

ولقد سمعت القائم بأمر الله (صلع) يقول لرجاله من كتامة أيّام الفتنة: والله
ما أعلم لي ذنباً يوجب قيام هؤلاء عليّ ولا ما نصبَوه لي من الحَرب، والله ما
نقَموا عليّ إلاّ ما نقَموه على بعضكم ممّن تعدّى أمري وارتكبَ نَهْيي بما أنا أولى
بالنظر فيه منهُم وأرادوا منّي إسلام مُحْسنكم ومُسيئكم إليهم وتحكيمَهم فيكم.
ولو وجدوا/ ذلك عندي ـ ومعاذَ الله أن يجدوه! ـ لكانوا أطوعَ الناس لي. وإنَّ 163

(1) الرعد، 7.
(2) الكهف، 29.
(3) المدثر، 49 ـ 52.
(4) إشارة إلى حادثة بني جذيمة، فقد قتل منهم خالد «من لم يجز له قتله» فقال النبي (ص): «اللهم إني أبرأ لك ممّا صنع خالد». (أسد الغابة ج 2، عدد 2399). وانظر ص 227.

أكثرَ ما نقَموا عليكم لفيه رضاءُ الله عنكم. وإن كان في ذلك بعضُ الشرّ فلن يُذْهِبَ اللهُ خيركم بشرِّكُمْ، بل أنتم أقرَبُ إلى عفوه عنكم وإظهارِكُم على عدوّكم، وما هذه الفتنة إلا محنةٌ وتمحيصٌ لكم.

الأئمةُ يـرفعـون الشريف والحقير، إذا خلصت نيّتهم.

60 ــ (قال) وسمعته صلوات الله عليه يقول: إنّا لنحسن إلى الوليّ جهدَنا ونصفحُ عن العدوّ ما لم يَنْصَبْ لحَرْبنا، ونقتني الشريف والمشروفَ، ونعتدُّ بالقويّ وبالضعيف، فربّمَا عاد العدُوُّ لنا وليّاً، والضَّعيفُ في نُصرتنا قويّاً، والوضيع شريفاً، والخائن عفيفاً، ولو عاجلنَاهُم بالعقوبة لما أدركنَاهُمْ عندَ
164 الحاجة/ ولكلّ في كلّ حال موضعٌ يحتاجُ إليه فيه بشَدّه. إنّ السفينةَ في البحر ربّما احتَاجَتْ إلى أدنى حاجةٍ صغيرةٍ فلا يوجدُ لها فَتَعْطَبُ من أجل عجزِهَا عُدَّتُها، وإنَّ الفَرَسَ الجوادَ ليعدَمُ أقلَّ أداةٍ من أدوات ركوبه، فلا يمكن ركوبُه، وإنَّ الجدار لا يقومُ بناؤُه إلاّ بالكبار من الحجارة والصغار، ولكلّ امرىء من الناس، صغُر أو كبُر، شرُف أو اتّضَعَ، عندنا ـ إذا أخلص نيّتَه ـ موضِعٌ نُصيِّره إليه، ونرفَعُه، إذا ارتَضَيْنَاه، منه إلى غيره، حتّى نُلحقه، ما لم يضَعْ نفسَه، بأعلى
165 درجات أمثالِه، ونوصلَه من الفضل ما لم يخطر قطُّ بباله، / وما يضع النّاسَ عندنا إلاّ أنفسُهم، ولو أحسنوا إليها لرفعناهم كلَّهم.

كلام جرى في مجلس في ذمّ الاحتيال بالباطل:

يتفطّن الإمام إلى المحتالين ولكنه يغضي.

61 ــ (قال) وسمعته صلوات الله عليه يقول: إنّي لربّما نظرتُ إلى بعضِ من يريد أن يستدير عليَّ بالحيلة فيما يرفعُه إليّ ويقولُه لي، فلا يَسَعُنِي جوابُه فأسكُتُ عنه تعجُباً من سوء رأيه. إنَّه يرى أنّ الذي جاء به واستدار بسببه يجوز عليّ له فأعجب من مُصيبتِه في نفسه وسوءِ اختياره لها فيما يرضاها له و[يـ] قصِدُ إليه. ولو آثر الناس عندنا الصدقَ وقصدوا قصدَ الحقّ لبلَغُوا ما يريدونه ولم
166 يضعُوا أنفسَهم عندنا بالحيَل/ والاستدارات ويقيموها مقام الخسارات.

62 ــ (قال) وسمعته صلوات الله عليه يقول: إنّي لربّما أقول القولَ يرى بعضُ من يسمعه منّي أنّي أردتُ بـه الهزْل أو خلافَ ما أردت بذلك القول. وإنَّما أخاطِبُ كثيراً ممّن أخاطِبُه استخباراً له، واستخراجاً لما عِنْدَه، وامتحاناً لأحواله؛ وليس من قولنا، بحمد الله، هزل ولا لَغْوٌ ولا باطلٌ ولا عبثٌ، بل كلُّه حكمة

الإمام لا يهزل قطّ.

وصوابٌ لمن تدبَّره ووفّقه الله لفهمه وقبوله.

كلام جرى في مجلس في اشتغال الأئمّة عليهم السلام في صلاح الأمّة:

63 ـ (قال) وسمعته صلوات الله عليه يقول: للناس شغل بدنياهم وما يتلذّذون به منها، وشغلنا/ إقامةُ أَوَدِهم وصلاحُ أحوالهم والنظرُ فيما يعودُ عليهم 167
ويحمي حِماهم ويدفع عن بَيْضَتهم، ويحقن دماءَهم ويحصّنُ حريمَهم وأموالَهم ويكُفُّ أيدِي المتطاولين إليهم: بذلك نقطع ليلَنا ونهارَنا، وهم عن ذلك بمعزِل، ومنه في غفلةٍ بما هم فيه متشاغلون. فمتى أردنا منهم أمراً لا بدّ لنا منه رفعُوا رؤوسَهم كما ترفَعُ الغنمُ رؤوسَها عند زجرة الراعي من مرعاها، وتكلّمَ المتكلّمُ منهم بما لا يَعنِيه، وأنكرَ الجاهلُ منهم بما لا يدريه. فالله المستعانُ على ما قلّدَنَاه من أمورهم وافترضَه علينا من القيام بأسبابهم، ونرغَب إليه في إصلاحهم وهدايتِهم إلى ما فيه حظُّهم ونجاتُهم في دنياهم/ وأُخرَاهُم. 168

الإمام يسهر على مصلحة الأمّة، ولا ينال على ذلك شكراً.

كلام جرى في مجلس الانتفاع بالوعظ:

64 ـ (وقال) وجلست يوماً بين يدي الإمام المعزّ لدين الله صلوات الله عليه، وكان يومَ الجمعة وقد تهيّأ للخروج ليصلّيَ بالناس، وقرُب الوقت فقيل له: إنّ المسجد قد غَصّ بالناس وما حولَه واحتفلُوا احتفالاً عظيماً، فقال: ما كان أحسنَ ذلك لو كان عن نيّةٍ صادقة وضمائرَ خالصةٍ وقَبول للمواعظِ وعملٍ بما يُؤمرون! ولكنّ أكثرَهم إنّما يحضر ليرَانا ويسمعَ ما نقول، ثمّ لا يعبأ بذلك ولا ينتفعُ به، واللهِ لولا إقامةُ الفرض وإحياءُ ما دَثَـرَ من السُّنَن ما خرجتُ إليهم ولا خطبتُ عليهم.

المعزّ يصلّي الجمعة بالناس.

قلت/ : وفي نظرهم إلى أمير المؤمنين صلوات الله عليه واستماعِهم فضل، 169
وثوابٌ لهم يكون أمير المؤمنين سببَه، فيجتمعُ له ثوابُ ذلك إلى ثواب إقامة فرضِ الله وإحياء سُنة جدّه رسول الله (صلع).

فقال عليه السلام: ذلك لو اعتقدوا ذلك النظرَ والسماعَ لله، ولكنّهم لا يعتقـدون ذلك وإنّما ينظُرون لَهْـواً ويسمعون سَهْواً ويرجعون أصفاراً كما جاؤوا.

كلام جرى في مجلس في أحوال الأئمّة صلوات الله عليهم:

شـدّة عليّ في الحقّ...

65 ـ (قال) وسمعته صلوات الله عليه يقول في هذا المجلس وقد ذكر 106
أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب وما عامل به الناسَ من القصد للحقّ وترك
170 المُداهنة فيه/ وطرح التستّر فيما بينه وبيْنَهُمْ أو مدَارَاة أحد منهم، فقال: كان ذلك
ممّا قوّى أسبابَ اللعين معاوية ونزع بأكثرِ مَن طلب شيئاً من الدنيا أو خاف عاقبة من
عواقبها إليه، لأنّ علياً (صلع) لم يكن لأحد عنده في الحقّ هَوادة ولا في إقامته
عليه رُخصة قولاً وفعلاً ونيّةً ومباينةً، لا يرجِع عن أحد في ذلك ولا يُداريه ولاَ
يساتِرهُ فيه، إن عثَر لم يُقلْه عثرتَه، وإن زلّ لم يحتمِل له زَلّتَه، يقرع من عتب
عَلَيْهِ، ويصدَعُ قَوْلاً بِالْحَقّ مَن خَالَف شَيْئاً مِنْهُ، ولاَ يدَاهِنُه ولاَ يسَايره فِيهِ ولاَ يدع
171 لهُ مثقَالَ حَبّةٍ فما فوقه[1] إن وجب/ عليه. تَتَبّع ما أباحه في غير وجهه عثمانُ

واسترجاعه ما تسامح فيه الشيخان وعثمان...

وتغافل عنه قبله الشيخَان[2]، وأخذ ذلك من يَدَيْ من كان في يديه. فلحِقَ بمعاوية
كثيرٌ ممّن خافه لذلك، ممّن لم يصل إليه، وكثير ممّن عنّفه وأسمَعه ما كرِه فيما
آتاه واقترفَه، وتخلّف عنه رؤساء القبائل ووجوهُ العشائر، فكَم من شريف عند
نفسه منهم وَضَعَه بما أسمَعَه، حتّى لقد كان الحسن والحسين عليهما السلام ربّما

قلّلا أنصاره وكثّرا أعداءه.

استَعْطَفَا مَن يُسمِعه ويَحرمُه ويُغرّبُهُ، بالقول الجميل والعطاءِ، وربّما ذكرا له موقِعَ
ذلك من الناس وسألاه الرّفقَ بهم، فَيَتَجَهّمُ لهما ويقول: لولا أنّكُما من
172 رسول الله / ﷺ بالمنزلةِ التي أنتما منه، لقلت لكما في هذا قولاً عظيماً. فكان
(صلع) من الشدّة والصرامة في ذات الله مُرّاً لمن ابتغى سوى ذلك منه، مجبولاً
على ذلك مفطوراً عليه، ليس له فيه حيلة ولا له عنه معدل ولا يَجِد لما سواه
احتمالاً.

صرامة فاطمة نحو زوجها...

66 ـ (قال) وكانت فاطمة عليها السلام كذلك، ولذلك ما كان يجري
بينهما من الاختلاف في بعض الأحوال، ولَمَا كان كلّ واحد منها يرى نفسه عليه

---

(1) قد مر الحديث عن صرامة علي بن أبي طالب. انظر ص 84.

(2) الشيخان: هٰذه أوّل مرّة يُطلق النعمان هذا اللقب المتداول عند السنة على أبي بكر وعمر (رضيهما)، وإنّما المتداول عنهما عند الشيعة: الفلانان. وسيكنّي عنهما في ص 285 بالقائمين بعد الرسول (ص).

من الفضل، فلا يرجع إلى الآخر.

وذلك حملَها على أن خرجت على أبي بكر لمّا مَنَعَها فَدَكا وأسمعَتْه ما ونحو ابي بكر.
أسمعَتْه ولم تحتمِلْه صبراً حتّى شفَت غيظَها وفرّجتْ [بثّ] صدرِها وصدَعتْ 173
بالحقّ من اضطهدها واستأثَر بحقّها[1].

(قال) وكان رسول الله ﷺ من الصبر على ما يؤتى إليه والاحتمال لما يُنال حلم رسول الله.
منه، وتألّفِ القلوب والإغضاء عن الذنوب وتحمّلِ المكروه بحسَب ما وصفه الله
عزّ وجلّ إذ يقول: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[2] وكقوله: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ
لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ﴾[3].

ومثل هذا من الغلظة في ذات الله واللينِ فيه قد كان في أنبيائه المُرسَلين
ورسُله المصطفَيْن. وقد كان موسى عليه السلام قويّاً شديداً/ غليظاً في ذات الله. 174
وكان عيسى عليه السلام رؤوفاً رحيماً في ذات الله، وكلاهما كان على سبيل شدّة موسى ولين
الهدى من الله، ولكل ذلك وقتٌ وزمانٌ يُجرِي الحكمةَ فيه بِهِ. وكذلك كان عيسى.
رسول الله ﷺ في وقتِه وعليّ عليه السلام في عصره.

(قال) وقد كانت خديجة عليها السلام في الصبر واللين والحِلم والأناة على حلمُ خديجة.
مثل ما كان عليه رسول الله ﷺ، وكان الله تعالى قد جعل فيها لنبيّه فرَجاً وسكَناً
يرجع إليها إذا أضجره تكذيبُ المشركين له أَوْ أَذَاهُمْ[4] إيّاه، فيجد عندها/ من 175
العَزاء وتسهيل ذلك عليه ما يُسلّيه عنه.

67 ــ ثمّ ذكر عليه السلام في هذا المجلس على نحو هذا الكلام أبا جعفر

---

(1) فدك: واحة قرب المدينة امتلكها الرسول (صلع) صلحاً سنة 6 للهجرة، فجعل غلّتها لأبناء السبيل (عند السنة) ولذوي القربى (عند الشيعة). فلذلك طالبت بها فاطمة في ميراث أبيها، فمنعها أبو بكر اعتماداً على الحديث: «نحن معشر الأنبياء لا نورث، ما تركناه، صدقة». فغضبت فاطمة ولم تكلّمه إلى أن ماتت، وساندها علي، فلم يبايع أبا بكر إلا بعد وفاة فاطمة (انظر: دعائم الإسلام ج 1/ ص 393، رقم 1543. وكذلك فصل «فدك» بدائرة المعارف الإسلامية).

(2) القلم، 4.

(3) آل عمران، 159.

(4) الأصحّ: إيذاؤهم.

محمدَ ابن علي بن الحسين الباقرَ، قال: لقد بذل في عصره من نعم الله عنده وأسبغ منها على العباد ما لم يكن مثله فيما تقدّمه إذا وافقه ذلك الوقتُ وساعده

تبسّط الباقر وانقباض الصادق.

العصر، ثمّ كان من أبي عبدالله جعفر بن محمد صلوات الله عليه بعده من التضييق والإمساك أمر عظيم بقدر ما تهيّأ في زمانه واتّجه في عصره وأوانه.

فقلت: لا جرم أنّ ذلك أوقع الشيعة من بعده في الاختلاف العظيم
176 واختلفوا/ في وليّ الأمر من بعده افتراقاً كثيراً[1].

فقال عليه السلام: في ذلك سعادة المحقّين وشَقوة المُبطلين.

سبب انقسام الشيعة.

قلت: يا مولاي، فلو كان أوضح الأمر كما أوضحه أبوه فيه، وأزال الشُّبهة عن أوليائه، وأقام فيهم صاحبَ الأمر بعده ونصّ عليه صُراحاً، ألم يكن ذلك أذهب للشُّبهة وأقطعَ للاختلاف؟.

قال: هيهات! لم يكن ذلك زمان ذلك، وقد فعل ذلك لمن وثق به: فأمّا
التصريح به وإشهارهُ، فلم يكن ذلك يمكنه في وقته ولا يتهيّأ له في/ عصره، 109
177 للخوف عليه، في الإظهار، والتقيّة من عدوّه. وكان ذلك ابتداء أمر بني العباس/ وهم يعلمون كيف ابتزُّوا ذلك واستلَبُوه منه، وسأله من سأله إظهارَ ذلك في وقت لا يمكنه إظهاره فيه، فقال: أرأيتم لو سألتموني في اليوم عن صاحب الأمر من

المعزّ يبرر سكوت جعفر الصادق عن تعيين خلفه. . .

ولدي، وقد علمتم ـ لا تشُكّونَ فيه ـ أنّه أحدهم وأنّها لا تكون إلاّ في العقِب ولا تكون في أَخَوَيْن بعد الحسن والحسين عليهما السلام[2]، ولم يكن الله عزّ وجلّ

---

(1) يفهم من كلام النعمان أنّ تكتمّ جعفر الصادق في التصريح بوليّ عهده هو الذي أوقع البلبلة ثم الانقسام بين الشيعة. فلذلك نرى المعزّ يدافع عنه ويبرّر التكتم ويفسّره بعداوة العبّاسيين للشيعة، وقد تبنّى القاضي النعمان هذا التفسير في أرجوزته «المختارة» التي نظمها في الاحتجاج للأئمّة والدفاع عنهم، فقال في خصوص تعيين الإمام بعد جعفر الصادق (البيت 1856 وما يلي من طبعة إسماعيل قربان بوناوالا، مونتريال، ص 191):

«واشتدت المحنة بعد جعفر   فانصرف الأمر إلى التستُّرِ
وكان قد أقام بعض ولده   مقامه لما رأى من جلده
فعجل الأمر له في ستر   فلم يكن ـ قالوا ـ بذاك يدري
لخوفه عليه من أعدائه   إلا ثقات محض أوليائه..»

وانظر فصل «جعفر الصادق» في دائرة المعارف الإسلامية.

(2) يفهم من كلام جعفر الصادق هنا أن انتقال الإمامة من الأخ إلى أخيه ممنوع، وفي هذا=

بعدُ أطلعني على مكان اختياره منهم فأنصِبهَ لما يريني فيه من مخايلِ الخير، ما كنت صانعاً؟ وأنا إن سألتموني عن أحدهم فأشرتُ إليه، لم أدر [لعلّ] اختيارَ الله يكون في غيره. وإن نفيتُ ذلك عنه لم أدر لعلّ اختيار الله عزّ وجلّ يقع/ عليه. 178
فالذي عليكم، الإمساكُ والتسليم حتّى يختار الله عزّ وجلّ لكم ويجعل لكم البركة والخيرَ فيمن يختاره. بأنه كان ينتظر أمر الله.

وكذلك لو سكت القوم يومئذ عن جعفر بن محمد صلوات الله عليه، لما وقَعُوا في الشبهة. سمعت المنصور عليه السلام يقول لي: والله ما أنا آثَرْتُكَ بما آثَرْتُكَ به، بل الله آثَرَكَ واختصَّك واجتباكَ. والله لو ملكتُ من الدنيا دِرهماً فما
110 فوقَه غيرَ هذا الوجه لما استَجَزْتُ/ أن أخُصَّ به أحداً من ولدي دون أحد. فأمّا ما خوّلني الله منَ الكرامة واصطفاني به من الإمامة، فإنّما هو متاع عندي وعاريةٌ في يدي لانقضاء المدّة وتمام العدّة. ثم هو لك/ بحكم الله وأمره وإعطائه، لا عن 179
أمري وحكمي واختصاصي إيّاك به، بل ﴿ذَلَكَ فَضْلُ الله يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الفَضْلِ العَظِيمِ﴾[1].

فقلت: لقد فتح أمير المؤمنين لنا من هذا ما كان مقفلاً وأوضح منه ما كان مشكلاً، مدّ الله لنا في عمره ووفّر حظّنا من فضله!.

فقال: والله ما نضنّ بما عندَنا عنكُم ولا نبخَل بفضل الله عليكم، ولكنّا قَلَّمَا نجد لقِناً يَقبل مِنّا أو سائلاً يسألنا.

فقلت: السؤال عِلمٌ يا أميرَ المؤمنين، وكيف بمعرفة ما ينبغي السؤال عنـه؟

فقال: ليتهم يسألونَ[2] عمّا لا يجب فكنّا نُجيبُهم بما يجب! والله ما أنا بضنين فيما عندي على من يستحِقُّه ولا بِجبَّار يَتَهيَّبُ/ السائلُ أن يسألَه! والله إنّي 180

= لبس، إذ أن سبب الخلاف هو تعيينه موسى الكاظم بعد إسماعيل مع وجود ابن إسماعيل، الإمام السابع عند الإسماعيلية (وانظر تفصيل هذه المسائل في ص 87 تنبيه 1). ويُفهم أيضاً من كلامه أنّ وليّ العهد قد لا يكون أكبرَ الأولاد سنّاً.

(1) الحديد، 21.

(2) في الأصل: يسألوا.

القرب من الإمام لا يطل هيبته.

لأرى لعبيدي من القَدر عندي بما يجب عليهم أن يرَوْه لي، وأتواضع لهم حتّى أقولُ إنّي قد سبّبتُ لهم سببَ الجرأة عليَّ. فقد قيل: أشدّ الناس جرأةً على الأسود من أدْمَنَ عَلَى قربهَا وبقَدْرِ بُعدهَا من الناس تكُون في صدورهم هيبتُهَا.

قلت: يقول ذلك من لا تمييزَ له ولا رأيَ، وكم من سائس لها قد صرعَتْه ومزّقت أشلاءَهُ! بل يجب في الحقيقة أن يكون أهيبُ الناس لها وأخوفُهم لجانبها من قرب منها.

فقال: والله لقد خدمت القائم بأمر الله صلوات عليه، وكان يؤثرني من
181 القرب والاختصاص/ بما لم يكن يُؤثِر به أحداً من الناس، ولقد كان على ذلك في صدري من هيبته وجلالته ما لا يكاد أن يكونَ في صدر أحدٍ مثلُه[1]. والله إنّي لأذكر شيئاً ما أعلم[2] أنّي ذكرتُه قبل وقتي هذا: إنّي كنت يوماً أمشي خلفَه وأنا حديثُ السنّ، فنظرتُ إليه وملأتُ منه عيني فملأتْ صدري هيبتُه فإنّي لعلى ذلك، وجعلتُ أنظر إليه مرّةً وإلى السماء مرّة وأقول في نفسي: هذه ـ في هذه الأرض[3] ـ لا حاكمَ عليه فيها ولا سلطانَ إلاّ الله في سمائه، وكلّما نزّلتُ ذلك في نفسي تـزيّـدَتْ جلالتُه في عيني وهيبتُه في صدري، فإنّي لعلى ذلك، إلى أن انفتل إليَّ فأخذَني وضمّني إلى صدره وقال: يا بُنيّ، لا جعلَ الله في صدركَ ما في صدر مولاك! يعني مَا كان يحاوله[4] من الغموم ـ فعجبت لذلك وكيف جاء منه بعقب ما جال بقلبي من أمره.

وأمّا المنصور عليه السلام فقد علِمتُم كيف كان تعظيمي إيّاه وإجلالي له وهيبتُه في صدري.

فقلت: لذلك ما آثر الله به أميرَ المؤمنينَ واختصّه، زاده الله وبلّغه نهاية أمله!.

---

(1) في الأصل: مثله آله وملأت. والكلمتان نقلهما الناسخ سهواً من السطرين المواليين.
(2) في الأصل: ما نعلم.
(3) هذه الاعتراضية تفسر اسم الإشارة: وأعني هذه الأرض.
(4) كذا في الأصل، وليس لـ «حاول» هذا المعنى في المعاجم. ولعلها: يحار له، أو محرفة عن: يحمله.

ثم حضر وقت الصلاة فقام وصار إلى المسجد، ورقيَ المنبر فخطب بخطبة بليغة جاء فيها بفصول ما سمعنا قبلها مثلها واحتجاج في الإمامة/ وإبانة لظلم 183
الظالمين المتغلّبين[1].

خطب المعزّ مذْهَبِيَة.

كلام في مجلس آخر في نحو ذلك:

68 ـ (قال) وحضرت مجلسه بعد ذلك فجرى ذكر هذه الخطبة واستحسان من سمعها وإعجابهم بها. فقال ﷺ: لإعجابُ الأرواح الشريفة ومسرّتُها بما يُجريه الله علـى ألسنتنا وأيدينا، واستحسانُها لذلك ممّن صار إلى كرامة الله من آبائنا أكثرُ، ونحن بذلك أغبط منّا باستِحسَان[2] الناس [لها] وإعجابهم. ولقد سمعتُ المنصور بالله صلوات الله عليه يقول لي وقد احتُضِر: والله لَيُودِعَنَّكَ الله
184 من الخير ويجعَلُ لك من النعمة والغبطة/ والمسرّة والصنع وعلوّ المنزلة والتوفيق والسعادة بعدي، ما لم يكن لأحد مثلُه تقدّمَك، وما أخشى عليك إلاّ الجزعَ عند الصّدمة بالمصيبة بي وقلّةَ الصبر عند ما يفجؤك من ذلك، فذلك الذي أخافه أن يدخل عليك من الغمّ والشّدة من بعدي.

حسن عزاء المعزّ في المنصور.

فقلت[3]: فقد كان ويكون من ذلك ما أمّله ووعد به، والذي تخوّفه من الجزع قد كنّا نتوقّعه ونتخوّفُه على أمير المؤمنين لما نعلَمه من عظيم قدر المنصور عليه السلام عنده وجليل محلّه من قلبه، فكان من تأييد الله عزّ وجلّ له وعصمته إيّاه ما وفّقه/ إلى حُسن العزاء وجميل الصبر الذي عَزَمَ به لأوليَائِهِ[4]. 185

فقال عليه السلام: أمّا جلالته، فقد كانت في صدري، وهيبتُه في عيني. فوَالله لقد كنت أُعظِمُ ذلك حتّى كأنّه ليس عندي من البشر، وكأنّه ملَكٌ من ملائكة السماء. ولقد كنت أعلَم أنّه كذلك كان يرى القائمَ عليه السلام في عينه ويجدُه في قلبه، وما رأيته قطّ ملأ عينه منه، ولا رأيت القائم عليه السلام فعلَ ذلك، وما كنتُ أرى كلَّ واحد منهما يكلّم الآخر إلاّ وهو مُطْرِقٌ.

(1) ولكن النعمان لم ينقل الخطبة إلينا.
(2) في الأصل: باستحسانها الناس...
(3) رجع الكلام إلى القاضي النعمان.
(4) عَزَم لهم بالصبر: خلق فيهم القوّة له.

الجزء الخامس

[بسم الله الرحمن الرحيم]

كلام جرى في مجلس في فضل المنصور بالله عليه السلام: / 186

69 ــ قال القاضي النعمان بن محمد: سمعت الإمام المعزّ لدين الله (ص) يقول: دَخلت على المنصور بالله عليه السلام في مرضه الذي توفّي فيه وقد اشتدّ به، وبين يديه الدواة وقد أخذ صحيفة ليكتب فيها، وتناول القلمَ فلَمْ تُثبتْه يدُه فسقَط على ثوبه فغيَّره مِدادُه، فلمّا رآني قال: أتدري ما هذا؟

المنصور ينعى نفسه للمعزّ.

قلتُ: ما هو يا مولاي؟

قال: ظهر والله في قلبي واطَّلَعَتْ نفسي الآن من علم الله وحقيقة توحيده وغيبِ ملَكوته ما لمْ أكُن أظنُّ أنّي أطّلعُ على مثله ولا أستطيعُ، لما أنا فيه، اللفظَ به، فدعوتُ بالدواةِ لأكتُبَ ذلك وأفيدَكَ فيه إيّاه، فلم أملكِ القلمَ. / وأخذَ مكانَ 187 المداد في ثوبه بأطرافِ أصابعه وقال: هذه معْذِرَتي إليك!

ثمّ قال: وهذه بُشرى من الله في مثل هذا المقام و [مـ]ـمّا يُطلِعُ أولياءَه عليه في حين قَبْضِهم إليه.

قال المعزّ عليه السلام: فما أدري كيف فُجعت به من ذلك وما داخلني له، ولكنّي تجلّدْتُ وقلتُ: يُبقي اللهُ أميرَ المؤمنين وَيمُدُّ في عُمُره ويُنْسىءُ في أجَله.

فقال: هيهات! قد والله قرُب الأجلُ وأزِفَ الوقتُ!

فما كان بأوشكَ من أن قُبِضَ صلواتُ الله عليه[1].

---

(1) انظر وصفاً لمرض المنصور في ص 75، وكذلك ص 97.

كلام في مجلس في فضل المعزّ لدين الله عليه السلام:

70 ـ (قال) وسمعته في هذا المجلس يقول: دفع إليّ المنصورُ بالله عليه
188 السلام/ كتاباً بخطّ المهديّ فيه حروف المعجم بخطّ كان الإمامُ قبلَه يكاتب به الدعاةَ. فقال المنصور بالله (ع): انقله بخطّك. وقد كان عرّفَني معناه. ثمّ قال لي: لمّا أزمع القائم بأمر الله (صلع) على الخروج إلى المغرب[1] جمع ولده وأنا فيهم فقال: أنتم ترَوْنَني وما أخرجُ عليه من هذه العلّة التي تعرِض لي وما أخلفُ مولانا ـ يعني / المهديّ (ع) ـ فيه من العلّة، ولا أدري ما يكون من أمر الله. وهذا قلمٌ يتوارثُه الأئمّة يكتبُونَ به أسرارَهم، وبيانُه وشرحُه تحتَه يكون عندكم. فما كتبتُ به إليكم عرَفتموهُ ومَا أردتم سَترَه كاتبتمُوني به.

كتابة بالمعمّى يتوارثُها الأئمّةُ

189 قال المنصور: فقال لي أحد الإخوة سرّاً: هذه/ أ ب ت ث عرفناها، فكيف نكتُب بذلك؟ فغمزتُه وقلتُ لهُ: اسكت ويحك! وإذا عرفتَ هذه الحروف فماذا بقيَ عليك؟ (قال) فَنَظَرَ القائمُ إليّ فقال: ما قالَ لك؟

قلت: شيئاً ذكره يا مولاي، وطارحتُه الحديثَ[2]. وبادر المتكلّم فذكر له ما ذكرَ لي، فتغيّر وجه القائِم صلّى الله عليه وقال: إنَّا لله على المصيبة بكم! وانتهَرَنا وأخرجَنَا من بين يدَيْه ولم يُمْكِنِّي أن أعتذرَ عنْده ولا أضيفَ ذلك الجهلَ إلى قائله.

فخرجتُ، فوقفتُ من وراء الباب فسمعتُه يقول لبعض الأهل: خذي هذا
190 الكتابَ/ فمَن سألك من هؤلاء إيّاه فادفعِيهِ إليه. فسرُرت بذلك، فَلمّا خرج/ سألتُها الكتابَ فدفعَتْه إليَّ، وهو عندي إلى اليوم.

قال المعزّ عليه السلام: فأخذتُهُ فنسختُه كما أمر. ثمّ دفع إليّ بعد ذلك خطًّا بقلَم يُشبه حروفَ ذلك الخطّ فإذ اعتبَرْتَ لم يُبِنْ عن كلام صحيح، وقال لي: انظر في هذا واستخرجْ! (قال) فأخذتُهُ منه فمكثت أيّاماً أتدبّرُه لا ينفتح لي فيه

---

(1) لعلّه خرج في إحدى الغزوات على غرب إفريقية.

(2) وطارحته الحديث: لعله يقصد أنه صرف الحديث وجهة أخرى، فالسياق يدل أنه لم يكشف سِرّ صاحبه.

شيءٌ وأنا من الغمّ بذلك فيما حال بيني وبين النّوم والطعامِ والشّرابِ. فإنّي لأنظرُ فيه ليلةً إذ هَجَعْتُ هجعةً، وهو على صدري، فرأيت أبي المنصورَ بالله (صلع) في النوم وقد وقف عليّ، فقال لي: تَعَاظَمَكَ أمرُ هذا القلمِ؟

فقلت: أي والله يا مولاي.

191 فأخذ الكتابَ من/ يدي وقرأ منه سطراً وقال: هذه ترجمتُه. وحفظت ما قَرَأهُ. وانتبهت في الوقت فكتبتُ ذلك ثم نزّلتُه فخرج ما[1] نالني من الحَصْر عند استخراجه إلى أن رأيتُ ما رأيتُ، فأمسكتُ عن ذكر ذلك له أيّاماً حتّى سألني عنه: إنْ لم يكن انفَتَح لك فيه شيء فجِيءْ به حتّى أفتَحَه لك!

قلت: قد فتحتَه لي.

قال: متى؟ فعرّفته الخبرَ على وجهه، وجئتُه بالكتابِ وقرأتُه عليه، فضمّنِي إليه وحلّ أزراري وقبّـلَ صفحة عنُقي وبكى، وقال: قد كنت أحببتُ أن أعيشَ لك أكثرَ ممّا عِشتُ لأفيدَك وأزيدَك، ولكنْ لا رادَّ لأمر الله وما سبق في علْمه.
192 فكأنّما ضربني بسهم في قلبي، ولم أدر معنى/ ذلك حتّى كانت المصيبةُ به عن قريب.

وصيّـة بالصبـر والتجلّـد:

71 ــ (قال) وسمعته يقول في هذا المجلس: كان فيما أوصاني [بِه] المنصور بالله عليه السلام عند وفاته أن قال لي: دع عنك ملازمة قبري والاختلاف إليه! فإنّ ذلك يبعث الحُزنَ ولا يؤدّي إلى غاية من الحَزم، وإنّما يفعَلُه الجهّالُ من الرجال، فإن لم يكن لك من ذلك بدٌّ فالوقْفَةُ بعد المدّة للترحُّمِ، ثم تَنْصرِف بسُرعةٍ. ومن عرف مصير الأرواح لم يلتفِتْ إلى محلّ الأبدان. المنصور ينهي المعزّ عن زيارة قبره.

كلام في النجامة ذكر في مجلس:

72 ــ (قال) وسمعته يقول في هذا المجلس: ذكر المنصور بالله (صلع) النجامة وكان بعلْمها/ ماهراً. فقال لي: والله ما طلبتُها وتعلّمتُها لشيء ممّا يراهُ 193

(1) في الأصل: لما.

المنصور كان عالماً بالنجوم غيرَ مؤمنٍ بتأثيرها.

الناس من القضاءِ بهِ. ولقد وقفتُ في مواقفِ الحروب التـي وَلِيتُها أيّامَ الفتنةِ إلى حين انقضائها فما وقفتُ قطُّ موقفاً منها باختيار علم من علوم النجوم. ولكثيراف ما كان الأمرُ يقع بقلبي ويُحبّبُ إليّ[1]، وقضايا النجوم تخالفُه وتمنَعُ منه، فلا ألقِي لتلك القضايا بالاً ولا ألتفتُ إليها، وأعمَلُ ما يقع بقلبي ويُحبّب إليَّ، فيكونُ في ذلك التوفيقُ والنصر، وضدُّ ما تُوجبه أحكامُ النجوم. والله ما طلبْنَا هذا العلم إلاّ لما يدلُّنا عليه من توحيد الله جلّ ذكره وتأثير حكمته في منفعلاته، فإيّاك أن تشغل
194 نفسك بغير هذا، ولا تلتفِتْ/ إليـه.

كلام في فضل المنصور بالله صلوات الله عليه:

المنصور يؤلف كتاباً.

73 ــ (قال) وسمعته (صلع) يقول في هذا المجلس: كنت مع المنصور عليه السلام في بعض أسفاره، وقد نزل منزلاً أقام فيه في قصر له بذلك المنزل وبستانٍ قد أحاط به فيه ماءٌ جارٍ. فخرجتُ يوماً أمشـي في نواحي ذلك المنزل، فلمّا انصرفتُ أتَيْتُه بحسَب العادة فوجدتُه تحتَ بعـض تلك الأشجارِ في يوم صائف حارّ، حاسرَ الرأس وقد حلَّقَه، وإنّ العَرَقَ ليرشَحُ منه، وهو يؤلّفُ كتَاباً يكتُب نُسْخَتَهُ، فقلت: يا مولاي، في مثل هذا الحرّ؟ ألاَ تقومُ إلى مجلسك؟

195 فقال: دعني، فقد قَطَعَ عليّ كلامُك شيئاً كان/ اتّصل عندي، ولمثل هذا جلستُ وتحمّلتُ هذا الحرَّ، لأنّه قد تهيّأ لي من القول ما خشِيتُ إنْ قمْتُ عن مكاني أن ينقِطعَ عنّي.

فجلستُ حتّى قضى حاجته، ودخل فأقام مليّاً لم يخرُج، فخشيت عليه أنّه عَرَضَ له عارضٌ من ذلك الحرّ، فأرسلتُ إليه أسألُه عن ذلك، فقال: ما عليّ من بأس بحمد الله، ثمّ تمادى قعوده، وأذِن لي فدخلتُ إليه، فأصبتُه على حال ما أحِبّه من السلامة والعافية. فقلت: يا مولايَ، إلى كم تُقيمُ في هذا البيتِ وأنت بموضع نُزهة وتَفَرُّج ونظرٍ إلى هذه المياه والأشجارِ؟

رؤيا مخيفة رآها المنصور وانتهت بسلام.

196 فقال: أخبرك والله: إنّي رأيت أنَّ بعضَ هذا الحيوان العظيمِ/ الخلقِ يعلو ظهري فخشيتُ أن يكونَ ذلك بعضَ أسودِ هذه الغياضِ وأعُوذُ بالله!

---

(1) في الأصل: يتحبَّبُ والإصلاح من ع 497.

فقلت: كّلا! لا يفعل الله ذلك!

قال: نعم، كلاّ! لا يفعله إن شاء الله تعالى، ولكنّي عرّفتُك ما عرض لي.

ثمّ ركب من ذلك المنزل في غلَس الصّبح يريد غيره، ودعاني، وسايرتُه وتحتي فرس. فقال: حرِّكْهُ لأنظُرَ إليه! فحرّكتُه، وحرّكَ هو فرسَه، فدارَ به دورةً خاف لها أن يسقطَ به فترامى عنه وشبَّ الفرس، فعلا ظهرَه ولم يَضُرَّه، فبادرتُ إليه ونزلت عن فرسي فأصبتُه قد ركِب ولم ينلْه مكروه. وقال: هذا ما ذكرتُه لك! وحمد الله وأثنى عليه[1].

كلام في مجلس في الأمر بالسؤال والبحث في/ طلب العلم: 197

74 ــ (قال) وسمعته صلوات الله عليه يقول في هذا المجلس: كان المنصور قدّس الله روحه إذا أفادني شيئاً من العلم والحكمة ربّما قال لي: عاوِدْني فيه، وسلْني عنه، وعن معانِيه، وناظرنِي، واحتجَّ عليَّ، وأرِني أنّك قصَرت عن فهمه. وإن كنتَ قد فهمتَه وما أجلَلْتَنِي فيه وأعظمْتَنِي، فلا يكون مثلُ هذا من تهيُّبِك مراجعَتي فيه[2]. فبذلك تعظم عندك الفوائد وتزيد!

المنصور يشجّع المعزّ على مناظرته.

فكنت أفعل ذلك فيتدفّقُ عليّ من بحور العلم والحكمة منه ما لم أكن أظنُّه.

باب في جلالة المنصور قدّس الله روحه:

75 ــ (قال) وسمعته يقول في هذا المجلس: كان المنصور بالله عليه السلام كثيراً ما يأمُرني/ أن أؤلّفَ كتاباً أو أصْنَع بيتاً ويقول لي: إنْ لا يكُنْ ذلك 198 فأجِز شيئاً أقولُه وأضمِّنُه!

فوالله ما تهيّأ لي شيءٌ من ذلك إجلالاً له في صدري أن أقابله به وأجترىء عليه بالقول فيه.

المعزّ لا يتجاسر على النظم أمام أبيه.

(1) شبّ الفرس: رفع قائمتيه الأماميّتين.

(2) في الأصل: فلا يكون في مثل هٰذا.

كلام جرى في مجلس في توفيق الله لأوليائه:

المعزّ يأمر بتأليف كتاب في النحو.

76 ـ (قال) وسمعته عليه السلام يقول في هذا المجلس لرجل من أئمّة النحويّين ـ وقد جلسَ بين يديه ـ يُقِرُّ له بالمعرفة بعلم النحو أهلُ زمانه: أَصنَعْ كتاباً في كذا وكذَا ـ لفنّ من صَنْعَتِه ذكره له ـ [و] لم يدرِ ذلك النحويُّ معناه إلاّ بعدَ مدّة طويلة، وبعد أن ردّدَ القولَ والبيانَ فيه مراراً كثيرة، فحينئذ فهِمَ عنْه مرادَه
199 وتعاظمه تأليفُ[1] ذلك الذي أراد منه/ أن يؤلّفَه، وقال: هذا وجهٌ ما سبق إليه أحدٌ من النحويّين ولا من أصحاب اللغة المتقدّمينَ، ولا أعرِف كيف أبتدِئُه ولا كيف آخذُ فيه. وكأنّه استعان بي في العذر، فقلت:

أخبرَني فلان أنّه كتب عن ثعلب/ النحويّ[2] كتاباً في المقصور والممدود كان أَلَّفَه فرأينَاه لم يأتِ فيه إلاّ بمثل ما أتى به مَنْ تقدَّمه من الكلام، وإن كانَ قد أجاد التأليفَ وزاد شيئاً يسيراً. (قال) فقلتُ لهُ في ذلك فقال: نعَمْ، وكذلك أَلّفَ الناسُ، وما نزل إلينا شيء من السماء، وإنّما نأخذُ من كلام الناس فنُحْسِنُ النظمَ ونؤلّفُ ونزيدُ الشيءَ بعد الشيء.

200 قال ذلك النحويّ: نعم، كذلك/ عهدنا الناسَ، وعليه نحنُ.

فقال المعزّ عليه السلام: وهذا مقالُ أهلِ العجز. نعم، فاعمل على ما أمَرْنا به، فإنّ فيه من توحيد الله عزّ وجلّ[3] وإظهار حكمته وما أيّدنَا بمعرفته، وهو يؤيّدُك من سمائه فيما أمرْنَاك به إن شاء الله حتّى تبلغَ منه مرادَنا، على خلاف ما قال ثعلب.

فقال الرجل: أرجو أن [يتمّ] ذلك إن شاء الله تعالى. وانصرف وقد تعاظمَه

(1) في الأصل: وتأليف. . .، وتعاظمه الأمر: صعب عليه.

(2) ثعلب: أحد كبار النحاة الكوفيين (تـ 291/904) ولم نعلم له كتاباً في المقصور والممدود (انظر الثبت الذي صدَّر به عبد السلام هارون نشرته لمجالس ثعلب). ويبدو من هذا الخبر ـ بعد التمعُّن في التباس الضمائر ـ أن القاضي النعمان عرف شخصاً كان جالس ثعلب ونقل عنه هذا الكتاب المجهول.

ويريد النعمان بروايته أن يشجِّع هذا النحوي على تأليف ما أمره المعزّ بتأليف.

(3) لا نفهم صلة هذا الكتاب بتوحيد الله، ما دمنا نجهل الأبواب التي اقترحها المعزّ على هذا النحوي.

أمر ما أمرَه به ورأى أنّه لا يقومُ به. وذكر ذلك لي فقلت له: إن حسنت نيّتك وصدقت طويّتك وُفِّقتَ وهُديتَ.

77 ــ ولا أدري ولا أحصي ما أمرَني صلوات الله عليه، والمنصور (عليه السلام وقس)[1] قبلَه/ بمثل هذا، فلا أدري معنى هذا الأمر فضلاً عن الاتّساع في 201
القول فيه، ثم أستعينُ بالله فيفتح لي من ذلك ما كان مقفلاً ويبين لي منه ما كان مشكلاً. النعمان يكتب للأئمة.

78 ــ وإنّي لأعلم أنّ توقيعاً خرج إليّ من المنصور عليه اللاسم يقول فيه: يا نعمان، استخرجْ من كتاب الله ما رفضَتْهُ العامّة وأنكَرَتْه. فقلت في نفسي: وأيّ شيء في كتاب الله ،يتهيّاً لأحد يدينُ بدينِ الإسلام أن يُنكره ويرفُضَه؟ وتعاظمت ذلك ورأيت في الوقت أنّي لا أجد منه حرفاً، ولم أستحسن مراجعته. ثمّ استعنتُ بالله عزّ وجلّ وعلمت أنّ ذلك لم يقله وليُّ الله إلاّ وهو موجود، ففتحت المصحف لأقرأه، فأوّل ما وقَعَت [عيني][2]/ عليه: 202
بِأسمِ اللهِ الرَحْمَانِ الرَّحِيمِ. [فـ] ـذكرت قول من قال إنّها ليست من القرآن فأثبتَّ[3] ذلك. فانفَتَح لي القول حتّى جمعتُ من ذلك جزءاً فيه عشرون ورقةً. فرفعته إلى المنصور صوات الله عليه فاستحسنه وأعجِب به ثمّ قال: تمادَ! فانتهيت إلى سورة المائدة من أوّل فاتحة الكتاب والبقرة، وقد جمعت من ذلك أزيَدَ من ستّمائة ورقة. وكان المنصور عليه السلام إذا لقيتُه ذهب بما رفعته إليه منه، فقال: ما تقدّم لأحد مثلُه. ثمّ قُبض صلوات الله عليه ورحمته وبركاته ولم أُتمّمه. النعمان يؤلف تفسيراً إلى سورة المائدة.

---

(1) قس: قدس الله سره، وهو دعاء مستعمل بكثرة عند الإسماعيلية.

(2) الزيادة من ع 569. ولم يذكر كتاب البسملة هذا في كتب القاضي النعمان التي ذكرها إيڤانوف وفيضي وبوناوالا.

(3) في الأصل: فأشبت. ولعلها: أثبت، من أثبت الأمر إذا تدبره ليعرفه. فيكون المعنى: راجعت الكتب في هذه المسألة، أي طلبت آراء الفقهاء في البسملة هل هي من صلب القرآن (كما يقول الشافعي) أم هي خارجة عنه (وهو رأي مالك، وقد كان ينهى عن قراءتها في القرآن، لا سرّاً ولا جهراً، ورأي ابن حنيفة). انظر تعليق الزمخشري في الكشاف: ج 1 ص 24، وكذلك فصل «بسملة» في دائرة المعارف الإسلامية.

كلام جرى في مجلس في صفة المتخلّفين:

203 79 ـ (قال) وسمعته عليه السلام يقول: أكثر/ ما يعظم في قلوب الجهّال قول مَن لم يعرفوه أو لم يدركوا وقته. وإذاسمعوا قول من عَرَفُوهُ، وإنْ كان حكمةً كلُّه رفضوه. وذكر رجلاً كان يدّعي العلم ويقرُب من الأئمّة صلوات الله عليهم، فقال: رآه المنصور بالله صلوات الله عليه إذا حدّثه عن نفسه لم ير أثر القبول عليه، وإذا روى له عن آبائه، قبِل ذلك ورأى منه أثرَ الرّغبة فيه، فحدّثه يوماً وأنا بين يديه بحديث فيه من الحكمة والعلم ما يستغرِقُ الوصفَ، فلم يظهَرْ لذلك عليه أثَرُ قُبول. فقال لي: ناوِلْني ذلك الكتابَ أرَ أثرَ ما فيه عن آبائنا

زهد الناس في علم معاصريهم.

204 ـ / يعني [كتاباً] كان فيه شيء من ذلك ـ فلما ناولته/ إيّاه أدناني منه، وقال لي: قد سمعتَ ما ألقَيْنا إلى هذا الرجل الساعة، فلم يؤثِّرْ فيه. وأنا أفتح هذا الكتابَ، فقِفْ أنتَ مكانَكَ[1] وانظُرْ إلى ما في الكتاب واسمَعْ ما ألفُظ أنا به ـ يقول لي ذلك سرّاً ـ ثمّ فتح الكتابَ وجعل كأنّه يقرأ عليه منه، وهو إنّما يحدّثه مِن حِفظه وعن نفسه. وكاد أن يَطيرَ إعجاباً منه بما سمعَه، ثمّ طوى المنصورُ عليه السلام الكتاب وقال: قد رأيتَ وسمعتَ؟

قلت: نعم.

قال: فما بينك وبينه في ذلك[2].

ثمّ قام واجتمع معي الرجل بعد ذلك، فقلت له: كيف ما سمعت ممّا في ذلك الكتاب[3]؟

205 فقال: سمعت والله يا مولاي شيئاً ما سمعتُ بمثله/ قطّ. فإن رأيتَ أن تسألَه أن يمُنّ على عبده بشيء منه ينسَخُه؟ فجعلت أزهِّدُه فيه وهو يزيد في ذكر مقدار[4] ما سمعه، وقال: والله إنّه كلام لاَ يُحتاج معه إلى غيره. وجعل يعظّمه ويذكر فضل ما سمعه.

---

(1) أي بجانبي. فالمعزّ يراقب الكتاب الذي يتظاهر المنصور بقراءته على الرجل.

(2) تعبير دارج ومعناه: دونـك الرجل، أي: الأمر بينك وبينه.

(3) هنا أيضاً تعبير متساهل: كيف رأيت ما سمعت. . . أي ما قولك فيه؟

(4) مقدار بمعنى قدر.

فقلت: يا هذا، إذا كان هذا يقولُه مثلك، وأنت تَعْلم أنّه لا يأتي إمامٌ إلاّ
أعطاه اللهُ فضلَ الإمام الذي/ مضى قبلَه وعِلْمَه وحكمتَه، وزاده مثل ستّةِ أسْبَاعِ
ذلك(1)، وإنّك ترى أنّ هذا الذي جاءك، [هو] عَن إمام سبق وسلف بعدَه جماعةٌ
من الأئمّة عليهم السلام، وأنت مع إمام جاءك من بعدهم في أعقابهم تُغبَطُ مثلَ
هذا الاغتباط/ بما جاءك عمّن مضى، وتُعرِضُ عمّن أنت في عصره، فما عسى 206
أن يكونَ من غيرِك ممَّنْ تريدُ أن تُرْشدَه وتدعُوَه وتعرّفَه؟

وذكرت ذلك للمنصور بالله عليه السلام فكان ذلك سببَ اطّراحه عندَه، ووقف على جهلِه بما كان يدَّعيه ويُنسَبُ إليه.

كتمان اسم المؤلف أدعى للتعلق بالكتاب.

(قال) ومن هذا المعنى أنّه أمرني المعزّ عليه السلام بجمع شيء قد أفادَنيه
وجسَّمه لي وأنهَجَ لي معالِمَه ومعانيَه. فبعد أن بسطْتُ شيئاً منه رفعتُـ[ـه] إليه
وارتضاه واستحْسَنَهُ، وقال: من كماله أن يُكتَمَ ذكرُ صاحبِ تأليفِه فإنّه لا يعظُم في
قلوب العامّة إلا ما أعلَمَهُم عمّن لم يلْحَقُوه أو من جهِلُوه/ فلم يعرِفُوه، وذلك 207
لسوءِ تمييزِهم ولِجهلِهم، وإنّما قصَدْنَا إلى هُدَاهُم وتقويمِهم، فمِنْ حيث أمكننا
ذلك استعمَلْنَاه فيهم(2).

حديث ذكر في مجلس في أحوال الأئمّة عليهم السلام:

الأئمة رعاة الأمة أمناء عليها...

80 ــ (قال) وسمعته عليه السلام يوماً يقـول: والله ما ننالُ من الدنيا إلاّ دون ما ينالُه كثير من سائر الناس فيها، وإنَّ أكثرهم ليأكل ويشرب منها فوق ما نأكلُ ونشربُ، وإنَّا لَنَلْبَسُ ويلبَسون ونركَب ويركَبون وننكَح وينكَحون، وإنّا مع

---

(1) تبدو فكرة تفوق الإمام اللاحق على السابق في العلم غريبة، ولم نعثر عليها في غير هذا النص ولا في غير هذا الكتاب. فهذه الستة أسباع من العلم التي تضاف إلى الإمام اللاحق ليست من العلم الذي نزل على آدم والأنبياء من بعده وتوارثه الأئمة إماماً بعد إمام (انظر كلام المعزّ عن جعفر الصادق في ص 249).

(2) ينصح المعز القاضي النعمان بكتمان اسمه من كتب المذهب التي يؤلفها مستمداً منه مادتها، وذلك حتى تنفق عند «العامة»، ولا ينفر منها جمهور السنيين حين يعلمون أنها من كتب الشيعة.

وفي هذه النصيحة ما يبعث على التساؤل عن عدد الكتب التي ألفها النعمان دون أن ينسبها إلى نفسه.

ذلك نتعَب لصلاحِ أحوالهم ودفع الضرّاء عنهم وهم وادعون، وقليل من يعرف لنا
208 ذلك منهم فيشكُره، بل أكثرهم يجهل ذلك/ ويكفره، ولو كان ذلك منّا لهم
لتركناه، ولكنّه شيء افترضه الله عزّ وجلّ علينا وألزَمَنَاهُ.

وأجرُهم عندها قليل.

فذكرت لقوله هذا قولاً كنت سمعته من المنصور عليه السلام ورفَعَ مقامَه[1]، وقد دخلتُ إليه بعد أن عهِد إليه القائمُ عليه السلام، أهنّئه بما أفضى الله عزّ وجلّ إليه من الكرامة[2]. فقال: يا نعمان، وما عسى أن يكون الدرك في هذه الدنيا القليلة الوزن؟ والله، لتاجرٌ تكون بضاعته ألْفَ دينار ينال من الدنيا ما عسى أن لا نَنَالَهُ منها. والله لولا إقامةُ حقّ لله[3] عزّ وجلّ نُقيمُه، وأمرٌ بمعروف ونهيٌ
209 عن منكر نرجو غِبّ ذلك ثوابَه ـ وإنّ ذلك ممّا افترضَه/ الله عزّ وجلّ علينا وألزَمَناه ونصَبنَا/ له وكلَّفَنَاه ـ لكنتُ إلى إيثار الخمول والإعراض عن الدنيا أسرعَ، وبذلك ألذَّ عيشاً وأمتعَ.

حديث ذكر في مجلس فيه احتجاج على أهل الخلاف:

المعزّ لا يشكّ في افتتـــاح المشرق قريباً.

81 ــ (قال) وسمعت المعزّ لدين الله صلوات لله عليه في مجلس اجتمع فيه عنده جماعةٌ من الأولياء، وقد ذكر أمر المشرق وما اجتمع من أوليائه وما يرجوه من قرب وعد الله له وإظهاره عليه.

فقال: ما يقول من كان من وأليائنا من البربر يومئذ[4] إن احتجّ عليهم محتجّ فقال: إليس داود النبيّ عليه السلام نفاكم من أرض المشرق وأخرجكم منها بأمر
210 الله عزّ وجلّ/ ووَحْيِه بذلك إليه[5]؟ فلا بدّ للمسؤول منهم عن ذلك من: نعم.

(1) ورفع مقامه: دعاء ثان لا يعطف على: عليه السلام.
(2) عهد القائم إلى المنصور سراً يوم دفن المهدي (14 ربيع 1 سنة 322/ 4 مارس 934) ولم يعلن عن ولاية العهد للمنصور إلا بعد سبع سنوات، كما ورد في سيرة جوذر ص 40. أو بعد اثني عشر عاماً على قول ابن حماد وابن عذاري وابن خلدون: رمضان 334/ ماي 946. انظر التعليق 48 لناشري سيرة الأستاذ جوذر وتعليق مترجمها ماريوس كانار ص 55 و 56. وانظر ص 202 وص 414.
(3) في الأصل: إقامة حق الله.
(4) أي عند فتح بلاد المشرق.
(5) يظهر من هذا القول أن المعز يتبنى الفكرة القائلة بأن البربر كانوا في الأصل يعيشون بأرض=

فإن قيل له: فمن أذن لكم في الرجوع إلى موضع قد أخرجكم منه نبيٌّ مرسَلٌ بأمر من السماء منزّل؟

قصّة طرْد البربر من المشرق.

فقال بعضهم: دخولُنا معك صلوات الله عليك أعظمُ حجّتِنا، وأنت وارثُ أرض الله عزّ وجلّ[1]، ونحن أتباعك وأولياؤك.

فقال: هو كما ذكرت، ولكنّ مخالفَك فينا لا يَقْنَعُ بهذا القول ولا يرى أنّه حجّةٌ عليه.

فقال: من لم يقنع منّا بهذا القول كانت سيوفُنا على رأسه.

فقال ﷺ: إنّ غَلَبَةَ السيوف ينالُها المُحقُّ والمُبطِلُ ولكنَّ غلَبَة حجّةِ الحقّ
211 لا تكون إلاّ لأهله. ونحنُ نريدُ منكم/ أن تكونُوا قاهرين بالأيْدِي والألسنة
وكذلك تكونو[ن] إن شاء الله. إنّا لو هدينا بعضَ البهائم لاهتَدَتْ، فكيف بمن تولاّنا وحلَّ محلَّكم منّا؟

فقالوا: يفيدُنا أمير المؤمنين ويُبصّرُنا ما نقول.

كتامة البرابر سيرجعـــون إلى المشرق مع المعزّ.

فتبسّم، ثمّ أطرق ساعة وقال: أليس قد أسكن الله آدمَ جنّته وأوسع عليه نِعمته، فلمّا استنفَرَه الشيطانُ أهْبَطَهُ[2] منها وإيّاهُ، ثم تلقّى آدم كلماتِ ربّه فأعاده إليها، ومن أصلح من وَلَده، ولعَن إبليسَ وحرّمها عليه وعلى من اتّبعَه من ولَد آدم وركنَ إليه؟ (قال) فالمعصية هي التي أوجبَتْ إخراجَ البَربر لا الأنسابُ، فمن

= الشام وأنهم كانوا من أنصار جالوت. فلما قتله داود في الحادثة المعروفة، فرق أنصاره وأطردهم فصاروا إلى بلاد المغرب. وقد استعرض ابن خلدون هذه الأقوال في بحثه عن أصل البربر (انظر تاريخه في طبعة بولاق ج 6 ص 93 وما يليها) وحكم على هذه الآراء فقال: «واعلم أن هذه المذاهب كلها مرجوحة وبعيدة من الصواب» (ص 96)،وعلى هذا الرّأي بالذات فقال: «. . . وأما القول بأنهم من ولد جالوت أو العماليق وأنهم نقلوا من ديار الشام وانتقلوا، فقول ساقط يكاد يكون من أحاديث خرافة».

هذا وقد أبدى المؤرخون الغربيون شكهم في هذه التأويلات ومنهم ستيفان قسال (ص 355 من كتابه تاريخ شمال إفريقيا القديم، طبعة باريس 1921).

Stéphane Gsell: Histoire ancienne de l'Afrique du Nord, p. 355.

(1) في تمجيد المعز أيضاً يقول ابن هانىء (القصيدة 110 بيت 17):

«وكفى بمن ميراثه الدنيا ومن ... خلقت له، وعبيده الثقلان»

(2) في الأصل: فأهبطه.

212 صلح من ذُرّيتهم وأناب وتلَقّته الكلماتُ دخل في حُكمِ/ أهلِ الطاعة واستحقّ الرجوعَ إلى مكانه ومقرّهِ. ومن تمادى على غيّه وعِصيانه بقيَ طريداً منفيّاً، وثوى شقيّاً مَخْزِيّاً. هذا حكمُ الله عزّ وجلّ في الأوّلينَ والآخِرينَ وسُنّتُه في عباده إلى يَوْمِ الدين[1].

ثمّ نظر إليّ فقال: ما الذي أوجب لآدم أن تَلَقّتْهُ كلماتُ ربّه ووُفّق لتَوْبتِه وأوْبتِهِ وسبّب له أسبابَ سعادته، وحرم ذلك إبليسَ فلم ينَلْه، ولا شيئاً منه، وباء باللّعْنة في الدنيا وفي الآخرة بالنار، والمصير إلى سوء القرار، لإصراره على معصيته، وندَم آدم منها بتوبته. (قال) أفليْسَ ذلك بتوفيقِ الله لآدمَ وهدايتِه إليه؟

قلت: أجل!

213 قال/ فلمَ لَمْ يكُن مثل ذلك لإبليس من موادّ فضلِ الله عزّ وجلّ ورحمته وإحسانِه؟ وإن كان الحُجّةُ بالمعصيةِ قد وَجَبَتْ عليهما، فلمَ خَصّ اللهُ عزّ وجلّ آدمَ بالفضل والهدايةِ منهما؟

قلت: الله ووليّه أعلمُ.

قال: لأنّهما ليسا سواءً في الجُرم والمعصية: كان آدم فيها مخدوعاً، زيّنَها له واختدعَه الشيطانُ، والشيطانُ مختارٌ لها داخلٌ فيها على بيان، فلم يَسْتَوِيَا. وكذلك أئمّةُ الضلال هم أعظمُ جُرماً ووزراً من أتباعهم من الجُهّال. ومن هذا ما حكى الله عزّ وجلّ عنهم لمّا تبيّنَتْ لهمُ الأمور من قولهم: ﴿رَبَّنَا إنّا أطَعْنَا
214 سَادَتَنا وَكُبَرَاءَنَا فَأضَلُّونَا السَّبِيلَ، رَبَّنَا آتِهِمْ/ ضِعْفَيْنِ من العذَابِ وَالْعَنْهُمْ لَعْناً كَبِيراً﴾[2].

(قال) ومن لعنُ رسولِ الله ﷺ أحُد[3] القادةَ والرؤساءَ من مُشركي قريش

(1) يستخدم المعز أسطورة الأصل المشرقي للبربر حتى يحملهم على مرافقته إلى مصر يوم يعزم على فتحها، ويعتبروا أن خروجهم إلى المشرق إنما هو عودة إلى أوطانهم الأصلية وليس هجرة.
(2) الأحزاب، 68.
(3) في الأصل: يوم الأحد، والحديث: أعظم الناس عذاباً... ذكر بمعناه لا بلفظه في صحيح الترمذي 10/142 وسنن ابن ماجة 1/75.

الآمر بالمعصية أشدّ إثماً ممّن تابعه عليها.

وكان أكثرَهم يومئذ بنو أمية. ومنه الحديث: أعظم الناس عذاباً يومَ القيامة من نصب ضلالاً فاتَّبَعَهُ الناسُ عليه.

ومنه الحديث أيضاً: مَن استَنَّ سنَّةً حسنةً فعمِل بها وعُمِل بها بعدَه فله أجْرُهُ وأجرُ من عَمِل بها من غير أن ينقصَ من أجورهم شيء. ومن استنَّ سنَّة سيّئةً فعمل بها وعُمل بها بعدَه كان عليه وِزره ووِزر من عَمِل بها بَعْده/ من غير أن 215
ينقص من أوزارهم شيء[1]. ومنه قول الله عزّ وجلّ: ﴿وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالاً مَعَ أَثْقَالِهِم﴾[2].

وكلّ هذا يؤيّد قول المعزّ عليه السلام: إنّ الآمر بالمعصية المتبوع فيها أعظم جُرماً ممّن اتّبعَهُ، لا سيَّما إن كان مخدوعاً [مُزَ]يّناً له[3] كما ذكر ذلك عليه السلام في آدم عليه السلام. وقد أخبر الله عزّ وجلّ بإنعامه عليه بقوله: ﴿وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ﴾[4]، وقال لإبليس: ﴿اخْرُجْ مِنْهَا مَذْؤُوماً مَدْحُوراً لَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ لأَمْلأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكُمْ أَجْمَعِينَ﴾[5]. وقال: ﴿فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ﴾[6]. فحرمه فضله وأيأسه من رحمته بجُرأته وعظيمِ جُرمِه/. 216

كلام في مجلس في السّتر على المؤمن:

المؤمنُ يسترُ عيبَ أخيه.

82 ــ (قال) وسمعته صلوات الله عليه يأمر فيما أوجبه بأن لا يُستَرَ عنه شيء سَتْرَ خيانـة. ثمّ قال: فأمّا ما كان بين أحدِكم وبين أخيه فَسَتْرُ[ه] عليه[7] أوْلـى به. إنّ من حقّ المؤمن على المؤمن من إخوانه ستْرَ عيبه والنصيحةَ له فيـه.

وهذا كقول جدّه عليّ صلوات الله عليه: لو وجدتُ المؤمنَ على فاحشة

---

(1) ابن ماجه 1/74 (رقم 203ـ 207).
(2) العنكبوت، 13.
(3) في الأصل: يناله، والإصلاح منا، قياساً على ما مر من كلام في توبة آدم.
(4) طه، 121ـ 122.
(5) الأعراف، 18.
(6) الحجر، 34ـ 35.
(7) الزيادة من س 133.

لستَرْتُهُ بثوبي(1). ومنه الحديث: أقيلوا ذوي المروءات عثراتهم(2).

ومنه الحديث المأثور عن الصادق جعفر بن محمد عليه السلام يرفعه إلى
217 رسول الله ﷺ أنّه قال: ما من عبد مؤمن إلاّ لله عليـه سبعون/ سِتراً، فإذا أذْنَبَ
ذَنباً انهتك عنه سِتْرٌ من تلك الأستار، فإن تاب منه واستغفر اللهَ أعاد عليه ذلك
السِّتر ومعه سبعون ستراً، فإن أبى إلاّ قُدُماً في المعاصي لا يتوب ولا يستغفِرُ اللهَ
منها، انهتَك مع كلّ ذَنْبٍ منها سِتر حتّى ليَبْقَى ولا سِترَ عليه، فيأمر اللهُ تبارك
وتعالى الملائكةَ بأن تستُرَه بأجنحتَها، فإن تاب واستغفر اللهَ أعاد عليه تلك الأستارَ
ومع كلّ سِتر منها سبعون سِتراً، فإن أبى إلاّ قُدُما في المعاصي شكتِ الملائكةُ
أمرَه إلى الله، وقالت: ربَّنا إنّ عبدك هذا لَمُقْذِرُنَا ممّا يأتي [من] المعاصي،
218 فيأمرهم الله عزّ وجلّ برفع أجنحَتِهم عنه. /فلو أتى ذنباً في قعر البحر أو تحت
تُخوم الأرض لأبداه الله عزّ وجلّ عليه. ثم قال رسول الله ﷺ: فاسألُوا اللهَ أنْ لا
يَهْتِك أسْتَارَكُمْ(3).

فإذا كان هذا فعل الله عزّ وجلّ بالمؤمنين من عباده في السِّتر عليهم وإقالَتِهِم عثراتِهم وإمهالِهم ما لم ينهَمِكُوا في المعاصي، فأولياؤُه أحقُّ من امتثَلَ(4) ذلك من أمره وما أمروا به في المؤمنين من عبادِه.

كلام جرى في مجلس في ذكر البرهان:

83 ــ (قال) وذكر عنده صلوات الله عليه في بعض ما يجري من الكلام البرهانُ. فقال لي: ما البرهان عندك؟ معنى البرهان.

---

(1) يشيد الشيعة بموقف علي من خصمه عمرو بن العاص في وقعة صفين حين سقط من فرسه وانكشفت عورته، فقد تأخر عنه حياء. وقال ابن هانيء (القصيدة 106 بيت 54):

ألقت بأيدي الذل مُلقى عمرها ... بالثوب إذ فغرت له صفين

وقد قال الشيعة إنها حيلة من عمرو لينجو من موت محقق.

(2) سنن أبي داود، 446/2. ومشكاة المصابيح، عدد 3569. والقول ينسب أيضاً إلى الإمام علي: نهج البلاغة ج 311/2 عدد 20.

(3) حديث الأستار: لم تذكره الكتب السنية، وذكره ابن بابَوَيه الشيخ الصدوق في علل الشرائع والأحكام ص 532.

(4) في الأصل: من امتثال.

قلت: هو معنًى: البيانُ.

فقال: فقد قال رسول الله/ ﷺ: إنَّ من البيان لسِحراً[1] ولم يقل ذلك في 219
البرهان.

فقلت: فما البرهانُ يا مولاي؟

فقال: استقصِ فيه ما عندك وما قيل ممّا انتهى إليك، ثمّ تسمعُ القولَ فيه إن شاء الله تعالى.

فرغبْـ[ـتُ] إليـه في الإخبار عمّا عنده (صلع) في ذلك، فقلت: هو يُصِحّ ويُثْبِتُ. وهذا قول قد جاء في كتاب الله عزّ وجلّ في غير موضع، ومثله لا يؤخذ القول فيه إلاّ بتثبيت القول ممّن يجب القطع بقوله[2].

فقال: لا بدّ من أن تنظر في ذلك فيما عندك على كلّ حال.

فانصرفتُ لمّا لم أجد ممّا أمره بُدّاً صلوات الله عليه. فنظرت فيمـا قال أهل
اللغة فيه فأصبت ظاهر قولهم يختلفُ في ذلك، غير أنّه يرجع إلى معنى واحد/ . 220
فرأيت بعضهم قال: البرهان بيان الحجّة وإيضاحها.

وقال الآخر: البرهان الحجّة.

وقال الآخر: البرهان البيّنة.

وقال الآخر: البيان.

وقال الآخر: الآية.

ثم تتبّعته من كتاب الله عزّ وجلّ فأصبته في البقرة: ﴿وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إلاَّ مَنْ كَانَ هُوداً أوْ نَصَارَى، تِلْكَ أَمَانِيُّهمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾[3]. وفي النساء: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إلَيْكُمْ نُوراً مُبِيناً﴾[4].

النعمان يبحث في معاني البرهان.

وفي سورة يوسف: ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِـهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلاَ أَنْ رَأَى بُرْهَانَ

(1) البخاري، ك. النكاح، باب الخطبة 25/7.
(2) أي من الإمام.
(3) البقرة، 111.
(4) النساء، 174.

رَبِّهِ﴾[1].

وفي «اقترب»: ﴿أَمِ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ هَذَا ذِكْرُ مَنْ
مَعِي وذِكْرُ مَنْ قَبْلِي﴾[2].

221 وفي «قد أفلح»: ﴿وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللهِ/ إلاَهاً آخَرَ لاَ بُرْهَانَ لَهُ بِهِ﴾[3].

وفي سورة النمل: ﴿أَإِلاَهٌ مَعَ اللهِ؟ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾[4].

وفي القصص: ﴿اسْلُكْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ وَاضْمُمْ
إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهَبِ فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ مِنْ رَبِّكَ﴾ الآية[5]. وفيها: ﴿وَنَزَعْنَا مِنْ 136
كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيداً فَقُلْنَا هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ فَعَلِمُوا أَنَّ الحَقَّ لِلَّهِ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾[5].

ثمّ نظرت في قول المفسّرين في كلّ آية من هذه الآيات فلم أجدْهم قالوا في
ذلك إلاّ بمثل ما قال أهل العربيّة فيه من أنّه: حُجّةٌ، وإيضاح المَحَجَّة وبيانُها،
222 وبيانٌ، وبيّنةٌ. وآيةُ ذلك كما ذكرتُ معناه واحد. ثمّ صرّفتُه فيما تحتمِلُه اللغةُ/ من
المجاز، وذكرتُ ما يجوز من ذلك وكيف قيل فيه، في كلام. ثمّ ذكرت ما تبيّنَ
لي فيه من الباطن، وجمعتُ ذلك، وجئتُ به إليه ﷺ بعد أن بسطتُ فيه عُذْراً.

فتهيّبْتُ إخراجَه إليه وأمْسَكتُه إلى أن ذكر أنّه جار[ى] في ذلك بعضَ من
يُعنَى بقول الفلاسفة، وأنّه ذكر ما قالوه فيه باللسان الفلسفيّ، وذكر ذلك وفسّرَه
إلى أن اعترفَ عليهم وأقرّ بالتخلّف وذكر جمل قوله في ذلك، وكان مرجعه إلى
مثل ما قدّمتُ ذكرَه من أنّه حجّةٌ، ولكنّهم[6] تكلّموا فيه على مثل ما يتكلّمون فيه
223 من تنزيل الأشياء واتّصالها/ وكيف يكون ذلك ويتّصل[7] بزعمهم.

ثمّ أخرَجَ إليه بعضُ من حضر المجلسَ كرّاسةً في مثل ذلك قد كان سأل

(1) يوسف، 24.
(2) الأنبياء، 24. وتبدأ السورة بـ: ﴿اقترب للناس حسابهم﴾.
(3) المؤمنون، 117. وتبدأ السورة بـ: ﴿قد أفلح المؤمنون﴾.
(4) النمل، 64.
(5) القصص، 32 و 75.
(6) في الأصل: ولكنه.
(7) في الأصل: واتصل.

عنها رجلاً من بعضِ الدعاةِ جاء في ذلك ببعض قولِ الفلاسفة لم يَعْدُه على مثل ما قالوه.

وجاء آخر برسالة البرهان[1]. فنظر المعزّ عليه السلام فيها ثمّ قذف بها وقال: والله ما المصيبة إلاّ أن يضافَ إلينا مثلُ قائلِ هذا الكلام ويُنسبَ إلى أنّه من دعاتنا، وليسَ في هذه الرسالة للبرهان ذكرٌ ولا معنى، غير أنّه لقبّها به. ووقف المعزّ عليه السلام فيها على خطإٍ كثير أتى به.

ثمّ نظر إلى الكرّاسة التي/ بعث بها الآخرُ وكان الذي ذكر أنّه جاراه في تلك 224
وأجاب عنه بكلام الفلسفيّ حاضراً وهو أحذق مَن بالحضرة به، فقال له: وهذا الكلام الذي جئتَنا أنتَ به جاء هذا به أيضاً. فقرأ عليه شيئاً منه وأوضح فسادَه، وقال لي: هات أنت أيضاً ما عندَك في ذلك! فاعتذرت وذكرت أنّ الذي دعاني إلى جَمْعه أمرُ أمير المؤمنين صلوات الله عليه[2] بذلك، وإلاّ، فالذي كنت أحبُّه سماعُ ما عند أمير المؤمنين منه وإيثاره عنه. وناولتُه كرّاسةً كنتُ جمعت فيها
ذلك، فقرأها وتبسّم وقال: قد أجبتَ فيما استدلَلْتَ به ومثّلتَه/ شيئاً يقارِبُ 225
المعنى وليس به، ولكنّك حصلت على قِشْرٍ منه.

فقلت: وهذا ما في أوعية القوم وقف عليه أمير المؤمنين عليه السلام ولم يبق إلاّ ما ننتظر من فضله ويُوجَد عنـ[ـد]ه، وقمت قائماً وقلت: يتطوَّلُ أميرُ المؤمنين (ص)، فقد تعلّقتِ القُلوبُ إلى ما عِنْدَهُ. وكان في المجلس جماعة فقام كلّ من كان منهم جالساً[3].

فقال: اجلِسوا! وابتسم. ثمّ قال: إنّ هذا يحتاج إلى أن يبسط له بساطٌ لمعزّ يدلي بتفسيره. يكون بين يديه ويؤسّسَ له أساسٌ يبنى الكلام فيه عليه، وذلك يطول ذكره.
ولكن، أليسَ قد ثبتَ أنّ البُرهَانَ أمرٌ جليل وخطب/ جسيم؟ 226

قلت: نعم.

---

(1) رسالة البرهان: يبدو أن مؤلّفها من دعاة الشيعة، ولم نقف لها على ذكر عند من سبق عصر النعمان.

(2) في العبارة هنا: منه، وآثرنا حذفها.

(3) هل يعني قيامهم أن الوقوف واجب عندما ينطق الإمام؟

قال: فَلِمَ لم نجد[ه] من أسماء الله جلّ ذكره ولا من صفاته؟ أليس قد علّمنا أنّه أعظم شيء دونه؟

قلت: أجل.

قال: أوليس قد رُوِيَ عن رسول الله أنّه قال: لمّا خلق الله العقل قال له: أقبل! فأقبل، ثمّ قال له: أدبر! فأدبر. فقال) وعزّتي وجلالي ما خلقتُ خَلقاً هو أكرمُ علـيّ منك، بك آخُذ، وبك أعطِي وبك أثيبُ، وبك أجـازِي، وبك أعاقِب؟

قلت: هذا حديث معروف مأثور[1].

قال: فهل يكون مِن دون الله ما هو أفضل ممّن شهد الله له عزّ وجلّ بهذه

227 الشهادة وأنزله من الفضل بهذه المنزلة من جميع/ ما خلق كما قال عزّ وجلّ؟

قلت: لا.

البرهانُ هو ما ثَبَتَ بالعقلِ.

قال: فما أثبتَهُ العقل الصحيحُ الكامل، الذي شهِد الله له بهذه الشهادة وشهد له وصدَّقه وأوجبه[2]، فذلك هو البرهانُ المنير بصحّته ووجوبه، كما أنّ آياتِ النبيّينَ إنّما كانت براهينَ بتصديقِ العقولِ الصحيحة إيّاها وثَبَتِها[3] فيها، وشهادِا قالها ودفعَتْها العقولُ الناقصة بعد أن أثبَتَهَا[4] وقامَتْ حجّةُ الله فيها عليها، وذلك قوله سبحانه: ﴿وَجَحَدُوا بها وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْماً وَعُلُوًّا﴾[5].

وأمّا قولهم لمّا رأوْا العذابَ: ﴿وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي

(1) ذكر الغزالي هذا الحديث في الإحياء، ج 1 ص 83 (من طبعة دار المعرفة بيروت) وكذلك في «ميزان العمل» ص 331 (تحقيق سليمان دنيا، القاهرة 1964) ويعتبر من الأحاديث الموضوعة ذات الصبغة الإشراقية.

انظر: العناصر الإفلاطونية المحدثة والغنوصية في الحديث لقولدزيهر ضمن كتاب عبد الرحمان بدوي: التراث اليوناني في الحضارة الإسلامية (القاهرة 1965) ص 218 ـ 241. وذكره وليّ الدين التبريزي في مشكاة المصابيح للبغويّ 2/ عدد 5064 قائلاً: وقد تكلم فيه بعض العلماء.

(2) هذه الأفعال الثلاثة معطوفة على «أثبته العقل».

(3) الثبت بفتحتين: الحجة والبرهان. وهذا المصدر معطوف على «تصديق».

(4) قالها العقل، وأثبتها العقل.

(5) النمل، 14.

أصْحَابِ السَّعِيرِ﴾[1]، فإنَّما ذلك بما قصر من عقولهم، وليس مثلَ هذه العقول ذكَرْنا، ولا إليها أشرنا. ولمّا كان/ العقل خلقـ[ـا] من خلق الله لم يكن له بدّ[2] 228 من زَوْجٍ يُشبِهُه لقوله عزّ وجلّ: ﴿وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾[3]، /فباطن العقل في الفضل كمثِلِه، وما شهد له وثبت عنده وصدَّقهُ فذلك برهان منه له كما قال جلّ ذكره: ﴿فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ مِنْ رَبِّكَ﴾[4].

فقبّل الأرض من كان في المجلس بين يديه. وقال ذلك الذي كان يقول [بقول] الفلاسفة: على مثل هذا، والله، دار القوم وأخطأوه، وحوله حاموا فجهِلُوه.

فقال (صلع): أرأيتم لو حدّثكم رجل صادق عندكم أنّه سمع رجلاً مخبولاً تكلّم بكلام الخبل، هل كنتم تمترون في قوله؟

قلنا: لا.

229 قال: فلو حدّثكم/ بذلك عن رجل عاقل فاضل عالم، أليس كنتم تشكّون في صدقه حتّى تختبروا الرجل الذي حكى ذلك عنه، فإن أصبتموه على ما كنتم عهدتموه من العقل والفهم والعلم كنتم على ما كنتم عليه من الشكّ فيما نُقِلَ إليكم عنه لصدق المخبِرِ وحاله التي تدفَعُ عنه وتنفِي مثلَ ذلك الخبر، لأنَّ العقل لا يقطع على صادق بالكذب، ولا [على] عاقلٍ بالخبَلِ والتخليط؟

قلنا: نعم.

قال: فإن أصبتموه مخبولاً مختلطاً [فـ]ـهل تشكّون في خبر الرجل المخبر عنه بالتخليط؟

قلنا: لا.

قال: أليس إنّما كان ذلك بما شهِد به العقلُ صار برهاناً/ على صدق

(1) الملك، 10.
(2) في الأصل: لم يكن بد له.
(3) الذاريات، 49.
(4) القصص، 32.

المخبر؟[1].

قلنا: نعم.

230 قال: ومن هذا/ قول رسول الله ﷺ: ما جاءكم عنّي فاعرضوه على كتاب الله فما وافق كتاب الله فأنا قلته، وما لم يوافقه فلم أقله. ثمّ أكّد ذلك فقال: وكيف أخالف كتاب الله وبه اهـ[ـتـ]ـديتُ؟ والمأثور عن رسول الله ﷺ من الأخبار لا يوجد نصّه[2] في ظاهر القرآن وإنّما يوافق ما فيه بالاستدلال، وشهادة العقول.

لم يسبق للأئمة تفسير للبرهان، والمعزّ عازم على الكتابة فيه.

ثمّ قال ﷺ: وهذا ما لم أعلم أحداً من الآباء ولا من غيرهم تكلّم فيه، وسوفَ أبسُطُه وأشرَحُ معانيَه حتّى أجسِّمه جسماً للناظرين وأمثّلَه روحاً للمتأمّلين.

231 وكان في قوله هذا كفايةٌ لمن تدبّره وهُدًى لمن أبصره/ ورمزٌ لما فيه من علم الباطن. وأشار إلى علم أشياء لـم أَرَ أكثرَ مَن حضر فهِمَها، بل رأيت كثيراً منهم قصر عن فهم ظاهر ما تكلّم به ولم يقِفْ على حقيقةِ معرفته.

علم المعزّ علمٌ فطريّ...

وهذا الذي جاء به (صلع) هو الذي أوجب عند ذوي التمييز والعقول فضلَه وأبان لديهم خطبه، وشهد بالأمانة له وبرهن عن اتّصال مَادة[3] الله عزّ وجلّ إيّاه وتأييده [له] بالحكمة[4] عند من اعتبر ذلك فيه وميّزه من أمره وتدبّر حاله. لأنّا قد علمنا أنّه حديث السنّ قريبُ العهد معروفُ المكان مشهورُ
232 الخلطاء والإخوان ممّن يلوذ به ويجلس إليه/ وينصرفُ بين يديه، ويصحَبه مذ كان طفلاً إلى أن شاهَدْنَا فيه ما قد شاهَدْنا، [و] لم نعلَمْ له في الطفوليّة مؤدّباً عالماً

(1) هذا أيضاً التباس في التركيب، والمعنى المقصود هو: أليس إنما... صار ذلك برهاناً على صدق المخبر، بما شهد به العقل، أي بفضل ما شهد به العقل.

(2) في الأصل: نصها. والحديث: ما جاءكم عني... ذكره أبو بكر بن عربي في حاشيته على صحيح الترمذي، ج 10 ص 133.

(3) المادة مصطلح إسماعيلي، وتعني عندهم العلم الإلاهي الذي ينتقل إلى الأئمة، وترجمها H. Corbin بعبارة La sève divine. هذا وإن تركيب الكلام لا يستسيغ ضمير «إياه» اللاحق، ولعله محرف عن «به».

(4) في المخطوط: وتأييده بالحكمة له، فآثرنا تقديم «له».

فنقولَ: أفاد منه، ولا بَعْدَ ذلك من جليس ولا مصاحِب كذلك يحسن شيئاً لم يقع إليه
فنقول: أفاد عنه، ولا كانت له رحلة ولا طلب، ولا أراه يفيد شيئاً مِن دراسة بتحصيل.
الكتب يوازي جزءاً لا يتجزّأ ممّا نراه فيه ونجده من فنون العلم والحكمة لديه.

وقد نرى من اكتهل وخرف في الطلب ورحل وكتب ولقيَ العلماءَ وأخذ عن الحكماء وأكبّ الدهرَ الطويل على الدراسة وحركةِ الحِجاج والمناظرة لا يجاريه في شيء من/ العلم ولا يدانيه ولا يقاربه في شيء، ولا يقاس إليه وإن كان 233
صاحب فنّ قد أنفرد به، وعلمٍ قد قطع طولَ عمره في طلبه.

وجدناه صلوات الله عليه قد نظر في كلّ فنّ وبرع في كلّ علم، وإن تكلّم في المعزّ عارف
فنّ منها أربى على المتكلّمين وكان فيه نسيجَ وَحْدِهِ في العالمين. أمّا علم الباطن بأصناف العلوم
ووجهه فهو [الـ]ـبحر الذي لا تُخاض لُجّنة ولا يُدرك آخره. كلّها.

وأمّا القول في التوحيد وتثبـ[ـيـ]ـت الدين والردّ على أهل اقتراف البدَع والملحدين فهو واحد[ه] وهو علَمُه ومناره وعمدته.

وأمّا الفقه والحلال والحرام ومسائل الفتيا والأحكام فذلك مجاله/ وميدانه 234
وصنعتُه وديدانه(1).

وأمّا الطبّ والهندسة وعلم النجوم والفلسفة فأهل النَّفَاذِ في كلّ فنّ من ذلك في يديه، وكلّهم في ذلك عيال عليه(2). يخترع في كلّ يوم لهم من الصنائع ويُبدع
لهم فيه البدائع من دقائق معانيه، وما تحار أذهانهم فيه فيما لو أخذتُ في تقصّي النعمان يُشيدُ
معانيه ووصف ما آثره الله عزّ وجلّ به وجعله من العلم والحكمة فيه، لقُطِع هذا بحكمة المعزّ.
الكتاب عمّا بَنَيْتُه عليه.

وهذا من نحو براهين جدّه محمد ﷺ إذ(3) أكمل الله عزّ وجلّ ما أكملَه من العلم والحكمة والفضل فيه وهو أميّ/ لا يقرأ ولا يكتُب، ومقيم بمكّةَ لا ينصرف 235
عنها فيطلب، ولم يكن بها عالم بما جاء فيقال: أخذ ذلك عنه، ولا طرأ إليها

(1) في الأصل: وديوانه. والديدن والديدان الدأب والعادة.
(2) في الأصل: فأهل النفاذ في كل فن من ذلك عيال في يديه وكل كلم في ذلك عليه.
(3) في الأصل: وإذ.

طارىء[1] صحبه يُعرَف بعلم فيقال: إنَّه اقتَبَسَهُ منه. وفي هذا قول الله عزّ وجلَّ وهو أصدق القائلين: ﴿وَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلاَ تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذاً لاَرْتَابَ المُبْطِلُونَ بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أوتُوا العِلمَ﴾[2]. فكفى بهذا من شهيد ودليل وبرهان يُرى بالعيون، ويُسمع بالآذان، وتنقادُ له العقول بإذعان، ﴿لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ﴾، كما قال الله عزّ وجلّ: ﴿أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾[3].

(1) في الأصل: صار.
(2) العنكبوت، 48 ـ 49.
(3) قٓ، 37.

الجـزء السـادس

[بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ]

كلام فيـ[ـه] تقريع وتوبيخ في التخلّف عن طلب العلم:

المعزّ يعيب على أتباعِه زُهدهم في طلب الحكمة عنده.

84 ــ قال القاضي النعمان: جلست بين يدي الإمام المعزّ لدين الله صلوات
الله عليه يوماً فذكر زهادة النّاس في الخير وإعراضَهم عنه، وتخلُّفَهم عن طلب
العلم والحكمة، ورضاهم لأنفسهم بالجهل، واشتغالَهم بأمور الدّنيا وإكبابَهم
عليها، فقال: والله لقد كفينا كثيراً ممَّن اختصَصْنَاه منهم من أوْلِيائنا وعبيدنا أمرَ
دنياهم، وأطعَمْنَاهم ممّا نأكُلُ، وكسَوْنَاهم ممّا نلبَس، وشاركناهم فيما نملِكُ،
وإنّهُم ليأكُلُونَ من ذلك ويلبسون ويملِكُون/ ما لا تعَبَ ولا نصَبَ ولا كُلْفَةَ عليهم 237
فيه، وإنّـا لنتعب وننصَب ونتكلَّفُ ذلك لهم، فهم على ذلك أخفضُ عيشاً منّا
فيه، وأقلُّ تعباً واهتماماً به، وما سلِمنا مع ذلك من عادِيَةِ ألسنتهم فيما ينسبونه
إلينا من سوء أفعالهم فيما أكبّوا عليه من أمر دُنياهُم. إنْ تعدَّوا فيما بسطْنا فيه
أيديَهم لما يقتَطعُونَه لأنفسِهم ويأخذهُ الناس عليهم في ذلك من سوء أفعالهم الذي
لا شُبهَةَ فيه ولا ستْرَ عليه، قالوا: هذا لمولانا واجبُه وحقُّه وله نأخذهُ وبذلك
أمَرَنَا! ومعاذَ الله أن نأمرَهم بغيرِ الحقّ، وعهُودُنَا منشورة في أيديهم/ تشهَد بذلك 238
عليهم، فما كفاهم ما يقترفونَه لأنفسهم في الحرام حتّى ينسبوه[1] إلينا ويَنْحَلُونَا
الأمرَ بِه. وقد أعاذنا الله عزّ وجلّ منه، حتّى إذا أرَدْناهُم أن نعظهم، ونُبيّنَ الحقّ
في ذلك لهم، ونوقِفَهُم على حدودِ دينِهم، ونوضّحَ لهم سُنَنَ نبيِّهم ﷺ، وما
افتَرَضَهُ اللهُ عزّ وجلّ عليهم، ونُريدُ أن نَقْضِيَ بشيءٍ ممّا أُودِعْنَاهُ من حكمةٍ لِمَا
نرجُوه بذلك من صلاح أحوالِهم وتزيينِ أمورِهم ورفعِ درجاتِهم وإلحاقِهم بأهلِ

(1) في الأصل: نسبوه.

العلم والحِكْمَة والفضلِ، لم نَرَ فيهم لذلك موضعاً، ولا عليه إقبالاً، ولا فيه
289 رَغبةً، ولا منهم لنا فيه سؤالاً ولا طِلبَةً. ولربّما أردت شحذَهم/ بالتوبيخ في ذلك
وسؤالَهم عمّا لا يسعُهم جهلُه ولا يحِلّ لهمُ التّخلّف عن عمله ممّا افترضَه عزّ
وجلّ عليهم وأوجبَه وكلّفَهُم سؤالَه وطلبَهَ، فلا أرى إلاّ عيوناً ناظرةً، وأفواهاً
فاغرةً، وأجساماً من العلم والحكمة خاليةً. حتّى إنّي ربّما رجعت في ذلك من
مخاطَبَتي إيّاهُم به ألُومُ[1] نفسي فيه، فمتى ينشرح لمثل هؤلاء صدرٌ فيَسْمَحَ لهم
بفائدة، أو تجيبُ نفسٌ إلى أن تعودَ عليهم بعائدة؟

فلمّا سمعتُ ذلك منه صلوات اللهعليه مُلئتُ غمًّا به لخوف الحِرمان وانقطاع
موادّ الفضل والإحسان ـ نعوذ بالله من ذلك ونرغب إليه في اتّصالِ نعمتِه ودوامِ
240 فضلِهِ ورحمته/ ونَيْلِ درجةِ الفضل المرجوّ دركُها من عندِه ـ فأردتُ تسهيلَ ذلك
وبسطَ بعض العذرِ فيه، فقلت: وإنْ رأى أميرُ المؤمنينَ عليه السلام مَن رآه من
أوليائه وعبيدِهِ، على ما وصفَهم به، فأقلُّ شيءٍ عندهم ـ بحمد الله ـ /من فضله
وفوائِدِه وحكمتِه وما أخذُوه عنه وتمسّكُوا به، أفضلُ من كلّ شيءٍ هو عند غيرِهم
ممّن خالف مذهبُهم الولايةَ والمحبّةَ.

قال: لقد علمنا أنّ قليل الحقّ أفضلُ من كثير الباطل، وأنّ الباطلَ كُلَّما كُثِّر
منه كان أضرَّ لمن كثُر عِنْدَه، ولكن أردنا من أوْلِيَائنا أن يكُونُوا عُلَمَاء في الدّنيا
241 يعرِفُ فضلَهم جميعُ أهلِها، وإلاّ فإنْ ـ وأعوذ/ بالله ـ ظَهَرَ على أحدهم عدُوٌّ لنا
فسأله عن مثل ما نسألُهُم عنه، عن أمر دينه واعتقاده وبماذا أوجبَ ولايَتَنَا وإمامتَنَا
عندَه، ولعلّه أن يكونَ ممّن عُرف بنا وذُكِرَ من أوليائنا، فلا يجد عنْدَه شيئاً،
أفَلَيْسَ يكونُ ذلك ـ لو كان، وأعوذ بالله ـ من النّقص علينا، ويوجَدُ به السّبيل إلى
الطّعن في مذهبنا ونسبة الجهل إلينا والزّراية على ما عندنا؟!

تفقُّهُ الأتباع درعٌ واقيـة لهـم ضـدّ الخصوم.

قلت: الذي قال أمير المؤمنين (صلع) حقٌّ وصيّةٍ[2]، والذي أراده لأوليائه
شرفٌ وفضلٌ، ولكن قد علِمَ أميرُ المؤمنين عليه السلام أنّ[3] أهلَ العلمِ قليلٌ في
242 النّاس وأنّ الناسَ لمّا عدّدُوا من كان يُوصَف بالعلم/ مـن أصحاب رسول الله ﷺ

(1) في الأصل: «اليوم» ويبدو أنه تصحيف.
(2) في الأصل: وصيه، وقراءتُنا ظنّيّة.
(3) في الأصل: أنه.

ذكروا بذلك عليّاً عليه السلام الذي لا يقاس أحد به فيه ولا يُعدُّ في درجته. ثمّ ممّن قالوا كان يُذكَر بعدَه بالعلم منهم على ما وصفوه واستقصوه: سلمان الفارسيّ[1]، وجابر بن عبدالله[2] ومعاذ بن جبل[3] وعمر بـن الخطّاب. هؤلاء الذين وصفوهم بالفقه لا غير، وشهدوا أنّ رسول الله ﷺ قال: أقضاكم عليّ[4].

سلمان النعمان يلتمس لهم الأعذار...

وذكروا منهم من كان بعده يذكر بعلم القضايا، فذكروا: عبدالله بن مسعود ومعاذ بن جبل وأبا موسى الأشعري وأبا بكر وعمر. وذكروا العلم بالقرآن فقالوا: عليّ عليه السلام/ أعلمهم به، وذكروا بعده عبدالله بن مسعود وزيداً[5] وأبيّ بن 243
كعب[6] وجابر بن عبدالله وعثمان بن عفّان. فهؤلاء أصحاب رسول الله ﷺ لم يذكر بالعلم منهم غير عشرة لم يكملوا كلّهم فنونه وإنّما أكمل ذلك ـ على ما ذكروه ـ عليّ عليه السلام وحده مع ما له من المناقب والفضائل، فلم يكن ما أراده أميرُ المؤمنين عليه السلام من أوليائه وعبيده يكملُ في أحدٍ من أصحاب رسول الله (صلع). ثمّ قد كان منهم في ولاية وليّ الأمر بعده[7] ما علمه أمير

---

(1) سلمان الفارسي: انظر ص 52.

(2) جابر: صحابي، أحد ثلاثة ذكرهم ابن الأثير في أسد الغابة (ترجمات عدد 645 ـ 646 ـ 647). وقد ذكر الطوسي منهم اثنين فقط: جابر بن عبدالله بن حرام وجابر بن عبدالله بن رئاب (رجال الطوسي ص 11 و 12). والمعنيُّ هنا هو جابر بن عبدالله بن حرام الأنصاري، فإن ابن الأثير يقول فيه: وكان من المكثرين في الحديث. توفي بالمدينة سنة 74 هـ. وانظر: الاستيعاب ج 1 ص 222. وفي الدعائم (ج 1 ص 3) أن محمد الباقر كان يسأل جابر بن عبدالله في مسائل فقهية، وقد أخذ عنه صغيراً إذ تكون سن الباقر حين وفاة جابر سبع عشرة سنة. وعدّه ابن حجر فيمن روى عن جابر. (انظر تهذيب التهذيب ج 2 ص 42: ج 9 ص 350).

(3) معاذ بن جبل: صحابي جليل شهد العقبة وبدراً وأحداً وغيرها. قال فيه الرسول (ص): أعلم الناس بالحلال والحرام معاذ بن جبل (انظر أسد الغابة، ترجمة 4953 والاستيعاب ج 3 ص 365 والإصابة ج 3 ص 406). توفي سنة 18 هـ.

(4) جاءت هذه العبارة في الحديث الذي رواه أنس بن مالك بعد: وأعلمهم بالحلال والحرام معاذ وأفرضهم زيد بن ثابت، وأقرؤهم أبي بن كعب (انظر: أسعد الغابة في ترجمة أبي عدد 34).

(5) زيد بن ثابت: كان يكتب لرسول الله (ص) الوحي وغير الوحي، وشهد له بالتفوق في معرفة القرآن (أسد الغابة، عدد 1824 والاستيعاب ج 1 ص 543). توفي سنة 45 هـ.

(6) أبي بن كعب: كان من أول من كتب للرسول (أسد الغابة عدد 34 والاستيعاب ج 1 ص 27 الإصابة ج 1 ص 31).

(7) أي أبو بكر بعد الرسول (ص).

244 المؤمنين عليه السلام، فلم يصحّ معه(1) منهم إلاّ القليل. فالوَلاية أصلُ/ الدّين وعُمْدتُه، وسَنامُ الأمر وَقُطْبُه. وأكثرُ أولياء أميرِ المؤمنين وعبيدِه ـ بحمد الله ـ لهم في ذلك الحظّ الأوفر والنّصيب الأجزل، وهم ـ بحمد الله ـ في أيّامه الطاهرة ودَولَتِه الزّاهرة، على أفضلِ ما كانوا وكان مَنْ قَبْلَهُمْ قبلَ ذلك. والله يبلّغُ وليَّه فيهم أمَلَه ويوفّقُهم لِما يُرضيه إن شاء الله تعالى.

خوفاً من إعراض المعزّ عنهم وعنه.

فسكت (صلع) ولم أدرِ كيف وقع هذا القول منه، وإنّما حامَيْتُ به عنّي وعنهم خوفاً ممّا قدّمتُ ذكره من أن يكون ما ذَكَره (صلع) يُوجب قطعَ فضله ومادّةِ نعمته وما يُرجَى لديه.

245 أعاذنا الله من ذلك ومنّ علينا بما نرجوه منه/ ووصل لنا بالمزيد ما منّ علينا به منه.

كلام في مجلس في تخلّف أكثر الناس عن علم الفوائد:

كثير من الأولياء يغفلون عن باطن أعمال الأئمّة.

85 ـ (قال) وسمعته عليه السلام يقول وقد ذكر المهديّ والقائم والمنصور عليهم السلام، فذكر بعضُهم فضلَهم وعلمَهم وما خصَّهمُ الله عزّ وجلّ به من الحِكمة، ثمّ قال: وقد رأينا أكثرَ مَن صحِبهم ولقِيَهم وتصرّف في خِدمتهم وشافهَهُم وسمع كلامهم من المؤمنين أيّامَهم لا يحكي شيئاً من ذلك عنهم ولا يأثر شيئاً مِن ذلك منهم. وأكثرُ ما يحكونَ عنهم ما تَمِيلُ إليه طِباعُهم وَتَألَفُهُ
246 أنفسُهم من ظاهر أمرِهم ونَهْيِهم وأفعالِهم في أمور الدّنيا وما كُلِّفُوه/ من إقامة أهلِها على ظاهرِ مِنهاجها ممّن أمروا بِضَرْبِهِ وأَدْبِه(2) وحبْسِه أو قَتْله، ومن وَلَّوْه أو عَزَلُوه، وأثابُوهُ أو عاقبوهُ. فهذا أكثر ما حَفِظُوه عنهم ووعَوْه، كأنّهم لم يسمَعُوا منهم فائدة ولا لَفَظوا قطُّ بحكمةٍ ولا رأوْهَا جَرَتْ في فعلٍ من أفعالهم ولا ظهرت في أمْرٍ من أمورهم فـ [ـيـ] ـتحدَّثُوا بها عنهم أو يَأثروها(3) مِنهم.

كلام في مجلس في معرفة حقوق الأئمّة صلوات الله عليهم:

86 ـ (قال) وسمعته عليه السلام يقول: سمعت المنصور عليه السلام

---

(1) أي: مع علي. لم يثبت معه في المطالبة بحقه إلا القليل، رغم ما شهد به للصحابة من العلم والأمانة.
(2) هذا المصدر غير معروف في اللغة في معنى التأديب.
(3) في الأصل: فتحدثوا... أو يأثرونها.

ورحمته وبركاته يقول: رأيت المهديّ (ص) وقد وقف مع شيخ من كبار الدّعاة
ـ ذكره ـ بعد أن قام من مجلسه وكلّمَهُ بكلام، ثمّ ولّى عنه، فأهوى/ ذلك الشّيخ 247
إلى الموضع الذي كان عليه المهديّ عليه السلام قائماً مـن الأرض فأخذ من ترابه
بيَدِهِ شيئاً فقبّله ثمّ صرّه في منديلٍ كان في كُمّه، فلا أدري كيف التفَتَ إليه المهديّ
عليه السلام بعد أن صار بعيداً عنه، فرآه وما فعل، فقال: يَجزيك اللهُ بذلك خيراً
يا أبا فلان!

مثال من إجلال الدعاة للمهديّ.

وما ظننتُ ولا ظنَّ ذلك الشيخ أنّه رأى ما فعَلَه لأنّه لم يفعَلْه إلاّ بعد أن ولّى ظهرَه ومضى عنه.

كلام في مجْلس في ذمّ الكِبر:

87 ــ (قال) وسمعته عليه السلام يقول وذكر بعض الدّعاة وأنّ بعضَ الأئمّة
عليهم السّلام نصَبَه، قال: فأعجبَتْه نفسُه وأبطرَهُ الإحسانُ/ إليه وشمخ بأنفِهِ ولم 248
يكَدْ يُثني بعِطفِهِ، وجعل كأنّ فضلَ وليّ الله عليه فضلٌ له استحقَّه بنفسه. وعلم
ذلك وليُّ الله عنه فوضَعَهُ وخَلَعَهُ عمّا كان أهّلَهُ له.

قال: فممّا[1] كان يسمعه منه [و] ما دلّه على سُخفِ رأيه وذهابِهِ بنفسه، أنّه إذا بلغ في مدح رجلٍ ووصْفِهِ بالدين والإيمان قال: هو ممّن يَغشاني ويختلفُ إلى داري. وإذا بلغ في ذمّ الرجل ووصفه بالجهل والتخلّف عن الدّين والإيمان، قال: هو ممّن [لا] يختلف إليَّ ولا أراه، كأنّه رأى أنّ الدينَ والإيمانَ [في] الاختلاف إليه، والانسلاخَ منهما [في] التخلّف عنه.

من غرور بعض الدّعاة.

قال: وقد كان إذا خرج مع وليّ الله /اعتزل ناحيةً وأخذ النّاسَ بالكون معه 249
ومشى بهم في موكبٍ، يرى ذلك ممّن اتّبَعَهُ تألّفاً على الدين والإيمان. (قال)
ونصح له بعض من نصح له فتجهّم في وجهه وانتهره، وكان ذلك وغيره من سوء
اختياره سببَ اتّضاعه من حيث أراد رفعة نفسه، وإنّما يرفعُ اللهُ عزّ وجلّ مَن
تَوَاضع له ولأوليائه.

ثمّ قال صلوات الله عليه: إنّ الله عزّ وجلّ لمّا أنزل التّوراة تطاولَتِ الجبال وجوب التواضع

(1) في الأصل: فما.

لها، كلّ جبل منها يريد بذلك أن يكونَ نزولها عليه. وتواضع وهبط طورُ سيناء فأنزل الله عزّ وجلّ عليه.

250 وهذا يؤيّد قول رسول الله / ﷺ: من تواضع لله رَفَعَهُ الله[1]. وقوله: ما من آدميّ إلاّ وفي رأسه حَكَمَةٌ بيد ملَك، فإذا تواضع لله رفعَه بها، وقال: ارتفِعْ رفَعَكَ الله، وإذا تكبّر ضربَه بها وقال: ا[نـ]ـخَفِضْ خَفَضكَ الله[2]. وقول جعفر بن محمد (صلع): من طلب العلم ليماريَ به السّفهاءَ أو يكابرَ به العلماء ليترأّسَ به في الناس فليتبوّأْ مقعَده من النّار، لأنّ الرّئاسة لا تصلح إلاّ لأهلِها، / فالرّئاسةُ لا تصلُح إلاّ لأولياءِ الله، فمَن نازعهم إيّاها ونافسَهم فيها وضعَه وأذلّه الله. ومن ذلك قول رسول الله ﷺ: الكِبـرُ رداء الله فمن نازعَه فيه قَصَمَـهُ[3].

الرئاسة وقفٌ على الأئمة.

251 حديث في مجلس / في سوء السياسة:

88 ـ (قال) وذكرت له يوماً ﷺ حال رجل كان من خاصّة بعض أمراء العامّة وقد استولى على جميع أسبابه، وكان ناصحاً له قائماً بأسباب خِدمته، فكان ذلك الأميرُ فيه ضُعفٌ وسُخف، فكان ذلك الرّجل يقوم له بأكثر الأشياء، وأنّ عامّة رجال ذلك الأمير عادَوْه للنّصيحة له وحسَدوُه على مكانِهِ عندُه فلم يزالوا يعمَلُون عليه حتّى قتلوه.

مثالٌ من التحاسد في بـــلاد الأمراء...

فقال (صلع): من مثل هذا يؤتَى مثلُ هؤلاء. إذا ترأّس أحدُهم وقدّمَه

252 سلطانُه ورفعَه أعجبَتْه نفسُه ورأى أنّ له فضلاً بفضل نصيحتِهِ/ وخدمته على ذلك السّلطان الذي قدّمَهُ وأحسَنَ إليه ورفعَه، فإن رأى ذلك السلطانُ رأياً يرى هو خلافَه اعترضَه فيه، وإن فعل فعلاً ينكِرهُ أنكرَهَ عليه، وإن بذل بذْلاً وأعطى عطاءً أنكره وعاتَبَهُ فيه، فلا يزالُ كذلك حتـى يسقطَ من عَيْنَيْه ويثقُلَ عليه أمرُه فيهلكُ

يـــربطـه المعـزّ بتطاول الخادم على مخدومه.

(1) من تواضع لله: خاتمة حديث ورد عند الدارمي، ج 1 ص 396 والترمذي ج 8 ص 184.

(2) الحديث في الجامع الصغير للسيوطي، ج 3 ص 102 مع اختلاف في اللفظ. والحكمة بفتحتين: حديدة اللجام. وقد ذكره اللسان (حكم) بثلاث روايات، منها حديث عمر: إن العبد إذا تواضع رفع الله حكمته أي قدره ومنزلته

(3) حديث رداء الكبرياء: انظر صحيح مسلم، ج 8/35 ـ 35 وسنن ابن ماجة ص 1397 رقم 4164 ومسند أحمد بن حنبل 13/109 رقم 7376. وكذلك الكافي للكليني 2/309 رقم 2 ـ 5.

عندَهُ. ولو عرف كلُّ امرِىء مقدارَ نفسِه لما هلك بمثلِ هذا من فعله، فقد قيل: ما هلك أمرؤٌ عرَفَ قَدْرَهُ.

حديث في مجلس في معنى القضاء في اللّغة:

89 ـ (قال) وذُكِر عنْده عليه السّلام القضاءُ واختِلافُ معانيهِ وما يقول معنى القضاء.
النّاسُ فيه، فقال: ليس/ كما يقولون! ولكنَّ أصلَ القضاءِ البيانُ، وكلُّ ما جاء 253
ذكرُه فيه مردودٌ إليْهِ.

فنظرت بعد ذلك فيما قاله أصحابُ اللّغة فيه، فوجدتُ الخليل بن أحمد ذكر تفسيره في كتاب العين، فقال: قضى، يقضي، قضاءً، يعني: حكَم، يحكمُ، قول الخليل...
حُكماً. ويقول: قضى إلَيْه عهداً، معناه: الوصيّة، وبه يُفَسَّر: ﴿وَقَضَيْنَا إلى بَنِي إِسْرَائِيلَ...﴾[1] ويقول: قضَى عليه الموتُ أي أتى عليه. وقال في موضع آخر: الحاتم: القاضي، والحتمُ: إلزَامُ القضاء. فهذا قول الخليل[2] فيه.

وقال عبد الله بن مسلم بن قتيبة[3]: أصل/ قضى/[4] حتم كقوله: «فيُمْسِكُ وابن قتيبة...
الَّتِي قَضَى عَلَيْهَا الْمَوْتَ» أيّ حتَمَهُ عليها/. وهذا محالٌ من قوله، لأنَّ الله عزّ 254
155 وجلّ قد حتَمَ الموت على كلّ نفس، وإنّما قال في هذا: ﴿اللهُ يَتَوَفَّى الأنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا، وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا، فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَى عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الأخْرَى إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى﴾. فلو كان القضاء هاهنا الحتمَ لكان عليها جميعاً[5].

قال هذا القائل: ثمّ يصير الحتم بمعان، كقوله: ﴿وَقَضَى رَبُّكَ ألاَّ تَعْبُدُوا إلاَّ إيَّاهُ﴾[6] أي: أمر، لأنّه لمّا أمر حتم بالأمر.

وكقوله: ﴿وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الكِتَابِ﴾[7] أي: أعلمناهم، لأنّه

---

(1) الإسراء، 4.
(2) كـ. العين نشر المخزومي والسامرّائي 185/5 (قضى) و 195/3 (حتم).
(3) النص من كتابه: تأويل مشكل القرآن، 441.
(4) في الأصل: «القضاء»: والتصويب عن تأويل مشكل القرآن.
(5) الزمر، 42. وإن اعتراض القاضي مردود. فمعنى الآية: يحتفظ الله بالتي حكم عليها بالموت ويترك الأنفس التي أجّلها...
(6) الإسراء، 23.
(7) الإسراء، 4.

لمّا أخبرهم أنّهم يفسدون في الأرض حتم بوقوع الخبر.

وقوله: ﴿فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ﴾[1] أي صنعهنّ.

255 وقوله: ﴿/ فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ﴾[2]: أصنع ما أنت صانع.

ومثله: ﴿فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ [ثُمَّ لاَ يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً] ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ﴾ أي اعملوا ما أنتم عالمون ﴿وَلاَ تُنْظِرُونِ﴾[3].

وأنشد لأبي ذؤيب[4] (كامل):

وعليهما مسرودتان قضاهُمَا داودُ [أو] [5] صَنَعُ السّوابغِ تُبَّعُ

أي صنعهما داود عليه السلام [وتبّع][6].

(قال) وقال آخر في عمر (طويل):

قضيتَ أموراً ثـمّ غادرتَ بعدها بوائجَ[7] في أكمامها لم تُفَتَّقِ

أي عمِلت أعمالاً، لأنّ [كـلّ][8] من عمل عملاً وفرغ منه فقد حتمه وقطعه.

---

(1) فصلت، 12.
(2) طه، 72.
(3) يونس، 71. والمكمل نص التأويل لابن قتيبة.
(4) عن أبي ذؤيب انظر الاستيعاب 65/4 وابن ناجي: معالج الإيمان (نشر إبراهيم شبّوح 173/1) والبيت في اللسان (قضى).
(5) في الأصل «من». انظر السكري: شرح أشعار الهذليين 39:1، والصنع: الحاذق بالعمل، وهو هاهنا تبع. وانظر أيضاً ابن قتيبة: المعاني الكبير 1039:2 واللسان، مادة «قضى».
(6) المكمل من ابن قتيبة: تأويل مشكل القرآن 442.
(7) في الأصل: «قوائح» أو «فوائح»، ولا معنى له. وفي الاستيعاب 465:2 «بوائق» جمع بائقة وهي الداهية والبلية (انظر اللسان ب. و. ق) واعتمدنا رواية اللسان (ب. و. ج) والبوائج جمع بائجة وهي الداهية أيضاً. يقال: انباجت عليهم بوائج منكرة، إذا انفتحت عليهم دواه. واستشهد له بقول الشماخ. هذا وقد سقط في نسخة المجالس الترضية عن عمر. والبيت في اللسان (ب. و. ج) منسوب إلى الشماخ بن ضرار، (انظر: أبو تمام: الحماسة 107:3) ويذكر ابن عبد البر: الاستيعاب 465:2 (ترجمة عمر) أن الأبيات «سمعت قبل وفاة عمر فلما مات نحلها الناس للشماخ بن ضرار أو لأخيه مزرد». (انظر الأغاني 102:8) ورسائل أبي العلاء، 106. واللسان: كمم.
(8) من التأويل لابن قتيبة.

256 ومنه قيل للحاكم: قاضٍ، لأنّه يقطع على النّاسِ الأمورَ/ ويحتِمُ. وقيل: قُضِيَ قضاؤُك أي فُرِغ من أمرِك، وقيل: قضى الموت أي فرغ[1]. وهذه الفروع ترجع إلى أصل واحد[2].

... قول مردود. ففساد الأصل الذي ذكره هذا القائل قد بيّناه. وقوله: إنّ هذه الفروع ترجع إليه، محال، لأنّه زعم أنّ أصل القضاء الحتم، ثمّ جعله بعد ذلك أمراً وخلقاً وعملاً وحُكماً وفراغاً من الشّيء وموتاً، وليس من هذا شيء يُشبه الحتم ولا يرجع إليه. وكذلك قول الخليل بن أحمد في قضى أنّه: حكم.

وأتى بما لا يخرج على التّنزيل إذ أنزِل على جميع ما جاء به في القرآن.

فالذي قال عليه السـلام أنّه البيان، يخرج على جميع ذلك، بما ذكروه وما لم يذكروه، فيكون على ذلك قوله: / ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ﴾[3] أي 257
بيّن ذلك في أمره لعباده، في كتابه وعلى لسان رسوله.

وقوله: ﴿وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الأَرْضِ مَرَّتَيْنِ﴾[4] أي بيّنا لهم في الكتاب.

المعزّ يراجع ابن قتيبة في الأمثلة التي ساقها... وقوله: ﴿فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ﴾[5] أي: أبانهنّ بخلقه إيّاهنّ للنّاظرينَ، بعد أن لم يَكُنَّ شيئاً بيّنا.

وقوله: ﴿فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ﴾[6] إنّما هو حكاية عن قول السَّحَرة لفرعَون بعد أن آمنوا بموسى وبعد أن قال فرعون لهم: ﴿آمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ﴾[6]
وقوله: ﴿فَلأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلاَفٍ/ وَلأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ 258
وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَا أَشَدُّ عَذَاباً وَأَبْقَى. قَالُوا: لَنْ نُؤْثِرَكَ عَلَى مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي

(1) كذا. ونص ما في التأويل: «وقالوا للميت: قد قضى، أي فرغ» ويأتي عند النعمان أن المعز يريد: قضى ما كان عليه من لازم الموت.
(2) إلى هنا يتوقف النقل.
(3) الإسراء، 23.
(4) الإسراء، 4.
(5) فصلت، 12.
(6) طه، 71 ـ 72.

فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ أي: بيّن ما ادَّعَيْتَه من أنّك أشدُّ عذاباً وأبقى. إنّما تبيّن ما كان من عذابك في الحياة الدنيا بما تفعله من العذاب فيها.

وقوله: ﴿فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءكُمْ ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ﴾[1] أي: بيّنوا إليّ حينئذ ما أنتم عليه ومـا تريدون:

وأمّا بيت أبـي ذؤيب، قوله:

وعليهما مسرودتان قضاهُما داود [أو] صَنَعُ السّوابغِ تُبَّعُ

259 فجرى مجرى قول الله عزّ وجلّ: ﴿فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ/ سَمَاوَاتٍ﴾[2] أي: أبانَهُما بالصّنعة فصارَتَا دِرْعَيْن.

وأمّا قول الآخر: قضيتَ أموراً إلخ. . .، فيكون: أبنتَ أموراً، ويكون من غير هذا الوجه، مثل: قضى الدَّيْن، وقضى الواجب، وقضى الصلاةَ، وقضى الصّومَ، وقضى الحقَّ، وأشباهَ ذلك ممّا ليس من هذا الوجه.

وأمّا قوله: قضى القاضي، فمعناه بيّنَ الْحَقَّ من الباطل.

وقولهم: قضى قضاؤُك أي بيّنَ بيانُك، فليس فيك مقال بعد ذلك من أيّ وجه كان ذلك البيانُ، فهو بيان ذلك الشيء، إن استعملوه في الموت، وأنّ من

260 قيل فيه ذلك قد مات، فقيل: قضى قضاؤه، فهو أبين بالموت/ أنّه مات. وإن استعملوا ذلك فيمن حكم عليه أو أحكم أمره فهو على ذلك يجري أنّه بيّن الحقّ فيه من الباطل.

ويُرجعها كلّها إلى معنى البيان.

وأمّا قولهم: إنّه قضى الموت، فإنّما يراد به قضى ما كان عليه من لازم الموت، ومنه قول الله عزّ وجلّ: ﴿فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ﴾[3]/ والنّحب: النّذر. وإن حمل على البيان خرج منه، كأنّه لمّا مات تبيّن أمره. فهذا الذي ذكره هذا القائل، وما لم يذكره من قول الله عزّ وجلّ: ﴿وَقُضِيَ الأَمْرُ

(1) يونس، 71.
(2) فصلت، 12.
(3) الأحزاب، 23.

وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ﴾[1] أي: بيّن لهم الأمر الذي كان يعِدُهُم به نوح عليه السّلام.

وقوله[2]: ﴿فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ/ مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلاَّ دَابَّةُ الأَرْضِ 261
تَأْكُلُ مِنْسَأَتَهُ﴾[3] يعني أنّه بيّنه عليه، ولو كان حتمَه لكان الموتُ محتوماً على الحيّ والميْت. ومثله: ﴿يَقْضِي الحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ﴾[4] أي [يُـ] ـبيِّنه.

وأما قولُه: ﴿يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَمَّا أَحَدُكُمَا فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْراً، وَأَمَّا الآخَرُ فَيُصْلَبُ فَتَأْكُـلُ الطَّيْرُ مِنْ رَأْسِهِ قُضِـيَ الأَمْرُ الذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَان﴾[5] أي: بُيِّنَ لكما الأمرُ الذي سألتما عنه.

وقوله: ﴿إِلاَّ حَاجَةً فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَاهَا﴾[6] أي: بيّنها لولده بقوله ذلك لهم.

وقوله: ﴿لَقُضِيَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ﴾[7] أي: لبُيِّنَ لهم.

وقوله: ﴿قُلْ/ لَوْ أَنَّ عِنْدِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ لَقُضِيَ الأَمْرُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾[8] 262
أي: بُيِّنَ.

ومثله كثير إذا وجّهتَه توجّه كلّه على البيان كما قـال المعزّ عليه السلام. فخلص من فاسد التّأويل ولم يكن للجبرة[9] فيه دليل.

---

(1) هود، 44.
(2) في الأصل: وقولهم.
(3) سبأ، 14.
(4) الأنعام، 57. وفي قراءة ابن كثير وعاصم ونافع: يقص الحق، انظر الكشاف ج 2 ص 25 والبيضاوي ج 2 ص 191.
(5) يوسف، 41.
(6) يوسف، 68.
(7) يونس، 11.
(8) الأنعام، 58.
(9) كذا في الأصل، ولعلها «الجبرية»: ولا يخفى أن السياق يتّفق مع مادة «الجبر» و «الإجبار» في معنى الحتم والقضاء والقدر. إلا أن المعاجم لم تذكر «جبرة» في المصادر المسموعة لفعل «جبر».

فأمّا قضاء الحاجة، وقضى الدّين، وقضى الصّلاة، وقضى الصّوم، وقضى الحقّ، وقضى الواجب، وقضى الوطر، كقول الله تعالى: ﴿فَلَمَّا قَضَى مُوسَى الأَجَلَ﴾[1] وقوله: ﴿فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَراً﴾[2] فذلك غير ما تقدّم ذكره وهو أداء الشيء والخروجُ منه، كما يقال قضى فلان الحجَّ، وقضى العُمْرَةَ، وقضى الزّيارةَ، وقضى المناسكَ، ومثل ذلك كثير. وهو أيضاً يجري مجرى البيان لأنّه
263 الخروجُ من شيء، ومن خرج من شيء أو فارقه فقد بان/ عنه[3].

وهذا اللّفظ كلّه لفظ المعزّ عليه السلام[4]. وما علمت أحداً سبق المعزّ عليه السلام إليه ولا إلى ما أصّله في القضاء أنّه البيان، ولا رأيتُ فروعاً تَطَّرِد على أصل مثله فلا تخرج منه إلى غيره. والله يُديم تأييدَه وتوفيقَه وإمدادَه بنور هدايته، ويواتر الصلاة عليه وعلى آبائه وأبنائه.

كلام في مجلس لرسول الأمويّ الخاسر[5] القادم عليه من الأندلس:

90 ــ (قال) وانتهى إلى أمير المؤمنين المعزّ (صلع) أنّ مركباً لبني أميّة
264 قدم من المشرق، فلمّا صار بين صقليّة وإفريقيّة مرّ بجزيرة/ فصادف فيها قارباً فيه نَفَرٌ قدِموا من صقليّة يريدون إفريقيّة، وفيه كتاب من عامل صقليّة إلى أمير المؤمنين. فخاف الأندلسيّون أن ينذروا بهم فأخذوا رِجْلَ[6] قاربهم واختطفوا بعضَ أمتِعَتِهم وأخذوا فيما أخذوا الخريطةَ[7] الّتي فيها كتاب عامل صقليّة،

الأمويّون يقطعون مركباً فاطميّاً...

(1) القصص، 29.
(2) الأحزاب، 37.
(3) ولكن المصدر هنا هو البين لا البيان. وانظر مناقشتنا لهذا التأويل في كتابنا: أشتات في اللغة والأدب والنقد، بيروت 1992 ص 189.
(4) فهذا المبحث الطويل هو إذن من المعزّ، وإنما النعمان ناقل.
(5) الخاسر تجنيس وطباق للقب «الناصر».
(6) في الأصل: رجلاً، ورجل القارب هنا سكّانه أي دفّته. انظر دوزي في المادة، وقد اعتمد فيما اعتمد، على نص لابن جبير: «... سنح المركب بسكانيه وهما رجلاه اللتان يصرف بهما» (الرحلة نشر د. حسين نصار، القاهرة، 1955 ص 311 سطر 6). ولا يبدو من الشاهد أن «الرجل» كلمة مصطلح عليها في معنى السكان أو الدفة، وهذا ما يؤكده سكوت المعاجم عن مدلولها هذا. ثم أن دقّة المركب واحدة في العادة.
(7) الخريطة: وعاء من الجلد.

وتركوا القاربَ بمن فيه بالجزيرة لا يجدون من يحملهم[1] إلى أن مرّ بهم مركب، فركبوا فيه وأتَوْا بالخبر.

فغضِب أمير المؤمنين صلوات الله عليه لذلك وأمر بإخراج مراكبَ حربيّةٍ وأدخل فيها رجالاً من رجال البَرّ والبحرِ وأمَّرَ عليهم حسن بن عليّ[2] عامل صقليّة وأمره بطلب/ المركَب حيث أخذَ، وإن وصل إلى الأندلس فلا ينصرف عنه حتّى يُحرقَه. فلم يلحَقِ المركب إلاّ وقد أرسى بألمريّة[3] مرسى بالأندلس 265 ومجتمع[4] مراكبِها وأساطيلِ الأمويّ المتغلّبِ عليها ودارِ صناعة مراكبِه وبها عُدّته، واتّصل الخبرُ بـ[ـالأمويّ] أنّ الأسطول قد نفَذ إليه، وسـ[ـبَـ]ـقَت مراكبَهُ راءَةٌ[5] في البحر بخبره. فأعدّ عساكره وعمّر مراكبه بالعُدّةِ والسلاح والرّجال، وجاء حسن بن عليّ في مراكبه، وكانت قليلةَ العدد [و] إنَّمَا أُخرِجَتْ في طلب مركب واحد، فوهب الله لوليّه الظفَرَ[6] فاستولى أسطوله على أساطيل الأمويّ/ 266 فأضرمَها ناراً وغادَرَها بأسرها رَمَاداً. ونزل مَنْ بالأسطول من رجال البَحر[7] واستولَوْا على المريّة وانهزم عنها جمع الأمويّ، فأحرقوا ما بها من المراكب والخزائن والعود[8] والعدد، وانتهبوا جميع ذخائرها، وهرب من استطاع الهربَ من أهلها. ولم يعرضوا لمن بقِي بها ممّن استسلم بمكروه، وقتَلوا من ناصبهم أوّلاً[9]

فيغـزو الأسطول الفـاطميّ ألمريّـة ويحرق مراكبها.

---

(1) روى ابن الأثير هذه الحادثة بشيء من الاختلاف: الكامل ج 6 ص 349 تحت سنة 344. (وانظر أيضاً افتتاح الدعوة، نشر الدشراوي ص 336 والقسم الفرنسي منه ص 143، وابن خلدون ج4ص46و ك. العيون والحدائق نشر المأسوف عليه عمر السعيدي ج2 ص575و488).

(2) الحسن بن علي الكلبي والي الفاطميين على صقلية. (انظر أعمال الإعلام لابن الخطيب، نشر ح.ح. عبد الوهاب، وترجمة كانار لسيرة الأستاذ جوذر ص 190 تنبيه 422). وفي ع 583 أرّخ الداعي إدريس الحادثة بالسنة 343، وهو خطأ.

(3) ثغر أندلسي في الجنوب الشرقي من السواحل الإسبانية.

(4) في الأصل: ويجتمع...

(5) راءة ج راء، المراقبون والطلائع الذين حملوا خبر الأسطول الفاطمي إلى الناصر.

(6) في الأصل: السفر...

(7) في الأصل: الحبر، وقد تكون: البر. وفي عيون الأخبار، 583: من الرجال.

(8) العود: يريد به أخشاب المراكب والصواري. جاء في سيرة الأستاذ جوذر ص 121 فقرة 56: «... وكانت دار صناعة مولانا (ص) محتاجة إلى العود...» وفي العيون إضافة: فأحرقها وخرّبها بعد أن قتل مَن وقف له بها.

(9) أي بدأهم بالعداء.

وأحرقوا المركب الذي صَنَعَ أهلُه ما صنعوه فيما أحرقوا، ولم يكن أميرُ المؤمنين أمرهم بغير ذلك، فانصرفوا سالمين غانمين لم يُرْزَ[1] منهم أحد بسوء، [فوصلوا يوم الجمعة لست بقين من شهر ربيع الأوّل من السنة المذكورة][2].

267 وحلّ بالأمويّ الدّاهية واضطربت عليه البلاد وخاف/ خوفاً شديداً، فألّف المراكب وجمع جميعَ رجاله ومَن يوصف بالنكاية ببلده وأخرج أسطولاً في العام المقبل بعد أن كتب إلى طاغية الرّوم[3] يسأله النّصرة، وأهدى إليه هدايا وأرسل إليه رسلاً من قِبَلِه، فأجابه إلى ذلك. وجاءت أساطيل الرّوم من القسطنطينيّة [مع الدمستق] ومراكب بني أميّة من الأندلس[4].

فاستنجد الناصر بالروم.

فجمع أمير المؤمنين المعزّ لدين الله عليه السلام ٱلأولياء وعرّفهم ذلك وأنّ الرّوم سألوه عقد هدنة إلى مدّة طويلة على أن ينصرفوا عنه، وقال لهم: ما ترون في ذلك؟

فقالوا: أمير المؤمنين أعلى عيناً. والذي نراه نحن مهادنةُ الرّوم، فما

268 علينا/ من ذلك، وأن نصرِف وجوهنا إلى هؤلاء بجُملتنا.

ولكنّ الروم عرضوا على المعزّ هدنةً طويلة..

فقال: معاذ الله! ما كنت بادئاً إلاّ بمن بدأ الله عزّ وجلّ به، قال تبارك اسمه: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ﴾[5] وقال: ﴿يَاأَيُّهَاالَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الكُفَّارِ﴾[6] فهم أقربُ إلينا، وحسبُنا استنصاراً بالله على هؤلاء الفسقة بني أميّة استنصارهم بالمشركين إخوانِهم في الدّين علينا ودخولُهم في جُملتهم وكونُهم في حزبهم، وكفاهم بذلك خَزيةً[7] وعاراً في دنياهم/ وأخراهم.

... فأبى إلاّ قتالَهُم...

وخرج عليه السلام [من المنصوريّة][4] إلى المهديّة وأنفَذَ أساطيلَه وفيها

(1) زر الرجل بالرمح: طعنه. وفي ع 583: لم يُرزأ.
(2) أي 343 كما سبق له.
(3) أي الأمبراطور البيزنطي.
(4) الزيادة من ع 584.
(5) التوبة، 73 وسورة التحريم، 9.
(6) التوبة، 123.
(7) بالفتح والكسر. وفي حديث الشعبي: وقعنا في خزية لم نكن فيها إلا بررة أتقياء.

عساكرُ البرّ إلى جهة الرّوم، وأقام بالمهديّة وأمر أن يكون العساكر في كلّ/ مرسى 269
بطريق الأندلس.

... فهـزم أسطـولهـم وجيوشهم بمجاز ريّو وبقلورية...

وأقبل أسطول الرّوم فلقي أسطول أمير المؤمنين دون صقلّية، وأقبل أسطول بني أميّة لميعادِ المشركين، ففتح الله لوليّه على الرّوم فهزمهم في البحر وقتل رجالُه منهم خلقاً عظيماً، وولّوْا هاربين بين يدي أسطوله إلى مجاز ريّة[1] ليحمُوا بلدَهم، واتَّبَعَهُم إلى ما هناك فلقُوه في البحر أيضاً فهزمهم، فنزل عسكرُ البرّ بأرضهم فأنكى بالقتل فيهم، فأحرَقَ مدائنَهم وأخرب كنائسَهم وبلغ غايةَ الأمل فيهم من النكاية[2].

وانتهى أسطول بني أميّة إلى بعض مراسي المغرب الخالية القليلة العدد
270 فنزلوا بها يريدون أن يُؤثروا أثراً يرجعِون [به] إلى بلدهم ليسكِّنوا/ به مَن خلفَهُم، فخرج إليهم أهلُ تلك النَّاحية فقتلوا منهم بشراً كثيراف فهزموهم فمات في البحر أكثرُ مِمَّن قتلوه، وغنِموا ما كـان معهم من السّلاح، ووجّهوا برؤوس مَن قتلوه وبما غنِموا. واتّصل بأهل الأندلس خبر الرّوم فانصرفوا منكوبينَ خاسرينَ.

وخـــاب الأندلسيّون في غزو المراسي الفاطميّة.

هـدنـة سنـة 346/957 بين المعزّ والروم.

وأرسل ملك الروم إلى أمير المؤمنين بأموال عظيمة وهدايا جليلة ورغِب في التوقّف عمّن بقي من الروم بأرض قلورية على مال قَطَعَهُ على نفسه يُؤدّيهِ عنهم وأسرى من أسَارى أهل المشرق[3] ليُطلِقَهم في كلّ عام لمدّة يسيرةٍ سأل الهدنةَ
271 فيها. ورأى ذلك أميرُ المؤمنين عليه السلام صلاحاً للدّين وللمسلمين/ بعد أن أقـدَرَهُ اللهُ عزَّ وجلَّ وأمكنَه وشفَى صدره وصدُورَ المؤمنين به[4].

---

(1) مجاز رية أو ريو: أي مجاز مسينا الفاصل بين صقلية ومقاطعة قلورية Calabria بجنوب إيطاليا ورية هي اليوم Reggio di Calabria. وهذه الأحداث ذكرها الداعي إدريس، عيون 584 بتفاصيل وزيادات.

(2) دارت هذه الوقعة بحراً ثم براً سنة 345/956، وهي غير وقعة المجاز التي دارت برّاً برمطة وطبرمين Rametta-Taormina ثم بحراً بمضيق مسينا Messina وانتصر فيها الأسطول الفاطمي، وكان ذلك سنة 353/964. انظر رسالة G. Schlumberger عن نقفور فقاس ...Un Empereur Nicéphore Phocas ص 442. وانظر عيون الأخبار 585.

(3) نفهم من هذه العبارة أنهم أسرى من الشرق ولعلّهم شاميّون من الإمارة الحمدانية، ونلاحظ أن المعز يطيب له أن يكون وصيّاً على المسلمين في المشرق أيضاً.

(4) وقعت هذه الهدنة سنة 346/957 (انظر: الدشراوي: الخلافة الفاطمية بالمغرب، النص =

الناصر الأموي يطلب بدوره الصلح من المعزّ...

91 ــ فلمّا انتهى ذلك إلى الأمويّ الخاسر خاف الوقعة به فدسّ رسولاً من قِبَلِه كتب كُتباً على لسان بعض رجاله إلى بعض رجال أمير المؤمنين في الموادعة والصُّلح وكفّ الحرب، ويذكر ما يتوقّع في ذلك من سفك دماء المسلمين واشتغال بعضهم ببعض عن غزو المشركين. وجاء الرسول بالكتاب وأدّى بلسانه عن الخائن ما لم يؤدّه الكتابُ[1]، من طلب الصلح والألفة وكفّ الحرب والفتنة، وذكر ذلك لأمير المؤمنين (صلع) شفاها، فقال له:

272 وأمّا ما تخوّفه من الحرب والفتنة وسفك/ الدماء، فما ظهر له منّا ما يتخوَّفُ منه ذلك، وما نحن بمن يُؤمِّنُه منه، لكنّه بغى علينا مَنْ بغى من أهل عمله فانتَصَرْنَا بالله فنصرَنا اللهُ وبلّغنا فوق آمالنا، فقام وقعد وأبرق وأرعد ووَالَى علينا المشركينَ الذين رأى الآن أنّ اشتغالَنا به واشتغالَه بنا داع إلى ترك جهادِهم وأنّ ذلك نقصٌ وَوَكَفٌ[2] على الإسلام. فهلاّ رأى ذلك إذْ بعث بأموالِه وهدايَاهُ ورسولِه إليهم واستَنْصَرَ عَلَيْنَا بهم؟! فكيف رأى الله عزّ وجلّ فعل بهم وبجمعَيْهم؟[3] ألَم يَصْرِف الجمعَيْن مغلوبَيْن خائبَيْن خاسِرَيْن؟ ونحن بُعْدٌ فما رأى
273 منّا إليه حركَةً. فما هذا القلقُ وهذه العَجَلَةُ/ ؟

فيرفض المعزّ لأنّ الناصر ادّعى الخلافة وهي وقف على الأئمّة...

وأمّا ما دعا إليه من السّلم والكفّ والموادعة والصُّلح وهو يزعم أنّهُ أميرُ المؤمنين ــ كما يتسمّى دون من سلَف من آبائه[4] ــ وإمام الأمّة بدعواهُ وانتحالِه، ونحن نقول إنّا أهلُ ذلك دونَه ودونَ من سواه، ونرى أن فَرَضَ اللهُ علينا محاربةَ من انتحل ذلك دونَنَا وادّعاه، مع ما بينَ أسلافِنا وأسلافِهِ ومن مضى من القديم والحديث من آبائنا وآبائِه من العَداوةِ القديمة الأصليّةِ والبِغْضَةِ في الإسلام والجاهليّةِ، وما اعتقدوه لنا في ذلك في الإسلام وطالبونا به من قديم الأيّام من
274 لَعْن رسول الله ﷺ/ آباءَهم وقتلِ من قتلَهُ على الشرك والكفر بالله منهم، وطلبِهم

= الفرنسي 423 والنصّ العربي 360، وكذلك شلومبارجي، ص 468).

(1) في عيون الأخبار 598: ... عن صاحبه ما لم يَرِد الكتابُ به...

(2) الوكَف: الغيب والإثمُ والجَوْرُ.

(3) في الأصل: بجميعهم. والجمعان أسطولا الأندلسيين والروم.

(4) من آبائه: أي أمراء الأسرة الأموية بالأندلس من سلالة عبد الرحمان الداخل. ومعلوم أن عبد الرحمان الناصر هو أول من تلقب بقلب الخلافة بالأندلس.

بثأرِهم ودمائِهم، وطلبِنا نحن إيَّاهم بمَن قتلُوه مِنَّا كذلك في سلطانِهِمْ وأيّام تغلُّبِهم، فكيفَ بالصُّلح الذي ذكرَهُ بعدَ هذا النَّبَإ الجليلِ خطرُه؟ يأبى لنا ذلك قَوْلَ الله عزّ وجلّ: ﴿لاَ تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الإِيمَانَ﴾[1]. ما أنا بالمداهِن في دين الله ولا بالراكن بِالمودَّةِ إلى أعداء الله ولا بالمخَادِعِ في أمر من أمور الله!.

... ولأنّ العداوة بين هاشم وعبد شمس قديمة عريقة.

275 أرجع بجوابي هذا إليه فما له عندي سواه، وما لي من الأمر شيء/ إنّ الأمر كلّه لله ﴿عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾[2]. فإن حرّكني الله إليه وقذَفَ في قلبي حربه وغزوَه فلا أشكُّ أنّ الله عزّ وجلّ أراد قطعَ دابِرِه واسْتِئْصالَ شأفته وتطهيرَ الأرض من رِجسه وحَسْمَ أيّامه ومُدّتِه، وإلاَّ يقذِفْ ذلك في قلبي ويصرِفْ إلى من سواه وَجْهِي فَلأمْرٍ هو بالغُه وإمْلاَءٍ هو محتجٌ به عليه ومُدّةٍ سبَقت في علمه له. قال الله عزّ وجلّ: ﴿وَلاَ يَحْسِبَنَّ الذِينَ كَفَرُوا أَنَّ مَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لأَنْفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْماً﴾[3]. فليتنظِرْ أحدَ الأمرَيْن وليَتَوَقَّعْ وجهاً من الوجهين: إمّا هلاكاً يُعَجِّلُ اَصْطِلاَمَهُ وإمّا إملاءً[4] من الله يوفِّرُ آثامَه. ونحن ننتظر من الله عزّ وجلّ إحدى/ الحُسْنَيَيْنِ ونرجو منه لنا خير الأمْرَيْن: إمّا نصر من الله يعجّلُه لنا 276 عليه فيشفِي قلوبنا وقلوبَ المؤمنين به، وإمَّا أن يُمْلِيَ له على ما هو عليه من معاصيه ومَسَاوئه ومخازيه، ففي ذلك سرورٌ من رأى عدوَّه عليه. فقد كان يقال: حسبك درك أملٍ من عدوّك أن تراه عاملاً بمعاصي الله، وذلك أنَّ المعاصي تعجِّل الدّمارَ وتُولج عمّا قليل عذاب النّار.

وصرف الرسول وأمر الذي وردَ عليه الكتاب[5] أن يُجِيبَ عن كتابه إليه جواباً غليظاً ويتواعَدَه فيه، ففعل. وانصرف الرّسولُ بالجواب والكتاب.

---

(1) المجادلة، 22.

(2) الشورى، 10.

(3) آل عمران، 178.

(4) الإملاء: التأجيل والإمهال.

(5) لا ننس أن رسالة الأموي كتبها رجل من خاصّته إلى رجل من خاصّة المعز، والنعمان لا يذكر الأسماء.

277 فوقع البائس في المكروه واستولى عليه الخَوْفُ، فردّ الرسولُ بكلام/ لطيف وكتب الجوابَ إلى الذي كتب إليه أوّلاً على لسان بعضِ رجالِهِ بما ألان فيه القولَ، وسدّدَ واستعطف وتواعَدَ بعد أن جمع ـ فيما يُقال ـ وزراءه وكتّابه لتأليفه، واحتجّ بزعمه فيه وأنفذَه مع الرّسول. وأتبعه برسول آخر بكتاب إلى ذلك المكتوبِ إليه [يُخْبِرُهُ][1] أنّ ذلك الكتاب مفتَعَلٌ وأنّه لا علم عند صاحبهم به ولا هو عن رأيه لِيُهَدّئُوا[2] الأمرَ.

الناصر يطلب الصلح من جديد.

فخاطب الرّسول أميرَ المؤمنين عليه السلام بالخطاب السّهل الذي أرسِلَ به ودفَع الكتابَ إلى الذي أرسِلَ إليه. وجاء الرّسول الثّاني بالكتاب الآخر فَرُفِع إلى
278 أمير المؤمنين عليه السّلام وقُرِىء علينا/ بينَ يديه، وفيه من التّغاير والفساد وسوءِ التوجيه ما سنذكُره. وجعل المعزّ عليه السلام يحتجُّ لنا على كلّ فصل منه ويبيّنُ لنا عُواره[3] وفسادَه، فصرف الرّسولَ بلا جواب منه سوى أن قال له: قد قيل إنّ الصّدق يُنْبِيءُ عَنْكَ لا الوعِيدُ، وكتب المنصور عليه السّلام إلى ملك الرّوم: إذَا نطقَ السّيفُ سكت القلَمُ.

فيجهز المعز الجيوش إلى المغرب لتطهيره من أتباع الأمويين.

وأمر الذي ورد عليه الكتابُ أن لا يجيبَ عنه بحرف، وانصرف الرّسول خائباً[4].

وأمر بتجهيز الجيوش إلى أرض المغرب لتتبّع كلّ من مال إلى بني أميّة بالقتل واجتياحهم عن جديد الأرض. فإذا طهّرَها اللهُ منهم فيما والاه من البرّ
279 جهّزَهم إليهِمْ إن شاء/ الله في البحر لقطع دابرِهم واصطِلاَمِهم عن آخِرِهِمْ بحول لله وقوّته.

وكان [في] ذلك من تأييد الله ونصره ما هو المرجوّ من تمامه وبلوغ الأمل فيه بفَضْلِه وإنعَامه إذْ فتح في ذلك لوليّه وسبّبَه وحرّكه إليه كعادته الجميلَة لديه عليه السلام.

(1) في الأصل: وغيره ولا نرى لها معنى فعوضناها بما يقتضيه السياق.
(2) في الأصل: ليسدوا. . .
(3) العوار: الخرق والعيب.
(4) ع 601.

الجـزء السـابـع

[بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ]

كلام في ترك جواب الأمويّ الخاسر الخائن:

تحقير المعزّ للناصر الأمويّ.

92 ـ قال القاضي النعمان بن محمد: لمّا سمِعَ من حضـر من الأولياء ما في كتاب الخائن من العُوار أحبّوا أن لو نُقِض عليه. وألْوَيْتُ[1] له بالجواب عن مساوِيه، فقال المعزّ عليه السلام: /وما في الردّ عليه من فائدة؟ أتراه إنْ بصّرناهُ 280
الحقّ يرجِعُ عن باطله أو هو على شكّ من سوء حاله، فنبيّنَ له ذلك لترجُوَ بِه صلاحَه؟ والله ما كان ينبغي أن يكون جواب هذا الكتاب لمن فَهِم الصواب إلاّ أن يُدرَجَ ويردَّ إلى كاتبه، ففيه جوابُه والحجّة عليه من قوله. [و]إنّما أراد هذا الفاسق أن يقطعَ الزمانَ بهذه المراسلة والمكاتبة بيننا وبينه، وانصرافُ رسوله إليه بغير جواب أنكَى لقلبه وأخزَى وأتعَسُ. ولو قد أتاه منّا جوابٌ لاستراح إليه، وردّ مثل هذا الغثّ والمحالِ من قوله.

كلام في مجلس خوطب به رسول الأمويّ/ : 281

احتجاج المعزّ على الناصر أمام رسوله.

93 ـ (قال) وكان فيما ذكره الرسول أنّه استرحم أميرَ المؤمنين للمسلمين وقال: قد علم أمير المؤمنين أنَّ الحرب متى كانت، هلك فيهامن الفريقَيْن، وهم مسلمون. فإنْ رأى أمير المؤمنين حقنَ دمائهم والكفَّ عمّا يُخافُ فيه الهلاك عليهم، فعَل.

فقال أمير المؤمنين: المسلمونَ هم أمّة جدّي لا أمّة جدّ مرسلك، وأنا أرأفُ وأعطف عليهم وألطفُ وأرحمُ بهم، فإنْ دخلَ أحد منهم في جُملة صاحبك

(1) أي: أشرت للمعز بالجواب عن رسالة الناصر.

فقد دخل في جملة طائفةِ أهلِ البغي، ووجب عليّ وعلى سائر المسلمين قتالُهم كما أمر الله عزّ وجلّ في كتابه، وقرأ: ﴿حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللهِ﴾[1]. فمن قُتل
282 منهم على البغي، فبحكم الكتاب قُتل. ومن /قتلُوه من أهل العدل معي، ففي سبيل الله استَشْهَد، وبأمره عمِل. وقد زَعَمَ صاحبُك أنّه يطلب ثأره من موضعه إلى آخر الدّنيا وإنّما هو في جزيرة بطرَف منها.

فإن كان المسلمون عندك وعنده إنّما هُمْ أهلُ جزيرة الأندلس فقط، فقد أصاب صاحبك في قوله. وإن كان المسلمون قد عمّوا أكثر الأرض ـ وهو
كذلك ـ فكان ينبغي لك أن تقول هذا القول الذي قلته لنا، له، إذ[2] تواعدهم بالقتل. وكان ينبغي لك أن تسترحمه لهم، وقد جمع جموعَه كما علِمْتَ وأخرج مراكبَه وواطأ علينا المشركين، وأنزل رجالَه في غير موضع من المراسي ليُقتّلَ
283 / قوماً من المسلمين ما هم منه بسبيل، ولاَ آذَوْهُ ولا بغَوْا عليه، إلاّ لأنّهم ممّن 173
حوتْه مملكتُنا، ودان بطاعتنا. فأظهرهم الله عليه وردّه منهم بغيظِه، فهلاّ كنتَ أخذتَ ذلك عليه، وقبّحت فعلَه إلَيْه؟ وقد علِمْتَ أنّا غضبنا عن جواز مراكبه في
بحرنا ومملكتِنا بما يجتازون به إليه من السّوْءاتِ والقبائح[3] حتّى عاثُوا ومدُّوا أيدِيَهُمْ إلَى رعيّتِنَا وأخذوا كُتُبَنَا من أيدي رُسلِنَا، فقمنا في ذلك قيامَ مثلِنا وطَلَبْنَا من أفسَدَ وعاث في بلدنا، وقاتَلْنا من قام دونه إذا وَصَلْنَا إليه حتّى إذا أظهَرَنَا الله
284 بفضله كما عوّدنا، رفعنا أيديَنا عمّن لم يقاتِلْنا، فلم نهتك حُرمةً ولا/ خفَرْنا ذمّة[4]، سيرةَ جدّنا رسول الله ﷺ وأبينا عليّ عليه السلام وعلى الأئمّة من أبنائه. ثمّ قد رأيتَ لمّا دلَف إلينا مرّة مُوالياً علينا المشركينَ كيف قد صرفْنَا الحدّ إلى المشركين عن أصحابه، وإن كانوا للشرّ مُستحقِّينَ، لبَغْيِهم علينا، وتزحّفهم إلينا. إلاّ أنّا آثرنا ما يجِب إيثارُه وأعرَضْنَا عنهُم، فعجَّلَ الله انتقامَه على أيدي أوليائنا.

الناصر حالف المشركين على المسلمين، فهو منهم.

الأسطول الأمويّ هو البادىء بالاعتداء.

(1) الحجرات، 9.
(2) في الأصل: إذا.
(3) يشير إلى الجواري المغنّيات التي حملهنّ إليه المركب من المشرق، انظر ابن الأثير تحت سنة 344 (ج 8/513)، وانظر عن المغنّيات المدنيّات ببلاط الأندلس، نفح الطيب 140/3.
(4) خفر من الأضداد.

فمن تراه أرأفَ بالمسلمين وأرحمَ لأهل الدين، نحن أم صاحبُك؟ أم كيفَ رأيتَ الله أقدرَنَا بفضله على الفريقَيْن وأمكنَنَا من الطائفتَيْن؟ ولقد سألَنا المشركون مُوَادَعَتَهُمْ حينئذ ومال إلى ذلك جماعةٌ من/ أوليائنا ليصرِفُوا وجوهَهُم إلى 285
أصحابك، فأبَيْنَا ذلك لِئَلاَّ يرى المشركون أنّا وادَعْنَاهُمْ على خوف منكُم ومنهُم، حتّى إذا هَزَمْنَا أساطِيلَهُم وقَتَلْنَا حُمَاتَهُمْ وحَلَلْنَا بعَقوةِ ديارهم، وأثْخَنَّا بالقتل فيهم، وامتلأتْ أيدي أوليائنا من سَبْيِهم وغَنَائِمِهم، ورأينا أنّ الذي هو أفضل
المعزّ فرض الجزية على الروم وإطلاق أسرى الشرق... للمسلمين أن نُوَادعهُم مدَّةً نستَجِمُّ[1] بها ووادَعْنَاهُم على أموالٍ أَلزَمَهَا نفسَه لنا مَلِكُهم وهو لا يُلزِمُ نفسَه ذلك لأحد غيرَنا بمَشْرق الأرضِ ولا مغربِها، جِزْيَةً يُؤَدّيهَا إلينا، وإطلاقِ أسَارى أهلِ المشرِقِ الذينَ في يَدَيْه لَنَا، وعلى شرائطَ يطول ذكرُها، شَرَطْنَاهَا عليه شرطَ العزيزِ عَلَى الذَّليلِ.

286 فَمَنْ/ أرحَمُ بالمسلمين، نحنُ أم مَنْ والَى عليهم المشركينَ مخالِفاً لما أنزَلَ الله في الكتاب المبين، إذ يقول وهو أصدق القائلين: ﴿يَا أَيُّهَا الذِينَ آمَنُوا لاَ تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَـاءَ﴾ الآية[2]. أفما رأيتَ أساطيلَ صاحبِك وقد خرجَتْ أساطيلُنا لِقِتَالِ أوليائه من المشركين، وهي تنزِلُ في مراسي المغرِبِ لا تمُرُّ بمرْسىً إلاّ نَزَلَتْ فيه ووضع مَن فيهَا الحربَ على أهْلِيه، فجعل الله الدائرةَ فيهم والهزيمَةَ عليهم والقتال في رَجْلِهِمْ[3]؟ أفهؤلاء الذين أوقَعُوا هذا الإيقاعَ بهم عندك وعند صاحبِك مسلمونَ أم مشركون؟ فإن كانوا من المسلمين، وهم لم يخرجوا إليه ولا تعرَّضُوه، فكيف جاز له قتالُهم/ ومعاونةُ المشركين عليهم؟ ثمّ 287
أمّا الناصر فقد حالفهم على غزو إفريقية. يزعم مفتخراً لمّا انصرفوا منكوبين أنّه لم يُرسِلْهم إلاّ ليبلُغُوا إلى المهديّة وكذلك كان عقدهم مع طاغية القسطنطينيّة[4]. وكذلك دلَفَ إلينا كلُّ واحدٍ منهم بأسطوله، ودخل المشركون في بحرنا وجاوزوا صقليّة إلينا، ولم يكونوا يتجرّأون على ذلك قطُّ في أيّامنا إلاّ بما أطمَعَهم فيه صاحبُك، فهزم الله الجمعَيْنِ وأمكنَنَا

(1) قراءة ظنية، وفي الأصل: نتجهم، ولعلها: نثلجهم.
(2) الممتحنة، 1.
(3) الرجل بالكسر ج أرجال: الطائفة من الشيء، والقطعة العظيمة من الجراد خاصة، وقد تكون بالفتح اسم جمع على قول سيبويه.
(4) الإمبراطور قسطنطين السابع، وقد ملك إلى سنة 348/959.

في الفرِيقَيْنِ. وإنّما كان يفتخر صاحبك بمثل ما هيَّأهُ الله لنا، لو قد هيَّأه الله له. كلاّ لن يفعل الله ذلك بفضله علينا! إنّا أمّلْنَا إدراكَ مركبٍ من مَرَاكِبِهِ لنُحرِقَهُ
فأقدرَنـا الله عليها وعلى جميع أساطيله/ فحرقناها، وعلى أرضه ومملكته 288
فوطِئْنَاها.

حال الناصر ـ وقد رُدَّ أسطوله خائباً ـ كحال أجداده اللعناء يوم الخندق.

فأمّا أمله أن يبلُغَ المهديّة فردّه الله من دونها مغلوباً منكُوباً، له خزيٌ من الله أكمله، وخذلان انقطع به أمله. فلو كان من أهل التمييز والعقول، أو كان يدري ما يقول، لم يقل مثلَ ذلك ولا يفخر به، وهو عليه خزيةٌ وعارٌ وسُبّةٌ، وما فعل الله عزّ وجلّ ذلك به إلاّ كفعله باللّعناء آبائه إذ رَجَعوا إلى رسول الله ﷺ من مكّة إلى المدينة على بَكرة أبيهم وقد استجاشُوا بمن يَلِيهِم فردّهُمُ اللهُ عزّ وجلّ كما قال: ﴿بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْراً وَكَفَى اللهُ المُؤْمِنِينَ القِتَالَ وَكَانَ اللهُ قَوِيّاً عَزِيزاً، وَأَنْزَلَ
الذِينَ ظَاهَرُوهُمْ/ مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ مِنْ صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقاً 289
تَقْتُلُونَ، وَتَأْسِرُونَ فَرِيقاً﴾[1]. فكانت هذه تيكَ حِذْوَ النّعل بالنعل والقُذّة بالقُذّة، بل هذا بحمد الله إنكاءٌ لأصحابك بما قتلَهُ[2] الله عزّ وجلّ منهم، والمشركين بمن قُتِل أيضاً وأُسِرَ وهُزِمَ من أساطيلهم وجموعِهم. وتلك عادةُ الله قديماً لأوليائه، وهو وليّ ما عَوّدُوه حتّى يُنجِزَ وعـدَه إن شاء الله تعالى لهم.

اللعن على المنابر...

ثمّ يبلغنا أنّه يلعَنُنَا على منابره كلَعْن سلفه الفسقة لأمير المؤمنين عليّ عليه السلام، وينكر علينا لعنه، فنحنُ إن لعنّاه لعنّاه بكتاب الله لأنّه ممّن قال الله فيه
وهو أصدق القائلين/ : ﴿أَلاَ لَعْنَةُ اللهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾[3]، ومَنْ أسلافُه لعناءُ رسول 290
الله ﷺ لأنّه يَتَوَلاَّهُم، والله عزّ وجلّ يقول: ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ﴾[4]

إنّمـا بـدأ بـه الأمويّون...

وهو إنْ لَعَنَنَا أو شتَمنا فبِالاقتداءِ بسلَفِهِ الذين كانوا يشتُمون رسول الله ﷺ ويلعَنون وصيَّهُ (صلع)، وما زادهم إلاّ شقاءً ويزيدهم إلاّ ضَعةً عند الله وعند عباده ومَقْتاً.

---

(1) الأحزاب 25 ـ 26، ويشير المعزّ إلى وقعة الخندق التي قصدت فيها قريش المدينة لحصارها. وكان يقودها أبو سفيان بن حرب جدّ الأمويين.

(2) في الأصل: قتلهم.

(3) هود، 18.

(4) المائدة، 51.

ثمّ قال عليه السلام: وإنّما معنى اللعن الطردُ والإبعادُ. فمَن أولى بالإبعاد
عن الله وعن رسول الله (صلع) وأهل بيته: الذين هم أولى به وأقعد[1] وأقرب
إليه، أمْ مَن عاداهم وناصَبَهُم وكذّبَهُم؟ فلو/ تدبّر الشقيُّ هذا لَعَلِم أنّ لعنةَ الله 291
راجعةٌ عليه لا تعدُوه ولا تعدو سلَفَه.

... وهم لعناء الرسول (ص) إذ أطردهم من المدينة

قال الرسول: إنّما قلتُ يا أميرَ المؤمنين ما قيل لي أن أقولَه، والقولُ ما قاله أمير المؤمنين، والحجّةُ له.

قال لَهُ أميرُ المؤمنين عليه السلام: إذا قلتَ ما قيل لك فقد سمعتَ جوابك غيرَ محمّل أداءَه ولا مرسَلٍ إلى من أرسَلَك به، فانصرف إذا شئت وسر حيثُ أردْتَ. ولو علِمْنا أنّ هذا ممّا قِيلَ لك لتقولَهُ لنا لما سمِعْنَا منك ولا أجبْنَاك عنه، وإنّما أجبناك عن قولِكَ جواباً منّا لك لا لمن أرسلك.

رسول الناصر ينصرف بعد سماعه احتجاجَ المعزّ.

كلام في مجلس على فصول كتاب الأمويّ:

94 ــ (قال) وكان في الكتاب الذي قَدِمَ به الرسول/ من الأندَلس الذي 292
قدّمتُ خبره أنّه رفع إلى أمير المؤمنين ـ يعني لَعِينَهم ـ الكتابَ الواردَ فرأى فيه من
إطراء فلان ـ يعني أميرَ المؤمنين ـ لنفسِه وذهابِه بها وافتخاره ما لا يليق بأهل
العقول مثله، وليس من شيَم أهل العقول إطراءُ أنفسهم[2].

الناصر يهزأ من افتخار المعزّ بنفسه...

فقال المعزّ عليه السلام: فاسمعوا إلى جهل هذا الجاهل! إنّ هذا كتابٌ ورد
من رجل منّا على رجل من قِبَلِه جواباً عن كتاب كتبه إليه، فنسَب إلينا ما فيه أنّا
قلناه، بلا علم له بذلك، ونحن إنْ أطرَيْنَا أنفُسَنا أو أطرانَا غيرُنا وافتخَرْنا أو افتخَرَ
لنا مَنْ سِوانا أو افتَخَرَ بنا، فنحنُ بحمد الله أهلُ الفخر والإطراء/ والفضل 293
والسناءِ لقرابَتِنَا من رسول الله ﷺ، ومحلِّنا الذي أحلّنا الله به من الإمامة وما
أولاناه من الفضل والفخر والكرامة. فإن ذكرنا ذلك وقلنا، فبأمر الله عزّ وجلّ
ذكرنا، إذ قال تبارك وتعالى لنبيّه عليه الصلاة والسلام: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ

... فيبرّزه المعزّ بقرابته من الرسول (ص).

(1) الأقعد في النسب: القريب الآباء من الجد الأعلى.

(2) الصدق محمودٌ إلاّ في مدح النفس.

فَحَدِّثْ﴾(1). فهذه نِعمُ الله علينا وفضلُهُ وإحسَانُه إلينا، لا على أنّا نفتخِرُ زَهْواً وتكبُّراً، ولا نذكر من فضلنا ما نذكره أشرًا ولا بطرًا، وقد قال رسول الله ﷺ: أنا سيِّد ولد آدم ولا فخر، وأنا أتقاكم لله ولا فخرَ(2). فهذا القول الذي قاله (صلع)
294 هو غايةُ الفخر، ولكنّه/ إنّما نفى عن نفسه الكِبْرَ والتجبّر والدعوى بغير الحقّ، كما فخر هذا المنتقِد علينا الفخرَ.

الناصر يفخر هو أيضاً بنفسه...

ثمّ قرأ علينا فَصْلا بعدَ هذا من الكتاب فإذا فيه من افتخاره ما يطول ذكرُه، فتعجّب المعزّ عليه السلام وتعجّبْنا من غفلته عن نفسه وقال: هذا ممّا قُلناه، إنّ هذا كتابٌ جوابُه فيه، وإنّا لو رأينا الجوابَ عنْه لدرجناه ورددناه إلى كاتبِه، وقلنا له: جواب فصـل كذا من كتابك فصل كذا(3)، حتّى نأتيَ عليه. ثمّ قال: هذا ممّا قيل لنا إنّه جمع كُتّابَه ووزراءَهُ فيه، ثمّ اختار من كلامِهم ما جمعَهُ، ولم يدر أنّ

... فيسخر المعزّ من هذا التناقض.

295 بعضه لبعض نقيض بسوءِ تميّزه وبُعد/ فهمه وشُغلِه بما هو فيه من معاصِيه عن انتقاد الكلام والنظر في معانيه.

وفي الفصل الثاني:

الناصر يفخر بماله وعدّته.

(قال) وكان في فصل من الكتاب افتخار اللعين الأمويّ بما حواه من الأموال وورِثه عن آبائه من الخزائنِ والذخائر. فقال المعزّ عليه السلام: وهذا ممّا ذكرنا له: يأخذ علينا الفخرَ بفضلنا على البريّة بولادة رسول الله ﷺ وبما خصّنا الله به من إمامة عباده وبما نطق به كتاب الله عزّ وجلّ من فضلنا وحقّنا وافترَضه فيه
296 على الأمّة من مودّتنا وطاعتنا وجعله مع رسول الله ﷺ من/ الفَيْءِ لنا، فوصَفْنَا إحسانَ الله عزّ وجلّ في ذلك إلينا وفضله وإنعامَه علينا. وهذا هو يفتخِرُ علينا بمِلك مال تغلّب عليه، ومِنَ الحرام اكتسَبَه، وبسلطان تعدّى عليه واغتصَبَه، يكاثرنا لاهياً كما قال الله تعالى: ﴿أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ﴾ إلى آخر السّورة(4). وهـذا وعِيدُ الله لهذا الفاسق ولأمثاله الذين ألهاهُمُ التّكاثرُ بما تغلّبوا

(1) الضحى، 11.
(2) حديث: أنا سيد ولد آدم: سنن ابن ماجة ص 1440 رقم 4308 وصحيح الترمذي ج 11 ص 305، والجامع الصغير ج 1 ص 274.
(3) في الأصل: جواب فصل كذا من كتابك فصل كذب.
(4) التكاثر، 1.

عليه من أموالٍ[1].

فهذا الذي [به] فخر، عَائِدٌ عليه وِزرُه وإثمُه ووبَالُه، والقليل من ذلك كان أخفَّ عليه وأولى له. وما استكثر منه فإنّما استكْثَر به من سُخطِ الله وغَضَبِه. وإنّما هو في ذلك بمنزلة/ السارق يفخَرُ بما سرق، والخائنِ يكاثـر بما به خَانَ، 297
فليفاخِرْ وليكاثِرْ بذلك على أمثالِه ويباهي به نُظَرَاءَهُ وأشكاله الذين تعبّدوا الدنيا فآثروها واطّرحوا الآخِرَة ورفضُوها واستعدّوا منها ما استعدُّوه لمعاصي الله وما يُبعدُهم منه كالذي استعدّ له هذا الشقيُّ مِنَ الملاهي والخُمور واعتكافه على المخازي والفجور. فقد رويَ عن رسول الله ﷺ أنّه قال: مَنْ أَرَادَ أَنْ يَعْرِفَ مال امرىء من حيثُ اكتسبَه فلينظر فيمَ يُنفِقُه، فإنّ الحرامَ في مثله يُنْفَقُ. وقال: يسأل كلّ امرىء منكم عن مالهممّ اكتسَبَه وفيم أنفَقَه. وهذا ممّا لا يشكّ فيه/ أحدٌ 298
منكم. إنّ الحرام إذا أنفق كان حراماً، لأنّه ليس لمن اكتسبه أخذُه ولا إنفاقُه[2].

المعزّ يتّهم الناصر بالفجور.

وفي الفصـل الثالـث:

(قال) وكان في فصل من فصول هذا الكتاب أنّ الروم، بزعم مَن كتبه، قد غلبوا علينا وأسَرُوا خلْقاً من المسلمين من أساطيلنا، وأنّا وادَعْنَاهم على تركهم، إيثاراً لحرب المسلمين.

فقال المعزّ أمير المؤمنين عليه السلام: أفَلا تعجَبُون لهذا الخائن الكاذب؟ لو أنّ هذا القولَ ممّا تَزَيَّنَ بـه عند أهل موضعه لكان قبيحاً شنِعاً من الكذب، فكيف بأن يكتب به إلى من يعلَمُ باطلَه، ويقفُ على كذبه؟ فهل علمتُمْ أنّ الروم أسروا من المسلمين/ من قِبَلِنا إلاّ أهل المركَبِ الحَمَّالِ[3] الذي مرّ بهم، 299

المعزّ يدفع تهمة الناصر له بموادعة الروم...

(1) في الأصل: أمواله.

(2) حديث: من أراد أن يعرف مال امرىء... وحديث: يسأل كل امرىء عن ماله... لم تذكرهما أمهات الحديث. وإنما ذكر الترمذي ج 9 ص 253 عبارة: ... يسأل عن... ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه.

(3) في الأصل: الحال. وهذا المركب «الحمال» الذي أخذه الروم، لعله أحد المراكب التجارية التي كانت تحمل «العود» أي خشب الغابات من صقلية إلى دار الصناعة بالمهدية، كما تشير إليه «سيرة الأستاذ جوذر» (ص 121، الفقرة 56)، أو تحمل الحبوب من إفريقية إلى صقلية (ص 87، فقرة عدد 1). وقد تعرض كانار Canard إلى تجارة الخشب=

... ويفخر بحمله إيّاهم على إرجاع ما أخذوه... فاسترجَعْنَاه، وعقَدْنا عليهم فيما عقدناه من الموادَعة بيننا وبينهم أن يأتُونا بمَن أسَروه من أهل المشرِقِ وما أخذُوهُ لهم؟ وأنّهم قد سألُونَا ورغِبُوا إلَيْنَا أن نُطْلِقَ لهم مِمَّنْ سبَيْنَاهُ وأسَرْنَاهُ من رِجَالِهم ونسائِهم وذرارِيهم، فما أجبناهم إلى إطلاق نَسَمة واحدة منهم، إعزازاً للإسلام وأهلِه ووضعاً للكُفر وحزبِه؟ أفما يستَحْيي هذا الخائنُ من الكذب والتمويهِ؟

ولكنّـه ما استحيى مِمَّا هُوَ أخزى له من ذلك، من العيوب الفاضحة[1]

300 والآثام القبيحة/ التي اشتهر بها واستفاض عنه الخبر فيها، من أنّه يؤتى في نفسه ـ يقول ذلك المعزّ عليه السلام مُطرقاً مُعرِضاً بوجهه استحياءً من ذكره ـ (قال)

... ويرمي الناصر بالانحراف الجنسي... ولقد قلت لهذا الرسول قولاً في ابن هذا الفاسق المنسوب إلى عهده أردت به هذا المعنى[2]، فقال لي محتجاً عنه: إنّما يقال هذا يا مولايَ في أبيه! فكفى بمن لم ينف ذلك عنه وليُّه ورسولُه لاشتهاره به. ولعمري إنّ هذه أقدام من كانت[3] هذه حاله وذلك داؤه وداء سلفه، قبّحهم الله وأخزاهم ولعنهم وأقصاهم!

وفي الفصـل الرابـع:

301 (قال وكان في فصل/ من هذا الكتاب افتخار الأمويّ اللعين بما يحاك له في

الناصر يباهي المعزّ بصناعات الأندلس... بلد الأندلس من الخزّ والوشي وأصناف الثياب ممّا زعم أنّه لا يُحاكُ بالمشرق مثلُهُ، وأنّه قد استغنى بذلك عمّا يُجلَبُ إليه من المشرق.

قال أمير المؤمنين المعزّ لدين الله عليه السلام: وما سمعنا أحداً يدّعي

= بالخصوص، في مقاله:

Quelques notes relatives à la Sicile sous les premiers califes fatimides.

الذي أعيد نشره في مجموعة:

L'expansion arabo-islamique et ses répercussions. Variorum Reprints. London, 1974 n° 4.

(1) في الأصل: ولكنه مما هو أستحيى من ذلك أخزى له من العيوب وفي س 182: ... ممّا هو من ذلك أخزى له من...

(2) في الأصل: إني أردت. والمقصود هنا هو الحكم المستنصر، ولي الخلافة في رمضان 350/ أكتوبر 961 إلى سنة 366/ 976. وهو الحكم الثاني الذي ازدهرت الحضارة الأندلسية في عهده. وقد عرف بالاستقامة، خلافاً لأبيه عبد الرحمن الناصر. انظر فصل Huici Miranda بدائرة المعارف الإسلامية.

(3) في الأصل: إن هذا أقدام من كان... والأقدام هنا الآثار والأفعال.

عقلاً، يفخرُ بالحاكة! ولو كان ذلك ممّا يُفخَر بمثله، لكان عندنا من الطراز أنواعُ الأعمال البديعةِ والصّنعة العجيبة لا يُشكّ من رآه أنّه ما رأى مثلَه، ممّا يعملُه عبيدنا الذين أفاءَ الله عزّ وجلّ بهم علينا من سَبْيِ الروم بأسْيَافنا، دونَ من فَخَر هو بمثله من سائر الرّعايا. ولكنّ/ مثلَ هذا لا يفخَرُ به ذوو العقول. بَل الحاكةُ 302
وأهلُ الصنائع إذ[ا] كانوا أغلب على أهل بلدٍ نقضوا بهم، كما قال المصريّ لليمانيّ: إنّما أهلِ اليمن بين حائك بُرْدٍ ودابغ جِلد، وسائسِ قِردٍ، فَذَمَّهُم بذلك. فجعل هذا الجاهلُ هذا فخراً، وإنّه إذا قيس إلى معايبه يُفْخَرُ بمثله.

فيسخر منه المعزّ إذ لا فخرَ في نظرِه بأهل الصنائع.

وفي الفصـل الخامـس:

(قال) وذكر في فصل من فصول هذا الكتاب عليّاً عليه السلام، فترحّم عليه، وقال: وإن كان الذي صار إليه إنّما تهيّأ له بالحيلة.

ترحُّم الناصر على علي...

قال المعزّ عليه السلام: والذي دعاه إلى أن ترحّم على عليّ عليه السلام/ 303
الضَّرورة التي دعَتْه إلى الصلاة على رسول الله ﷺ، ولأنّ الجماعةَ اليوم قد أجمعوا على فضله. ولو أمكنه ما كان أمكَنَ اللعناءَ سلفَه، لَلَعَنَهُ[1] كما لعنوه على المنابر، حتّى كان ممّا مَدَحَ به عمرَ بنَ عبد العزيز منهم بعضُ مَن مَدحه لمّا أمسك عن لَعْنه، أن قال (طويل):

وَليتَ، فَلَمْ تَشْتُمْ عَليّاً وَلم تَخَفْ   بَرِيًّا وَلَمْ تَقْبَلْ مَقَالَةَ مُجرِمِ[2]

ثمّ قال عليه السلام: وفي ترحّم هذا الفاسق على عليّ عليه السلام ما يُلزمُه لعنَ آبائه الذين لعَنوه والبراءةَ منهم لو كان ذلك منه اعتِقاداً.

... ترحّم كاذبٌ.

فأمّا قولـه: إنّ عليّاً/ صلوات الله عليه صار ما صار إليه بالحيلة، فهذا ممّا 304
تقدّم ذكرُنا له من قحة ومتاهة[3]، وقد علم الخاصّ والعامّ أنّ الذي صار إليه بالحيلة من اللّعناءِ سلفِه أقربُهم إليه: مروان الطريد[4]، في احتياله على معاوية بن

(1) في الأصل: اللعنة كما...
(2) البيت لكثيّر عزّة. وفي إبطال عمر الثاني لعن علي، انظر الكامل لابن الأثير، ج 4 ص 154.
(3) في الأصل: مباهة، والإصلاح منا تخميناً.
(4) مروان بن الحكم بن أبي العاص: هو أول خلفاء السلالة «المروانية». تولى سنة 64/ 684 بمبايعة من أمراء الشام، بالجابية في الأردن. ويسميه المعز هنا الطريد قياساً على أبيه =

يزيد ودسّه من دسّ من أهل الجابية[1] في توليَتِه وأنّه لم يوجَدْ له يومئذ منقبة ولا فضيلة يقولها أو يذكره بها مَنْ ذكَره إلاّ أنّه قال: إنّه شابَ حتى شابَتْ ذِراعُه، وقد كان فيهم يومئذ من شيوخ السَوْء مَن هو أكثرُ شَيْباً منه، وأنّ من حضر يومئذ
305 بالجابية أكثروا التّعجّب ممّن قام بذكره/ ورضيَ بولايته على ضعف أهل الجابية وقلّة تمييزهم، حتّى تمثّل المتمثّلُ منهم بأن قال: هذا أمر مُشِـيَ فيه بليل.

اجتمع على مبايعة عليّ مـا لم يجتمـع لأبي بكـر وعمـر وعثمان.

فأمّا عليّ عليه السلام، فقد علم الخاصّ والعامّ والمخالف والمؤالف أنّه لم يجتمِع الناسُ على أحد قبله بعد رسول الله ﷺ اجتماعَهم على بَيْعَتِه. أمّا أبو بكر فقد نازَعه الأنصار وغيرهم، ومات كثير من الصحابة وما بايعوه.

وأمّا عمر فقد اجتمعوا فيه إلـى أبـي بكر فقالوا له: نناشدك الله أن [لا] تولّي علينا رجلاً فظّاً غليظاً. فقال أبو بكر: تخوّفونَني؟ إذا لَقِيتُ الله قلتُ له: إنّي
306 ولّيتُ عليهِم/ خيرَ أهلك[2].

وأما عثمان فما اجتمعوا على توليته ولكنّهم اجتمعوا على قتله.

وأمّا عليّ عليه السلام فأجمعوا بإجماعهم عليه وامتنع منهم، وأطبقوا عليه وما زالوا به حتّى أجابَهم إذ لم يجدْ لدفع ذلك وجهاً تقوم له به الحجّة. ولو توقّفوا عنه كما توقّف من توقّف منهم قبل ذلك، لتركَهُم. وكان أوّلُ من بايعه الذين نكثوا عليه لمّا لم يجدوا عندَه من الأَثَرة ما عُودّوه. وقد سأله معاوية تركه على الشام، فلو فعل ذلك لما كان الذي كان منْهُ، ولكنّه (صلع) تلا عندَ ذلك قول الله عزّ وجلّ: ﴿وَمَا كُنْتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُداً﴾[3]، فعمد هذا الفاسق إلى ما
307 عسى أنّه/ كان يقال في أسلافه فرمانا به كما قيل في المثل لعاهرة رمت عفيفةً بِالزنى: رَمَتْهَا بَدَائِهَا وَانْسَلَّتْ[4].

= الحكم بن أبي العاص الذي نفاه الرسول (ص) من المدينة إلى الطائف (انظر أسد الغابة ترجمة 4841 وترجمة 1217).

(1) يوجد خبر بيعة الجابية مفصّلاً عند ابن الأثير: الكامل، ج 3 ص 326.

(2) التحفظ في تولية عمر منسوب إلى طلحة. انظر: تاريخ الطبري تحت سنة 13.

(3) الكهف، 51.

(4) مجمع الأمثال، ج 2 ص 401.

وفي الفصـل السـادس:

أجداد الناصر المروانيّون اغتصبوا الخلافة من ذرّيّة معاوية.

(قال) وذكر في فصل من هذا الكتاب معاوية فترحّم عليه، وقال: أمير المؤمنين معاوية.

فقال مولانا المعزّ عليه السلام: فإذا كان معاويـة عنده أميرَ المؤمنين فقد شهِد على أسلافه بالغصْب وعلى نفسه بذلك، لأنّ معاويةَ قد أقرّ الأمر في ولَدِه. فما أدخل مَرْوَانَ وآلَ مروانَ فيهَا، ومعاويةُ وولدهُ لم يجعلوا ذلك لهم ولا عهِدَ أحدٌ منهم إليهم ولا أجمع المسلمون عليهم/؟ فهم بقوله مغتصِبُون وبمثل هذا 308
رضيَ هو وأسلافُه لمن ادَّعى التفقُّهَ من العامّة أن جَعَلُوهُم أئمّةً يأخذون دينَهم عنهم، وأفتاهم أولئك أنّ مَن رضِيَه المسلمون فهو أميرٌ عليهم، ولوْ أفادوا هذا الأصلَ لم يَعْدُ ذلك الذينَ رَضُوه لو كان ذلك كما أصَّلُوه، إذ ليس عندَهم لأحدٍ أن يستَخْلِفَ ولا يُوكِلَ أحداً على ما ليس له.

ليس للناس أن يقيموا لهم إماماً فتجب طاعته.

وكيف، وليس ذلك لهم في أنفسهم ولا في غيرِهم لأنّ اللهَ جلّ ذكرُه قرَنَ طاعةَ الأئِمَّة عليهم السلام بطاعتِهِ وطاعة رسولِه، فقال جلّ ذكره: ﴿أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنكُمْ/﴾[1]. فلو كان للناس أن يُقِيمُوا لأنفسهم 309
إماماً فتَجِبُ طاعتُه بإقَامَتِهِمْ إيّاهُ لوَجَبَ كذلك أن يُقِيمُوا نَبِيّاً وَإلاَهاً كما فعلت الجاهليّةُ في نَصْبِهَا آلِهةً مِنْ دُونِ الله، تعالى الله عن قـولِ المضلّيـن الظالمين[2]. فالكلام في هذا يتّسِعُ.

وفي الفصـل السـابـع:

المعزّ يبرّر قتل المهديّ لأبي عبدالله الدّاعي.

(قال) وكان في فصل من هذا الكتاب ذكرُ أبي عبدالله صاحب الدعوة وقيامه بها، وقتلُ المهديّ (ص) له، وأنّه لم يفِ له، وانتقَـمَ الله منه على يَدَيْه.

فقال المعزّ عليه السلاَم: ما عسى أن يجهلَه هذا الجاهلُ من أمر أبي عبدالله، فقد عرَفْتُموه. وأنّ أخاه أبا العبّاس كان سبب قَتْلِه، وأنّ المهديّ (صلع) ما أراد قتلَه/، وإن استحقّ القتلَ عنده، حِفظاً لما تقدّم له، وإن كان قد سعى مع 310

(1) النساء، 59.

(2) س 187: المبطلين.

أخيه ومال إليه وغلب الهوَى عليه لمّا رأى الأمورَ خرجت من يديه.

وهذا الفاسقُ لا يدري ما أوجَبَ قتلَه ولا كيفَ كان سببُه، ولا يعلَمُ حالَ القتل الذي هو سُخطٌ وانتقامٌ وقَهْرٌ، من حال القتل الذي هو قِصَاصٌ وواجِبٌ وطُهْرٌ. فما الذي أدخَلَهُ فيما لا علمَ له به؟ فإن أنكَـرَ مُنكِرٌ مثلَ هذا فلْيُنكِرْ فعلَ الله عزّ وجلّ فيمَنْ عاقَبَهُ من أنبيائه الذينَ اصطفاهم على عباده ثمّ عاقَبَهم بما
311 اجْتَرَمُوه وطهّرَهم بالعُقُوبة ممّا كانوا اقترفُوه. فقـد أخبر الله تعالى/ وهو أصدق القائلين عمَّن عاقبَه من أنبيائه مثل آدم ويونس وأيّوب وسليمان وداود ويعقوب ممّا كانوا اقترفوه، فإنْ أنكرَ عقابَ المُحسنين إذا اقترفُوا السيّئاتِ بعد الحسنَات فلْيُنكـرْ ما جعله الله عزّ وجلّ من ذلك قرآناً مسطُوراً، وذلك قوله: ﴿وَقَدِمْنَا إلى مَا عَمِلُوا مِن عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُوراً﴾[1].

والأمّةُ لا تختلف في أنّ عابداً لو عبَد الله طول دَهْرِه وسائرَ عمرِه قائماً لا يفتُر وصائماً لا يفطِرُ، ثمّ كَفَرَ بعدَ ذلك طَرفَةَ عينٍ به، ومات عَلَى كُفْرِه، لأحْبَطَ
312 اللهُ عَمَلَهُ. فإن أنكر ذلك فَلْيَقْرَأ قولَ الله تعالى/ وهُوَ أصدق القائلين: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وإِلَى الذيـنَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِن الخَاسِرِينَ﴾[2]. وقد كان رسولُ الله ﷺ كما وصفَه اللهُ في كتابِه المبينِ إذْ يقول وهو أصدقُ القائلين: ﴿لَقَدْ جَاءكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ﴾[3]، فكان (صلع) مع ما وصفَه اللهُ من الرّحمة فيه يقتل القَاتِلَ[4] ويرجم الزّانِيَ المُحْصِنَ ويحدّ البِكر ويقطعُ السّارقَ، لأنّ هذه حدودُ الله التي ذكر فـي كتابه أنّ من تعدّاها فقد ظَلَمَ نفسَه. وأنّ الرحمة فيها وفي
313 ترك تَنْفِيذِها لا تعدّ رحمةً[5] لأن اللهَ عزّ وجلّ/ ذكرَ حدودَه التي افترضَها وأمر عبادَه بإقامَتِها [و] هو أرحَمُ بخَلْقِه وأعلَمُ بصلاح عبادِه أجمعينَ.

الرسـول (ص) كان يقيمُ حدودَ الله، مع ما عرف به من رأفةٍ.

فإن زعم الذي أنكر قتلَهُ أن لم يَقْتُلْ فيجـبَ القتلُ عليه، واحتجَّ بالحديثِ

(1) الفرقان، 21.
(2) الزمر، 65.
(3) التوبة، 128.
(4) في الأصل: القائل.
(5) في الأصل: لا تعد رحمة الله.

الذي رواه أئِمَّتُه أنّ رسول الله ﷺ قال فيما زعمُوه: لا يحِلُّ قتلُ امرىءٍ يُؤمِنُ بالله واليوم الآخِرِ إلاّ في ثلاث: زناً بعد إحصَان أوْ كُفرٍ بعدَ إيمان أو قتل نفسٍ بغير نَفْس[1]، فهو لاَ يدري إن كانَ هذا الذي أنكر قتْلَه قد اقترَفَ شيئاً من ذلك أو لم يَقْتَرِفْه. وقد نطق الكتاب بقتل غير من ذَكَرُوه في هذا الحديث. فقد قال الله عزّ
314 وجلّ: ﴿إنَّمَا جَزَاءُ/ الذِينَ يُحَارِبُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الأرْضِ فَسَاداً أنْ يُقَتَّلُوا أوْ يُصَلَّبُوا أوْ تُقَطَّعَ أيْدِيهِمْ وَأرْجُلُهُمْ مِنْ خِلاَفٍ أوْ يُنْفَوْا مِنَ الأرْضِ﴾[2]. فالمُفْسِدُ في الأرضِ وقاطعُ الطريق يقتل في قولِ أئمّتِه وكذلك اللصُّ، ومن نازعَ رجلاً على شيء من ماله أو مالِ غيره من المسلمين أو أرادَ قتلَه، فجائز له أن يَقتُلَه. قال الله عزّ وجلّ: ﴿فَإنْ بَغَتْ إحْدَاهُمَا عَلَى الأخْرَى فَقَاتِلُوا التِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إلَى أمْرِ اللهِ﴾[3]، فأوجبَ قِتالَ أهل البغي وأباحَ قتلَهم. فهل كان هذا الفاسقُ الجاهلُ المُغرِض يعلَمُ حالَ هذا الذي أنكرَ قتلَه، وأنّه كان بريئاً من هذه
315 الوجوه كلِّها والتبعات/ بأسرِها أو كان علِمَ كيفيّةَ قتلِه وعلى أيّ الوجوه جرَت أمورُه؟ بل هو لا يدري على الحقيقة من ذلك شيئاً.

عبد الرحمان الداخل قتل مولاه بدراً الذي أوصله سالماً إلى الأندلس.

ولكنّه يدري أنّ العبدَ الذي هَرَبَ بِجَدّهِ الدَّاخِلِ[4] إلى الأندلس من المشرق وخاطرَ بنفسه فيه حتّى أصاره [إلى] المصر الذي صار إليه قد قطع يدَه وقتلَه من أجلِ أنّه لطمَه يوماً في حين مَجِيئِهِ به ـ وقد رأى بعضَ رجالِ السلطان ـ ليُوهِمَهم أنّه عَبْده، وأرادَ بذلك نجاتَه. فكان لهذا المنتقِد ما يجهلُه، أن ينتقِدَ على سلَفِه ما
316 يَدْرِيهِ ويعرِفُه. وقد يكون الْمُؤَدّبُ والقيّمُ على أولاد الملوك/ يُؤَدّبُهم ويضرِبُهم في الأمرِ اليسير ثمّ يصير من يصير منهم بعد ذلك إلى المُلكِ فيوفّي حقّ مؤدّبه والقيّمِ عليه الذي كان يضرِبُه ويؤدّبُه لما يقيمه عليه من الواجب. فكيف بمن كان إنّما أراد بما فعلَه حياةَ من فَعَلَ ذلك به واستنقَاذه من القتلِ، فاستنقذَهُ من ذلك وأصارَه إلى المُلك وبذَلَ نفسَه فيه، فيكون جزاؤُه أن تُقْطَعَ يدُه ويُقْتَلَ؟ فمِثلُ هذا

---

(1) حديث: لا يحل... ذكره البخاري، ج 9 ص 6، والترمذي ج 9 ص 2، وأبو داود ج 2 ص 440 وابن حنبل ج 1 ص 437 رقم 437.

(2) المائدة، 33.

(3) الحجرات، 9.

(4) عبد الرحمان بن معاوية، الداخل إلى الأندلس سنة 139/757 انظر: ابن الأثير ج 3 ص 360. ولعل العبد المذكور هو مولاه بدر، على أن المصادر التاريخية لم تعرض لهذه الحادثة.

لَوْ تعقَّبَه الجاهلُ الأحمقُ على سلَفِه لشغلَه عن تعقُّبه ما لا يَدرِيه على غيره[1].

ثمّ قال مولانا الإمام المعزّ عليه السلام: وفي مثله قال بعضُ الحكماء: مَن

317 عمِيَ عن معايبِ نفسه لم يعلَم محاسنَ/ غيرِه، فهو لا يُقلِع عن المعايب إذ جهِلَها

ولا يدري المحاسِنَ في غيره فيستَحْسِنَها. الناصر لا يرى عيوبَهُ هو ولا محاسنَ غيره.

ثمّ قال عليه السلام: لقد مرَّ بي هذا الكلامُ منذ أيّام في كتاب، فأعجبني غايةَ الإعجاب، وأحسَبُه بهذا اللفظ. ثمّ دعا عليه السلام بالكتاب فاستخرجَهُ منه فوجده وردّه، ثمّ قال: إنَّه لمِنْ كلامِ الحكمة.

---

(1) عقد القاضي النعمان في كتابه «افتتاح الدعوة» فصلاً مطوّلاً استعرض فيه أطوار المؤامرة التي دبّرها أبو العباس ضد المهدي فتبعه فيها جمع من كبار مشايخ كتامة وكذلك أخوه أبو عبدالله الداعي. ويظهر من تحليل النعمان أن المحرّك الرئيسي كان أبا العباس، وأن محور الدعاية كان التشكيك في إمامة المهدي، واعتباره إماماً مستودعاً اغتصب الإمامة من القائم الإمام الحقيقي (انظر افتتاح الدعوة، نشر فرحات الدشراوي ص 306 إلى 326 وكذلك التعليقات بالقسم الفرنسي ص 131 إلى 136. وانظر أيضاً افتتاح الدعوة نشر وداد القاضي ص 259 إلى 269).

الجـزء الثـامـن

[بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ]

وفي الفصـل الثامـن:

95 ـ قال القاضي النعمان بن محمد: وكـان في فصل من فصول هذا الكتاب ممّا افتخر به الأمويُّ اللعينُ أن ذكر عِدّة رجاله. الناصر يفخر بعدد جنوده...

318 فقال المعزّ عليه السلام: لو علمنا أنّا نُدْرِك عِلْمَ/ هذا بمشقّةٍ لرأينا أنّا نتحملّها[1]. فإن كانَ هذا الأحمقُ الجاهلُ لم يعلَم أنّ في أقلّ بلدٍ من بلدانِنا وأدنى عسكر من عساكرنا أضعافَ ما ذكرَهُ من العدد الذي تهيّبَ به، فقد جهِل ما لا ينبغي لمثله أن يجهلَه. وإن كان قد علِم ذلك فعرّفَنا بما عندَه من العدد، فما زاد على أن أوقَفَنَا على ضُعفه ووَهَنِه وعرَّفَنَا قدرَ ما نحتاج إليه إذا أردنا محاربتَه. وما أدري ما معنى ذكرِه هذا، ولكنْ لا تحصيلَ إلاّ لذوي العقول.

وفي الفصـل التاسـع:

(قال) وكان في فصل من فصول هذا الكتاب ذكر إفريقيّة، فقال: وإنّما بها بربر أغْتَامٌ[2] لا يميِّزون شيئاً/. 319

فتبسّم المعزّ عليه السلام عند ذكر ذلك وقال: هذا ممّا قيل في الأخبار عن بعض الملوك أنّ اختلاطاً أصابَ النّاسَ في زمانه، وسلِمَ هو منه لأمْرٍ تحفَّظَ له. فلمّا رأوْه قد خالَفَ معنَاهم قالـوا: قد اختبَل الملكُ، وهَمُّوا أن يخلَعوه، فاتَّصل به ذلك، فتناولَ ما كان تحفَّظ منه حتّى دخل عليه ما دَخَل عليهم فقالوا: قد صحَّ. ... وينتقص أهل إفريقيّة.

(1) الفكرة غامضة، ولعلّ المعزّ يتهكّم بالأمويّ.
(2) الأغتم: من لا يفصح في كلامه.

وصبر على ذلك حتى زال عنه بزوالِه عَنْهُم.

فكذلك هذا الجاهل الركيك، لمّا قصر عقله عن عقول ذوي العقول رماهُم بالجَهْل فلم يرَ الجاهلُ أئمّتَه الذين هم فيما يزعمون فقهاءُ أهل بلده، وإنّما أخذوا
320 علمَهم أكثرَه عمّن كان بإفريقية/ ، وكتبُهم إلى اليوم في أيديهم. وكلّ من طرأ منهم يَأخُذُ عَنْهم حتّى إنّهم ليأخذُون عمّن لا يُؤْبَهُ إليه منهم[1].

والمعـز يعظّمهم...

والجهل إذا نُعِتَ، والحُمْقُ إذا وُصِف، والرَّقاعَةُ إذا نَزَلَتْ، فإنّما يضاف ذلك إلى أهل الأندلس أشبهِ الناس طباعاً وأخلاقاً وزيّاً ومنظراً وهمّاً بأهل بَوَادي الرّوم، وهم منهم. وقد رأيتُ كثيراً ممّن ألّفَ الكتبَ في البلدان وذكر أحوال أهلها: فكلٌّ قد أجمَعُوا على أنَّ الذّكَاء والفطنةَ والعلمَ والرِّقّةَ في أهل العراق، ثمّ بعدَهم في أهل إفريقيّة، وذكروا سائرَ البلدان وما ذكَروا الأندلس في الذاكرين.
321 ولولا سخـفُ عقولهم وغلظ/ طباعهم وأذهَانهم لما أقرّوا لمن طرأ إليهم ممّن فرَّ من بني أميّة. ولو وُجد في الأرض أجهلُ منهم لقصد إليهم دونَهم.

البربر هم الذين دفعوا عن الناصر خطر الروم.

فأمّا ما ذكره من البربر فلولا من يَنْزَعُ[2] إلى ناحيتـ[ـه] منهم رَغبةً في جهاد المشركين وذبّهم عنه[3] لما قرَّ[4] به قرارُه ولا اطمأنَّتْ به داره[5].

وفي الفصـل العاشـر:

لجوء أهل إفريقية إلى الناصر...

(قال) وكان في فصل من فصول هذا الكتاب أنّه ترك أهلَ المذاهبِ وما اختارُوه لأنفسُهم ولمْ يعرِض لأحدٍ منهم، فنزع أكثرُ الناس إليه وسكنوا بلدَه لذلك.

فقال المعزّ عليه السلام: وهذا مما قدّمنا ذكرَه أنّه والمتغلّبين أمثالَه إنّما
322 أرادوا عاجلَ الدنيا، فلمّا سلَّمَها الناسُ/ إلَيْهم لم ينظُروا في شيء من أمرِ دينهم

(1) النعمـان ـ أو المعزّ ـ لا يسعه إلا أن يطري علماء إفريقيـة، وهم سنّيون، فيطريهم بمقدار.
(2) في الأصل وس 195: ينتزع، وليس لها معنى التوق والحنين المقصود هنا.
(3) أي عن الناصر الأموي.
(4) في الأصل وس 195: أقر به قراره...
(5) فالفضل في وجود الدولة الأموية يرجع إذن إلى البربر.

وسلّمُوه إليهم فأخذُوه عنهم[1]. ولو كانوا ممّن تعبّدَهم الله تعالى لتقويمِ عبادِه على ما شرَعَه لهم من دِينِهم والدّعَاءِ إليه، لقوَّموهُمْ عليه ودعَوْهم إلى ما فيه صلاحهم، وكان ذلك أهمَّ عليهم من أمرِ الدنيا، لأنّ الله عزّ وجلّ لم يُرسِلِ الرُّسُلَ وأقام الأئمّةَ إلاّ لإظهار دينه وتقويمِ عبادِه عليـه، والدعاءِ إليه.

... إنّمـا هـو طَلـب للملاهي وحطام الدنيا.

وأمّا ما ذكره ممّن نزع إلى بلده فما علمنا أحداً نزع إليه لعلمٍ يأثُرُه ولا لدين يطلُبه. وما نزع من نزع إليه إلاّ لِمَا أباح لهم من شُرْبِ الخمور والمجاهرة بالمعاصي وجَعَلَ ذلك سبباً/ لمجاهَرَتِه هو بذلك. ولو أنكَرَ ذلك على غيرِه 323
لوجب أن يُنكِرَه على نفسه. على أنّه إن عدَّ من نزع إليه فَخْراً، فإنَّا لا نعرِف قريةً من القرى فضلاً عن المنابر[2] والمدن من أقصى المغرب إلى ما يقرب من المشرق إلاّ وفيها طائفة من أهل الأندلس قد نزعوا إليها ووطَنُوا بها. وإنّ كثيراً منهم ليذكر أنّ الذي نزع به خوفُ سخط الله لمَا رآه من إظهار المعاصـي ببلدِه، فخرج هارباً لِذلك بنفسه. فإن كان يعدُّ من نَزع إلَيْهِ مَفْخَراً فلينظر من نزع عَنْه! مع أنّ هذا من مفاخرِ الجُهّال. وما زال النـاسُ ينتقلون من بعض / البلدان 324
إلى بعض اختياراً وشهوةً، ولعلّةٍ ولغير علّةٍ على قديم الزمان في كلّ مكان.

وإن كان عندَه أنّ كلّ بلد يُنتَقَل إليه لهُ الفضلُ على البلد المنقولِ منه، فليفضّلْ، إن شاء ذلك وقال به، البلدَ الذي نفى رسولُ الله ﷺ جدَّه الحكم بن أبي العاص إليه، على حرمه[3] الذي نفاه منه ليُفيد قولُه ويكمل له افتخارُه.

وفي الفصـل الحـادي عشـر:

(قال) وقد كان في فصل من فصول هذا الكتاب أنّه ـ يعني أمير المؤمنين

---

(1) في الأصل وس 196: وأخذوا عنهم.

(2) في الأصل: المبابر، ولا معنى له، فاخترنا قراءة «منابر» لأن المنبر قد يعني المدينة التي بها مسجد جامع (انظر دوزي في المادة، وقد نقل عن ابن خلدون هذه العبارة «وولى بعض إخوانه على منابر عمله»).
ولعلها أيضاً: البنادر ج بندر وهي المدينة البحريّة. وفي س 196: المصائر، ولا يوجد هٰذا الجمع لمصرفي في اللسان.

(3) معلوم أن الرسول (ص) نفى الحكم عن المدينة إلى الطائف، فلم يعد إليها إلا في خلافة عثمان (انظر ص 259 من المجالس).

مولانا ـ لم يرض، في الدعاء له، بطول البقاء، حتّى تعدّى إلى ما يُدْعَى به للأنبياء من الصلاة.

الناصر يعيب على المعزّ قبوله الدعاء له بالصلاة...

325 فقال المعزّ عليه السلام: فلو علم هذا الجاهلُ/ معنى الصلاة على الحقيقة أو معناها في مجاز اللغة لما أنكرَ ما أنكَرَه. ولكن لجهله مثلَ هذا عَدَ[لْـ]ـنَا عن جوابه وسكتنا عنه، لأنّه كان يقال: السكوت عن الأحمق جوابُه. فرجّعنا إليه رسوله من غير جواب احتقاراً له.

... فيشرح المعزّ معنى الصلاة على الأئمّة.

وكأنّ هذا الجاهلَ لم يسمع قولَ الله أصدق القائلين: ﴿وَبَشِّرَ الصَّابِرِينَ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قالوا: إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ، أولَئكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾[1]. وقوله: ﴿إِنَّ اللهَ وَمَلاَئِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمَا﴾[2]، وما رواه أئمّته أنّ
326 النّاس سألوا رسولَ الله / ﷺ لمّا نزلَتْ هذه الآية قالوا: يا رسولَ الله كيف نُصلّي عليك؟ فقال: قولوا: «اللّهمّ صلّ على محمد وعلى آل محمد وبارك وسلّم كما صّليتَ على إبراهيم وعلى آل إبراهيم في العالمين إنّك حميد مجيد»[3].

ثمّ قال المعزّ عليه السلام: فنحن آلُ محمد المصلّى علينا في كتاب الله وعلى لسان رسول الله، على رغم أنف الفاسق المنكر ذلك والجاهِلِ له.

استغراب المعزّ من تلقّب النّاصر بالخلافة بعد مدّة من إمارته.

ثمّ قال (صلع): فإنْ كان هذا عِنْدَهُ لم يتعارف إلاّ للأنبياء كما قال، فَمَا بالُه يسمَّى أمير المؤمنين، وذلك لا يُعَلمُ لمن كان بالأندلس ولا كان مَن تقدَّمَه من آبائه يُسَمَّوْن به، ولا هو، صدراً طويلاً من أيّامه[4]؟ فما الذي أوجب ذلك له؟ هل
327 كان هو/ فيما تقدّم له وآباؤهُ من قبله على جهل في ذلك، فاهتدى إلى الصواب

(1) البقرة، 155 ـ 157.
(2) الأحزاب، 96.
(3) كيفية الصلاة على النبي: البخاري، ج 6 ص 151. ولا يرى السنّيّون حرجاً في التصلية على الآدميّ، بشرط أن تكون في معنى الدعاء. انظر مناظرة الفقيه القيرواني أبي عثمان سعيد بن الحدّاد للداعي أبي عبدالله الشيعيّ في كتابنا «الأدب بإفريقيّة في العهد الفاطميّ»، بيروت 1986 ص 47 ورياض النفوس للمالكيّ 84/2.
(4) تولى عبد الرحمان إمارة قرطبة سنة 300/902. وتلقّب بأمير المؤمنين سنة 317/929. وهذا محل تساؤل المعزّ: لماذا نصب نفسه خليفة بعد سبع عشرة سنة؟

بعد ذلك؟ فليشهَد على نفسه وعليهم بذلك!

وإن كانوا على صواب فقد أتى الجهلَ بخلافهِ إيّاهم ودعواه بما ليس له دونَهم.

وفي الفصـل الثانـي عشـر:

تواطأ الناصر مع الروم فلا يحق له أن يدّعي الرفق بالمسلمين.

(قال) وقد كان في فصول هذا الكتاب أنّه آثر السلم والصلح والموادعة لمَا أراده من حَقنِ دماءِ المسلمين وكرهه ما[1] يدعو إلى غير ذلك.

فقال المعزّ عليه السلام: فهلاّ كرِه ذلك إذ أرسل رُسُلَهُ وهداياه وأمواله إلى طاغية الروم يستنصره عليهم، وواطأهُ على حربهم، وأقبل كلّ واحد منهم من ناحيتِه برجاله/ ونَجْدَتِهِ؟ أفلم يكونوا عِندهُ يومئذ مسلمين؟ وإنّما أسلموا اليوم لمّا 328
صرَفْنَا وجوهَنا إليه، وبرَقَتْ بوارقُنا نحوه؟ يخلطُ لنا اللينَ بالشدّة ويُظهِرُ لنا التجلّدَ والنجدةَ ثمّ يسترحِمُنا للمسلمينَ؟

ثمّ ذكر (صلع) في ذلك نحواً ممّا ذكره للرسول وقد تقدّم ذكره في مثل هذا القول لَمّا ذكره له.

وفي الفصـل الثالـث عشـر:

(قال) وكان في فصل من فصول هذا الكتاب أنّه ـ يعنـي أمير المؤمنين صلوات الله عليه ـ منع أهل بلده ـ يعني أهل الأندلس ـ من حجّ بيت الله الحرام، وحال بينهم وبينه[2].

المعزّ لم يمنع الحجّاج الأندلسيّين من المرور بإفريقيّة.

فقال المعزّ عليه السلام: أفَرأيتُم أشنعَ من هذا الفاسق كذِباً أو أقبحَ منه قَوْلاً؟/ ومتى منَعْنا نحن أهلَ الأندلس أهلَ بلده من الحجّ أو من السّفَر حيث 329
أحبّـ[وا]؟ بل هو الذي منَعَهم وغَيْرَهم ممّن كان من أهل البلدان ببلده من الخروج لِئَلاَّ يُؤَدُّوا بزَعْمِه أخبَارَه إلينا، فردّ ذلك علينا. وهؤلاء هم يذهبُونَ ويرجِعون فما نعرِض لأحَدٍ منهم ولا نمنَعُهم. وكيفَ نصدُّ عن بيت الله، ونحنُ

(1) في الأصل وس 99: وكره ممّا...
(2) يفهم من هذه التهمة أن الأندلسيين القاصدين مكة يمرّون بإفريقية.

أهلَه، أم نمنعُ من زيارة قبرِ جدّنا محمد ﷺ، ونَحنُ ولَدهُ؟ قبّحَ الله هذا الفاسقَ وترَّحَهُ! فما أشنعَ شناعتَه وأقبحَ كذبَه، والعِيانُ يدفعه والمُشاهَدة تُبطِله.

وفي الفصــل الرابــع عشــر:

(قال) وكان في فصل من فصول هذا الكتاب أنَّ جميعَ من ضمتّه جزيرة
330 الأندلس/ أولياؤه ورجالُه وأشياعُه ومواليه وعبيدُه وجُندُه وأنصارُه.

فقال المعزّ عليه السلام: فلو صدَّقْنا فـي ذلك قولَه وأخذناهم بشهادته وادّعائه لَقَتَلْنَا من ظفِرنا به منهُم. وأخَذْنا أموالَهُمْ فضلاً عن أن نحولَ بينهم وبين حجِّهم، لأنّهم إذا كانوا على ما وَصَفَهُمْ، فهم لنا حَرْبٌ وأعداءٌ، وجائزٌ لنا أن نفعَلَ فيهم ما قلناه إذْ هُم، على ما زَعَمَ، منه، وهو منهم، بتوليتِهم له وكونِهم في حزبه.

الناصر يفخر بولاء أهل الأندلس له...

ولكنّا نعلَمُ أنَّ الأمرَ فيهم على خلافِ ما ادَّعَاهُ، وأنّه كذَبَ، لعنه الله
331 وأخزاه! وإنّا لنعلم أنَّ كثيراً ممّن حوَتْه دارُه وأحاط به جدَارهُ يشنَؤُه ويمقُتُه/ ويستَبْعِدُ أجلَه ويستبطِىءُ موتَه، وأنّه لو قدَر على ذلك لاستعجلَه له، فضلاً عن سائر أهل بلده الذين قد سامَهم سَوْمَ العذاب، وتجاوز في أموالِهم حدَّ الواجب إلى أن صاروا إلى الانتهاب. وما[1] كفّ عنهم بعضَ شرّه[2] إلاّ مذ أوقَعْنا به، وإنّهم ليدعُون الله لنا لذلك بالنصر عليه، لمَا كففنا عنهم منه. فنحن لا نقبل قوله عليهم ولانُصدّقُه فيهم، نُحسِنُ لمُحسِنِهم كما قد أحسَنَّا إلى من قَدَرْنَا عليه منهم.

... والمعزّ يــدحــض هــذا الادّعاء.

وفي الفصــل الخامــس عشــر:

(قال) وكان فـي فصل من فصول هذا الكتاب المتقدّم ذكره: (قال) وكتب
332 إلينا ـ يعني من كتب إليهم من الحَضْرة ـ / أنّا أرسلنا مددَ البربر عليهم في مراكب وأنّها عطبت ونُكب أهلُها فأسِروا فبِيعُوا بالكلاب[3]. فقال: وهذا موضع غمّ لمن

---

(1) في الأصل: ولما...

(2) في الأصل: شعره.

(3) تلتبس الضمائر فلا نفهم من هم الباعثون لهذا المدد، إلا أن يكون الناصر هو الذي أرسل البربر في أسطول لمحاربة الفاطميين، فأسروا وبيعوا في الأسواق، فعاب عليه الناصر ذلك كأنه يقول له: دفعت بالمسلمين إلى النخاسين. هذا، ولم نر وجهاً لكلمة «الكلاب» هنا.

عقل، أن يكون أحرارُ المسلمين يباعُون.

قال المعزّ لدين الله صلوات الله عليه: والكاتِب بذلك إليهم لم يقل عنّا إنّا
أبَحْنا ذلك ولا أجَزْنَاه، وإنّما أخبرَ عن عقوبة الله لهم بما فعلوه. وأمّا نحن، فلو
ظفِرنا بهم، لما حكمنا فيهم إلاّ بالقتل أو المنّ أو ما يجب في أمثالهم من الحُكم.

مراكب أندلسيّة أغـزاهـا النـاصر إفريقيّة فعطبت.

ثمّ قال (صلع): وما حجَزَهم عن الملك والسَّبْيِ إلاّ ظاهرُ الشهادةِ، فأمّا
أعمالُهم فأعمالُ أهلِ الشّركِ. وإذا كان الله عزّ وجلّ قد أحلَّ بهم من البؤس
والعقوبةِ ما عسى أنّا لَو كُنّا/ ظفِرنا بهم لم نفعَلْه فيهم، فذلك أشفى لقلوبنا وأبلغُ 333
في نِعمة الله وفضلِه علينا. فجعَلَ معرفتَنا بنِعمة الله علينا في هلاك عدوّنا ومن
قصَد بالمكروهِ إلينا، وذكرَنا ما أحلّه الله به، عيباً علينا.

/ (قال) ثمّ ذكر هو في كتابه هذا أنّا لمّا أخرجنا أسطولنا إلى المريّة وأحرقنا
مراكبَه ووطئنَـا بلدَه أنّ الله لم يُتِمَّ ذلك لنا لأنّا أخرجنا مع ذلك أسطولاً إلى غزوة
الروم بقرشقة[1] فلم نظفر بشيء وانصرف أهل أسطولنا خائبين وأوقع ببعضِهِمُ
المشركون.

قال المعزّ عليه السلام: وهذا ممّا ذكرناه من تناقض كتابه وأنّه لو صرف إليه
لكان جواباً له، وهو ها هنا يُبَكِّتنا بأن ذَكَّرَنَا نعمةَ الله علينا/ في دفاعه عنّا مَن 334
أرسله مادّة[2] علينا وأنّه أحلّ بهم النَّقمة والبؤس دوننا، فهو ها هنا يعتدّ ويُسَرُّ بأنَّ
المشركين حمَوْا أنفسهم منّا وأصابوا من المسلمين ما هو فيه مع الكاذبين. بل
وطئنا بلدَهم وقتلْنا منهم وأجلَيْنَاهُم وانصرف رجالُنا سالمين بحمد الله ربّ
العالمين. فجمع إلى الكذب المسرّةَ بخلاص المشركين ونَكبة المسلمين، وهذا

غزوة مظفّرة على حزيرة كرسيكا.

(1) لعلها جزيرة كرسيكا Corse المعروفة في خليج جنوة شمالي جزيرة سردانيا.
هذا وقد ذهب فرحات الدشراوي (افتتاح الدعوة ص 331 من المتن ص 139 من التحليل بالفرنسية) إلى أن «قرقيسا» أو «قريسيا» الواردة عند ابن الأثير وابن خلدون في الحديث عن غزوات القائم، قد تعني خليج Gascogne على المحيط الأطلسي، وهو أمر بعيد مستبعد، فالمقريزي في الاتعاظ (ص 108) حصر هذه الغزوات في البحر المتوسط.
ومهما يكن من أمر، فإن ملاحظة الناصر هنا تدل على أن المعز واصل غزوات جده القائم على جزر الروم.

(2) هكذا في الأصل. وفي اللسان: المادة كل شيء يكون مدداً لغيره. ودفاعه عنّا مَن...
أي: ردّه عنّا والألألى: دَفعِه.

هو اعتقادُه قد أبدَاهُ اللهُ على لسانه وأظهر ترجمَتَه مع التغايُر في كتابه الذي لا يجوز على كثيـر من المجانينِ مثلَه أن ينتقدَ علينا ما لا يُنْتَقَدُ ويأتيَ بمثل المعنى الذي نحلَنا إيَّاه وبأعظَمَ منه.

وفي الفصـل السـادس عشـر:

335 (قال) وكان في فصل من فصول/ هذا الكتاب: ثمّ زعم أنّ الله عزّ وجلّ سيقطَعُ مُدَّتَنا وينتقِمُ منّا. (قال): وهذا قول جاهل وكفى بجهله بأن يقطع بالغيب على الله ما لا يعلَمُه.

المعزّ يتوعّد الناصر لفسوقه وانحرافه عن الدين.

قال المعزّ عليه السلام: ونحن، فلو قلنا ذلك لقلناه من كتاب الله جلّ ذكره [و] من قول جدّنا رسول الله ﷺ. لأنّا إذا رأيْنَا هذا الفاسقَ مرتكباً لمحارمِ الله عزّ وجلّ، متهاوناً بأمره مناصِباً لأوليائه وحِزبِه، حكمناه بحكم الله، واستـ[ـنـ]ـجزْنا فيه وعدَه لأنّه يقول لا شريكَ له: ﴿إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ وَإِنَّ جُنْدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ﴾(1).

﴿فَلَمَّا آسَفُونَا انْتَقَمْنَا مِنْهُمْ﴾(2).

﴿وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ﴾(3).

وَ ﴿إِنَّ اللهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾(4).

336 ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ/ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾(5).

فعلمنا أنّ الله (عج) لا يدعُ مثله حتّى ينتقم منه ولا يهمل منكره بل يغيّره ولا يدع أن يطهّر منه أرضه ويورثها ـ كما قال ـ صالحي عباده.

قال المعزّ عليه السلام: ثمّ هذا فصل في كتابه بعد هذا يذكر فيه

(1) الصافات، 173.
(2) الزخرف، 55.
(3) القلم، 45.
(4) الرعد، 11.
(5) الأنبياء، 105.

بزعمه سُوء رأينا، وقال فيه: ومن كانت هذه أحواله لم تدُم أيّامُه. فجاء بمثل ما أخذَه بزعمه علينا، لم يعدُه قوله وسوءُ توجيهه وجهلُه، والله للظالمين بالمرصاد[1].

كلام في مجلس في حمد الله وشكره:

95 ـ (قال) وسمعته صلوات الله عليه يوماً يذكر ما هيّأه الله عزّ وجلّ له من إقبال الدنيا عليه/ وما كثّرَه تبارك اسمُه مِن متاعها عندَه من صنوف الأموال 337
والخيلِ والسّلاحِ والعُدّة والطراز، وما ظهر في أيّامه من بديع الأعمال وغرائب الصنائع التي لا يُحْكِمُ حذّاقُ أهل المشرق مثلَها، وأنّ ذلك من صَنعةِ عبيده الذين أفاء الله عزّ وجلّ بهم عليـهِ من سَبْيِ الرّوم وأنّ مثل ذلك لم يتهيّأ لأحدٍ من ملوك الدنيا مثلَه، ثمّ ما هيّأهُ الله تعالى له من قطع الحجارةِ من الجبالِ بالمكان الذي لم يَكُنْ ملكٌ من ملوك الدنيا قبلَه قَدْ تهيّأ فيه ذلك له[2]، والذي ابتنـاه من البنيان واغترسَه من الأشجار مع إقبال الخَلْق بالطاعة له واستقامة الأحوال في أيّامه في جميع مملكته[3].

وذكر مع ذلك ضعف/ بني العبّاس وما أصارهم الله عزّ وجلّ إليه من الذّلة 338
والضَّعة، وما غلبوا عليه من ملكهم وأنّهم كسبيل الأيتام في حجور مَن تغلّب على مملكتهم يُجرُونَ عليهم النفقاتِ وقد حازُوا جميع أموالِهم وغلبوا على سلطانهم. فحمِد الله حمداً كثيراً وشكر ما أولاه الله ومكّنه، وأعطاه وَسَلَبَه وانتقَصَه أعداءه.

ثمّ قال (صلع): نبذنا الدنيا واطّرحناها وطلبنا الآخرة وآثرناها، فأتى الله عزّ المعزّ يحمد الله على
وجلّ إلينا بالدنيا وهي راغمة، وأعدَّ لنا كريم ما لديه في الدار الآخرة. والله ما نال نعمِهِ.
عدوُّنا ما ناله من دنياه إلا بتكدير وعلى حال خوفٍ وتغرير، وما يتلذّذون إلاّ بمعاصي الله ومحارمه عارفيـن بها لايشكّون فيها، أكثر ما يقوله أحدهم/ في ذلك 339

---

(1) هنا ينتهي الرد على رسالة الأموي فصلاً فصلاً. وقد حلّلنا هٰذه المراسلة في فصل بالفرنسيّة في كتابنا «أشتات» ص 63.

(2) في الأصل: لم يمكن ملكاً من ملوك الدنيا قبله به تهيأ فيه ذلك له.

(3) هذا عين الفخار الذي كان المعز منذ حين (انظر ص 166) يعيبه على عبد الرحمان الناصر، والإشارات إلى العمران والصناعات هي بعد غامضة مبهمة لا غناء للمؤرخ فيها.

ويقال له: إنّما هي دُنْيَا فاستعجل منها، فما استعجلتَهُ فهو الذي تربَحُه وما تركتَه منها فقد خسِرتَه. ولا يذكرون معـاداً ولا يرجون ثواباً. وإنّا بطاعة الله وبجلاله لأشدُّ منهم تلذّذاً في غير معصيته وحرامه، وما لهم في الدنيا إلاّ الخزيُ والتَّعَبُ والنَّصَب، ولا في الآخرة إلاّ العذابُ واللعنةُ وسوءُ المنقَلب، فقد خسِروا الدنيا والآخرة، ﴿ذَلِكَ هُوَ الخُسْرَانُ المُبِينُ﴾[1].

حديث في صنع الله لوليّـه:

داعٍ زاغ وعفا عنه المعزّ...

96 ــ (قال) وسمعته صلوات الله عليه يذكر رجلاً كان طرأ إليه من المشرق ورأيناه وعرفناه. قال: كان ممّن أذن له في موضعه في الدعوة إلينا قديماً. أطلق
340 له ذلك بعضُ من فوّضنا ذلك/ إليه من دُعاتنا فكان يتّصِلُ بنا عنه من سوء الحال وقبيح الانتحال وتغيير دين الله وتحريفه والتقوُّلِ بالباطل فيه، ما قد شقّ علينا واغْتَمَمْنَا به، ثمّ هيّأ اللهُ مصيرَه إلينا وقدومَه علينا فأنزلناه وأجرينا عليه، وأمرنا من نثق به من أوليائنا بمفاوضته واستخراج ما عنده، فإذا هو بحسب ما وُصف عنه، ورُفعَ إلينا فيه، وأسْوَأ حالاً من ذلك. فلمّا استنفَدْنا ما عنده، ووقفنا على ما يعتقِدُه، أنكرنا ذلك عليه، وَوَعَظْنَاهُ فيه واستَتَبْنَاه منه، فأظهر توبةً وقُبولاً ورجوعاً إلى الحقّ وإنَابةً، وأخذنا عليه. ثمّ سألَنا تسريحَه إلى مكانهِ فأمرناه بالتأهّب لذلك
341 وأجَزْناه فأحْسَنّا/ جائزته.

فرفع إلينا جماعةٌ ممّن كان من أضيافنا معه يخاليه ويفاوضه أنّه إنّما أراد التخلّص منّا، وأنّه عزم على الرجوع إلى ما كان عليه وأن ينشره عنّا بموضعه وغيره، ويجول في الآفاق، إذ به قد صدر عنّا تسريحه، وانصرف عن بابنا لما يريده من التأكّل بذلك من أموال الناس، مع ما يُوَرّطُهم فيه من المهالك، ويزرع فيهم من سوء الانتحال. ورفع ذلك إلينا من رَفَعَهُ من أوليائنا رفعَ نصيحة، وذكر أنّه إنْ صار إلى أيّ مكان أفسَدَه وأتلف أهلَه، وأنّ حَبْسَه بالحَضْرَة واعتقاله دونَ ذلك صلاح. وتبيّن لنا ذلك، وكان الذي يوجبه التدبيرُ استهلاكَهُ واجتياحَه، وأن
342 يكون أقلَّ ذلك حبسُه واعتقالُه. ثمّ نظَرْنا في/ واجب قصده إلينا من قبل أن نقدِرَ عليه، وفي الذي أظهَرَه من توبته، وأنّ الذي يُخشى منه لم يكن بعد فَعَله

(1) الحجّ، 11.

فيوجب ذلك عقوبتَه، وإن كان قد تهيَّأ واستعدّ له، فرأينا إيثارَ الحقّ فيه، وقُلْنَا:
إن كان قد اعتقد سوءاً فَالله يكفيه، ولا نكون نأتي أمراً فيه شبهةٌ. فأذِنَّا له في الانصراف. ... وسرّحه
فلقد انصرف وما وَدَّعَنَا خوفاً من أن يَعُوقَ في المُقَامِ عَائِقٌ. وأنفذناه مع عاملنا بمعروف...
على [بـ]ـرقة في حين انصرافه وأمرنَاهُ بحسنِ صحابته وبرّه وإكْرَامِه وقضاء حوائجه.

فلمّا وصل معه إلى مدينة إطرابلس قدّم العاملُ رجلَيْن على نجيبين إلى برقة لما أراد أن يتقدّم فيه قبل قدومه[1]، فسأله أن يقدّمه/ معهما، ورغب في ذلك 343
فأخبره بما يكون عليه في ذلك من المشقّة لركض النجيب به وسرعة السير. فقال: هذا أحبّ إليّ. فأجابَه إلى ذلك لما تقدّمنا[2] إليه فيه من قضاء حوائجه. وقدّرنا أنّه إنّما دَعَاهُ إلى ذلك الخوفُ من أن نردّه. فمضى مع الرجلين. فبعد أن قَطَعوا أيّاماً صاروا من الليل، فخرج عليهم لصوص فاشتدّ الرَّجُلان بنجيبهما واشتدّ معهما، فرمى به النجيبُ فسقَط إلى الأرض فاندقّ عنقه فمات، ولم يعلم به ... ولكـنّ
صاحباه واستتر عن اللصوص لظلام الليل. وأصابه أهل الناحية من غدٍ بما معه الأقدار عاقبته.
فَرَفَعُوا أمره إلى عامل المكان فحاط ما كان معه ودفَنَه، وكتب إلينا بِخَبَرِه كفانا
الله/ مؤنته وخلّصنَا من الدخولِ في شُبْهَةٍ من أمره. 344

وهذه عادة الله عندنا فيمن غَمَطَ إحسَانَنَا وكفر نِعمَتَنَا وأسلَمْنَا أمرَه إليه وتوكّلنا فيه عليه، والحمد لله ربّ العالمين على ما لا نُحصيه من فضله ونَعْمَائِه ولا نتعاطى بلوغَ شُكره من آلائه حمداً كثيراً كما هو أهله ومُسْتَحِقُّه.

---

(1) في هذه الجملة الطويلة غموض ناتج عن التباس الضمائر الكثيرة، والمعنى هو: أرسل عامل طرابلس رجلين على ناقتين في حاجة له إلى برقة كان ينويها قبل قدوم الرجل المشبوه في أمره.

وبرقة في القديم كانت إحدى المستعمرات الإغريقية الخمس (بنتابوليس) على السواحل الشرقية من ليبيا. وفي العصور الإسلامية أصبحت عاصمة للأقليم الذي يعرف اليوم بولاية برقة، حسب عادة العرب في تسمية كامل المقاطعة باسم قصبتها، وقد اندثرت برقة القديمة وقامت مقامها اليوم قرية المرج على أميال من بنغازي الحالية (انظر فصل Barka بدائرة المعارف الإسلامية لـ J. Despois) وإنّ وجودَ عاملٍ للمعز عليها دليلٌ على أنّها كانت تحت حكم الفاطميّين، ونعرف من ديوان ابن هانيء ومن تاريخ جوهر أنّ عاملَها ـ أو قاضيها ـ اسمُه أفلح الناشب.

(2) أي نحن، المعز.

حجّة في الأخذِ عن أولياء الله:

مناقشة مع نحويٍ سنّي...

97 ـ (قال) وحضر مجلسَهُ يَوْماً بعضُ النحويّين فقال له: خبّرني عنكم معشرَ المنتَحِلِين علم النحو واللغة: أليس إنّما أخَذَ أئمَّتُكُم عِلْمَ ذلك عن أهل بوادي العرب، وهم قومٌ لا يعرِفُون منه ما تعتلُّونَ أنتُمْ به له، وتصرّفونه عليه في
345 أبوابه وشواهدِهِ وأنحائه ودقائقِ مخارجِه/ واختلاف وجوهِ إعرابه وعَروضِ شعره وفواصِله ودوائرِه بأفاعِيلِه ووجوهِ عِلَلِهِ؟ فلمَ كانوا أخذوا ذلك ممّن لا يعرفُ ما عَرفوه عنه، ولا يدري ما دَرَوْه من أسبابه، وسلّموا إليهم في عمله، وإنْ أتَوْا منه بغيرِ ما يعرِفُونَه وخلافِ ما يصرّفونه؟

... لإقناعه بأنّ الأئمة مرجع في الدين...

قال: لأنّهم علِمُوا أنّهم مطبوعُونَ عليه وأنّهم أهلُه ومعدِنُه، وإنّما وضعوا[1] ما وضعوه من هذه الشواهد والأبنية والأنحاء على أصولهم لكي لا يخرُجُوا عنها، فإذا جاءهم عنهم ما لم يكونوا عرَفوه سلّموا القولَ إليهم فيه.

346 فقال المعزّ عليه السلام: أفلَسْنَا نحن أهلَ بيت رسول الله ﷺ/، ولُحْمَتَهُ وخُلَصَاءَهُ ودخلته وأهلَ ما حضر وغاب منه، وعَيبةَ سرّه وأخصَّ الناسِ كلِّهم به؟

...مثلما أنّ الأعراب مرجع في اللغة.

فلِمَ لَمْ يكونوا سلّموا كذلك إلينا ما جهلوه من أمرِ دينِهم وسألونا عمّا اشتبه منه عليهم، ولم يقْطعوا فيما جهِلوه منه بآرائهم وأهوائهم؟

فسكت ذلك الرجل ولم يُحِرْ جواباً، وكان ممّن ينتحل قول العامّة.

النعمان يواصل المجادلة تخيّلاً.

ولعلّ من حجّته في ذلك عند نفسه أن يقول: نحن ما نأخذ ما أتانا عن رسول الله ﷺ إلاّ عن ثقات أدَّوْا ذلك إلينا عنه، وإن لم يكونوا من أهل بيته.
347 فقد ثبت لصِحّتهم عندنا ما أدَّوْهُ[2] إلينا. فيقال له أرأيتَ لو أدّى/ إليك عن هؤلاء العرب قومٌ منهم وقومٌ من غَيْرِهم، [فَـ]ـمن كان أولى بصحّةِ النقل عندك وأثبتَ فيه لديك: من هو منهم يعرِف لُغتَهم ويدري ما يؤدّيه عنهم، أم[3] من هو من غيرهم لا يعرِفُ ما يعرِفونه ولا هو في ذلك كمن هو كأحدِهم؟

(1) في الأصل: وضعوهم.
(2) في الأصل: وما أدوه.
(3) في الأصل: أو.

فإن كابرَ وقال: إذا كان ثقةً في نقله أخذتُ عنه ولم أبالِ، قيل له: أفرأيتَ إن خَالَفَ ما جاءك به العربيُّ الذي لا تشُكّ في مَعْرِفَتِهِ: [فَـ]ـمن أولى عندك أن تَأخُذَ بقوله؟ فإنَّهُ لا يجِدُ بُدّاً منَ القَوْلِ إنَّ العربيَّ أحقُّ من آخُذُ عنه، وإلاَّ خَالَفَ أصلَه الذي بنى عليه وأوجَبَ أنّه يدَع قولَ العرب/ الثابتَ عنهم ويأخُذ بِقولِ 348
المولَّدِين الداخلين على العربيّة. وهذا ما لا يقولُه أحدٌ من أصحابه، ولو قالوه لأبطلوا كلامَ العرب الذي[1] يستشهدون به في كتبهم ويرجعون إليه وإن لم يعرفوا معناه، كما ذكر ذلك المعزّ عليه السلام فيما/ أصَّلَه عنده فأقرّ واعترف به.

رؤيا رآها المنصور بالله صلوات الله عليه:

98 ــ (قال) وسمعته صلوات الله عليه يقول: لمّا خرج المنصور بالله صلوات الله عليه إلى ناحية تونس في حين إخراجه الأساطيل[2] إلى غزو الروم نزل خربة قرطاجنّة وهي لَمِنْ أحدِ عجائب الأوّلين في البناء، فأقام بها/ 349
أيّاماً.

(قال) فدخلت عليه في صبـ[ـيـ]ـحة يوم من تلك الأيّام، فقال لي: أخبرُك عن[3] عجائب هذا البناء، لقد اشتغل[4] قلبي به، فقلت في نفسي: ليت شعري من بناه؟ وهل هو واحد أم[5] تعاقبه جماعة؟ وكيف كان اقْتدَارُ من بناه عليه مع عِظمِه واتّساعه؟ وقلت: إن كان الذي بنى هذا ملكاً واحداً، فكيف اتّسع لِذلك والعمرُ لا يبلغه؟ وإن تداولَه ملك بعد ملكٍ، فكيف اتَّفقَتْ آراؤهم على هذا المكان وقلّما تتّفق الأهواءُ على سكنى البلدان، سيّما الملوك؟

تعجّب المنصور من معالم قرطاجنة.

---

(1) في الأصل: الذين.

(2) يبدو أن الميناء الذي خرج منه الأسطول هو ميناء دار الصناعة ببحيرة تونس الذي اتّخذه حسان بن النعمان سنة 80 هـ.

(3) في الأصل: في.

(4) في الأصل: فاشتغل.

(5) في الأصل: أو.

فنمتُ وأنا أفكّر في ذلك. فرأيتُ في المنام كأنَّ رجلاً دخل عليّ، آدمَ
350 شديدَ الأدمة، تعلُوه صُفرة/، خفيفَ [اللحية و] العارضين مَحْدوراً/ [1] معتدلَ القامة، عليه ثوب أبيض قد توشّح به فسلّم عليّ، فرددت عليه السلامِ وقلت: من أنت؟

قال: عبد من عباد الله بُعِثتُ إليك.

قلت: مرحباً بك! ورفعت يدي إليه، فأكبّ عليّ وقبّل عَضُدي. وقلت له: اجلس! فجلس. وسكتّ أنظرُ ما يقول، فسكَتَ وتبسّم في وجهي تبسّماً خفيفاً.

فقلت: يا هذا من أنت، وما له جئتِ؟

فقال: أنا صاحب هذه المدينة.

قلت: وكيف أنت صاحبها؟

قال: أنا الملك الذي ابتَنَيْتُها، وملَكتُ أهلها.

فقلت: وحدك أم شاركك فيها غيرك؟

351 قال: بل وحدي ابتنيتها حتّى أكمَلْتُها وسكَنْتُها/ وأقمت عمري بها إلى أن متّ فيها.

فقلت له: لقد أعطِيتَ مُلكاً عظيماً وبَسْطَةً، أفما كان لك عدوّ فحاربْتَه فشَغَلَك عن هذا البناء[2]؟

فحرّك يده وجمع أصابع يديه جميعاً وقرّبهما وقال: كان لي عدوّ كثير، ومن ذا يخلُو من الأعداء؟

قلت: فما كان دينُك ومذهبك؟

قال: التوحيد.

قلت: فما صرتَ إليه؟

قال: إلى خيرٍ والحمد لله!

قلت: قد جمع الله لك أمرَ الدنيا والآخرة.

---

(1) الزيادة من س 214. ومحدور: سمين في غلظة.
(2) هـذا السؤال يعبر عن مشاغل المنصور كأنه يقول: لولا الحروب لبنيت مثل بناءات قرطاج.

قال: وما تنكر من ذلك؟ إذا][1]، كانت هذه البقاع من هذه الأرض قد مُنحت ما تراه من المنحة[2] فكيف بالأرواح الشريفة وما يخصّها الباري إذا ارتضاها؟

352 قلت: أجل، فما اسمك؟/ فتسمّى لي باسم لم أسمع بمثله في لغة من اللغات ولا عرفتُ معناه، إلاّ أنّه كثير عدد الحروف.

وقال المعزّ عليه السلام: أظنّه قال: فيه مثل عشَرة أحرف وذكر بعضَها. وقال: كتبها المنصور عليه السلام. (قال) ثمّ تحرّك للقيام، فقلت: ألا تجلس؟ أنست بك. فقال: ما بُعثِت إليك إلاّ وأنا على شغل[3]، فإن أَحْبَبْتَ أن تسأل عن شيء فاسأل عمّا بدا لك!

(قال) فسكتّ مفكّراً فيما أريد أن أسأله عنه، فقام ومضى، فانتبهتُ.

كلام في فضل الأئمّة عليهم السلام:

99 ــ (قال) وذكر المعزّ عليه السلام أمر مدينة من مدائن الغرب[4] وقيل له
353 إنّه وقع بين/ أهلها وبين من يَليهم من القبائل اختلاف وحرب، وكان قد خربت مراراً قبل ذلك بمثل هذا وأخرج عنها أهلُها.

فقال المعزّ عليه السلام: ما ألَوْنا في طلب عمارتها ولكنّها وغيرَها من المدائن التي دافعَتْ أولياءَنا في ابتداء أمرِنا لن تُفلح أبداً، ولا تزال الفتن بها حتّى تأتيَ عليها.

هذه المدنُ التي قاومت الدعوة أصابها الخراب.

وذكر غيرها ممّن كان أهلُها دافعوا وهم على مثل هذه الحالِ. وقال: هذه

(1) الزيادة من ع 501.
(2) في الأصل: المحنة.
(3) وأنا على شغل: هذه إشارة إلى ما يعتقده الإسماعيلية من أن الأنفس المحمودة تؤثر بعد الموت في أنفس الأولياء، وتستغفر لهم من الذنوب. فهي في شغل دائم إلى يوم القيامة.
انظر: ستروطمان: أربعة كتب إسماعيلية ص 89. ويرى الكرماني (راحة العقل، 391) أن مكوث الأنفس بالبرزخ يدوم حتى يتم الخلق الجديد.
(4) في الأصل العرب.

عقوبة من الله عزّ وجلّ. ثمّ ذكر المدن التي سلمت ودخلت في الطاعة وما أعقبها الله به من الأمن والخير والعمارة.

كلام في فضل الوَلاية:

354 **100** ــ (قال) وسمعته صلوات الله عليه يذكر/ كتامة وموالاتهم وانطباعهم على الوَلاية. فقال عليه السلام: والله إنّي لأظنّ أنّه لو مُثِّلَتْ لهم النار والجنّة وقيل لهم: هذه الجنّة وفيها أعداؤنا، وكلّا [لا] يكون ذلك، فإمّا أن تكونوا معهم فيها، وإلاّ فهذه النار فادخلوها، لاختاروا دُخُولَها!

تفاني كتامة في ولاء الأئمّة.

الجزء التاسع

[بسم الله الرحمن الرحيم]

كلام في ذمّ الحسَد ذُكِر في مجلس:

101 ـ قال القاضي النعمان بن محمد: سمعت الإمام المعزّ لدين الله
217 صلوات الله عليه يقول: الحسَدُ أعظمُ الداء وجهد البلاء وأشقى الشقاء. إنّ
الحاسد/ إنّما يسخط على الله عزّ وجلّ إذا رآه آتى عبداً من عباده خيراً، يسخط 355
ذلك منه ويَرَى نفسَه أهلاً لذلك، وليس هو كما رأى. فينسب إلى الله عزّ وجلّ الجَوْر في فعله والخطأ في حكمه، تعالى الله عن ذلك علوّاً كبيراً. ثمّ يتبع ذلك ما يعتريه فيه من الكمد والغمّ، والحسرات والهمّ.

قلت: فالحسدُ في الفضل، كالعلم والعبادة والحجّ والجهاد وأفعال الخير؟ فإنّهم قد زعموا أنّ الحسَد في ذلك يستحبّ.

المعزّ يفاضل بين أنواع الحسد.

قال: لهذا وجهٌ ومخرج: إن كان التحاسدُ في مثل هذه الوجوه العملَ بها
والمنافسةَ فيها، والقلوبُ سالمةٌ من الغِشّ والدّغَل، لا يُحبّ الحاسدُ/ أن يُحَطّ 356
المحسودُ في ذلك عن درجة الفضل التي هو بها، وإنّما يُحِبُّ أن يَلحَقَ به فيها، فليس هذا حسد[اً] وإنّما هو تنافس في الخير ومبادرة إليه.

وإن كان إنّما يريد إسقاطَ من حسَده، وكونَه هو في منزلته، وهو في منزلته[1]، فهذا هو الحسد، وهو مذموم.

قلت: قد/ قالوا في مثل هذا في قول الله تعالى: ﴿وَلاَ تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللهُ بِهِ

(1) في الأصل: فهو، والفكرة غامضة، ولعلها: يريد أن يكون هو في منزلة المحسود، وأن يكون المحسود في منزلته هو.

بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾[1] إنّه الرجل يَتَمَنّى أن يكون له مال رجل بعينه وامرأته بعينها وأن ينتقلع ذلك إليه عمّن هو في ملكه ويديه. وقالوا في قوله:
357 ﴿وَاسْأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ﴾[1] وقول رسول الله : إذا تمنّى/ أحدكم فليُكثرْ فإنّما يسأل ربَّه عزّ وجلّ[2]: إنّه يتمنّى أن يكون له مثل ذلك المال أو يكون له مثل تلك المرأة.

فقال المعزّ عليه السلام: تمنّيه مثل المال الذي لأخيه ومثلَ امرأتِه ضرب من الحسَد. ولكنّه يسأل الله عزّ وجلّ كما أمر، من فضله، ولا يَقتَرِحُ عليه ولا يشغل قلبَه بمال أخيه، ولا بزوجته، ولا يلتفِت إلى ذلك ولا يفكّر فيه، فإنّ فكرته في ذلك واشتغاله به وتمنّيه مثله نوع من أنواع الحسد.

كلام في مسايرة فيه رمز:

102 ــ (قال) وسمعته عليه السلام يقول لرجل، وأنا أسايره في طريق، ولا
358 أدري ما كلّمه/ به الرجل: إنّه كان من أصحاب رسول الله ﷺ ذَوُو نجدة وأولو قرابة منه كعمّه حمزة[3] وابن عمّه جعفر[4] وابنِ عمّتِه الزبير[5] وغيرهم. وأعطى/ غير واحد منهم في غيرِ مشهدَ كثيراً من سِلاحه يقاتِل به، ما خلا ذا الفقار[6] فإنّه لم يضرِبْ به غيرُ رسولِ الله (صلع) وعليّ وصيِّه بإعطائه إيّاه له. فلم يُعطه قطّ أحداً غيرَه.

ذو الفقار لم يضرب به إلاّ الرسول وعليّ.

ونظر إليّ وقال: ذو الفقار على ما قد رأيتُموه على عِظَم قدرِه واختصاص الله عزّ وجلّ به رسولَ الله ﷺ أقصرُ السيوف قدّاً وأقلُّها في العين قَدْراً[6].

359 فلم أر إلاّ أنّ ذلك مَثَلٌ ضربه ودليل دلّ على اختصاص/ عليّ عليه السلام

(1) النساء، 32.
(2) السيوطي: الجامع الصغير، ج 1 ص 23. أخرجه الطبراني.
(3) هو عم الرسول (ص) وسيّد الشهداء. مات في وقعة أحد.
(4) أخو علي لأبويه، ويلقّب بجعفر الطيار، للحديث: رأيت جعفراً يطير في الجنة مع الملائكة. واستشهد بغزوة مؤتة سنة 8 هـ.
(5) صحابي جليل، أمّه صفيّة بنت عبد المطلب عمة الرسول (ص). شارك في وقعة الجمل مع طلحة وعائشة وبها قتل بعد اعتزاله الحرب. (أسد الغابة 1732).
(6) قد مرّ وصف هذا السيف، انظر ص 104.

تسليم الرسول ذا الفقار إلى علي...

بالكرامة التي أكرمه بها، والحجّة[1] التي اختصّه بفضلها والعلم الذي أودعه إيّاه، لأنّ السيف في الظاهر آلة الغلَبة باليد، والعلمَ في الباطن آلة الغلَبة باللسان والحجّة، وأنَّ رسول الله ﷺ اختصّ علياً صلوات الله عليه من ذلك، بما لم يخْتَصَّ به غيرَه.

... إنّما هو في الباطن انتقال العلم منه إليه.

ومنه قَوْلُهُ عليه السلام: علّمني رسول الله ألفَ باب من العلم والحكمة. كلّ باب منها يفتح ألفَ باب.

وقوله عليه السلام: كنت إذا سألتُ رسولَ الله ﷺ أجابني، وإذا سكتُّ عنه ابتَدَأني.

وقوله: سَلُوني قبل أن تفقدوني فإنّكم لا تسألو[نـ]ـني عن علم/ ما كان 360
وما يكون إلاّ أخبرتُكم به، أخبرَني بذلك النبيُّ الصادق عن الروح الأمينِ عن ربِّ العالمين. مع اختصاصه إيّاه صلوات الله عليه وعلى الأئمّة من ولده بالوصيّة والإمامة.

كلام في مجلس في فضل أولياء الله عليهم السلام:

الأئمة ذُكروا قبل خلق آدم.

103 ــ (قال) وسمعته يقول: نحن النجباءُ الأبرارُ، المصطفَوْنَ الأخيارُ، نجل محمد سيّدِ النبيّين وخاتَم المرسَلين، لا ينكر حقّنا إلاّ معاند، ولا يدفعُه إلاّ مكابر، ولا يجهله إلاّ جاهل، ولا يدّعيه إلاّ ظالم. خُصِصْنا بولادة النبيّ والوصيّ، وأورِثنا الإمامةَ، وأُعطِينا الكرامة، وفُضّلنا على العالَمين. ولو شئنا أن نقول إنّا كنّا مع آدم لقلنا[2]، لأنّ الله تعالى لمّا خلق آدم (ع) نظر فرأى في ساق

(1) في الأصل: فالحجة...

(2) هذا القول معروف مشهور عند شعراء الإسماعيلية، حتى إن بعضهم يجعل خلق آدم والبشرية ذريعة لخلق الأئمة، كأن آدم لم يُخلق إلا لينجب الإمام يوماً. فيقول ابن هانىء (القصيدة 106، الأبيات 24 ـ 26) متحدثاً عن المعز:

هـذا ضمير النشأة الأُولى التي ... بدأ الإلاه، وغيبها المكنون
من أجل هذا قُدّر المقدور في ... أمّ الكتاب، وكُوِّن التكوين
وبه تَلَقَّى آدم من ربّه ... عفواً، وفاء ليونس اليقطين

ويقول العزيز الخليفة الخامس (صبح الأعشى ج 2 ص 417):

أنا ابن رسول الله غير مدافع ... تَنَقَّلْتُ في الأنوار من قبل آدم

وفي إنجيل يوحنّا 8/58 يقول المسيح: قبل أن يكون إبراهيم، كنتُ.

361 العرش/ مكتوباً: لا إلاه إلاّ اللهُ، محمّد رسول الله، أيّدْتُه بعليّ وأورثته به. فقد ذكرَنا الله عزّ وجلّ قبل أن يُخلَق آدم، فمن يدّعي هذا معنا أو من يدّعي[1] فيه فضلنا؟

باب في حِلم المعزّ صلوات الله عليه:

104 ــ (قال) وحضرت يوماً مجلِسَه فتحدّث مليّاً ثمّ قال لبعض الخدم بين يديه: أصلِحِ الحمّام!

قال: نعم.

صبر المعزّ على الخادم الذي لم يهيِّئ له الحمّام...

فجلس بعد ذلك طويلاً ولا أشكّ إلاّ أنّه قد كان أمَر قبل ذلك بإصلاحه. ثمّ دعا بالفرس فركبَه ومشَينا بين يديه إلى الحُجرة التي فيها الحمّام من قصره[2]. فدخل فنزل ليدخلَ الحمّامَ فأصاب بابه مقفلاً ولم يُصْلَحْ بعدُ، فسأل عن المفتاح، 362 فلم يوجَدْ/. فوقف طويلاً ما تنكّر حالُه ولا بدا منه غضَب ولا قال في ذلك قولاً. ثمّ دعا بِالكرسيّ فجلَس [عليه]، وجعل يتحدّث حتّى أتِيَ بالمفتاح، وأصلِحَ الحمّامُ. وقام فدخله، وما حرّك ذلك منه ساكناً ولا أهاج كامناً. وإنّ الذي زعم له أنّه أصلح [الحمّام][3] من العبيد لقائم بين يدَيْه، ولقد تداخلني من ذلك غيظ شديدٌ عليه وعلى مَن يلي إصلاح الحمّام.

فذكرت لذلك حديثاً كان حدَّثَناه عن بعض آبائه وأظنّه محمّد بن عليّ (صلع)[4] أنّه كان جالساً مع أصحابه حتّى سمع صَيْحَةً في داره، ثمّ أتاه بعض 363 الخدم فأكبّ عليه وأسرّ إليه/ سرّاً، فقال: الحمد لله! لَهُ ما أعطاه وله ما أخذه. أنْهَهُم عن البكاء وخذوا في جهازه واطلُبوا المِسكينة وقولوا لها: لا ضيرَ عليك، وأنتِ حُرّةٌ لوجه الله لمَا تداخَلَك من الرَّوْع.

... كصبر الباقر على الجارية التي سقط من يدها بعض ولده فماتَ...

ورجع إلى حديثه فتهيّبَ القوم سؤالَه حتّى أتِيَ إليه فقيل له: قد جهّزناه. فقال لهم: قوموا بنا نُصلِّ على هذا الصبيّ!

---

(1) في الأصل: أمن ويدعي.
(2) هذا النص يدلّ على سعة أبعاد القصر.
(3) الزيادات من ع 574.
(4) محمد الباقر: انظر ص 71، تنبيه 1.

قالوا: ومن هو يا ابنَ رسول الله؟

قال: ولَدي فـلان سقط من يد جاريةٍ كانت تحمِلُه فمات.

وحدّثنا أيضاً عن بعض آبائه أنّ جارية قامت عليه توضّئه، فسقط الإناءُ من يدها فجرحَه وانكسر، فخافته فقالت: يا مولاي، إنّ الله يقول: ﴿وَالكَاظِمِينَ / الغَيْظَ﴾. 364

قال: قد كظمناه عنك.

... وصبر إمام آخر على جارية كسرت إناء الوضوء.

قالت: ويقول: ﴿وَالعَافِينَ عَنِ النَّاسِ﴾.

قال: قد عفونا عنك يا جارية.

قالت: ويقول: ﴿وَاللهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾[1].

قال: فأنت حرّة لوجه الله.

وما أحصي ما رأيت المعزّ عليه السلام في مجلسه وتصرّفه في خروجه يُعترَض بما يوجب العقوبة والغضب، وربّما اعترض عليه بعضُ عبيده في رأيه، وقطع عليه كلامه واحتجَّ عليه من يأمُرُه ويخاطبه، وراجعه فيما لا ينبغي المراجعة فيه، ممّا يضيق لذلك صدرُ مَن حضرَهُ وسمعه، فما رأيته قطُّ غضِب لشيء من ذلـك ولا عاقبَ فيه.

تسامح المعزّ مع المتفاضين إليه.

105 ـ وأكبرُ ما رأيت منه أنّه[2] خرج يوماً إلى خارج المنصورية/ في 365 بعض ما يخرج له، فازدحَم الناس على ركابه وأحاطوا به من كلّ جهة يسألونه حوائجهم ويرفعون إليه قصصهم، وقد أقام لذلك من يتولاّه فأبَوْا إلاّ مواجهتَه به، وهو في ذلك يُقبِل عليهم ويسمَع منهم ويأمر بقضاء حوائجهم، إلى أن جاء من ذلك ما لم يُمكنْه معه المشيُ، ونفر به الفرس تحته، ودار به. فأمرهم بالانصراف، وأمر مَن بين يديه من المُشاة بصَرفهم، فألحّوا عليه ولم ينصرفوا عنه وقصَّر المشاةُ عن دفعهم[3]، فتناول رمحاً من يد بعضهم وقال: ما جزاء أحدِكم إلاّ ضربُه بهذا! ثمّ نظر (صلع) إلينا وتبسّم في الوقت بعقب/ ذلك وقال: أما 366

(1) آل عمران، 134.

(2) في ع 572: أنّه قد خرج.

(3) في الأصل: غيرهم في دفعهم، والإصلاح من ع 572.

ترون ما نحن فيه؟ وتحدَّثَ، كأنّه لم يعارَض بشيء.

ولقد نالني ومن رأيته حولي ممّن كان سايره لما رأينا من ذلك غمّ وغضَبٌ شديد، فلا والله ما كان منه في ذلك إلاّ ما ذكرتُه ممّا استعملَه، وطبعُه الكريم يظهر استعماله إيّاه كما يُستعمل القَضِيبُ على الطّفل إذا جهل ليُروَّعَ ويُفزَعَ من أجله.

النعمان يتخلّق بأخلاق سيّده.

ولقد تأسّيت به في الحلم عمّن يجهل ويخالف الواجب من دخلتي وعبيدي والإعراض عن زلاّتهم والصفح عن هفواتهم: ولقد بَطِروا لذلك وحال[1] عليّ
367 كثير من أمرهم. ثمّ قرنت/ ما كنت أجده من ألم الغيظ والعقوبة بما صرت إليه من راحة الحِلم ولذّة العفو والإغضاء، فرأيتُ أنّ الذي صرت إليه من ذلك أفضل. وقد كنت كثيراً ما أعاقِبُ فأندَم على العقوبة إذا سكن غضبي، وأعاتب في ذلك نفسي. ثمّ صلح لي بحمد الله مع الدوام على ذلك كثير من الأمور ممّا لم يكن يصلح بالعنف.

مدح الحلم والإغضاء.

وكذلك رأيت أمورَ المعزّ عليه السلام على ما منحه الله من الحِلم والأناة والصبر يأتي مع ذلك بحسن العواقب وجميل الأمور. وكثيراً ما فكّرت في ذلك فذكرتُ له قول بعض أهل الأدبِ وقد رأى بعضُ الناس عبيداً له يفعلون في أمورهِ
368 غيرَ/ الواحب فقال له: ألا تُؤَدّبُ عبيدَك هؤلاء وتُصلحُهم؟ فقال: قد رمت ذلك [فرأيتُ أنّي لا أصلِح شيئاً من أحوالهم إلا بفساد شيء من حالي][2] فرأيت أنّ إصلاحِ حالي أعوَدُ عليّ من صلاح أحوالِهم فتركتُهم لذلك، يصفو منهم مَنْ صفا ويتكدّر منهم من تكدّر.

رَمْزٌ ذكر في مسائرة:

حديث المعزّ إلى تاجر في الجواهر...

106 ــ (قال) وسايرت الإمام المعزّ عليه السلام يوماً وقد خرج من المنصوريّة إلى ما يليها من المنى[3] فلقيه بعض التجّار المختلفين إلى جهة

(1) حال الأمر: تحوّل وتغيّر. وفي الأصل: خال بالمعجمة.
(2) ما بين [ ] سقط من ع 573.
(3) ج المنية، وهي المنتزه والبستان الواسع، انظر قاموس دوزي. وقد شاع استعمال الكلمة كمنية المغيرة ومنية الخيل بالقيروان ومنية الخصيب بمصر.

المشرق، فذكر له كلاماً طويلاً أجر[ا]ه في ضروب من الأمتعة إلى أن ذكر الجوهر وتمييزه ومعرفته وقيمته/ . فقال له المعزّ عليه السلام: وكيف تعرف قيمةَ الجوهر على الحقيقة، وإنّما هو شيء قد استحسنه الملوك، فمتى استُحسِنَ شيء منه بالغَتْ في العطاء بقدر ما استحسنـ[ـتْـ]ـه منه وبقدر عُلُوّها وسخاء أنفسها ومقدار بسطها واتّساعها وطباعها؟ وقد تملّك كثيراً من الدنيا مَن لا فرق عنده بين الجوهرة النفيسة والزُّجاجة المعمولة وما قاربها من الأشياء المصنوعة، والخَرَزِ المفتعلة. والتجّار إنّما يشترونه وينقلونه من بلد إلى بلد ويبلغون في النفيس منه لما يرجونه من اشتراء/ الملوك إيّاه، وهم لا يعلمون كيف يقعُ ذلك منهم، وإن أتَوْا به من يستجيده ويستحسنُه منهم وتُساعدُه القدرةُ ويجتمع فيه الطَّبْعُ والهمّة، أجزلوا لهم في العطاء. وإن أخلّ به شيء من ذلك كان النقص بمقدار الإخلال إلى ما دون ذلك ممّن لا قدرَ له عندَه، ممّن وصفناه وقدّمنا ذكرَه.

...إنمّا هو رمز إلى جواهر الحكمة والعلم.

فقال التاجر: هو كما ذكر أميرُ المؤمنين. فلم يُقبِلْ عليه ولا رجّع إليه جواباً ونظر عليه السلام إليَّ وتبسّم. فقدّرت في نفسي أنّه إنَّمَا ضرَب ذلك مثلاً وَرَمَزَ به
371 رمزاً بالحكمة التي لا تزكُوا إلاّ عند أهلها ولا يعرف قِيمتَهَا ومِقْدارَها/ إلاّ مَن خصّه الله عزّ وجلّ بها، وبقدر الاختصاص بذلك والعطاء منه والهمّة والإمكان فيه تكون المَعْرِفَةُ بقدرها. وإنّ مَن كان عُطْلاً منها محروماً من فضلها تمرّ صفحاً عليه، فإنْ سمِعها لم يعلَقْ بشيء منها قلبُه ولا ينتفع بها.

وكان الذي فتق لي هذا المعنى أنّي جلست بين يديه (صلع) قبل ذلك اليوم بيومين، فذكر نحواً من هذا عن بعض الأئمّة من آبائه الطاهرين صلوات الله عليهـم، وأنـه خاطب يوماً بعض أوليائه بمكنون من الحكمة ممّا أخذ العهدَ في
372 كتمانه، وبحضرته بعضُ العبيد/ ممّن لم يؤخَذْ عليه[1] ولا بلغ مبلغاً يستحقّ به سماع ذلك الكلام. فقال له: يا مولاي، أترى من بحضرتك؟ قال: أراه وليت أنّكم أنتم تفهمون، مع ما تقدّم عندكم من الفضل، ما قلتُ!.

ومثل هذا يشهد له قول الله جلّ ذكره: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّى إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أوتُوا الْعِلْمَ مَاذَا قَالَ آنِفاً؟ أولائِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللهُ

(1) أخذ عليه العهد بالولاية وكتمان علم الباطن.

عَلَى قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ وَالَّذِين اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ﴾[1].

373 فأخبر عزّ وجلّ أنّهم سمعوا كما سمع أولـو العلم فلم يعرِفوا ما سمِعوه/ ولا وعَوْا شيئاً منه، وجعلوا يسألونهم عمّا قال رسول الله ﷺ، فهم بمنزلة من لم يسمع شيئاً منه، وبحسب ذلك يكون من لم يدرِ قدرَ الجوهر، لا يعرفه ولا يرغَب فيه ولا يفُرّق بين كثير من الحجارة وبينه.

حديث في مجلس في سوء أحوال بعض الدعاة:

107 ـ (قال) وجلست بين يديه عليه السلام يوماً بعقِب ما وصل إليه
374 الكتابُ بافتتاح سجلماسة[2]/ وأسر المتغلّب الذي كانَ عليها محمد بـن الفتح[3] المتسمّي الشاكر لله أمير المؤمنين. فأذن لشيوخ الأولياء من كتامة فدخلوا عليه وسلّموا، وأمرهم بالجلوس فجلسوا بين يديه، فحدّثهم مليّاً وتحدّثوا لديْه إلى أن جرى ذكر الفتنة وتغلّب مخلد اللعين على إفريقيّة وأخذه مدينة القيروان وما دون المهديّة. فذكروا تخلّف القائم بالله (صلع) عن النهوض في تلك بنفسه وما كان في ذلك العصر من التباغي بين الناس والتدابر، وما امتُحِنوا به ممّن نصَب للدعوة

تقصير القائم في التصدّي لأبي يزيد.

(1) محمد، 16 ـ 17.

(2) مدينة تقع آثارها اليوم في جنوب المغرب الأقصى. أسسها مدرار بن عبدالله صاحب الدولة المدرارية سنة 140 هـ. ونزل بها المهدي عند وصوله مختفياً إلى المغرب. ومن سجنها خلّصه أبو عبدالله الداعي فسار به إلى رقادة بعد إطاحته بالإمارة الأغلبية سنة 296 هـ. (انظر: الروض المعطار للحميري ص 305).

(3) هو محمد بن الفتح بن ميمون من أمراء دولة بني مدرار، انتزع إمارة سجلماسة من ابن عمه المنتصر وكان طفلاً، وانشغل عنه الفاطميون بثورة أبي العافية وتاهرت ثم بفتنة أبي يزيد بعدهما. فدعا للعباسيين وأخذ بمذاهب أهل السنة ورفض الخارجية وتلقّب بالشاكر لله وضرب السكة. وكان عادلاً.

وكانت هذه الحملة عليه بقيادة جوهر الكاتب في جموع من كتامة وصنهاجة وأوليائهم سنة 347 هـ ففرّ أمامه محمد بن الفتح إلى حصن تاسكرات على أميال من سجلماسة ثم رجع متنكراً فعُرف فقُبض عليه. وبعث به جوهر وبأمير فاس أحمد بن بكر أسيرين إلى المنصورية. وفي كتاب المجالس والمسايرات حديث كثير عنهما وعن القفصين اللذين ابتكرهما المعزّ لهما ليعرضهما على الناس (انظر ابن خلدون: العبر 6/270 (ط لبنان) والبيان المغرب 1/222 والمجالس والمسائرات: ص 378 والكامل لابن الأثير ج 6 ص 354 والدشراوي: أسر ابن واسول، مجلة كراسات تونس 1956 ص 295.

نفسه بعد تصريح من القائم بالله صلوات الله عليه بذمّه ومنعه، وأنّه تأوّل ذلك/ 375
الذمّ مدحاً والمنع إطلاقاً، فخلّاه وما اقترفه وامتحن العباد به[1].

فقال المعزّ عليه السلام: ولقد أرسلني من سأل إقامةَ ذلك الداعي ليقيم به رئاسته إلى القائم بالله صلوات الله عليه، وأنا يومئذ أؤدّي عنه وإليه، بعد أن أمر أن لا يؤخذ الأمر عنه إلا عنّي ولا يؤدِّيَ إليه مثلَه غيري، وأنا يومئذ حدث السنّ يافع[2]. فسألني ذلك الطالب ـ وذكره، وهو من جلّة خدمه ـ أن أسأله أن يدَعَه ومَن عندَه ممّن يخصّه ذلك الداعي، فبلّغتُ ذلك عنه.

فقال لي: قل له: دع هذا عنك، فتركُه خيرٌ لك، وأقبِلْ/ على ما يَعنيك، 376
ففي إقبالك عليه سعادتُك.

داعٍ زائغ ينتصب للدعوة رغماً عن القائم...

فأبلغتُه ذلك، فقبّل الأرضَ ومرّغ خدّيْه وَقال لي: يا مولاي، افعل مثل هذا عنّي بين يدَيْ مولانا واسألْه لي. فلم أجدْ بدّاً من تأدية ذلك عنه، ففعلتُ.

فقال: قل له: ويحَك! دع هذا إلي أن يكون ما هو خيرٌ لك وأفضل. فأخبرتُه، فعاد إلى مثل سؤاله، وألحَّ وردَّني بسؤاله.

فقال لي: قل له: هذا الرجل قد انصرف إلى منزِله، وإذا عاد من غد نظرتُ في أمرك. وكان قد أمر بانصراف الناس فانصرفوا عن الباب. فأخبرته فقال: / يا 377
مولاي، هذا هو، وقد حبستُه. وأراني إيّاه.

فعدت إليه فأخبرتُه، فقال: ورأيتَه؟

قلت: نعم.

قال: امض إليهما وقُل لهما عنّي (كامل):

يا أمّةَ السّوء التي قد غَيَّرَتْ   واستبدلتْ بضيائها ظَلْماءَها![3]

فإذا قلتَ ذلك لهما ووقفا عليه، فقل لهما: اصنعا ما شئتُما لا بورك لكُما فيه!.

فلمّا ولّيت قال: أحفِظتَ البيت؟

---

(1) هٰذا الداعي المنحرف يبقى مجهولاً.
(2) ولد المعز سنة 319، واندلعت فتنة أبي يزيد سنة 332، فسنه إذن بين 13 و 15 سنة.
(3) لم نعرف قائل هذا البيت.

قلت: نعم.

قال: فأعده عليّ، فأعدته، فقال: امض فقل لهما ذلك.

ففعلت وأنا أظنُّ أنّي إذا قلت لهما ذلك خرّاً صعِقَيْن له، فلمّا قلتُه قبّلا يديَّ، وعانقَ ذلك الداعي السَوْء صاحبه وقال له: قد وجبَتْ! يوهمه أنّ في ذلك
378 رمزاً وتحته باطناً. ومضى معه/ فدعاه وأصحابه، وكان من أمره ما يطول ذكره.

(قال): ثمّ دخل إليه البغداديّ(1) وقد استفاض ذلك، فذكره، ودعاني وقال: هذا كان رسولي إليهما. ثمّ قال لي: أعد عليّ ما أرسلتك به، فأعدته فبقيَ البغدادي باهتاً لذلك متعجباً له.

ثمّ قال المعزّ عليه السلام لمن حضر بين يديه: فأين أنتم اليوم ممّا كنتم فيه بالأمس، وبأيّ شيء تبلغون شكرَ نعمة الله عليكم فيما عوّضكم إيّاهُ وأيّدكُم به؟ إنّا عاملناكم شفاها بلا وسائطَ بيننا وبينكم فشرِبتُم عذْباً زُلالاً بعد مَلح آجِنٍ.

فقبّلوا الأرضَ بين يديه فَشَكَروا له وذكروا ما كانوا امتُحِنوا به من أمر ذلك
379 الداعي وما كان في ذلك/ العصر فيما بين الناس من التباغي، وأنّه من كان قد أتاه فدعاه أسقط من نفسه واطلّع على أعوار ما عنده، ومن تخلّف عنه خاف البغيَ عليه والهلاك من أجله، وذكروا من ذلك كثيراً.

نيسيء ...املة الأولياء.

فقال المعزّ عليه السلام: أعجِبْ بذلك لمَا لم يكشفه وليُّ الأمر وأعجِبْ به إذ لم يَفْعَلْ، كيف انتهى الأمر إلى ما انتهى إليه. والله لو كان ما قد صِرنا إليه من فضل الله ونِعمته وما كشفَه الله من طَخْيَاءِ تلك الظُّلمة، وأزالَهُ من شرّ تلك الفتنة وأذهبه من شدّة تلك المحنة، كان في عمُر بعد عمُر وقَرن بعد قرنٍ وعصر بعد
38 عصر، لكان عجيباً / ، فكيف بزوال ذلك كلّه بالتعقيب بخلافه وضدّه من وجوه الخيرات كلّها وعموم النِّعمة وسُبوغها في هذه المدّة القريبة والأيّام القليلة؟ ثمّ شكر الله على ذلك وحمده بما هو أهلُهُ.

فتنة أخرى أوقدها ابن هذا الداعي المنحرف.

ثمّ قال: وبعد أن كشف الله تلك المحنَةَ وأخمد نار تلك الفتنة، وأمكن من اللّعين مخلد وقطع دابر أنصاره، وقرَّ المنصور بالله صلوات الله عليه في قراره،

(1) لم يسبق ذكر لهذا البغدادي. والقصة كلها لا تخلو من غموض واضطراب.

ألم تكن أطرافنا تُتَخَطَّفُ مرّة بفلان ومرّةً بفلان حتّى لقد خِيفَ من أن يعودَ أمر
الفتنة بَكْراً والحربُ جَذَعَة، إلى أن دعا الأمرُ المنصورَ بالله صلوات الله عليه إلى
الخروج بنفسه على حال عِلّةٍ/ مؤلمة وأوجاعٍ شديدة إلى أن نجم ابن ذلك الداعي 381
المُتَسَوّر[1] على الدعوة، وكادت أن تعود به الفتنة. ثمّ أمكن الله من وعجّل به إلى
سعيره وكان قد دنا من الحضرة[2] هو وغيره ممّن انتجبته الفتنة فبدّد الله شملَه
وفرّق جمعَه. ونحن اليوم بحمد الله ونعمته نطوي الأرض من أطرافِها ونهدِم
أصنامها، والرّعبُ الذي نصر الله به جدَّنا محمداً ﷺ يسير بين أيدينا وأيدي
أوليائنا.

لقد أخبرني مخبر قدِمَ مں أرض الأندلس أنّ اللعين الأمويّ لمّا أحسّ
بالعساكر التي أولجناها الغرب، اشتدّ خوفه واستولى/ عليه ذعره، فأرسل أوثق 382
قوّاده[3] عنده بعسكر أوعب فيه إلى ناحية المريّة، فضرب على ساحل البحر
مضاربه وأناخ به عسكره، إلى أن أتى مركب به بعض أهل يعلى[4] اللعين
يخبرون بقتله وقتل أهل بيته واستيلاء العساكر في ساعة واحدة على مدينته
وقياطينه[5]. وجاء في مركب مخبر آخر يخبر عَنْ هرب صاحب سجلماسة[6]، (مقتل يعلى اليفرني في حملة جوهر...)
ولم يكن علِم بأسره، فما هو إلاّ أن بعث ذلك في العسكر الفَزَعَ فنفروا نفرة
واحدة، فما اجتمع منهم اثنان وما بقيَ بالمُناخ إلاّ مضربُ القائد، وهم من وراء
البحر. فالحمد لله الذي ألقَى لنا في قلوب/ أعدائنا ذُعَرهُ. 383

(1) لا نزال نجهل اسم هذا الداعي المنشق المتطاول على الأئمة. ويبدو أن ابنه سلك مسلكه. والنعمان هنا لا يفيدنا بتدقيق.
(2) وصلت هذه الفتنة إلى أبواب المنصورية؟.
(3) هذا القائد لعله أحمد بن يعلى صاحب شرطة الناصر. وخبر خروجه في البيان لابن عذاري (ج 2 ص 221) تحت سنة 347 في المحرم منها. أما قتل يعلى بن محمد اليفرني فيقول ابن عذاري أنه كان في جمادى (ص 222).
(4) يعلى بن محمد اليفرني، كان والياً من قبل المعز على إيفكان وتاهرت ثم تحالف مع الأمويين، فقتله جوهر في حملته المغربية الكبرى سنة 347/958 انظر: ابن خلدون، طبعة بيروت، ج 4 ص 96 وابن عذاري: البيان ج 2 ص 223). وانظر أسفله ص 275.
(5) مدينته: إيفكان وتقع «خلف تاهرت بثلاث مراحل» (ابن خلدون). والقياطين ج قيطون: الخيام التي يخيم بها العسكر (دوزي).
(6) ابن واسول: انظر ص 196.

ثمّ ما وهب الله سبحانه في هذا اللعين صاحبِ سجلماسة المتسمّي بغير اسمه الجالس غيرَ محلِسِه من أنّه، حين خرجت إليه ودنَتْ منه عساكرنا خرج منها هارباً على وجهه بعد أن كان يَعدُ من معه الثباتَ والمحاربةَ، ويُمنّيهم الغلَبة. فلو قد فتحها الله عزّ وجلّ علينا عَنوَةً وهربَ، لكان فتحاً جليـلاً ومَنّاً عظيماً. لكن أبـى الله بفضله لنا إلاّ بلوغَ الأمل الذي أمَلْنَاهُ وتمام الرجاء الذي رجوناه. ولقد قال لي بعض مَنْ قال، قبل ذلك: إنّا لنخافُ عليه أن يهرُب. فقلت: كلاّ! إنّ الله

... وأسر ابن واسول.

384 سيمكّنُني منه لأنّي/ لم أتّكل فيه على حَول ولا قُـوّة ولـم أرجُ في الظفَر به والتمكينِ منه إلاّ هو وحدَه لا شريكَ له. فحقّق الله ذلك الأملَ وتمّم ذلك الرجاءَ وردّ الخائبَ من المكان الذي هرب إليه وحدَه حتّى أمكنَ منه بلا عَهد ولا ذِمّةٍ، أفهذا عطاءٌ يقادر قدره أو يبلغ شكره؟.

ثمّ أكثر حمدَ الله وشكرَه، ثمّ قال: وممّا وضع الله فيه لأوليائنا الذين حوَتْهم عساكرُنا القاصدةُ نحوه لمّا علِم عزّ وجلّ حُسْنَ نِيّاتِهم واطّلَعَ على صفاء طويّاتهم، وما هم لنا عليه من السّمع والطاعة، وبذل المجهود فيما يقع منّا

385 بالموافقة، أن حمل عنهم المحاربةَ ومنحَهُم الظفر بلا مُعاندةٍ/ وجعل أيديَهم في الظفر بالخائب يداً واحدة ولم يخصُصْ بالظفر به بعضَهم دون بعض فتشْمَخَ بذلك نفس الظافر ويقتصرَ له الخائبُ. لكنّ الله عزّ وجلّ ساوى فيه بينهم، وجعل الأجرَ والفخر والذّكر بذلك لهم كلّهم إسباغاً للنّعم عليهم وعموماً بالموهبة لهم فهنّأهم الله وزادهم وبارك لهم[1].

حملـة المغـرب لم تكـن لقـائـد دون قائد.

قلت: نعم يا مولاي، فهنّأهم الله، وليتَهم سمِعوا ما أعطاهـم الله من رضاك ووهبَ لهم من قَبُولك سعيَهم وما أوجبتَه بفضلك لَهـم! على أنّك لو شئتَ أن تقول إنّ ذلك ممّا أفاء اللهُ عزّ وجلّ عليك وصيّره هنيئـاً لك بلا إيجَافٍ منهم

386 بخيلٍ ولا ركاب/ عليه، ولا صُنعٍ لأحدٍ منهم فيه، لقلت ذلك فصدقت وبرَرْتَ.

قا[ل]: الفضل والصّنْع والموهبة والظفَر من الله الكريم، ومن فضله

(1) شارك في حملة جوهر جعفر بن علي ابن الأندلسية والي المسيلة، وزيري بن مناد الصنهاجي صاحب أشير (ابن خلدون ج 4 ص 97). وانظر عيون الأخبار ص 605 وما يليها.

وصنعته وموهبة ما خصّنا به من طاعة أوليائنا، وبذلِهم مجهودَهم فيما أرضانا وعاد بهلاك عدُوّنا واستفراغِهم في ذلك طاقَتهم واستهلاكِهم فيه أنفسَهم، فهم بعض صنع الله لنا الذي أنالنا به آمالنا وبلّغنا فيه سؤالنا.

قال: ولمَ لا يكون كذلك، وهم خاصّتُنا دون الخاصّة وأحبُّ إلينا من
الأهلِ والقرابة؟ ـ يعني كتامة ـ والله لو لم يكن منهم إلاّ ما كان في هذا البعث/ 387
من أنّا تقدّمنا إليهم في أمر، فما خالفوه، فحسبك من عسكر قطع ما بيننا وبين
سجلماسة لم يَعفُ أثراً لذي طاعـة ولا تناول مثقالَ حبّةٍ، وقد كان أكثرُهم يُظَنُّ
به خلافُ ذلك بما هم عليه من الحداثة، وبما كانت فيهم من الحدّة. فهذا فلان المعزّ يشيد بفضل
وفلان ـ وعدّد رجالاً وذكر ما كانوا عليه ـ قد صاروا اليوم حكماءَ قومِهم وشيوخَ كتامة.
عشائرهم وموضعَ رِفْدِهم ومفزَعهم، والله ليَسْبُقُنَّ مَن تأخّرَ منهم! فبارك الله فيهم
وأحسن جزاءهم! وأنتم والله عُدّتنا وذخيرتُنا لما نحتاج إليه، وكنزُنا الذي نعوّل
عليه، إنْ استغنينا/ عنكم كفيتُمُونا مؤنةَ أنفسكم، وإنْ احتَجْنا إليكم أصبناكم 388
وقمنا بما نرى أنّه يُصلِحُكم وغيرَكم من عبيدنا وحشمِنا، لا يكفيهم شيء عنّا وعن
طلبِ ما عندنا، ظعنوا أ[وْ] أقامُوا وعلى أيّ الحالات كانوا.

فقبّل الأرضَ من حضر من الجماعة بين يديه وقالوا: متى نبلغُ شكرَ هذه النعمة من مولانا عليه السلام؟ والله ما سمِعْنَا مثلَ هذا من أحدٍ من موالينا قبلَه ولا بلغَنا أنّهم قالُوه ولا ندري بما استَحْقَقْنَا هذا عندَه إلاّ بفضله.

فقال لهم: والله لو وجدْنا منكم من القَبول ما نُحِبّه لرأيتُم منّا فوقَ ما تُحبّونه وتأمُلونه.

فقال بعضهم: لنا سؤال/ نسألُه مولانا. 389

قال: سَلُوا!

قا[لوا]: لا يَكِلُنا مولانا إلى أنفُسِنا ولا يدعُنَا واختيارَنا، ولكن يتطوّل علينا بموادّ فضله وتَنْبِيهِهِ ويُعطينا ما هو أهلُه، لا ما يرانا نستحقُّه عندَه، فوالله لا نستحقُّ عند أنفسِنَا النظر إليه فضلاً عن نَيل معروفٍ منه.

فقال عليه السلام: وكيف لي بِلَقِنٍ لمَا أقول فيَعِيَهُ، وذي[1] معرفةٍ بالفائدة يحفَظ ما أُعطِيَهُ؟

فقال الرجل: نحن لذلك يا أمير المؤمنين حافظون لقِنُون إن شاء الله تعالى.

قال: فهل لقِنْتَ وحفِظت شيئاً عن الآباء؟

قال: نعم.

قال: فهات ما حفظت.

قال: سمعت المهديّ بالله عليه السلام نصّ على جدّك القائم بأمر الله
390 (ص)، وسمعتُ جدَّك القائمَ بأمر الله/ عليه السلام نصَّ على أبيك المنصور بالله صلوات الله عليه[2]، وسمعت المنصورَ بالله عليه السلام نصّ عليك: فهذا الأصل الذي لا يثبُتُ الفرعُ إلاّ عليه.

فقال: يا سبحان الله، إنّ هذا أمرٌ ادّعاه الطُّلَقَاءُ واللُّعَنَاءُ[3] بالنّصّ من آبائهم عليهم السلام[4]. فهل لك من حجّة على من والاهُم تدحَضُ بها حجّته[5] في تولّيه إذا أنت احتجَجْتَ بها عليه؟ فسكت الرجل.

المعزّ يعلّمُ رجال كتامة الاحتجاج لولائهم...

فقال له: اعمل على أنّك قد صرتَ إلى من قدر منهم عليك فسألكَ عن انتحالك إمامَتَنا: بأيّ وجه عرفتَ أنّا أئمّةٌ، وما حجّتُك على من أنكرَها وادّعى
391 غيرَها. أكنت تَنْقَطِعُ/ هكذا، وأنتَ منّا بالمحلّ الذي أنتَ به؟ أفليس ذلك مِمَّا يزيدُ عدّوَنا عُنوداً، ومن تولاّه به تمسُّكاً، بأن يقولَ: هذا من وجوه هؤلاء، ولو كانت لهم حجّة لكانت عنده، كما قال اللّعين المتسمّي المكتفي[6] لمّا أُتي

(1) في الأصل: ذوي.
(2) انظر تعليقنا ص 128 في شأن كتمان القائم تعيين المنصور مدة طويلة. وسيروي النعمان ص 414 عن المنصور أن التعيين لم يعلم به أحد سوى القائم والمنصور.
(3) أي: العباسيون والأمويون.
(4) هذه العبارة غريبة في شأن الخصوم إذ لا نعلم من الفاطميين تقديراً للعباس ولا لأبي سفيان ولعلّه سهو من الناسخ.
(5) في الأصل: تدحض لها حجة...
(6) المكتفي هو الخليفة العباسي السابع عشر، وقد تغلّب على الثورة القرمطية بالشام، وتوفي سنة 295/908. (انظر خبره مع القرامطة في الكامل لابن الأثير تحت سنة 249).

... ويضرب مثلاً بالمكتفي العبّاسي مع القرمطيّ.

باللعين القرمطيّ وقد قام عليه يدّعي ولاية آل الرسول استمالةً للناس بها، وهو من الفسوق واللعنة بالموضع الذي نزّه الله أهلَ بيتِ نبيّه عنه، وعجَّلَ النَّقمة منه[1] فأسِر وأتِيَ به المتسمّي بالمكتفي، وهو في سوء الحال مثله، أسيراً، فأدخل إليه وأمر من ناظرَه بين يديه. فقال له: ما سبب خروجك على أمير المؤمنين والدُّعاء إلى غيره؟

قال: لأنّي رأيتُ أن عليّاً/ أحقّ من العبّاس. 392

قال: بماذا؟

قال: لأنّه وارث رسول الله (صلع).

قال له: كذبت! العمُّ أولى من ابن العم!

فلم يُحِرْ جواباً، فأشهد عليه بانقطاعه وأشهد بأنّه أقرَّ بأنّه كان مُبطِلاً في دعواه.

قال أمير المؤمنين عليه السلام: والمحتجُّ عليه[2] كان أقربَ إلى الانقطاع منه لو كان يدري وجهَ الحجّة ويقوم بها. فلمثل هذا من احتجاج المُبطلين ودعوى الظّالمين أحِبُّ أن تكونَ سيوفُ الحقّ في ألسنتِكُم وأيدِيكم، وسيفُ اللّسان أقطعُ، لأنَّ سيفَ اليد يملِكه البَرّ والفاجرُ بالغلبة، وسيف اللسان لا يملكه إلاّ أهلُ الحقّ، فذلك مشترَك فيه، وهذا متوحِّدٌ به/ لا يكون إلاّ لأهله ولا يملكُه غيرُ 393 أصحابه إن ناصبُوا به ظفروا وإن جالَدُوا به قَتلوا. أريد منكم أن يكونَ بيد كلّ واحد منكم قبَس يستضيءُ به ويُستضاء منه كنار موسى، ولا تجتَمِعُوا على قبس واحد.

فقال بعض القوم: لذلك ما قال بعض العامّة ـ وقد نظر إلى بعض أصحابه، وقد قطعه بعض من ناظره بحجّة ـ لا تناظر[3] هذا فإنّه ذو حجّة.

فقال: وما أراد بهذا؟

فقال: لا أدري.

(1) في الأصل: بالموضع منه.

(2) أي: العباسي.

(3) في الأصل: لا تناظره.

فقلت: لعلّه أراد ما يقولون: كلّ مفتونٍ ملقَّنٌ حجّةً.

قال: ويقولون ذلك؟

قلت: نعم، كذلك يقولون. كأن لم يسمعوا قول الله عزّ وجلّ: ﴿وَتِلْكَ
394 حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إبرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ﴾[1]، فإن كان/ كلُّ من لقِن حجّة مفتوناً فقد فُتن إبراهيم على قولهم.

فقال صلوات الله عليه: ما أعجبَ هذا من قولهم! لئن كان ذلك فالحقُّ فيما لا حجّةَ فيه.

نصائح المعزّ إلى كتامه.

ثمّ عطف على القوم فقال: والله إنّي لأشهى في تعليمِكم وتَقْويمكم منّي في كلّ شيء أشتهيه لأنّي أحبّ أن تكونوا أعلمَ الناس وأورعَ الناس وأحلمَ الناس، فلا تدابروا ولا تحاسَدوا ولا تقاطَعوا، وأن تكونوا كما سمّاكم الله عزّ وجلّ، إخواناً، وعلى البِرّ والتّقوى أعْوَاناً، وأن تكونُوا أبراراً أطهاراً، ما على أحدِكم إن
395 قارفَ ذَنْباً أو أحـدث إحداثاً/ أن يُطلعَنا عليه ويسألَنَا الاستغفارَ له، كما قال جلَّ ذكره: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاؤُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللهَ تَوّاباً رحيماً﴾[2]. اجعَلُونـا بينكم وبين الله[3] واحتَجُّوا بما نأمرُكم به وننهاكُم عنه لدَيْـه، فنحنُ والله أفضلُ من جعله العبادُ بينهم وبين ربّهم. خذوا عنّا ما نأمرُكم به وامتثلُوه، وعلينا تِباعَة ما نأمُرُكم به. احفَظوا سرَّنا [و] اتّبعوا أمرَنا

(1) الأنعام، 83.
(2) النساء، 64.
(3) مسألة استغفار الأئمة من المسائل التي اتّخذها الإسماعيليّون برهاناً على أنّ الإمامة واجبة، وذلك قياساً على ما كان يقوم به الرسول من استغفاره لمن يستغفر الله. واعتمدوا على أن عدل الله يقتضي أن يكون بعد النبي من يقوم بهذه المهمّة، وأن الناس بعد انتقال الرسول يجدون من يأوون إليه عند وقوعهم في الخطيئة كما التجأ الناس إلى الرسول في حياته.
وفي هذه المسألة يقول الكرماني: «البرهان الخامس: لمّا كان الله ـ تع ـ عادلاً لا يجور ولا يظلم، وكان تعالى قد خصّ الأمة التي كانت في أيام النبي ـ ص ـ بالفضيلة العظيمة بإيجاده كون الرسول فيما بين ظهرانيهم أماناً لهم من العذاب... وجب من حيث أن الله ليس بظلاّم للعبيد أن يوجد في الأمة بعد نبيها من يقوم مقامه ويسدّ مسدّه في كونه أماناً لها ووسيلة يستغفر الله لها، ويحفظ نظامها...» الكرماني، المصابيح في إثبات الإمامة ص 85 ـ 87.

وانصَحُوا لنا وأخلِصُوا نيّاتِكُم وأحْسِنوا طويّاتِكم وقولوا الحقّ ولو على أنفسكم!
وعليكم بالورع والاجتهاد والاقتصاد والعفّة والتسليم لأمرنا والردّ كما أمركم الله
إلينا، فإنّه يقول جلّ/ ثناؤه: ﴿وَلَوْ رَدُّوه إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أولِي الأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ 396
الذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنهُمْ﴾[1].

فقبّلوا الأرض بين يديه وقالوا: يتفضّل مولانا برحمته ويمنّ علينا بفضله.

فقال: دمتم على ما رغبتم من طلب واجتهاد، فأنتم على خير، يفيد الواحد
منكم الشيءَ بعد الشيء فيلقَنُه ويحفظه ويعملُ به فينفعُه الله بعلمه. إنّ الله عزّ وجلّ
أقدرَ القادرين وأحكمَ الحاكمين، لم يُعطِ خلقَه ما أعطاهم من نِعَمِه دَفعةً واحدة
ولا أكملَ خَلْقَهُم بمرّة، لكنّه خلق الإنسانَ من تُراب، ثمّ من نطفة ثمّ صيّره علَقةً
ثمّ مُضغَةً ثمّ عَظماً/ ثمّ كسا العظْمَ ثمّ نفخ فيه الروحَ ثم أخرجه طِفلاً[2] فغُذّيَ 397
باللّبن وقتاً ثمّ بلطيف الغِذاء، ثم كذلك بشيء بعد شيء إلى أن أكمَلَ خلقَه، وقد
كان قادراً على أن يُعطيَه دفعة واحدة، ولكن فعل ذلك بحكمة وقدرة.

فارغبوا في حياة أنفسكم إذا رغب الناس في حياة أجسادهِم، فإنّ حياة
الأنفُس هي الحياة الدائمة، والصفْقَةُ في خلاصِها هي الصفقةُ الرابحة، وقد فتح
الله لكم ما أغلَقَهُ عن غيرِكُم، وتهيّأ لكم من الزمان والإمْكان ما لم يكن تَهَيّأ لمَنْ
قَبْلَكُم، فبادِرُوا إلى ما فيه سَعَادَتُكُم ولا تتخَلّفُوا فتكونوا وَبالاً على أنفسكم وعلى
من يأتي بعدَكُم، واطلُبُوا النّجاةَ طلبَ من عرف/ قدر الحياة واحذروا الفَوْتَ حذَرَ 398
من علِم مصيبةَ الموت، اجتهدوا وجِدُّوا، واعتزِمُوا واستعِدّوا، فكونوا كقوم صيح
بهم فهبّوا وأوقظُوا فاستَيْقَظُوا!.

ومرّ مستحضراً في مثل هذا من الموعظة بكلام بليغ لم أحكِ منه كما قدّمتُ
ولا [مِن] كُلِّ الذي ذكرتُ إلاّ معناه بعد بذل المجهود في إصابة اللفظ بعَيْنِع،
وأرجو أنّي أصبت منه كثيراً إن شاء الله تعالى، وبعد أن [3]لم أتعمّد نقصاً ولا زيادة
بحمد الله.

---

(1) النساء، 83.
(2) تضمين الآية 67 من سورة غافر/ المؤمن.
(3) هكذا في الأصل: والتعبير مختل.

فلمّا سمعت ما غمرني من الفضل وبهظني من الحكمة رجوتُ من أصحابنا
399 رَغبةً يكون بها درك الأمنية، فحرّكتُ مَن عن يميني وعن شمالي منهم/ كذلك، فكلاهما قالوا[1]: نقول ذلك في وقتِ القيام، وأمير المؤمنين صلوات الله عليه مجدّ في الموعظة، إلى أن وقف خادم فقال: قد قُرب وقت الصلاة يا أميرَ المؤمنين.

فضل تعليم الحكمة يساوي عند المعزّ فضل الصلاة.

فقال: وما ذاك؟ إن حضر وقتُها صلّيتُ بإخواننا، وما عسى أن نقوم عنهم إليه إلاّ [و][2] ما نحن فيه أفضل منه. والله ما لذّتي إلاّ فيما أنا فيه، ومن لي أن أكونَ على ذلك أيّامَ حياتي لو قد وجدتُ من يأخذ عنّي ويفهمُ منيّ وينتفع بما سمع، ويعي ما أقول! اللهمَّ اِعْطِفْ قلوبَ أهل دينك على ما يُرضيك ويزدلفُ لديك!.

أو نحو هذا من الدعاء.

400 ثمّ دعا/ عليه السلام بمال أتاه ممّا ضُرِبَ بمدينة سجلماسة باسمه ففرّقه على من حضر وقال: تبّركوا به! فهذا من أوّلِ ما ضُرب لنا بالموضع الذي أفتحَهُ اللهُ علينا.

فكثر الجذَلُ والسرورُ بالمال، وسأل بعضُهم منه لمن غاب فأعطى من سأل، ثمّ نهض عليه السلام. ولم يذكر أحدٌ ممّن حرّكتُه شيئاً عِلِمَه ولعلّهم نسُوه، وقمت كذي الثقل الثقيلِ من كثير ما سمعتُ من الحكمة من وليّ الله والفضلِ، وتَخوَّفْتُ إن أنا انصرفتُ إلى مجلس الحكم أن أنساه أو أُخلَّ [بـ]ـأكثره
401 لشغَب الخصوم وكثرةِ الكلام وطول المجلِس، فاستأذنتُ/ أميرَ المؤمنين عليه السلام في التخلّف عن مجلس القضاء يومِيَ ذلك إلى أن أثبِتَه.

فقال: ومن يخلفُك فيه؟

فقلت: لا أحد، إلاّ أنّي أتحمَّلُ من غد ما فات منه اليوم.

فقال: افعَلْ إذا شئت.

النعمان يبادر إلى تسجيل كلام المعزّ حتّى لا ينسى لفظه ومعناهُ.

وانصرفت وأنا أستَبْعِدُ المنزل وأتذكّرُ ما جرى في المجلس. فما هو إلاّ أن

(1) هكذا في الأصل: ولعله يعني الجماعة في الفريقين.
(2) الجملة ملتوية في الأصل: إلا إلى ما نحن...

وصلتُ إلى منزلي وعلِمَ من كان ينتظر في المجلس أنّي لا أجلِسُ حتّى انكفَؤوا[1] عليّ، فما فرغت منهم وممّا عرض لي من الشّغل إلى أن أذّنَ المؤذّنُ لصلاة المغرب[2] فصلّيت المغرب والعِشاء الآخرةَ، وجلست أتذكّر المجلسَ وأوقّع ما
402 حفِظتُ منه شيئاً بعد شيء حتّى أتيتُ/ على ما حفظته من ذلك، فأثبتُّه في هذا المجلس وأرجو أن قد بلّغتُ منه جِماع ما كان فيه وأتيتُ على جُملةٍ من لفظه وجمعتُ معانيَه إن شاء الله تعالى.

وقد ذكرت في ابتداء هذا الكتاب[3] قول بعض الصحابة لبعض من سأله أن يحدّثَه بحديثٍ سمعَه من لفظ رسول الله (صلع) لا يغادر منه شيئاً ولا يُحيلُه عن معناه ولا يزيد فيه ولا ينقص منه، فقال: لقد سألتَني شططاً! حسبي، وغيري، من الحديث عن رسول الله ﷺ إذا نحن جئنا بالمعنى!.

403 وكذلك إن شاء الله أقول فيما أحكِيه/ عن أمير المؤمنين عليه السلام وهو الذي لا نجد غيره ولا يستطاع سواه. و[لو] أنّ محدّثاً حدّث بحديث فقيل له: أعدْه علينا بلا زيادة ولا نقصان، لقلّ من كان يقدر على ذلك.

والله يغفر لنا من الزلل ما لم نَتَعَمَّدْهُ، ومن الخطإ ما لم نقصده إن شاء الله، ولا حول ولا قوّة إلاّ بالله العليّ العظيم[4].

---

(1) أنكفؤوا: مالوا وآجتمعوا.
(2) هذه المجالس تدور إذن بين الظهر والعصر. وانظر في خصوصها مقدمتنا ص 11 وص 401 من الكتاب.
(3) انظر ص 48.
(4) لم ينقل إلينا النعمان جواب المعز للكتامي الذي عجز عن الاحتجاج، ولا تصحيحه لجواب القرمطي الذي أفحمه مناظرهُ العباسي، ولا ندري هل السهو من المعز أم من النعمان. ونقل الحديث بلفظه قضيّة خلافيّة. أنظر مقدّمة خزانة الأدب في طبعة هارون ص 9.

الجزء العاشر

[بسم الله الرحمن الرحيم]

[رمزٌ في الباطن][1].

108 ــ قال القاضي النّعمان بن محمد: قد ذكرتُ قبل هذا ما سمعتُه/ من 404
المعزّ عليه السلام في ذكر الجوهر ومن يعرف مقداره ويرغب فيه، ومن يجهله
ولا يدريه، وتنزيلي ذلك منه رمزاً عن الحكمة، وتمثيلاً لها بالجوهر[2]. ثمّ إنّي
بعد ذلك ذكرتُ له في مجلس جلست فيه بين يديه عليه السلام تنزيلي ذلك
وتمثيلي إيّاه فاستصوَبَه عليه السلام وارتضاه وقال لي: أزيدك يا نعمان في ذلك
وأفتح لك فيه. فقلت: يا مولاي، إنّي إلى ذلك لمحتاجٌ وفيه راغبٌ.

المعزّ يمثّل النفوس بالجواهر...

فقال عليه السلام لي: إنّ مثَل الجوهرة النفِيسَة كمثَل النفس الشريفة وبقدر
تفاوت ما بين الجوهر/ في النفاسة والخطر كذلك قدر تفاوت ما بين الأنفس في 405
الجلالة والقدر: فمن ذلك الرفيع وما هو دونَه، والمتوسّطُ وما يقاربُه، والدون
وما يشاكلُه فيما لا يُحصَى تفاوتُه بين الجوهر. وكذلك النفس.

ومن الجواهر الصَّلبُ الذي لا يؤَثّر فيه شيء من الأشياء، ولا يقبل الفسادَ
ولا تُحيلُه الأعْرَاض. ومثل ذلك الأنفُسُ العالية التي لا يؤثّر فيها شيء من
الأشياء، ولا يدخلُها فسادٌ ولا يغيّرها عرَضٌ من الأعراض، وهي من الإخلاص
والصفاءِ بمنزلة إخلاص الجوهرة الشريفة وصفائها.

في صلابتها .. ورخاوتها، ونفاستها وحقارتها...

ومن الجوهر ما هو دونَ ذلك يؤثّرُ فيه/ بعضَ التأثير اليسيرُ ويقبَل بعضَ 406

(1) عنوان من ص 246. وقبله: آخر الجزء التاسع. أوّل الجزء العاشر، من أجزاء المؤلّف والحمد لله وحده وصلّى الله على محمد وآله.

(2) انظر فيما سبق ص 195.

الفساد ويُحيله بعضُ الأعراض. وكذلك مثله في الأنفسِ على هذا التمثيل.

والجواهرُ، منها الرَخْوُ الرطيبُ ممّا لا يُدرك أيضاً مقاديرُه[1] [لِـ]ـتفاوُته في الصلابةِ والرطوبةِ وقبولِ الفسادِ والامتناع منه. و[بـ]ـحسب ذلك الأنفسُ على ما مثّلتُه لك من التفاوت في حالاتها وطبائعِها.

ومن الجواهر[2] ما يكون ملبَّساً بحجارة من غير جِنسه تَنَكَسِرُ[3] عنه ويُحَكُّ عنها فيخرج من داخلها فتكون عليه كالغِلاف، ومنه ما يكون مكنُوناً في أصداف
407 قد أطبِقت عليه، ومنه ما يكون في/ معادنه يُستخْرَج من داخلها وذلك كلّه مثل اكتناب[4] النفس في الجسم. وبقدر تفاوت ما بين الجوهر وما يكنُّه في الفضل، كذلك تفاوتُ ما بين الجسم والنفس في الشرَف والقدْر.

ومن حجارة الجوهر ما يكون صفاؤُها ظاهراً بيّناً فيها، إلاّ أنّها تكونُ على الجلاء والصّقل أصفى وأظهرَ رونقاً، كما تكون النفسُ الشريفةُ متهيّئَةً لقَبول الحكمة، فإذا علّمتَها[5] لقِنَتْ وقـ[ـبـ]ـلت. ومنها مَا لا يكاد يُرى بصفاء، فإذا حُكَّ وجُلِّي ظهر صفاؤه ورونقُه، وذلك مثل النفس القابلة للتعليم والتلقين.

408 ومنه ما إذا صُقِل وحُكَّ ظهر فيه بعضُ الرونق/ ولم يكن له صفاءٌ يُشْتَفُّ له ويظهَرُ منه ما تداخَلَه، وذلك مثل النفس القليلة الضبطِ للتعليم والقَبول للحكمة من بين الأنفس. ففي هذا أيضاً من التفاوت والدرجات ما لا يدركه حفظُه.

... وشرَفها وضعَتها، وصفاتها واختلاطها.

ومن الحجارة ما لا يظهر له رونق ولا جوهر ولا صفاء فإذا حُكّ وصُنع به ما شاء أن يَصنَعَ به الصانعُ لا يتبيّن فيه صفاء، وذلك كالإنسان الذي لا يفهَم ولا يعلَم ولا يَلْقَن، فهو كمن لا نفسَ له ولا روحَ فيه، كذلك الحجر لا جوهريَّةَ له. يبيّن ذلك قول الله: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ﴾[6]. فمن لا يَذَّكَّرُ
409 كمن لا قلبَ له/. وقوله) ﴿وَتَرَاهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لاَ يُبْصِرُونَ﴾[7]. فمن لا

(1) في الأصل: مقاديرها.
(2) في الأصل: ومن الجواهر منها والإصلاح من س 247.
(3) في الأصل: ستنكسر.
(4) كنب الشيء في جرابه: أودعه وأغمده.
(5) في الأصل: عملتها والإصلاح من س 248.
(6) ق، 37.
(7) الأعراف، 198.

ينظُرُ في الحكمة كمن لا بَصرَ له، لأنّ ما جُعلَ لأقامة شيءٍ مَا فلم يقُمْ به كان كالعدم وَكلاَ شيء.

الحكمة لا تفيدُ من لا يفهَمُها.

(قال) ومثَل الجوهرة تكون عند من لا رغبة له في كسبها كالتاجر والغوّاص الذي هِمّتُه من ذلك ثمنُ ما يحملُه ويستخرجُه من الجوهر، كالحكمةِ تكون عند غيرِ أهلها، كما قال جدّنا عليّ بن أبي طالب (صلع): إنّ الكلمة من الحكمة لتكون ربّما وقعَتْ إلى المنافقِ فلا يزال يتحدّثُ بها ولا ينتفع بذلك حتّى تقعَ في سمع المؤمنِ فيأخذُها عنه، فإذا صارت إليه أُنسِيَها المنافقُ واستُلِبَتْ/ منه. 410

(قال) فكذلك الجوهر[ةُ] تكون عند مَن ذكرناه، فلا يزال يعرِضها حتّى يراها من يرغبُ فيها ويعرف قدرَها فيشتريها منه فتصير إليه فتزول عمّن كانت في يديه.

الناس درجات مثل درجات الجواهر ومراتبها.

فذكر[تُ] في قوله هذا قولاً قاله المنصور عليه السلام يوماً، وقد وقفتُ بين يديه، فذكر قديمَ خدمتي له وانقطاعي إليه، وعدّدَ من ذلك ما هو أهلُ حفظه، ثمّ قال: يا نعمان، مثَل الرجل مثل الحجارة ما حُكّ منها فظهرَ له جوهر لم يُعدَلْ بغيره ممّا لا جوهرَ فيه. فأمثال أولياء الله عليهم السلام يشهَد بعضُها لبعض.

ولقد فتقَ لي ما مثّلَه المعزّ عليه السلام ممّا ذكرتُه/ وذكرَه المنصور عليه 411 السلام وقدّس روحه، ما نشاهده من رفع أولياء الله منازلَ من ارتضَوْه من الناس وإحلال كلّ امرىء محلَّه الذي هو أهلُه، فمنهم من أدنَوهُ وخصُّوه ورفعُوه وأعلَوْه كما يُجعلُ نفيسُ الجوهر في التّيجان، وعلى الرؤوس، ويُعلّقُ في الأقراط والشُّنُف، ويُنظَمُ في القلائد وينصب في الخواتيم[1].

وطبقة أخرى دون ذلك في الحال والتقريب والاختصاص كما [أنّ ما] دون ذلك من الجوهر ينصب في الأواني وتكلّلُ/ به الأسرّةُ والكراسيُّ وأشباهُ ذلك. 412

وطبقة دون الطبقتَيْن كالذي يكون من الحجارة له رونقٌ بلا جوهريّة، نحو الرّخام/ وأشباهِه، تُفترَش به المجالس وتُنحَتُ منه العمُدُ وأشباهُ ذلك. وفي مثل هذا من الجواهر وطبقات الناس من التفاوت ما لا يُحصى.

والطبقةُ السفلى من الناس كالعوامّ والسّفلة، أشباهُ الحجَرةِ التي لا رونق ولا جوهرَ لها، كمثل ما تُبنَى [به] الجُدرانُ، ويحمل عليه الجذوع ويعمل منه[2]

---

(1) ج خاتام، وهو الخاتم.

(2) في الأصل: عليها... ومنها.

القناطرُ تمرّ عليها البهائمُ والكِلاب والسّباعُ ويطؤُها الناس، وبين ذلك تفاوت، وهم درجات. وما صين من الجوهر ولم يستعْمَل لُفَّ في القطن وأودع أسفَاطَ[1] الذّهبِ والفِضَّةِ ورُفع في المرافع والصّناديق، وما لم يُستعمل من الحجارة كان
413 منبوذاً بالأفْنِيَة والطُرقات تناله الأوساخُ/ ويوطَأ بالأقدام، وكذلك قدرُ ما شاكل النّوعَيْن من الناس في الرفع والاطّراح.

حديث في مجلس في التثّبت والأناة:

المعزّ يأخذ المُذْنب بالرفق.

109 ـ (قال) وجلست بين يديه عليه السلام يوماً فذكر أهل الأذى والبغي والفسادِ في الأرض، فقال: قلتُ لبعض الناس: ما ينبغي أن يكونَ العملُ في مثل هؤلاء؟

فقال: ما عمله المنصور عليه السلام ـ يعني من قتلهم وحرقهم بالنار ـ.

(قال المعزّ عليه السلام): فقلت: إنّ الوقت الذي فعل فيه ذلك المنصورُ وقتٌ كان يَحسُن ذلك فيه لما طبّق الأرضَ من البلاء وعظُمَ على الناس فيه من
414 المحن، فلم يكن ينبغي أن يُدفع/ ذلك المكروهُ إلاّ بمثل ما دفعه عليه السلام [به]. فأمّا إذا أزال الله عزّ وجلّ تلك المحنةَ وأطفأ نارَ تلك الفتنة، فإنّ الذي ينبغي لنا أن نقابل به النِعمةَ أن نصفحَ عمّا كان لنا أن نصفحَ عنه ممّا الجناية فيه علينا دون غيرنا مما لا نخشى له سوءَ عاقبة من الأمر، ونكِلَ الإنصافَ في ذلك إلى الله عزّ وجلّ الذي أقدرَنا وسلّطَنا وملّكنا الانتصار لو شئنا أن ننتصرَ لأنفسنا، فيكون انتصاره عزّ وجلّ لنا أبلغ، كما وَعَدَ بالنّصر مَن بُغِيَ عليه[2]. وما كان من ذلك من حقوق العباد أنصفْنا منه بحسب الواجب فيه. وما علِمنا أو خشينا دخولَ
415 الفساد/ من أجله وأن يترقّى الأمرُ فيه، إذا تركناه، إلى ما هو أعظمُ منه، لم يَسَعْنَا تركُه، واستعملْنا العقوبة فيه بقدر ما يوجبه الجُرم ويُلزمه الذّنبُ. وما كان من حقوق الله عزّ وجلّ أمضيناهُ على ما افترَضَه علينا واسترعانا إيّاه. ولو أنّا أمضَيْنَا العقوبةَ على كلّ ذنب ممّا العفو فيه إلَيْنا، لأورَثْنَا الإحنَ وسبّبْنا أسباب الفِتَن على غابر الزمان وزَرعْنا بين النّاس العداوةَ وأقمنا لهم سُوقَ الطلب بالثأرات في الأنفس والأعقاب، على مرّ الدهور والأحقاب، لأنّ الذي عسى أن يُنتصَفَ

اللينُ لا ينفـي الحزمَ، والعقـابُ يكـون على قـدر الذنبِ.

---

(1) السفط بفتحتين: وعاء الطيب وشبهه.
(2) تضمين للآية 60 من سورة الحج: ﴿ومن. . . بُغِيَ عليه لَيَنْصُرَنَّهُ الله﴾.

اليوم منه بِسعيٍ ساعٍ سعَى عنه[1] بذنبه إلينا، قد تدور له/ دائرةُ السوء على 416
الساعي به يوماً، فيطالبه بثأره أو عقِبُه من بعده.

وهذا القول مأخوذ من قول الله أصدق القائلين: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[2]. فأمر الله عزّ وجلّ نبيّه محمّداً بالتعوّذ به من نَزَغَاتِ الشيطان الحاملةِ عليه و[بـ] العُرْفِ[3] عند الغضب والقدرة.

(قال المعزّ عليه السلام): ولقد سمعت المنصور بالله عليه السلام وقدّس
الله روحه كثيراً ما يتعوّذ بالله من ذلك، ويقولُ: إنّه ربّما جاءني من الغضب/ ما لا 417
أملك معه الصّبرَ. وهذا نبيّ الله موسى عليه السلام قد وصف الله مَا[4] صنعَه عند الغضب من أنّه ألقى الألواحَ التي أنزلَها الله عزّ وجلّ عليه وأخذ برأس أخيه يجرُّه إليه. ووصف نبيَّه محمداً عليه السلام باللين والرحمة، فقال: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّه لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾[5] الآية. وقال: ﴿وَاصْفَحْ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾[6].

فعلى مكارم أخلاق جدّهِ محمّد ﷺ طبع الله المعزّ لدينه. وقلّ يوم أراه
وما يكون منه من الحِلم فيما يوجب الغضَبَ والعقوبة/ فـ[ـلا] أَتَذَكَّرُ بذلك 418
مارُوِيَ عن رسول الله (صلع) في مثل ذلك حذوَ النّعل بالنّعل فيما كان يتحمّله ويصبِر عليه ويحلُم عنه.

حِلم المعزّ من حلم الرسول (ص) جدّه.

255 / كلام في الشكر ذكر في مجلس:

110 ـ (قال) وسمعته عليه السلام يوماً ذكر بعض نِعم الله عليه فأكثر من حمد الله وشُكره والثناءِ عليه لذلك بما هو أهلُه.

---

(1) ننتظر: به.
(2) الأعراف، 199 ـ 200.
(3) أي بالصبر والتأنّي والحلم.
(4) في الأصل: عما، وفي س 254: فما.
(5) آل عمران، 159.
(6) المائدة، 13.

الإنسان مقصّر في شكر الله لا محالة.

فقلت: الحمد لله الذي وفّق أميرَ المؤمنين لما يوجبُ المزيدَ من فضله من الشّكر على نِعَمه. فقد قال جلّ ثناؤهُ: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ﴾[1].

فقال: يا نعمان، وكيف يبلغ أحدٌ شكرَ شيء من نعم الله الذي أوجب
419 المزيد به؟/ وأينَ يقعُ الشكر من مقدار فضلِه ونِعَمِه؟ لا والله، ما نرجع إلاّ إلى الإقرار والاعتراف بالتقصير، وإنّ نِعَمَ لله علينا وإحسانَه إلينا فضلٌ منه يتجدَّدُ وحُجَّة علينا تتأكّدُ، نسألُهُ دوامَ نِعْمتِه والمزيدَ منها بفضلِهِ ورحمته.

حديث في مجلس ذكر في بني أميّة:

ارتكاب عبد الرحمان الناصر للمحارم جهراً.

111 ـ (قال) وذكر يَوماً بين يديه عليه السلام ما تجاهَرَ به ويُبديه عبدُ الرحمان الأمويّ المتغلّب بالأندلس من الفِسق والمُنكَر والفساد، ويُبيحه للناس ببلدِه. فقال بعض من حضر المجلس: حسبُه بأن يَعْلَم ما هو عليه من ارتكاب محارم الله ومعاصيه.

420 فقال/ المعزّ عليه السلام: أما إنّه لو علم أنّ ذلك من المعاصي لكان أقلّ جُرماً، ولكنّه بالسلف السَّوء ـ ومَن سلَفُه على ما كانوا عليه من أمر الجاهليّة واعتقادِ الكُفر، ودفع ما جاء به محمد عليه الصلاة والسلام ـ اقتدى[2]. والله لو أمكنَهم إظهار ذلك بألسِنَتِهم[3] كما أظهروه بأعمالهم لفعلوه، ولكن لم يروا ذلك ينساغ لهم ولا يمكنهم فأبدَوا أفعالهم القبيحةَ التي غلبتهم شهواتُهم عليها. وجَهِلَ جُهَّال الناس أنَّ ذلك منهم اقترافٌ للآثام ومعصيةٌ يرجى غفرانُها
421 بالإقلاع عنها والتوبة منها، لِمَا يُرُونَهُمْ ويُظهرونَه من /التمسُّك بالإسلام، وهم على ما هم عليه ـ وأوّلُهُم ـ من اعتقاد الكفر. أليس بذلك وصفَهُم عليّ عليه السلام لمّا نظر إلى معاوية اللعين في جمعه بصفّين فقال: هذه والله رايات أبي سفيان التي قاتلَنا بها ونحن مع رسول الله، والله ما أسلَموا ولكن استَسْلَموا

---

(1) إبراهيم، 7.
(2) في الأصل: واقتدى، وفي الجملة تقديم وتأخير.
(3) في س 256 بعد التصلية: . . . وقدّس روحه وضاعف الصلوات عليه. وفقدان هذا الدعاء الإضافيّ من الأصل يدلّ على أن النسّاخ ـ وهم إسماعيليّون في الغالب ـ يتصرّفون في عبارات التقديس.

وأسرُّوا الكفرَ حتّى وجدوا عليه أعواناً فقاموا به.

ثـمّ قال المعزّ عليه السلام: سمعت المنصور عليه السلام يقول: ما أُحصِي ما كنت أسمع المهديّ عليه السلام يقول ويُجَمْجِمُ[1] إذا خلا، غيرَ مخاطِب لأحدٍ، كالذي يجول الشيء بصدره وهو يجمجِم[2] به، حكايةً عمّا يُروى عنهم: أطعَمَ/ بنو هاشم وأطعَمْنَا، وسقَوْا وسقَينا، حتّى إذا كنّا كفرسَيْ رهان قالوا: منّا نبيّ. والله ما نقرّ بهذا أبداً[3]! 422

غيرة عبد شمس من هاشم سببُها نزول الوحي

ثمّ قال عليه السلام: والله لو تعلّقوا من الإسلام بشيء لظهر عليهم، ولو أقرّوا بمحمّد ﷺ لما تناولوا ما تناولوه عن عترتِه وأهل بيته.

فقلت: القول ما قاله أمير المؤمنين عليه السلام، ولكن قد نالوا من الدنيا فيهم. بسبب رسول الله ﷺ والإسلام الذي تسبّبوا إلى ذلك به، ما قد نالوه، فأقلُّ ما كان يوجبُه ذلك أن يرعَوْا له ولأهل بيته حقوقَهم.

أمويّو الأندلس يضمرون للأئمة عداوة عبد شمس لهاشم.

423 فقال عليه السلام: / فأين العداوة الأصليّةُ والضغائن الجاهليّةُ والطبعُ الذي مضى عليه السلَف وتبِعه عليه الخَلَفُ من اعتقاد البغضاء وتوارث الشحناء؟ هل يستقيم مع ذلك ميل لوجه من وجوه الخيـر في قول أو فعل؟ ما ظنّك أنت بنفسك فيهم مع ما تعتقدُه من وَلايتنا؟ أتراك كنتَ مائلاً إليهم بودّ أو بظاهر محبّةٍ أبداً، صنعوا بك ما صنعوا؟.

قلت: لا والله.

قال: وكذلك والله هم لنا ولجميع شِيعتِنا، والله لا يجمعنا اللهُ وإيّاهم أبداً في دنياه ولا في أخراه.

قلت: الحمد لله الذي جعلنا من حزبه وحزب أوليائه وجَعَلَهُمْ أحزاب الشيطان/ وأتباعَه. 424

قال: نعم، الحمد لله على جميع نعمائه.

(1) في الأصل: ويقول ويحجم.
(2) في الأصل: يحجم.
(3) انظر هذه القولة معادة في ص 383.

كلام في مسايرة في الوصيّة والموعظة:

موعظة من المعزّ لوفُودٍ من جُزرِ المشرقِ ومن الحجيج.

112 ــ (قال) وسايرتُه عليه السلام يوماً وقد أذَّنَ الحجيج بالخروج وكان قد اجتمع عنده عليه السلام جماعة من رسل الدعاة بالمشرق من نواح كثيرة، فأدَّوْا ما أرسلِوا به إليه من الأموال من قُرُبات المؤمنين وقضَوْا حوائجَهم فيما قدموا له، وكتب معهم أجوبةَ من قدِموا عنه، وأمرهم بالانصراف مع الحجيج.
ووافق خروجُهم ركوبَه، فمشَوا إليه حتّى صُفُّوا بين يديه وقبّلوا الأرض وقالوا: يا
وليَّ الله، لا جعلَه الله آخرَ العهد بك، فما أشدَّ علينا فراقَك لولا ما نرجوه/ في 425
امتثال أمرك، وإنَّا لذلك شخَصنا عنك وفارقْنَاك.

قرابةُ الأرواح أنفع من قرابة الأجسادِ.

فقال لهم عليه السلام: إذا كان اعتقادكم وَلاَيَتَنَا وامتثـالَ أمرنا وطاعتِنا [و] التسليمَ لنا، ووصلتم ذلك قولاً وفعلاً، فأنتم معنَا حيثُ كنتم، متّصلةً أرواحُكم بأرواحنا، ومودّتُكم بمودّتنا. ومن كان على خلاف ذلك، لم ينفَعْه قُربُهُ منّا لأنَّ الاتّصالَ لا يكون بتقارب الأجسام وإنّما يكون عن تقارب الأنفُس، فأنفسُكم، ما كنتم على ما وصفْنا، قريبةٌ من أنفسنا، وإن بعُدَتِ الأجسام ونأتِ المنازلُ. ومطابقة الوَلاية أخصُّ وأقرب وألصق من مطابقة الأهل والقرابة، وأنتم
واجدون منّا/ ما لا تجدونه من الآباء والأمّهات، إن أنتم أحسنتُم إلى أنفسكم 426
شكرنا ذلك من أمركم وعرفنا فضلَه لكم وجزينَاكُم به، وإن أسأتم صفَحْنا عمَّا يجب صفحه عنكُم[1]، وكلّ إنسان منكم ينظر لنفسه ويكدَحُ لها، ونحن ننظر ونُعنى[2] بصلاح جميعكم. فأعِينونا على ذلك بتقوى الله وامتثال أمره والانتهاء عن نهيه، فإنّكم إذا فعلتم ذلك أصلح الله حالَكم وأجزل أجورَكـم وأقرّ أعيُنَكم[3] وأعينَنَا بكم. وعن قريب ترون من صنع الله وفضله مـا تُحبّونَهُ إن شاء اللهُ.

فقالوا: قرّب الله ذلك ويسّره ومدّ في أعمارنا إلى أن نبلُغَهُ، ونراك في
المواطن التي يَسُرُّنَا أن نراك بها/، قد أهلك الله عدوَّك وأنجز لك الله ما قد 427
وعدَك.

---

(1) هكذا في الأصل، ولعل السياق يقتضي: عما يجب الصفح فيه عنكم.
(2) في الأصل: ونعين. وآخترنا «نُعنى» لمقابلتها بـ «يكدح».
(3) عيونكم في س 260.

فقال: قد والله عرّفَنا اللهُ عزّ وجلّ من فضله وَنِعمته ما لا نقادِرُ قدرَه ولا نقوم بشُكره وأسْدَانَا بصنعه وإحسانه ما نحن واثقُونَ بدوامه وتمامه. وربَّما كان الشرّ يأتي دَفعةً[1] والخير يأتي على ترتيبٍ ونظام ويتبَعُ بعضه بعضاً، وعوارفُ الله عزّ وجلّ لدينا متابعةٌ متّصلةٌ، وإنّا لنرجُو بفضله أن نطويَ الكتاب من آخره مقامَ جدّنا محمد ﷺ و[لا] ندعَ وراءَنَا عدّواً إلاّ أمْكَنَنَا الله عزّ وجلّ منه، كما وعد، وهو لا يخلف الميعادَ، أن
428 يُمَكِّننا في الأرض ويستخلِفَنَا/ فيها ويُظهر دينَه منّا على الدين كلّه. سيروا في كِلاَءَةِ[2] الله وحفظه.

فقالوا: عن رضى منك يا أمير المؤمنين.

فقال: نعم، رضي الله عنكم وشكر سعيكم وأجزل أجوركم.

فقبّلوا الأرض وقالوا: إن رَأى مولانا ألاّ ينسانا من فضله ورحمته وبركة دعائه، فعل.

فقال: ما أنسى ذلك لكم إن شاء الله.

ثمّ قرّبهم إليه عليه السلام وأسرّ إليهم كلاماً وانصرفوا.

113 ــ وسمعته قبل ذلك يقول وقد دخلوا إليه في مجلسه فخلا بهم طويلاً المعزّ يبرأ من دعاة السوء.
ثمّ خرجوا، فقال: قلت لهم فيما قلت: إنّه لم يؤخِّرِ الناسَ إلاّ دعاةُ السَوْء إلينا،
429 فلا والله ما هم لنا بدُعاة ولا أولياء بل هم أعداءُ الله وأعداؤنا/ والصادّون عن الله. ولو رأى الناسُ فيهم خيراً وسمعوا منهم قولاً حسناً، وأدَّوْا إليهم عنّا ما أوْدَعْنَاهُم، وبلّغوا عنّا ما حمّلناهم، لكان الناسُ أسرعَ إلينا من الطّير إلى وكره والماء إلى مقرّه. ولكنّهم حرّفوا وبدّلوا وفتنتهُمُ الدنيا بعاجل حُطامها وزيّن لهم الشيطانُ اقترافَ آثامها، فضلُّوا وأضلُّوا كثيراً وضلّوا عن سواء السبيل، وبعُدَ عنّا محلُّهم وصعُب علينا أمرُهم. فإنْ رُمنا صلاحَ ناحِيَةٍ أفسدُوها، خِفنا فسادَ أخرى، فأعرَضْنا عنهم وتركْنَاهم في غيّهم يعْمَهون، وقد رضُوا بعاجل رئاسةٍ في الدنيا
430 أصابوها، وحُطام دنيا تَعَجّلُوها من غسَلاتِ قومٍ تطهّروا بها/ فخانوها

(1) قال الشاعر [كامل]:

تأتي المكارهُ حين تأتي جُملةً ... وأرى السرورَ يجيءُ في الفلَتاتِ

(2) في الأصل وس 260: في كل آية. والكلاءة: الحراسة والحفظ.

وجعلوا الباطلَ والـكذبَ على الله وعلينا سبَباً، لما نالوه منها، فهلكوا وهلك بهلاكهم خَلقٌ كثير.

(قال) فقال لي بعضهم: وإنَّهُم لعَلَى هذه الحال يا وليَّ الله؟

فقلت: أي والله وأسوأ حالاً منها. إليس فلان قائلَ كذا وفلانٌ فاعلَ كذا وكذا ـ وعدّد رجالاً وأقوالاً وأفعالاً لهم قبيحةً ـ؟ ثمّ قال: فمَن كان هذا قوله وفعله، هل الناس من أمره إلاّ على ضربين: ضربٍ أخذَ عنه وقبِل منه فضلّ وهلَك
431 بهلاكه وضلالته، وضربٍ تبيَّنُوا عُوارَه، وتكّشفَت لهم عن سَوْأتِه أستَارُه، فرفضوه وباعَدُوه، وباعدونا ورفضونا من أجله ونسبَوا إلينا ما تبيّن لهم/ من سُوء فعلهم ما قد برّأنا الله منه ونزّهَنا عنه، فكان من أجل ذلك هلاكُ الجميع. ألم يقل فلان ـ رجل[1] سمّاه من خيار المؤمنين ـ لفلان ـ رجل من بعض من وصفه من هؤلاء المبدّلين ـ وقد خلا به: ويحك! أليسَ عنك أخَذْنا كذا ورَوَيْنا كذا، وقلتَ لنا كذا وأمرتَنا بكذا؟ وعدّد عليه كلاماً كثيراً من الحقّ قد رآه خالفَه ورفضه وقال بغيره.

قال: نعم.

قال: فما عدا ممّا بدا[2]، وما أحالك عمّا كنتَ عليه؟

قال: الدنيا وعاجلُها.

قال له: وكيف لك بعذاب الله وناره؟

قال: نِعْمَ النارُ على بصيرة مع عاجل الدنيا!

432 نعُوذ بالله من الحَوْر بعد الكَوْر[3]، والضلالة بعد الهُدى/ .

أحداث من كتامة اقترفوا ذنوباً...

(قال) وسمعته في هذه المسايرة وَقد وقف إليه جماعةٌ من الأولياء من كتامة بلغه عنهم فسادٌ في ناحية، فأمر[4] بإشخاصهم إلَيْه لذلك، فجعلوا يتعَذَّرُون منه

(1) في الأصل: رجل فلان.

(2) هذا مثل يضرب للمنتقل من حال إلى نقيضها. قاله علي للزبير ـ أو لطلحة ـ حين حارباه يوم الجمل بعد أن بايعاه بالمدينة (انظر مجمع الأمثال ج 2 ص 328 واللسان في: عدا).

(3) هذا من حديث الرسول (ص) وقد صار مثلاً يضرب للنقصان بعد الزيادة أو لفساد الأمور بعد صلاحها (انظر اللسان حور وكور) وسنن النسائي ج 8 ص 272 وصحيح الترمذي ص 1279 رقم 3888.

(4) في الأصل: فأمرهم.

... فحمّلَ المعزُّ شيوخَهم تبعَةَ الأفعالِ.

ويحلِفون عليه. فقال لهم: قد صدقتم فيما قلتموه عن أنفسكم، ولكن قد فعل ذلك أحداثُكم وعبيدُكم ومَن لا خير فيه ممّن يُنسب إليكم. وأنتم تعلمون ذلك فلم تغيّروه، فأنتم بمنزلة مَن فعل ذلك. وإن تتلافَوْا أمركم وتأخُذوا على أيدي سفهائكم، وإلاّ كنتم وهُم في العقوبة سواءً.

وهذا مشتقّ من قول الله عزّ وجلّ؛ ﴿لَوْلاَ يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالأَحْبَارُ عَنْ
قَوْلِهِمُ/ الإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ [لَـ]ـبِئْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾[1]. قال جعفر بن 433
محمد عليه السلام: لمّا لم ينه الرّبانيّون والأحبار من بني إسرائيل شِرَارَهُم عمّا كانوا يأتونه من المعاصي عمَّهُمُ الله عزّ وجلّ بالعقوبة.

وقولِ رسول الله (صلع): ما أقرّ قوم على المنكَر بينهم لا يغيّرونه إلاّ عمّهُمُ الله ومن يفعَلُه بعقابه تعالى[2].

المنصور ينعى نفسه في آخر خطبة له في عيد الفطر (سنة 341).

كلام في نعي المنصور بالله صلوات الله عليه:

114 ــ (قال) وجلست يوماً بين يدي الإمام المعزّ لدين الله عليه السلام، فجرى كلام قيل إنّه في بعض الكتب، فدعا بالكتاب الذي قيل إنّ ذلك فيه لينظر
إليه، فأتي برزمة من الكُتُبِ فوُضعَت بين يديه فجعل/ يتصفَّحُها كتاباً كتاباً[ليجد 434
الكتاب الذي طلبُه]، إلى أن مرّ [على يديه] كتاب فيه تعليقات بخطّ المنصور [في ما كان] يؤلّفه، فلمّا رآه أستعبر وجعل يتصفّحُه حتى مرّ فيه على موضع فأدام النظر فيه، ثمّ تنفّس الصعداء وقال: والله لو لم يكن له غير هذا لكفى به معجزة من أمره. وما رأيته قبل وقتي هذا[3].

ثمّ أرانا ذلك وقال: هذه الخطبة التي ألَّفها وخطب بها في عيد الفطر الذي قُبِضَ بعَقِبِه[4] كأنّه أراد أن يقول، ثمّ بدا له من ذلك فتركه.

فنظرنا إلى ذلك بخطِّه نعرفه وقد ضرَب عليه بعدَ أن كتبه، وفيه: وقد مضت
ليالي الشهر وأيّامُه/ وحان انقضاء العُمر وانصرامُه. 435

---

(1) المائدة، 63.

(2) الحديث: ابن ماجة ص 1327 رقم 4005 وافتتح به ابن خنبل مسنده.

(3) الزيادات من ع 503.

(4) توفي المنصور في أواخر شوال 341 هـ. ولم ينقل لنا النعمان ولا الداعي إدريس ولا المقريزي هذه الخطبة الأخيرة.

ثمّ قال المعزّ عليه السلام: أراد والله أن ينْعَى إلينا نفسَه ثُمّ بدا له من ذلك فَتَرَكَهُ.

فأبكاني ذلك وقلت: وأيّ نَعي يكون أكثرَ من قوله يومئذ وقد انصرف من المصلّى ووقف بصحن القصر، ويده على كتف أمير المؤمنين يوصيه بأوليائه وأهلِ مملكتِه وقد أحاط الناسُ به وهو يستعبِر، وصيّةَ من قد أيقَنَ بقُرب الأجل؟ والله لقد كادَ يومئذ كلامُه أن يصدع الأكباد. فكان من أعجبِ ما ظهر منه يومئذ للناس
436 فَرَأَوْهُ عياناً وسمِعوه، وإن كان قليلا مَن فهِم ذلك، إلاّ بعد أن قُبض عليه السلام/ .

حديث في موعظة ذكر في مجلس:

الخير كلّه فيما يأمُرُ به الأئمةُ.

115 ــ (قال) وسمعت المعزّ لدين الله عليه السلام يقول: السعيد كلّ السعيد مَن امتثل أمرنا، وما على أحدهم أن يكون قد امتثل ما نأمُرُه به، فإن كان منه خيرٌ، والخير والله في كلّ ما نأمرُه به، حُسِب ذلك لعامله وشُكر له وانتَفَع في الدنيا والآخرة به. وإن وقع، من أجل ذلك، فيما يراه الناس، نقصٌ، لم يكن على من امتثل أمرَنا فيه تِباعةٌ ولاسوءُ عاقبةٍ في دنياه ولا آخرته. لكنّ أكثر ما
437 أهلك الناسَ العُجبُ بأنفسهم وآرائهم، فإذا أمرْنا بأمر ورَأى خلافَه/ من تداخَلَه ذلك العُجبُ، ترَكَه لرأيه وعدل به عنه هَوَاه وخلَفَتْهُ عنه شهوته.

نصر حقّقــه المنصور في قلوريّة ببَصيرتِه.

وفي مثل هذا كتَبَ المنصور بالله عليه السلام إلى حسن بن عليّ[1] وفرج الخادم[2] لمّا انصرفا من أرض قلوريّة إلى جزيرة صقليّة بالعساكر لتُشَتِّي بها، وقد كان أمَرَهُما بالمقام فيها[3] فكتب إليهما في ذلك كتاباً غليظاً، وشدّد عليهما فيه وأمرَهُما بالرّجوع إلى حيث أمَرهما بالمقام به ساعةَ وصول كتابه، ففعلا، فكان، لذلك، الفتحُ العظيم، وسبقا عساكرَ طاغيةِ الروم إلى موضعٍ لو سبقهم إليـه لما تهيّأ ذلك الفتحُ، فهزماها، واحتوت عساكر المسلمين عَلَيْهَا، وأثخنوا بالقتل
438 فيها، وكان ذلك بسبب/ رأيه المقرون بالتوفيق.

(1) الحسن بن علي الكلبي: تقدمت ترجمته في ص 153.
(2) فرج الخادم: قائد صقلبي للمنصور، كان أخرجه في أسطول من المهدية إلى صقلية ثم قلورية في محرم سنة 340 (انظر المقفى للمقريزي 2/174).
(3) أي في قلوّرية Calabria من جنوب إيطاليا.

(قال) وكان في كتابه إليهما: كأنّي بكما قد قلتما لمّا رأيتُما الانصراف إنّ الحاضرَ يرى ما لا يرى الغائبُ وقدّرتما في أنفسكما أنّكما الحاضران لما قِبَلَكُمَا وأنّي أنا الغائبُ عنه. وليس كما ظننتما، بل أنا الحاضر [لذلك] وأنتم الغائبان عنه.

ثمّ قال المعزّ لدين الله عليه السلام: وهو كما قال المنصور (ص): الحاضر للأمر وإن غاب عنه، من أحضَرَهُ الله (عج) توفيقَه، وجعله سبباً بينه وبين خلقه، فهو الحاضر لأمورهم وإن غاب شخصه عنها وحضروا هم فيها.

(قال) وسمعته عليه السلام يوماً وعنده جماعة من شيوخ كتامة وهو يحدّثهم
ويعظهم، / فكان فيما قال لهم: يكفيكم من وصايانا إليكم أنّا نأمركم أن تقتدوا بنا 439
في جميع الأمور كلّها: ما رأيتمُونا نُحِبُّه ونفعلُه ونأمر به فعلتموه وأمرتم به. وما رأيتمونا نكرَهه ونجتَنِبُه كرهتموه وتجّنبتموه. ففينا والله لكم خير أسوة حسنة.
والله إنّها وصيّة المنصور عليه السلام لي وقد احْتُضِر، قال لي: إنّي أجمع لك الوصايا كلّها في كلمة واحدة، فانظر: فما كنتَ رأيتني أفعلُه فافعَلْه. وما كنتَ رأيتَني تركتُه فاترُكه، واصنع بعدَ وفاتي ما كنت رأيتَنِي أصنع في حياتي. فنعم
السلَفُ أنا لك![1]/ . 440

وصيّة أخيرة من المنصور للمعزّ.

(1) ورد في آخر الصفحة: تمّ الكتاب، وإنّما هو تمام نسخة المكتبة الآصفية بحيدرآباد رقم 2590 تاريخ. وجاء في خاتمة اللوحة 268 من مصوّرة س: تمّ الجزء العاشر بعون الله... والحمد لله... وصلّى الله على... ولا حول ولا قوّة إلاّ...

تمّ النصف الأوّل من المجالس والمسايرات بعون الله ومادّة وليّه في أرضه سلام الله عليه، في اليوم الثامن والعشرين من شهر محرّم يوم الثلاثاء من سنة 1272 (12 أكتوبر 1855) في وقت الداعي... مولانا وسيّدنا أبي محمد نجم الدين أطال الله عمره في بلد أنجار من قرية كج... كاتبه وراقمه محمد علي ابن حبيب الله، كتبه لإسماعيل ابن ملاّ غلام حسين ابن... وانتقل من صاحبه إلى ملك أقلّ عباد الله محمد بن سيدي الشيخ فيض الله.

الجـزء الحـادي عشـر

[بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ][1]

116 ـ قال القاضي النّعمان بن محمد: سمعت الإمام المعزّ لدين الله المعـز يشيـد صلوات الله عليه يوماً وقد قرب عيد الأضحى وسأل عن مجيء كتامة من الأعمال بكتامة... لشهود العيد، فقيل له: يا أمير المؤمنين، يتساربون وقد غصّ القصر بهم.

فقال: بارك الله فيهم وكثّر أعدادهم، فما أَسَرَّني/ بهم وباحتفالهم، وما 2
أحبَّ إليّ أشخاصَهم وأزينَ في عيني مناظرَهُمْ!

ثمّ نظرَ إليّ فقال: أرأيتَ مثلهَم في بهائِهم وجمال مراكِبِهم وحسنِ مناظرهم! أما إني ربّما أقول في نفسي إذا أعجبني ذلك منهم: إنّ ذلك لِفَرطِ محبّتي لهم!

فقلت: هم والله على ما وصفهم أمير المؤمنين عند الوليّ والعدوّ. ولقد وبيلائهم في حرب اتّصل بنا من غير وجه أن مخلداً وأصحابه اللّعناء كانوا يقولون أيّام الفتنة وهم أبي يزيد... يقاتلونهم: أمّا ركوب كتامة وجمالهم فيه فما ندّعيه ولا ننازعهم فيه.

فقال: هم والله الذين أذاقوهم طعم الموت وأحلّوهم محلّ الذلّة وأخرجوهم قسراً بظُبِى السّيوف وحدّ الرّماح حتّى ألحقوهم بقُنن الجبال في

(1) جاء في نسخة «أ»: النصف الثاني من كتاب المجالس والمسايرات. وهي قسمة خاطئة كما بيّنّا في المقدمة ص 28. وجاء في ب بعد البسملة: وبه نستعين في جميع الأمور. ربّ يسّر ولا تعسّر. رب تمّم بالخير. وابتداء من هنا نرقم النسختين «أ» و «ب» في الهامش. وفي س: الجزء الثاني من ك. المجالس والمسايرات، والترقيم يبدأ من 1 فصاعداً، في إذن من صنف أ و ب، ولعلّها منقولة عن النسخة الأصلية (مكتبة عبد العلي فيضي (ابن الملا داوود خان؟).

*ب 2 و أ 3 أطراف البلاد، ثمّ استنزلوهم/ منها قسراً وأبادوهم قتلا بنصر الله لوليّه وبركة * ب 2
مقامه وسعادة جَدّه وأيامه، وطاعتهم له وصبرهم معه.

... فيغار بعضُ الصقالبة ويذكّر بمواقفهم...

فقال بعض العبيـد الصّقالبة: فنحن يا أمير المؤمنين، فما ترى أنّا قصرّنا 3
وقد كان لنا من العناء والجهاد كمثل ما كان لغيرنا، فمن نازعنا ذلك فَلْيَعُدّ مشاهدَنا ووقائعَنا ومقاماتِنا ومَن اسْتَشْهَدَ منّا!

فقال(عم): لا سواء، إنّا بهم ملكناكم، ولم نملِكْهُم بكم. أرأيت لو تُركْتَ أنت وأمثالُك في بلدانِكم، أكنتم تأتُونَنا؟!

... فيفضّل المعزّ كتامة.

قال: لا.

قال: فهؤلاء أتَوْنَا طائعين وبذلوا لنا أنفسَهم راغبين، ومضى على ذلك أسلافُهم وثبت عليه أخلافُهم للسّلَف منّا وللخَلف، قَرْناً فَقَرناً وجيلاً فجيلاً.

أ 4 والله/ ما وَفَتْ أمّة من الأمم لنبيّ من الأنبياء ولا لإمام من الأئمّة ولا لملِك من ملوك الدّنيا، ولا وفى لها وفاءَهم لنا ووفاءنَا لهـم، إلاّ وقد تداخل أولئك الفشلُ واعتراهم الخللُ، وحال عليهم ملوك الدنيا واستأثروا غيرَهم دونَهم واطرّحوهم وأوقعوا بهم. وهؤلاء، أجدادُهم مع أجدادِنا وآباؤهُم مع آبائنا، وهم معَنا وكذلك يكون أعقابُهم مع أعقابِنا إلى يوم الدّين إن شاء الله.

ثمّ نظر إليّ فقال: أليس كذلك؟

قلت: هو كما قال أمير المؤمنين(عم)، وهم من السّابقين الذين أوجب الله فضلَهم والاستغفارَ لهم على اللاحقين التّابعين.

أ 5 ثمّ قال (صلع): وليس سبقُهم وفضلُهم ممّا ينقص/ فضلَ من جاء بعدَهم

... ويطمئـن الصقـالبـة بـأن أجرهم مضمون.

من عبيدنا وأنصارنا * فجاهَدَ ونصر ونَصَحَ لنا، بل يؤتي اللهُ (عج) ـ كما قال ـ ب 3
﴿كُـلَّ ذي فَضْلٍ فَضْلَه﴾[1]، والله جلّ ثناؤه واسع عليم، ولا يَضيع عنده أجر مَن أحسن عملاً وقد قال جلّ ثناؤه: ﴿لاَ يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أنفقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ، أولَئِـكَ أعْظَـمُ دَرَجَـةً مِـنَ الـذيـنِ أنْفَقُـوا مِـنْ بَعْـدُ وَقَـاتَلُـوا وَكُـلاً وَعَـدَ اللهُ الحُسْنَى﴾[2]. (قال) وقد وعدكم الله (عج) الحسنى كلّكم وفضّل السّابقين بِسبقهم

(1) اقتباس من سورة هود، 3.
(2) الحديد، 10.

منكم ما كانوا مقيمين على ما سبَقوا به من الخير ولم يحُولُوا عنه ولم يتبدَّلوا به.

حديث في النّهي عن البغي ذكر في مجلس:

117 ـ (قال) وسمعتُهُ (صلع) يقول وقد ذُكر البغي على النّاس/ والوقيعةُ 6
فيهم وسوءُ حال أهل ذلك، فقال: يكفيهم خِزْيَةً في الدّنيا علمُنا بهم أنّ أحدَهم لا
يرى أنّه يتقرّب إلينا إلاّ بإبعادِ غيره ولا يتوسّل/ إلى فضلنا إلاّ بنقص مَن سواه تحذير الأتباع من
عندَنا. وما كان على أحدهم إذا رغِب في رُتبةِ غيرِه أن يَصِفَهُ بالجميل ويذكُرَه النميمة
بالخير إذا كان ذلك فيه، ويسألَنا من فضلنا الذي بلغَ ذلك مبلَغَه فنُوليه به منه ما والسعاية.
يستحقُّه مَن قصَد فضلَنا من وجهه وتوخّاه من مكانه وابتغاه بحقّه، فيكون قد نال
مُرادَه من حيث لا يضَعُ عندنا نفسَه ولم ينقُصْها ببَغْيِ غيرِه والوقيعةِ فيه. ففضلُنا
يَسَع الخلقَ لو قصدوه من وجهه وابتغَوه بحقّه.

فقلت: /يا مولانا، هذا أدب الله وأدب أوليائه الذين يأمرون بالقِسط في 7
عباده * لا أدبُ ملوك الدّنيا عند أنفسهم الذين رأوا أنّ من سياسة ملكهم التّضريبَ *ب3 و
بين رجالهم والتّحريشَ بين أهلِ مملكتهم ليُبيّنَ لهم بعضُهم من بعض ما عسى أنّه
قد استَتَر عنهم من حالهم، ويخاف بعضهم بعضاً لذلك فَيَفْضَحُوا[نَـ]ـهُمْ.

فقال (عم): يفعل هذا من لا رغبة له في صلاح عباد الله ولا رأيَ له في
رشادهم. ونحن، فإنّما نحبّ صلاحهم وما يعود بالنّفع عليهم في دينهم ودنياهم
لأنّ الله (عج) جعلنَا لهم رحمةً. فنحن أرأفُ بهم منهم بأنفسهم. وكيف ينبغي
لمن ملّكه الله (عج) أمرَ عباده أن يضرب بينهم/ ليتعادَوْا، وَاللهُ (عج) يأمرُ بإصلاح 8
ذات البين في قول الله (عج): ﴿فَاتَّقُوا اللهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ﴾[1]، وقال:
﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾[2]. إنّما يعادي بينَ عبادِ الله من لا
نَصِيبَ له فيهم. ونحن، فقد استرعانا الله (عج) أمرَهم وافترض علينا أن نسعى في
صلاحهم فنحن لا نألوهُ في ذلك جُهْدَنا.

ثمّ ذكر رجلاً من شيوخ كتامة ممّن كان يخصّه ويُدنيه فقال: لقد صحِبَنَا شاهد آخر على فضل كتامة.

(1) الأنفال، 1.
(2) الحجرات، 10.

صحبةً طويلة فما سعى إلينا بأحدٍ ولا اغتابـه عندنا، ولقد كنّا نُجاريه في الحديث ونتحدّثُ مع مَن بحضرتنا فما كان من حديث أنس وخَيْر، جرى فيه وتحدّثَ به، حتّى إذا ذُكِرَ غيرُ ذلك أمسك.

ثمّ ترحّم عليه واستغفر له.

9 حديث في/ مجلس في فضل الأولياء:

118 ـ (قال) وسمعته (صلع) يقول: إنّه ليتداخلُني من السّرور وأجِدُ من
*ب3 الفرَح وأبتهجُ بما يتّصل بي ويبلغُني وأراه * من الخير والصّلاح في أوليائنا ما لو كان مثل ذلك في الولَد ما بلغ منّي أكثرَ منه، وما يفوق من كانت هذه حاله منهم عندي إلاّ مَن خصّهُ اللهُ مِنَ الولد بالفضل الذي ينقله إليه عنّي.

فرح المعزّ بخصال أوليائه.

حديث في مجلس جرى في ذكر الفتنة:

118 ـ (قال) وسمعته (صلع) يقول: قلتُ يوماً للمنصور (صلع) وقد ذكَرَ أمرَ الفتنة وما حاول فيها إلى أن كشفَها اللهُ (عج) على يديه، فقلتُ: لو قد كان القائم بأمر الله (صلع) حاول من ذلك ما حاولتَ وقام منه بما قمتَ، فجلاها،
10 والأمرُ/ مجتمعٌ والحالُ صالح، ولم يدَعْ ذلك إلى أن كان ما قد كان من الفساد في الأرض؟ فقد كان من القوّة والمَنْعة ومُكانفَةِ الرّجال في أكثرَ مِمّا كنتَ أنت فيـه يوم قمتَ بذلك.

المنصور يدفعُ عن القـائـم تهمـة التقصير في حرب أبي يزيد...

فقال لي: أعيذُك بالله أن تعودَ إلى مثل هذا القول، بل فاستغفِرِ الله منه، والله ما كان للقائم (عم) أن يفعَلَ إلاّ ما قد فعلَه، ولا كان لي أن أفعلَ إلاّ ما فعلتُ.

ثمّ قال المعزّ (صلع): وصدق المنصور، نضَّر الله وجهَه وقدّس روحَه وضاعف الصّلاةَ عليه: ما كان للقائم ـ عليه أفضل السلام ـ أن يقومَ في أمرِ أذن الله (عج) بانصرامه، وقد وَلّى أمرُه وقرُبَ وقتُ حِمامه، وامتحَن اللهُ عبادَه بالفتنة،
11 ووقَّتَ وقتاً/ لانقضاء المِحْنةِ. فلَمْ يكُنْ له تقريبُ ما باعده اللهُ (عج) ولم يكن عندَه إلاّ الصبْرُ على ذلك والتسليمُ والرّضاءُ به إلى أن لقِيَ اللهَ (عج) محتسِبـاً صابراً. وهذه من بواهر أولياء الله. فلمّا أذِن الله (عج) بانكشاف المحنة، وذهابِ الفتنة،

لم يكن للمنصور أن يتخلَّفَ * عن القيام بالأمر لقلّةِ العدد، ولضُعف المَددِ، ومَن *ب 4 و
نصرَه الله (عج) فلا غالبَ له. فقام المنصور بالله (صلع) بالأمر في أوانه، وتركه
القائم (صلع) لانصرام أمرِه وانقطاع زَمانِه. ولقد سمعتُهُ (صلع) يوماً وقد شاوره
شيوخٌ مِن كتامة في وجه من وجوه الحرب في أيّام تلك الفتنة، وكنتُ رسولَهم
بذلك إليه، فقال: قل لهم: فليَفْعَلوا من ذلك/ ما أحبُّوه. ثمّ قال: والله ما يمنعني 12
من الرأي أحمِلُهم عليه، وإن كنتُ أرى وجهَ الصواب، إلاّ أن يكونَ عناءً!
كأنّهُ (صلع) قد علِمَ أنّ أمر تلك الفتنة لا ينقطع على يديه أبداً[1].

شعور القائم بأنّ الفتنة لن تنقضي على يديه.

كلام في العدل ذكر في مجلس:

120 ـ (قال) وسمعت المعزّ (صلع) يوماً يسأل بعض القضاة ـ وقد قدم
عليه من عمله ـ عن عامل ذلك البلد، فأثنى عليه القاضي خيراً.

المعزّ يتبرّأ ممن خالف أمره من العمّال.

فقال: بذلك أمرناه وغيرَهُ من عمّالنا، فمن امتثل أمرَنا فقد سعِد في دُنياه
وأخراه، ومن خالفَنا برِئْنا إلى الله منه كما برِىءَ جدّنا رسول الله (صلع) إلى
الله (عج) من خالدِ بن الوليد[2] لمّا خالف أمرَه.

كلام في مثل ذلك:

121 ـ (قال) وقدم بعض العمّال من عمله بمال وافر فذُكر/ له أمرُهُ 13 / 3
واستؤذن له عليه، وقد وقف بباب القصر بما قدِم به، وتقدّمَتْ قبلَ ذلك الشكوى
فيه.

لا يقبل المعزّ الإتاوةَ من العُمّال الجائرين.

فقال (صلع): والله لو قدِم بأموال أوّلُهَا عندي وآخرُها في عمله وصحِب
ذلك بعضُ ما صحبه من الشكوى، ما كان زكا لذلك عندي له موقعٌ. فلو لم يأتِ
إلاّ بحُسن الثّناء عليه لوَقَعَ ذلك عندي موقعاً. إنّا * والله ما أمرناهم أن يدَّعُوا لنا *ب 4
حقّاً إلاّ أخذوه ولا أمرناهم بظُلم أحدٍ ولا بالتجاوز إليه. فمن خالف ما قد أمرناه

---

(1) «أبداً» ساقطة من ب.

(2) إشارة إلى حادثة الغميصاء، حيث أوقع خالد بقوم من بني جذيمة من كنانة وقتل منهم ناساً بغير حق. فقال الرسول (ص): اللهم، إني أبرأ إليك مما صنع خالد. ووداهم على يد علي بن أبي طالب (انظر: ابن عبد البر، الاستيعاب 1/406، ومعجم البلدان، 4/214).

به فالله المنتقمُ منه. أما والله لو صحّت[1] لنا شكوى مَن اشتكاه لما قصّرنا عن إقامة الحقّ لله فيه والإنصاف لمن ظلمه منه، ولكنّا نسمَعُ الشكوى فلا نجِدُ لها
14 تثبيتاً ويأتي/ مِنَ الرعيّة مَن يُبْطِلُها، ويشكُرُ مَن شُكِيَ ويُزكّيه ويَحمَد سيرتَه ويُثنِي
عليه، فنوقِفُ الأمرَ إلى تبيينه. ولو صدَقَنا الناسُ وأنصفونا من أنفسهم وقالوا 14
حقّاً لهم وعليهم ووجدنا منهم مَن نأمَنُه، لحسُنت أحوالُهم واستقامت أمورُهم، ولكنّهم من أنفسهم يُؤْتَوْنَ. والله يجزينا بما نضمره لهم ونُؤمّلُه من الخير فيهم إن شاء الله.

كلام ذكر في مجلس في فضل التّلطّف:

المعزّ يحثّ عمّاله على التلطّف في رفع الشكاوى إليه. . .

122 ــ (قال) وسمعته (صلع) يوماً يذكر بعضَ عبيده ممّن استكفاه جليلاً مِن خِدمته فأثنى عليه خيراً وقال: ما كلّفته عملاً فاستنكَف عنه ولا ضجِر منه ولا عجَز عن احتماله، ولا ناله أحدٌ بمكروه فشكاه إليّ ولا رفع إليّ أمراً علِمتُ منه
15 فيه/ حيْفاً على أحد[2]، ولا ضيّع لي واجباً. وإنّه ليرفع إليّ الأمرَ الذي لا بُدّ من 15
رفعِه ممّا يكون فيه ما يوغِرُ الصّدرَ فيتلطّف في ذلك ولا يورده دَفعَةً ولكنّه يأتي بما لا بدّ من رفعه منه شيئاً بعد شيء ليسهُل أمره.

. . . رحمةً بالمذنبين ودرءاً للغضب السريع.

واستحسن ذلك من فعله وقال: إنّ الإمام إذا رُفع إليه الأمرُ لم يَسَعْه إلاّ إمضاءُ الحقّ فيه، وقد يكون في بعض ذلك بعضُ المكروه، فمن استطاع أن يُصلِحَ ذلك دوننا فليَفعَلْ، فإنّ الحقّ ثقيلٌ إلاّ على من خَفَّفَهُ الله (عج) عليه.

صفوان بن أميّة وسارق ردائه.

وهذا كقول رسول الله (صلع) لصفوان بن أميّة[3] وقد أتاه برجل سرق له
16 رداءً فأمر رسولُ الله (صلع) * بقطع يده، فقال صفوان: يا رسولَ الله لَمْ أعلَم/ أنّ
* ب 5 و
الأمر يبلغ به هذا: تُقْطَعُ يدُه من أجل ردائي! قد وهَبْتُه له.

فقال رسول الله (صلع): فهلاّ فعَلْتَ هذا ولم ترفعه إليّ؟ إنّ الحدّ إذا رُفع 16
إلى الإمام لم يجب تركُه. وأمر بالسّارق فقُطِعت يده.

---

(1) من: والله ما أمرناهم. . . إلى: لو صحت: سقطت من ب.
(2) سقطت «أحد» من أ.
(3) صحابي من أشراف قريش جاهلية وإسلاماً، كان من المؤلفة قلوبهم. توفي بمكة سنة 41/661 (انظر الإصابة: 2/176، وتهذيب التهذيب لابن حجر 4/424).

وكقول عليّ (صع): لو وجدت مؤمناً على فاحشة لسَتَرتُه بثوبي. وقوله (عم): استتروا عنّا ببُيُوتكم فإنّه من أبدى صفحَتَه للحقّ هَلَك. [و] في كثير من الرّوايات في مثل هذا [ما] يؤيّدُ ما قاله المعزّ صلوات الله عليه.

كلام في العَدْلِ ذكر في مجلس:

123 ــ (قال) وكنت بين يديه (عم) يوماً إلى أن رُفع إليه بعضُ أهل الأطراف أتَوْا يشكُون إليه عاملاً كان عليهم، ورُفِعَت لهُم إليه رقعةٌ وقد كانوا رفعوا قبل ذلك أخرى. فقال: عجباً لهؤلاء! / يرون أنّا في غفلة عنهم وعن 17
غيرهم، وما شغلنا ـ إذا اشتغل ملوك الدّنيا بلذّاتهم ـ إلاّ النّظرُ في أمور مَن قلّدنا الله (عج) أمرَه واسترعانا إياه. وأنتم ترونَ ما نحن فيه في كلّ يوم من ذلك. وإنّما يلتذّ بالدنيا من رأى أنّها حظُّه من الآخرة. ولولا ما نعلمه لنا عندَ الله (عج) ما نظرْنَا إلى الدنيا بعين، لما نحن فيه من مُزاوَلَتِها وأهلها.

المعزّ يعزل عاملاً تـوالـت فيـه الشكاياتُ

ثمّ نظر إليّ، فقال لي: قل لهؤلاء القوم: حسبكم أن تعلَمُوا أنّ خبرَكم انتهى، فأمْسِكُوا عن الشّكوى. وكان قد بعث في عزل ذلك العامل، فوافى بعد ذلك بأيّام قليلة واستعمل مكانَه غيره.

كلام في السّياسة في مجلس:

124 ــ (قال) وسمعته (صلع) يقول ـ وقد / أخرج عسكراً إلى بعض 18
النّواحي ـ فقيل له: ما بالموضع ما يحتاج إلى * كلّ هذا. *ب 5

فقال: إنّا لننظر من حيث لا ينظرون، وإنّ رسول الله (صلع) أمر بإخراج جيش أسامة بن زيد[1] لأمر خفي عن النّاس يومئذ إلاّ لمن عرفه وأسرّه إليه. والله لو رضِينا من الدّنيا بالدَّعة والسَّعَة لكنّا في ذلك، ولكنّ الله (عج) افترض علينا

الإمام يقدّر الأمورَ على بعدٍ، ويرى ما لا يـــرى الناس...

---

(1) هو أسامة بن زيد بن حارثة. كان أثيرا لدى الرسول (ص) ، أمَّره على جيش فيه من وجوه الصحابة جماعة، فمات النبي قبل أن يتوجه أسامة، فأنفذه أبو بكر. وفاته سنة 54 هـ.

(انظر ابن سعد: الطبقات 189/2، وابن الأثير: أسد الغابة ١/٦٤، وابن حجر: الإصابة 46/1).

القيامَ بحقّه في أرضه والأمرَ فيها بالمعروف والنّهي عن المنكر، فلسنا نُضيعُ ذلك ولو ثقل حِمْلُه وعَظُم أمْرُه.

سمعت المنصور بالله (صلع) يقول: أمر المهديُّ بالله القائمَ بأمر الله (عم) بالنّهوض إلى مصر[1]، فقال: يا أمير المؤمنين، قد خوّلَكَ الله ومكّنَك[2]
19 وأعطاك من الدّنيا ما فيه سعَة وكِفاية/ فعلامَ تَغمُّ نفسَك وتشغل صدرك؟ دَعْ هذا حتى يأتيَ الله به عفواً.

... مثلما فعل المهدي في إغزاء القائم لمصر.

فقبض (صع) كفّه اليسرى وقال: نعَم، هذا المغرِب في قَبْضَتي هذه ـ وبسط اليُمنى ـ ولكنَّ كفّي هذه من المشرق صفر. إنْ ثقُل عليك ما أمرتُك به، خرجتُ له بنفسي.

قال: بل أنفُذ لما أمرتَ به يا أمير المؤمنين وأسارعُ إليه.

قال المعزّ (صلع): ولقد علم المهديُّ (صع) أنّه لا يصل إلى ذلك ولكنّه أحبَّ أن لا يُضيعَ الحزمَ ولم ير ترك ما افترض الله (عج) عليه من الجهاد في سبيله.

ثمّ أنفذ المعزّ (صع) ذلك الجيشَ[3] فكان فيه من السّعادة والبَركة والفتح والصنُّع والسّعد ما لم يظنَّه الناسُ، وظهَر من أمره ما قد رمز به المعزّ صلوات الله 20
عليه.

20 كلام في فضل التّوبة / ذكر في مجلس:

125 ــ (قال) وسمعته (صع) يوماً يقول ـ وقد أتاه عن حَمِيد بن

---

(1) خرج القائم إلى مصر مرتين، الأولى سنة301 هـ بعد أن مهّدت له حملة يقودها حباسة بن يوسف الملوسّي فوصل بها إلى برقة ومشارف مصر، ودخلا الإسكندرية معا سنة 302، ثم ذهبا إلى الفيوم. وتقهقر القائم منتصف شهر رمضان إلى إفريقية عندما بدأت زحوف قائد الخليفة العباسي مؤنس الفتى تنال منه.

والثانية كانت مستهل ذي القعدة سنة 306، حشد فيها جيشاً من كتامة وعرب إفريقية وبربرها، ولاقى صعوبات من مؤنس قائد الخليفة المقتدر.

(انظر: ابن عذاري: البيان المغرب 1/171، 182، وابن حماد: أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم، 11 وابن الأثير: الكامل 30/8).

(2) أ: ملكك.

(3) الجيش المذكور في أول الحديث.

يصـل[1] أنه يريد التّطارح إليه ـ فقال: إن كان له * عند الله خَلاق فيوفقّه لذلك *ب6 و
وما أراه يوفَّق له لما يعلمُه له من سوء الطويّة. فأمّا نحنُ، فإنّا نتأسّى في عباد الله
جلّ ذكره فيما خوَّلَنا من فضله ونمتثل فيهم أمره. وبعد: فقد أَخبر جلّ ثناؤه في
كتابه أنّه ﴿يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ﴾[2]. وقال: ﴿إلاَّ الَّذينَ تَابُوا مِنْ قَبْلِ أنْ تَقْدِرُوا حَميد بن
عَلَيْهِم فَاعْلَمُوا أنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾[3]. فمن تاب إلينا قَبِلْنَاه ومن استرحَمَنا يصل...
رحِمْنَاه ومن استقَالَنا أَقَلْنَـاه، ولا يوفِّقُ اللهُ لذلك إلاّ السّعيدَ من عباده، وما أراه
بالسّعيد.

ولقد رأيته في منامي في هذه/ اللّيلة[4] وكأنّي وقفتُ على باب حِصن قيل 21
إنّه فيه، فدعوتُ به، فخرج في حالٍ رَثّة خَسِيسَةٍ حتّى وقفَ من وراء باب الحصن ... يراه المعزّ في
وقد فُتحَ بعضُه، فأخذتُ بمجامع أثوابه وهززتُه إليّ هَزّةً منكرة فأخرجتُه. فسمعتُ المنام منهزماً...
صُراخ النّساء من داخل الحصن وعويلَهنّ عليه وهُنّ يقلن: أخذَه والله مَولانَا!
فقلت: نعم قد أخذتُه على رَغمِهِ ورغمِكُنَّ! والله ما أظنُّ الله يُوفِّقُه لشيء ممّا يُقال
من الخير.

فما كان بعد ذلك إلاّ بمقدار ما وصل الخبرُ حتّى جاء عنه أنّه هلَك فصار ... ثم يأتي خبرُ
إلى غضب الله ولَعْنَته. حتـى إنّـي أظنّ أنّ موتَه كان في الليلة التّي رأى المعزّ موته.
(عم) ذلك فيها.

كلام في ذمّ بني أميّة ذكر في مجلس:

126 ـــ (قال) وذُكِر/ يوماً عنده(صع) مَن بالأندلس من بني أميّة اللّعناء، 22

---

(1) حميد بن يصل المكناسي: قائد بربري ولاّه المهدي تاهرت واستعمله ضدّ موسى بن أبي العافية. وسجنه المهدي سنة933/321 لتقصيره في تتبّع أعداء الفاطميين، ففرّ من السجن سنة 940/328 والتحق بالأندلس، فانضمّ إلى الجيوش الأموية (انظر
Levi - Provençal: Histoire de l'Espagne musulmane, 2/102.
وكذلك : كتاب الاستقصاء للناصري السلاوي، ج 188/1، ويسمّيه حميد بن يصليتن، وهو ابن أخي مصالة بن حيوس).

(2) الشورى، 25.

(3) المائدة، 34.

(4) سقط من ب: من عباده ... إلى ... الليلة.

وقيل له ما يقال فيهم أنّ أباهم الواصِلَ[1] أوّلاً دَعِيٌّ وليس له من يُنسب إليه.

*ب 6 (فقال) فإلى من يُنسَبون إذن؟ إلى الكلاب أم إلى القِرَدة أم إلى * الخنازير؟

عبد الرحمان الداخل دعيّ.

والله إنّهم لخيرٌ ممّن انتسبوا إليه ـ يعني الكلابَ والقِرَدة والخنازير ـ وإنّ من انتسبوا إليه أسوأ حالاً منهم. فدعُوهم وما ادَّعَوْهُ، فكفاهم عاراً وخِزْياً بانتسابهم إليه.

كلام في مجلس في فضل الصابرين:[2]

127 ـ (قال) وسمعت الإمام المعزّ لدين الله (صع) يوماً في مجلسه يقول وقد ذكر الحرب: كَمْ مِن مذكورٍ بالتّقدِمة ومعروف بالرّئاسة ومَوْصوُفٍ 23
23 بالشّجاعة، إذا التَقَتْ في الحرب حِلَقُ البِطانِ[3] / لم يَرُدَّ[4] ولم يُعْرَف واستَتَر. ومِن غبيّ العِيانِ مجهولِ الحال والمكانِ تبدو في بعض تلك المواقف شجاعتُه، وتَظهَرُ فيها كفايتُه. وليس في كلّ موقِف يثبُتُ النَّجْد[5] ولا في كلّ حين يقف الشّجاع.

المعزّ يشيد ببلاء الأولياء من الصابريّة والمهديّة...

فقال له بعض من حضر: لكنّ بلاد المهديّة وشبّان الصّابريّة[6] من أولياء أمير المؤمنين قلّ من شهِد منهم بعد ذلك مشهَداً إلاّ عُرِف فيه مقامُه وتبيّن فيه أثَرُه.

فقال (عم): إنّ أولئك لا يقاسون بسائر النّاس، أولئك محضُ المحض

(1) أي، عبد الرحمان الداخل.
(2) أ: كلام ذكر في مجلس في فضل القائم. ولا ذكر للقائم في كامل الفقرة.
(3) البطان: الحزام الذي يلي بطن الجواد. و «التقت حلقتا البطان» من أمثال العرب التي تضرب للأمر إذا اشتدّ (اللسان: بطن).
(4) أ: لم ير.
(5) أ: النجدة. والنجد: الشجاع الماضي فيما يعجز عنه غيره.
(6) هذه الإضافة جديدة على النصوص الفاطمية ـ فيما نعلم ـ ولها وجهان:
ـ الأول، وهو الأرجح، نسبة استمد لها معنى الصبر من اسم صبرة الفاطمية عاصمتهم الثانية بعد المهدية، التي أسسها المنصور إلى جانب القيروان وعرفت بـ «المنصورية». وبذلك يكون قد أشار إلى مواليهم من أهل المدينتين: المهدية وصبرة.
ـ والثاني أنه ربما كان ذلك إشارة إلى فرقة من الجند تنسب إلى الخادم صابر الذي جلب جوهر الصقلي. (انظر البيان 1/221).

24 ولُباب اللّباب، إنّه لم يقف معنا يومئذ ويصبر إلاّ نحنُ وأبناؤنـا ومَن كان منّـا، فالصّابرون والله معَنا حينئذ هم الأبناء والإخوَةُ والقَرابَةُ واللُّحمة، متى رأيتَ مَوْكِباً من أولئك فلا ترى / إلاّ أنّه موكب من مَواكب آل أبي طالب. 24

يقول ذلك (صلع) وهو يتهلّلُ وجهه سروراً بما يقوله.

كلام في مجلس في وصيّة بعض الأولياء وقد خرجوا للجهاد:

128 ـ (قال) وكنت كثيراً * ما أسمعه (صلع) يقول إذا حضر عنده شيوخ *ب7و كتامة ووجوههم: إنّي والله لو ندبَتُ من أحداثكم ومَن عسى لا يُؤبه له منكم من أندبُه لأمرٍ تَرَوْن أنتم أنّه لا يقوم به غيرُكم ولا يصلُحُ لسواكم، لكان مَن أندُبه إلى ذلك منهم عند ما أريده، ولقام به حسب أَمَلي فيه. والله ما سعِد لهُ منكم من سعِد وبان من بان إلاّ باختيارنا لَهُ وتنبيهنا إيّاه.

فلمّا همّ (صلع) بإخراج العساكر إلى سجلماسة لقصد ابن واسول[1] اللّعين المتسمّي بالإمام أمير المؤمنين/، والطّريقُ إليها من البُعد والمشقّات والانقطاع والمخافات على ما يعظُم في صدور النّاس أمره، ويتهيّبُونَ سلُوكَه لذلك واقتحامَه، أمَرَ (صلع) أن يُندَب لذلك مَن سارع إليه من شُبّان كتامة طائعاً. فلم تَمْضِ أيّامٌ حتّى أتاه مِنهم من العَدد فوقَ ما أراده، مسارعين إلى ذلك فرِحينَ به، فأوسَع لهمُ العطاءَ وأجزل لهم الحِباء. شبّان كتامة يهبّون لفتح سجلماسة...

فلمّا أرادوا الخروجَ حضر الشيوخُ وحضـرتُ معهم مجلسَهُ، فذكر مسارعة من سارع منهم إلى الخروج في ذلك الجيش، وأنّه كان فيما تقدّم يتهوّل ذكرَ سلوك ما نَدَبَهُم إليه دون تعاطي الخروج إليه وذكر تثاقُلَهم ـ قَبْلَ ذلك ـ عمّا هو دون ذلك. ... فيشيد المعزّ بتطوّعهم...

ثمّ قال (صلع): وهذا الذي كنت ذكرتُه لكم في / غير مجلس ومَقَامٍ، أنّي لو ندبتُ من عَسَيْت أن أندُبَه منكم لوجدتُ فيه ما أريده. 26

ثمّ أذن لمَن سارع منهم إلى الخروج، فدخلوا عليه فوجاً فوجاً، وغصَّ القصرُ * بهم فأثنى عليهم خيراً وقال لهم قولاً جميلاً طويلاً، كان فيما حفظت منه *ب7 أن قال لهم:

---

(1) انظر تعريفنا بابن واسول في ص 196 تنبيه 3.

بارك الله فيكم وأحسن صحابتَكم والخلافَةَ عليكم! فقد صدقتُم ظنّي فيكم وأمَلي عِندَكم وأنتـم من معدن البرَكة وعنصر الخير. بكم بدأ الله إظهارَ أمرنا وبكم يُتِمُّهُ ويُصلِحُه(1) بحَوْله وقوّته، وقد علمتُ مسارعتَكم إلى ما نُدِبتُم إليه وإجَابَتَكم لما أُردتُمْ له، وأرجو أن تبلُغُوا من ذلك بحسب الأمَلِ فيكم، ويرفَعُ
الله (عج) بذلك درجاتِكُم ويُعْلِي به ذكرَكم. أنتُمُ البَنونَ والإخوَةُ/ والأقْرَبُونَ ما 27
يعدِلُكُم عندي أحدٌ ولا يبلُغُ مبلغَكُم مِن قلبي بشَرٌ، وما ذلك إلاّ لما لي في قلوبكم.

... ويخطبُ فيهم...

ما نصر الله وليّاً من أوليائه قبلَنا بمثل نُصرتكم لنا. على ذلك مضى أوّلُكم وعليه أنتُم، على محبّتنا ونصرتنا وموالاتِنا تتناسَلُون وتَنْشَأون، وبها غُذّيتُم وعليها فُطِرتُم. فأبشروا بما قسَمَ اللهُ (عج) من الفضل لكم، فأنتم حزب الله وأنصارُه وجُندُه وأحبّاؤه. واللهِ ما أردتُ بهذا البعثِ الذي بعثتُكم فيه شرّاً أستدْفَعُه ولا دفعَ مكروهٍ أخافُه ولا استكثاراً من دنيا أصيبُها:

...ذاكراً فضل أسلافهم...

أمّا المكروهُ فقد علِم الخاصّ والعامّ والقريبُ والبعيد أنّ غايةَ أماني مَن
حَوْلَنا من أهل الأرض من المتغلّبين ممّن دان/ بمِلَّةِ الإسلام، والمشركين، أن 28
يسلَمُوا منّا وَيُعَافَوْا أمرَ بأسنا وما أحدٌ منهم أمسى وأصبح اليومَ بحمد الله يطمَعُ في شيءٍ ممّا عِنْدَنَا.

*ب8و

وأمّا اكتسابُ حُطام الدُّنيا فها(2) نحنُ * نُنْفِقُ مِن أموالنا على هذا البعث ما لا نرى أنّا نرتَجِعُ مثلَه وإنْ مَكَّنَنَا اللهُ وأيَّدَنَا ونَصرَنَا، ولكنّا أرَدْنا بذلك وجوهاً:

منها ما افترضه الله (عج) علينا من جهاد مَن خالف أمرَنا وتسمّى بأسْمائنا وادّعـى ما جعل الله (عج) لنَا.

ومنها أنّ الله (عج) قد امتحن عبادَه بالجهاد في سبيله معَنا، فنحن نندُبهم إليه لنعلم المجاهدين منهم والصّابرين، وليرفع الله (عج) به درجاتِهم ويُجزِل
مَثوبَاتِهم ويَنقُل حالاتِهم. فكم منكم اليوم/ ممن ينفُذُ في هذا الجيش تابعاً يعود 29
متبوعاً، ومرؤوساً يصيرُ رَئيساً! إنّما ترفَعُكم عندَنا وعند ربّكم نيّاتُكم وأعمالُكم،

(1) ب: ويصله.
(2) في النسختين: فهذا، ومثله كثير في الكتاب.

وبها تتوسّلُون إلينا، وإلى بارئكم. لولا السنّة التي أمر الله عزّ وجلّ باتّباعها، التي لا يَصلُح العبادُ إلاّ بها، ما قدّمتُ عليكم أحداً منكم ولا من غيركم إذ كلّ واحد منكم عندي يستحقّ أن يكون المقدّمَ، ولكن لا يصلحُ النّاس إلاّ برئيس. وقد
30 قدّمت عليكم من قد علِمْتُمُوه[1]، وأقمتُه فيكـم مقامَ نفسي وجعلتُه معكم كأذُني وعَيْني، وكلّ امرىء منكم على نفسه بصيرة، وقد أمرت لكم بأجزل عطاء أعطيتُه مَن قَبْلَكم إلى أبعدَ من مسافتكم، وقد علمتُم أنّه لم يُعْطِ مَن قبلَكُم/ أحدٌ قَبْلِي 30
مثلَ ما أعطيتُكم، ولا استكثرتُ لكم ذلك بل أستقلّه لأقلّكم. والذي لكم عند الله وعندي في الذي تستقبلونه أجلُّ وأكبرُ. فسيروُا على بركات الله ويُمنه وسعادَتِه ونَصْره وتأييده ! كونو عند ما رجوتكم له من الغنَاء والكفاية * وصلاح الحال *ب 8
بينكُم! أحسِنُوا عشرةَ بعضِكم لبعض وعشرة من تَصْحَبونه من غيركم، وأنزِلوا من ينفُذ معكُم من عبيدي منازلَ إخوانكم، وأجمِعُوا معهُم كلمتكم، فهم لكم عضُدٌ
31 / ولُحمة، وموالاتي تجمَعُكُم وإيَّاهُم، فلا تجعَلوا بينكم وبينهم فَرْقاً، أحسن الله لكمُ الصّحابةَ وعليكم الخِلافةَ.

ويبرّز تـأميرَهُ جـوهـراً عليهم...

... ويدعوهم إلى حسن المعاشرة مع الصقالبة.

فقبّلُوا الأرضَ مراراً بين يديه وشكَروا ما كان منه وَوَعَدُوا من/ أنفسهم 31
الوفاءَ بما أمرَهم به، وغلب عليهم من السّرور بما سمِعوا منه ما ظهَر فيهم وتبيّن على وجوههم.

ثمّ أمر بإدخال من نفَذ في ذلك الجيش من الحضرة من قبائل البربر ممّن كانوا قد دخَلوا في الفتنة وأنابوا، بعد المقدرة عليهم، إليه، فقبِلهم وعفَا عنهم، كبني كملان[2] وغيرهم، وقد سارعوا أيضاً إلى الخروج. فلمّا صاروا بين
32 يديه (صلع) قبّلوا الأرض ووقفوا، فقال بعضُ من حضر مـن شيوخ كتامة: هؤلاء يا مولانا مِمّن قال الله (عج) فيهم: ﴿عَسَى اللهُ أَنْ يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُمْ

بنـو كمـلان يكفّـرون عـن خروجهم مع أبي يزيد.

(1) هو القائد جوهر (انظر البيان المغرب، 22/1). ولعل في «اعتذار» المعزّ على جعل الكتاميين تحت إمرته دليلاً على وجود منافسة بين قواد البربر والقواد الصقالية.

(2) قوم من هوارة مقرُّهم جبال أوراس، ساندوا أبا يزيد مخلد بن كيداد. وقتل المنصور منهم الكثير في وقعة الرؤوس بفحص باتنه. «واستأمنوا للمنصور إسماعيل فأمّنهم على سكنى عيالهم بالقيروان» (انظر ابن حماد : أخبار ملوك بني عبيد 31،19، 39، وابن حزم: الجمهرة 496، وابن خلدون: العبر 235/6).

مِنْهُمْ مَوَدَّةً﴾[1].

قال: نعم! قد فعل الله ذلك بهم لما سبق لهم عنده من السّعادة ففازوا
33 بالوَلاية بعد/ العداوة وبالهدى بعد الضّلالة وبالنّصرة بعد القطيعة والمنابذة لنا والمحاربة، فتوبَتُهم مقبولة وذنوبهم إن شاء الله مغفورة.

فقبّلوا الأرض بين يديه واعترفوا بنعمته وشكروا فضلَه وعفوَه.

فقال: كم سارع منكم إلى الخروج في هذا العسكر المنصور؟

قالوا: كلُّنا يا مولانا مُسَارِعٌ إلَيْهِ، فمن قَبِلْتَهُ فهو السعيد!

قال: بارك الله فيكم ووفّقكم، وأنا أنظر[2] إن شاء الله فيما يصلحكم.

*ب9و وأدخل العبيد فأوصاهم بمثل ما أوصى به الأولياء * وأمرهم بأن يكونوا لهم إخوة ومعهم ألفة. وودّعوا وخرجوا.

كلام في السرّ ذكر في مجلس:

129 ــ (قال) وحدّثه(عم) يوماً عن بعض من كانت له وجاهة وسيرة[3]
34 ورئاسة في العامّة/ أنّه كان يجلس إلى خيّاط في بعض الأسواق غبيّ الحال لا يكاد يُرى إلاّ عنده يحدّثُه، وأنّه عُوتب في ذلك وقيل له: أما وجدت لحديثك غيرَ هذا؟

حكاية طريفة عن كاتمي السرّ.

فقال: لا والله، وإنّ فيه لخصلةً ما وجدتها عند أحدٍ من الناس.

فقيل له: وما ذلك؟

قال: يضيق ذَرعي بالحديث وأحبّ أن أحدّثَ به وأن لا يُنشَر عنّي، فأحدّثُه به فكأنّما ألقَيْتـ[ـهُ] في بئر. لا والله ما سمعت عنه أنّه أعاد عليّ حديثاً قط.

فقال المعزّ (صلع): صدق والله، وأحسن في اختياره. وإنّ من وُجِد فيه مثل ذلك لأهل لكلّ خير.

---

(1) الممتحنة، 7.
(2) أ: سقط: وأنا أنظر.
(3) أ: سقط: وسيرة.

ثمّ ذكر رجلاً من الأولياء كان له به وبالمنصور (صلع) اتّصال، قال: فكان المنصور (عم) ربّما أخبرَني بالحديث/ يجري بينَه وبين هذا الرّجلِ ويقول لي: 34
سله عنه، فأسأله، فيأخذ لي في معاريضَ منَ القوْلِ يريد أن يقطَعَ بها سؤالي، فإذا أعذتُه عليه وأخذتُه بالجواب عنه وعرّفته أنّ المنصور بالله (صلع) أخبرَني به وأمرَني أن أجاريَه فيه، قال: مولانا أصدقُ قولاً، ولعلّي أنا أنسِيتُ هذا الذي قاله. فأذكر ذلك للمنصور (صلع) فيستحسنُـه له.

وترحّم المعزّ (صلع) على الرجل وأثنى عليه ثناءً حسناً.

كلام في حلم المعزّ (صلع):

130 ــ (قال) وركب المعزّ (صلع) يوماً من أيّام الرّبيع إلى مكان وُصف له أنّ فيه زهراً حسناً ونبتاً عميماً وفي الطّريق الحاملِ إليه * مثلُ ذلك، فلمّا *ب9
خرج (صلع) من باب/ المنصوريّة اكتنفه النّاس يسألونه حوائجهم ويرفعون 35
أمورهم، فما زال يُقبِلُ بوجهه على الواحد بعد الواحد والجماعة بعد الجماعةِ منهم ويكلّمُهم ويجيبهم[1] حتّى انتهى إلى المكان الذي وُصف له، وانصرف وهو على مثل ذلك ما ملأ عينَهُ ممّا أراد النّظر إليه ولا أعاره الطّرفَ إلاّ اختلاساً ولا أضجره ما كان من أمر النّاس، وإنّا حولَه لنضجَر له لذلك، وإنّ المُشـاةَ بين يديْه يدفَعُون النّاس فيأمرُهم بتخلية مَن يدفعونه منهم، وإنّ كثيراً منهم ليُطيل مسايَرَتَه ويكرّرُ حاجتَه فيأمرُه مَن حوله بالانصراف ويغمِزُه بعضهم إرادةَ التخفيف عليه حتى[2] ينظُرَ إلى ما خرج إليه/، فينهاهُم عن ذلك ويأمر أن يدعَوُا مَن كلّمه إلى 36
أن يقضيَ حاجتَه وينصرِفَ عن رأي نفسه.

اريحيّة المعزّ مع أصحاب الحاجات في الطريق.

وهذا دأبه في أكثر خروجه صلوات الله عليه، ولا أعلَمُ ولا سمعتُ أحدا وُصف بمثل ذلك من الصّبر [وسعَة الصدّر].

(1) أ: سقط: ويجيبهم.
(2) في الأصل وفي س 36: وأن ينظر.

الجزء الثاني عشر

[بسم الله الرحمن الرحيم]

رمز بالباطن ذكر في مسايرة:

/ **131** ـ قال القاضي النّعمان بن محمد: سايرت الإمام المعزّ لدين الله صلوات الله عليه، فذكر الجاحظ فذمّه وذكر مساوىء انتحاله.

37 فقلت: إنّي رأيت في بعض مصنّفاته[1] شيئاً كأنّه كان/ عندي ـ قبل أن أسمع هذا من مولانا (صلع) ـ أنّه قد اتّصل[2].

ب 10 و قال: معاذ الله! هو أخزى وأقبح نحلة من ذلك.

ثمّ قال: وما الذي رأيته له ممّا توهّمت له ذلك؟

استخفاف الجاحظ بقصّة سليمان والهدهد... فقلت: قوله في قول الله (عج): ﴿وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ: مَالِيَ لاَ أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ... إلى قوله: فَانْظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ﴾[3]، وأنّ الجاحظ قال في ذلك: أفيكون سليمان مع نبوّته وكرامته على الله تعالى وما سخّر له من الرّيح والطّير والجنّ بأرض الشام فلا يعرف أمرَ مِلكة سبأ ولا اسمَها ولا دينَها على قرب مسافةِ ما بينهما حتّى يأتيَه بذلك الهدهدُ؟! وأقلُّ ملك من ملوك الأرض اليوم 38 قد علم مثل ذلك من أحوال مَن/ كان في أطرافها من الملوك[4]؟.

---

(1) انظر الحيوان 4:77.

(2) هكذا في النسختين، ولا نتبين المقصود من «اتصل»، ولعل معناه: انتحل مذهب واصل ابن عطاء المعتزلي.

(3) النمل، 20 ـ 28.

(4) لقد عزا الجاحظ هذا القول لأصحابه فصدره بقوله: «ثم طعن في ملك سليمان وملكة سبأ ناس من الدهرية وقالوا...» (الحيوان 4/85) وتعقبهم بالرد(انظر صفحة 86 وما بعدها). والنقل هنا بالمعنى وليس من لفظ الجاحظ. والعجب للقاضي النعمان كيف =

ثمّ كأنّي رأيته وارى عن ذلك فجاء في ظاهر القول بحجّة هي مثله في الحال، فقال: وهذا غير منكر في قدرة الله (عج)، وقد أقام يوسف بمصر ما أقام، ويعقوب أبوه بالشام لم يعرف خبرَه ولا أين هو. وأَحَدٌ مـ[مّـ]ـن يؤسر اليوم في أطراف الأرض ويكون في الحبوس والوثاق والمضايق يصل خبره إلى أهله ويكاتبهم بحاله.

وكأنّي رأيته جاء في الحجّة بمثل ما ابتدأه في القول وترك ذلك موقوفاً. وقد كنت قديماً أعتبر ذلك من قوله فلا أراه إلاّ كما ظننت به.

فما هو إلاّ أن تمّ قولي حتّى ابتدأني (صلع) فقال: وما في أمر الهدهد وما
39 ذكره/ من جهل سليمان (صلع) بأمر ملكة سبأ حتى أتاه به الهدهد، ما يهوّل به الفاسقُ ويطيل ويُسهِبُ فيه هذا الإسْهَابَ ويُطنب مثل هذا الإطناب؟ وهل عَلِم
*ب10 أحدٌ من النّبيّين والمرسَلين * والملائكة المقرّبين أمراً من الأمور إلاّ مِن بعد أن كانوا به جاهلين؟ والمتفرّد بعلم ما كان ويكون، هو اللهُ ربّ العالمين. فأمّا من دونه من المَخلوقين فلم يعرِفوا ما كان ولا ما يكون إلاّ بإخبار الله (عج) إيّاهم بذلك وإخبار بعضِهم بعضاً عمّا شاهدوه وبلغهم وعلِموه، فكلّ إنسان بما غاب عنه جاهل حتّى يؤدِّيَه إليه من شاهَدَه وأخبره عنه. وردّ المعزّ عليه.

40 وقد يجوز أن يكونَ أوّلَ من/ أدّى إلى سليمان أمرَ ملِكة سبأ الهدهدُ. ومثل هذا من الأمور قد يعلَمه من هو دون من يجهَله، كما يعلم أخبارَ مَا في شاسع البلدان من دخلها من المسافرين ولا يعلَمُ ذلك من لم يَدْخُلْها من أهل الحكمة الفاضلين. فعلى نحوِ هذا علِمَ الهدهُدُ أمرَ ما كان بسبإ دونَ سليمانَ وأخبره به، وليس هذا من العلم الذي يجب به التّفضيلُ، ولا يُنسَبُ به مَن علِمَه دون من جهِله

= تغيب عنه دقة الجاحظ وهو يثير مسألة الهدهد، ولعله في هذا أحد أحدين: إما أن يكون قد طال الأمد على قراءته الحيوان فنسي التفاصيل، أو أن النسخة التي طالعها كان بها سقط واختلال، ونستبعد عليه التعمد، برغم الخلاف بين المعتزلة والشيعة الذي نجد له أصداء واضحة في بعض فصول هذا الكتاب، ولا سيما إبطال حجية العقل(انظر ص 389) وكذلك في بعض كتب الجاحظ «السياسية» مثل ك. العثمانية المعروف وكتاب «إمامة معاوية» الذي ذكره المسعودي (مروج الذهب ج 3 ص 253) فقال إنه يؤيد فيه إمامة بني أميّة وينتصر لهم من علي وشيعته.

إلى العلم والحكمة عند ذَوِي التميز والعقول، وإنّما هو علم مُشَاهدة وعِيانٍ.

وإنّما العلم الذي يجبُ به التفضيلُ عِلمُ العقولِ والأذهانِ والبراهينِ والبيان.

ثمّ ذكر(صلع) من باطن هذه الآية في قصّة الهدهد/ وسبأ وسليمانَ جُمَلاً 41
فتَحت لِي عِلماً جمّاً.

كلام في السؤال جرى في مجلس:

132 ـ (قال) وسمعته(صلع) يقول: كان المنصور قدّس الله روحه الحكمة تنتقل من
وضاعف الصلاة عليه، ربّما طارحَني شيئاً من مسائل الحكمة فأجَبْتُه[1] بما يتهيّأ إمام إلى إمام.
لي من الجواب. وإنّه ألقى عليّ مسائل قبل وفاته (صلع) تعذّر عليّ الجواب فيها
وأظلَمَ، فما * هو إلاّ أن قبُض (صلع) حتّى تهيَّأ لي ما كان اعتاص عليّ من جوابه *ب 11 و
دَفعة بغير تدبُّرٍ ولا رويّة. فعلمتُ أنّ ذلك كما قيل: إنّ الله (عج) ينقُل ما كان عند
الماضي من الأئمّة إلى التّالي منهم في آخر دقيقة تبقَى من نَفَسِ الماضي[2].

كلام في فضل المنصور والمعزّ(صلع):

133 ـ (قال) وسمعته(صلع)/ يقول: انتهت إلى القائم بأمر الله (صلع) في 42
آخر أيّامه وفاةُ داع من دعاته ببعض جزائر[3] المشرق، وتنازع وصيّتَه رجلان من
أهل دعوته، كلاهما زعم أنّه أوصى إليه. فَلَم يُمْض القائم (عم) من أمرهما شيئاً

---

(1) هكذا في النسختين، ولعلها: فأجيبه.

(2) انظر توضيح هذه العقيدة في ما يلي ص 243.

(3) قسم الإسماعيلية العالم ـ مجال دعوتهم ـ مثل السنة الزمنية إلى اثني عشر قسماً، سموا كل واحد منها «جزيرة» ولا يزال تحديد هذه الجزائر غير واضح لدى الدارسين لاختلاف أسمائها وحدودها. وقد جعلوا على كل جزيرة «داعيا» هو «داعي دعاة الجزيرة» أو «حجة الجزيرة» يساعده ثلاثون «داعيا نقيبا» يراجعهم ويستعين بهم في كل ما يتعلق بجزيرته، ولكل «داع نقيب» أربعة وعشرون داعيا نصفهم ظاهر ونصفهم مستتر. (انظر محمد كامل حسين: طائفة الإسماعيلية 133، وديوان المؤيد في الدين داعي الدعاة، 55، والقاضي النعمان: افتتاح الدعوة 1 والمقدمة الفرنسية 39، الحاشية 1. وانظر كذلك: رسالة المبدأ والمعاد، ص 12 لابن الوليد، وإيفانوف. Ivanow: Studies in early persian Ismailism, p. 23

حتّى قبُض قدّس الله روحه. واشتغل المنصور (عم) بما كان فيه من أمر الحرب إلى أن أخْمَدَ الله (عج) به نار تلك الفتنة[1] وأزال به المحنة. فكاتب الدّعاة، فاحتاج إلى إثبات داع بتلك[2] الجزيرة وكان لكلا الرجلين اللذَيْن ادّعيا وصيّة الداعي المتوفّى رسولٌ بالحَضْرة أتى من عنـده بكتاب يذكر أنّه وصيّ ويسأل إطلاقه.

43 فقال لي يوماً: من تراه يصلح من هذين الرجلين لهذه/ الجزيرة؟

اتّفـاق الأئمّـة في معـالجـة الأمـور دون سـابـق تشاور.

فقلت: الله ووليّه أعلم.

قال: قل على ذلك.

فتوقّفت واستعفيتُه.

فقال: لا بدّ من أن تقول، وقد قلت أنا في ذلك ولكنّني أردت أن أعلم ما عندك فيه، هل يوافق ما قلتُه أم يخالفه.

فقلت: يُنظِرُني أمير المؤمنين (عم).

فقال: أنْظَرتُك.

فانصرفت فأجلتُ[3] فكري وأدرت نظَري فوقع اختياري على أحدهما، فكتبت اسمَه في رُقعة وجئت بها إليه فوضعتها بين يديه، فقال: ما هذه؟

*ب 11 فقلت: اسم الرجل الذي وقع اختياري عليه. فتركها * مكانها وأخرج رقعة مُدرَجَةً فقال: وفي هذه اسم مَن وقع اختياري أنا عليه منهما. وفتحَهُما/ فإذا
44 اختياره واختياري قد/ وقعا على رجل واحد. فسُررت بذلك وحمِدت الله (تع) عليه.

ثم جئته بعد ذلك فقال: أسرّك موافقتُك إيّايَ في أمر الرّجل؟

قلت: وكيف لا يسرّني موافقة مولاي؟

قال: فأزيدك سروراً؟

(1) . يعني فتنة أبي يزيد.
(2) أ : داعي الجزيرة.
(3) في الأصل: فجوّلت، وأخذنا بقراءة ع 537.

قلت: إن تفضّل أمير المؤمنين (عم).

فأخرج إليّ رقعة فيها توقيع القائم عليه السّلام بخطّه باختيار ذلك الرجل.

وقال: قلّبت كتُبه فمرّت بي على غير تعمّد.

ورأيت الرّقاع الثلاث التي كتب القائم والتي كتب المنصور والتي كتبت أنا كأنّها كُتبت من نسخة واحدة يقابل بعضُها بعضاً. وكان فيها: ادَّعى وصيّة فلان فلانٌ وفلانٌ، فنظرت إلى كتاب كلّ واحد منهما فرأيت أنّ فلاناً أحقُّ بذلك لوجه كذا ووجه كذا/ ، لم يزد ما في رقعة منها على أخرى. 45

(قال) فأدناني المنصور بالله إلى نفسه واعتنقني وضمّني إلى صدره وقبّل صفحة عُنُقِي وألصق خدَّه إليها مدّة طويلة وهو يبكي حتّى بلّـ[ـت] دموعُه أطواقي وبكَيتُ لبكائه. ولا والله ما علمت ما كان معنى ذلك البكاء حتّى قبض (صلع) فعلمت[1] حينئذ أنّ ذلك كان وداعاً منه لي، وأنّه رأى ـ لمّا رآه ـ أنّ في ذلك أجلَه قد قُرب لِمَا رآه انتقل إليّ من التّأييد. لا تكون الحكمة في إمامَين متزامنين.

وليس هذا الذي قاله المعزّ (صلع) بخلاف ما قاله من انتقال ما عند الماضي، وإنّما ينتقل إلى الباقي في آخر دقيقةٍ تبقَى من نفَس الماضي، إنّما ذلك في إكمال الأمر واستحقاق الإمامة/ ووجوب الطاعة، لأنّ ذلك لا يكون في 46
اثنَيْن * باقيَيْن. * ب 12 و

وأمّا الدّلائل والبرَاهينُ والقوّةُ والتأييدُ فإنّها توجد في الحجج في حياة الأئمّة كما ذكر (صلع)، وتزيد حالاً بعد حال إلى وقت الكمال، كلّما قرُب أجَل الإمام تقوّت أسبابُ حجّته وظهرت علاماتُه. ولذلك ما كان من بكاء المنصور(صلع): لمّا نظر إلى المعزّ (صلع) قد وافقَه ووافقَ القائم (عم) علِم أنّ ذلك من قوّة الدلائل، وأنّ أجلَه قد قرب.

وعلى مثل هذا تجري أمورُ أكثر العالَم، لا ينتقل الشّيء إلى الشيء دفعة واحدة ولا يكون ذلك إلاّ على التّدريج والنموّ شيئاً بعد شيء كنموّ الخلق ودخول الفصلَ من/ الزمان في الفصل، حتّى ينقضيَ الشّيءُ من الشّيء ويخلُص بنفسه 47 التغييراتُ في الكون تكون تدريجيّة.

---

(1) ب: ما كان... فعلمت... ساقطة.

/ وَيَتَبَيّن بحالته وينسَخَ ما قبله.

ومن ذلك ما رُوي عن جعفر بن محمد (صلع) أنّه قال: عليّ (صع) عالِم هذه الأمّة ونحن نتوارث علمه، وليس يهلَك منّا هالك حتى يرى مِن أهلِه مَن يعلَم مثلَ علمه (صع).

وفي مثل بكاء المنصور (صلع) لمّا رأى اتّصال المادّة بالمعزّ صلوات الله عليه، قال بعض الحكماء: من سَرَّهُ بنُوه ساءَته نفسُه[1]، يعنون أنّ[ـه] بكمال الولد وزيادتِه يكون نُقصانُ الوالد وانحطاطه. وفي ذلك يقول بعض الشّعراء(رجز):

إذا الرّجالُ ولَدَت أولادُها　　واضطربَتْ من كِبَرٍ أعضَادُها
وجعَلَت علاّتُها تعتَادُها　　فهي زُرُوعٌ قد دنا حَصَادُوها[2]

48 فإذا كان هذا في ظاهر خلق الأبدان وما يداخلها من الزّيادة/ * والنقّصان،
*ب 12 فكيف به في باطن علم الأديان؟!

كلام في مسايرة في استقلال أمر الدّنيا:

المعزّ يشرح معنى عدل الله...

134 ـ (قال) وسمعته(صلع) يقول: إنّ الله سبحانه يعطي الدّنيا من يشاء من أوليائه وعباده المؤمنين وأعدائه الكافرين ويمنعها من يشاء منهم. ولا يعطي الآخرة إلاّ أولياءه المؤمنين من عباده، وإنَّا لنأثُر عن جدّنا محمّد رسول الله (صلع) أنّه قال: لمّا أسْرِيَ بي إلى السماء لقِيتُ ملَكاً نازلاً وملَكاً طالعاً ومعي جبرائيل، فسألتهما عمّا أرسِلا إليه، فقال أحدهما: أرسِلتُ إلى فلان الكافرِ الجبّار وقد اشتهى سمَكاً فلم يُوجَدْ له في الوقت فاستخرجتُ ذلك له ليُكمَل له في

مستدلاً بحديث الملَكيْن...

(1) هذا من أمثال العرب، قاله ضرار بن عمرو الضبي (انظر مجمع الامثال للميداني، 333/2).

(2) نسبهما الجاحظ في الحيوان 6: 506 لأعرابي، وفيه: «وجعلت أسقامها...»،(وانظر: أبو هلال العسكري: الأمثال 246/2). وذكر الطبري (التاريخ 335:5) أن عامل معاوية على المدينة كان إذا أراد أن يُبرِد بريداً إلى معاوية أمر مناديه فنادى: من له حاجة يكتب إلى أمير المؤمنين، فكتب زر بن حبيش أو أيمن بن خريم كتاباً لطيفاً ورمى به في الكتب وفيه الأبيات. فلما وردت الكتب عليه فقرأ هذا الكتاب قال: نعى إليّ نفسي. وانظر فصل الطيّب العشّاش عن أيمن في حوليّات الجامعة التونسية 9[1972] ص 130.

49 الدّنيا لذّته ولئلاّ يكون/ له في الآخرة من نصيب. وقال الآخر: بُعثت إلى عابد مـن العُبّاد وقد طَبَخَ قدراً من عُشْبِ الأرض وبَقْلِها وقد واصل الصّومَ أيّاماً ليُفطِرَ عليها، لأكْفِئَها[1] له لِئَلاّ يُكمِلَ الله (عج) له ما أرادَ من الدّنيا فيكونَ له منها حظٌّ، ليُكمِلَ اللهُ (عج) له حظَّه من الآخرة.

... فإنّ الله ينعم في الدنيا على الصالح والطالح...

ثمّ قال المعزّ(صلع): وقد أعطى الله (عج) سليمانَ بن داود وكثيراً من أوليائه الصالحين من عباده من الدّنيا كثيراً وأعطى كذلك الفراعنةَ والجبابرةَ، وحرمَ كثيراً من أنبيائه وعباده الصّالحين إيّاها، وفعل ذلك بكثير من الكفّار، وذلك من عدله (عج) بين عِباده وحِكمته في خَلقه وقِسطه بين برّيته، لم/ يظلِم 50 المُحسِنَ فيما زوى عنه من الدّنيا ونقص منها عليه إذْ عَوَّضَـه منها ثوابَ الآخرة الذي هو خيرٌ له. بل أحسَنَ * في ذلك وأنعم عليه ولم يَحْرِمِ المُسيءَ شهوَتَه *ب13و إمْلاءً له وإحساناً منه فيها إليه. فكلاهما بنعمته في الدّنيا مخصوص مرعيٌّ وفي الآخرة مُثابٌ مَجزيّ، وله الحجّة البالغةُ والنِّعمة السّابغة على المحسن لنفسه والمُسِيء إليها، والناظر لها والجاني عليها، ولا يظلِم اللهُ النّاس شيئاً كما قال جلّ ثناؤه: ﴿وَلَكِنَّ النَّاس أنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾[2].

... ولكـنّ الآخرة لا ينالها إلاّ الصالحون.

فحديث المَلَكيْن معروف مشهور[3]، ولكنّ الفائدةَ في بيان المعزّ (صلع) إيّاه وإقامة عدل الله (عج) وحكمته فيه. وما أحصي كم مرَّ بي هذا الحديثُ فما 51 أفادَني شيئاً/ حتى سمعتُ بيان المعزّ (صلع) وشرحَه إيّاه هذا.

وفي كتاب الله (عج) ما يشُدّهُ ويؤيّده. [فمـ]ـمّا قال جلّ ثناؤه: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أعْمالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لاَ يُبْخَسُونَ. أولاَئِكَ الذينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ إلاّ النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَا كَانوا يعْمَلونَ﴾[4].

النعمان يؤيّد قول المعزّ بآياتٍ كثيرة من القرآن.

وقال: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ

(1) أكفأ الأناء إكفاء: قلبه ليصبّ ما فيه.

(2) يونس، 44.

(3) حديث الملكين: لم نجده في الكتب الستة. وذكره عباس القمي في سفينة البحار، ج 2 ص 548.

(4) هود، 15 ـ 16.

الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا، وَمَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِن نَصِيبٍ﴾[1].

وقال (عج): ﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ الذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُمْ بِهَا﴾[2].

52 وقوله: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ العَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ/ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلاَهَا مَذْمُوماً مَدْحُوراً. وَمَنْ أَرَادَ الآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ
*ب13 / فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مشكوراً، كُلاًّ نُمِدُّ هَؤُلاَءِ وَهَؤُلاَءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ * وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحظُوراً، انْظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَلَلآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلاً﴾[3].

وكلّ هذا يؤيّدُ قولَ المعزّ (صلع) أنّ ذلك عدلٌ من عدلِ الله (عج) بين خلقه وحِكمةٌ بالغةٌ في عباده وعطاءٌ ونِعمَةٌ منه، كما قال (عج) في كتابه.

وقد جاء عن رسول الله أنّ الله (عج) يُعطي الدّنيا مَن يحبّ ويُبْغِضُ، ولا يعطي الآخرةَ إلاّ مَن يحبّ[4].

وعن عليّ (صع) أنّه قال: الدّنيا عَرَض حاضر يأكل منها البَرّ والفاجرُ
53 / والآخرة وعدٌ صادقٌ لا ينالها إلاّ المطيعُ الشّاكر. ومَطَايِبُ الدّنيا ما زُوي منها عن المؤمن لا يَنكِيهِ كمـا يَنْكِي ذلك الكافرَ.

فما أحصي ما أفادني حديث المعزّ (صع) هذا، من السُّلوان والصبّرِ عن فائت أعراض الدنيا وما يتعرّض فيها من النّكد والتّكديرِ والشّدّة واعتياصِ الأمور، إذا ذكرتُه عند[5] ذلك ونزّلت الأمر فيه تنزيلَه هو (صلع). وكان حظّي من الفائدة بحمد الله في ذلك حظّاً عظيماً، نسأل الله إلْهَامَ الشُّكر والفوائدَ من كلّ أمرٍ.

---

(1) الشورى، 20.
(2) الأحقاف، 20.
(3) الإسراء، 18 ـ 21.
(4) حديث: إن الله يعطي الدنيا... جاء في الجامع الصغير 77 حديث في هذا المعنى: إن الله يعطي الدنيا على نية الآخرة، وأبى أن يعطي الآخرة على نية الدنيا وقال: ضعيف. وجاء في الكافي للكليني (ج 2 ص 214 ـ 215، رقم 1 ـ 4) بلفظ أقرب إلى رواية المجالس.
(5) في أ: إذا ذكرنا عند ذلك...

حديثٌ في مجلسٍ فيه رمز من التّأويل:

135 ــ (قال) وسمعت الإمام المعزّ لدين الله (صع) أمير المؤمنين يوماً في بعض مجالسه يقول: ذكر جدّنا أبو/ جعفر محمد بن عليّ (صلع)[1] يوماً لبعض 54
أصحابه بعض ما خصَّه الله (عج) به من العلم[2].

وذكر ذلك المعزّ (صلع) عنه، قال: فرأى (عم) ممّن حدّثه بذلك ما دلّ على أنّه لم يحتمل ما سمعه منه وكأنّ أنفُسَهُم أنكرَتْه، فقال: إن تُنكرُوا ما قلتُ فمَا هو شيء افتعلته، ولكنّهَا حكمة ورثتُها عن آبائي وفضلٌ خصّني به ربّي أن * علّمني وآبائي من قَبْلِي علمَ كتابِهِ الذي يقول فيه: ﴿مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾[3] وقال فيه: «تِبْيَاناً لِكُلِّ شَيْءٍ»[4]. فما من شيء من الأشياء إلاّ وهو في كتاب الله (عج) ونحن نعلَمُه. *ب14و

الأئمة مخصوصون بالعلم يتوارثُونَه كابراً عن كابرٍ.

قال المعزّ (صلع): أليس قد قال رسول الله (صلع) في القرآن: فيه نَبَأ مَن قبلَكم وخبَرُ مَن بعدَكم؟

قلت: نعم!

قال: فأين / تجدون في الكتاب خبرَ مَن بعدَكم؟ 55

قلت: من عِندِكُم (صلع) نجده.

قال: من عندنـا والله تجدوُنه، وكلَّ ما تطلبون، ما سلّمتُم لأمرنا وتمسّكتُم بحَبْلنا ودِنتم بإمَامَتِنَا.

وهذا الحديث الذي ذكره المعزّ (صلع) معروف مشهور، يروى عن الحارث الأعور[5] قال: دخلت المسجد فأصبت النّاس قد وقعوا في الأحاديث،

---

(1) محمد الباقر: انظر ص 71.
(2) انظر الرأي في أن الذي «يجب قبوله وتعلمه ونقله من العلم هو ما جاء عن الأئمة من آل محمد» في دعائم الإسلام 1/84.
(3) الأنعام، 38.
(4) النحل، 89.
(5) حديث الحارث بن عبد الله: ذكره الترمذي (ج 11ص30) بهذا اللفظ تقريباً، وزاد: لا نعرفه إلا من هذا الوجه، وإسناده مجهول، وفي الحارث مقال. وذكره الدرامي (ج 1 ص 435). =

فأتيت علياً (صلع) فأخبرتُه بذلك.

قال: قد فعلُوها؟!

قلت: نعم!

قال: أما إنّي سمعت رسول الله (صلع) يقول: أما إنّه سيكونُ مِن بعدي فتنةٌ! (قال) قلت: فَما المخرج منها يا رسول الله؟

قال: كتابُ الله (عج): فيه نبأ مَن قبلَكم وخبر مَن بعدكم وحُكم ما بينكم.
56 هو الفصل ليس بالهزل، من تركه/ من جبّار قصمَهُ الله، ومن ابتغى الهدى في غيره أضلّه الله. هو حبل الله المتينُ، وهو ذكرُه الحكيمُ، وهو الصّراط المستقيم. هـو الذي لا تَزيغُ عنه الأهواءُ، ولا تلتبِس به الألسُنُ، ولا تشبَع منه العلماءُ، ولا يخلُق على ردّ ولا تكرارٍ، ولا تنقضي عجائبُه. هو الذي لم تلبَث الجنُّ إذ سمعَتْه أن قالوا: ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآناً عَجَباً﴾[1]. من قال به صدُق ومن عمِل به أجِر، ومن
*ب14 حكم به عَدَل، ومن دعا إليه هُديَ الصّراطَ المستقيمَ، ومن اعتصم * به غنِم. خذها يا أعوَرُ!

وما أدري كم مرّ بي هذا الحديث ولا كم قرأته وكتبته، فلا والله أفكَرت في
57 قوله: وفيه خَبَرُ مَن بَعدَكم، حتّى فتح لي ذلك المعزُّ (صلع)/ .

وهذا حديث قد رواه عامّةُ أصحاب الحديث فينبغي لهم أن يطلُبوا في القرآن خبرَ مَن يأتي مِن بعدهم. فإن لم يجدوه فليسألوا عنه أهلَه/ كما أمرهُمُ الله (عج) بقوله: ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ﴾[2].

وقول المعزّ (صلع): إنّ عندنا علمَ ما يُطلَب، كقول جدّه علي (عم): سَلوني قبل أن تفقدُوني، فوالذي فلقَ الحبّةَ وبرأ النّسمَةَ لا تسألونـ[ـنـ]ـي عن

= والحارث هو الحارث بن عبدالله الأعور الهمداني الكوفي. من كبار علماء التابعين، كان فقيهاً فرضياً، روى عن الإمام علي وابن مسعود وزيد بن ثابت. شهد صفين مع عليّ. وكانت وفاته سنة 65 هـ. (ابن حجر: تهذيب 145/2، الذهبي: ميزان الاعتدال، 202/1).

(1) الجن، 1.

(2) النحل، 43.

علمِ ما كان وما يكُونُ وعن علم ما لا تعلمون إلاّ أخبرتُكُم به، علَّمَنِيه النبيُّ الصّادقُ عن الرّوح الأمينِ عن ربّ العالمين. وكقول جدّه جعفر بن محمّد (صلع): إنّ العلم الذي نزل به آدَمُ (عم) لم يُرفَعْ وإنّه يُتَوَارَثُ وهو/ فينا 58
نتوارَثُه[1].

كلام في مجلس في الحثّ على طلب العلم:

136 ـ (قال) وجلست بين يدي المعزّ (صلع) يوماً مع جماعة من أوليائه فسكت طويلاً وسكتنا، ثم رفع رأسه ونظر إلينا، فقال: ما لكم سكتّم هذا السّكوت؟! أحَصَرْنَاكُمْ؟![2] ألا تَسْألُونَنا عمّا تنتفِعُونَ به؟ سلُونا عن أمر دينِكم ولا تتهيّبُوا أن تسألُوا، فإنّ عندنا لكلّ ما تريدون جواباً كافياً وعلماً شافياً. إنّ أصحاب رسول الله (صلع) كانوا ربّما يتهيّبُون أن يسألُوه، وكان الأعرابُ يرِدون عليه ولا يرجِعُون عن السّؤال عن كلّ ما عرَض لهم. وكان أصحاب * *ب15و
رسول الله (صلع) يتمنَّوْن أن يأتيَ منهم من يسألُ بحضرتِهم ليسمَعُوا الجوابَ/ . 59

الصحابة كانوا يتهيّبون سؤال الرسول (ص).

فقلت: ألا أكون أنا أحد أولئك الأعراب يا أمير المؤمنين؟

فتبسّم وقال: نعم، فكن إن شئتِ!

فقلت: قد بلَغنا أنّ بعضَهم سأل رسول الله (صلع) فقال: يا رسول الله، عَلِّمْنِي عمَلاً يُدخلُني الجنّةَ. فأنا أقول: علّمنا ذلك يا أميرَ المؤمنين/ مـ[ـمّا] لا غَناء بنا عن عِلمه ـ وإن جهِلْنَا سؤالَه ـ وما يُرضيكَ ويُرضي اللهَ عنّا لنحظَى به وبعِلْمِه.

فقال (صلع): نعم، أخلصوا قلوبكم ونيّاتِكم، واعملوا بما افترضَ الله لنا عليكم بمبلغِ طاقتِكم.

نصائح المعزّ لأوليائه.

لينظُرْ أحدُكم ما يحبُّه لنفسه، هل يحبُّ لها أن تكون على خير وهدى؟

لينظر أحدكم ما يحبّه من ولده، هل يريد منه إلاّ أن يكون عفيفاً/ صالحاً برّاً 60
تقيّا ورِعاً عالماً؟

(1) في توارث العلم بين الأئمة، انظر ص 127.

(2) أ: أحصرتكم. وحصره: أخجله وأفحمه فلم يقدر على الكلام.

لينظُر أحدُكم ما يُريده من عبْدِه، هل يريدُ منه إلاّ أن يكون أميناً مطيعاً مجتهداً؟

فهذا مرادي فيكم وبه تبلُغون رضى الله ورضانا عنكم.

فنظرت فيما قال (صلع) من هذا القول فوجدته جامعاً لوجوه الخير كلّها، ورأيت أنّه قلّ من يقوم به.

فقلت: يا مولانا، وإن قصّرتْ بنا أعمالُنا؟ فإنّا نرجو بلوغَ رضاك بعفوِك ونِعمتك وإحسانك وفضلِك وتغمّدك. وإنّا إن أتيناك فاستغفَرْنَا الله واستغفرتَ لنا، [نرجو] أن نكونَ كما قال الله (عج): ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاؤُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللهَ تَوَّاباً رَحِيماً﴾[1].

61 وأنت / خلَف رسول الله (صلع) فينا ومفزَعُنا لاستغفارنا * من ذنوبنا *ب15
وتقصيرنا وظلمنا لأنفسنا.

الأئمة شفعاء لأصحابهم إذا صحّحوا نيّاتهم.

فقال: ذلك يكون مع ما قدّمْنا من تصحيح النيّات، وإلاّ فقد أخبَرَك الله (عج) عن قومٍ سألوا رسول الله (صلع) أن يستغفرَ لهم عن غير نيّةٍ فلم يَغْفِرْ لهم، فقال: ﴿سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الأَعْرَابِ: شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا فَاسْتَغْفِرْ لَنَا يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ...﴾ الآية[2].

قلتُ: قد يعلَمُ الطبيبُ من حال العليلِ ما لا يعلمُه العليلُ من نفسه، ومولانا أعلمُ بدائنا ودوائنا.

قال: أجَل، إنّ العليل إذا قبِل عن الطبيب ما يأمُره من أخذ الغِذاء والدَّواء
62 شُفِيَ بإذن الله، وإن / خالف هَلَكَ. فأنتم إن قبِلتم منّا سعِدتم ونَجَوْتم وصرتم إلى الرّاحة الطّويلة والبقاء الدّائم، وإن خالفتُمُونا أهلَكْتُم أنفسَكم بخلافنا.

فقال بعض من حضر: فضل مولانا ورحمتُه يسعُنا وما نرجو غيرَ ذلك.

فقال: إنّ الله (عج) يقول: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ

(1) النساء، 64.
(2) الفتح، 11.

يَتَّقُونَ﴾[1]. فمن اتّقى منكم فَلْيَرْجُ رَحْمَتَهُ.

وفـي مثـل ذلـك:

(قال) وانقبض (صع) عن الأولياء بعضَ الانقباض، وجرى ذكر ذلك
63 فاسترحمتُه واسترفَقْتُه واستعطفْتُه، فقال (عم): والله ما هم بأرغَـب منّي في
صلاحهم وبلوغهم نهايةَ آمالهم، ولكنّي لم أجد منهم من ذلك ما أردتُه، ولو
وجدته فيهم لوجدوا عندي خيرَ الدّنيا/ والآخرة. ولقد أقبلت فما أقبَلوا ودعوتُ 63
فما أجابوا. فما كنتَ أنت صانعاً بولَدِك لو أسلَمْتَهُ إلى المكتب فترَكه وأقبل على
اللّعِب بالكلاب؟

بعض الأولياء لا يُقبلـون على الحكمة فيغضب المرء عليهم.

قلت: كنت أجهِدُ نفسي في تقويمه وتعليمه ولا أدعُه لاختياره.

فقال: إلى متى؟ وهل لذلك من غاية؟ هيهات! ما لمن لا يُقْبِلُ على
الموعظة * في الوعظ من نهاية. *ب 16 و

كلام في مجلس في غَمْط النّعمة:

137 ــ (قال) وسمعته(صلع) وقد أُتِيَ برأس يعلى بن محمّد بن صالح[2]
ورأس أخيه، فوُضِعا بين يديه، فقال: هذا ممّن قال الله فيه: ﴿أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ
64 كَلِمَةُ العَذَابِ أَفَأَنْـتَ تُنْقِذُ مَنْ فِي النَّارِ﴾[3]؟. قد صنعنا به ما قد علمتوه، أعطيناه
من سلطان الله (عج) الذي أعطاناه/ ، وملّكناه وخوّلْناهُ وأعزَزْناه، وكان رأيُنا فيه 64
العفو والصّفح عمّا يبلُغُنا عنه من غمط النّعمة وكُفر الإحسان ما ظهر بالطّاعة،
فأبى الله (عج) لنا من أن نقرّ على المكروه والضّيْم، فأبدى عليه ما أبطنَه وأظهر ما
أسرَّه وعجّل منه انتقامَهَ وسلبَه نِعمتَه كعادته عندنا فيمن كان كأمثاله.

مقتـل يعلى بـن محمـد أمير تاهرت.

(1) الأعراف، 156.

(2) أمير تاهرت وإفكان وطنجة. كان متمسكاً بدعوة بني أمية، وقتله القائد جوهر سنة 347 هـ (انظر ابن خلدون: العبر 4/46، وابن الخطيب: أعمال الاعلام 3/164، وابن عذاري: البيان 2/222 والناصري: الاستقصاء 1/198).

(3) الزمر، 19.

كلام في فضل الطّاعة جرى في مجلس:

المعزّ يحرّض أوليـاءه على الطاعة.

138 ــ (قال) وسمعته(صلع) يوما وقد دخل إليه جماعة من الأولياء والعبيد ورجال المملكة، فأوصاهم بوصايا كان فيما حفظتُه منها أن قال لهم: السعيدُ والله منكم مَن امتثل أمرنا وقبِل عنّا. والله ما هو إلاّ أن يأخذ المرء نفسه
65/ ويروّضَها قليلاً على طاعتنا والعملِ بما يُرضينا، /فما أيسَرَ ما ينالُه من ذلك حتّى ينالَ خيرَ الدّنيا والآخرة. إن الله (عج) قد وصل أيّامَ سُلطاننا وظهور أمرنا بأيّام الآخرة، فمن أحسَنَ منكُم فيها اتّصلَتْ له سعادةُ الدّنيا بسعادة الآخرة واجتمع له خيرُهُما، ومن غلَبت عليه شهوةُ عاجلِ الدّنيا حتّى يخالفَ أمرنا ويعتاضَ منه حُطاماً قليلاً خسِر الدّنيا والآخرةَ. ذلك هو الخُسران المبين، حسبُكم
*ب16 وصيّةً عنّا ما تشاهدُونه منّا * فاقتَدُوا بنا واقتَفُوا أثرنا. واللهِ لو لم تجِب طاعتُنا واتّباعُ أمرِنا عليكم إلاّ بإحساننا في أمور الدّنيا إليكم، لكانَ من الواجب الوفاءُ لنا منكم وأن تكافِئُونا بإحساننا إليكم. فكيفَ وقد جمعَ اللهُ لكم بنـا خيرَ الدّنيا
66 والآخرة؟ / والله إنّ الرّجلَ المتمسّكَ بشيء من المُروءة والأدبِ ليكونُ له الصدّيق والصّاحب يأمره بالأمر فلا يرى مخالفَة أمره. ويُكلّفُه الحاجة فيبذُل فيها مجهوده، فكيفَ من يعتقِدُ إمامَتَنا ويعرِفُ فَرْضَ طاعَتِنا!

حديث في الإمامة جرى في مجلس:

139 ــ (قال) وسمعته(صلع) ذكر داعياً من دعاته بالمشرق فأثنى عليه خيراً، وقال: لمّا اخترناه للموضع الذي هو به قال بعض من أراد الطّعنَ عليه: إنّه ليس بالبارع في العلم. فقلت: ذلك الذي أوجبَ اختيارَه ليعلَمَ هُو ومن كان قد عرفه قبلَ أن يصلَ فضلُنا إليه إذ هو وصل، كيف يكون تأثيره فيه، وما يرى من
67 مادّتنا عنده وما/ يظهر من النّور فيه عند اتّصال أمرنا به، فيكون في ذلك المعجِزُ الباهرُ لنا.

(قال) فكذلك كان بحمد الله.

لا علمَ إلاّ علم الأئمة.

ثمّ قال(عم): وماذا عسى أن يدّعيَ مدّع شيئا من العلم إلاّ ما قد أثَره عن آبائنا وأسلافنا بوسائط بينه وبينهم من أوليائنا[1] وعبيدنا. أثبتُهم حديثا وأصدقُهم

(1) ب: سقط: وأسلافنا... أوليائنا.

لهجةَ مَن يعبّر عن المعنى الذي يحتمل التأويل والزيادة والنقّص عند التّحصيل[1]، فذلك أفضل أم من نُمِدّه بالهداية والفوائد والحكمة؟

وأبعد النّاس والله من العلم وأقربهم من الجهل من تعاطى علماً لم * يثبّته عنّا وادّعى حكمةً لم يأخذها منّا، وما أكثرَ ما هلك من خالفنا إلاّ بإعجابهم بأنفسهم/ وأنَفَتهم أن يسألونا كما أمرهم الله (عج) في القرآن المبين إذ قال: ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ﴾[2]، فلم يفعلوا واتّبعوا أهواءَهم واستعملوا آراءهم فأضلّوا كثيراً وضلّوا عن سواء السّبيل. *ب17و 68

كلام في مجلس في ذكر أهل البغي والفساد:

140 ــ (قال) وسمعته(صلع) يقول يوماً وقد ذكر أهل البغي الذين نجموا في أيّام القائم، وقَتَلَهُم المنصورُ صلّى الله عليهما وأحرقَهم بعد القتل، بالنار. جماعة من المتمردّين قتلهم المنصور...

فقال المعزّ (صلع) عند ذلك لجماعة بين يديه: ما تقولون فيهم وفي حالهم في عصر القائم وفيما صنع المنصور (صلع) بهم؟

قالوا: وما عسى أن نقول في ذلك وهو فعل إمامَيْن؟

قال: فما يقول النّاس فيه؟ أترون أنّ/ القائم (صلع) قبِل فيهم ما قالوه فقَتل مَن قَتل وعاقب من عاقب، ثمّ رأى المنصور (صلع) أنّ ذلك باطل وظلم، فقتلهم بهِم، وفي ظاهر ذلك إنكار فعل القائم (عم) وتغيير أمره؟ 69

قالوا: قول النّاس في ذلك يختلف بقدر اختلاف أهوائهم.

فقال: أما إنّي والله لقد قلت في ذلك قولاً بحضرة المنصور (صلع) وقد جرى عنده ذكر ذلك وبحضرته جماعة، فجعلوا يشكرون له فعلَه فيهم ويصفون ما كان منهم ومن ابتليَ بأسبابهم حتّى لم يبقَ لهم إلاّ أن يجرّدوا القول بظلم القائم (صلع)، وإن كان في فحوى قولهم ما أوجب ذلك في اعتقادهم لما * أبدوه من قولهم. ظنّ النّاس أنّهم قتلوا ظلماً... *ب17

---

(1) ب: عند التمحيص.
(2) النحل، 43.

70 فضاق لذلك صدري وقلت فيه/ للقوم قولاً غليظاً بيّنتُ لهم فيه خطأ ما كان منهم، فابتهج لذلك المنصور (صلع) وقرّبني إليه وضمّني إلى صدره وقبّل بين عينيّ وقال: وفّيْتَ للقائم (صلع) لما كان يخصّك به من المحبّة ويؤثرك به من القرب منه والاختصاص به.

... فرفع المعزّ التهمة عن المنصور وعن القائم وبرّر قتلهم.

فقلت: إن رأي أمير المؤمنين أن يكشف لهؤلاء القول في ذلك ويبيّنَ لهم حقيقة معناه ليعلموا ذلك، فعله.

فأطرق مليّاً وتنفّس الصّعداء ثمّ قال: والله ما كانت الجناية يومئذ من أولئك القوم السَّوء إلاّ عليه ولا كان المُمتَحَن غيرَه، لما كانوا يوردونه عليه ويرفعون إليه
71 ممّا لا يسَعُه تركه ولا إهماله ولا الإغضاءُ عنه دون الوقوف على حقيقة /أمره وصِدقه من كَذبِهِ. والله ما عاقب أحداً بقول أحد من هؤلاء وإن رفعوا ما رفعوه، ولا عاقب من عاقب إلاّ بقول قوم كانت لهم وَلاية واختصاصٌ، وكان يأخذ بهم قبل ذلك ويعطي ويثيب ويجْزي من بعد أن راجعهم في ذلك وحذّرهم إثْمَه وتأكّد عليهم في ذلك وناشدهم الله له إذا كان ما رفعه هؤلاء على سبيل شبهة. وما لم يكن لمن ارتضاه قطعُ القول فيه ـ وهو أكثر ما رفعه هؤلاء ـ أبقاه وأوقفه إلى أن ينظرَ فيه. وما عاقب إلاّ القليلَ بعد استفراغ المجهود في الكشف والبيان، وأبقى ما أبقاه إلى أن أفضى أمر ذلك إليّ فاتّضح عندي ما اتّضح، وصحّ ما صحّ،
و 72 ووجب لديّ /ما * فعلتُه. فأمضيتُ ذلك الفعل فأطلقتُ بعضاً ببراءتهم، وبعضاً *ب 17
يشُبهَة رأيتُ سَتْـر الأمر فيها عليهم، وبعضاً بالعفو عنهم حسب ما أوجبه الزّمان والوقت، ولو[1] مُدّ في أيّام القائِم (صلع) إلى ذلك العصر لم يَعْدُ ذلك الفعل.

ثمّ قال المعزّ (صلع): فالقائم والمنصور صلوات الله عليهما في ذلك كنفس واحدة وأمرهما فيه متّصلٍ غير منقطع، كما أنّ الإمام الواحد يرتضي حال الرجُلِ مِن رجاله فيستعمله ويولّيه ويقرّبه ويخصّه ويدنيه، ثمّ يبِينُ له بعدَ ذلك ما يوجب عزلَهُ وإبعادَه فيُبعِدُه ويُقصيه ويَعْزِله، وربّما استحقّ عنده القتلَ فيقتُله، وربّما
73 تمادى رضاه عنه ولم يتبيّنْ/ له ما يُوجبُ سُخطَه عليه أيّامَ حياته، ويتبيّنُ ذلك

(1) أ : وكما لو . . .
ب: كما لو . . .

للإمام الذي يأتي من بعده فيفعل ذلك فيه، وكلاهُما على هـدى من الله وصواب وتوفيق وإرشادٍ.

فعلى مثل هذا جرى أمر هؤلاء، لا على أنّ القائم بأمر الله (صلع) فعل فعلاً أنكره المنصورُ فغيّره. ولكنّه تبيّن له ما كان القائم بأمر الله (عم) أوقف [من] ذلك الأمر إلى أن يتبيّن له ما تبيّن لِلمنصور (عم) فأمضاه على مَا لَوْ تبيّنَهُ القائمُ لم يَعْدُ فِعلَه. وقد قال الله (عج): ﴿يَا أَيُّهَا الذِينَ آمَنُوا إنْ جَاءَكُمْ فاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْماً بِجَهَالَةٍ فَتُصْبحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾[1] ولم تجب عقوبة القوم اوّلاً فيما رفعوه ولا عقوبة من رفعوا فيه دون البيان الذي أمر/ الله (عج) به. 74

لا مخالفة من المنصور لحكم القائم.

ثمّ قال المعزّ (صلع): والواجب في مثل هذا على العباد التّسليم لأولياء الله وترك * الاعتراضِ فيه عليهم والإنكارِ لفعلهم، إذ كلّ فعلهم حكمة/ وصواب *ب18و فيما عرفه العباد أو جهلوه، ورضُوه أو كرهوه، لأنّ أفعالهم بأمر الله سبحانَه وتعالى، كما أنّ الله تبارك اسمه يُحيي ويُميتُ ويُصِحُّ ويُسقم ويغني ويفقر ويُعزُّ ويُذلُّ ويرفع ويضَعُ. وذلك كلّه منه (عج) حكمة بالغة وعدل وصواب، ﴿لاَ يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾[2] كما قال وهو أصدق القائلين.

وكذلك ما يجريه على أيدي أوليائه هو أمر من أمر الله[3] وحكمة من حكمتهِ وعدل على عباده.

75 وليس تتغاير أفعال أولياء الله ولا تختلف وإن / اختلف ظاهرها في العيان. لأن لكلّ حكم منها وقتاً وزماناً لا يصلُحُ إلاّ عليه ولا يستقيم إلاّ به. وذلك كلّه صواب وحكمة، وإن رآه النّـاس تغايراً واختلافاً.

---

(1) الحجرات، 6.
(2) الأنبياء، 23.
(3) أ: من أمره.

الجزء الثالث عشر

[بسم الله الرحمن الرحيم][1]

كلام ذكر في مجلس في اختلاف ظاهر طباع الأئمّة (صلع):

141 ــ قال القاضي النّعنان بن محمد: سمعت الإمام المعزّ لدين الله صلوات الله عليه يذكر اختلاف أحوال الأئمّة فيما يراه النّاس في الضبط والكفاية والقيام بأمور الأمّة، فقال: إنّ الله (عج) * قد فرّق من ذلك بين أحوال النبيّين *ب19و فقال وهو أصدق القائلين لنبيّه محمد سيّد المرسلين ﷺ/ : ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ 76 أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ﴾[2] فأخبره أنّ[ـه] مِن رسلِه أولي العزم[3]، وقال: ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِنْ قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْماً﴾[4]، وذكر قصّة يونس (عم) وأنّه ضاق ذرعاً بما حُمّلَه من الرسالة وذهب مغاضباً. وأنبياء الله على ذلك في درجة النبوّة والمنزلة من الله (عج).

الأئمّة مثل الأنبياء يتفاوتون في الكفاءة...

وكذلك الأئمّة صلوات الله عليهم منهم ذو عزم وحزم، ومنهم أولو رأفة ورحمة، ومنهم ذو جلَد وصبر، ومنهم من لا يحتمل شدّة الأمر. وكلّ واحد منهم يصلح لزمانه ويحسن لمكانه لأنّ الله (عج) هو الذي اختارهم وأقامهم وجعل كلّ إمام منهم حجّةً على أهل عصره وقائماً فيهم بأمره.

...والصبر وحسن التدبير.

(1) ب: قبل البسملة، كتبت هذه العبارة: الجزء الثالث عشر من الأجزاء المؤلفة من كتاب المجالس والمسايرة (كذا) لسيدنا قاضي القضاة النعمان بن محمد.
(2) الأحقاف، 35.
(3) أ: فأخبره من رسهل أولو العزم.
ب: فأخبره أن من رسله أولو العزم.
(4) طه، 115.

77 ثمّ ذكر (صلع) ما امتحن/ الله (عج) به القائم (عم) من فساد أهل زمانه وما كان من أمر الفتنة في أيّامه، وصبرَه على ذلك واحتماله (عم) ما حُمِّله واستضلاعه به (صلع) ورحمتَه[1].

كلام ذكر في مجلس في القرب والبعد:

يكون القرب من الأئمّة بحسب صالح الأعمال.

142 ـ (قال) وسمعته (صلع) يقول: كم من قريب منّي يراه النّاس أخصَّ النّاس بي وهو أبعدهم منّي، وشاسع عنّي بعيد هو أقرب إليَّ من حبل الوريد. فمن أراد أن يعلم مَن قُرب منّي ممَّن بعُد فلينظر إلى أحواله وأعماله. فوالله لا يقرب منّي إلاّ من قرّبَتْه أعمالُه[2] الصّالحةُ ولو كان في أطراف الأرض، ولا يبعد
78 *ب19 منّي إلاّ من باعدته قبائحُ أعماله ولو كان تحتَ سريري هذا. القريب والله/ منّي في الدّنيا من جمعه معي رضوان الله في الآخرة، والبعيد من باعده عنّي سخطُ الله في الآخرة. فمن شاء أن يغترّ به لما يرى من قربه وهو على خلا[فه، فـ]ـما يرضاه الله (عج) منه[3].

كلام ذكر في مجلس في فساد أحوال أكثر النّاس[4]:

حيرة المعزّ بين واجِبَيِ الحلم والحزم.

/143 ـ (قال) وذكر (صلع) فساد أكثر النّاس وما يحاوله من ذلك، فقال: إن نحن حلُمنا عن زلاّتهم وسيّئاتهم لم يحتشموا وظنّوا أنّهم على صواب في أفعالهم، وإن نحن أبدَيْنَاها لهم ولم نُعاقِبهم عليها كان ذلك ذريعةً لهم إليها. والله المستعان على ما نحاوله من أمورهم.

كلام جرى في مجلس في ذمّ بني أميّة:

79 144 ـ (قال) وسمعته (صلع)/ يوماً يقول: بلغني أنّ هؤلاء اللعناء بني أميّة يلعنوننا على منابرهم بالأندلس. وقديماً ما فعل ذلك اللّعناء آباؤهم وكانوا

(1) في النسختين: ورحمته كما أثبتنا، ولا صلة لها بالسياق، ولعلها بقية دعاء معطوفة على (صلع).
(2) ب: فمن أراد أن من قرب مني إلا من قربته أعماله...
(3) أ : فمن شاء أن يغتر بمن شاء أن يغتر به... والقراءة بعد ظنية.
(4) ب: أحوال الناس.

يلعَنون عليّاً (صلع) على منابرهم فما زاده الله (عج) بذلك عنده وعند الخلق إلاّ رفعةً ولا زادهم إلاّ عاراً ونقيصةً. إنّما أراد الفَسَقَةُ بذلك، الانتصار لأسلافهم لعناء رسول الله (صلع)وطردائه ولولا ما ظاهَرُوا النّاس به من انتحال الإسلام لم يقتصروا في ذلك علينا ولأبدوه في رسول الله (صلع).

الروانيّون يلعنون الفاطميّين على منابرهم بالأندلس...

ولن يعدوَ لعنُهم إيّانا أمرَيْن: إمّا أن ينسبونا إلى نَسَبِنا من رسول الله (صلع) عند لعنهم إيّانا، فكفاهم بذلك خِزياً عند الله وعند عباده *. وإمّا/ أن ينسِبُونا إلى غير أنسابنا فيصرف الله ذلك عنّا كما قال رسول الله (صلع) فيما كان أسلافهم يتناولونه به قبل أن يُمَكِّنه الله (عج) منهم، فكانوا يسمُّونه مُذَمَّماً ويسُبُّونه. فقال: أما ترون ما صرف الله عنّي من شرّ هؤلاء؟ يسبّون مذمّماً ولست به[1]؟.

*ب 20 و 80

ثمّ قال: وإنّما اللّعن في اللّغة الطّرد. فهم طرداء رسول الله (صلع) لا يدفعون ذلـك ولا يُنكرونَه، هم ولا من انتصر لهم. فهم أهل اللّعنة من الله ومن رسوله.

ثمّ قال: والله إنّ في أنسابهم لمقالاً واتّساعاً للطّعن ومجالاً، ولكنّهم لو نُسِبوا إلى القردة والخنازير لكانوا أفضَلَ ممّن نُسبُوا إليه: عبد الملك بن مروان اللّعين ابن اللعينَيْن الطّريد ابن الطريدَيْن، /لعن رسول الله (صلع) جدَّه الحكمَ 81 وأباه مروان اللّعين في صلبه ونفاه عن حرمه، فلم يزل ومروانَ منفيَّيْن حياةَ رسول الله (صلع) وحياة القائمَيْن مِن بعده إلى أن ردّهما عثمان. وكان ذلك من أعظم ما نقم النّاس عليه واستحلّوا قتله من أجله. ونفى رسول الله (صلع) جدّه لأمّه معاوية بن مغيرة بن أبي العاص بن أميّة فتخلّف فأمر عليّاً صلوات الله عليه فضرب عنقه، فهذه أصولهم التي ادّعَوها وأنسابهم التـي انتسبوا إليها فكفاهم عاراً وخزياً ونقيصة بها، فما يضعهم واضع يريد ضَعَتَهم بمثلها ولا يُنقِصهم بأنقصَ منها.

...فيذكر المعزّ بأنّ اللعنة فيهم قديمة منذ أن نفاهم الرسول (ص).

---

(1) حديث: يسبّون مذمّماً: ورد عند البخاري ج 4 ص 225 وابن حنبل 2/244 رقم 7327 على هذه الصورة: ألا تعجبون كيف يصرف عنّي شتم قريش؟ يشتمون مذمماً، ويلعنون مذمّماً، وأنا محمد!.

قول في قبول الموعظة:

82 145 ــ (قال) * وذكرت للإمام المعزّ/ لدين الله (صلع) يوماً ما يتفاوض النّاس فيه ممّا يأثرون عنه ويسمعون منه من المواعظ والحكَم في خطبه ومواقفه ومخاطباته ومواعظه وما دُوّن من ذلك وكتب[1]. فقال: ما يَرْوُون بحمد الله من ذلك عنّا ويسمعَون منّا إلاّ ما يرضاه الله (عج) ويتقبّله إن شاء الله. وما نريد بما نقوله لهم ونُثبّتُه فيهم، و[ما] نبتغي به إلاّ وجه الله، ونحبّ به صلاحهم وسعادتهم في دنياهم وآخرتهم. فإن قبلوا عنّا ما يسمعونه منّا فقد فازوا بذلك، وإن يُعرِضُوا عنه فما علينا إلاّ النّصيحة لهم والبلاغ إليهم. وهم بحمد الله في عصرنا أمثلُ منهم في غيره لما منّ الله به عليهم من إقبالنَا عليْهِمْ. ونسأل الله

83 توفيقهم لما يرضيه/ ويرضينا عنهم.

إقبال الناس على خطب المعزّ ومواعظه.

وفي مثل ذلك:

146 ــ (قال) وسمعته قبل ذلك يقول (عم): سمعت المنصور بالله (صلع) يقول: قد كنت أحبّ أن لو أثَر النّاس عنّا ما نقول ووَعَوْه وكتبوه، فإنّ ذلك ممّا كان ينفَعُهم ومَن يأتي من بعدهم.

قال: وذكر رجلاً من ذوي الفهم بعلوم الدّنيا وآدابها وأخبارها قد صحِبَ

---

(1) خطب المعزّ ومخاطباته ومواعظه إلخ. من الجزء الذي صنّفه كلّ من إيڤانوف في دليل الأدب الإسماعيلي ص 31: Ivanow: Isma'ili Literature وإسماعيل قربان بوناوالا في البيبليوغرافيا الإسماعيليّة ص 68 ــ 70 I.K. Poonawala: Bibliograhy of Isma'ili Literature. تبيّن أن الكتب المنسوبة إلى المعزّ تبلغ تسعة عناوين، على شكّ في صحّة النسبة إلى الخليفة الرابع، وإمكان الخلط مع كتب للنعمان.

وممّا يناسب كلام النعمان هنا من هٰذه العناوين:

1 ــ المناجاة والأدعية، نَشَرَ قسماً منها Stanislas Guyard.

2 ــ الرسالة المسيحيّة نشرها L. Massignon.

3 ــ سجلّ المعزّ إلى جَلَم أو حَلَم بن شيبان، نشر S.M.Stern وأيضاً Ivanow.

4 ــ أدعية الأيّام السبعة نشرها زاهد علي في كتاب: المذهب الإسماعيليّ، ولعلّه هو كتاب الروضة المنسوب إلى غير واحد.

5 ــ رسالة إلى الحسن القرمطي: نقلها المقريزي في اتّعاظ الحنفاء.

المهديّ والقائم (صلع) مدّة أيّام سلطانهما وفي خدمتهما وكان خصيصاً بهما قريباً منهُمَا، ثمّ كبُرت سنّه وخرق وثقُل وضعُف في أيّام المنصور (صلع)، فأهدى إليه كتباً جمعها وألّفها في الأخبار عن سِيَر بني أميّة وبني العبّاس وأخبارهم وما جاء عنهم من روايات المخالفين لنا والصادّين عنّا وعن أمرنا/ . فعجبت لرجل صحب
من الأئمّة (صلع) مَن صحب وقرُب منهم كمثل ما قرب أكثرَ أيّام حياته وعامّةَ 84
* عمره، لم يوفّق إلى جمع شيء ممّا سمعه من حكمة جرت على ألسنتهم، أو ب 21 و
علم علِمه عنهم، فيخلّد ويُؤثَر عنه ويكتب ويسمع منه، مكانَ هذا الذي جمعه ورأى أنّه أتحَفَنا به.

بعض المقرّبين يؤلف في سيرة بني أميّة وبني العبّاس، ولا يؤلف في سيرَ الأئمّة

وهذا ممّا ذكره المعزّ (صلع)، في الحديث الذي قبل هذا: أنّ الناس في عصره بحمد الله أمثل منهم في غيره[1] إذ هم يأثرون ويرغبون ويكتبون.

كلام في الموعظة جرى/ في مجلس[2]:

147 ــ (قال) وسمعته (صلع) يوماً ذكر قولاً لبعض المخالفين فقال: لولا أن يُحمَلَ القولُ عنّا لَما كان ينبغي أن يُحتَجَّ على مثل هؤلاء إلاّ بكذا وكذا ـ وذكر قولاً لبعض المخالفين أيضاً ـ (قال) لأنّ هؤلاء لا يكادون يفقهون قولَ أهل الحقّ
وإنّما/ يقرب من عقولهم ما شاكلها من قول المُبطلين مثلهم. 85

لولا يضطرّ العاقل أحياناً إلى مخاطبة الأغبياء بمثل غباوتهم.

قد كان[3] بعض الحكماء المتقدّمين عرض له مثل هذا من قوم لم يرَهم يفقهون إلاّ ما قارب عقولَهم فخاطبَهم من حيث يعقِلون بما ليس هو من وجه الصّواب عنده. فحُمِل عنه ذلك وأضيف إليه إلى أن صار يعتذر منه إلى من يفهَمُ ويبيّنُ الوجهَ فيه لمن يعلَم. فما الحيلة فيمن لا يفهم قول الحقّ، وإن خوطب بغيره عاد ذلك وبالاً على من يخاطبه به؟ إنّ هؤلاء ﴿إلاّ كَالأنْعَامِ﴾ كما قال الله (عج) ﴿بَلْ هُمْ أضَلُّ سَبِيلاً﴾[4].

---

(1) «في الحديث... في غيره»: ساقطة من أ، والحديث المشار إليه هو مضمون الفقرة السابقة.
(2) ب وس 83: كلام في مخاطبة الجهال.
(3) ب: ولكن قد كان.
(4) الفرقان، 44.

كلام في الروح جرى في مجلس:

148 ــ (قال) وسألته (عم) عن الحديث الذي يروى عن رسول
86 الله (صلع)/ أنّه وقف على القَليب[1] يوم بدر وقد رُمِي فيه من قُتِل من قادات
*ب21 المشركين يومئذ، فقال: يا عتبةُ بنَ ربيعة[2] يا شيبةُ بنَ ربيعة[2] يا فلان * يا فلان، ـ فذكرهم بأسمائهم ـ هل وجدتُم ما وعد ربُّكم حقّاً؟ فإنّي وجدت ما وعد ربّي حقّاً.

مخاطبة الرسول (ص) لقتلى المشركين يوم بدر...

فقيل له: يا رسولَ الله (صلع)، تكلّم جِيَفاً خاوية؟

فقال: ما أنتمْ بأسمعَ منهم، ولو أذِنَ لهم في الجواب لأجابوا.

تدفع النعمان إلى سؤال المعزّ عن مصير الأرواح...

فقلت: إنّ فريقاً من العامّة احتجّوا بهذا الحديث في بقاء الأرواح/ وأنّها تكون بعد خروجها من الأبدان قائمةً تُثَابُ وتُعَاقَبُ إلى أن يبعث الله الخلقَ فتعودُ إلى الأبدان كما كانت. واحتجّوا بقول الله (عج): ﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا
87 وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾[3] وبالأخبار/ في عذاب القبر وغير ذلك.

وقال آخرون: مخاطبة رسول الله (صلع) لأهل القَليب وقوله للذين سألوه عن ذلك: ما أنتم بأسمَعَ منهم، شيءٌ خصّه اللهُ به في هؤلاء خاصّة فأسمعَهُم قولَه بعد الموت كما سمع قولَ عيسى مَن أحياه. فأمّا الأرواح فإنّها تفنى[4] بخروجها من الأبدان كما تفنى الأبدان، ثمّ يعيدها الله (عج) في النّشأة الآخرة كما قال.

---

(1) القليب ج قلب وأقلبة، البئر قلب ترابها، وحديث القليب يروى في سيرة ابن هشام (ج ص 638 ـ 640) بهذا اللفظ تقريباً مع أبيات حسان بعد وقعة بدر، ومنها (وافر):

يناديهم رسول الله لمّا قذفناهم كباكب في القليب:
ألم تجدوا كلامي كان حقّاً، وأمر الله يأخذ بالقلوب؟

(2) عتبة وشيبة، ابنا ربيعة، من بني أمية بن عبد شمس، قتلا يوم بدر، الأول قتله عبيدة بن الحارث، والثاني قتله حمزة ن عبد المطلب (انظر المعارف لابن قتيبة، 156 وطبقات ابن سعد، 2/16 ـ 17).

(3) غافر، 46.

(4) أ: لا تفنى.

واحتجّوا بقوله: ﴿[و]مَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ فِي الْقُبُورِ﴾[1] وبغير ذلك مثل قوله: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾[2]، وقوله: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلاَّ وَجْهَهُ﴾[3] وقوله: ﴿كلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾[4].

. . . فيرجىء الجوابَ. . .

فقال المعزّ (صلع): في الرّوح كلام جليل يحتاج إلى شرح طويلٍ وأصلٍ يؤصّل له/ وفروعٍ تتفرّعُ منه في ابتدائه وانتهائه وانتقاله، سوف تسمعونه إن شاء 88 الله.

وأمّا ما سألتَ عنه من قول رسول الله (صلع) لأهل القليب، فإنّه لم يُرِدْ به خطاب أولاَئِك الموتى، فإنّهم * قد عايَنُوا ما صاروا إليه، وكان قوله: هل *ب22و وجدْتُم ما وعدَ ربّكم حقّاً، استفهاماً. فكيف يَسْتَفْهِم من يَعْلَمُ أنَّه لا يُجيبه؟ وإنّما نحا بذلك الخطَابِ نحوَ مَن كان معه يومئذ ممّن كان على رأيهم من المنافقين، تعريفاً لهم بما فعَلَه الله (عج) بأصحابهم وما أنجز من وعده لـه فيهم.

. . . ويدلي بتأويله في حديث القليب: الرسول عني المنافقين الأحياء.

كلام في الأعقاب ذكر في مجلس:

149 ــ (قال) وسمعته (صلع) يقول: إنّ فيما أوحى الله (عج) إلى بعض أنبيائه أنّه يخلف الوليّ من أوليائه في/ سبعة أعقاب من أعقابه بخير، ويعاقب 89 الكافرَ كذلك في أعقابه.

وهذا يُشْبِه قولَ رسول الله (صلع): إنّ الله (عج) ليحفظ المؤمنَ في ولَده سبعين خريفاً[5].

قول المعزّ: إنّ الصالح يعقب الصالحَ والخبيث يعقب الخبيث. . .

فقلت للمعزّ (صلع) عند ما[6] ذكر من الخلف والعقوبة في الأعقاب: يا مولانا، أيكون هذا القولُ مجملاً يراد به مَنِ اقتفى من الأعقاب آثار آبائهم وسار

(1) فاطر، 22.

(2) الرحمان، 26.

(3) القصص، 88.

(4) آل عمران، 185.

(5) حديث: إن الله ليحفظ المؤمن في ولده... لم نجده في الصحاح والمسانيد التي بين أيدينا.

(6) عند ما: عند الذي ذكره مِن. . .

بسيرتهم وتولاّهم؟[1].

فقال (عم): لا يكون من الطيّب غير الطيّب ولا من الخبيث غير الخبيث، وإنّ الحنظلَ لو سُقِيَ العسلَ ما أثمر إلاّ مرّاً، ومـا رآه النّاس في أسلاف أهل الفضل من نقص فإنّما رأوْهُ نقصاً لنقص أفهامهم.

90 فلم أدر ما أراد بذلك مع قول/ الله (عج): ﴿وَالذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾[2].

وقوله: ﴿بَلْ قَالُوا... إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُهْتَدُونَ﴾[3].

وقوله: ﴿وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لأَبِيهِ إِلاَّ عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ
*ب22 لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ اللهِ تَبَرَّأَ * مِنْهُ﴾[4].

...يبعث الحيرة في النعمان.

وقوله: ﴿يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ المَيِّتِ وَيُخْرِجُ المَيِّتَ مِنَ الحَيِّ﴾[5]. حتّى أخذ (صلع) في ذمّ قوم آباؤهم أئمّةٌ أطهارٌ، أخيارٌ، أبرارٌ[6]، وجعل يصف سوء حال الأبناء. فتبيّن لي وجهُ ما تقدّم من قوله، وأنّه من قول الله (عج) لنوح في ابنه: ﴿إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ﴾[7].

91 وكان في المجلس مَن لم يتّسع معه الخطاب[8]/ .

كلام ذُكِرَ في الظالمين:

المعزّ يلعن قوماً لِسالفِ فسادهم.

150 ـ (قال) وسمعته (صلع) ذكر قوماً رفعوا إليه شيئاً كرِهَه فلعَنهم ودعا عليهم، وقال: هم كانوا سببَ هذه اللّعنة عليهم بما ذكّرونا به من أنفسهم.

(1) توالاهم في الأصل.
(2) الطور، 21. وهٰذه الآية لا توافق تساؤل النعمان، على عكس الآيات الآتية.
(3) الزخرف، 22 ـ 23.
(4) التوبة، 114.
(5) الروم، 19.
(6) ب: أئمة أخيار وأبرار.
(7) هود، 46.
(8) والفقرة لا تخلو من تناقض: فسل اقتنع النعمان بأنّ الطيّب يعقبه الطيّب بالضرورة؟

وهذا كالذي يؤثر أنّ الله (عج) أوحى إلى بعض أنبيائه لمّا سخِطَ على بني إسرائيل: قل لبني إسرائيل لا يذكروني فإنّي أوجَبْتُ على نفسي أن أذكُرَ من ذَكَرَني، فإن ذكرتُهم فإنّما أذكرهم باللَّعْنَة. فلا يتعرّضوا لها منّي.

نعوذ بالله من غضبه وغضب أوليائه عليهم أفضل السلام.

كلام في ذمّ الاحتيال على أولياء الله:

151 ــ (قال) وسمعته (صع) يقول فيما كان قد أُحْرِق من الكتب في أيّام المنصور (عم)/، وفيما أحرق منها ما فيه أموال عظيمة من أشرية اشتراها النّاس 92
من الفَيْءِ والخزائنِ، ووثائق أموال، وغير ذلك: والله ما دعا المنصورَ (صع) إلى ما فلعه من ذلك وزيّنه عنده إلاّ من أراد بذلك البغْيَ والأذى لغيره، فتوسّل إلى ذلك بتلاف[1] مال أولياء الله. فلا جرم أنّه جوزي في ذلك بما رأيتموه ـ وذكرَهُ ـ ولو حلفتُ أنّ المنصور بالله (صلع) ما فعل ذلك لصدقت وبررت. وما كان في ذلك من رضى الناس، وهل * يُدْرَكُ للناس من رضى؟. *ب 23 و

إلى وثائق احرقها المنصور فيها ديون للخزينة.

ولقد قالوا يومئذ: ما لنا في حرق الكتب؟ تفرّق علينا الأموال التي جُبِيَتْ منّا. ولو فرّقت عليهم لما أرضتهم.

93 ولقد/ سمعت رجلاً يومئذ وكان عليه فيما أحرق ابتياعات[2] ابتاعها وصارت إليه من الخزائن بنحو من ثلاثة آلاف دينار [يقول]: والله ما عليّ في ذلك لأحد مِنَّةٌ ولا شُكْرٌ.

ثمّ قال المعزّ (صع): فما ذهب على هذا إلاّ يسيراً حتّى ذهب ضياعاً، فلا جزى الله خيراً مَن عرّض بذلك وأعان على ذهابه!.

وهذا يشبه قول جدّه محمد رسول الله (صلع) حيث قال: أنهاكم عن قيل

(1) كذا في النسختين، ولعلها «إتلاف» أو «تلافي»، ولا نفهم معنى الجملة: هل برر هذا الواشيء المغرض طلب الحرق بصون مال الأولياء؟ أم يعني المعز عكس هذا: أنه ابتغى بمقترحه إتلاف مال الأولياء؟ ولعل «توسل» محرفة أيضاً عن توصل.

(2) في «أ» و «ب»: «ابتاعات»، وابتاع الشيء، اشتراه. ولعلّ المقصود أنّ المشتري لم يسدّد مبالغ ما أشتراه فلم يعُد مطالباً بها عندما أحرقت رسوم البيوعات.

وقال وعن إضاعة المال[1].

قول في بَركة ما يأتي عن أولياء الله تعالى:

152 ــ (قال) وأخرج إلينا ونحن جماعة من الأولياء رسول الإمام المعزّ لدين الله (صلع) طبقاً فيه تفّاح جليل، فقال: هذا تفّاح جاءنا من المشرق من

94 البلد/ الذي خرج منه المهديّ[2] والقائم صلوات الله عليهما، ومن الضِياع التي كانت به لهما. ودفع إلى كلّ واحد منّا شيئاً منه، وقال: تبرّكوا به فإنّا نرجو إن شاء الله أن تجنوه من شَجَرِهِ معنا بأيديكم وقد أنجز الله لنا وعدَه وأهلك عدوَّنا بفضله.

المعزّ يوزّع على الأولياء تفّاحاً من أرض سلمية...

فشكرنا له ودعونا الله (عج) بما قدَرْنا عليه، وأخذتُ ما دفع إليّ من ذلك التفّاح، وقال لي في الوقت بعض أصحابنا: أنأكلُه أم ماذا نصنَعُ به؟.

قلت: هذا يكون عندنا نتشفّى به ونَتَبرّكُ كما قال مولانا (صلع).

*ب 23 فلمّا أمسَيْتُ من يومي ذلك جلستُ في اللّيل وقد مضى منه صدر * أنظر في

95 بعض الكتب، وقد نام أهل الدار بأسرهم/ ، وأنا على ذلك، إذ عرض لي وجَعٌ في الجانب الأيسر كأنّما هو وخزُ السكاكين، وتزايدَ علـيّ حتّى خفتُ الهلاك فلم أستطع أن أدْعُوَ أحداً من أهلي، فقلت في نفسي: ما أتَدَاوَى بشيء أنفعَ من هذا التفّاح الذي صار إليّ مِن وليّ الله ِوقال فيه ما قال. وكان بين يديّ، وتناولتُ منه أقلَّ من وزن دِرْهَم فيما أقدّره، فوالله ِما هو إلاّ أن وصل إلى جوفي حتّى سكن ذلك الوجَع الشديدُ المؤلمُ دفعةً كأنّما كانت شوكَةٌ نُزِعت. فحمِدت الله وعلمت أنّ الله (عج) لا يخيِّبُ ظنَّ من تقرّب إليه واستَدْفَعَه واستشفاه بأوليائه.

...النعمان يتداوى بهذا التفّاح المبارك من وجع يُعاني في الحين.

96 وذكرت في نفسي حديث جعفر بن محمد بن عليّ/ لمّا دخل مع أبيه محمد بن علي (عم) على محمّد بن خالد[3] أمير المدينة. قال: فشكا محمّد بن

---

(1) أنهاكم عن قيل وقال... ورد هذا الحديث في موطأ مالك (رقم 1817) وفي صحيح البخاري (ج 8 ص 124). وكذلك في الكافي للكليني (ج 1 ص 60 رقم 1).

(2) يعني به «سلمية» في أرض حمص بالشام (انظر: ابن الأثير: الكامل 13:8، ياقوت 240:3، أبو الفداء: تقويم البلدان 264).

(3) محمد بن خالد بن عبدالله القسري ولي المدينة سنة 141 هـ وعزله أبو جعفر المنصور =

خالد إلى أبي وجعاً عرض له في جوفه، فذكر لـه حديث رسول الله (صلع) في الحبّة السوداء
العَسَل والشونيز[1] وأنّه وصفه بمثل هذا. وَإنّ رجلاً من أهل المدينة اعترض عليه شفاء من كل
فقال: قد سمِعْنَا هذا الحديث وجرّبنا ما قيل فيه فما انتَفَعْنَا به. فقال أبو جعفر داء...
محمد بن عليّ (صع): إنّما ينفع اللهُ بهذا ومثله أهلَ اليقين والتّصديق لرسول
الله (صلع)، فأمّا من كان من المنافقين * وغيرِ المصدّقين برسول الله (صلع)، *ب24و
وأخَذَ ما بلغه عنه على غير تصديق، [فـ]ـلم ينفعه الله به.

ودخلت إلى المعز (صلع) من غد فذكرت له ذلك وما دفع/ الله به من 97
الوجع عنّي فزادني به من البصيرة في اعتقادي وأمري. فقال المعزّ (صع): احمد
الله، فهذه نعمة منهُ خصّك الله بها/ وهداك إلى البصيرة وحسن الاعتقاد فيها. وما
توسّل بنا إلى الله (عج) متوسّل إلاّ كنّا له خير وسيلة لديه لِمَا توسّل بنا فيه من أمر ...إذا صدقت
دينه ودنياه إذا صحّت نيّته وصدقَتْ طَوِيَّتُهُ. والله لو أتانا الجُذَمَاءُ والبُرَصَاءُ النيّة.
والعِمْيَانُ يَسْتَشْفُونَ اللهَ بنا، وقد أحسَنُوا ظنّهم وصدقَتْ في ذلك نيّاتُهم ولم يَشُبْهُم
في ذلكَ شَكٌّ، لَشُفُوا. إنّ الله جلّ وعلا لم يجعل بينه وبين خلقه من البَشَر ملائكةً
إنّما جعل أسبابَهُم إليه وَوَسَائلَهم عنده بشراً أمثالهم، فقال[2] وهو أصدق/ 98
القائلين: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكاً لَجَعَلْنَاهُ رَجُلاً وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِمْ مَا يَلْبِسُونَ﴾[3].

ثمّ قال (عم): إنّ كثيراً من الناس يَسْتَرْقُونَ لأدواء تعرِض لهم، فإذا وثِقَتْ
نفسُ أحدِهم بالرّاقي وأيقَنَ أنَّ رُقْيَتَه تنفع مِن ذلك الدّاءِ الذي أصابَه انتفع به لقوّة
الطّبيعة على العلّة من أجل ذلك اليقين، فكيف بيقينٍ يكونُ المُرادُ به وجهَ الله عزّ

= عنها سنة 143 هـ (انظر خليفة بن خياط: التاريخ 2:672، 681).

(1) الحديث كما ذكره الدميري: حياة الحيوان، القاهرة 1900 ج 2/414. إنّ في الحبّة السوداء الشفاء من كلّ داء، إلاّ السام ـ يعني الموت. وهو عند البخاري 7/160 والترمذي: كـ. الطبّ 3447 إلى 3449. وفي دعائم الإسلام 2/184 وانظر ابن سينا: القانون 1/437، وابن مراد (إبراهيم): المصطلح الأعجمي في كتب الطب والصيدلة العربيّة، بيروت 1985 ج 2 رقم 1207 ص 508 ـ 509. والكلمة معرّبة عن شَنيز الفارسيّة (أدّي شير بيروت 1990) وعند دوزي هو السِينوج عند أهل المغرب nille, nigelle أو الكمّون الأسود.

(2) أ : «فقال» ساقطة.

(3) الأنعام، 9.

وجلّ ويُبْتَغَى الشّفاءُ به من عنده من جهةِ أوليائه؟

ثمّ قال (صلع): لقد عرض لي منذ وقتٍ وجَع في جوفي وكنت قد أمرت بتركيب مَعْجونٍ ينفعُ من ذلك فَـ[ـتـ]ـقَدَّمْتُ في اختيار العقاقير وتجويد
*ب24 عمَلِه * بما لم أعلم أنّ أحداً تَقَدَّمَ في مثله، فدعوتُ به لأتناول منه، فجِيء به
99 ومعه/ مثلُه ممّا كان المهديّ (صع) أمرَ بعملِه، فلمّا رأيتُه تعاظمتُ أن أختارَ الذي عملتُه أنا على الذي عمِله المهديّ (صَع)، فتناولتُ مِن الذي عمِله (عم) وقلت: اللّهم إنّك قد أكرَمْتَني بأبُوَّتِه وجعلتَه سابقاً إلى الفضل الذي خصَصْتني به وقدّمته فيه، وإنّي أقدّم ما كان من أمره على ما كان من أمري فاجعل لي في ذلك شِفاء من الدّاء. فوالله ما هو إلاّ أن تناولتُه حتّى زالَ عنّي ما كنت أجِدُ.

كلام في الدعاء والحمد ذكر في مجلس:

153 ـ (قال) وسمعته (صع) يقول: سأل رجل جدّنا جعفر بن محمد
100 (عم)، فقال: يا ابن رسول الله (صلع) علّمْني دعاءً ترجو لي إجابَتَهُ.

فقال (عم): أكثِرْ من حمد/ الله وادعُه بما شئتَ.

فقال: وما الحمد من الدّعاء يا ابن رسول الله؟

فقال: إنّ جميع من على الأرض من المسلمين يدعون الله (عج) آناء ليلِهم ونهارهم أن يستجيب للحامدين، فما ظنّك بمن شفع له عنده في كلّ وقت جميعُ المسلمين؟

الحمدُ المتواصل لله كالدعاء المستجاب.

قال: وكيف ذلك يا ابن رسول الله؟

قال: أليس هم يقولون في كلّ ركعة يركعونها عندما يرفعون رؤوسهم منها: سمِع اللهُ لمن حمِده؟ فعليك بحمد الله يسمَعْ دعاءك.

قال المعزّ (صع): وقد أخذتُ معنى هذا عن جدّنا جعفر بن محمّد (عم)
101 وكتبتُه في فصل من كتاب كتبته إلى بعض من أمّرتُه على بعض الجيوش: اعلم أنّ
*ب25و مَن على الأرض في مشرقها/ ومغربها وقريبها وبعيدها * من جميع المسلمين، من عدوّ ووليّ، ومُؤالِفٍ ومخالف، يدعوهن الله (عج) لك ولأصحابك على منابرهم في كلّ يوم جمعة وعيد، وفي السّاعات التي اختارها الله (عج) لدعائهم ليَتقبّله منهم. فهم في ذلك يقولون: اللّهمّ انصُر جيوشَ المسلمين وسراياهم ومرابِطِيهم أهلِ بَرّهم وبَحْرِهم في مشارق الأرض ومغاربها وحيث كانوا، نصراً

عزيزاً، وافتح لهم فتحاً يسيراً، واجعَلْ لهم من لدُنْك سلطاناً نصيراً. فأنتم والله المسلمون الذين تلحقُهُمُ الدّعوة ويُرجى فيهم من لله الأجابة، وإن عَدَل بدعوته في النيّـة من دعا بذلك عنكم إلى غيركـم فما يستجيـب الله إلاّ لكم/ ولأمثالكم 102
من أوليائنا والمجاهدين معنا وعن أمرنا وأمر من أمّرناه منهم حيث كانوا وأينَ حَلّوا.

ثمّ قال (صلع): وكذلك من دعا علينا منهم وعلى أحد من أوليائنا أو لعَنَ، فذلك الدّعاء واللّعن راجعان عليه وواقعان به وبمن تولاّه، لأنّه لا بدّ أن يَذكُرَنا إذا ذكَرنـا أو من يذكره من أوليائنا عند الدّعاء عليه، بالظُّلم والفسق أو ما هو أهله، فأنا أؤَمِّنُ على ذلك الدّعاء وأسأل اللهَ أن يجيبَه في الظّالمين والفاسقين والمعتدين. فدعاؤهم فيما يَروْنَه لأنفسهم بحمد الله إن قُبِل ورُفِع، فَهُوَ لَنَا ولأوليائنا يُقْبَل ويُرْفَع. ودعاؤهم علينا، عليهِمْ يعُودُ ويرجع/، وهذا من فضل الله (عج) 103
علينا وإحسانِه إلينا وما أعدّه اللهُ من الخِزْيِ في الدّنيا والآخرة لأعدائنا.

كلام ظاهره * حكمة وفيه رمز من التّأويل: *ب 25

طرقة من الحساب يعرضها المعزّ على الأولياء...

154 ــ (قال) وجلستُ يوماً بين يديه (صلع) فأمر باغتراس حديقةٍ قِيسَ أنّه يدخُلُ فيها من عدد الغُروس ألفُ شجرة، وهي مربّعة. فقال: هذه لا. يستـوي أعدادُ سطورها من كلّ جانب.

فَحَسِبْتُهَا فرأينا ذلك لا يستوي كما ذكر (صلع) إلاّ بزيادةٍ في عدد الغرس أو نُقصانٍ منه: فإن جعلتَ أعدادَه اثنين وثلاثينَ في اثنين وثلاثين زاد فكان ألفاً وأربعةً وعشرين، فزاد أربعة وعشرين. وإن جُعِل على إحدى وثلاثين في إحدى وثلاثين/ نقص وكان عدده تسعمائة وواحداً وستّين، فنقص تسعةً وثلاثين. 104

فقال (صلع): أفما في هذا غيرُ هذا؟

قلنا: لا علم لنا بذلك وهذا أكثرُ ما يوجد فيه.

قال: وَلِمَ لَمْ يوجَدْ فيه غيره؟

قلنا: لأنّه حسابٌ معلومٌ لا يجري إلاّ عُلى مقاديره ولا تمكن قسمَتُه على الضّرب بلا كَسْر إلا على هذا.

فقال عليه السلام، ونظر إليّ: ما تقول أنت؟

قلت: ما عندي يا مولاي غير هذا[1]. والحساب عِلمٌ لا اختلاف فيه بين منتحليه، إذا قالوا: ثلاثةٌ في ثلاثة لم تكن إلا تسعةً. أو قالوا: عشَرةٌ في عشرة لم تكن إلاّ مائةً، وكذلك كَيْفَمَا ضرب ذلك لأنه عدد بُنِيَ على واحد إلى تِسْعَةٍ من الآحاد، ومن عشرة إلى مائة من العشَرات، ومن مائة إلى ألف من المئين، ومن
105 ألف إلى [ألف] ألف/ ، ثمّ إلى ما لا نهاية له من أعداد أُلُوفِ الألوف، لا اختلاف في هذا أعلَمُه بين أهل الحساب.

*ب26و وهُمْ إذا * قسَموا عدداً على عدد فلم يصِحّ، ضربوا ما انكسَرَ منه في مثله حتّى يصِحّ، ثمّ قسموه أجزاء فزادُوا في العدد ونقصوا منه بحسب ما جرى ذكرُه. كما أنّا لو أردنا أن نقسّم عشَرةً على تربيع مستقيم وعددٍ صحيح لم ينقسم ذلك حتّى ينقض من العشرة واحدٌ فيكون ثلاثة في ثلاثة تسعة، أو يزيد عليها ستّة فيكون أربعة في أربعة ستّة عشر لا ينقسم هذا إلا كذا.

..فيميّــز بين أحديّة العدد الذي يقسم ويكسر...

فقال (صلع): قد علِمْنَا أنّ هذا لا ينقسم إلاّ كذا ولكن لذلك علّة هي الفائدة فيه.

106 قلت: أمير المؤمنين أولى بالهداية والمنّ/ بالفائدة.

... ووحدانيّة الواحد الأحد.

فقال: هذا من الدّلائل على توحيد الله تعالى كبرياؤه، وأنّه واحد لا مِن عدد، لأنّ هذا العدد يلحقه الزّيادة والنّقصان والتبعيض والإضافة لأنّه مصطلَحٌ عليه. وذلك يتنافى عن الله سبحانه الذي ليس كمثله شيء ولا يشبِهُه شيء ممّا تقع عليه العيون، أو تحويه الأوهام والظّنونُ.

فبينا فكري يجول إذ كنت مفكّراً فيما ذكره من الحساب وفكري يجول كأنّما يغوص في الثّرى إذ فتح لي (صلع) ما فتحه، فكأنّما تعلّقَتْ خواطري بملكوت السّماء، فقلت: يا مولاي، لم يكن هذا ممّا فكّرتُ فيه فيجري وهمي إليه.

قال: فإن كنتَ ممّن يتمسّك بنا ففي مثل هذا فافتكر وإيّاه فاعتبر، فإنّ في
107 / كلّ شيء تفكّرُ فيه وتعتبرُه دليلاً على وحدانيّة الله (عج) وربوبيّته.

ثمّ قال (صلع) لبعض من أمره بذلك الغرس: فزد على الألف أربعةَ

(1) أ: سقط من: فقال عليه السلام، إلى: غير هذا.

وعشرين * حتى يستويَ عددُه من الجهات الأربع. *ب 26

ثمّ قال: كم يكون في ذلك من أسبوع إذا قُسِمَتْ هذه الغروسُ سبعةً سبعةً؟

فحسبناه فأصبناه مائةً وستّة وأربعين أسبوعاً فيبقى بعد هذه الأسابيع اثنان. فتبسّم (صلع) وقال: عددٌ حسن ومعنى جيّد والحمد لله.

ففهمت ما رمز بذلك إلى وليّه وعلمت أنّ أولياء الله كيف تحدّثوا وأينما تصرّفوا إنّما يسرحون في بحور العلم ويقطعون لجج الحكمة، وأكثر النّاس عن
108 ذلك في عمى وغفلة كما قال الله (عج): / ﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ آيَةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ، وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللهِ إِلاَّ وَهُمْ مُشْرِكُونَ﴾[1].

كلام في الأخذ عن أولياء الله صلوات الله عليهم:

155 ـ (قال): وطالعته (عم) في جمع مثل هذا ممّا أثرته عنه وسمعته منه وأخذته عن رمزه ورأيته من فعله، إذ رأيتُ أنّ ذلك لا ينبغي لي تقييدُه في الكتب وتخليدُه للأعقاب إلاّ بعد إذنِه. وعرضت عليه شيئاً منه فارتضاه وقال: من أخَذَ مثلَ هذا عنّا بغِبطة وقَبول، وعـرف الفائدةَ فيه، وشَكَر لنا النِّعمةَ به، نفعَهُ اللهُ بما يأخذُه منه. ومن أعرض عن ذلك ولم يتلقَّه بالقُبول، ولم يعرف الفائدةَ فيه، كان
109 ذلك[2] حُجَّةً من الله لنا/ عليه وخرج محروماً منه. وكذلك من بَلَغَهُ ذلك بعدَ اليومِ أو نُقِلَ إلَيْهِ. والله إنّه ما يُؤْثَر عن الآباء شيءٌ من الحكمة والعلم لمن تدبَّره حقَّ تَدَبُّرِه، إلاّ دَوَّنَه[3]، وما جمع الناسُ فيما جمعوه مثلَه.

النعمان يدوّن نصيباً من أقوال المعزّ وأفعاله ويعرضه عليه...

فقال بعض من حضر المجلس: إن رأى مولانا (صلع) * أن يأذَنَ لنا فيه فنكتبَهُ؟ *ب 27و

فقال: إذا كمل منه ما نرتضيه أذنّا فيه لمن نرتضي حالَه، وينفعه الله به إن شاء الله[4].

---

(1) يوسف، 105 ـ 106.
(2) ب: سقط من: ولم يتلقه بالقبول... إلى... كان ذلك.
(3) في النسختين: والله إنه لشيء ما يؤثر... إلا دونه، وقراءتنا ظنية.
(4) ذكر النعمان في مقدمة المجالس «سيرة المعز» من تأليفه (انظر ص 45 هامش 1).

ثمّ قال (عم): إنّ كثيراً من الناس يمرّ هذا ومثلُه على آذانهم صَفْحاً لا
110 يعرِفُونَه ولا يدرون مقداره، وكثيـرٌ منهم يسمَعُ الفائدة فلا يتلقّاها بالقبول ولا
يأخذها بالشكر، فمن كانت هذه حالهُ كان حقيقاً بالحرِمان وجديراً أن يبقَى / على
ما هو عليه من الجهل.

... فيرتاح إليه المعزّ ويوصي بقصره على أهل الحكمة.

ثمّ ذكر رجلاً فقال: رأيتُه إذا أقبلتُ عليه بشيء نرجو به حسنَ معرفته وموقع
الفائدة عنده واستقبالَها بالشكر منه، فربّما أكثرت في ذلك من القول له وهو
فاغر فاهُ كالبهيمة لا يعرف ما أقول له فأَسْتَفْهِمُه عمَّا أَلقَيْتُ إليه فلا أجد عندهُ معرفةَ
ما سمعه فيدعوني استِحْبَاب إتْمَام الصنِيعة إلى بيان ذلك، فإذابيّنتُه له وأوضحْتُه،
قال: نعم قد عرفت هذا قبل هذا الوقت وهو مذهبي وقولي. ولا والله ما عرَفَه ذلك
الوقـتَ ولا قبلَه، أفمِثْلُ هذا يُؤتَى الحكمة أو يُسْعَفُ بفائدة؟ لا والله، ولا
كرامة!.

111 وهذا كقول بعض الحكماء: لا تمنَعُوا الحكمةَ/ أهلَها فتظلموهُم، ولا
تُعطُوها غيرَ أهلها فتظلموها، ولا تُلقُوا الجوهر إلى الكلاب!.

الجزء الرابع عشر

بسم الله الرحمن الرحيم

كلام جرى في مجلس في ذكر هذا الكتاب:

قال القاضي النّعمان بن محمّد:

قد كنت قدّمت المعذرة في صَدْرِ هذا الكتاب[1] * أنّي وإن كنت لم آلُ 27*ب
اجتهاداً في تحرّي نقلِ ما نقلتُه ممّا أثبتّه فيه عن الإمام (صلع) بنفس ألفاظه، فقد
اعترفت بأنّي لا أطيقُ ذلك بالحقيقة وأعجزُ عنه إذا كانت ألفاظُ أولياء الله الأئمّةِ
كألفاظ جدّهم رسول الله (صلع) في الجزَالة والفخَامة والبيان، يعجِز أن / يحكيَهَا 112
البشر، كما أعجزهم أن يحكُوا القرآن. إذ كان القول عنهم في الحجّة والبرهان
كالقول عن الله (عج)، إذ أمَر بطاعتهم وقرَنَها بطاعته، والأخذِ عنهم كما أمر النعمان في المجالس
بالأخذِ عنه. وذكرت اعتذارَ بعض الصّحابة في ذلك في إصابة حقيقة لفظِ رسول والمسايرات لا
الله (صلع) وقوله: حَسْبِي أن أؤدّيَ إليكُم معناهُ فإنّي[2] أكثرُ ما عوّلتُ على ذلك. يروي كلام

غير أنّي صنعت في ذلك صنيعاً لم أعلم أنّ أحداً ممّن نَقل الحديثَ سبقَني المعزّ بلفظه...
إليه: وهو أنّي جعلتُ كلّما أثرت شيئاً عن الإمام (عم) كتبتُه وأرَيْتُه إيّاه وعرضتُه ... وإنّما بمعناه
عليه بعد أن قدّمتُ في ذلك العذرَ عنده؛ فكلّما رأى أنّي غيّرتُ المعنى عنه قوّمني ويرفعه إليه فيصحّحه
على المعنى وردّني/ إليه، فأصلحته عنه وصفح لي (صلع) عمّا لم أستطِعْه من إذا وجب 113
حكايةِ لفظه بحقيقتِه، فصار ما أثبتُّه في هذا الكتاب كأنّه هو لفظُه وإن لم يكنْ هو
بحقيقتِه لِمَا أجازه على المعنى وسقط عنه تهمةُ التحريف والإحالة، وإن سقطَتْ
منه فضيلةُ الفصاحة والجزالة، ومعجزِ الألفاظ في المقالة. ولكنّه صار

(1) انظر أعلاه ص 45.
(2) أ: فإنّه.

بذلك من أصدق الحديث وأصحّ النّقل. وزالت عنه به التّهمةُ ووجب له به الفضل.

*ب 28 و فرفعت يوماً إليه (صلع) منه جزءاً * فقرأه حتّى أتى على آخره، وأوقفني على أشياء منه فأصلحتها على ما أمر به أدام الله علوّ أمره، وصرفه إليّ، فجعلت 114 أعتذر في التّقصير وإسقاط الكثير، وأنّي إنّما أثبتّ/ عنه (صلع) بعضَ ما يُعطيه الحفظُ. والذي أسقطه النّسيانُ، لما عليه من الغفلة طبع الإنسان، أكثرُ من ذلك. فقال: «وإن كان ذلك يا نعمان، فإنّ الله يَجزيك بنيّتِك ولا يؤاخذُك بنسيانك. والله ما جمع عن آبائنا قبلك أحدٌ مثلَ هذا من جمعك وإنّه لكتاب قلّما يكون مثلُه من الكتب وإنّ فيه لحياةً «لِمَنْ كَان لَهُ قَلْبٌ»[1]. يقول ذلك (صلع) وفي المجلس جماعة ممّن قد سمع أكثرَ ما أثبتّ وعامّةَ ما نقلت، ومرّ عليهم صَفْحاً. ولمّا سمِعوا ذلك منه (صلع) وهم لا يدرون ما في الكتاب، جعلَ بعضهم يسألُه انتساخه وبعضهم يسألني ذلك، وأظهروا فيه رَغْبَة عظيمة.

المعزّ يطري الكتاب فتكثر رغبة الناس فيه

115 فقال (عم): يُعْطاه من يستحقُّه إن شاء الله/ . ونظر إليَّ وتبسّم كالمُخبِر عن غفلةِ أكثرِ النّاس عن الفوائدِ ومرور الحكمةِ عليهم صَفْحاً، لأنهم لو أرادوا أن يجمعوا من ذلك ما جمعتُ ووُفّقوا لذلك لأمْكَنَهُمْ، ولكان ذلك ممّا يسرُّني لنفسي ولهم، لأنّي كنت أستزيدُ من ذلك كثيراً ممّا يَحْضُرُونَه وأغيبُ عنه، لما أنا من الشغل بسبيله.

وقوله (صلع): يحزيك اللّهُ بنيّتِك ولا يؤاخذُك بنسيانك، كقول جدّه رسول الله (صلع): إنّما الأعمال بالنيّات وإنّما لكلّ امرىء ما نوى[2]، وقوله (ص): تجاوز الله لأمّتي خطأها ونسيانَها وما أكرِهَتْ عليه[3]. يعني بالخطإ ما لم يُتَعَمَّدْ.

---

(1) تضمين جزئي للآية ﴿إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد﴾ (ق، 37).

(2) جاء في «أ» بإفراد «النية». وفي الدعائم 1: 156 بسند جعفر بن محمد (ص) عن أبيه، عن آبائه عن علي (ص) أن رسول الله (صلعم) قال: «إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى» وسقط من النص لفظ «كل». انظره تاماً بفهرس الحديث صفحة 415 من الجزء 1.
وذكر الحديث أيضاً عند البخاري (ج 1 ص 21) وابن ماجة (ص 1413 رقم 4227) والنسائي (ج 7 ص 13)، وكذلك في الكافي للكليني (ج 2 ص 84 رقم 1).

(3) رواه القاضي النعمان في دعائم الإسلام (1: 274) بغير إسناد ومع تغيير في بعض لفظه «رفع الله عن أمتي خطأها ونسيانها وما أكرهت عليه». وأخرجه مسلم في صحيحه (2: =

فأمّا مرور الحكمة على آذان * أكثرِ الناس صفحاً فمِن قول الله (عج): *ب 28
«وَمِنْهُمْ/ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّى إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِندِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا العِلْمَ: مَاذَا 116
قَالَ آنِفاً؟»[1] فقد كان على مثل هذه الحال من يحضر مجلسَ رسول الله (صلع) ويسمَعُ كلامَه ثمّ يخرُج عنه ولا يعِي شيئاً منه ولا يعرِف ما قاله.

ومنه قوله جلّ وتعالى: «صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لاَ يَرْجِعُونَ»[2]، قال ذلك لقوم يبصرونَ بأعيُنهم ويسمَعون بآذانهم ويتكلّمون بألسنتهم، ولكنّهم عَمُوا وصَمُّوا وبكِمُوا عن الحقّ.

أعاذنا الله وإيّاكم برحمته من ذلك وهدى جميع المؤمنين إلى ما يُرضيه ووفّقنا للعمل به بفضله.

كلام جرى في مجلس في ذكر الدّعوة والدّعاة:

157 ــ (قال) وسمعته (صع) يومـاً وقد دخل إليه بعض الأولياء ممّن كان
قد/ أذنَ له قبلَ ذلك في الدّعوة فسألَهم عن أشياءَ منها فلم يجدْ عندهم شيئاً ممّا 117
سألهم عنه، فقال: والله ما أشكّ في أنّه لا شيءَ عندكم من هذا ولا عند مَن دَعَاكُم. وما كان أكثرُ ما يعامِلون الناسَ به إلاّ بتعظيم الأمرِ عندهم وتهويلِه عليهـم والغلظةِ على مَن سألهم عن شيء منه، وتعنيفهم على سؤالِهم عنه. وأكثرُ ما يقولونه لمن[3] يلافظونه: لم تبلُغْ بعدُ إلى حدّ مَن يسأل عن هذا، وليس هذا حدّك، ونحو هذا من القول ممّا يوهمون به أنّهم يعرِفون ما يُسْألون عنه. ولا والله ما يعرفون أكثرَ ذلك.

المعزّ يحـضّ الأولياء على الصبر في تلقين الدعوة.

ثمّ قال لمن خاطبه: كيف قال فلان لفلان[4] منهم؟ يعني ما قالـه
بعض/ الأولياء لبعض الدعاة. 118

= 146) عن معمر عن قتادة، قال: بلغني أن النبي قال: إن الله عزّوجل تجاوز لهذه الأمة عن نسيانها وما حدثت به أنفسها. هذا وقد جاء في «ب»: عن خطاياها.
وذكره ابن ماجة (ص 659 رقم 2043) والنسائي (ج 6 ص 157).

(1) محمد، 16.
(2) البقرة، 18.
(3) في ب: لمن لا . . .
(4) لفلان ساقطة من أ.

قال: نعم، تكلّم يوماً وهو في مجلسه فرآه معرضاً عن كلامه، فقال له: *ب29و أراكَ تُعرض إعراض * مَن لا يعرف ما قيل له. فقال: إنّا لأعرَفُ بهذا، هذه والله ملاعبُ صِبْياننا. إن يكن عندك غيرُ هذا فهاتِه نُصغِ إليك إذا لم نكن ـ قبل هذا ـ نعلَمُه.

قال[1]: فما قال له الشيخ؟

قال[2]: سكت.

فلم يقل المعزّ (صلع) في هذا شيئاً. وهذا وإن كان الدّاعي قد عنّف الرجلَ فيه ولم يترَفّق فيه كما ينبغي الرّفقُ به، وما عمِل بما قاله الصّادق جعفر بن محمّد (صلع): تواضعوا لمن تعلّمونَه العلمَ، ولا تكونوا علماء جبّارين فيذهبَ
119 باطلكم بحقّكم[3]. فإنّه لم يكن ينبغي للرجل أن يقول له ما قاله/ لأنّ قولَه ذلك إزراءٌ على الحكمة واستقلالٌ لها، فليس تكرار الحكمة ممّا يضَعُ منها، ولا ينبغي له الإعراض عنها، وقد جعل الله (عج) لمن أصغى إلى استماع كتابه وتدبّره، ثواباً على ذلك، جلّ ذكره. وليس في كلّ وقت تعلَقُ الحكمةُ بالقلوب وينتفع بها مَن سمعها. وربّما مرّت على الآذان مراراً كثيرة فلم ينتفِع السّامع بها، ثمّ سَمعها بعد ذلك فانتفَعَ. ولو طولب قائل ذلك بتأديةِ ما استُودِعَ، وقضاء واجبات مَا سمع، لقَصّر عن ذلك وانقطع، ولزِمَتْهُ الحجّةُ فيما طلبه من المزيد، وهو لم يَضبِط ولا قام بواجب مَا بلغه من الحدود، حتّى إنّه لو طَرَحَ عنه في ذلك
120 الباطنَ كلَّه وأخذ بإقامة ما/ عَرَفَه وأُمِرَ به من إقامة ظاهرِه، لقعد عن كثير منه وقصَّرَ وتخلَّف وانحصر. فكيف يتزيّد مِـن الأمانة مَن باء واعترف[4] بالخيانة؟ ولكن لِجَهْلِ أكثرِ النّاس بقَدر هذا الأمر حُرِمُوا كثيراً منه، ولتخَلُّفِم عن الواجب فيه اقتُصر بهمْ علـى ما أُعْطُوا منه.

(1) القول للخليفة المعز.
(2) ب: قال له.
(3) انظر دعائم الإسلام 1: 80 وفيها: جبابرة.
(4) ب: لمن باء بالخيانة.

وسكت المعزّ (صلع) عند ذلك ولا أظنّه تفكّر إلاّ * في مثل هذا القول. ثمّ قال: ولعلّ سامعَ ما قلناه في تقصير الدّعاة المتقدّمين يتوهَّمُ أنّ هذا طعْنٌ على الأئمّة الفاضلين صلوات الله عليهم أجمعين لاختيارهم إيّاهم وإقامتِهم لهم، وهم يعلمون مثل هذا منهم. هيهاتَ، لا والله ما يُعرض الجوهَرُ على أصحاب البَعْرِ. ما قابلوا والله مَن قابلوه إلاّ بقدر/ 121
استحقاقِهم، وما قصدوا[1] مَن قصدوه إلاّ بما يصلُح لهم. وإنّ جدّنا جعفر بن محمد (صلع) كان يقول: مَن أحسن السّؤال كان جديراً بالنوال. واللّهِ لو أحسنوا الطِّلْبَة لبُذِلَتْ لهمُ الرّغبة، وإنّ لدينا من خزائنِ علمِ الله وفوائدِ حكمتِه ما يُحمَّل منه كلُّ امرىء بمقدار طاقتِه ويُعطاه بحسب استحقاقه، ولا يُبْخَسُ إلاّ من بَخَس نفسه.

المتعلّم يعطى من العلم بحسب طاقته

وما ينبغي لنا أن نُعطِيَ أحداً من أمانة الله عندنا ما لا يستحقّه. والله ما نفعلُ ذلك لأبنائنا وما نعطي مَن نرتضيه منهم إلاّ قدرَ حقّه فيه لا نَزيده قُلامة ظُفُر عليه. قال الله تعالى وهو أصدق القائلين: ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلاَّ عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلاَّ بِقَدَرٍ/ مَعْلُومٍ﴾[2]. على أنّ أحبَّ الأشياء إلينا 122
وجود من يلقَن عنّا. أليس لهذا قال جدُّنا عليّ (صع)، وتنفّس الصّعداء وضرب بيده إلى صدره، فقال: أما إنَّ ههنا لعلماً جماً ما وجدتُ له حَمَلَةً، بل وجدتُ لقِناً غيرَ مأمون ومأموناً غير لَقِنٍ[3].

وفي مثلِ ذلك:

المعزّ يحرّض على قراءة كتاب دعائم الإسلام

158 ــ (قال) وسمعته (صع) يقول لبعض الأولياء: ما تنظرون اليوم في شيء تنتفعون به؟ ما تقرأون شيئاً؟ ما تسمعون شيئاً؟ فسكتوا.

وكنت قبل ذلك قد سمِعْتُ بعضهم يحرّض بعضاً في الاجتماع لقراءة كتاب

---

(1) ب: ما قالوا والله... ولما قصدوا...

(2) الحجر، 21.

(3) النص من كلام مشهور للإمام علي خاطب به كميل بن زياد النخعي، أحد الشيعة الذين قتلهم الحجاج، وكان عاملاً لعلي على هيت. انظره كاملاً مع فروق في اللفظ، في نهج البلاغة، 339 (نشر أبو الفضل إبراهيم. القاهرة 1963) وفي المعجم المفهرس لألفاظ النهج ص 112 (قصار الحكم 7/147).

*ب 30و «دعائم الإسلام»[1] الذي * بسطه المعزّ لدين الله (صلع) لهم[2] وجعله في مجلس من مجالس قصره، وأباح لهم متى أحبّوا استماعَهُ وقراءَتَه/ وانتساخَه والتعلّم[3] منه والتّفقُّهَ فيه. وقال منهم من حرّض[4] على ذلك: وَيْحَكُمْ، أما تخافُون إنْ قَصَّرْتُمْ في هذا أن يكون حجّة من الله ومن وليّه عليكم إن يختبِرْكم فيه، وقد أباحه لكم دهراً طويلاً، فيخبركم فيه أو في بعض أبوابه فلا يجدكم حفِظتُم شيئاً منه، ولا انتفعتم به، فيقال لكم: إذا كنتم لم تقوموا بما أعطيناكم من ظاهر دينكم الذي تعبّدكم الله بالقيام به، فكيف ينبغي لنا أن نعطيَكم مِن باطنه؟

فقلت: يا مولانا، والله لعهدي اليوم بإخواننا يتراجعون في مثل هذا، وذلك لمّا انقطع عنهم سماعُه، واعتذر بالعلّة مَنْ أُمِر بـ[أن] يقْرَأ عليهم وما خلّفتُهم إلاّ على الاجتماع إليه/. فإن تمادى على الاعتذار لهم وتخلّف عنهم رفعوا ذلك إليك وسألوا فضلَ رأيك فيه. 124

قال: يا نعمان، من يقول هذا؟

قلت له: قال فلان، وفلان، وسمّيت له الرّجالَ الذين تفاوضوا فيه.

قال: هؤلاء قليل في كثير، وكنّا نُحبُّ صلاح الجميع. وكأنّي والله بهم لو جَمَعْنَاهُمْ على هذا يُزري بعضُهم على بعض، ويقول القائل منهم: فلان يريد أن يكون قاضياً، وفلان يريد أن يكون داعياً، ويقول الآخر لبعض من يصحَبُه: قم بنا

---

(1) هو كتاب «دعائم الإسلام وذكر الحلال والحرام والقضايا والأحكام عند أهل بيت رسول الله عليهم أفضل السلام» كتبه القاضي أبو حنيفة النعمان بن محمد، ويعد عمدة الفقه الإسماعيلي إلى اليوم. وقد قال المجدوع إن القاضي النعمان صنّفه بأمر من الخليفة المعز وأصّل له أصوله وفرّع له فروعه. وكان يعرض عليه أبوابه فيتثبت منها ويستدرك ويشير بما يرى إصلاحه حتى أتمّ الكتاب. انظر المجدوع: فهرسة الكتب والرسائل، 18 وما بعدها (وانظر مقدمتنا ص 14). وانظر كذلك ما قالته الدكتورة وداد القاضي من أن كتاب الدعائم «له صبغة سُنّيّة مالكيّة واضحة» (ملتقى القاضي النعمان الأول بالمهدية، 12 ـ 15 أغسطس 1975، ص 143).

(2) سقطت «لهم» من أ. والعبارة هامة لأنها تؤيد ما ذهبنا إليه من أن البسط لا يعدو العرض والتمكين، وتدفع القول بأن المعزّ هو الذي أوحى إلى النعمان بمادة الكتاب.

(3) ب: والتعليم منه.

(4) ب: من حصر.

ويحَك لكذا وكذا، لما هُمْ به أشغَلُ وأعنى، ودعنا من هذا الفُضُول!

فقال بعضهم ممّن حضر: كأنّ والله أميرَ المؤمنين شاهد القوم!

قلت: يا مولانا، فمن أجلِ مَن لا يرغَبُ/ يُحْرَمَ الرّاغب * ، وفي ذات 125 *ب 30
المُعرِض يخيب الطالبُ؟ أنت صلّى الله عليك أعلم بصلاح جميعهم.

قال: إن لم أعلم ذلك فما أنا بإمامِهم. والله إنّي لأعلمه، وما أبلغ مرادي من صلاح جميعهم. والله يُصْلِحُهُمْ ويُوَفِّقُهُمْ إلى مرادي فيهم إلى أن أرفَعَ بعضَهـم فوق بعض درجاتٍ، وأعطيَ كلَّ ذي حقٍّ منهم حقَّه، وأضعَهُ حيث وضع نفسه. فمن نزع بنفسه من درجة إلى ما فوقَها وبلَّغه إيّاها عملُه رفعتُه إليها، فهُم بهذا يتنافسون ويرغَبُون، وأبلُغ فيهم ما أؤمِّلُه منهم إن شاء الله.

قلت: يبلِّغ الله مولانا أملَه، ويوفّق جميع أوليائه إلى ما يحبّه.

قال: ما شاء الله، ولا حول ولا قوّة إلا بالله(1).

كلام جرى في مجلس في أمر القضاء والواجب فيه:

159 ـ (قال) وقال لي/ (صلع): يا نعمان، زعم لي فلان ـ لرجل سمّاه ـ 126
أنّ بعض الأولياء يستثقلون أمرَك ويقولون: فلان أرفَقُ بنا ـ لبعض القضاة ـ.
(قال) قلت له(2): الذي يستثقل من أمر النّعمان هو الذي مَنَعَني أن أتولّى القضاء
بين الناس. إنّ القضـاء(3) ميزان عدل الله في أرضه وقسطه بين عباده، فمن عدل به
بعـض الأوليـاء يطعنون في قضاء النعمان عن جهته وأحاله عن سبيله فقد باء بغضبٍ من الله ولعنة أوليائه. فأمرُ القضاءِ
عظيمٌ ومحمَلُه ثقيل. والله ما نقَم النّاس على أمير المؤمنين عليّ (صلع) إلاّ أنّه
تقلَّدَهُ لهم فحمَلَهُم على منهاج الحقّ فيه، فلذلك قلّدْنَاه من قَلَّدْنَاه وتَعافَيْنا منه.
127 إنّما أراد من أراد من نعمان(4) إذا أتاه في/ خصومَةٍ مع ضعيف أن يُوَسِّع له إلى

(1) سقط من أ: قلت: يبلغ الله. . . إلى: إلا بالله.
(2) الحديث كله للمعز.
(3) انظر ما سجله القاضي النعمان من تعريف للقضاء فيما كتبه عما «ينبغي للوالي أن ينظر فيه من أمور القضاء بين الناس»، الدعائم ج 1 ص 359.
(4) يورد القاضي النعمان اسمه على لسان المعز «منكراً» على معنى الأدب والتواضع. انظر أيضاً ص 284.

جانبه في مجلسه، ويقومَ خصمُه بعيداً منه. فهذا أدنى ما عسى أنّه كان يُرادُ منه.
*ب 31 و وفيه خِزيٌ لمن فعله. * لأنّا قد عهدنا إليه وإلى غيره ممّن قلّدناه القضاء والحكومة أن يساويَ بين القويّ والضّعيف، ويعدل بين الشّريف والمشروف في قوله وفعله ولفظِه ولحظِه وتقريبه وإبعاده ومجلسه، كما جاء الأمر عن آبائنا صلوات الله عليهم: من تقلّد القضاء به[1] فمن ابتغى خلاف هذا منه لم يرضه إلاّ أن يحكم أيضاً بما أحبّه له. وفي هذا ـ دون غيره ـ غاية الخزي لمن فعله. وحسبُ خَصم مَن فُعل به هذا نظرا إلى ظاهر جَوْر مَن فعله عليه، ورَدْعاً له عن
128 حجّته/ ووَهْنا في قوّته. فمثل هذا يَنقَمُه من نَقَم عليه من اتّباع أمرنا وامتثال عهدنا. وحسبُ مَن خالَفَه نقصاً عند الله وعندنا، ومَن قام به، مَثُوبَةً من الله وحَظْوَةً لدينا.

اغتباط النعمان بإطراء المعزّ له في توخّيه العدل

فما عوّلتُ لمّا سمعتُ ذلك منه إلاّ على تقبيل الأرض، ونظرت إلى ما عسى أنْ كنت أحتجُّ به وأقولُه. فقد قال/ (صلع) فوق ما كنت أؤمّلُه وأجِدُه. ثمّ طال تفكّري وكثُر تعجّبي وزادت بصيرتي وقويَت بواهره وما تقدّم من اعتقادي أنّ الله يُمِدُّهُ عندي من علمه بأمرٍ لم أرفعه إليه كراهيةَ أن أطرِيَ به نفسي لديه. وقد
129 علمتُ أنّ كثيراً من النّاس يَكرَهُنِي عليه لما أحدَثَهُ قُضاةُ السّوء من/ الأثرة والذّمام[2] لذوي السلطان ومن يُرتجَى نفعُه من العوامّ، والرّشوة وغير ذلك من خَبِيث الطُعمة[3] فوَعَّرُوا طُرقَ القضاء على سالكه من حيث يجب أن يسلك فيه، وحملوا من عوّدوه ذلك على الحتّق عليه. ولكنّ الله ذا الطّول والإنعام والآلاء
*ب 31 والإحسان * قد منح وليّه من التّوفيق والبصيرة وما أمدّه به من الآلاء الجسام والتّوفيق[4] والمَعُونة وأيّده به من الإرشاد والهداية، ما كشف له عن كثير من سرائر الصّدور وخفيّاتِ الأمور، وأطلَعَه على حيَل المحتالين واستداراتِ المستديرين

(1) العبارة غامضة ولعل بها نقصاً: من تقلد القضاء [فليعمل] به. ولم نجد هذا الأمر في ما نقله النعمان عن «آداب القضاة» في الدعائم ج 2، 527 وما يليها.
(2) الذمام: كل حرمة تلزمك إذا ضيّعتها المذمّة. وهي بمعنى: الضمان والحرمة والحق. انظر اللسن «ذمم».
(3) خبيث الطعمة بالضمّ والكسر: أكلُ الحرام من رشوة وغيرها. وفي الأصل: حديث الطعمة.
(4) التوفيق كلمة معادة، بسبب طول الاستدلال.

وغوائل المغتالين، فلن يعود البغي عنده/ إلاّ على من بَغَى وغدَر ﴿وَلاَ يَحِيقُ 130
الْمَكْرُ السَّيِّءُ إلاَّ بِأَهْلِهِ﴾[1] وبرأس من مكر.

فأضحى وأمسى بحمد الله الحقّ وأهلُه به في عِزّة ورفعة ومنعَة، والباطل وحِزبه في خِزي وضَعة. وهممتُ بذكر ما دعا قائلَ ذلك ومَن رفعه إليه من قطعي عنه ما عَوّدَه غيري من التأكُّلِ به واهتضام الحقوقِ على يديه، وأنّ ذلك عندَه ذنب لا يرى أنّه يُغْفَر لمن اجترمَه له. فعلمتُ لذلك أنّه (صلع) أعلمُ بذلك منّي. ورأيتُ أنّ تسليم ذلك ومثله لله ولوليّه أوفقُ، لأنّ الله يقول: ومن «بُغِيَ عَلَيْهِ لَيَنْصُرَنَّهُ اللَّهُ»[2] وقد ذكرت في هذا الكتاب عن الإمام (عم) في ذمّ البغي غيرَ
حديث/. 131

كلام جرى في شيء من النّحو فيه رمز:

160 ـ (قال) وسمعته (صلع) يوماً يقول لبعض من حضر مجلسَهُ مِن النحويّين ممّن برع في علم النّحو: ما تقولون في الحروف المجتمعة الموصُولَة التي تجمعُها وتصلُها الألفاظ، يستوي الخطّ بها في الشّيء وغيره بما يراه النّاظرُ إليها إذا رأى صورةَ تلك الحروفِ، فتكون عنده بمعنى واحد، حتّى يدخلَها الإعراب وتُمَيَّزَ بالتقييد والشَّكل فتختلف معانيها ويصير كلُّ حرفٍ منها يدلُّ على ضِدّ ما دلَّ عليه نظيرُه في الصورة وغيرُه ممّا هُو سواه[3]، ومعناه غير معناه، ولم كان ذلك؟ وما معناه ووجهه؟ وهل فيه معنى يجب استخراجه وتعرف الحكمة
فيه؟/ 132

المعز يعرض أحجية نحوية...

فلم يدر المسؤولُ عن ذلك * نفسَ السّؤال فضلاً عن الجواب عنه، وتحيّرَ *ب32و فيه. واستفهمَه (صلع) وسأله أن يوضّح له معناه.

فقـال. ذلك مثل: لـم لـم لـم. أليس قد استوت صورة هذه الثّلاثة الأحرفِ؟

(1) فاطر، 43.
(2) الحج، 60. . . وسياق الآية: «ومن عاقب بمثل ما عوقب به ثم بغي عليه».
(3) قراءة تقريبية.

قال: نعم.

قال: كذلك: قتل قتل قتل. وكذلك: حمل حمل حمل. وأشباه ذلك في كثير يطول ذكره.

قال: نعم.

قال: فإذا رُفِعَتْ[1] لامُ لُمَّ، كان معنى الأمر، كقولك: لُمَّ الشَّعْثَ يا فتى.

وإذا فتِحَتْ صارت حرف جزم، كقولك: لَمْ أفعَلْ.

وإذا كسرتَها صارت في معنى الاستخبار كقولك: لِمَ فعلتَ كذا وكذا؟ وكانت كلّ واحدة خلافَ الأخرى.

وكذلك قُتِل إذا ضمّت القاف وكسِرت التّاء وفُتحت اللاّم قلت: قُتِل زيد يا
133 فتى./

وإذا فتحت حروفها قلت: قَتَلَ زيدٌ خالداً يا فتى.

وإذا فتحت القاف وأسكنت التّاء قلتَ: قَتْلٌ ذريعٌ يا فتى. فكانت كلّ واحدة مخالفة معنى الأخرى.

وكذلك الحاء من حمل، إذا رفعت الحاء وكسرت الميم قلتَ حُمِل الرّجل.

وإذا فتحت حروفها قلت: حَمَلَ الرّجلُ.

... على إمام في النحو، فيحتار.. وإذا كسرت الحاء وأسكنت الميم قلت: حِمْل الدابّةِ يا فتى. فاختلفت كذلك، فلمَ كان هذا؟

فلم يُجرِ الرّجل فيه جواباً أكثر من أن قال: هكذا تَعَارَفَهُ النّاس.

فقال (عم): وكم لله (عج) من آية وحكمة فيما تعارفه النّاس تدلُّ على توحيده لم يعرِفُوها وأعرضُوا عنها!

134 فذكّرني/ ذلك قول الله (عج): ﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ آيَةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ﴾[2].

ولكنّ المعزّ لا يبالي بتفسير

---

(1) كان ينبغي أن يقول: ضمت.

(2) يوسف، 105.

وقول الشّاعر في عظمة الله عزّوجلّ (متقارب):

وَفِـي كُـلّ شَـيْءٍ لَـهُ آيَـةٌ   تَـدُلُّ عَلَـى أنَّـهُ وَاحِـدُ[1]

رؤيا رآها المعزّ[2]: *   *ب 32

161 ـ (قال) وقال لي المعزّ (صلع) يوماً: رأيت رؤيا عجبت لها: رأيت كأنّي دخلت المسجدَ الجامعَ الأزهرَ[3] من باب المقصورة الذي أدخل منه لصلاة الجمعة. فلمّا صرت في المقصورة ذكرت أنّي خرجت ولم أتوضّأ للصلاة، فدعوت بماء فأتيت بطَشْتٍ وإبريق، فتوضّأت ثم نظرت في المقصورة إلى رجلَيْن ـ ذكرهما ـ من رجال العامّة وهما ممّن يميل إلى المحبّة ويتقرّب من المذهب. فلمّا توضّأت قام أحدُهما بثوبه لينشف به رِجلي فمنعتُه، وقلت لـه:/ مـا الذي 135 أجلَسَكَ أنت مع هذا، وأنت في غاية الحركة واليَقظة وهذا في غاية السكون والغفلة ـ وكذلك الرّجلان في حالهما ـ؟

المعزّ يرى في منامه أنه على المنبر يتقلّدُ سيـف النعمان. . .

(قال) فقال لي المتحرّك منهُما: الذي فيّ أنا من الحركة والنّباهة ينوبُ عمّا

---

(1) البيت لأبي العتاهية، من قطعة مطلعها:

ألا إننـا كلنـا بـائـد   وأي بنـي آدم خـالـد؟

(ديوانه، نشر شكري فيصل ص 104).

هذا وقد علقنا على هذا اللغز في كتابنا: أشتات. . . 191.

(2) في أ: رآها المنصور.

(3) لا تخلو كلمة «الأزهر» هنا من لبس؛ فهل يعني أزهر القاهرة؟ نستبعد هذا الافتراض لأسباب، منها: ـ أن الجامع الأزهر لم يعرف بهذا الاسم في المدة القصيرة التي قضاها المعز بالقاهرة قبل وفاته سنة 976/365 وإنما كان يعرف بـ «مصلّى القاهرة» أو «جامع القاهرة» (انظر المقريزي: اتعاظ، 190).

ـ أن المؤرخين للمعز بمصر، ومنهم المقريزي، لم يذكروا صلاة جمعة بإمامة المعز في ذلك المسجد أو المصلى، وإنما ذكروا صلوات الأعياد به وبالجامع العتيق ـ جامع عمرو ـ أو جامع ابن طولون. ولا يخفى من سياق خبر الرؤيا أن المعز ألف الصلاة بهذا الجامع المذكور في النص وألف مقصورته ومنبره.

ـ أن النعمان لم يذكر قط في غضون كتابه هذا، مصر ولا القاهرة، ولا حتى حملةَ جوهر، إلا على سبيل النية من المعز والاستعداد لغزوها. ولو كان واصل تحرير هذه «المذكرات» بعد انتقاله إليها مع الخليفة، لذكر عنها شيئاً، كثيراً أو قليلاً.

ـ أنّ عبارة «المسجد» قبل «الجامع الأزهر» لا تناسِب مقام أزهر القاهرة.

في هذا من الغفلة والسّكون. قلت: فأنا أسألك عن شيء تعترفُ فيه بالغفلة. فسألته عن مسألة فتحيّر فيها ولم يحر جواباً، وطلب منّي أن أجيبه بالصّواب، فقلت له: امض إلى نعمان ـ يعنيني (صلع)[1] ـ يُجبْك عنها، قال: نعم. ثمّ دخلتُ من باب المقصورة فنظرتُ فلم أر النّاس كما أعرفهم يحتفل المسجد ويغصُّ بهم، ولم أر إلاّ نفَراً قليلاً. فنظرت إليهم فرأيت أولياءَنا. ثمّ قصدتُ
136 المِنبَر/ فنظرت فلم أرَني تقلّدْت السّيفَ فدعوتُ به. (قال) فقمتَ إليّ ـ يعنينـي (صلع) ـ فقلتَ: يا مولانا، هذا السّيف الذي أخطُب به، وهو سيفُك (صلع)، فإن أردتَه فها هو. (قال): فتناولتُه منك وصعِدتُ المِنبر فخطبتُ
*ب33و خطبةً ذكرت فيها علماً * وتأويلاً كثيراً. فقمتَ إليَّ فقلت: زدنا يا مولانا.
... فيتأوّل ذلك ببقاء النعمان في خدمته دوماً
وجَعَلَ أولياؤنا يقولون كذلك، فزدتُ، وكلّما أردتُ أن أقطع الخطبة استزَدْتموني حتّى أتيتُ على كلام كثير. فنزلت وأنا أقول في نفسي: وما حاجتي إلى سيف نعمان؟ وكأنّي قد علمت أنّي رأيت ذلك في المنام. وقلت في نفسي:
137 ما تأويل تقليدي لسيفه؟ والله ما أنا بمحتاج إلى شيء عنده/ من العلم ظاهراً ولا باطناً، فما هذا؟ أقول ذلك في نفسي. فاستقبلني شيخ لا أعرِفه فقال لي: أتدري ما معنى أخذك سيفَ نعمان؟

قلت: ما هو؟

قال: هو عُمرَه يكون لك. (قال) فسكنت إلـى ذلك وناولتُك السيفَ.

وتأوّل ذلك (صلع) على أنّ القليل الذين حضروا معه في المسجد هم القليل، من الكثير الذين يحضرون معه، الذين يتولّوْنَه ويعرِفون فضلَه. وأنّ الرّجلين اللذين كانا كذلك في المقصورة ولم يحوهما المسجد، كذلك هما في القرب من الولاية.

وتأوّلت أنا بخطبته التي خطب بها واستِزَادَتِنَا إيّاه، فضلَه الذي نرجوه من
138 العلم عنده والزيادة منه لنا/ بقدر ما كان يزيدنا منه لمّا استزَدْنَاه. وإنّ ذلك إن شاء الله يبلغ بنا إلى غاية ما نأمله ونرجوه منه بفضل الله ونعمته.

---

(1) ب: سقطت: يعنيني.

كلام في درك العلم ذكر في مجلس[1]:

162 ـ (قال) وسمعته (صلع) يقول: إنّما تخلّف من النّاس وجوب المواظبة
عن درك العلوم التي يطلبونها أنّ أحدهم إذا نظر في باب من العلم الذي يطلبه على تحصيل العلم
لم يستكمله، وإذا أكمله نظراً أو قراءة أو سماعاً لم يتدبّره * وأخذ في غيره ولم *ب 33
يُتْقِنْه ولا حَفِظَه ولا وقَفَ على حقيقته وما يقتضيه ممّا يأتي بعدَه، وكذلك ينتقل
من باب إلى باب، ومن كتاب إلى كتاب، ومن علم بعد علم. فلا يزال كذلك
في عمىً وحيرة/ ولا يكاد يظفر ممّا يطلبه بكثيرٍ فائدة إلاّ مثل ما مرّ عليه 139
صفحاً. ولو كان أحدهم إذا نظر في العلم يقصد إليه ويتعلَّقُ به ويُريد حفظَه
[فـ]ـنظر في أوّل باب منه نظراً شافياً، وأنعَمَ في ذلك إنعاماً كافياً، حتّى يُتقِنَ
حفظَه، ويحيطَ علماً به وبجميع أسبابه، فلا يبقى عليه شيءٌ منه، لَفَتَح له ذلك
من ذلك العلم ما بعده ولسهَّل عليه حفظَه ولبلغ منه المبلَغَ الذي يُحِبّه إذا كان.
كذلك لا ينظر في باب منه إلاّ بعدَ حفظِ الباب الذي تقدَّمَهُ والعمل فيه على ما
وَصَفْتُه. فالنّاس في ذلك يقصرون بأنفسهم ويتخلّفون باستعجالهم. وكذلِك لو
اقتصر أحدهم على علم من العلوم قد رغب/ فيه ومالت به الشّهوة إليه ووجدَ 140
نفسَه تميلُ نحوَه، لبرع فيه، ولكنّهم يريدون أن يتفنَّنُوا في العلوم ويسارعوا إلى
غاياتها ويحبُّون أن يحتَوُوا عليها، ولم يجعل الله ذلك إلاّ لمن اختصّه بالفضيلة
وأبانه بالعلم والحِكمة من أوليائه الذين هم أحوجُ خَلقه إليه وأفقرُهم إلى ما
عنده[2]. فمن تعاطى في ذلك أن يبلغ مبلغهم أو يدرك شأوَهم قعد به التّقصيرُ،
ولم تساعِدْهُ المقادير.

كلام في الخير والشرّ ذكر في مجلس[3]:

163 ـ (قال) وذكر يوماً صلوات الله عليه الخير والشرّ والحقَّ والباطلَ،

---

(1) ب: كلام في الاقتصار على ما يستطاع لفظه من العلم.
(2) أ : . . . الذين أحوج خلقه إليه وأفقرهم إلى ما عندهم. . .
ب: . . . الذين أحوج خلقه إليهم وأفقرهم إلى ما عندهم. . .
(3) ب: كلام فيه رمز من التأويل ذكر في مجلس.

فقال: ما يقول هؤلاء ـ يعني العوامّ ـ في ذلك؟

141 قلت: الذي يقولونه قد علمه أمير/ المؤمنين.

*ب 34 و قال: قل عليّ ذلك، ما أَمْثلُ قولِهم عندك فيه؟ *

تأويل للآية: ﴿وهديناه النجدَين...﴾

قلت: قالوا في قول الله (عج) ﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾[1]، فذكروا أنّ النّجدَ في اللّغة: الطريقُ في ارتفاع. فقالوا: أراد (عج) أنّه هدى النّاس طريقَ الخير وطريقَ الشرّ عرّفهم إيّاهُما. فمن اهتدى، كما قال (عج)، فلنفسه، ومن ضلّ فعليها[2]. وقد قامت حجّة الله على العباد بما بصّرهم من ذلك.

فقال: وكيف يجوز أن يهديَهم إلى الشرّ؟ لو هداهم إليه فاهتدَوْا بهُداه لكانوا مطيعين إن فعلُوه.

قلت: إنّما معنى قولهم: هداهُمْ إليه، أي عرّفهم إيّاه ليجتنبوه، وكذلك

142 أمرهم أن يدْعُوهُ ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ المُسْتَقِيمَ﴾[3]، أي طريق الحقّ/ .

فقال: هذا ممّا قلناه. إنّ الهدايةَ إنّما تكون إلى الحقّ.

قلت: هم يقولون: الصّراطُ في اللّغة الطّريقُ، ومنه قوله (عج): ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾[4]، والسّبيل أيضاً الطّريق، وجمعه السّبل.

... بطريقي الحقّ والباطل

فقال: لو كان الحقّ طريقاً والباطل طريقاً لتساوَيَا في الحال، ولكان لكلِّ واحدٍ منهما أصلٌ. ولو ثبت أنّ للباطل أصلاً لقارعَ الحقّ، ولكن إنّما الأصل للحقّ وحدَه، والباطل مجتثٌّ لا أصلَ له، ومن هذا قول الله (عج) ﴿[ضرب الله] مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ

143 بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ/ يَتَذَكَّرُونَ. وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ. يُثَبِّتُ اللَّهُ الذين آمَنُوا

(1) البلد، 10.
(2) صواب الآية: فمن اهتدى فلنفسه ومن ضل فإنما يضل عليها (الرمز، 41).
(3) الفاتحة، 6.
(4) الأنعام، 153.

بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ * اللَّهُ مَا *ب 34
يَشَاءُ﴾[1].

ثمّ قال (عم): أفلا ترى أنّه قال (عج) ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ﴾، فَأَخْبَرَ أَنَّ هَذَا الصِّرَاطَ الذي أَمَرَنَا بِإِتِّبَاعِهِ وَاحِدٌ، كما أنَّ الحقّ واحد، ذو أصل. ثم قال: ﴿وَلاَ تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾ أي لا تتبعُوا الباطلَ، وشعوبَه وفروعَه وطرقَه كثيرةٌ وليس له أصلٌ يُرجَع إليه ولا شيءٌ يعوَّلُ عليه.
144 والحقّ كالطريق القاصد، من اقتَفَى منهاجَه لا/ يميل ولا يعدلُ عنه، كان أصلُه الموضعَ الذي خرج عنه، وأدّى من لم يتجنَّبْه إلى المكان الـذي قصَد إليه، ومن تنكّبه أوقعَه إلى المكان المجهولِ، واقتفى كلَّ أثر خفيّ ومسلك غبيّ، ولم يصل إلى حيث توجّه، وتاه في المهالك والمهاوي واعتسف الفيافي. فحيثما أخذ عن يمينه أو شماله أو أمامه أو حيث توجّه على غير طريق، فهو على غير أصلٍ، ولا ينتهي إلى حيث أراد، ولا يزال ما دام كذلك يدعي ضالاً لمّا أضلّ الطّريق. وكذلك من سلك سبيل الباطل واقتفى منهاج الضّلال، وإنّما سمّي ذلك منهاجاً
145 وطريقاً وسبيلاً ومسلكاً ونحو ذلك على المجاز لا على الحقيقة لأنّه/ ليس بطريق في الحقيقة، ولو كان طريقاً لأشبه الحقَّ ولكان ذا أصل، وإنّما هو كما مثّلنا لمن سلك فيه كالمجهول في الأرض الـذي لا طريق فيه، وسمّي طريقاً على المجاز لأنّ الضالّ عن الطريق تطرّق به فاتّخذه طريقاً لنفسه، لا في طرق له وأثر[2] ممّن اهتدى إلى الموضع المقصود قبله. وهذا مثال الحقّ والباطل.

كتاب الإمامة للمنصور 164 ــ ثمّ قال (صلع): وهذا تمثيل مثّله المنصور بالله نضّر الله وجهه وصلّى الله عليه وأثبَتَه * في كتاب الإمامة[3] الذي قد كان بسطه. *ب 35و

في ذكر من يكثر معايب النّاس، والعيب فيه:

165 ــ (قال) وسمعته (صلع) يقول: إذا سمعتم أحداً يكثر معايب الناس

---

(1) إبراهيم، 24 ـ 27.
(2) في النسختين: وأثره من اهتدى. والقراءة ظنية.
(3) كتاب الإمامة: لعلّه كتاب «تثبيت إمامة أمير المؤمنين عليّ» المنسوب إلى المنصور. انظر بونا والا ص 45.

146 ويرميهم/ بعيب يُكْثر ذكرُه، فاعلموا أنّ ذلك العيبَ فيه. فإنّا نأثر عن جدنا عليّ (صع) أنّه سمع امرأة تسبّ أخرى وترميها بالفاحشة، والأخرى لا تقول ذلك لها. فقال: أخلِقْ بما تقوله أنّـه فيها وأنّ التي رمَتْهَا بذلك بريئةٌ منه. فسُئل عن حالهما فوُجِدَتَا كما قال ﷺ وعلى الأئمة من ذرّيته الصادقين[1].

صاحب العيب أسرع إلى إلصاق عيبه بمن هو منه بريء

(1) ختم هذا الجزء بعبارة: تم الجزء الرابع عشر وهو نصف الكتاب في س141. وزاد عليه في أ و ب: والحمد لله رب العالمين، وصلّى الله على محمد وعلى آل محمد الطاهرين الأبرار الصادقين (في النسختين).

الجزء الخامس عشر

[بسم الله الرحمن الرحيم]

في صناعة القلم الذي اخترعه الإمام المعزّ (صلع)[1]:

166 ـ قال القاضي النعمان بن محمد رضي الله عنه/ : ذكر الإمام المعزّ لدين الله عليه السلام القلمَ، فوصف فضله ورمز فيه بباطن العلم ثمّ قال: نريد أن نعمل قلما يُكتَبُ به بلا استمداد من دواة، يكون مداده من داخله: فمتى شاء الإنسان كتب به فأمَدَّهُ وكتب بذلك ما شاء، ومتى شاء تركه، فارتفع المداد، 147

المعزّ يفكّر في اختراع قلم خزّانٍ للحبر..

(1) نجد في بداية الميكروفيلم من نسخة «ب» نصاً بالانجليزية مطبوعاً يحمل عنوان: «قلم خزان من القرن العاشر». كتبه الدكتور حسن الباشا محمود وهو أستاذ تاريخ الفن بجامعة القاهرة.

ويقع النص في صفحتي 28 و 29 من مجلة أو كتاب. وهو دراسة موجزة عن هذا النوع من الأقلام التي يخزن حبرها في قصبتها. فبعد أن ذكر محاولات القدماء إجمالاً دون تدقيق ـ وقد رفعها إلى القرن الثامن عشر ـ تعرض إلى اختراع J.H. Lewis سنة 1819 الذي صنع لقلمه خزاناً من المطاط، ثم إلى تحسين هذا المخترع بتجهيزه بريشة من الذهب.

ومنها انتقل إلى تحليل هذا النص الذي بين أيدينا، فعرّف بكتاب القاضي النعمان بإيجاز، وصرّح بأن اختراع القلم الخزّان قد سبق بكثير اختراع لويس المذكور، وقال: وقعت هذه البادرة من المعزّ في مصر في القرن العاشر. والملاحظ أنّ نصّنا هذا لا يذكر مصر قط، وإنما افترض ذلك صاحب المقال معتمداً على الفترة المصرية من خلافة المعز وهي قصيرة جداً بالنسة إلى الفترة الإفريقية.

ولا تخفى أهميّة هذا النص من الناحية الحضرية، إذ لا شك أن قلم المعز هذا سبق بثمانية قرون أول قلم خزان عرف في أوروبا، وهو قلم F.B. Foelsh سنة 1809، ثم قلم J. Scheffer سنة 1819 (انظر دائرة المعارف الإيطالية، فصل Penna ج 26 ص 680).

وكذلك الفصل الذي كتبناه عن هذا الاختراع في الدراسات المهداة إلى الدكتور عبد العزيز الدوريّ.

وكان القلم ناشفاً منه، يجعله الكاتب في كمّه أو حيث شاء فلا يؤثّر فيه ولا يرشح شيء من المداد عنه، ولا يكون ذلك إلاّ عندما يُبتغى منه ويراد الكتابة به، فيكون آلة عجيبة لم نعلم أنّا سبُقنا إليها ودليلاً على حكمة بالغة لمن تأمّلها وعرف وجه المعنى فيها.

*ب 35 ء ر 148 فقلت: ويكون هذا يا مولانا عليك السلام؟!/

قال: يكون إن شاء الله.

... فيصنعه له بعض صُنّاعه... فما مرّ بعد ذلك إلاّ أيّام قلائل حتّى جاء به الصانع الذي وصف له الصنعةَ، معمولاً من ذهب فأودعه المِدادَ وكتب به فكتب، وزاد شيئاً من المداد على مقدار الحاجة. فأمر بإصلاح شيء منه فأصلحه وجاء به فإذا هو قلم يقلب في اليد ويميل إلى كلّ ناحية فلا يبدو منه شيء من المداد. فإذا أخذه الكاتب وكتب به كتب أحسن كتاب ما شاء أن يكتب به. ثمّ إذا رفعه عن الكتاب أمسك المداد.

... فإذا فيه فوائد عجيبة فرأيت صنعةً عجيبة لم أكن أظنّ أنّي أرى مثلها وتبيّن لي فيه مَثَلٌ حسن في أنّه لا يسمح بما عنده إلاّ عند طلب ذلك منه، وفيما يعود بالنّفع ممّا جُعِل سبباً
149 /له، ولا يجود لغير مبتغ ولا يُخرِج ما فيه إلاّ لمَن يجب إخراجُ ذلك له لمَن يحبّ، ولا يخرج منه ما يضرّ فيَلْطَخَ يدَ من يُمسكُه أو ثوبَه أو ما لصق به، فهو نفع ولا ضرر، وجواد لِمَن سأل، وممسك عمّن لم يسأل، ومستغنٍ بما فيه عن غير أن يستمدّ منه.

وهذا نحو بعض ما قال بعض العامّة في القلم إنّه أوّل شيء خلقه الله عزّوجل، فقال له: اكتب فكتب(1).

(1) نستغرب أن يسند القاضي النعمان ما جاء في القلم إلى العامة. والحال أن الإسماعيلية هم أصحاب هذه المقالة كما تدلّ عليه نصوص منهم كثيرة: فهم يطلقون اسم القلم على العقل الأول الذي هو الموجود الأول. ويقول السجستاني (المتوفى سنة 363 هـ تقريباً) في كتاب إثبات النبوات ص 47 في وجه الشبه بين العقل والقلم: «ويحق أيضاً شبه العقل بالقلم لأن صور الحروف والأسماء والكلمات والعلم وهي في القلم شيء واحد ليس له مع بعض الحروف مشاكلة ومناسبة ولا من بعضها منافرة ومباعدة، ولو شاكل القلم بعض الحروف أو نافر عن البعض لظهر المشاكل له قبل المنافرة عنه، وليس يوجد في القلم هذا الحال بل يتبين للناظر أن اختلاف أشكالها وتأليفاتها إنما هي من أجل حركة الكاتب لا من=

وفيما يرمز أولياء الله ويعملونه ويأمرون به ويتكلّمون فيه حكمة بالغة لمن تأمّلها وهُدِي إليها. والله يهدي من يشاء من عباده المؤمنين إلى صراطه المستقيم.

كلام جرى في مدح كتامة:

167 ــ (قال) وسمعته صلوات الله عليه/ يقول وقد دخل إليه رجال من 150 ك ا
كتامة أتوا من النّواحي لشهود العيد، فدخلوا إليه وسلّموا عليه، ووقفوا بين يديه،
فسألهم عن أحوالهم * ومن خلّفوه منهم فأحفى السّؤال بهم. فشكروا ذلك من *ب36و
افتقاده وسؤاله، وذكروا جميل أحوالهم وهدوء نواحيهم واستقامة الأمور قِبَلَهم، وشكروا عمّال بلدانهم.

فابتهج لذلك صلوات الله عليه وسرّه وتهلّل وجهه وتبسّم، ثمّ نظر إليّ المعزّ يطري جماعة
فقال: هؤلاء أولياؤنا وخالصتنا، هؤلاء حزبُنا وزُمرتُنا، هؤلاء أتباعُنا وعمُدَتُنا، كتامة...
هؤلاء خاصّتنا وأهل مودّتنا، هؤلاء الذّين يكونون في الجنّة معنا كما كانوا معنا في
الدّنيا. ما أسرّني بهم وأبهجَني برؤيتهم/ وأحسنَ في عينيَّ منظرَهم! إنّي لأرى 151
جماعتهم وكأنّهم عندي صورة واحدة، قد تساوَوْا في الجمال والهيئة والبهجة، حتّى إذا خالطوا النّاسَ من غيرهم: فالواحد منهم متى رأيتُه بين الجماعة من غيرهم كان عندي كالعلمَ السَنِيّ وكالسّراج المُضيء. أما إنّي لأقول في نفسي كثيراً إذا رأيت ذلك منهم: إنّ ذلك لفَرْط محبّتي لهم، فلذلك أراهم كذلك.

فقبّلوا الأرض بين يديه، وقالوا: يقول مولانا ما يقوله بفضله علينا. فأمّا نحن في موالاتنا إيّاه ومحبّتنا له فلأنفسنا سعينا، ورضى ربّنا بذلك أردنا، وما

= أجل القلم في ذاته. كذلك جميع الأشياء في السابق لم تتفاوت في جوهريته». ويرى مفكرو الإسماعيلية أن الآية «نٓ والقلم» تطلق على العقل والنفس، فالنون كناية على النفس، والقلم على العقل، وفي ذلك يقول حاتم بن إبراهيم الحامدي في مجالسه ص 160 أ مخطوط: «نٓ والقلم: خلق الله القلم من شجرة في جنة الفردوس يقال لها الخلد فقال (تع): اكتب؟ قال يا رب وما أكتب؟ قال (تع): اكتب ما كان وما هو كائن... فكتب القلم ما قال الرب في رَقٍّ أصفى من الياقوت وأشد بياضاً من الفضة ثم طوى ذلك فجعله في ركن العرش «وهو أول شيء خلقه الله» (مجالس 124 أ). ويقول السجستاني في كتاب الافتخار ص 43 مخطوط: «أما القلم واللوح فإنهما يضافان إلى الأصلين (أي العقل والنفس) ويستعملان في إفادة التراكيب».

152 ذلك منّا بالتكلّف ولا بشيء نُكرِهُ أنفسَنا عليه، ولا نرى عليه مشقّة/ ولا كلفة فيه.
. . . فيزدادون ولاء له. . . وما ذلك فينا دون بنينا وخدَمِنا وعبيدنا. والله ما يحلِف أطفالُنا وعبيدُنا وخدمُنا إلاّ بحقّ مولانا وفضله، ولا على ألسنتهم ولا هجيّرى[1] لهم غيره، ولا يعرفون لهم
* ب 36 مولى سواه، وما نشأ منّا ومنهم من نشأ إلاّ على ذلك وعليه يموت * إن شاء الله.

. . . ويذكرون له صبر نسائهم وأولادهم على محنة أبي يزيد والله لقد حاز العدوّ أيّام الفتنة[2] من حازوا من النّساء والأطفال، ولقد كانت وصاياهم وكتبهم تأتينا يأمروننا بالصّبر مع وليّ الله وأن لا نعطي لمكانهم[3] الدِيَة لأعداء الله. فصبعروا على السّراء والضرّاء والسَبْيِ والأَسر حتّى أظهرَنَا الله تعالى بوليّه واستنقذناهم قسراً بحول الله وقوّته.

153 فقال صلوات الله عليه: لن يضيع الله سبحانه/ لكم ذلك ولا يَنْساه. والله لو اطّلعتم على ما لكم عند الله بذلك لقرّت أعيُنكم وطابت أنفسكم. وإنّ الله سبحانه تعبّد الخلقَ بضروب مِنَ المحن، فما تعبّدكم إلا لأفضلها وما استعملكم إلاّ في خيرها وأشرفها: موالاة أوليائه والجهاد في سبيله والذبّ عن صرح دينه. فأبشروا من الله بالقسم الأوفى والحظّ الأسنى.

وفي مثل ذلك:

(قال) وسمعته (صع) يقول لبعض الأولياء من كتامة: والله ما يُخالجني الشكُّ في اعتقادِ صغيركم وكبيركم وحُرّكم وعبدكم وذكَركم وأنثاكم وَلاَيَـتَـنَا واجتماعِ قلوبكم على محبّتنا، على ذلك نشأ صغيركم وعليه كبُر كبيركم.

154 قال أحدهم: والله لو قد/ سمع مولانا (عم) ما يلفظ به نساؤنا وعبيدنا وصبياننا من القول بولايته والمحبّة له ونشر فضله، لعلم أنّهم على ما ذكره فيهم.

فقال (عم): ولمَ لا يكونون كذلك! وقد قسم الله (عج) لهم منّا[4] الحظّ الأوفر في المحبّة لهم والإشفاق عليهم والمودّة لصغيرهم وكبيرهم، وما لم يكن
* ب 37 و لهم مثله من أحد من آبائنا * مع ما وهب الله لهم من أيّامنا من العزّ والأمن والسعَةِ

(1) سقطت من أ. والهجّيرى هي الدأب والشأن والعادة.
(2) يعني فتنة أبي يزيد.
(3) كذا في «أ» و«ب»، على المعنى الدارج ـ موضعهم. ويمكن قراءتها: لفكاكهم.
(4) من: ولم. . . إلى. . . منا. . . ساقطة من أ.

والسّلطان وعلوّ الكلمة ما لو أدركه مَن مضى من أسلافهم ثمّ أمرناهم أن يلجوا النّار بين أيدينا لولجوها.

فقال أحدهم: والله إنّا لنقول ذلك ونتمنّى لمن[1] مات من آبائنا وإخواننا أن لو مُدّ في أعمارهم حتّى يكونوا بلغوا هذه الأيّامَ ورأوا هذه النِّعَم وشمَلهم / هذا 155
الفضل، لقد كان ممّا يزيد في بصائرهم وتعظم به نعم الله عليهم. على أنّا لا نرى بمن بقيَ منهم تقصيراً في الولاية والطّاعة.

قال: لا والحمد لله، ما بهم في ذلك تقصير[2]. وإنّهم في الثّبات لعلى أفضل حالٍ ممّن مضى من سلفهم[3]. ولكنّهم ربّما أرادوا رضانا بالشّيْء فأخطأوه، وربّما تعلّقوا بمن دوننا ليجعلوا ذلك وسيلة إلينا. لا والله ما جعلنا لأحد عليهم في ذلك من سبيل.

ثم قال: ومن مثل هذا دخل ما دخل على من مضى من أسلافهم: رأيت بخطّ القائم بأمر الله صلوات الله عليه حكاية عن قول بعض من كان من الشيوخ الأوّلين، لحقهم ما لحِقَهم من الشّكّ في أيّام المهديّ / بالله[4] (عم)، وقد 156
عاتبه المهديّ في ذلك فقال له: والله يا مولانا، ما نافقنا عليك، ولا غيّرنا ولا بدّلنا. والله لقد نافقنا وغيّرنا وبدّلنا من حيث لم نعلَمْ ذلك ولم نقصد إليه، ولكن شبّه علينا فيه، فوقعنا في ذلك من حيث لم نعلم. فإن يعفُ مولانا عنّا فبفضله، وإن يعاقب بما شاء من العقوبة فنحن أهلها. فقال المهديّ بالله (عم): بل يعفو الله عنكم يا أبا فلان. وذلك لما علمه من حسن نيّته وطويّته وصدق لهجته.

رجال كتامة ربّما اجتهدوا فأخطأوا مثلما وقع لهم في عهد المهديّ

---

(1) ب: سقط من: أيدينا إلى: نتمنى لمن...
(2) ب: سقط من: تقصيراً... إلى: تقصير...
(3) تركيب الجملة مختلّ، والصواب: إنّهم أفضلُ حالاً مِمَّن...
(4) يشير بهذا إلى الذين افتتنوا في أمر المهدي في بدء أيّامه وبدأوا يُسرّون الانتقاض عليه بقيادة داعيه أبي عبدالله الصنعاني وأخيه أبي العباس. فأمر المهدي بهما فقتلا في رقّادة يوم الثلاثاء فاتح ذي الحجة سنة 298 هـ، واستمرّ التقتيل والملاحقة لبقية الأتباع. (انظر النعمان: افتتاح الدعوة ط. بيروت 306 وما بعدها. وابن حماد، 11. والبيان المغرب 1: 164. والمقريزي: المقفّى 3/492، و 5/264 في ترجمة الأخوين.

*ب 37 كلام فيه أخبار، عن * تقدمة معرفة الفتنة[1]:

168 ــ (قال) وكان القائم بأمر الله (عم) قد أزمع الانتقال من المهديّة بعد
157 وفاة المهديّ/ (ص) وأراد استنباط/ مدينة غيرها، وأرسل فقيس له مواضع كثيرة كلّها أراد البناء فيها.

القائم فكّر في استبدال المهديّة...

قال المعزّ (صلع): فكأنّه كان يرى ما حلّ بعد ذلك من الفتنة. فنظرت في غير موضع من المواضع التي قاسها ليبنيَ فيها فوجدت اللّعين مخلداً قد أناخ فيها بعساكره، ونزل في المواضع التي قاسها بعينه[2]. ثمّ طلبت ذلك بالحقيقة وأخرجت القياسات فلم أر موضعاً قاس فيه ليبنيه من حدود إفريقيّة[3] إلاّ وقد نزل عدّه اللّعين مخلد فيه، وأعدّه مناخاً. وسمّي لنا من ذلك[4]: مرجنّة[5]، والشّرف[6]

... فقاس عدّة مواضع من إفريقيّة...

(1) من «ب». وفي «أ»: كلام فيه أخبار في معرفة.

(2) ب: بعينيه س: بعينه. ولعل الصواب: بعينها.

(3) إفريقية: يتفاوت امتداد هذا المدلول الجغرافي قديماً عند الرحالين وأصحاب المعاجم. فيقول ياقوت: «... بلاد واسعة قبالة جزيرة صقلية، وينتهي آخرها قبالة جزيرة الأندلس».
ويقول البكري: «... من طرابلس من جهة برقة والاسكندرية إلى بجاية...». وانظر لمزيد من التوضيح فصل «إفريقية» بدائرة المعارف الإسلامية.

(4) يعد هذا النص أول بيان من نوعه عن المحاولات التي تلت تأسيس المهدية في البحث عن موقع آخر حصين يعتصم الفاطميون به من الأخطار المحدقة بهم، ويبدو أن الأحداث استعجلت الخليفة القائم عن تحقيق ذلك، وانشغل بمشاكل الثورة عليه حتى توفي، فحقق المنصور بعد ذلك هذا الانتقال عن المهدية، بتأسيس صبرة المنصورية والاستقرار فيها سنة 337 هـ.

(5) في النسختين: مرجنة، ولعلها مرماجنة، وقد ذكر المقدسي (أحسن التقاسيم 227) أنها «كورة كبيرة من عمل رستاق تبسا». وكان للفاطميين بها ذكريات روحية قديمة إذ بها أقام وتوفي الداعي أبو سفيان الذي أرسله الإمام جعفر الصادق سنة 145 هـ. وقال عنها القاضي النعمان: «أنها دار شيعة». (انظر افتتاح الدعوة 27 ط. بيروت والإدريسي: صفة المغرب 118. والحميري: الروض المعطار 540).

(6) لعله فكّر في استعمال القصبة الأغلبية التي يقوم بها منار خلف الفتى بسوسة وهي قائمة في الركن الجنوبي الغربي، على أن يتوسّع في الزيادة فيها مع امتداد الهضبة إلى موقع مركز ولاية سوسة اليوم. وهذا هو الشرف المطل على المدينة.

المطلّ على مدينة سوسة، وبقلوط[1] وقصر الزجاج[2]، وموضع مناخه بقرب
المهديّة [الذي] كان قد قيس للقائم (عم) على أن يبني فيه/ لاستشرافه على البحر 158
والمنازل وصحّة هوائه، ثمّ مواضع المنصوريّة[3] والجزيرة[4]، الموضع الذي
انهزم منه اللعين مخلد، فلم يكن له بعد ذلك مناخ بإفريقيّة. فكأنّما [كانت][5] ... نزل بها أبو يزيد أيّام الفتنة، وأطرد منها الواحد بعد الآخر
مناخاته بين يدي القائم بأمر الله (عج) أراد أن يبنيها ويسبقه إليها، وكره المهديّة
وأبغض المقام بها كأنّه كان يرى ما يصير إليه أمرها من الحصار والضيق والمحنة
وما يحلّ بمن فيها من الفتنة. وإن كانت العاقبة بحمد الله آلت إلى خير بعد ذلك

(1) س 151: نقلوط. وقد اختفى اسم «بقلوط» اليوم، ولكن يوجد انتساب له في اسم قرية «البقالطة» بقرب المهدية. ولسنا متأكدين من صحة العلاقة بين هذين الاسمين، ولا من الموقع.

(2) لا ذكر لهذا القصر بين قصور إفريقية في كتب الرحالة والجغرافيين القدامى، وكذلك في الثبت الذي سجله الإدريسي «لمراسي البحر وقراطله وما عليه من القصور» (صفة المغرب، 123 وما بعدها).
وما دام القاضي النعمان قد قرب موضعه إلى المهدية وقال أنه «مطل على البحر والمنازل» فمن الممكن أن يكون هذا الاسم قد تحرف عن «قصر الديماس» الموجود على ساحل قرية البقالطة، وهو موقع رأس الديماس شمال المهدية، حيث توجد آثار مرسى بحري قديم، وأطلال حصن قديم أيضاً جدد واستعمل في العصر الإسلامي للمرابطة والاحتماء. ويعتبر هذا الحصن أو القصر مع جزيرة الأحاسي التي تقع أمامه مفتاح دفاع عن المهدية، كما تأكد ذلك ف حملة لجار الثاني Roger II البحرية سنة 517 هـ. (انظر التجاني: الرحلة 335 و Idris: La Berbérie orientale sous les Zirides I, 334
وكذلك:
Ch. Tissot: Géographie comparée de la province romaine d'Afrique, II, p. 172, 745).

(3) هي المنصورية التي أسّسها إلى جانب القيروان الجنوبي الشرقي الخليفة الفاطمي الثالث: المنصور إسماعيل إثر فراغه من حرب أبي يزيد مخلد بن كيداد. وخططها مدورة كهيئة بغداد لأغراض الدفاع. وقد ذكر ابن حوقل المعاصر لتأسيسها أن المنصور «اختط أحسن بلد في أسرع أمد»، وانتقل إليه واستوطنه وأقام به يوم الثلاثاء لليلة بقيت من شوّال سنة 337 هـ». واشتهرت باسم «صبرة» و«صبرة المنصورية». (انظر ابن حوقل: صفة الأرض 73. والمقدسي: أحسن التقاسيم 226. وابن حماد: أخبار ملوك بني عبيد 23. والبكري: 25).

(4) لا ندري إذا كان هذا الاسم يعني جزيرة ابن شريك (الوطن القبلي)، أم جزيرة الأحاسي برأس الديماس إذ يبدو أنها موقع صالح لإدارة حصار المهدية.

(5) زيادة من س 152.

وإلى السّرور والفرح والعزّ والنّصر، وصل الله ذلك وأدامه وفسَح أيّامه.

*ب38و رؤيا رآها المعزّ (صلع) *:

169 ـ (قال) وسمعته (صلع) يقول: لمّا أردت بناء القصر المعروف
159 / بقصر البحر واحتفار البحر فيه، وقفت في الموضع الذي أردت إحداثَ ذلك فيه وقِسْتُه. كنت على أن آمر بالابتداء في ذلك إلى مثل مدّة شهر، ثمّ نمت من الليل، فكأنّي رأيت أنّي وقفت حيثُ كنتُ، والعبيد عن بعد منّي، إذ نظرت إلى رجل مُقبل إليّ، فجعلت أتعجّب من دخوله إلى مثل ذلك الموضع الذي دخل إليّ فيه بلا إذن. ثمّ جعلت كأنّي حلُمت عنه وتركتُه حتى قرب منّي. فنظرت إلى رجل شابٌ حسن الوجه معتدلِ القامة خفيف العارضين، عليه ثياب نظيفة وطيلسان رقيق، فسلّم عليّ وأومأ إلى أن يقبّل يدي، فرفَعْتُها عنه فقبّل عضدي، وقال: ما
160 أوقفك ههنا؟ فتبسّمت/ وقلت: بينما نحن نريـد أن نسألك ما أدخلَك إلينا بلا إذن منّا لك في الدّخول، أوَ صِرْتَ أنت تسألنا عن وقوفنا في موضعنا؟

فقال: أفتأمن على نفسك من مثلي لو أراد بك سوءاً ههنا؟

قلت: أفما ترى مَن حولك مِن عبيدنا؟

قال: وأين هم؟

فنظرت فلم أر أحداً. فاستربته في نفسي، فقال لي: إنّما أتيتك أسألك عمّا تريد أن تصنع ههنا.

المعزّ يعتزم بناء قصر البحر بالمنصوريّة...

قلت: ومَن أنت؟

قال: تريد أن تعرف[1] من أنا؟

قلت: أحبّ ذلك.

قال: أنا بطليموس.

قلت: أيّ بطليموس أنت؟

(1) أ : ما تريد أن تعرف...
ب: ما أنت تريد أنت تعرف...

قال: بطليموس[1] المعروف المذكور.

قلت: صاحب الحساب والتنجيم؟

قال: نعم.

قلت: صاحب كتاب المجسطي؟

قال: نعم.

قلت: فما كان دينك/ ومذهبك؟ 161

قال: التّوحيد.

قلت: فماذا صرت إليه؟

قال: إلى خير والحمد لله. *ب 38

/ قلت: * ولماذا سألتني عن وقوفي ههنا؟

قال: أردت أن أعرف ذلك.

قلت: أردت أن أبتني ههنا قصراً وأحتفر في وسطه بحراً أجري فيه ماء ويكون في وسط الماء قصر[2].

... فيرى في منامه بطليموس الفلكيّ، فينصحه بتقديم يوم الشروع فيه...

---

(1) بطليموس القلوذي Ptolémée، ولد بالصعيد المصري وعاش في الاسكندرية في القرن الثاني بعد الميلاد وكتابه المجسطي كتاب في علم الهيئة والنجوم وحركات الكواكب والأفلاك. وكان أول من عني بتفسيره وتعريبه يحيى بن خالد ابن برمك سنة 190 هـ. ثم توالت عليه الشروح والتحارير والمراجعات. وكان كتابه في جغرافية الأرض محل دراسة طيلة القرون الوسطى.

(انظر عنه: القفطي: أخبار الحكماء 95 وما بعدها. وابن النديم: الفهرست 267. وابن جلجل: طبقات الأطباء 37 وحاجي خليفة: كشف الظنون 2: 1594.

(2) سمّى زيادة الله الثالث آخر أمراء الدولة الأغلبية قصره الكبير برقادة «قصر البحر»، وكان من المعالم الأثرية التي أعجب بها الخليفة الأول عُبَيد الله المهدي (انظر: الروض المعطار، 487).

وهو قصر يشرف على بركة مستطيلة لا تزال آثارها باقية إلى اليوم (انظر: Solignac: Recherches sur les installations hydrauliques de Kairouan, 247) وقصر البحر الذي يشير إليه المعز في هذا النص ويقول فيه: «... بوسطه بحر أجري فيه الماء، ويكون في وسط الماء قصر»، تردد صداه في قصيدة للشاعر علي الإيادي التونسي في مدحه للمعز إذ يقول [طويل]:

«تحف بقصر ذي قصور كأنما ترى البحر في أرجائه وهو مُتأَقُ

لـه بِركـة للمـاء مـلء فضـائـه تخبُّ بقطـرَيهـا العيـون وتعنـق» =

قال: حسن جميل، ولكن أبتِدىءُ في ذلك يوم الثّلاثاء.

قلت: وأي يوم ثلاثاء هو؟

قال: هذا الآتي.

قلت: سبحان الله! ما يتهيّأ لي أن أقيس الموضع إلى مثل هذه المدّة فضلاً عن أن أدبّر ما أردته فيه.

قال: ابدأ فيه يوم الثلاثاء ـ على كلّ حال ـ بما أمكن من العمل، فإنّه يوم صالح.

162 ثمّ انتبهت، فقلت: لأنْظُرنَّ قول أهل النّجوم في الاختيار/ في هذا اليوم الذي قاله، ولم يكن في نفسي أن أختارَ لذلك ولا ألتفِتَ إلى قولهم فيه، ولكنّي أردت أن أعرف معنى الرّؤيا. فنظرتُ فلم أر يوماً ـ على ما قالوا إلى مدّة طويلة ـ أحسن في الاختيار عندهم من يوم الثلاثاء الذي قاله. ثمّ وقفت بعد ذلك في الموضع الذي كنت فيه قائماً فيما رأيته في المنام، والعبيد منّي بعيد كما كنت أراهم في النوم، وبين يديّ سبع في قفص. ففُتِح له لشيء يلقى إليه، فاقتحم البابَ وكاد أن يخرُج إليّ. ونظرت إلى العبيد فلم أرهم، كما كنت رأيتُ ذلك في المنام. فبادر السّائس فأطبق على السّبع، وسلّمني الله (عج).

... المتجمّـــون يؤوّلون ما أشار به

حادثة للمعزّ مع سبع، يربطها برؤياه

163 فعلمت أنّ ذلك الذي رأيته في المنام كان إنذاراً.

كلام في قصّة يوم الغدير:

170 ــ (قال) وسألته (عم) عن الرواية في يوم الغدير وما قاله رسول الله (صلع)

= (انظر كتابنا: الأدب بإفريقية ص 130).

وقد انطمست آثار صبرة/ المنصورية فلم تظفر الحفريات بكشف يمكن تطبيقه على أوصاف هذا القصر.

وإنّ البركة المستديرة الموجودة ضمن آثار صبرة والتي اعتبر Solignac (نفس المرجع ص 273) أنها هي «البحر»، لا يمكن أن تنطبق على الصورة التي قدّمها المعزّ في النصّ والإيادي في البيتين: ذلك أن قطرها لا يسمح بإقامة قصر داخلها.

ويبقى الاحتمال الأرجح، أن تكون بركة قصر البحر هي البركة المستطيلة ذات الأبعاد 170 متراً × 65 متراً التي يمكن أن يوجه معنى «قطريها» عند الإيادي إلى مقياسي الطول والعرض. (وانظر المجالس ص 510).

النعمان يسأل المعزّ عن تاريخ حديث خم...

ذلك اليوم لعليّ (عم)، وما قام به من ولايته بقوله: من كنت مولاه فعليّ مولاه. وقلت: جاءت الرّواية أنّ ذلك كان في منصرفه (عم) من حجّة الوداع لمّا صار عند غدير خم وذلك لثماني * عشرة خلت من ذي الحجّة[1] وأنّ الله (عج) أنزل عليه حينئذ لمّا قام بولاية عليّ (عم) وأجاب المسلمون ما عقده له: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلَامَ دِينًا﴾[2]. *ب39و

فقال: نعم، كذلك كان الأمر.

قلت: وقد جاء عن أبي جعفر محمّد بن عليّ (صع) أنّه قيل له إنّ بعض اليهود سمع قول الله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي / وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلَامَ دِيناً﴾، فقال اليهوديّ: لو نزل مثل هذا علينا لاتّخذنا هذا 164
اليوم عيداً.

قال أبو جعفر: لقد نزل ذلك في يوم عيدين: نزل في يوم عَرَفة. ووقع يومَ جمعة[3].

... أكان يومَ عرفة كما قال الإمام الباقر، أم بعد عرفة بتسعة أيّام؟

قلت: ويوم عرفة يوم تسعة من ذي الحجّة، فكأنّ ذلك ـ على الحديث ـ نزل قبل يوم الغدير بتسعة أيّام.

(1) من: ... لما صار... إلى... ذي الحجة: ساقطة من «أ». والتكملة من «ب».
وخم، موضع بين مكة والمدينة، نزل به الرسول (ص) عند عودته من حجة الوداع وقال فيه هذه القولة المعروفة التي اعتبرها أشياع علي بيعة له تقر حقه في «خلافة الرسول» واعتبروها تكلمة لآخر الفرائض، وهي الولاية. (انظر: ياقوت: بلدان، والحميري: الروض المعطار 156، والمسعودي: التنبيه والإشراف، 250، ودعائم الإسلام، 2: 14و 16).
وقد صارت ذكرى هذا اليوم عيداً عند الفاطميين منذ مقدم المعز إلى مصر سنة 362 (انظر: اتعاظ الحنفاء 1: 142).

(2) المائدة: 3.

(3) وهو قول عمر بن الخطاب أيضاً وابن عباس. انظر تفسير الطبري في طبعة دار المعارف بالقاهرة ج 9 ص 524 عدد 11095 و 11097. ولكنهما لم يشيرا إلى حديث الغدير هذا، الذي اعتبره أتباع علي نصاً على ولايته. ومعلوم أن جمهور السنة ينكرون هذا النصّ. وكذلك المعتزلة: انظر ما كتبه الجاحظ في كتاب العثمانية ص 176 من طبعة عبد السلام هارون.

فتبسّم (صع) وقال: فما قلت أنت في ذلك؟

قلت: ما ذهب وهمي في ذلك أنّ قول رسول الله (صلع): خلّفتُ فيكم ما إن تمسّكتُم به بعدي لن تضلّوا: كتاب الله وعِترتي أهلَ بيتي ـ قال هذا يوم عرفة ـ أنزِلَ فوجبت به الولاية، وفسّرها بعد ذلك يومُ الغدير[1].

165 فقال: لا، ولكن كان في يوم عرفة كما قال أبو/ جعفر (عم). وذكر تأويل عرفة فتبيّن لي الأمر، وصحّ الحديثان[2].

المعزّ يجيبه بتأويل باطنيّ

فكأنّما شقّ عن قلبي له غطاء كان عليه. فقبّلت الأرض بين يديه، وقلت: يا مولانا، هذا الذي نزل من السمـاء لا ما سكن في الأرض.

كلام في الربيع جرى في مجلس:

171 ـــ (قال) وذُكر الرّبيعُ يوماً في مجلس المعزّ (صلع) وما يكون فيه من الخضر والزَّهر والنَّبت وتفتّح الشّجر. إلى أن جرى ذكر النُّزهة فيه وما يخرج به
*ب39 أهل الخلاعة والبِطالة إليه ـ إذا * اعتمّ[3] نبتُه وزها نوّاره واخضرّ عُشبُه وتفتّحت أشجاره ـ من ألوان الأطعمة وخبائث الأشربة في نزههم إليه، وما يعكفون به من لهوهم عليه.

166 فقال المعزّ (صلع): سبحان الله! ما كان أولاهم/ إذا نظروا إلى عظيم قدرته فيما أخرجه من نبات الأرض ونوّارها وافتتاح أشجارها بعد أن عاد منه ما كان قبل

(1) الكلام هنا مختل التركيب أو غامض المعنى. وفهمنا نحن أن النعمان كان يظن أن حديث العترة المنتخبة قيل يوم عرفة، وجاء حديث الغدير مؤيداً له، مؤسّساً مبدأ الولاية لعلي. ولم يربط النعمان الصلة بين آية إكمال الدين وإتمام النعمة وحديث الغدير، وهو أمر لم يغفله مفسّرو الشيعة، ومنهم محمد حسين الطباطبائي في تفسير الميزان، مجلد 5 ص 176 إذ يقول: «وهذا يؤيد. . . أن الآية نزلت يوم غدير خم، وهو اليوم الثامن عشر من ذي الحجة سنة عشر للهجرة في أمر ولاية علي عليه السلام» (الطبعة الثانية، بيروت 1974). وانظر فصل «غدير خم» في دائرة المعارف الإسلامية.

(2) قد احتفظ النعمان بهذا التأويل لنفسه ولخاصّة الأولياء، ولم يفصح عن حقيقة التضارب بين الأثرين: أكانت الوصية يوم عرفة أم بعد الفراغ من مناسك الحج، في طريق العودة إلى دار الهجرة؟

(3) اعتم النبت بالزهر وتعمم: تكلّل به كالتاج.

المعز تستنكر فروج الناس في الربيع للقصف والتسرب...

160 ذلك مخضراً عميماً، يبساً وصار عصفاً هشيما[1]، ثمّ أنبته الله تعالى/ بالقدرة، وأعاده بعد أن يبس وذوى إلى النَضرة، وزيّنه ببدائع الزّهر، وكساه بعد الجفاف ألوان الخضر فأحياه بعد الممات، وأيقظه بعد السّبات، وأخرجه من تراب وماء، وغذّاه بحرّ الشّمس ولطيف الهواء، وجعل له حياةً وموتاً، وقدّر منه نفعاً وقوتاً، تعجز العقول عن إدراك كيفيّة إخراجه، ونُموِّه. خلقَتْ قدرتُه عظَمَ[2] الأشجار من الحبوب والبذور الصّغار، وما ألّفه بتدبير حكمته من أغصانها وأوراقها، واستخرَجَه من نوّارها وثمارها، وتفاوت ألوانها واختلاف/ أجناسها وطعومها، 167
كما قال الله (تع): ﴿يُسْقَى بِمَاء وَاحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الأُكُلِ﴾[3]. وأخبر أنّ في ذلك من الآيات والدّلائل والبيّنـاتِ ما يـ[و]جب على من أطلعه عليه[4] من عباده الفكرة والنظَرَ والعبرة، والاستدلال بما أظهره من عجائب قدرته ومعجزات خلقه على وحدانيّته وحكمته.

فذلـك الذي أمر الله (عج) به ـ بذلك وغيره ممّا خلقه ـ لقوله: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾[5]، ولم يقل: إن فيه التذاذاً للمتنزّهين واستمتاعاً للآكلين * على النظر إليه والشّاربين. * ب 40 و

... ويمتد أضرار الخمر على العقول والأبدان

ثمّ قال (عم): وليت شعري، ما يبعث النظر إلى النّوار والخضر من لذّة شرب المُسْكِر؟ بل/ ما في شربه مِنَ اللّذة، وهو يُحِيل حسنَ الصّورة إلى القبح والعورة[6]، مِن امتلاء الوجه واحمراره، واستحالة البصر وازوراره، واعوجاج 162 الشّدق وسيلاَن الرّيق، إلى ما يحدثه من زوال العقل والحِلم/ وذهاب المعرفة والفهم، حتّى إنّ إنساناً لو لم يعلم علّة السكر فرأى سكرانا لم يكن شكٌّ فيه أنّه مجنون. بل ربّما كان بعض المجانينِ يَفْهَم ما يقول ويعقل، والسَكرانُ لا يدري ولا يعقِل.

(1) ب: عشفا، أو: حشفا؟
(2) في النسختين: جلت قدرته عظم.
(3) الرعد، 4.
(4) سقطت «عليه» من أ. وتأخرت في ب بعد عباده.
(5) الرعد، 3.
(6) في «ب» الوعرة. وفي «أ» الوعورة.

ثمّ قال (عم): ولقد أحسن الذي وصفه فقال: إنّ السكرَ يُذهِبُ العقلَ، وقلّ شيء ذهب فعاد كاملاً. (قال) ولو لم يكن المسكر محرّماً لكان فيما يوجبه
169 نظر العاقل لنفسه أن لا يتناولَ شيئاً ينقص/ عقلَه. وإنَّ القليلَ منه ليُذهب من عقل مَن يتناوله مقدارَ ذلك الذي وصلَ منه إليه، وكلّما زاد، زاد ذلك حتّى يذهبَ العقلُ كلّه. وليس على ما يقوله مَن أحلّ قليلَه وحرّم ما أسكر منه[1]. وما أسكر الآخِر منه إلاّ مع ما تقدّم له ذلك. ومن هذا قولٌ كثير، يوضّحه ويشهد العقل الصّحيح بصحّته.

في مثالب بني العبّاس الملاعين:

المعزّ يتصفّح كتاباً في سيرة بني العبّاس...

172 ـ (قال) وتصفّح يوماً أخبار بني العبّاس في بعض الكتب، فمرّ على يديه كتاب فيه أخبارُ المتغلّبين من بني العبّاس وسِيَرُهم ممّا ألّفه وجمعه بعضُ رجالهم ممّن قصد إلى ذكر فضائلهم وتخليد أخبارهم ومآثرهم. فجعل مولانا
170 ٭ب 40 المعزّ (عم) يقرأ أخبارهم واحداً بعد/ ٭ واحد. فأكثر ما يجري فيها ذكر شربهم للخمور ولهوهم بالمعازف وصِلاتهم المغنّين واللّهاة والمحتكرين[2] وقولهم الأشعار في الغلمان، ومجونهم مع الفجّار وغدرهم وخترهم[3] وفتكهم وقتل بعضهم بعضاً، واتّخاذهم أمرَ الأمّة دُوَلاً.

... فإذا به كلّه في ذكر مجونهم وفسوقهم...

---

(1) كأنّ المعزّ يقصد هنا أبا حنيفة وأصحابه، في موقفهم المعروف من النبيذ. ولم نجد، والحق يقال، من أحل منهم المسكر قليلاً أو كثيراً.
ولعله يعني بالذات محمد بن الحسن الشيباني الذي قال: ما أسكر كثيره فأحَبُّ إليَّ تركُ شربه، ولا أحرّمه. (انظر مختصر الطحاوي بتحقيق أبي الوفاء الأفغاني، القاهرة 1370، ص 278). وصار تحليل النبيذ شعاراً يلصقه المغرضون بالحنفية، حسبما يظهر في أبيات الزمخشري المعروفة [طويل]:

إذا سألوا عن مذهبي لم أبح به ... وأكتمه، كتمانُه ليَ أسلمُ
فإن حنفيّاً قلت قالوا بأنّني ... أبيح الطلا وهو الشراب المحرّمُ

(الكشاف 4/310).

(2) كذا في النسختين: ولا يتضح تناسب ذكر «المحتكرين» إلى الطبقات التي عدّدها. ولعلّها مصحفة عن المجنكرين، وهم عازفو الجنك، وإن كنا غير واثقين من وجود هذه الآلة في القرن الرابع زمن النعمان.

(3) الختر: أقبح الغدر.

قال المعزّ (عم): هذه محاسن القوم، فكيف بمساوئهم؟ وهذا قول مَن
164 قصد بقوله مدحَهم وفخرَهم، فكيـف بمن قصد ذمَّهم ومعايبهم؟

فقلت: الحمد لله الذي لم يجعَلْنا من أتباعهم وفي أزمانهم فنكونَ مثلهم ... مع أنَّ الكتاب ألف في مناقبهم
ومعهم، ونُحشَر في زمرتهم.

قال: نعم، الحمد لله على ما منّ به عليكم بنا وقسم لكم مِن ولاَيتنا ولطف
لكم من الكون معنا/ . 171

كلام جرى في مجلس في إجراء نهر عين أيّوب إلى المنصوريّة:

173 ـ (قال) واعتزم[1] المعزّ لدين الله (صلع) على إجراء نهر عين أيّوب[2] إلى المنصوريّة، وقد كان القائم (عم) ابتدأ العمل فيه على أن يجريَه إلى

---

(1) في النسختين: ولما. . .

(2) أن مضمون هذا النص جديد كل الجدّة على الوثائق والدراسات التاريخية والأثرية. فهو يفيد أن القائم الخليفة الفاطمي الثاني ابتدأ العمل لإجراء عين نهر أيوب إلى القيروان، وكان مقر الدولة يومئذ بالمهدية، لكن فتنة أبي يزيد عطلت الأمر. وفكر الخليفة الثالث المنصور إسماعيل في مواصلة جهود والده، ولكن مستشاريه هوّلوا عليه، وهو تخويف لم يعبأ به المعز، إذ استأنف العمل يوم الأحد غرة المحرم سنة 348 هـ، مبتدئاً مِن حيث انتهى القائم.

وهذه الحقائق الموثوقة تدعو لإعادة النظر في كل ما قيل عن قنوات الماء الموجَّهة إلى القيروان. فالنصوص لا تفيدنا بشيء توضيحي عن هذا الموضوع، مثل الإشارة العابرة التي وردت في أرجوزة لسان الدين بن الخطيب (رقم الحلل في نظم الدول 31 ـ تونس 1316 هـ) يتحدث فيها عن الخليفة المعز الذي: «. . . جلب الماء على الحنايا».

وقد أخذت الدراسات الأثرية وجهة مختلفة عما يفيده نص القاضي النعمان، ففي التقرير الذي كتبه Lieutenant Lachèvre تعتبر قناة مياه جبل الشريشيرة ضمن المنجزات الرومانية. انظر: Paul Gauckler: Enquête sur les installations hydrauliques romaines en Tunisie IV, p. 277. Tunis 1900

ويذكر G. Marcais أن الأغالبة هم الذين نقلوا الماء إلى القيروان على قناة محمولة على دعائم. حيث تنطلق المياه من حوض التجميع الدائري داخل القناة المقبية، وتجتاز وادي الموتى على حنايا عقودها نصف دائرية، لا تزال أربعة منها قائمة إلى اليوم.

استخدم الفاطميون لتزويد صبرة/ المنصورية بالماء المؤسسات التي أقامها الأغالبة قبلهم كحنايا الشريشيرة التي كان عليهم أن يصلحوا بعض أجزائها وأن يكملوا مد القنوات في الوجهة التي يريدونها وبهذا كان مَرسي G. Marcais, L'architecture musulmane d'Occident

مدينة القيروان، ثمّ جاءت الفتنة فقطعت ذلك، وهمّ المنصور بذلك فهُوّلَ عليه أمرُه.

المعـز يشرع في جلب الماء إلى القيروان بقناة مبنيّة...

ثمّ اعتزم المعزّ (عم) على إجرائه. وبدأ بالعمل فيه أوّل يوم من المحرّم سنة ثمان وأربعين وثلاثمائة وذلك يوم الأحد[1]. وقيس ما بين المكان الذي بلـغ به القائم إلى المنصوريّة فوجد طوله ثلاثة وسبعين ألف ذراع. فأمر بأن تُجْرَى قناة
172 تبنى بالجير[2] تأخذ في أسناد[3]/ جبال وتمرّ على أودية وأوطئة يحتاج فيها إلى آزاج[4] يجري الماء من فوقها.

*ب 41 و

... فيُهوّل عليه الأمر، كما هوّل على القائم والمنصور...

واستهال ذلك بعضُ من حضر. فقال المعزّ (عم): قد هُوّل مثلُ هذا التّهويل * على القائم (عم)، وقيل له: والله لو جُعِلتْ في ساقيه من زجاج ما جرت. وقيل للمنصور (عم): يحتاج أن ينفق فوق مائة ألف دينار، ثمّ الله أعلم

= pp. 36, 93. يوفق بين رأيه وما انتهى إليه Solignac في بحثه Les installations hydrauliques de Kairouan لقناة جبل الشريشيرة ومنابعها ومسالكها وعصور بنائها، حيث تصل القناة الرومانية إلى «هنشير غراره» ومن هناك يبدأ المجرى الأغلبي، الذي لم يغير الفاطميون شيئاً من مخططه وخطة سيره إلا عند اقترابه من القيروان إذ أضيف إليه بعد ترميمه مجرى آخر أوسع وأكثر استيعاباً لحجم الماء المار به.

ولاحظ Solignac بعض الفروق التي اتخذها معياراً للتمييز بين عملي الأغالبة والفاطميين، وذلك أن موادّ البناء التي استخدمت في إقامة هذا الأثر لربط أحجاره وتغشية سطوحه تشتمل على رماد الخشب والخزف المدقوق tuileau، ولكن نسبتها في القسم الفاطمي أكثر ارتفاعاً. (انظر المصدر السابق، 126 وما بعدها).

أن نص النعمان لا يدع شكاً في وضوح دلالته. ويستمد توثيقه عندنا من شخصية كاتبه وعلاقته بالخليفة المعز. ونستبعد أن ينسب هذا الخليفة لنفسه ولأسلافه ما لم ينجزوه من كبير الأعمال.

وإذا عدلنا نظرتنا إلى قناة الشريشيرة والحنايا الحاملة لها فنسبْناها إلى الفاطميين وفق هذا النص فسيظل هناك سؤال مهم يتطلب الإجابة، هو: من أين كان الأغالبة يستقون ويملأون بركهم الواسعة بالقيروان ورقادة؟

كما سيظل اسم «أيوب» الذي نسبت إليه العين، نقطة تساؤل عنه وعن منزلته.

(1) يوافق 14 مارس 959 وهو يوم اثنين.

(2) كذا في «ب». وفي «أ» تبنى بالجهر والجير.

(3) جمع سند محركة: ما قابلك من الجبل وعلا من السفح.

(4) العقود التي تحمل القناة، والمفرد أَزَج.

هل يصحّ جريُها أو لا. وكان ذلك سبب تركها. ولا والله لا أترُكُها ولو أنفقتُ فيها أضعافَ ما قيل. والله لو علمت أنّ الزّجّاجين يستطيعون بناءَها من الزجاج لأمرتُ بعملها ولأجريْتُها فيهـا، ليعلَمَ من يُهوّل ذلك أنّه لا يَهُولني ولا أستَعْظِمُه. وإنّما تهيّأ ما تهيّأ لمن تقدّم/ من ملوك الأرض من مثل هذه الأعمال، بالعزم عليها 173
والحزم فيها.

ثمّ ذكر ماء جبل زغوان الذي كان يجري في قناة[1] قرطاجنّة فقال: أما والله فلا يثني
لو كان لنا هناك ما نستقي به لأصلحتُ تلك القناة ولأجريتُه فيها. وإن كان الناس عزمُه...
يتعاظمون أمرَها ويرون أنّ أحداً لا يقدر على ذلك، فليت شعري كيف جاز ذلك
عندهم لمن تقدّم ولا يجوز لمن تأخّر!؟ اللّهم إلاّ أن يصحّ في عقولهم الفاسدة ... ويضرب مثلاً قناة زغوان
أنّهم كانوا في القوّة وعظم الأجسام في خلاف ما عليه اليوم الأنام. وكما زعموا إلى قرطاجنة...
أنّ المرأة كانت تأتي بأعظم صخرة، يرونها تحملها على رأسها ومِغزَلُها في يدها.
فإن كان بمثل هذا/ من المُحال تَصَوَّبَ هذا عندهم، فنعم. 174

ثمّ قال: والله لقد صرت إلى ناحية تونس وما لي نظر[2] إلاّ إلى ذلك الماء وكيف ينتهي جريه إلى المنصورية، فلقد رأيته ممكناً. وإنّي لأرجو، إذا أعاننا الله على هذه القناة وأوصلها، أن أجريَه بعونه وتأييده وتوفيقه. وما يتعاظم مـ[ـمّـ]ـن رامَ مثلَ هذه الأعمال إلاّ أن يكون * الأجل يقطع دونها، فيأتي، بعد من رام ذلك *ب 41

---

(1) انظر عن جبل زغوان: البكري 45 والإدريسي 119 إذ يذكر «أنه أكثر الجبال ماء». وتعتبر هذه القناة المحمولة على «قاطر» أو «حنايا» من عمل الامبراطور Hadrien (انظر عنها F. Rakob, le sanctuaire des eaux à Zaghouan, Africa III - IV p. 133. Tunis, 1972.

وقد تعطل عملها في أيام الفتح الإسلامي لإفريقية، وأصلحها المستنصر بالله الحفصي إصلاحاً لم يكن ليتناسب مع ما كانت عليه. وقد وصف الرحالة العبدري عمله بقوله: «إنه احتاج إلى إصلاح بعض الحنايا بها مما يلي تونس ليوصل الماء إليها إذ كانت معطلة قبله، فأقام في عملها مجتهداً بأقصى ما يمكنه أعواماً عديدة ولم يمكنه رد ذلك على ما كان عليه ولا ما يقرب منه، بل اقتنع بتسديده كيفما أمكن مع قلته وتفاهته بالإضافة إلى غيره» (الرحلة، 41) وقد استأثر بمائها «قصر السلطان وجنانه إلا رشحاً يسيراً سرب إلى ساقية جامع الزيتونه يرتشف منها في أنابيب من رصاص» (ص 40).

ويظهر من كلام المعز أنه فكر في إصلاح قناة زغوان. وأيضاً في جلب ماء زغوان إلى المنصورية، فلم يقعده إلا خشية قطع الماء على سكان تونس وقرطاجنة.

(2) أ: وما نظرت.

فما استطاعه وابتدأه ... من أهل العجز مَن يقعد عنه فينسِبُ مبتدىءَ ذلك[1] إلى تعاطي ما لا يقوم به و[الـ]ـهَمّ بما لا يتهيّأ له[2]، فيَنْتَقِصه بذلك، والنّقص أولى بمَن قال ذلك فيه ونسبه إليه.

الأوائل لا يعجز عنه الأواخر

175 فقلت: يطيل الله بقاء أمير المؤمنين ويمُدّ في عمره/ ويُفسِحُ في أيّامه حتّى يُبلِغَه أملَه ويبقي من آثاره الصّالحة في الأرض ما يجمعُه إلى أخباره الرّضيّة. فما رأيتُ شيئاً تعاظمه مَنْ قبلَه وأعجزهم مرامُه إلاّ هيّأه الله (عج) له ونصره عليه.

عمودان ثقيلان نقلها المعزّ من سوسة إلى المنصورية

ولقد كان هذان العمودان بمدينة سوسة[3] من أعظم آثار الأوّلين، وكان النّظر إليهما عبرة. ولم ير النّاس أنّهما أمكنا مَن أقامهما إلاّ لقربهما من البحر، وأنّهما فيه أتاهم آتٍ بهما وأعجز كلٌّ من تقدّم من ملوك إفريقيّة في الجاهليّة والإسلام تحريكُهما من مكانهما، فضلاً عن نقلهما ذراعاً فما فوقه عنه.

176 ولقد ذكرهما أمير المؤمنين، وكنّا نرى أنّ ذلك لا يمكن بحيلة ونحبّ أن لو لم يتعرّض لهما لِئلاّ يُعجزاه/ فيكونَ [من] ذلك بعضُ النّقص. ثمّ رأينا لمّا اعتزم على ذلك أن يحشد النّاس إليهما من البلـدان ويجلبوا من الآفاق. فما أفرد لذلك إلاّ طائفةً من عبيده المماليك، وما أشرك معهم أحداً غيرهم. فأتَوا بهما في أوشك مدّة وأيسر مؤونة بتيسير الله وتأييده (عج) لوليّه.

فقال: نعم، الحمد لله على ذلك وعلى جميع نِعمه. ولقد تركتُ ما ذكرتَ من جمع الجموع إليهما فرأيتُ أنّ القليل في ذلك أفضل وأزكى، لأنّ الكثير يتّكل بعضـ[ـهم] على بعض وتختلف أيديهم ولا يكاد الأمر والنّهي ـ ممّن يقوم على أمر ذلك ويتولاّه ـ يتّصل بجميعهم، وذلك مع القليل أفضل * وأبلغ. *ب 42و

(1) سقط من ب: وابتدأه... مبتدىء ذلك.
(2) سقط من أ: وهم... له.
(3) هذه أول إشارة عن مصدر هذين العمودين الكبيرين اللذين نقلا إلى المنصورية واستخدما ضمن بعض قصورها. وبعد خراب الموقع وتحوله إلى محجر لاستمداد مواد البناء القديمة، عمدوا إلى نشر هذين العمودين ونقلوا منهما أجزاء كبيرة، وظل بعضها هناك إلى اليوم. ويسميها العامة «عرصات الدم» وهي ذات قطر مقداره 1،50 متر. وقد أفادت الأسبار الأثرية حولها أن المكان الذي تقع فيه حالياً قد دحرجت إليه قصد نقلها وليس لها أي علاقة معمارية بالموقع. انظر عنها:
(Ch. Tissot: Géographie comparée de la province romaine d'Afrique T.II, 608 Paris 1888).

فما رأيتُ ولا سمعتُ بأعلم منه (عم)/ بكلّ فنّ يأخذ فيه من جميع ما 177
ينصرّف الناس فيه.

كلام جرى يوماً في مجلس في ذكر الكيمياء:

174 ـ (قال) وذكر الكيمياء يوماً فقال: سمعت المنصور بالله (عم) / ذكرها وقال: قد اجتهد على إبطالها بعض من أنكرها باشتقاق اسمها من الكتمان، لأنّهم قالوا: كمى يكمي الإنسانُ الشهادةَ كمْياً إذا كتَمَها، وتكمَّى الرّجل بسِلاحه، إذا تغطّى به واستَتَر به، وتكَمَّتْهُمُ الفتنة والشرّ، إذا غشِيَتْهُم. ومنه سمّي الكَمِيُّ، وهو الشجاع، إذا تكمّى بسلاحه وتغطّى به.

اشتقّوا اسم الكيمياء من الكتمان غلطاً

(قال) ثمّ قال المنصور عليه السلام: هي مكتومة عند من جهِلَها معلومة عند من عَرفها. وذلك كما يكوِن ما كُتِم واستتر مجهولاً عند من سُتِر وكُتِم عنه، معلوماً عند/ مَن ظهر له واطّلع عليه. 178

وكان ذكرُ المعزّ صلوات الله عليه لذلك بعقب شيء ذكره من علم الباطن، فعلمت أنّه إنّما جاء صلوات الله عليه بذلك شاهداً ودليلاً ورمزاً فيه.

كلام في أمر العمّال جرى في مجلس:

/ 175 ـ (قال): وذكر له (عم) أمر العمّال والمتولّين وأنّ كثيراً منهم يظلمون ويتجاوزون إلى الناس ويتعدَّون ما حدَّهُ لهم أمير المؤمنين فقال: أما والله ما أغفلتُ أمرَهم ولا أغضيتُ عنه، ولا أُغضي ولا أتغافل إلاّ عمّا يكون لي في ذات نفسي.

وأما ما كان لعباد الله ممّا قَلَّدَنِيهِ جلّ ذكره، فلا أدع منه إلاّ ما لا حيلة لي فيه، ولا استطاعة لي عليه، وما أعلم أنّ الله تعالى يعذرُونـي فيه/ ولا يسألني عنه، 179
لأنّه (عج) لا يكلّف نفساً إلاّ وسعها. والله ما وجدتُ إلاّ ما فعلتُه. أوَ أَتْرُكُ[1] حقَّ الله الذي أقام به أَوَدَ خلقه وجهادَ عدوّه وصلاحَ أمور بريّته، الذي لو تُرك لكان البَوار والدَّمار في تركه! وإنّ أكثر ما أمكنني واستطعته، أن اخترت لذلك أمثلَ مَن وجدته يقوم به ويصلُح له. ولو دعوت من أراه أفضل منه في دينه لما قام ولا

المزّيعين جباة الأموال بحسب ما يتوسّمه فيه من خير...

(1) في أ و ب: أو ترك.

استطاع له ولم يكن يجيب إليه، فضاعت الحقوق، وكان ذلك سبب ما ذكرته من المكروه.

وإذا أنا ندبت أو أندب لذلك أمثلَ مَن رأيته، أمرته بالعدل وحسن السّيرة
180 وأخذ الحقّ بلا زيادة عليه ولا نقص منه. وعهدت في/ ذلك إليه وكتبت له كتاباً بيده يكون حجّة له وعليه. فإذا صار إلى عمله استقبله مَن كان يكره العاملَ والنّاظرَ قبلَه، يحبّ أن يخصّه وأن يكون بِطانةً له. وأكثر خروج العمال والمتولّين
... ولكنّ القالة تكثر فيهم إذا بدأوا في جمع الخمس للأئمة
إنّما يكون قبل وقت أخذ الواجب[1]. فلا يزال مشكوراً عند أهل عمله ما لم يتناول شيئاً من الواجب منهم. فإذا أخذ في ذلك بدأ القول فيه، فشكاه قوم، وجاء آخرون يشكرونه. وكنّا على غير يقين بما يقولون. ويأتي هو من الاحتجاج بما يبيّن أكثرَه. وربّما كان من يشكوه[2] يزيد في القول عليه أو يأتي بشيء لم يكن منه. فإذا اتّضح ذلك قَوِيَتْ حجّتُه وكلامُه فلا نكاد نقف من ذلك على صحيح
181 من/ سقيم. ويأتي قوم، فيزكّونه ويشكرونه، وآخرون يقعون فيه ويذمّونه، فلا يكاد أمره يتّضح، ولا ما قيل فيه يفسد ولا يصحّ، حتّى يأتيَ على ذلك ما خرج إليه[3]، وينقص ما تولاّه. ولو ذهبنا [إلى] أن نكفّ يده في أوّل ما قيل فيه ولم نقف على صحيح أمره لذهبت الحقوق والواجبات، وتعطّلت الجبايات، وانكسرَت
*ب43و الأموال *، وكان ذلك سبب ما قدّمنا ذكرَهُ من فساد الأحوال. ومع ذلك إنّا لا نجد مَن نثق به فنستظهرُ بقوله في كلّ بلد وموضع، ولا نجد أيضاً مَن نرضاه يتولّى ذلك كما ذكرناه، وتضطرّنا الحال إلى ما نصيرُ إليه ممّا قدّمنا ذكرَه. فليس
182 يعلم ما نقاسيه من/ ذلك إلاّ الله (عج) الذي نرجو أن يقوم لنا العذرُ فيه عنده.
وبمثل هذا احتجّ علينا الدجال البربريّ مخلد بن كيداد لمّا قام محتسباً[4] علينا

(1) يعني بالواجب ما يجب استيفاؤه شرعاً من الضرائب. (انظر: الأعمال ص 371 هـ 3، والواجبات ص 373 هـ 8، والنفقة ص 457 هـ 3 من هذا الكتاب).

(2) في أ: يشكره.

(3) التعبير غامض، ولعلّ «ذلك» مقحمة: متى يأتي على ما = (الذي) خرج إليه...

(4) لقد علل أبو يزيد ثورته على الفاطميين بأنهم أثقلوا الناس بالضرائب المشطة، فوجب عليه أن يقوم محتسباً لله مدافعاً عن مصالح المسلمين. ويظهر موقفه هذا بوضوح من خلال النص الطويل الذي أورده المقريزي (المقفى 1542 و ع 446)، وفيه هذا الحوار بين المنصور وأسيره أبي يزيد:
=

بزعمه. فلمّا توسّط أمره انخرق الأمر في يده فأهلك الحرثَ والنّسل وأخرب البلاد وأهلك العباد.

ثار أبو يزيد بدعوى رَفْعِ الضرائب

قال بعض من حضر المجلس: هو كما ذكر أمير المؤمنين. والخبر المشهور أنّ رجلاً أتى إليه فقال له: عندي نصيحة يسمعها الشّيخ ويراها المسلمون.

قال: وما هي؟

فأخرج مخلاة معه فيها رقاع كثيرة.

فقال: ما هذه؟

شيخ من الرعايا فدى نفسه من أصحاب أبي يزيد...

قال: هذه الرّقاع التي ترى، وَدَيْتُ كلَّ ما فيها عن نفسي وحدي من تقسيط ونُزُلٍ وغيرِ ذلك من المغارم/. وجعل يقرؤها عليه واحدةً واحدة وهو 183
يصغي إليه وينبّه مَن حوله على ذلك. وأمر بإحضار وجوه من كان معه من أهل البلدان من رجاله لذلك، يريد به الشّناعة فاحتفل عندَه خلقٌ عظيم. حتّى أتى الرجل على جميع تلك الرقّاع. فقال: انظروا! هذا رجل واحد حلّ به مثل هذا فاعرفوا ما قمتم فيه وثوابَه.

فقال له الرجل: وأخبرك يا شيخَ المسلمين بأعظم من هذا! فأصغى إليه ومن حوله.

فقال: ما هو؟

... بجميع ماله فغصبوه زوجتَه وبناته...

قال: إنّي وَدَيْت هذا الذي سمعت * في هذه السّنين التي قد رأيتَ وسمعتَ *ب 43
تاريخَها في هذه الرّقاع وأنا في منزلي وداري ومعي أهلي وَوَلدي، وعندي/ من 184
العبيد كذا، ومن البقر كذا، ومن الغنم والذّخائر كذا، والطّعام والزّيت والزّبيب كذا وكذا ـ وعدّد أشياء كثيرة ـ إلى أن دخل إلينا أصحابُك فانتهبوا جميع ذلك

= «ما الذي اعتددت على أمير المؤمنين ـ يعني القائم بأمر الله ـ حين خرجت عليه؟ فقال: كان «أبو القاسم كريماً حوله قوم سوء أحدثوا هذه القبالات التي فيها الجَور على المسلمين فقمت لذلك مُنْكِراً أريد إصلاح أمور الناس. قال: فهل علمت أن ذلك من رأي أمير المؤمنين وأمره؟ قال: لا أعلم. قال: فهلاّ رفعت ذلك إليه وأطلعته عليه، فإن غيّر المنكر كان الذي أردت، وإن هو لم يفعل اتّخذت ذلك حجة عليه؟ فسكت. قال: كأنك إنما قمت محتسباً؟ قال نعم». وانظر ص 395 حيث يبرأ القائم من تصرفات بعض الأولياء مما أثار غضب الرعايا.

حتّى لم يبـق لي منه قليل ولا كثير. وخرّبوا منزلي وفرّقـوا أهلي وولـدي وقرابتي، فلم أجد أحداً أسكن معه فارتحلت بأهلي بعد أن أُخِذ عبيدي، فلقِيَني بعضهم فانتزعوا منّي أهلي وبناتي وافترقوهم. فجئت إلى عسكرك أدوِّر فيه، فوقعت على بعضهم، فكاد مَن كان عنده يقتلُني. وما نجوت إليك بنفسي إلاّ عن جهد.

فأسقط في يد الشّيخ السّوء وتنكّر أصحابه على ذلك الرّجل وهمّوا به
185 وكادوا أن يقتلوه/. فما خلّصه منهم إلاّ بحيلة وأرسله مستتِراً مع قوم حتّى أوصلوه مدينة القيروان. وذهب جميع ما ذكره له.

فشتّان بين عسفِهم وإنصاف عمّال الأئمة!

وهذا قليل في كثير ممّا نال غيره. وما عـرف النّاس فضلَ ما كانوا فيه إلاّ عندما وقعت تلك الفتنة بهم وحلّ ما حلّ من هذا بأكثرهم. وأكثر النّاس لا يعرفون ولا يدرون قدرَ نعم السلطان عليهم، ويتعاظمون اليسير ممّا يكلّفهم ولا يرضيهم إلاّ التّرك بالجملة لهم حتّى تحلّ النّائبة بهم فيعلمون عند ذلك فضل ما كانوا فيه.

محاورة لطيفة بين النعمان وجماعة من الأهالي بالمهديّة...

وإني لأذكر يوماً أنّي كنت بالمهديّة في زمن المهديّ (عم)، فسمعت قوماً
186 من أهل البوادي قد باعوا غلّة ومتاعاً لهم فدخلوا يطلبون ثمنه/ وقد نَضَّ[1] في
*ب44و أيديهم مال كثير منهم فجعلوا يحسبونه ويذكرون * ما لزمهم في الأداءِ[2] عليه، فعظّموا ذلك، وأنا أسمعهم من حيث لم يعلموا، وحولهم خلق من العبيد قياماً وقعوداً ذاهبون وراجعون. فلمّا انقطع كلامهم، قلت لهم: ويحكم، أما تخافون على هذا المال بين أيديكم من هؤلاء الذين حولكم؟ فضحكوا من قولي وقالوا: نحن في حرم أمير المؤمنين ومدينته نخـاف هؤلاء وغيرهم؟!

فقلت: فإن خرجتم، أما تخافون منهم وأمثالهم من وراء المدينة؟!

فقالوا: لا. وأنكروا قولي.

قلت: ولا في طريقكم إلى منازلكم؟

قالوا: ما نخاف من أحد.

---

(1) نضّ المال: صار نقداً وعيناً بعد البيع.

(2) في أ و ب: الأذى.

187 قلت/ : ولا في منازلكم؟ فجعلُوا يتعجّبون من كلامي كأنّهم رأوني غريباً ولا أعلم حال البلد.

قلت: أفما تعلمون أنّ هؤلاء وأمثالهم أقوى منكم أبدانا وأنكى وأشجع وأكثرُ عدداً؟

قالوا: نعم.

[قلت]: وأنتم أغنى وأيسر وأكثر نَعَماً وأهلا؟

قالوا: بلى.

قلت: فما الذي يمنعهم من التّوثّب عليكم وأكلِ أموالكم وانتهاك حريمكم؟

قالوا: يمنعهم من ذلك خوفُ السّلطان.

قلت: وبماذا قدر عليهم السّلطان؟ أليس بالرّجال الذين يرزقهم ويُجري عليهم؟

قالوا: نعم.

قلت: وبذلك دفع العدوّ عنكم وعن غيركم وأمِنتم على أنفسكم وأموالكم وأهلكم؟ ... يقتنعون بعدها بشرعية الجباية...

قالوا: نعم.

قلت: فلِمَ تتعاظمونَ أن يأخذَ منكم لذلك يسيراً/ من كثير وقليلاً من جليل؟ 188

فجعلوا يعترفون بالنِّعمة وقالوا: جزاك الله خيراً! لقد صدقت فيما قلت لنا وسهّلت الأمر علينا وعرّفتنا من العواقب ما قد كان غاب عنّا. وجعلوا يتفاوضون * في ذلك ويذكرون قدر النّعمة عليهم فيه. ... التي بفضلها يقيم الإمام الأمن في البلاد *ب 44

وأكثر النّاس همج لا يحاسِبون أنفسَهُم ولا ينزّلون الأمور عندهم، فيريدون من وُلاة أمرهم أن يدفعوا عنهم ويجاهدوا عدوّهم ويكفّوا أيدي المتطاولين عليهم عنهم، ويُنفقُوا في ذلك ويرزقوا من يقوّونه بلا مؤنة عليهم ولا واجب يقيمونه لهم، ولا فرضٍ ممّا افترضه الله يؤدُّونَه إليهم. كأنّ الذي ينفقونه على مصالحهم يقطعونه/ من الجبال أو يغرفونه من البحار أو يقيمونه بملائكة لا يأكلون ولا 189
يشربون ولا يسألونهم شيئاً على ما يعملون. فهم في ذلك كمن حكى الله تعالى

قولهـم لموسى بن عمران: ﴿اذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلاَ إِنَّا هَهُنا قَاعِدُونَ﴾[1].

كلام فيما يستحبّ الفاضل من البقاء في الدّنيا[2]:

قولة للمنصور في تفضيل الآخرة على الدنيا

176 ـ (قال): وسمعته صلوات الله عليه يقول: سمعت المنصور (صع) يقول: إنّما يستحبّ الفاضلُ البقاءَ في الدّنيا ليظهر الله عزّوجلّ منه ما هو كامن من الخير والفضل فيعظم ثوابه ويجلّ في الدار الآخرة قدرُه. وإلاّ فإنّ الذي له عند
190 الله في الدّار الآخرة أفضلُ ممّا له في الدّنيا/ .

(1) المائدة، 24.

(2) كذا في «أ». وفي «ب»: حكاية المعز عن المنصور عليهما السلام فيما يُستحبُّ من البقاء.

الجزء السادس عشر

[بسم الله الرحمن الرحيم]

كلام جرى في رغبة النّاس في العلم المأثور عن الأئمّة:

تكتّم الأئمّة في أمر الدعوة الباطنيّة شديد

177 ـ قال القاضي النعمان بن محمد: ذُكر عند الإمام المعزّ لدين الله صلوات الله عليه رَغبةُ الناس في العلم المأثور عنه وعن آبائه الطاهرين فيما أقامه (صع)/ من باطن علم الدين لأوليائه، ورَغبتُهُم واغتباطُهم به. *فقال: لقد *ب 45 و
رأيت رؤيا بعَقب وفاة المنصور (عم)، وعندما أظهرتُ أمرَ هذه الدعوةِ، ذكرتُها في ذلك الوقت لمن حضرني: رأيتُ المنصورَ بالله وهو يَسْألُني عمّا صنعتُه من ذلك، وقمتُ به. وقد كنتُ أعرِف ضنَّه به وشُحَّه عليه، فجعلتُ/ أذكرُ ذلك له 191
كالمعتذِرِ منه وأقول له: إنّي لم أجد بُدًّا من إقامة حُجَّةِ اللّهِ على مَن استرعاني إيّاه وحمَّلني أمرَه، ونحوَ هذا من القول.

فقال: قد أصبتَ ووُفِّقتَ، فكيف رأيتَ إقبالَ الناس على ذلك ورَغبتَهم فيه؟

قلت: ما رأيت من ذلك مَا أعجَبَني.

فعقد بِيَدِه ثمانيةً، فقال: إلى ثمان ترى ذلك فيهم.

فقلت: ثماني ليالٍ أم ثمانيةُ أشهر، أم ثماني سنينَ؟

فقال: إلى ثماني سنين وإلى اثْنَي عشر يكون ويكون. ولم يذكر صلوات الله عليه ما قال في ذلك. ونرجو أن يكون ذلك خيراً نَنْتَظِرُه ونبلُغُه إن شاء الله. ولم نسأله عن ذلك إذ كتَمَه، خوفاً من أن/ يكونَ ذلك لا يقع بالموافقة عنده. 192

سؤال المعزّ (صلع) لبعض شيوخ البربر:

178 ـ (قال) وسمعته يسأل بعضَ شيوخ البربر عن قولهم في سيرته فيهم،

فقال: هُمْ يا أميرَ المؤمنين معترِفُون بعفوك عنهم وصفحك، بعْدَ القُدرَةِ، عن جُرْمِهم وما تقدّم من زللهم. وهم شاكرون لسيرتك فيهم وإحسانِك إليهم. صفح المعزّ عن زلّات بعض البربر

فقال: ما فعلْنَا ما فعلنَاهُ فيهم إلاّ إبلاغاً في حجّة الله وحُجّتِنا عليهم، فمَن شكر ذلك واعترفَ به منهم فقد استدام النِّعمةَ واستجلبَ الزيادةَ، ومَن كفر الإحسانَ وغَمَط النِّعْمَةَ فقد استجلب * النِّقْمة واستحقَّ العُقوبةَ. *ب 45

كلام في مجلس في طلب العلم والحكمة:

193 179 ـ (قال) وسمعته (صع)/يقـول: إنّـا لنُسَرُّ بِمَن نراه من أوليائنا يطلب العلمَ والحكمةَ ويرغَب في الخير ويُذكَرُ بالجميل كما نُسَرُّ بذلك في الولَد.

فقلت: هم زرعُ أمير المؤمنين ولَعهدي اليومَ بالقول في مثل هذا مع بعضهم بحضرة هذا ـ وأومأت إلى رجل حضر المجلس ـ فقلت لبعضهم، وقد تذاكَرْنا مثلَ هذا: كيف تكون مَسَرّةُ أحدكم بزَرْعِه إذا رآه في غاية الصّلاح والقوّة والإقبال والتّمام؟ الأئمّة يسرّون بصلاح أوليائهم

فقالوا: مسرّة عظيمة.

قلت: فنحنُ زرعُ وليّ الله يَسُرُّه بلا شكّ أن يرانا كذلك، وتلوت عليهم قول الله (عج): «مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالذِينَ مَعَهُ» إلى قوله: ﴿. . . وَمَثَلُهُمْ فِي الإِنْجِيلِ
194 كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ/ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ﴾[1].

قلت: أفلا تروْنَ أنّ الله (عج) شبّـه المؤمنين بالزرع وذكرَ أنّه يُعجبُ زُرَّاعَه إذَا هو استغلظ واستوى على سوقه؟ فحقيقٌ علينا أن نَكون بحَيْثُ يُعجِب أولياء الله.

فقال (صع): وكيف لا يُعجبُنا أن تكونوا كما أمرْنَاكُم عن الله (عج) وقد استعمَلْنَا في استصلاحكم وتقويمكم ودعائكم[2] إليه وقَبُولكم عنه؟ وهل يُعجبُ من استُعمِل في عمل أن يأتيَ به على خلافِ محبوبِ مَن استعملَه ممّن يرجُو ثوابَه

(1) الفتح، 29.
(2) دعائكم بمعنى دعوتكم.

عليه؟ واللّهِ ما يسُرُّه إلاّ أن يُصلِحَ ما يتولّى[1] عملَه ويُحسِّنَه ويأتيَ به على أفضلِ حال مسَارَ مَن استعمَلَه فيه ليوفّيَه أجرَه عليه/ ويشكُرَ له قيامَه به. 195

وإن هو أفسَدَ ذلك * وفسُد على يديهِ أوْ لمْ يَقُمْ بما أقيم له من صلاح، أو *ب46و لَمْ يصلُح بعد أن بَذَلَ مجهودَه فيه ثمّ أتى غيرُه فصلُح على يدَيْه واستقامَ له الأمرُ فيه/ وأتى به على حسَب ما أمَلَه مستعمِلُه، فكيف يكونُ حال مَن كان قبلَ ذلك وقد عجَز عنه إذْ لَمْ يصلُحْ على يديه؟

فكذلك نحن: إنّ اللّهَ (عج) يستعمِل منّا الواحدَ بعد الواحدِ ثمّ يرى ما عمِلْنا. وقد قال رسول الله (صلع): إنّي مكاثرٌ بكم الأممَ يومَ القيامة[2]. أفترى أنَّهُ لاَ يَسُرُّنا أن يكثُرَ أتباعُنَا وأولياؤنا ومن يَقْبَل عنّا ويتأسَّى بنا ويمْتَثِل أمرَنا؟ بلى والله! إنّا لنُسَرّ بذلك أيّما سرور ونُغَمُّ بخلافِه. وما دعا نوحٌ/ على قومه إلاّ وقد 196 عيل صبرُه وضاقَ صدرُه بتكذيبهم إيّاه، واشتدّ غمّه بما سمِعه منهم ورآه ويئِسَ منهم، وأخبره الله (عج) عنهم أنّه لن يؤمنَ منهم إلاّ مَن قد آمن من قبلُ، فعند ذلك دعا عليهم بالبوار والدمار.

كلام في الدعوة إلى الحقّ ذكر في مجلس[3]:

/ 180 ــ (قال) وسمعت الإمام المعزّ لدين الله (صع) يقول: إنّ الحقَّ لثقيلٌ إلاّ على مَن خفّفه الله عليه. هذا[4] نحن نريدُ صلاَحَ العبادِ وندعُوهم إلى ما يُرضي اللّهَ عنهُم، فقَلَّ مَن لا يشتدّ ذلك ويثقلُ عليه، لأنّا إنّما ندعو مُنتحِلا انتحلَ ضلالةً رآها عند نفسه هُدى، فنريدُ أن نُحيل نيّتَه عمّا كان اعتقَد ونصرِفَ رأيَه عمّا كان

---

(1) أ: تدل.

(2) حديث: إني مكاثر بكم الأمم. ذكره النسائي (ج 6 ص 65) وابن حنبل (ج 3 ص 158 و 245) على هذا النحو: تزوجوا الولود الودود إني مكاثر الأنبياء يوم القيامة. وجاء على صيغة أخرى في مسند ابن حنبل (ج 3 ص 354): أنكم اليوم على ديني، وإني مكاثر بكم الأمم، فلا تمشوا بعدي القهقرى، وكذلك في الجامع الصغير (ج 1 ص 431). وذكره ابن ماجة (ج 1 ص 599) على هذا النحو: انكحوا فإني مكاثر بكم. هذا، وسيعيده النعمان فيما يلي من الكتاب (ص 520).

(3) ب: كلام جرى في استثقال أكثر الناس للحق وسكونهم إلى الباطل.

(4) هذا عوض «ها» وهذا التعبير متكرر في الكتاب.

197 انتحَلَ بَعْدَ/ أن لَعَلَّهُ كبُرَ عليه، فاتّبَعَه غيرُه فيه وقبِل عنه * ما جاء به منه.
*ب 46

وآخرَ قد استحلى الباطلَ واستمراه واستخفَّه الشيطانُ له واستهواه فغلَبَت شهوتُه عليه وعظُمت رَغبتُه فيه نريد أن نصرفَه عنه ونمنَعه مِنْه ونُخْرِجَ منه ما هو في يَديْه ونحرّمَه عليه ونحولَ بينه وبين شهوته ولذّته.

وآخرَ قد اكتسبَ من الظلم واستخفَّ بالإثم وتطاعَمَ أكلَ أموالِ الناس بغيرِ حقِّها وارتكابَ حُرُمِهم بغير حِلّها، نقبِضُ عن ذلك يدَه وننتزِعُ طُعمَتَه ونضَعُ منه استطالتَه.

وآخرَ في لهو وشُرب وسماع وعبث وطرَب ومجانةٍ وخلاعة[1] وانتهاك
198 حرمة، نريدُ منه الوقارَ والسّكينةَ ونمنعُه العبثَ والمجانةَ، وندعوه/ إلى الصّوْم
الأئمة لا يغضون على أهل المحرّمات بأنواعها — والصلاة والورع والتحرّج والصّدق والأمانةِ والعفافِ، ومذاقُ ذلك كلِّه مرٌّ عندَ ما استحلاه من الباطلِ وتطاعَمَهُ.

فمَن ذا من هؤلاء لا يَثقلُ أمرُنا عليه، أم من ذا منهم ندعوه إلى ما نريدُه من ذلك فيسارعُ إليه طيّبَةً نفسُه به، إلاّ من كان الله (عج) قد أراد سعادتَه وتوفيقه؟ ولو كنّا تركنا كلَّ امرىء في الدين وما ينتحِلُه وصوّبْنا له فيه قولَه وأريناه أنّا نستحسنُ مذهبَه ونقولُ به معه، ونُعرِض عن أهلِ الباطل والفِسق ونجامِعُهم عليه ونُخْلِي بينهم وبين ما أحبّوا منه وندعُ من تعدّى وتعدّيَه ولا نُعـ[ا]رِض فيه،
199 لكُنّا أحبَّ الناس إليهم، ولَمَا ثَقُلَ شيءٌ من أمرنا عليهم. وبِمثلِ/ هذا رأى المتغلّبون أنّهم ساسوا أمرَهم[2].

*ب 47 و ثمّ قال (صع): وقد أجابَنَا إلى ذلك، اليومَ، وسلّم * إلَيْنا بحمدِ الله أكثرُ الناس، عارِفِينَ لحقّ الله عليهم فيه.

[فـ]ـأفْكَرْتُ فيما قاله (صع) فوجدتُ سيرة مَن شاهدناه وبلَغنا عنه من بني
ليس من الحزم أن يجاري الراعي أهواء الرعية... — أميّة وبني العبّاس وأتباعِهم وعمّالِهم على أكثرِ ما وصف (صع)، إذْ من أجل ذلك دخلَ الفسادُ في الدين والوهَنُ على الإسلام والمسلمين، لأنّهم كانوا يرون أنّ من الحزم عند المتغلّب منهم والرأي والتدبير ألاّ يعرِفَ الناس مذهبَه، وأن يرى أهلُ

(1) سقط من ب: وسماع وعبث وطرب ومجانة وخلاعة.
(2) أنّهم ساسوا عوض: أن يسوسوا.

كلّ مذهبٍ أنّه على رأيهم ليَجتمِعوا إليه ويُولّوا القضاة كذلك من كلّ أهل مذهبٍ،
يعزِلون مِن/ هؤلا ويُوَلّون مِن هؤلاء لِيُرُوهُم أنّهم راضونَ بمذاهبِهم كلِّها، 200
وعاملون بها بأسرها، وكذلك يُخلّون بين أجنادهم ومَن يُعدّونه للحرب من
رجالهم وبين ظُلْمِه رعايَاهم وتناولِ مَا تناولوه من أموالهم، وتعدَّوْا عليه من
حُرَمِهم في كثير من أحوالهم ليُرضُوهم بذلك ويستعطفُوهم. فأمّا أهل الفِسق ... مثل بني
والباطل فيخالطونهم ويفعَلون كثيراً منه مع كثير منهم ولا يُنْكِرُونَهُ عليهم لمَّا كان العباس وبني أميّة
من رأيهم وشأنهم وكانوا عليه. فبهذا رأوْا سياسةَ من تغلَّبوا عليه، والله (عج)
أعلم بما يصلُح عليه خلقُه ويستقيمُ عليه عباده.

وقد فرض الله فرائضه وبيّن حدوده/ ولوازمه وحقوقَه، فلو كانوا من أهلها 201
لاستعمَلُوها وحمَلوا من استرعاهُمُ اللّهُ إيّاه من عباده كما أمر الله (عج)، عليها.
بل إنّما يرون الرأي ويضربون المثل بقول القائل من أوائلهم: خلُّوا بين الناس
وأديانهم يُخلُّوا * بينكم وبين دنياكم. فهذه سياسة مَن طلب الدنيا باطّراح الآخرة. *ب 47

فأمّا الأئمّةُ الذين تعبَّدَهُمُ الله بالقيام بحقّه، فأسوتهم برسول الله ﷺ. وإنَّما
نتأسّى به، وبقول المعزّ صلوات الله عليه وأولياء الله الذين استرعاهم أمر عباده
وتعبّدهم بإقامة حدوده وحقوقه في أرضه، والله يُحسِنُ عونَهم ويُصلِح عبادَه
وبلادَهُ لهم/. 202

توقيع في الأمر بالصبر على الأذى:

181 ـ (قال) ولمّا أرحلني المنصور بالله (صع) عن مدينة إطرابلسَ إلى لحامل المغرضين
الحضرة المرضيّةِ وافقَ وصولي إليها غَداةَ يوم جُمُعَةٍ فخلع عليَّ يومَ وصولي وقلّدني، على النعمان لمّا
وأمرَني بالسير من يومي إلى المسجد الجامع بالقيروان[1] وإقامةِ صلاة الجمعة فيه ولاّه المنصور
والخطبة إذ لم يكن يومئذ بالمنصوريّة جامع، وأمر بجماعة من خاصّة بوّابي قضاء إفريقية...
القصر الأعظم بالمَشْي بين يديَّ بالسلاح إلى أن أقمتُ الصلاة والخطبَة وانصرفتُ[2].

ثمّ خرج توقيعُه من غدٍ إلى ديوان الرسائل بأن يُكتَبَ لي عَهدٌ بالقضاء بمُدن
المنصوريّة والمهديّة والقيروان وسائر مدن إفريقيّة وأعمالها، فذُكِرَ/ ذلك وانتشَرَ 203

---

(1) أي جامع عقبة.
(2) في الأصل: إلى أن صلّيتُ فانصرفتُ، والإكمال من ع 493.

في الناس، وعلِمُوا امتثالي، أيّام كنت بإطرابلُسَ، أمرَه (صع) فيما عهِده إليّ في عهد القضاء عليها، من إقامة الحقّ على الشريفِ والمشروفِ، والعدلِ بين القويّ والضعيف.

فانْتَهى إليّ عن جماعة ممّن تعوّد الأثَرةَ ومَن عوّدهم إيّاهَا للذّمام والطُعمة، وعن المخالفين لي في المذهبِ ممّـن تطاعم الرئاسةَ، أنّ ذلك ساءهم وأحْفَظَهم
*ب 48و واشمأزّت منه قلوبُهم، فقام فيه من اعتاد الأثَرَةَ أنفةً وحميّةً ومَن * عوّدَها الناسَ خيفةً على نفسه [وتقيّة]، ومَن خالف المذهبَ ديانة وعصبيّةً[1]، فأسرُّوا فيّ
204 النّجوى واجتمعوا عليّ لاجتماع الأهواء من خاصّ وعامّ،/وقريب وبعيد، فخلصوا نَجيًا[2] في الحيلة بالبَغْي عليّ، وسدّدوا بالمكر سهامهم إليّ، لغير ذَنْب منّي إليهم ولا جنايةٍ منّي أوجبت ذلك منهم، فشنَّعُوا عليّ من الأشانيع ونسبوا إليّ من المَكر ما اللّهُ يسألُهم عنه ويُثيبُني إن شاء اللّهُ بفضله، عليه، وتهيّأ لهم بذلك بعضُ ما أمّلوه بحسَب ما أوجبه الزمانُ وتهيّأ في الإمكان، ممّا لم يكن عليّ [منه] بحمد الله وفضلِ وليّه ضَيْرٌ ولا نقصٌ.

... وتـرويـج الأراجيف في شأنه...

ولمّا صرتُ إلى ما أصارني إليه المنصورُ وقمت بما وجب عليّ القيام به منه، وسمِعُوا ثناءَ الناس ممّا تطاعَمُوه من العدل ورأوه من الإنصاف، جعَلُوا
205 يُشِيعُون فيهم[3] الأشانيعَ، ويدُسّون مَن يبثُّها فيهم / أنّي أنسِبُ المكروه إليهِم وأسعى بهم وأحرّكُ ما فيه حتفُهم، وما علِموا أنّهُم يكرَهُونَه، نسبوه إليّ ليُوغِرُوا صدورَهم عليّ ويذهبوا بشكرهم لي، مع أصنافٍ من الحيل والأذى والمَكر[وه] لا يفتُرُون عنها ولا يملّون منها ـ يطولُ ذكرُها ـ ووجوهٍ من الأذى كثيرةٍ ثَبَتَتْ عندي وصَحّت لي.

... النعمان يشكو جورهم إلى المعز...

فضاق صدري بها وحمَلني ذلك بعد صبر طويل على رَفْعِها إلى المعزّ لدين الله (صع) فضمّنتُ جُمَلا منها رقعةً ودفعتُها إليه.

فوقّع إلـيّ بخطّه في ظهرها: يا نعمان، والله لولا معرفتي بك لنَسبْتُك عند

(1) هذه أول إشارة إلى الصراع المذهبي والعقائدي بين السنة والشيعة في إفريقية.
(2) نجيا: سرّا وتواطؤا.
(3) ب: يشعون فيه. أ: يشنعون فيهم.

وقوفي * على رقعتك هذه إلى الجهل، إذ كنتَ قد علمتَ ما مرّ على مواليك من *ب48
أذى مَن نصب لهم/ وعاداهم وردَّ أمرَ الله (عج) وكذّب رسولَه فيهم، من المِحَن 206
العظيمة. لكنّ أنفسَنا قد تمرّنت على حَمْلِ المكروه، وظهورُنا قد قوِيَت على
النهوض بأثقاله. وأنتَ بحمد الله، فلم ينَلْكَ ما يدخُلُ عليك منه نقصٌ في دينك
ولا ذلّ في دنياك، وقد ضِقتَ من هذا الذي وصفتَه وبلغَ منك. أفَمَا علمتَ أنّك
الجاني على نفسِك ما منه ضجِرتَ[1] إذ قد تَبَيَّنَ لك مخالفةُ السّفلِ الرَّعَاع لأولياء
الله ورفضُهم لأحكام الله ونصبُهم وطعنُهم على أتباع الحقّ وأهله، وأردت أن لا
يكونَ منهم ما قد كـان إليك. فكنت تدعُنا وتتبعُهم وتتعافى ممّا قد بُلِينَا وبُلِي
أتباعُنا به منهم.

... فيثبّته على منهجه...

وإذا كنت اتّبعتَنا[2] على / بصيرة ومعرفة فاصبِر على ما لا بدَّ منه فقد قال 207
مولاك عليّ (صع): رضى الناس غايةٌ لا تُدْرَكُ[3] وحسبك عملُك بطاعة الله
وعملُهم بمعاصيه. وأنت أعلم بنفسك منهم بك. فإن كان بينك وبين الله شيء
تخافُه، فمنه فاحذَرْ! وإن لم يكن، فهذا لك زيادة في الأجر. ولقد كان الواجبُ
عليك أن تسألَ اللّهَ الزيادةَ لك من هذا الحسَد، فإنّك لا تزدَادُ بقُرْبِنَا رِفعَةً إلاّ زدتَ
مِن كثرة الحاسِد وكَيْدِ الكائدِ. فإن كنت تَسْأَلُ الله رفعَ ذلك عنك في حين ضيق
صدرِك فاستقل الآن! فقد كان بعض الحكماء إذا دعا اللّه لنفسه قال: «ربّ
اجعلني محسوداً ولا تجعلني مرحوماً! ثق/ بالله * ربّك وبنا، فوالله لا ينالُك معَ 208 *ب49و
الثقة بالله وعزّ الدولة مكروه تحذَرُهُ في دين ولا دنيا! هذه الألسنةُ الحداد هي
متاجر النّساء والسّفل والأوغادِ، تذهب بالإعراض عنها وتزول بالاطّراح لها،
وتزيدُ وتعظُم ما علم السّفَل نَفاقَها. فلا تُصغِ إلى سماعها وَلاَ تُلْقِ بالاً بِهَا!
فواللّهِ ما سبيلهم عندي إلاّ كسَبيلِهم عند المنصور (صع)، فلقد سمعتُه يقول
ويؤكّد ذلك ويحلف عليـه ـ وذكر كلاماً ـ: ولأَهُـمُّ اللّـهُ ما تولّوْه وجزاهم بما
اعتقدوه! .

... ويدعوه إلى الإعراض عنهم أسوة بالأئمة

(1) ب: زجرت.
(2) في عبارتي: كنتَ تدعُنا واتّبعْتَنا على بصيرة، إشعار بأنّ النعمان لم يكن شيعيًّا في أوّل مرة.
(3) شرح ابن أبي الحديد، 989/5 رقم 501.

ومع هذا فللمُلكِ سياسةٌ يساس بها، ولنا حدودٌ لن نتعدّاها. واللّهُ يُظهِرُ
209 أمرَه على رغم الراغمين ولو كره المشركون! والله/ يؤتي فضله من يشاء، والله سميع عليم.

أقوال مأثورة عن جعفر الصادق في احتمال الأذى

«فلمّا قرأت توقيعه هذا سلوتُ ممّا كان ضاق به صدري[1]. وكأنّما كنت في غفلة عمّا ذكرَه (صع). وأنا أروي قبل ذلك عن الصادق جعفر بن محمد (صع) أنّه قال: إنّ المكروه أسرع إلى شِيعَتِنَا وأوليائنا من الماء إلى مقرّه، ومن الطير إلى وكره. فمَن تولاّنا فليستقدّ له من الصبر جلبابا.

وقولَه لبعض أوليائه، وقد كان شكا إليه ما ينالُه من الناس مثل الذي شكوتُه، فقال له: أوَمَا تحمدَ الله على ذلك؟ إنّ الشيطانَ لمّا يئسَ من أوليائنا أن
210 يصرِفَهم عن وَلايتنا التي بها يُنَالُ ما عند الله، أغرى النّاسَ بهم/ وحرّضهم على أذاهم، فلذلك ما يلقَوْنَ منهم.

وقولَه لآخرَ شكا إليه مثل ذلك: ما فعل ذلك بك إلاّ أنت بنفسك!

فقال: وكيف ذلك يا ابن رسول الله ﷺ؟ والله ما أتعرّضُهم وإنّي لأصبِر
*ب 49 على * مكروههم وأُعرِض عنهم.

فقال: إنّ ذلك ليس هو الذي يُرضيهم منك ولا الذي يَقطَعُ شرّهم وأذاهم عنك.

قال: وما الذي يُرضيهم ويقطعُ عنّي أذاهم، جُعلتُ فداك؟

قال: الذي يُرضيهم عنك ويَغْبِطُهم فيك ويُحَبّبُك إليهم ويُدنيك منهم ويُزلفك لديهم ويُقرّبك عندهم، أن تتولاّهم وتقولَ بقولهم وتعادِيَنا وتبرأ منّا لهم.

211 قال أعوذ بالله يا ابن رسول الله!/ والله لو قرضوني بالمقاريض ورمَوْني في النار، ما فعلتُ ذلك ولصبَرت على ذلك من مكروههم.

قال: والذي شكوتَه منهم أهوَنُ من ذلك، فاصبِر عليه، فإنّ الله يجزي الصابرين.

(1) ب: سقط: فلما قرأت... صدري. وإلى هنا ينتهي نقل الداعي إدريس عن المجالس.

قال: أصبر والله يا ابن رسول الله (صلع) وأصبر.

فكأنّي والله لم أكن سمعتُ مثل هذا، ولقد رويتُه وكتبتُه وما ذكّرنيه إلاّ قولُ النعمان يعتبر بنصائح المعز فيعرض عن أقوال الأعداء
المعزّ (صلع) الذي طابقه وشاكله وكأنّما[1] خرج من مَخْرَجِه وهو كذلك، لأنّهم
كما قال الله تعالى: ﴿ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِن بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[2]. وما زال مثل
ما كنتُ شكوتُه إليه، يتزيّد عندي ويتردّد عليّ، فإذا ضاق لذلك/ صدري بعضَ 212
الضيق ذكرتُ قولَه هذا فتعزّيتُ به، وما زلت أروّضُ نفسِي على ذلك حتى صار
ذلك لا يحزنها ولا يغمّها ولا يُؤَثِّرُ فيها، وحتّى صار من عسى أن كان يُبْلِغُنِي ذلك
لا يبلغني شيئاً منه لما رآه من إعْراضي عنه وقلّة اكتراثي به، فصرتُ إلى الراحة
بحمد الله وفضل وليّه (صع) لمَّا بصّرني إيّاه وعلّمني، وهداني إليه، ولم أرفع إليه
بعد ذلك شيئاً من ذلك قلّ ولا كثر، ممّا صغر ولا ممّا كبر، ولا أرفعه * أبداً وإنّه *ب50و
ليتكرّر عليّ في أكثر الأيّام، ما أقلعوا عنه ولا ملّوا منه.

توقيع بفضل وامتنان من المعزّ (صع):

182 ـــ (قال) وكان اعتمادي أيّام المنصور بالله (صع) / فيما أحاوله[3] 213
عنده وأرفعه إليه، وأطالعه فيه، على المعزّ لدن الله (صع). فما أردته من ذلك
بدأته به ورفعته إليه وسألته حُسنَ رأيه فيه: فما أمرني أن أفعله من ذلك، فعلتُه. كان النعمان يستشير المعزّ فيما يرفعه إلى المنصور..
وما كرهه لي، تركته. فكان لي في ذلك رِفْدٌ عظيم وفرَح كبير، ولم أكن أعمل
على رأيه إلاّ ظهرَتْ لي بركتُه والسعادة فيه، ولم يَنْهَنِي عن شيء فتركته، إلاّ تبيّن
لي بعد ذلك غَبُّه[4].

فلمّا قُبض المنصور بالله صلوات الله عليه وبركاته ورحمته، احتجتُ إلى
مطالعة المعزّ (صع) ومعاملته بما كنت أعامل المنصور وأطالعه به، فعدِمتُ مِن

---

(1) أ: كان ماسا. ب: وكافي ما. ولعلّ النعمان يبتهج بمطابقة ما سمعه اليوم من المعزّ لما كان نقَلَه عنه مطابقة تامة، ونعلم حرص النعمان على نقل كلام الإمام معنى ولفظا (انظر المقدمة ص 45 و ص 273 من الكتاب).

(2) آل عمران، 34.

(3) أ: أخلوا له. وهنا يستأنف إدريس نقلَهُ ص 553.

(4) غَبّ الأمر بالفتح والكسر: فسادُه.

214 دونه ما كنت وجدتُه فيه دون المنصور (عم)، فبَقِيتُ وقتاً طويلاً/ أتهيّب ذلك وأخاف التقحّم فيه. فلمّا طال ذلك عليّ كتبت إليه رقعة رأيت أن أقدّم فيها عذراً عنده فيما عسى أن أرفعه إليه وأخاطبه فيه، كان فيها:

... فلمّا تولّى المعزّ، فقد النعمان من يشير عليه...

قد علم أمير المؤمنين (صع) اعتمادَ عبده، فيما كان يرفعه إلى المنصور قدّس الله روحه، على فضل رأيه ومطالعتَه به قبل رفعه، وعملَه فيه بعد ذلك على أمره ونهيه، وأنّ ذلك ممّا وَجد غِبّ عاقبته[1] ودامت السلامة وحسُنت الحال له به: ولم يجد عَبْدُ أمير المؤمنين الآن دون مولاه مولى يَعتمِدُ في مثل ذلك عليه فيما يخاطبه به ويرفعه إليه. وقد روى فيما روى عن مولاه عليّ أمير المؤمنين
*ب 50 215 (صع) في فصل * من فصول/ كلام ذكر فيه الواجبَ على الأمّة للأئمّة، فقال فيه: وإذا كان العلماء في زمان إمام حقّ وأهلُه فاسقون، وجب على العلماء عرضُ أنفسهم على إمامهم، وتعريفُه من الكفاية والأحوال الصالحة ما لديهم وتسليم أنفسهم[2] إليه ليُسلِمَهم إلى الأشكال والحدود التي يجدها أبلغَ وأنفعَ لما يريده.

... فكتب إليه يشكو حيرتَه...

فالذي يجب على عبد أمير المؤمنين من هذا كشفُه لمولاه من حال نفسه، اعتقادُ ولاَيته والإخلاصُ له فيها، وذلك أصلُ ما لا يزكو عمل إلاّ به، والصدقُ فيما يقوله له وعليه، لا يسأله الله عن كَذِبٍ إن شاء الله لا يتعمّده ولا يقصده[3]، والتسليمُ لمولاه واستفراغُ المجهود فيما يتحرّى به رضاه.

وأمير المؤمنين أعلم بعبده وما يراه أهلاً له. فإن وقع من قوله أو فعله
216 شيءٌ/ بخلاف موافقة مولاه فمن حيث رأى أن يقعَ ذلك بموافقته وهواه، وقد قال جدّه رسول الله (صلع): قد تجاوز الله لأمّتي عن خَطَئِها ونسيانها وما أكرهَت عليه[4]. وأمير المؤمنين (صع) مُحْيي سنّةِ جدّه ومقتفي أثره ومنجزُ وعدِه لأهل عصره ومتّبعُ أمرِه، فإن أمر عبدَه بإيراد أموره عليه على جميل الظن في الصفح به وبلوغ الأمل من التجاوز عنه، فعل من ذلك ما هو أهله.

---

(1) ب: وجب. والغبّ هنا في معنى الصلاح.
(2) من: على إمامهم... إلى... وتسليم أنفسهم: ساقطة من أ.
(3) ب: لا يسأله إلا الله إن شاء الله عن كذب يتعمده ويقصده.
(4) تجاوز الله لأمتي... انظر ص 274 تنبيه 3.

فوقّع إليّ في ظهر الرُّقعة بخطّه: صانك الله يا نعمانُ، وقفتُ على كلّ الذي
وصفتَه في رقعتك هذه واستدللتُ من لفظك على شيء قد تبيّن لي منك ولم
أتحقّقه إلاّ عند وقوفي على/ رقعتك هذه. والذي تبيّن لي منك[1]، فنِفَارُكَ عمّا 217
كنت عليه منَ الانبساط * والاستراحةِ إلينا فيما عساه يعرِض لك ويقعُ إليك. *ب 51و
فرأيتُ منك انقباضاً أَوْحَشَني إذ لم يكن له سببٌ ولا علّةٌ تُوجبُه، بل الأمل فيك
خلافُ ما يسمو إليه أملُك من التشريف والتنويه بأسمك ورفع منزلتك إذ لم أكن
أطّلع إلاّ على خير وأحوال يجب أن يكون عليها كلّ وليّ لنا مثلك. وكان الأولى
بك التزيّد في السعي المحمود ليكون حالك حالاً يغبطك بها الوليُّ ويَكيدُك عليها
العدوُّ، وفّقك الله وسدّدك.

والذي وصفتَه من حالك مع مَن صلّى الله عليه[2] وألحَقَنَا به، فحالُك لم
تخْفَ علينا بل كنّا/ أصلها وفرعَها، وإن كان الشخصُ الجسمانيّ المقدّس قد 218
غُيّب عن أبصارنا ونُقل إلى سعة رحمة الله، فإنّ المادّة[3] الروحانيّة متّصلةٌ غير ... فيأذن له
منْقَطِعَة، والحمد لله ربّ العالمين، فمولاك مضى وإمامُك خُلِف، فاحمد الله برفع كلّ أمرٍ ذي
واشكره وسلّم لأمره، واكتب إليّ بما عساك تُحبُّ ذكره ليأتيَك من أمرنا ما تعمل بال إليه...
عليه إن شاء الله (تع)، والسلام عليك.

فما أعلَمُ أنّي سررت منذ كنت، سروري يومئذ، لمّا قرأت هذا التوقيع
وأسقطتُ عن نفسي وحشة التعقّب وأزحتّ عنها مؤنة التحفّظ واعتمدتُ فيما
أعامله به وأرفعه إليه وأخاطبه فيه على حسن النيّة وسلامة الطويّة/ وتركِ التصنُّع 219
في كلّ الأمور. فما زلت أتعرّف على ذلك منه صلوات الله عليه فضلاً عندي ... فتعود الثقة
يتجدّد ونعمة تتّصل وأسبابَ خير تتأكّد، أكْمَلُ شكرِها عندي الإقرارُ بالعجز عنه إليه
وأبلغُ وصفِها لديَّ * الاعتراف بالتقصير فيه. *ب 51

---

(1) من: ... ولم أتحققه إلى... منك... ساقطة من ب.
(2) أي: المنصور.
(3) مرّت المادّة ص 138 هـ 3.

الجزء السابع عشر

[بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ]

توقيع بمثل ذلك:

183 ـ قال القاضي النعمان بن محمد: أمرني الإمام المعزّ لدين الله صلوات الله عليه بالجواب عن مسائل وردت عليّ من بعض النواحي بعد أن طالعته في ذلك ورفعته إليه. فكتبت الجواب عنها ورفعته إليه/ ليتصفّحه فيكون ما 220
ارتضاه منه منسوباً إليه ومرويًا عنه. كما صحّحتُ كذلك ما كنت روَيْتُه عن آبائه[1] عليهم السلام وعليه وعلى من لحِقتُه منهم صلوات الله عليهم، واستأذنتُه (صع) في أن يكون ذلك مرويًا عنه، في رُقعةٍ ذكرتُ ذلك فيها ورفعتُها إليه.

النعمان يرفع إلى المعزّ أجوبة في بعض النوازل . .

فوقّع بخطّه إليّ في ظهرها: يا نعمانُ، أنفِذْ هذا الجوابَ فقد أحسنتَ فيه، أحسنَ الله إليك وأعانك على ما أخذتَ به نفسك من ابتغاء رضى الله ربّك ورضانا عنك، وختم لك بالسعادة في دينك ودنياك، فقد أتَيْتَ بالجواب على ما يجب.

. . . فيجيبه بالاستحسان والدّعاء له . . .

وذكر كلاماً في الرواية عنه وقال بعده: إنّا نأثَر عن آبائنا البررة الطاهرين قولَهم/ : ما قرّب الله الخيرَ من قوم قطّ إلاّ زَهِدوا فيه. 221

فما علمت أنّي اغتبطْت بشيء كغِبطتي بدعائه (عم) هذا الذي وقّعه إليّ بخطّه، وما أخذتُ في شيء أبتغي به رضوان الله (عج) ورضاه إلاّ رأيتُ أنّي أعِنْتُ عليه وجاءني فيه مَا لَمْ أكن أحتسِبُه ولا أرجوه، فأعلم أن ذلك لفضل دعوته (صع).

. . . فيغتبط بهذا الدعاء

فأمّا إحسان الله (عج) إليّ بعد أن دعا به لي فقد رأيتُه متّصلاً عليّ متواتراً عندي، له الحمد لا شريك له، ولوليّه الشكرُ على ما منّ به وسألَه لي منه.

---

(1) ب: سقط: كما صححت. . . آبائه.

*ب52و وأمّا الخاتمة بالسعادة * في الدين والدنيا فإنّي على ثقة ويقين منها لبركة
222 دعاء وليّ الله لي بها، ولِمَا عرّفني الله (عج) به عاجلَ إجابته/ في غيرها.

وممّا يُؤثَر عن رسول الله ﷺ (صلع) فيما ذكره من الدعاء المستجاب دعوةُ الإمام العدل: نسأل اللّهَ إلْهَامَه في المزيد منها ولمن أحبَّ الخيرَ له من أهلٍ وولَدٍ وأخٍ في الدين ولكافّة المؤمنين.

وبمثلـه:

خصمٌ حاسد للنعمان يغتابه عند المعز فيوقّع له بالإعراض عنه...

184 ــ وذكر لي (صع) قولاً بغاني به باغٍ لديه، ممّن وقف على سوء حاله، ذِكْرَ متطوّلٍ عليّ بذلك مُنعِم، مع تكذيب لذلك ورفضٍ لقائله. فرفعت إليه كرّاسة أشكر فيها فضلَه وأعتذِرُ ممّا قاله القائل له.

فوقّع إليّ بخطّه في رقعةٍ غيرَها: باسم الله الرحمان الرحيم، وقفت على الكّراسة التي بعثتَ بها إلينا تعتذر فيها ممّا قاله النَذْلُ الخَسِيسُ، وقد علِم الله يا
223 نعمان أنّا ما نظرْنَا إليك مذ كنتَ / قطّ إلاّ من حيثُ أمّلْتَ أن ننظُرَ إليك منه وبحيث وضعْتَ نفسك من وَلايتنا ومحبّتنا واعتناق أمرِنا. فحسبُـك يا نعمان رضى ربّك واستغفارُ مواليك وقبولُهم لسعْيك، وكفى النذلَ والرّكيك حالُه عند الله وعندنا وعند الأمّة. وتاللّهِ لو علمتُ أنّك تُلقِي لكلامه بالا أو تشغَلُ لك منه صدراً، ما أوقفتُك عليه، فألْقِ عن نفسك الفِكرة في شيء من أمره، وأنْزِلْه من الاحتقار في نفسك وعينِك منزلته في أنفسنا وأعيُننا، وثِق بما لك عندنا فِي
224 صدورنا، واعلَمْ أنّا آيةٌ[1] من آيات الله يستعمِلُنا كيفَ يشاء، ولو لم يكن/ الله عنك راضياً ما وفّق لك عندنا السعادةَ. فحسبُك هذا، والسلام.

*ب52 فوالله ما دريتُ * ولا أدري كيف أصف هذه النعمة وإن كانت نظائرُها

---

(1) للإسماعيلية تأويل لكلمة «آية» كما يؤولون «الكتاب» بـ «الناطق» (الرسول)، فيقول جعفر ابن منصور اليمن في تفسير قوله تعالى: ﴿منه آيات محكمات هنّ أمّ الكتاب﴾ سورة آل عمران، الآية: 7): «. . . أن الكتاب، مما يسمى به الناطق، والآيات، مما يسمى به الأئمة، (فـ)ـيعني «بالكتاب أنه أقامه مقام الناطق، ومنه آيات محكمات، يعني من ذريته. . . أئمة» (كتاب الكشف ص 132). هذا وفضلنا قراءة «آية» الواردة بنسخة أ على قراءة «آلة من الآلات الله» التي جاءت في نسخة ب.

عندي له (صلع) كثيرةً. ولو كان هذا الفضل والجميل من القول عندي لبعض الإخوان، لأثقَلَني حِملُه ولأعجزني شكره، فكيف به من وليّ الله وابن نبيّه، ومن جعل الله أمرَ ما يُرجى من خير الدين[1] والدنيا بيده؟ ولولا أن يطول الفصل والبابُ وينقطِعَ عمّا رُتِّب عليه ترتيبُ هذا الكتاب[2]، ويصيرَ في الطول إلى ما لا يُدْرَى كيفَ نِهايتُه، لفصّلتُ لفظ المعزّ (صع) فيه، وأعطيتُ كلّ لفظة قِسْطَها من البيان، والتنبيهِ على ما فيها/ من الشرف والفضل والجزالة لمن عسى أنَّ بعضَ 225 ذلك يغيبُ عنه، وإن كان نور الشمس لا يَخْفَى عن الأبصار، وضوءُ القمر لا يستتر عن النُّظَّار. ولو قصدت ذلك لتهيّأ من هذا التوقيع كتُبٌ كثيرة، واجتمَعَتْ، ممّا يتفرّعُ منه، أبوابٌ عديدة، وإن كنت أعلمُ أنّ ذلك لا ينتهي غَوْرُه ولا تُدرَك نهايتُه. ويهدي اللّهُ لعلـم ذلك من اختاره وأحبَّ هدايتَه، وينفَعُني إن شاء الله إثباتُه وتخليدُه، وينفعُ به مَن قرأه بعدي وانتسَخَه، إذ كثيرٌ ثواب الله وواسعٌ ما عنده.

... فتزداد فرحة النعمان ويهمّ بجمع توقيعات المعز

وبمثلـــه:

185 ـ (قال) وسألني بعضُ القضاة والحكّام والطَّلَبَةِ بسطَ كتاب مختصرٍ من قول أهل البيت (صع)/ لهم يقرُب معناه ويسهُل حفظه وتخفّ مُؤْنتُه. فابتدأتُ 226 شيئاً منه، وقدّرت أنَّ الكتابَ إذا كمل قام[3] على من يريد انتساخه بدينار فما دونه، وسمّيتُه «كتاب الدينار» وذكرت ذلك في بسط * افتتاحه ورفعتُ ما ابتدأتُه *ب53و منه إلى المعزّ (صلع) وطالعتُه فيه وسألتُه قراءته عليه وسماعَه منه ليكون مأثوراً عنه، وكتبت مع ما رفعتُه منه إليه رقْعةً ذكرتُ فيها ذلك له.

كتاب الدينار للنعمان...

فوقّع إلـيّ صلوات الله عليه بخطّه في ظهرِها:

باسم الله الرحمان الرحيم، صانك الله يا نعمان، وقَفْتُ على الكتاب وتصفّحتُه فرأيت ما أعجَبَني فيه من صِحّة الرواية وجودةِ الاختصار. ولكنّ فيه كلماتٍ يعتاصُ على كثير/ من أوليائنا معرفتُها فاشرَحْها بما يقرب من أفهامِهم، 227

(1) ب: الآخرة.
(2) انظر ما كتبناه عن تجزئة الكتاب في المقدمة ص 36.
(3) قام بدينار: قوم ثمنه بدينار.

... بعرضه على المعزّ، فينصحه بشرح غريبه وتغيير اسمه...

فيستوي في معرفته والإحاطة بعلم ألفاظه الشريفُ والمشروفُ، فإنّه يجيء طريفاً قريبَ المأخذ. وسمّه «كتاب الاختصار لصحيح الآثار عن الأئمّة الأطهار(1)»، فإنّ ذلك أشبَهُ به من «كتاب الدينار» لأنّ فيه من علم أولياء الله ما يحِقّ على كافة الخَلق طلبُه بأرواحهم فضلاً عن أموالهم. وهذا الاسم يضَع من قدره عند ذوي النّعم ويرَوْنَ أنّهم يصِلون إليه وإلى ما هو أجلُّ منه ببذل اليسير من حُطام دنياهم، ويَرَوْنَ أنّ الذي/ جمعوا وقَمَشُوا(2) من سُحْتِهم(3) هو الغنيمة التي عليها المدارُ إذ 213
228 كان الفسادُ على عقولهم/ أغلبَ طباع اللُّؤمِ عليهم، إلاّ من عصم الله منهم، وقليل ما هم.

... فيمتثل ثم يقرؤه عليه تاماً فيجيز له روايته عنه

ثمّ وقّع بعد ذلك بإصلاح(4) أشياء تُصلَحُ فيما رفعته منه، وحذفِ أشياء ممّا كتبتُه وأثبتُّه فيه، ذَكَرَها وعلّم عليها. وقرأته بعد ذلك قراءةً * عليه وأثبتُّ فيه كلَّ ما صحّحه وارتضاه وأسقطتُ ممّا كنت كتبتُ فيه ما أمرَ بإسقاطه منه وأخذتُه لفظاً منه. وأذِن لي أنْ أروِيَه ـ لمن أخذه عنّي ـ عنه، عمّن ذكره فيه من آبائه الطاهرين (صلع) بعد أن أثْبَتَ(5) ذلك عنم. فعظُمَتْ فائدتي فيه وجلّت نِعمتُه عليّ به، ولم أكن تعرّضتُ برفعي ذلك إليه [إلى] غير ذلك ليصِحّ لي ما كنت أثَرْتُه(6)
229 عن آبائه وجمعته من كُتب الرواة/ عنهم وسمعتُه قبلَ ذلك منهم. وفتق لي فيه (صلع) وأمدّني من بحرِ عِلمه بما صار به هذا الكتاب مشتمِلاً على علمِ جميع الحلال والحرام، والقضايا والأحكام(7) وصحّ لي ذلك عنه فيما أعملُ به من

(1) ذكره إيفانوف برقم 65 وبعنوان: مختصر الآثار، أو: اختصار الآثار. وذكره بوناوالا 54 برقم 7.

(2) قمش، على وزن ضرب ونصر، جمع فتات الشيء من هنا وهناك.

(3) السحت بضم السين، ما خبث من الكسب.

(4) في الأصل: بإثبات، والتصويب من ع 563.

(5) اثرنا الإسناد إلى المعز على الإسناد إلى النعمان المتكلم.

(6) أثر الحديث عن فلان: نقله عنه وحفظه.

(7) فهو كتاب فقه. وقد ذكر بوناوالا أقسام الجزء الأوّل منه، وهي أبواب العبادات من طهارة وصلاة وصوم إلخ، وقال بأنّ الجزء الثاني منه يكرّر ما جاء في الجزء الثاني من دعائم الإسلام.

هذا ولا ننسى أنّ النعمان ألّفه نزولاً عند رغبة القضاة والحكّام والطلبة، فهو للتعليم والإرشاد.

الفرائض المفروضة عليّ وأفْتِي به مَن سألني، وأقضى به في أحكامي بحمد الله ونَعمته وفضل وليّه. وأنا أؤمّل إنّ مُدّ في عمري [أن] أعْرِضَ كلّ شيء أتدَيّنُ به كذلك وآخذَه صحيحاً عنه[1]. والله يُبلِغني ذلك ويمُنّ عليّ به بحَوْلِه وقوّته. فقد رُوِي عن بعضِ مَن لحق جعفرَ بـن محمد (صلع) أنّه قال له: يا مولاي، أحِبّ أن أعرض ديني عليك. (فـ)ـقال: ذلك من الفرض الواجب. فشهَّدَ/ الشهادتين وأقرَّ بالأئمّة واحداً بعد واحد يسميّهم حتّى بلغ إليه. 230

النعمان يعتزم عرضَ كلّ كتاب يكتبـه في الـديـن والفُتْيا على المعزّ

فقال له: اعلَمْ أنّ مَن دان الله (عج) بهـذا، فقد دانَهُ بالدين الذي لا يَقْبَلُ غيرَه ولا يرضى من أحدٍ سواه، واستحسَنَ ذلك منه وصوَّبَه من قوله، فمَن فتح الله له في * عَرضِ أصولِ دينه وفروعِهِ على وليّه، فقد أتمّ نِعمته أن وفَّقَـه إلى أخذِها عن إمامه وتصحِيحِها عن وليّه. *ب54و

والحمد لله على ما فتح لي فيه من ذلك. وأسألُه البلوغَ إلى ما أؤمِّلُه ممّا بقيَ منه وقَبولا لذلك وتوفيقاً إلى ما يُرضيه منه.

في تعدّي العمّال:

186 ــ (قال) وذكرت عند الإمام المعزّ لدين الله صلوات الله عليه يوماً ما عليه الناسُ من الإقبال على/ طاعته والتسليمِ لأمره والرَّغبة فيما عندَه ممّا فضّله اللّهُ به من العِلم والحكمة، وجعلَهُ قائماً به لعباده هادياً إليه به. 231

فقال: الحمد لله الذي هيّأ لنا ذلك ومكّن لنا فيه بلا مُعيـن من الخلق لنا عليه، بل أكثر مَن نرجوه لقُوّتِنا وإصلاح قلوب العباد لنا، مُعينٌ في ذلك علينا: إن كان شيءٌ ممّا يكرهونه ممّا يَتَعَدّى فيه عليهم مَن نقيمُه لهم، قال لهم: هذا أمْرُ[2] مولانا وله نأخذ منكم ما[3] نأخذه. وقد أعاذنا الله عن أن نأمُرَ أحداً بالتعدّي على عباده. فما يكفيهم تعدّيهم حتى ينسِبوه إلينا. وإن كان منّا فضل وعطـف على أحـد، امتدَحَ به لمَن يصلُ إليه مَن نُجرِيه له على/ يديه واستعدّه عُدّة لنفسه. فسيّئاتُهم منسوبةٌ إلينا وحسناتُنا مضافة إليهم، ولكنّ الله يعلم منهم 232

بعض العمّال يسيئون معـاملـة الرعايا باسم الإمام . . .

. . . والمعزّ يتبرّأ

(1) ب: أؤمل . . . عرض كل شيء . . . وأخذ صحيحاته.
(2) أ: هذا من مولانا.
(3) تأخذ منكم ما . . . سقطت من أ.

نِيَّاتِنَا[1] لخلقه وأمرَنا في عباده، فيَجزينا إن شاء الله بذلك ويُثيبنا عليه.

*ب 54

رمز بالحكمة:

المعزّ يتأمّل فوّارةً يندفعُ ماؤها إلى العلوّ...

187 ــ (قال) ورأيته يوماً جالساً * وبين يديه فوّارَةُ ماء تفورُ وهو ينظُرُ إليها وكانت طريقةُ الفوّارة عاليةً، فنظرَ إليها مليّاً وقال: سبحان من دلّ بكلّ شيء خلقَه على عظيم حكمته. ونظر إليّ فقال: أترى هذا الماءَ؟

قلت: نعم يا مولاي.

قال: أما علمتَ أنّ له أصلاً عالياً في الموضع الذي يأتي منه[2]؟

قلت: نعم[3] يا مولاي.

233 قال: أوَليس الماء شبحاً كثيفاً شأنُه الرسوبُ والانصباب إلى ما سفل؟/

قلت: نعم.

قال: ولكنّ مثل هذا إذا خرج محصوراً كما ترى ارتفع وَسَمَا إلى الأصل الذي خرج منه، وإن كان من طبعه الانحطاطُ.

قلت: أجل.

... فيقارنها بالنفس التوّاقة إلى العالم العُلويّ

قال: وكذلك الأنفسُ العالية تطلُبُ مراقيَ أصولها، وهي أجدر بذلك من هذا الماء الذي طبعُه الرسوب. فبمثل هذا فليعتبر أهلُ الألباب ولا ينظروا إلى ما في الدنيا كنظَرِ البهائم.

في وجوب إقامة الظاهر والباطن:

المعزّ يذكر فضل الكعبة...

188 ــ (قال) ورفع إليه بعضُ مَن يقف بين يديه رُقعةً فقرأها. ثمّ نظر إليّ فقال لي: هذه رقعة فلان، ذكر لنا يومَ ركِبْنا، الحديثَ الذي يروى عن جدّنا أبي
234 جعفر محمّد بن عليّ (صع) أنّه نظر/ إلى الكعبة البيتِ الحرام فقال: إنّ النظر إليها عبادة.

---

(1) قراءة تقريبية.

(2) هـذا يدعم ما ورد في ص 304 من أن المعز جلب الماء من الجبال الواقعة غربي القيروان.

(3) ب: أجل.

فقلت[1]: أجل.

قال: إنّ الله (عج) لم يجعل الدليلَ على الفاضل والمَثَلَ له إلاّ الفاضلَ، يكون ما كان، من حيوان أو نبات أو جمادٍ. لذلك فضّل الله بَعض البقاع على بعض. وقد علمْنَا أنّ هذا البيتَ مَبْنِيٌّ من حجارةِ الأرض وطينِها، فالذي نُصِب مَثَلاً له شرّفه الله وعظّمه * وجعلَه كما قال جلّ ذكره: ﴿مَثَابَةً لِلنَّاسِ﴾[2] وافترض عليهم حَجَّهُ والطوافَ به. ومَن لم يُعَظِّمِ الدليلَ على الشيء والمَثَلَ له، لم يُعَظِّمْهُ[3].

... مع أنها حجارة وطينٌ...

*ب 55و

... فهي دليل على المعظَّم ورمزٌ

ثمّ قال (عم): ومن التّهاون بالظاهر هَلَكَ مَن هلك ممّن عرف الباطنَ. فلعَنَ اللّهُ مَـن تهاون به/ واطرّحَهُ وأزرى به! لا واللّهِ ما افترضَ اللّهُ فرضاً ولا 235
عظَّم أمراً إلاَّ ومَثَلُ ذلك تعظيمُهُ واجبٌ في ظاهره وباطنه. فظاهر الحلاَل حلالٌ معظَّمٌ، وظاهر الحرام مذموم، وكذلك باطنُهُما، وكلُّ فريضةٍ مُوجبَة دلَّت على شيء أو كانت له مَثَلاً فهيَ[4] كذلك تجري مجراه وتتّصل به.

رؤيا رآها المعزّ (صلع):

189 ــ (قال) وذكر عنده يوماً عبد الرحمان الأمويّ المتغلّب بالأندلس فقال: لَعَنَه الله، فلقد ذكرتُه مُذ ليالٍ بيني وبين نفسي، فأطلتُ الفكرةَ فيه إلى أن هممْتُ أن آخذَ مضجعي، فقضيت ما ينبغي أن أقضِيَه من حقّ الله عليَّ وسألتُه (عج) ورغبت إليه أن يُرِيَني حالَه ومصيرَه وما/ هو عليه عنده، في منامي. ثمّ نمْتُ، 236
فكأنّي في مجلس يُشرِفُ على باب الفتـوح[5] إذ نظرت إلى نجيب[6] قد دخل منه

(1) ب: فقال.
(2) البقرة، 125.
(3) نجد في كتاب الكشف لجعفر بن منصور اليمن (ص 97) ما يمكن أن يوضح هذا المعنى الباطني للكعبة: فهي ممثول الحجة، وهي كالسفينة بالنسبة إلى نوح، وحواء بالنسبة إلى آدم، لأن حواء «حوت الأشياء من الخفيات المكنونة والعلوم المصونة».
(4) سقط من ب: وكل فريضة... فهي...
(5) ب: مشرف. وباب الفتوح: أحد أبواب المنصورية الأربعة وهو إلى الغرب. (انظر ابن حمّاد: أخبار... 24).
(6) النجيب: الحسَنُ من الإبل.

المعزّ يرى الناصر في منامِه في حالةٍ مُزْرية. . . قد ملأ فروجه ونفخ الريح جِلاَلَه[1]، وعليه رجل يحثّه حتّى وقف بباب القصر، فاستأذن عليّ، فأمرتُ بإدخاله وكأنّه خيّل إليّ أنّه بشيرٌ أتاني بِبِشَارة فأَدْخِلَ عليّ، فلمّا مثَل بين يديّ سلّم عليّ وقال: هذا الرجل، قد جئنَا به.

قلت: من هذا الرجل؟

قال: الذي سألتَ الله أن يُرِيَك إيّاه.

قلت: عبد الرحمان الأمويّ؟

قال: نعم.

قلت: فأين هو؟

*ب 55 قال: هذا هو ورائي، وإنّما جئت أستأذنُك في المجيء * به إليك.

قلت: جئني به.

237 فجاءني برجل ملفُوفٍ/ في إزار وعلى رأسه الطرطور. فقلت للرّجل: ما هذا الذي على رأسه؟ أهذا زِيُّه؟

. . . ويوحَى إليه بقرب أجل خصمه قال لي: هذا زِيُّ الشهوة. ونظرت إليه بين يديّ في مقام خِزْيَة. فقال لي الرجل: اكشِفْ عنه الإزارَ إنْ شئتَ. فكشفتُه، فنظرتُ إلى يده مغلولةً إلى عُنُقِه. فقال لي الرجل: أفيقدر مثلُ ذلك على ضُرّ أو نفع؟ القادر على الضرّ والنفع هذا ـ وأومأ بيده إلى السماء ـ ثمّ قال لي: لا تُظهِرْه عندَ العامّة والغوغاء فقد بقي شيء من المُدّةِ وجمع لي أصابعه[2] وحرّك يدَه يُقَلِّلُ ذلك. ثمّ استيقظتُ فخررت لله ساجداً لمَا أراني من ذلك.

وصيّـة مـوجـزة:

238 **190** ـ (قال) وسمعته (صع) وقد استعمل عاملاً على / بعض الأعمال فأمر

المعزّ يوصي عاملاً له بتحقيق ظنّه الطيّب فيه بإدخاله إليه يومَ خروجه إلى ذلك العمل ليوصيَه. فكان ممّا عهدهُ إليه أن قال له: اعلم أنّا توخّينا فيك خيراً وظننّاهُ بك، فلا ترْضَ لنفسك بدون ما ظننّا بك! سر راشداً!

(1) الجل بالضم والفتح ج جلال: ثوب تلبسه الدابة لتصان به.

(2) ب: وجمع إلي. إذا جمع أصابعه كلها، أشار إلى عشر سنين، فتكون هذه الرؤيا وقعت سنة 340 ـ الناصر مات سنة 350 ـ ولكن المعز تولى الخلافة سنة 341. فلعل الطائف حرك يداً واحدة كما في النص. والحكاية بعد تدل عى انشغال المعز بأمر خصمه الأموي.

وما زاده على ذلك، وقد جمع له كلَّ وصيّةٍ وموعظة في هاتين اللفظتين.

كلام في إصرار الظالمين على الباطل:

مجادلة بين المعز وفقيه من أهل السنّة تفضي إلى اقتناع السنّي.

/ 191 ــ (قال) وسمعته (صع) يوماً يقول: واللّهِ لا يخفى حقُّنا عن الناس، ولو أنصَفُوا من أنفسهم واطرّحوا أهواءَهم ونظروا بعيُون الإنصاف منهم لما استَتَرَ ذلك عنهم، وما يستُرُ ذلك عن جاهلهم إلاّ جهلُه ولا يتخلّف عنه عَالِمٌ إلاّ شُحّاً على رئاسة. ولقد/ فاوضت فلاناً ـ وذكر رجلاً من علماء العامّة عندَهم وأكابرِهم 239
ـ وبسطتُه[1] في القول وما زلت به إلى أن أقرّ بحقّنا * واعترف به اعترافَ من لم ب56و*
أَشكَّ أنّ اعترافَه اعترافُ حقيقة لا اعترافُ مداراةٍ وتقيّةٍ، وانقطع ووقف في يدي[2]، فقلت له: ما يمنعك بعدَ هذا من الرجوع عمّا أنتَ عليه إلى ما أقرَرْتَ به؟ فلم يُحِرْ جواباً.

... ولكنّه لا يرجع عن قوله خوفاً من فقدان الرئاسة في قومه

فقلت له: إن شئت عرّفتُك لمَ لا تفعَلُ ذلك.

فقال مستريحاً من تعذّر الجواب عليه إلى قولي: ما هو يا أمير المؤمنين؟

قلت: أنت رجل قد ترأَسْتَ في العامّة وذُكِرتَ بالعلم فيهم، وصار لك بذلك حالٌ عندهم، فإذا أنت فارَقْتَهُم وصِرْتَ إلَيْنا/ نَبَذُوكَ واسْتَخَفُّوا بك وسقط 240
عندهم جاهُك، ولم تكُنْ عندَ أوليائِنا في حال مَن برع في علمٍ دخَل فيه لقُرب عهدك به، وصرتَ دون مَن سَبَقَك إلينا منهم، فلا أنت صرتَ إلى ما أنت اليومَ فيه عند أصحابنا، ولا أنت بقيتَ عليه عند أصحابك.

فقال: لا حول ولا قوّة إلاّ بالله! أعوذ بالله من ألسنة بني هاشم!

وتبيّن لي منه أنّه قد علمَ أنّ الذي قلتُ هو سِرُّهُ، فاستَخْذَى[3] وجَعَلَ يلوذُ في كلامه، فأعرضتُ عنه وتركتُه، نعوذ بالله من الخذلان والشّقوة.

ولقد مات هذا الرجلُ بعد هذا القول عن قُرب عهدٍ به بعد صُحبةٍ طويلة للأئمّة صلوات الله عليهم/ وفضلٍ جزيلٍ كان إليه منهم، وما تمتّع بما اعتاضه 241

(1) بسطه: سره وطمأنه.
(2) هكذا في النسختين، ولعلّ المعنى: وقع في قبضتي وتحت طائلتي.
(3) استخذى: استرخي واضطرب.

برئاسته من نعمة الله وفضله وكرامته وما دعاه إليه وليُّه وتأكّدت به حجّة الله عليه
*ب 56 إلاّ القليلَ. وما كان ما كان من وليّ الله من هذا القول إليه * إلاّ تأكيداً بحجة الله عليه.

في وجـوب الجهـاد:

قائدٌ من قوّاد المعزّ بنصرف عن العدوّ في مقابل مال...

192 ــ (قال) وأتاه يوماً صلوات الله عليه عن صاحب بَعْثٍ بعَثَ به وأمّره عليه أنّه نزل على عدوّ من أعدائه بجيشه، فحاصره حتّى إذا ضيّق عليه بذَلَ له أموالاً جسيمة فقبِلَها منه لينصَرِف عنه.

فغضب المعزّ لدين الله (صع) لذلك غضباً شديداً وقال: لئن فعل هذا لأفعلنَّ به ولأفْعَلَنَّ به ـ لشـيء من المكروه ذكره ـ ثمّ قال: ونحن نُعيذ بالله مَن
242 أمّلْنا فيه/ خيراً ورجَوْنا منه قياماً حسَناً أن يخيّبَ الله ظنَّنا فيه، بل نرجو أن يوفّقَه الله لما أمّلنـا فيه ورجَوْنَاه منه وألاّ ينزَع عن أحد من أوليائنا نعمةً أنعمها عليه بنا.

... فيغضـب المعزّ ويؤكّد أنّه لا يُقاتل طلباً للمال، بل إعلاءً للدين

ثمّ قال: إنَّا لم نُخرِجْ أولياءَنا ونُتعبْ فكرَنا ونُنفقْ أموالَنا لنطلُبَ بذلك أموالاً نعتاضُها، ولا أردْنَا بذلك متّجراً بها، وإنّما أردنا بذلك[1] إقامةَ حقّ الله في أرضه وأن يُعْبَدَ سبحانَه فيهَا حقَّ عِبادته ويُدانَ بطاعتَه كما أمر لأوليائه. فأمَّا المالُ، فعندنا بحمد الله منه ممّا خوَّلَنَاهُ وأصَارَهُ إلَيْنَا من وجهه وحقِّه وحِلِّه ما لا حاجةَ بنا إلَيْه، يمُوتُ عنه إمَامٌ مِنّا بَعْدَ إمام ويُخَلِّفُه، فما فائدَتُنا في جمعه
243 والزيـادة منه، وما حاجتُنا/ إليه؟ إنَّما الحاجة والفائدة لنا إقامةُ ما استخدَمنا الله (عج) ونصبَنَا له من الذَّبّ عن دينه وجهاد أعدائِه والدعاء إليه واستنقاذِ مَن جعَلَنا سبباً لاستنقاذه ونجاةِ من أقامَنا لنجاتِه، ممّن أراد سعادتَه، واصطلامِ من أراد
*ب 57و اصطلامَه على أيدينا لِشِقوته. فلذلك نسعى وندأبُ وإيَّاه نقصِد وفيه * نرغب. فنسأل الله العونَ على ما يُرضِيهِ منّا والتسديدَ والتأييد في ذلك لنا.

خطاب خاطب به المعزّ (صع) رسول طاغية الروم:

193 ــ (قال) وقدم إليه (صع) بَطْرِيقٌ من بطارقة الروم وأشرافِهم رسولاً
244 عن طاغِيَتِهم صاحبِ القسطنطِينيّة بما أوجَبَه على نفسه من مَغْرَم الجزية عن/ أرض

(1) سقط من ب: متجرا... بذلك...

227 قَلَوْرِيَة[1]/ كما يبعث بذلك لكلّ سنة، وجاء منه بهدايا كثيرةٍ من آنيةِ الذّهب والفضّة المرصّعة بالجَوْهَر وديباجٍ وحريرٍ وبزْذَوْنٍ[2] وغير ذلك من نفيسِ ما عندهم، وبكتابٍ من مُرسله يخضَعُ فيه إليه ويرغب ويسأل ويطلُب الكفَّ عن حربه ويسأل الموادَعةَ. وبعث بعدد كثيرٍ ممن أسارى أهل المشرق [مـ]ـمّا لم يكن قطّ قبل ذلك طاغيةُ الروم بعثَ بمثلهم إلى ملِكٍ من ملوك المغرب ولا إلى أحدٍ ممّن مضى من الأئمّة قبل المعزّ (صع) وَلاَ (كـ)ـان طاغية الروم يؤدّي خراجاً ولا جزيةً عن أحد من أهل ملّته[3] إلى غيره (ص). فقبّل ذلك الرسولُ الأرضَ مراراً بين يـدَيِ المعزّ (ص) ومثَل قائماً بين يديه، فأدّى إليه رسالةَ مُرسِلِه ودفع إليه/ كتابَه 245 واستأذنَه في إدخال هديّتِه، وذلك بعد أن وصلَ مالُ الجِزْيَةِ إلى عامل صقليّةَ على الرسم المقدَّمِ الجارِي [في ذلك][4].

[إمبراطور بيزنطة يعرض على المعزّ هدنة مؤبّدة. . .]

فأذن له أمير المؤمنين (صع) في إدخالِها وأسعفه بقَبُولها وكان أكثرُ ما أدّى إليه الرسول عن طاغية الروم وما جاء في كتابه إليه سؤاله الهدنة مؤبّدةً على ما أجراه من * الخراج والجزية على أهل قَلَوْرِيَةَ، وبأن يرسِلَ رسولاً من قِبَله ليُسَرَّ *ب 57 بذلك ويفْعَلَ فيه ما يجِبُ على مثله لمحبّتِه بزعمه وميله.

فأجاب المعزّ (صع) رسوله عن ذلك بأنّ الدينَ والشريعةَ يمنَعان منَ الذي سألَه من الهُدْنَة المؤبّدة/ لأنَّ الله (عج) إنّما بعث محمّداً رسوله (صلع) وأقام 246 الأئمّة من وَلَدِه من بعده يدعُون إلى دِينه ويجاهدُون مَن خالفَه حتى يدخُلُوا فيـه أو يُعْطُوا الجزية عن يدٍ وهم صاغِرُون داخلُون في حكم إمامِ أهلِ الإسلام وذِمّتِه، فإنَّ الموادعةَ إنَّمَا تجوز لمُدّةٍ معلومة على ما يراه إمام المسلمين صلاحاً لهم وللدّين، ولو كانت مؤبّدَةً لبطَـل الجهاد المفروضُ على العباد، وانقطعَتْ دعوةُ الإسلام وخولِفَ حكمُ الكتابِ.

[. . . فيجب بأن الإسلام يحتّم على الإمام جهاد أعداء الدين. . .]

(1) قلورية: مقاطعة في جنوب إيطاليا مطلة على جزيرة صقلية (انظر ص 155 و ص 220). والزيادات من عيون الأخبار، 591.
(2) هكذا في النسختين. ولم نجد للكلمة بديلاً أنسب للمقام. على أنّ الداعي إدريس أسقطها من نقله.
(3) في العيون، 591: مملكتِه.
(4) يبدو أن الاتفاق بين المعز والإمبراطور ينص على أن الجزية تدفع سنوياً إلى عمال صقلية الكلبيين. ولم يسبق للنعمان أن حدثنا عن تفاصيل الاتفاق.

وعرّفه أنّه ممّا ينبغي لمثل من كان في محلّ مَلِكِه الذي أرسلَه ألاّ يغيبَ عنه مثلُ هذا من شريعةِ مَن يخاطِبُه ويكاتِبُه وألاّ يسألَ ما لا تُوجِبُهُ الشريعة لمن سألَه.

247 فاعترف العلجُ بذلك على مُرسِلِه/ وسأل الزيادةَ في مدّة الهُدنة عنه له.

[... ويرضى بمواصلة الهدنة ما واصل الروم دفعَ الجزية...]

فقال المعزّ (ص): جوابُ هذا في كتابنا المقدَّم معك قبلَ اليوم إليه[1]: أنّه ما دام على ما شَرَطْنَاهُ عليه وأوْجَبَهُ لنَا على نفسِه لم نبدَأه بحرب حتّى ننبُذَ إليه عهدَه، أو بعدَ أن تنقضيَ مدّةُ الموادعةِ بيننا وبينَه، لا نخفُرُ ولا نغدِر كما تخفُرون أنتم وتغدِرُون ـ وعدّد عليه أشياءَ من ذلك فعَلُوها ـ فاعتذر منها عن ملِكِه/ بأنّ

*ب 58 و ذلك لم يكن * عن علمه وأنّه أنكرَه وطالَبَ مَنْ فعَلَهُ [فأعْجَزه].

فقال له المعزّ (صع): فإذا كان الأمر على ما تصِفهُ من ملكِك أنّه يُغْلَبُ على أمره ويعجِزُ عمّن خالفَه وغلَب عليه من أهل مِلّته، فأيّ فائدةٍ في موادعَتِه إذا كان

248 عاجزاً مَغْلُوباً؟/

[... ويعرض على الإمبراطور معاهدةً تنطبق أيضاً على الإمارات الإسلامية بالمشرق]

ولكن هل لَكَ ولَهُ في أن أعقِدَ له ما يتّفِقُ[2] معي على عَقْدِهِ، على مَن يَرى أنّه في غيرِ مملكتي ممَّنْ يُقاتِلُه من المشرِق كابنِ حِمْدَانَ وغيرِه[3]. فإن خَرَجُوا عمَّا أعقِدُه عليْهِم فلا عَقْدَ بيني وبينَهُ. فأمّا مَن حَوَتْهُ مملكتي وحدودُ طاعتي فقَدْ علِمَ وعلِمْتَ أنّهم أقدرُ على أهل دينِه ومملكتِه وبلدِه لو أرادوا الخَفْرَ والغَدْرَ[4] [منهم]. فهل بلَغَهُ أو بلغَك أنّ أحَداً منهم تعدّى لي، فيما جعلتُه له، أمراً وخالفَ شيئاً منه؟

---

(1) فهذه وفادة ثانية إذن من المبعوث نفسه (انظر الدشراوي: الخلافة، 243 و 250 و ص 360 من الترجمة العربية، ورسالة Schlumberger عن نقفور فقاس ص 468). وأسقط إدريس نهاية الجملة، 592.

(2) في النسختين: من جهة، والتصويب في العيون 593.

(3) نفهم من هذا الكلام أن المعز يعرض على الرومي معاهدة باسم أمراء المشرق ضامناً لهم ملتزماً باحترام العقد من جهتهم. ويلذ للمعز أن يتكلّم باسم المشرق اعتقاداً منه أنه خليفة على المسلمين قاطبة، وبهذا الاقتراح، إن قبل، يضمن السلم لأهل الشام والجزيرة، بدفع خطر الروم عنهم.

(4) في الأصل: كابن حمدان. وقد سقط ابن حمدان في رواية العيون، فسلِم سيف الدولة من تهمة الغدر.

فجعل العلج يعترف بذلك وبالفضل لوليّ الله (ص) ويسأل[ـه] ويرغَبُ إليه. فأعرض المعزّ (ص) عن جوابه عن ذلك وجعل يسأله عن كيف الحال بينهم وبين أهل طرسوس/[1] وابنِ حمدان في حروبهم ومعاملتِهم إيّاهم، في حديث 249
أطاله. وكان ذلك العِلجُ يُجيبه عمّا يسأله من ذلك عنه[2]. فنظر بعضُ مَن في المجلس إلى بعضِهم كمَن لا يدري ما معنى السؤالِ عن ذلك والمفاوضةِ فيه. ثمّ عاود العلجُ في سؤال رسولٍ يرسِلُه إلى ملكِهِ وذكرَ له تواتُرَ رسلِهِ عليه وعلى آبائه مذ أفضى الله (عج) بالأمرِ إليهم وأنّه لم يَمْضِ رسولٌ منه ولا مِنْهُم إليه.

المعـــزّ يستفسر مبعوث الروم عن الحرب على الثغور الشاميّة...

فقال المعزّ (ص): إنّ أحداً من الناس لا يرسل رسولاً إلى أحد إلاّ لحاجةٍ له إليه ولأمر يجب * له عليه. ونحن بحمد الله، فلا نعلمُ أنّ لنا إلى صاحبك من *ب 58
حاجة ولا له علينا أمرٌ واجبٌ. فلماذا نُرسِلُ إليه؟ اللهمّ إلاّ أن يكونَ أمراً من / أمور الدين ينبغي لنا مراسلتُه ومفاوضتُه فيه وهو من المُباحِ في دينه، ولكن نظنُّ 250
أنّه يكبُر عليه، فإن نحن أرسلْنا فيه إليه، فعلمتَ أنّه يجيبُنا فيه، سهُل علينا أن نرسلَ إليه رسولاً كما سألَ وسألتَ عنه. فلولا أنَّ ذلك لله (عج) ولدينه لم نفْعَل ذلك له، ولا ينبغي لنا أن نفعلَه، إلاّ بعد أن يتحقَّقَ عندنا أنّه يجيبُ أليه، لأنّا لا نرى أن نَسْأَلَ أمراً، وإن كان لوجهِ الله (عج)، فَنُجبَهَ[3] فيه. وَلأنَّ ذلك، لو كان، لكان سوءُ عاقبته عليه، ونحن لا نُلزِمُك الجواب في ذلك عنه، والقطع فيه عليه، إذ ذلك ممّا لا يَلْزَمُك ولا ينبغي لك، ولكنّا سنأمُرُ بذكرِ ما نريد ذكرَه لك وتَنْصرِف وتقف/ على ذلك منه لأنّـه أمرٌ كبير. فإذا علمت منه بالحقيقة أنَّهُ يجيب إليه[4]، 251
عرّفتَنا ذلك عنه فيسهُل علينا أن نُرسلَ [فيه] إليه. ولو كان ذلك فيما حَوَتْه الدنيا بحذافيرها أو اشتملت عليه بأقطارها، لما سهُل علَينا أن نرسلَ فيه رسولاً من

... ويقترح على الإمبراطور مناظرة في الدين...

(1) «أ»: طرطوس، وكذلك في «ب» مع شطب على الطاء الثانية. وطرطوس ميناء سوريّ جنوب بانياس. وطرسوس ثغر إسلامي يقع في جنوب تركيا الحالية، ودارت فيه حروب بين البيزنطيين وسيف الدولة، واحتلها الروم سنة 354/965، في عهد سيف الدولة الحمداني (انظر الكامل لابن الأثير ج 7 ص 13، وهو لم يذكر طرطوس).
(2) عنه في أ و ب، وكأنها تأخرت عن مكانها.
(3) فنجبه فيه: أي نقابلَ بالجَبهة أي المذلّة والمكروه. والمعزّ يعرض على الامبراطور مناظرة في الدين.
(4) في العيون، 594: يجيب عنه.

قِبَلنا. ولكنّه لمّا كان لوجه الله (عج) وابتغاء ثوابِهِ سهُل علنيا ووجَب لدينا.

فاستعظم العلج القولَ في ذلك وأقبل على أمير المؤمنين بالمدح والشكر حتّى خرَج في قوله ذلك إلى الكفر والتشبيهِ الذي يعتقدُه. فردّ ذلك المعزّ (صع) عَليه وتواضع لله (عج) كما يجب أن يتواضع له، وعرّفه ذلك ليعلم أنّه لم يرضَهُ * من قوله وإن كان عند نفسه إنّما قصد به/ تعظيمَه ورأى أنَّ ذلك ممّا يجوزُ عنده. ثمّ أمره (صلع) بالانصراف إلى المكان الذي أنزلَه فيه، فانصرف.

*ب 59و
252

... ثـمّ يصرف المبعوثَ الروميّ ويشرح لجلسـائـه سبـبَ سـؤالـه الطويل عـن حـروب الشام...

ثـمّ عطف علـى من كان في المجلس كأنّه اطّلع على ما كان في قلوبهم، فقال: لعلّ بعضكم أنكر ما أطلْنَا سؤَالَه عنه عن أمرهم مع أهلِ المشرق؟ ولم نُرِد بذلك منه الحديثَ والمذاكرةَ، ولكنّي علِمتُ أنّه رسولٌ قد لُقِّنَ ما يقول وأوقِفَ عليه، وعلى ما يُجيب فيه ممّا قد لعلّ مَن أرسَلَه علِم أنّه سيُسألُ عنه. فأتيْنَاه من مكان نَعلمُ أنّه لم يُتَقَدَّمْ إلَيْهِ فيه، ولم يعلَمْ مرسلُه أنّه يُسأل عنه، حتّى أخذنا [منه] من قِبَله مَا تقوم به حُجَّتُنَا عليه من وجه كذا ووجه كذا ـ وعدّد/ وجوهاً كثيرة ممّا سمعناه جرى بينهُما لم ندرِ أنّ في ذلك حجّةَ حتّى ذكره (ص) ـ فإذا فيه حججٍ وكيدة لم تظهر إلى أحد ممّن حضر إلاّ عند ذكرِه إيّاها وبيانه لها.

253

... وهو إقامة الحجّـــة على الإمبراطور

فقبّلوا الأرض بين يديه وأظهروا السرور بما وهب الله من التأييد له وأمدَّه به من العلم/ والحكمة[1]. وكان ذلك عنه (ص) بعد أن سألهم ما رأوْه في مخاطبته 235
إيّاه فيما خاطبوه وما توهّموه في مراده بذلك، فلم يكن عند أحدٍ منهم عِلمٌ من ذلك. ثمّ سألهم هل فيما سمعوهُ منه حُجَّةٌ يرَوْنَ أنّها تقوم عليه أو على مرسله؟ فما علِمَ أحدٌ منهم ذلك. فبعد ذلك قال ما قاله لهم ممّا ذكرته عنه (صلع).

*ب 59
254

خطاب خاطب به المعزّ/ صلوات الله عليه رسول[2] بعض الدعاة: *

وافـدٌ مـن المشرق يقـصّ على المعـزّ خبر جـدالـه مـع بعــض ملـــوك الشرق في إمـامـة المعزّ...

194 ـ (قال) وقدم على أمير المؤمنين المعزّ لدين الله (صلع) رسول بعض الدعاة بالمشرق بمال حمّله ذلك الداعي إيّاه من أعمال المؤمنين. فأدخله المعزّ (ص) وسألَه عن أحوال ذلك الداعي والمؤمنين قِبَله، فأخبره من ذلك بما حمِدَ الله عليهِ من استقامةِ الأحوال وانتظام الدين وألفة المؤمنين. ثمّ سأله عمّا

(1) في الأصل وعند إدريس: والحكمة به، وكثيراً ما يؤخّر النعمان المتعلّقات فيغمض التعبير.
(2) سقطت «رسول» من ب.

شاهده في طريقه فأخبره بتعظيم مَن مرّ عليه من أمراء بلدان المشرق إيّاه، وبرّهم [به] وإكرَامِهِم له، لعلمهم بما جاء به إلى أمير المؤمنين (ص) من قِبَل صاحبه إذ أكثرُ أجنادهم وأصحابِ أمورهم من دعوته، ومنهم كثير ممّن[1] دعاه غيرهُ، وَهُم/ بأسرهم يدينون بوَلاية وليّ الله، ويعتقدون إمامَتَه. 255

... ودعوته إيّاه إلى الانضمام إلى الدعوة وتقديم الخمس إلى الإمام...

وكان فيما حكاه عن بعضهم، وهو في أجلّ موضع مرَّ به، بعضُ ما كرهَهُ الرسول منه مع ما وصَفَهُ من سوء حاله، وذلك، فيما ذكره: أنّه أرسل في طلبه فأدخله إليه وسأله عمّا قدِمَ به فأخبره. فقال: أمَا إنّي لو شئتُ أخذَ ذلك لأخذتُه لأنّه أو أكثره من عند أصحابي ورجالي.

فقلت: أيُّها الأمير، أو تقول غيرَ هذا؟!

فقال: وما هو؟

قلت: تقول: إنَّ الذي في يدَيْك أنتَ، منهم[2] وعنهم، لقيامِهِم معك وعضْدِهِم إيَّاك.

قال: أجل، إنّه لكما قلت.

(قال) قلتُ: وأنتَ، أبقاك الله، فما يمنَعُك ممّا فعلوه وقد أخِذ عليك لوليِّ الله ولمَن تقدّمه/ من الأئمّة مراراً؟ (قال) فرأيتُه وقَف في ذلك. وكان جوابه أن قال: 256
كلّ مَن ترى، إنما يطلب الدنيا. ونحن نطلُبُها * ما دامت المدّةُ والدولة والأيّام لنا، فإذا انقضت سلَّمنا ذلك على الكَرْه. *ب 60و

(قال) قلت: وقد علمتَ أنّ أصحابَك على ما هُم علَيْه؟

... فيتسائل الأمير عن سبب تأخر المعزّ عن غزو المشرق...

فضحك وقال: والله ما من رجل من أصحابي أعلى عندي درجةً ولا أكثرُ منزلةً ولا أعرضُ دُنْيَا[3] من هذا ـ وأومأ إلى رجل هو وزيره وصاحب أمره ـ ثمّ قال: ولقد سايرني مذ أيّام في بعض ما خرجتُ متنزّهاً إليه فتذاكرْنا أمر صاحبِكم ـ يعني أمير المؤمنين (صلع) ـ فقلت: ما أظنّه يمنَعُه من الهجوم على المشرق إلاّ

(1) ب: مما..
(2) ب: وأنت منهم.
(3) ولا أعرف ديناً، مع إصلاح دنيا إلى دينا بتغيير الإعجام.

257 أنّه ليس معَه من الرجال والعُدّة/ ما يرى أنّه يقوى به على ذلك، فضحِك من قولي وقال لي: وما يريد من الرجال والعدّة، وكلّ من ترى حولَك وحولَ غيرِك رجالُه وأولِيَاؤُهُ؟ فوالله ما داراني في أمره ولا ساترني، وإنّه ليصل إليه من بين صلةٍ لي عليه جاريةٍ وغلاّتٍ من مَعْروفي لديه في كلّ عام أزيدُ من ثلاثمائة ألف دينار.

فقلت: فحسبُك أيّها الأمير.

... ويعـزوه إلى قلّـة عـدّتـه وعدده...

قال: ما يمنع صاحبكم من المشرق وما الذي قنع به من الغرب وما عسى أن يكون في المغرب وفيما رضي لنفسه منه؟

قلت: ألست تعلم أيّها الأمير أنّ المغرب شطر الدنيا وأنّ الله قرنه بالمشرق فذكَرَهُمَا معاً؟

258 قال: / نعم.

[قلت]: فهل تعلم في المغرب مِلكاً غيرَه؟

قال: لا.

قلت: وكم بالمشرق من مِلِك؟

قال: كثير.

قلـت: أوَ ليس لـه أكثرُ ما يملِكُون ذلك به مِن رجالهم، يتقرّبون إليه بأموالهم وينصرونه، إنْ أحبّ، بأنفسهم؟

قال: نعم.

*ب 60 قلت: فأيُّ مِلِكٍ من ملوك الدنيا * له مثلُ ما له معَ مَا خصَّه الله (عج) به من فضيلةِ الإمامة؟

قال: فمِن هذا العجبُ فيما قلناه! فما عندك فيه؟

... فيـدفـع المبعـوث هـذا الرأيَ...

(قال) قلت: ما عندي في ذلك إلاّ القبولُ عنه والتسليمُ لأمره وتركُ الاعتراض عليه، والعلمُ باليقين أنّ كلّ ما كان منه، صوابٌ وحكمة، ولسْنَا نرى أن نسبُقَه بالقول، وإنّما نحن رسُلٌ ننفُذُ بما أرسِلنا فيه إليه ونصرَف فيما يصرِفُنا

259 / به.

(قال) ففكّر مليًّا ثمّ دعا بدابّتي، فما ركبت إلاّ بين يدَيْه وأكرمَني. ولكِن اغتمَمْتُ لِمَا رأيتُ من تخلّفه عن الواجب لوليّ الله عليه وقوله ما قاله من أنّه صاحبُ دنيا، وما وقفتُ منه عليه ويقال فيه من سوءِ الحال.

... ويبدي للمعزّ أسفه على إخفاقه في إقناعه...

قال المعزّ لدين الله (ص): أفكُنْتَ تحبُّ أن تراه على صحّة من وَلايتنا وكمالٍ في أمرنا؟

قال: أي والله، لقد كنت أحبّ ذلك.

قال: إنّ ذلك لو كان وهو على ما هو عليه من المُظاهرةِ بالقيام بأمر أعداء الله، لكان أضرَّ عليك وعلى أصحابك المؤمنين ولكانت النّعمةُ يرجى بقاؤُها عليه والسلامةُ يطمع دوامُها له، فتطول مدّتُه وأيّامُه واغتمامُك وأصحابَك. ولكنّ من
260 قاطع اللّهَ مثلَ هذه المقاطعةِ ولم يكن له من أوليائه[1] حظّ ولا نصيبٌ، كان الهلاك بحول الله وقوّته منه قريباً. فقد كان يقال: كفاك دَرْكاً من عدوّك أن تراه عامِلاً بمعاصي الله. وقد سعى بمولاك جعفر بن محمد (ص) بعضُ السعاة إلى بعض المتغلّبين من بني العبّاس ونسب إليه أنّه يريدُ الخروجَ عليه، فأحضره لذلك وسألَهُ. عمّا قال الساعي به، فأنكره، وثبَتَ الساعي على ذلك من قوله فيه بيْن يدَيْ ممن سعى به [إليه]. فقال له جعفر بن محمد (ص): أفتحلِفُ على ذلك؟

... فيخفّف المعزّ من أسفه ويضرب له مثلاً بسعايةٍ في جعفر الصادق

قال: نعم، أحلِفُ عليه، وذهب * ليحلِف بالله. *ب 61 و

فقال: لا، ولكن قل: قد بَرِئْتُ من حول الله وقوّته إلى حول نفسي وقوّتها.

261 فقال ذلك/ ، فمات في المكان.

فأَسقِط في يدَيْ ذلك الذي سَعَى إليه، وأعظم أمرَ أبي عبد الله (ص) وقال له: كيْف علِمتَ أنّه يعاقَبُ بمثل هذه العقوبة إذِ استحلفتَه بما استحلفتَه به؟

فقال: علمت أنّه كاذب في قوله وأنّ الله (عج) إذا حلف حالِفٌ باسمه فوحّده وعظّمه في حلفته أبقى اللّهُ عليه، لتوحيده وتعظيمه إيّاه، ولم يعجِّل بالعقوبة عليه، فلم أَدَعْه لذلك واستحلفتُه بالبراءة منه لئَلاّ يكونَ بينه وبين الله ما يُرجى له به السلامةُ من جُرأته عليه، فكان ذلك، وعجّل الله (تع) الانتقامَ منه.

---

(1) أوليائه: ساقطة من أ.

وكذلك هذا الذي ذكرتَه: لو اعتصم بأدنى أمرٍ من أمورنا وكان على شيء
262 من طاعة الله، لأمهله الله/ وفتَحَ له. ولكن بانسلاخه من ذلك وخروجه منه، يُتَوَقَّع قربُ انتقام الله (عج) وسُرعةُ وقوع البلاء له.

هذا الوافد يمتنع من تلبية دعوة أمير استزاره، استنكافًا من أن يقبّل يدَه

ثمّ ذكر له هذا الرسول غيرَ هذا الرجل ممّن اجتاز به من أمَراء البلدان وإكرامه له وأنّه أرسل إليه ليأتيَه فاستعفاه من ذلك إذ علِمَ أنّه يريد منه أن يقبّل يده ويعظِّمَه وأنّه لا يفعَلُ ذلك له واعتذر إليه في التخلّف عنه ورمَزَ لما منَعَه من المجيء إليه، فقبِلَ ظاهرَ عذره ولم يكلِّفْه من ذلك ما يكرَهه وتركَهُ، نازلاً عندَ مَن قصد إليه من أولياء المؤمنين، فأمر بحِفظه وأصحَبَه من أجازه من حَدّ عمَلِه
263 وأخرجه ظاهراً بما معَهُ لأمير المؤمنين (صلع)/ *.
*ب 61

فقال له المعزّ لدين الله (ص): هذا ممّن نظر لنفسه، وأحرى به أن تدوم النعمة ما دام على ذلك. أمَا بلغك ما عمِله صاحبُ الفُرس عندما ورد عليه كتاب جدّنا رسول الله (صلعم)(1) يدعوه إلى الإسلام، من أنّه أنِف من ذلك واستكبر ومزّق كتابَ رسول الله (صلع) فمزّق اللهُ (عج) مُلكَه وسلبه إيّاه فلم تَقُم لهم قائمة؟ وأنّ مَلِك الروم لمّا أتاه كتاب رسول الله (صلع) قبِله وأجابه عنه، فلم ينزِلْ به ما نَزل بغيره. وهذا ممّا قدّمتُ لك ذكرَه عمّن تعلّق بشيء من الحقّ وأصغى إليه أنّه ينتفع بذلك، وأنّ مَنْ قاطع اللّهَ وأولياءه أوشك أن ينتقِم الله منه.

264 والحمد لله مؤيّد عزّ وليّه/ وجاعلِ الهيبة والرّعب في قلوب عبادِه(2).

(1) ص في ب. وهذه أول مرة تكتب التصلية بهذه الصورة، أي بإضافة م السلام.
(2) ب: تمّ الجزء السابع عشر بحمده ومنته وصلّى الله على رسوله وعلى آله الطيبين الطاهرين.

الجزء الثامن عشر

[بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ]

حديث جرى في مجلس في الردّ على بعض المتكلّمين:

ضلّ المعتزلة لأنّهم لم يسألوا الأئمّة

195 ــ قال القاضي النعمان بن محمد: جلست بين يدي الإمام المعزّ لدينِ الله (ص) يوماً فذكرتُ له كلاماً لبعض المعتزلة في قول الله (عج): «فَأَمَّا الذين فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الفِتْنَةِ، وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ، الآية»[1]، واضطرابَ قولِ المعتزليّ في ذلك وسوء توجيهه له.

فقال (ص): من اتِّباع هذا القائلِ وأمثالِه المتشابهَ، اتّباعُهم من شبّهوه بأولياء الله الذين أمرهم/ تبارك اسمه بردّ ما اشتبه عليهم إليهم وبِسُؤالهم عمّا لا 265
يعلمونه من أمر دينهم، فلم يفعَلوا ما أمرهم الله (عج) * به وسألوا من لم *ب62و
يأمُرْهم بسؤالهم، فتخوّنوا وتهوّكوا[2] وضلّوا وهلكوا. ولو سألوا الراسخينَ في العلم الذين أمرَهُمُ الله بسؤالهم وأخبرهم أنّ عندَهم تأويلَ الكتاب، لعلِموا مِن عندِهم وجه الصواب، ولكنّهم أرادوا أن يكونوا أئمّةَ أنفسِهم وأن يستطيلوا على الأئمّة برئاسَتِهم فتأوّلوا كتابَ الله برأيهم وقالوا في قوله بأهوائهم، فأوجبوا وعيدَه لمن وعده بالثواب ووَعْدَه لمن تواعَده بالعقاب، فأضلّوا كما قال الله (تع):
﴿وَأَضَلُّوا كَثِيراً عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾/[3] وكأنّهم لم يسمعوا قولَ الله وهو أصدق 266
القائلين: ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إنْ كُنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ﴾[4]، ولا قوله لرسوله: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾[4]. فلا هم عن الرسول أخذُوا

(1) آل عمران، 7.
(2) الهوك: الحيرة والتردد.
(3) المائدة، 78.
(4) النحل، 43 ــ 44.

البيانَ ولا إلى أهل الذكر ردُّوا ما اشتبَهَ عليهم من آي القرآن، بل أمضَوا ذلك على
آرائهم وتأوّلوه بأهوائهم. ولو جاز ذلك لأحد لجاز لرسول الله (ص). فقد أخبر
الله (عج) في كتابه وأمره بإخبارهم بنفي ذلك عن نفسه فقال: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَتَّبِعُ مَا
يُوحَى إِلَيَّ مِنْ رَبِّي﴾[1]، وقال (عج) مخبراً عن رسول الله (صلع): ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا
267 هَوَى مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى﴾ إلى ﴿شَدِيدُ الْقُوَى﴾[2]. فأجازوا من القول/
لأنفسهم ما لا يجوز[3] عندهم لنبيّهم، وما شهد كتاب الله بخلافه لهم، جرأةً على
ربّهم واستخفافاً بدينهم. وذكر الله (عج) المنافقين في كتابه وأمر بجهادهم نبيَّه.
*ب 62 فلو سئل هؤلاء عن المنافقين * مَن هُم فسمَّوْهم بدعواهم عليهم، ونسب أولئك
اسمَ النفاق إليهم وأوجَبُوا أنّهم هُمُ المنافقون بأعيانهم، ما كانت تكون حجّتُهم
عليهم إن لم يرجعوا إلى بيان الرسول وسؤال أهل الذكر كما أمرهم الله (عج)،
وإلاّ فلا حجّة لبعضهم على بعض وكلُّهم مدّعٍ بلا بيان.

اختلاف الناس في الفتيا...

فذكرت عند قول المعزّ (ص) هذا، قول جدّه الصادق جعفر بن
268 محمد (صلع) وقد سأله بعض مواليه/ عن الاختلاف في الفُتيا لمَ كان بين الناس؟
فقال (عم) للسائل: هل بلَغَك أنّهم اختلفوا على عهد رسول الله؟

فقال: لا والله، جعلني الله فداك، ما بلغني ولا سمِعت أنّهم اختلفوا على
عهد رسول الله.

فقال له جعفر: ولمَ لم يختلِفوا حينئذ؟

فقال: لأنّهم كانوا يسألون رسول الله (ص) عمّا جهلوه ويعلّمهم ما لم يعلموه.

... راجع إلى طرح عليّ عن الوصاية

قال: صدقت، وكذلك والله، لو أقاموا من أقام لهم من بعده مقامَه
وسألوه[4]، لما اختلفوا. ولكنّهم نصبوا بعده من[5] لم يأمر الله ولا رسولُه

(1) سورة الأعراف، 203.
(2) النجم، 1 ـ 5. والمقصود بالذات الآيتان 3 و 4: وما ينطق عن الهوى، إن هو إلا وحي يوحى.
(3) ما يجوز.
(4) يعني علي بن أبي طالب وهو وصيّ الرسول (ص).
(5) يعني أبا بكر.

بنَصبِه، فسألوه عمّا جهلوه وتحاكموا إليه فيما اختلفوا فيه، فقصّر عن كثير من ذلك ولم يعلمه وجعل يسأل الناس عنه فاختلفُوا عليه في الجواب فيه، وتطاعموا لذلك الرئاسة فمضَوْا على ردّ الجواب لا يدرُون [أ] أصابوا أم أخطأوا أوجه 269
الصواب، ومضى على ذلك كذلك الثاني والثالث[1]. واختلفوا في أحكام الدين، فاقتدى بهم في ذلك من جاء بعدهم من التابعين ومن لحق بهم من اللاحقين، فكان سبب الاختلاف مع طلب القوم الرئاسةَ لأنفسهم وصرف وجوه الناس إليهم، وقد قال رسول الله (ص) *: من طلب العلم ليباهيَ به العلماء ويماريَ به *ب63و
السفهاءَ وليصرف به وجوهَ الناس إليه، ويقول أنا رئيسُكم، فليتبوّأ مقعَده من النار! إنّ الرئاسة لا تصلح إلاّ لأهلها[2]. فقال عليّ (عم): لو ردّوا الأمرَ إليّ لقضيتُ بين أهل القرآن/ بالقرآن، وبين أهل التوراة بالتوراة، وبين أهل الإنجيل 270
بالإنجيل. وإنّي لأعْلَم ما بين اللوحَيْن. وكان يضرب بيده إلى صدره ويقول: إنَّ ههُنا لعلماً جمّاً ما أصبْتُ له حَمَلَةً. وقال جعفر بن محمد (ص) وقد سئل عن قول الله (عج): ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ﴾ فقال: نحن أهل الذكر، ولو ردُّوا السؤالَ إلينا، لما اختلف منهمُ اثنان. وروى مثل ذلك عن أبيه أبي جعفر محمد بن علي (صلع)، ومثل هذا وما يؤيّده علمهم (صلع) قد جاء من غير طريق.

عليّ كان عالماً بأحكام القرآن والتوراة والإنجيل

وذكرت فيما وصف من أمر المُنافقين قولَ الصحابة: ما كنّا نعرف المنافقين على عهد رسول الله (صلع) إلاّ ببغضهم عليّا/ لأنّ رسول الله (صلع) 271
قال: لا يحبُّك إلاّ مؤمنٌ ولا يُبغضُك إلاّ منافق[3]. فلولا بيان الرسول ودلالتُه لما عرف الناس المنافقين كما قال المعزّ لدين الله (عم).

(1) عمر ثم عثمان.

(2) حديث: من طلب العلم ليباهي به العلماء... ذكره ابن ماجة (ص 93 رقم 253 و 254) والسيوطي في الجامع الصغير (ج 2 ص 115). وورد في الكافي للكليني (ج 1 ص 47 رقم 6).

(3) لا يحبك إلا مؤمن... ذكره الترمذي (ج 13 ص 168). وجاء في نهج البلاغة (ص 372 رقم 42) بهذا اللفظ: يا علي لا يبغضك مؤمن، ولا يحبك منافق.

وفي مثل ذلك:

جدال بين معتزلي وجبري

196 ـ وذكرت له في هذا المجلس قولَ بعض من تسمّى بالعدل من العامّة في الردّ على بعض المُجْبِرة وقد عارض في قول الله (عج) ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾، فقال: إذا كان الله قد هدى المؤمنين، فلمَ أمرَهم أن يسألُوا الهدى؟ فإذا كان قد أنعَمَ عليهم بالهدى فكيفَ يستحقّون
*ب63 الجزاء؟ فقال هذا المتسمّي بالعدل: الذي أمر الله (عج) * عباده المؤمنين أن
272 يسألوه من/ الهدي ألطافٌ منه وزيادات يخصّ بها من يشاء. وقد هداهُم قبل ذلك، كما قال الله (عج): ﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدىً وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ﴾[1]. وأمّا إنعامُه عليهم، فلو أنّ رجلاً وصل رجلاً بصلة فاشترى منها منزلاً وفراشاً وطعاماً ولباساً لنفسه ولأهله، فلمّا صاروا إلى ذلك قالوا: لقد أنعم علينا فلان بنعمة عظيمة، كان ذلك جائزاً في القول إذ كان أصل النعمة منه، وإن كان وليّهم هو الذي فعل ذلك بهم فهو والله أحقّ بها[2].

فقال المعزّ (ص): ما أسوأ هذا من توجيه، وأقبَحه من تشبيه! والله تعالى
273 عن أن يُشَبَّهَ بخَلقه أو تقاسَ أفعالُه بأفعال عبادِه/. ولو نُزّلت هذه النّعَمُ التي شبّهها هذا المشبّهُ بنِعمِ الله (عج) حقَّ تنزيلِها فعلِم ما لعلَّهُ يدخُلُها من النّقص والغَبْن والبَخْس في حين اشترائِها وما يلحَقُها من الآفاتِ والعاهات، وتكون له سبباً من

النعمة الحقيقيّة هي اتّباع الأئمّة

المعاصي الموبقاتِ والجوائحِ في الدنيا، والعقوبات وسوء الحساب في الآخرة، والمصير إلى نار الله الحامية، لعادت نِقَماً ولم تَكُن نِعما. ونِعَمُ الله على عباده لأجلُّ من أن تُحصى، أو يعدَّ ما فيها من الفوائد والخيرات فتستقصى! ولو تدبّر هذا القائلُ قولَه لعَلِم أنّ النِّعْمَةَ التي أنعم الله بها على عباده الذين اصطفاهم وأمر
274 عباده جميعاً بسؤاله هداية صراطه[3]، هي نعمة الدين[4] التي/ لاَ تُوازيها نعمة ولا تُشبهُها مِنّة، إذ بها كمال الدين والدنيا وهي نعمة الآخرة والأولى، وهي نعمة

(1) محمد، 17.
(2) أ: ... بهم والله أحق بها.
ب: ... بهم والله أحق بهذا.
(3) ب: صراطهم.
(4) أ: نعمة الله.

الله على خلقه إذ كانت النعمة باتِّباعِ صراطِهم تُنالُ، وبمعرفتهمْ * والاقتداء بهم *ب64و
تدركُ. ولجهل هذا القائل بنعمة الله هذه شبّهَهَا بحُطام الدنيا وقاسهَا إليه. وجهله 253
بها يوجب عداوتَه إيّاها، فقد قيل: إنّ من جهِل شيئاً عاداه.

فذكرت عند قول المعزّ لدين الله (عم) هذا القول[1]، سؤالَ السائلِ جدَّه جعفر بن محمد (ص) عن قول الله (عج) ﴿ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾[2]، فقال صلوات الله عليه: ما يقول هؤلاء فيها؟ يعني العامّة.

فقال: أنت أعلم بقولهم جُعلتُ فداك.

قال له: على ذلك/ ، ما عندك من قولهم؟ 275

قال: يقولون: النّعيم ههُنا الشربةُ الباردةُ في اليوم الحارّ.

فقال: والله[3] لئن سُئِلوا عن هذا ليطولَنّ سؤالُهم. بل نحن والله النعيمُ الذي أنعم به عليهم، وعنّا يُسألون فيما عرفوه من حقّنا وافتُرِضَ عليهم من طاعتنا.

فذكـرت هذا الحديث للمعزّ (صلع)، وأنّ العامّة تَرْويه، فقال: هو صحيح نعيم الجنة ثواب
وهو كما قال الصادق جعفر بن محمد جدُّنا (ص)[4]. والسؤال الذي أمِروا أن لمن عرف الأئمّة
يسألوه هو سؤال الجزاء على معرفة أوليائه أيضاً، فذلك هو الجزاء الأوفى والحظّ الأسنى.

وفي مثل ذلك:

197 ـــ وسألته (صع) في هذا المجلس عن قول الله (عج): ﴿الم، ذَلِكَ
الكتاب لاَ رَيْبَ فِيهِ/ هُدىً لِلْمُتَّقِينَ﴾[5]، وذكرتُ له قولَ بعض من احتجَّ على 276
المُجبِرة من العامّة في قولهم: إذا كان القرآنُ إنّما هو هُدىً للمتّقين، فما على

(1) ب: هذا القائل.
(2) التكاثر، 8.
(3) ب: سقط: والله.
(4) ب: سقط: جدنا.
(5) البقرة، 1.

غيرهم من الحُجَّةِ إذا لم يكن هدى لهم؟ فقال هذا المحتجُّ: القرآن هدى للمتّقين وغير المتّقين، ولم يقلِ الله (عج) إنّه ليس هدىً لغير المتّقين[1]، وقال: ونظير هذا في قول الله (عج): ﴿إِنَّمَا تُنْذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ﴾[2]، وقد جعله الله نَذيراً لِلْعالَمين.

* ب 64 فقال المعزّ لدين الله (ص): من ههُنا * تاه القومُ فضلّوا وهلَكوا. وسكت ساعة، وصوّب رأسه، ثمّ نظر في المجلس يميناً وشمالاً فلم ير أحداً يُكرَه الكلامُ

277 بحضرته. قال: إنّ الكلام إنَّمَا[3] يبنى على أصوله. ثمّ ابتدأ/ بتفسير ﴿آلم ذَٰلِكَ الكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيهِ﴾ وشرح ذلك من الباطن بما يُعجزُ القائلينَ ويبهَرُ السامعين،

المعزّ يفسّر سورة البقرة

ثمّ ذكر المتّقينَ بصفاتهم ومن هم، وذكر الذينَ يؤمنون بالغيب ويُقيمونَ الصلاة والذين يُنفِقُونَ ممّا رزقهم ومَن هُم، وشرح ذلك شيئاً شيئاً شرحاً شفى به القلوبَ وأزال الشّكّ وأذهب الحيرةَ. ثمّ قال: والذين لا يؤمنون فهم كما وصفهم الله (عج): ﴿فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمىً﴾[4]، فمن بصّره الله الهدى وقوّاه عليه وأمره ونهاه فاهتدى بهداه وقبِل عنه أمرَه وانتهَى بنَهْيه وحافظ على حُدوده، زاده الله (عج) من الهدى كما قال وآتاه التقوى، ومن لم يُقبِل على الهدى

278 وعصى/ الله فيمَا أَمَرَهُ به وارتكب ما نُهِيَ عنه، ففي أُذُنَيْه وقر، وهو كما قال الله (تع)، عليه عمى.

ثمّ قال: وهذا الهدى للمتّقين هو من لطائف الله ومِنّتِه وإحسانِه التي ذكرها هذ القائل أوّلا في أمّ الكتاب[5]، ونسي ذلك فخالفه في هذا الباب.

تعريف الإمام عليّ للإيمان والإسلام

فذكرت عند قول المعزّ (عم) قول جدّه عليّ أمير المؤمنين (عم) وقد سأله سائل عن الإيمان والإسلام، ما كلُّ واحد منهُما؟ فقال: الإسلامُ الإقرارُ، والإيمان الإقرارُ والمعرفة، فمن عرّفه الله نفسه ونبيّه وإمامه فأقرَّ بذلك، فهو مؤمنٌ.

(1) ب: سقط: لغير المتقين.
(2) يس، 11.
(3) أ: سقطت: إنما.
(4) فصلت، 44.
(5) سورة الفاتحة. وقد مرّ السؤال عن ﴿اهدنا الصراط المستقيم﴾... ص 346.

قال له السائل: فالمعرفةُ من العبدِ والإقرارُ منه؟

قال: المعرفةُ من الله حجّة ومِنّة ونعمة، والإقرارُ مَنٌّ من الله يمُنّ به على/ من يشاء من * عباده، والمعرفةُ أيضاً صنع الله في القلب، والإقرارُ فعلُ القلب. 279 *ب 65 و
كلّ ذلك مَنٌّ من الله ورحمةٌ. فمن لم يجعلْه الله عارفاً فلا حجّةَ عليه، وعليه أن يقف عمّا لا يعلَمُ، ولا يُعذّبُه الله على جهله ويثيبه على عمله بالطاعة، ويعذّبه على عملِه بالمعصية، ولا يكون شيء من ذلك إلاّ بمنّ الله وفضلِه وقضائِه وقدرِهِ وعلمه وكتابه بغيرِ جَبْر، لأنّهم لو كانوا مَجْبُورين لكانوا معذورين وغيرَ محجوجين[1]. ومن جهِل فعليه أن يَرُدَّ إلينا ما أشكل عليه لأنّ الله تبارك وتعالى يقول: ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ﴾[2].

قال له السائل: فما أدْنَى ما يكُونُ به العبد/ مؤمناً، وأدنى ما يكونُ به كافراً 280
وأدنى ما يكون به ضالاًّ؟

قال: أدنى ما يكون به مؤمناً، أن يُعرّفَه اللّهُ نَفسَه فيُقِرَّ له بالإلاهيّة، ويعرّفه نَبِيَّهُ فيُقِرَّ له بالنّبُوّة ويعرّفه حُجَّته في أرضه وشاهدَه على خلقه فيعتقِدَ إمامتَه. مراتب الإيمان والكفر والضلالة

قال له السائل: وإن جهل غير ذلك[3]؟

قال: نعم، ولكن إذا أُمِر فليُطِع وإذا نُهِيَ فَلْيَنْتَهِ.

وأدنى ما يكون به مشركاً أن يتديّن بشيء ممّا نهى الله عنه، فيزعم أنّ الله أمر بذلك ويعبد من أمر به، وهو[4] غيرُ الله.

وأدنى ما يكون به ضالاً أن لا يعرف حجّةَ الله في أرضه وشاهدَه على خلقه فيأتمَّ[5] به. /

(1) أ: مجهودين. ب: محمودين.
(2) النحل، 43.
(3) المعنى: حتى وإن جهل غيرَ هٰذه الأمور الثلاثة؟
(4) ب: سقطت: هو.
(5) ب: فيأتمر به.

وفي مثل ذلك:

198 ـ (قال) وذكرت له (صلع) قولهم في قول الله (عج): ﴿خَتَمَ اللَّهُ عَلَى
281 قُلُوبِهِمْ/ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ﴾ وأنَّ الختم ههنا الإخبارُ عنهم أنّهم لا يؤمنون[1]، لا على أنّه حالَ بينهم وبين الإيمان.

*ب 65 فقال: ما هذا الهروب إلى هذا التَّعَقُّدِ * من القول؟ أليس قد أخبر أنّهم كفَروا قبلَ هذا، فقال: ﴿إنَّ الذينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ﴾ وإنّما كان كفرُهم بعد الإنذار والدعاءِ[2] إلى الإيمان فأبَوْا منه وكفروا؟ فاستغطاؤُه هذا أن يحول بينهم بعد هذا وبين الإيمان، هل يدفع أنّه يُميتُهم، والموتُ حائلٌ بينهم وبين الإيمان إذا كانوا قد أصرُّوا على الكفر، فلا يكون في ذلك لهم حجّةٌ عليه، بل له الحجّة البالغة.

النعمان يستفسر المعزّ في معنى الغشاوة على القلوب

282 ثمّ قال (صلع): أليس قد قال الله (عج): «كلاَّ بَلْ رَانَ/ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾[3] وقال: ﴿وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ﴾؟ وكلاهما سِترٌ ولكنّ الغشاوةَ أخفُّ وأرقُّ، والرَّيْنُ أغلظُ، فجعل ذلك على القلب لأنَّ البَصَرَ بـه يُبصر وقد يرى البصر كثيراً ما يراه فلا يُثبت إلاَّ ما صرف الناظر قلبَه إليه، قال الله (عج): ﴿وتَرَاهُمْ يَنْظُرُون إلَيْكَ وَهُمْ لا يُبْصِرُونَ﴾[4]، وقال: ﴿فَإِنَّهَا لاَ تَعْمَى الأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى القُلُوبُ التِي فِي الصُّدُورِ﴾[5]. وذكر مثلَ القلوب ومثلَ الأبصار من الباطن فأوضح المعنى في ذلك وبيّنه ودلّ به على ظاهر القول فيه.

مجلس في أمر أمضاه (صلع):

199 ـ (قال) وكان رجل معروف بالأذَى للناس والسعاية بالباطل بهم
283 ووَسْمِهم بالمثالب/ والمعايب قد أغْرَقَ فـي ذلك وأكثر فيه، وفشا شرُّه وأذاه،

(1) ب: سقط: أنهم لا يؤمنون. والآية من سورة البقرة، وكذلك التي تليها بعد حين (6 ـ 7).
(2) الدعاء في معنى الدعوة، وهو كثير في الكتاب.
(3) المطففون، 14.
(4) الأعراف، 198.
(5) الحج، 46.

واتّصل ذلك بالمعزّ (ص) وتقرّر عنده مرّة بعد مرّة وكلّ ذلك يُغضي عنه ويَتَثَبَّتُ
في أمره إلى أن واجهه بذلك ورفعه إليه وتبيَّنَ له من أمره ما لم يجد بُدًّا * من *ب66و
عقوبته عليه، فأمر به فعوقب عقوبةَ مثلِه.

ثمّ أجرى ذكره بعد ذلك (ص) فقال: إنّا لنغضي ونصبر ونعفو ونتغافل
ونستر ما أمكَنَ الصبرُ والعفو والسَّتر، وننتظِر[1] بذلك ونَتَثَبَّتُ فيه لئَلاَّ يكونَ منّا تــأنّي المعــز في
أمر فـيتبيّن لنا بعدَه خلافُ ما أوجبَه، فنندَمَ عليه. ونحن نقدر على أن نعاقبَه الحكم...
بالقتل فما دونه، فإن تبيّنَ لنا بَعْدَ ذلك براءةُ من قتلنَاه، لم نستطع/ أن نُحيِيَه، لأنّ 284
ذلك شيء إنّما تفرّد اللّهُ جلّ اسمُه به وحدَه. فلذلك نؤثر الأناةَ فيما يُرفع إلينا،
262 والتثبُّتَ فيما تقرّر لدينا، فإذا تبيّن ما لا شكّ فيه ووضُحَ عندنا ما لا خفاءَ به
وَوَجَبَ علينا تنفيذُ الحقّ، أنفَذْنَاه في مَن[2] كان، بعد أن نأمَن إن شاء الله النّدَم أسـوة بـالمولى
على ذلك، ولا يأتِينا ما يُوجِبُ خلافَ ما فعلناه فنَنْدَمَ عليه ونخاف تِباعتَه. وما (عج) الذي يُملي
نتأسّى في ذلك إلاّ بالله ربِّنَا وخالِقِنَا الذي خوَّلنَا وأعطانَا ومكّننا وفضّلنا، فإنّه ويُمهل
عزّوجلّ يُمْهِل للمذنبين ويبسُط للظالمين وهو العالِم بما يعمَلُون، وَيُبْدُون
ويكتُمُون، وهو قادر على الانتقام منهم، وغيرُ متوقّع [منه] مَا يتوقّعُه/ المخلوقون 285
من المظالم فيما بينهم، وهو مع ذلك يُملِي لمن عصاه ويُمهِل من تعدّى أمرَه إلى
أن يحِقَّ الحقُّ عليه ويُجَازِيَهُ بما هو (عج) مُجَازِيه. فإذا كان هذا فِعْلَ الإلاه
263 القادرِ، والربِّ العليم، فكيف بالمخلوقِ/ الضَّعيفِ الدنِيِّ وهو دونَ الدونِ؟
وأستعبر (ص).

فقبّلت، أنا ومَن حضر، الأرض بين يديه وقلنا: الحمدُ لله الذي منَّ علينا
بفضل وليّه وسَترِه وتثبّته في أمره وجعلَنا من أهل زمانه * وعصرِه وأتمَّ علينا *ب66
النعمة به.

رؤيا رآها المعزّ (ص):

200 ــ (قال): وذكر (ص) أحمد بن بكر المتغلّب بإحدى مدينتَي فاس[3] المعزّ يرى في منامِهِ أسرَ أمير فاس...

---

(1) أ و ب: نستظهر.
(2) ب: فيما.
(3) أحمد بن بكر بن سهل الجذامي، أمير فاس للناصر الأموي، أسر مرة أولى سنة 322 في=

وما كان منه قديماً من ذلك إلى أن أمكنَ الله (عج) القائمَ بأمر الله (ص) منه وأُتِيَ به أسيراً إليه فأمَرَ باعتقاله فاعتُقِل باقيَ مدّة القائم (ص)، ثمّ منّ عليه
286 المنصور / (عم) وأطلق سبيله فعاد إلى تغلّبه وفسقه، وخلع طاعة الأئمّة من عُنُقه ودعا إلى الفسقة بني أميّة، وأظهر اللَعْنَ على مِنبَره على الأئمة[1] لعنَهُ اللّهُ وأخزاه، وخرجت عساكر المعزّ (ص) إلى الصُّقع الذي هو به فأجاب كلّ من فيه وأناب إلى الطاعات، سواه[2]، فإنّه أصرّ وتمادى على غيّه وأحاطت العساكرُ المؤيَّدَةُ وجنودُ الله ووليِّه به.

= مستهل مدة القائم الفاطمي، أسره ميسور الفتى وبعث به إلى إفريقية. وكان أميراً على عدوة القرويين من مدينة فاس، حسب ما يقوله ابن حيان في المقتبس (الجزء الخامس ص 348) وهو الذي يروي خبره مع ميسور في رسالة بعث بها موسى بن أبي العافية، وهو «وليُّه القائم بدعوته» إلى عبد الرحمان الناصر:

«. . . وأما ما أراده سيدي أمير المؤمنين ـ أبقاه الله ـ إنهاءه إليه مما نحن فيه مع المشارقة، أهلكهم الله، فإن اللعين أبا القاســم طاغوتهم (القائم) بعث إلينا غلامه ميسور الخصي وعفريته ابن أبي شحمة الكتامي، وغيرهما من قواده في كثف من شياطينه داعياً لمن حولنا من القبائل إلى الدخول في طاعته. وأعطوهم فحلوا في البلاد، وبثّوا دعاتهم، فتوقف الناس عنهم، ولاذ البرابرة منهم بأوعارهم ومعاقلهم، فلما يئسوا منهم كاتبوا أهل مدينة (فاس) ولطفوا بهم ودعوهم إلى الدخول في طاعتهم وأعطوهم العهود المغلظة والأيْمان المؤكدة على تأمينهم وتقديمهم. فاغتر بهم أميراهم: محمد بن ثعلبة صاحب مدينة الأندلسيين، وأحمد بن بكر صاحب مدينة القرويين، وقدما عليهم مع وجوه من رجالهما. فلمّا صاروا بين يدي الخصي غدر بهم، فأخذهم وأخذ جميع من كان معهم من دواب وأسلحة. فلما رأى أهل فاس ما فعله من ذلك توقفوا عنه وامتنعوا من إدخاله. فتكب عنهم وصار إلينا. . .».

وبقي أحمد بن بكر أسيراً إلى سنة 341، فسرحه المنصور إلى المغرب، فعاد إلى ولاء الأمويين حتى أسره جوهر في حملته الكبرى سنة 348 فجعله في قفص وأرسله إلى المنصورية صحبة أمير سجلماسة في قفص آخر. ويقول الناصري (استقصاء ج 1/189 و199) إنهما ماتا في الأسر.

هذا، وفي اسم هذا الأمير اختلاف. فبعضهم يقول: أحمد بن بكر كابن حيان في النص السابق، والبكري (المغرب، 124 و 128). ويدعوه ابن أبي زرع (الأنيس المطرب/ 56 و 60) أحمد بن أبي بكر. وفي المجالس يأتي على الوجهين فآثرنا رواية ابن حيان والبكري.

(1) ب: سقط: عن عنقه. . . الأئمة.

(2) سواه: إلا هو.

قال المعزّ (ص) يوماً وقد ذكره وهو في هذه الحال: لقد رأيتُ البارحةَ عدوَّ الله وكأنّي أتيتُ به فأمرت بقتله، فجعل يسترحِمُنِي، فقلت: والله لو وجدتُك تحتَ أستار الكعبة لما أفْلَتُّك ولَقَتَلْتُك! فجعل يراجعُني كالمحتجّ عليّ في قولي/ 287
هذا ويقول: وما يوجب قتلي تحت أستارِ الكعبة؟ فقلتُ: أقلُّ ما يوجبُ مراجعتُك إيّايَ هذه، فأسمع قائلاً يقول من خَلْفي ولم أره: أحسنتَ والله، أصبت أصاب الله بك المراشدَ! والله مراجعتُه إيّاك توجبُ قتلَه لعنهُ الله! فألتفِتُ فإذا الذي يقول ذلك المنصورُ بالله (ص).

فلم يكن بين هذا اليوم الذي حدّثنا بهذا الحديث فيه وبين اليوم الذي فتحَ الله فيه فاس عليه، وأقدره على اللعين ابن بكر وأخذه أسيراً إلاّ أقلُّ من عشَرة أيّام[1].

كلام في ذكر الحكمة:

201 ـ (قال) ولمّا فتح المعزُّ لدين الله (ص) للمؤمنين بابَ رحمته وأقبل عليهم[2] بوجهِ فضلِه ونِعمتِه، أخرج إليّ كتُباً من علم الباطن وأمرَني أن أقرأها *ب 67 و
عليهم * في كلّ يوم جمعة في مجلسٍ/ بِقصره المعمور بطول بقائِه. فكثُر ازدحامُ 288
الناس وغصَّ بهمُ المكان وخرج احتفالهم عن حَدّ السماع وملأوا المجلسَ الذي أمر باْجتِماعِهم فيه، وطائفةٌ من رَحبة القصر، وصاروا إلى حيث لا ينتهي الصوتُ إلى آخرهم. وقيل له في ذلك (ص) ووُصف له أنّ فيهم ممّن قد شمَلَتْه الدعوة أهلَ تخلّف ومَن لا يكاد أن يفهم القولَ، وأنّ مثل هؤلاءِ لو مُيِّزُوا وجُعل لهم مجلس يُقرأ عليهم فيه ما يَحتمِلون ويفهمُون، لكان أنفعَ لهم. (النعمان يقرأ الحكمة على الناس...)

فهمّ بذلك (صلع)، فعظم الأمر على أهل هذه الطبقة ورأوا أنّه إنّما قصّر بهم من أجل تخلّفِهم في حالهم. وجرى ذكر ذلك بين يديه وأنا حاضر وقد دعا بالحجّام/ ليأخذ من شَعْره[3] فدخل، وقمت وتَنَحَّى من كان بين يديه فدعاني 289

(1) عيون الأخبار، 610.
(2) في العيون، 556: وأقبل على أوليائه.
(3) الحجام هنا بالمعنى الاصطلاحي في إفريقية: الحلاق.

ووقف الحجّامُ على رأسه، فقال لي: لقد مرّ بي البارحةَ في أمرِ هؤلاء ما منَع من إبعادِهم من كتاب الله، وذلك ما ذكره (عج) في سورة هود، فانظر ما هنالك.

.. فيكتظّ القصر بالسامعين...

فلم يتهيّأ لي، لما كان عليه[1]، أن أستفهمه عن ذلك ولا كيف مرّ به ذلك: أمِن قراءةٍ قرأها أم في رُؤيَا رآها؟ غير أنّي قلت: أنظرُه يا مولاي.

/ فانصرفت ونظرت في سورة هود فوجدت في قصّة نوحٍ قوله: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحاً إِلَى قَوْمِهِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ * أَنْ لاَ تَعْبُدُوا إِلاَّ اللهَ، إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ
290 يَوْمٍ أَلِيمٍ * فَقَالَ المَلأُ الذِينَ كَفَرُوا/ مِنْ قَوْمِهِ: مَا نَرَاكَ إِلاَّ بَشَراً مِثْلَنَا وما نَرَاكَ
*ب 67 اتَّبَعَكَ إِلاَّ الذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ الرَّأْيِ وَمَا نَرَى لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ
كَاذِبِينَ * قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَآتَانِي رَحْمَةً مِنْ عِنْدِهِ فَعُمِّيَتْ
عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنْتُمْ لَهَا كَارِهُونَ؟ * وَيَا قَوْمِ لاَ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَالاً إِنْ أَجْرِيَ إِلاَّ
عَلَى اللهِ وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّهُمْ مُلاَقُو رَبِّهِمْ وَلَكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْماً تَجْهَلُونَ * وَيَا
قَوْمِ مَنْ يَنْصُرُنِي مِنَ اللهِ إِنْ طَرَدْتُهُم أَفَلاَ تَذَكَّرُونَ؟ * وَلاَ أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ
اللَّهِ وَلاَ أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلاَ أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ وَلاَ أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِي أَعْيُنُكُمْ لَنْ يُؤْتِيَهُمُ
291 اللَّهُ/ خَيْراً، اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنْفُسِهِمْ إِنِّي إِذاً لَمِنَ الظَّالِمِينَ﴾[2].

... فيأمُرُ المعزّ بتبليغ الحكمة إلى كافتهم

فعلمت [من] هذه الآيات [أنّه] أراد[3] وأمر ـ أدام الله عُلُوَّ أمره ـ بإسباغ رحمته على كافّة المؤمنين، وأوْسَعَهُم منها جَمّا من عطائه وجزيلاً من نعمائه، وإنْ كان ذلك لا يستقرُّ إلاّ في قراره ولا يعيه إلاّ أهلُه ولا يأخذ كلُّ أمرىء إلاّ قسطَه بحسَبِ ما فيه من القوّة وما يتّصل به من المادّة، كما أنّ ضوءَ النهار قد يتّصل بالأبصار وإنّما يقبل منه كلُّ بصَرٍ بقدر صِحّته وقوّته، والذي لا صحّة له ولا قوّة فيه منها لا يتّصلُ به شيءٌ من ذلك الضّوءِ، كما أنَّ آنيةً لو وضعت تحتَ سماء
292 ممطرةٍ لم يستقرَّ الماء إلاّ فيما كان منها أجوفَ، وما كان مسطّحاً ومكبوباً/ على
رأسِه أو ملقىً على جانبه لم يدخُلْ فيه شيء من ذلك الماء، وما استوى على اعتداله منها وكان ذا جَوْفٍ أخذ من الماء بقدر سَعَتِه واحتماله وصِغَرِه وكبره.

(1) في الأصل: عليه لي، وتأخير المتعلّق كثير في هذا الكتاب.
(2) هود، 25 ـ 31.
(3) في النسختين: فعلمت أن هذه الآيات أراد (صلع)...

تفاوت الناس في فهم الحكمة...

وكذلك هذا الأمر. وقد قيل إنّ بعض الأئمّة أطلق لبعض المؤمنين قولاً من الباطن وبحضرته بعض غِلمانه، فظنّ بعض من حضره أنّه لم يره فنبّه عليه وأشار له إليه، فقال: قد رأيتُه، وليتكم أنتم تفهَمُون ما أقول[1] * وقد أخبر الله (تع) *ب 68و بمثل ذلك عن قوم سمِعوا من رسول الله (صلع) ما لم يفهموه ولا وَعَوْه فقال: ﴿وَمِنْهُمْ من يستَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّى إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مَاذَا قَالَ آنِفاً؟﴾[2] فأخبر الله (عج) أنّهم شهِدُوا وسَمِعُوا ما سمع أولُو/ الْعِلم فلم 293
يعرفوه ولم يعرفُوا ما قَالَهُ رسولُ الله (صلع)، فأخبر عن رسول الله (صلع) أنّه قد جَمَع مثل هَؤلاءِ فيما أسمَعَهُم مع ذوي الْعلم. وقد شاهدنا مثل هذا ورأينَا كثيراً من قوم يسمَعُون ولا يعلمون ما سمِعُوه ولا تعلَّقَ شيءٌ منه بقلوبهم، وقوم سمعوا ذلك معهم ووعَوْه وعلموه وانْتفعوا به، وأولياءُ الله أعلمُ بما يفعلون وبمن يخصُّون ومن يَجْمَعُون وعلى أيّ شيء يُجمَعون ويُفَرّقون، كلّ شيء عندهم من ذلك بمقدار ووزن وعلى منهاج وسَنَنٍ.

لا يجول دون تبليغها إليهم

كلام جرى في مجلس بكّتَ فيه أهلَ سجلماسة[3]:

أمر ابن واسول أمير سجلماسة وانتقاض أهلها على واليهم...

294 202 ـ (قال)/: ولمّا تمادى أمر اللعين ابن واسول وارتكب ما ارتكبه وتعاطى ما تعاطاه من التغلُّب بسجلماسة وخلع طاعة الأئمّة وتسمّى بالإمام أمير المؤمنين الشاكـر لله، وهو الكافر بالله (عج) لِعَظِيم ما ارتكبه من نهيه، رأى المعزّ لدينَ الله (صلع) جهادَه لعظيم جُرمه وأنّه لا يَسَعُه تركُه لِمَا تَعَدَّى إليهِ وتعاطاه. فأنهضَ إليه عسكراً فأمكنه الله (عج) من رحمته من غير يدٍ لأحدٍ من الخلق عليه فيه: وذلك أنَّ قائد ذلك العسكر تقدّم إلى أهل سجلماسة من قبل أن يحلّ بهم بِمُدَّةٍ بكُتُبٍ منه في القبض عليه، وأنّهم إن فعلوا ذلك * أمَّنهُم وأحسَنَ إليهم وعفا *ب 68
عن ذنوبهم التي/ اقترفوها بطاعته على ما ارتكَبَه من عظيم جرمه وإلقائهم بأيدِيهِم 295
إليه. فلم يفعَلُوا. ولمّا قربت العساكر المنصورةُ منه خرج من المدينة هارباً

---

(1) عند إدريس، 558: وليتكم أنكم تفقهون.

(2) محمد، 16.

(3) نشر هذا النص الطويل في ملحقات كتاب «المعزّ لدين الله» إبراهيم حسن وطه أحمد شرف. (الملحق الخامس).

بنفسه، فلقِيَه نفَر من أهل المدينة فأخذوه وأتَوْا بـه القائدَ. فعاتب القائد[1] أهلَ سجلماسة في تركه، ثمّ رأى الصفح عنهم وولّى عليهم والياً منهم وانصرفَ.

... ومبايعتهم منتصر ابن المعتز مكانه... فوثبوا على ذلك الوالي فقَتَلُوه وأقاموا مقامَه منتصِر بنَ محمد ابن المعتزّ[2] وكان أبوه وجدُّه قد وَلِيَا البلد باستعمال أمير المؤمنين، وكانا من أهل الوَلاية.

وكان ابن واسول هذا الفاسقُ المتغلّب لمّا تغلّب على البلد اعتقل منتصِراً
296 هذا وهو غلام حدَثٌ فأقام معتَقَلا عنده مدّة/ . فقدّمه أهلُ البلد لمّا قتلوا العامِل الذي استعملَه عليهم القائد، ونسبوا إليه من القبيح ما زعموا أنّه أوجَب قتله، وذكروا أنّ الغوغاء والعامّةَ قتلُوه، وذهبوا في تقديمهم هذا الذي قدّموه إلى/ ما هو عليه من الوَلاية والمحبّة، وقيل إنّه سعى في قتله في ذلك وأرسل رسولاً من
... واستقدام المعز للمنتصر وأصحابه فَوْره، وأرسل أهلُ البلد وكتبوا إلى أميرِ المؤمنين المعزّ لدين الله (صلع) يذكرون ذلك ويعتذرون منه ويصفُون حالَهم. فصرف رسولَهم بأنّه غيرُ قَابِلٍ ذلك من عذرهم وأنّهم لا أمَانَ لهم عنده إلى أن يأتيَ وجوهُهم ـ وسمّاهم ـ ويأتيَ منتصِرٌ
297 هذا إليه مُحَكِّمِينَ في أنفسهم، فحينئذ يرى رأيَـه/ فيهم.

*ب 69 و وانصرف الرسول بذلك إليهم فما كان إلاّ مقدار * مسافة وُصُولِهِ إليهم وانصرافه حتّى أتى منتصر هذا الذي قدّموه ومائتا رجل من وجوههم، وهم[3] الذين سمّاهم أميرُ المؤمنين، قد ركبوا طُرق الرّمال والفلَوات خوفاً من أن يصل إليهم أحد دون الباب، حتّى حلُّوا به، فأدخلَهُم أميرُ المؤمنين (صلع). فلمّا مثلوا بين يَدَيهِ وقَبَّلُوا الأرْضَ وَوَقَفُوا نظر إليهم نِظرةَ مُغْضَبٍ وأطرق ساعة فامتقَعَتْ ألوانهُم وارتعدت فرائصهم ولم يستطع أحد منهم أن ينطِقَ بحرف لمَا داخلَهم من الخوف. فرفع رأسه فقال:

---

(1) هو جوهر، والغريب أن النعمان لا يذكر اسمه.

(2) المنتصر: تولى سجلماسة بعد أبيه سنة 321 وعمره ثلاثَ عشرة سنة، فكانت جَدَّتُه تدبر أمره، إلى أن ثار عليه ابن عمه محمد بن الفتح (ابن واسول) سنة 332 هـ (انظر البكري، المغرب، 151، وابن الخطيب، أعمال الأعلام، 73 وابن خلدون ج 6 ص 270، والناصري، الاستقصاء ج 1 ص 126).

هذا وإن ترتيب أسماء آبائه مضطرب في هذه المراجع، وهي لم تذكر رجوعه إلى إمارة سجلماسة بعد أسر ابن واسول سنة 348.

(3) وهم: زيادة من ب.

يا أهلَ سجلماسة، فعلتم ما فعلتم في أيّام المهديّ بالله (صلع) واقتدر/ 298
عليكم مرّة بعد أخرى فعفا عنكم وأحسن إليكم لحلوله الذي كان فيكم[1]
ومجاورته إيّاكم مدّةَ إقامته فيكم، كما يرعاه من أحلّه الله محلّه من كرم الطباع تقريع المعزّ لأهل سجلماسة...
وحُسن الصنيع، من غير يدٍ كانت لكم عنده ولا فعل من الجميل تقدّم لكم إليه،
فصفح وأحسن وعفا وأجملَ، فما رَعَيْتُم ذلك حقَّ رِعايته ولا قُمْتُم بشُكرِه. ثمّ
نعق فيكم ناعقٌ من الشيطان فلبّيتُمُوه ودعاكم إليه داع فأجبتُمُوه. قام فيكم دعيّ
فيما ادّعاه متوثّبٌ على ما تولاّه قد عرفتم نسبه ودريْتُم سببه فتَغَلَّبَ على ولاة[2]
أمركم وتحلّى بالرياءِ والتصنّع لكم وتسمّى بأمير المؤمنين وإمامِ المسلمين لكم،
وأنتم على علم لا تشكّون، ويقين/ لا تمترون، أنّ ذلك لا يجوزُ له ولا يحِلّ 299
تسليمه لمثله، فسلّمتموه له وأطعتموه وتولّيتُموه واتَّبعْتُموهُ ففارقتم جماعةَ
المسلمين وخرجتُم من حزب المؤمنين وأحدثتُم حدثاً عظيماً في الدين، وانتهى
إلينا من أمركم * وأمرِه ما لم يَسَعْنا تركُه والغفلةُ عنه لما افترضه الله علينا، عَزّا *ب69
اسمُه، من القيام بحقّه في أرضه وجهادِ مَن صدف عـن دينه وغيّر سنّة رسوله
وحلّ محلّكم ومَحَلّ هذا الفاسق فيكم. فأنهضْنا إليكم جيشاً من أوليائنا وأنصار
دولتنا وعبيدنا مع عبد أمّرناه عليهم وتقدّمنا إليه في الإعذار والإنذار إليكم في
الإنابة والتّوبة قبل الوقوع بكم. فلم يزَل مع طيّ/ المراحل نحوَكم يتابع الكتُبَ 300
إليكم مع رسله تأكيداً في الحُجّة عليكم مرّة بالوعد ومرة بالوعيد، وتارة باللين
وتارة بالتشديد، يدعوكم إلى الطاعة والنزوع عمّا أنتم عليه من المعصية
والضلال، والقبضِ على عدوّ الله فيكم إن تمادى على ما هو عليه من الغيّ ... بسبب عصيانهم للأئمة...
والضّلال إن استطعتموهُ أو البراءةِ منه وتركِه بجانب إن لم تقدِروا عليه. ووصلَت
كتبُه إليكم وأدّى/ إليكم عنه من اجتاز به منكم كُلَّ ذلك، [و] أنتم على باطلكم
مُصرّون، وبالفاسق المضلّ لكم متمسّكون، إلى أن حلّت جيوشُنا بقربكم
وانتشرت عساكرُنا ببلدِكُم وعاين من عايَنَها من عيون عدوّ الله من جمعِها/ وعتادها 301
وقوّتها ما أنهاه إليه، وقد علم أنّه لا طاقةَ لكم ولا له بعسكر من عساكِرِها.

---

(1) نعلم أن المهدي نزل أول ما دخل المغرب بسجلماسة.
(2) أ: على ظاهر أمركم.

فلمّا حلّت بعَقوَتِكُم ونزلت بداركم وأنتم مع الفاسق على ما أنتم عليه، نهض مولّياً عنكم وهارباً متسلِّلاً من بين أظهركم. وقد كنتم تقدرُون على أخذه لو أردتُّموه ويمكنكم من ذلك ومن حصاره في داره متى أحببتموه لو أخذْتُم بحظّكم
في ذلك ففعلتموه *. لكنكم أقمتُم مصرّين على طاعته وتولّيه إلى أن نزع عنكم *ب70و
وأقدَرَنَا الله (عج) بفضله وإحسانه عليه، كعادته الجميلة، بلا صُنع لكم ولا لغَيْركم في ذلك، وأقدرنا عليكم وأمكنَنَا منكم وأنتم على ما أنتم عليه من غيّكم
302 وضلالكم/ وما تستوجبون به اجتياحَكم ودَماركم، فسار عبدُنا فيكم بما أمَرناه به من العفو والصفح والمرحمة، وانصرف عنكم فأحدثتُم بعده ما أحدثتُم. فماذا تستحقّون أن يُفعَل بكم؟

يكلّمهم بهذا الكلام (صلع) كلامَ مغضب. فاصفرّت ألوانهم وتغيّرت وجوهُهم وأرتَعَدَتْ فرائصُهم وأفحِم أكثرُهم عن الكلام. وقال من قال منهم قول مذعور دهش: إن يعاقِبْ أميرُ المؤمنين (ص) فنحن أهلُ العقوبة، وإن يعفُ فهو أهلُ العفو والفضلِ والرحمة.

فأطرق (صلع) مليّا ثمّ دعا منتصر بن محمد[1] بن المعتز فقرَّبَه إليه وأمَرَهُ
303 بالجلوس فقبّل الأرضَ مراراً وشكر لأمير المؤمنين. ثم/ عطف (صلع) على الوَفْدِ فقال: قد كنتم تستحقُّون أليمَ العذاب والنّكال. ولكنّا لِلّذي جَبَلَنا الله عليه من الصّفح والعفوِ والمرحمة قد عفَوْنا ما سلَف من ذنوبكم ما استقمتم وأصلحتم، وقد استَعْمَلنا عليكم عبدنا هذا ـ وأومأ إلى منتصر ـ فقبّل، وقبّلوا، الأرض مراراً وشكروا بما قدروا عليه، وزال ما ظهر عليهم من الهلَع والجزع وأمر (صلع) بصرفهم إلى موضع أنزلَهم فيه وخلع على منتصر وحمَلَه[2]، وكذلك
فعل بجماعةٍ من وجوههم وأمر بإجرَاء النُّزُل[3] لهم أجمعين وأقاموا * بذلك مدّة *ب70
في أرفه عيش وأحسن حال. ثمّ لمّا رأى صرفهم عقد لمنتصر على سجلماسة
304 وعَمَلِها وخلع/ عليه خِلَعاً سَنيّة وحمله على عُدّةٍ من الخيل بسروج مُغَرَّقَةٍ[4]

(1) في «أ»: ابن أحمد خلافاً لما مر في أول هذا النص، والاصلاح منه ومن ب.
(2) حمله: أي أعطاه الحُملان، أي دوابّ للركوب.
(3) النّزُل: الطعام والمسكن.
(4) في الأصل: مفوّفة. وغرّق اللجام: حلاّه بالفضّة.

ووصلَه بصلات جزيلةٍ وحمَل جميع من قدِمَ معه وكساهم ووصلهم وصرفهم إلى بلدهم بما لم يوصلوه ولم يتوهّموه. وكان غاية آمالهم أن يَسلَموا من القتل. فانصرفوا وقد طالت بالشُّكرِ ألسنتهُمْ ومُلئت فرحاً قلوبُهم.

كلام كلّم به (صلع) عامل سجلماسة:

عامل سجلماسة يشكر فضل المعز

203 ــ (قال) وسمعت منتصراً هذا يوماً يشكر لأمير المؤمنين المعزّ لدين الله (صلع) صنيعَه فيه ويذكر ما وهبه الله له من عطفه عليه وإحسانه إليه، وما صار له بذلك من النعمة والفائدة والغبطة.

فقال له المعزّ لدين الله (ص): يكفيك والله من ذلك تعجيلُ الراحة لك وإزالة الغُمّة/ عن نفسك وتجديد المسرّاتِ بأن كان الفاسق المتغلِّب قبلَك يتوقّع 305
من حلول بأس الله به على أيدينا ما قد أصاره الله (عج) إليه وعجّل له به، فلم يكن لذلك يلذّ عيشاً، وكلّما انتهى إليه شيء ممّا يتولاّه الله (عج) لنا من الصنع أنكاه. وقد كان[1] حتفُه وإمكان الله (عج) إيّاناً منه يتصل بذلك. فهو كما قال الله (عج) في إخوانه المنافقين: ﴿يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ﴾[2]. وأنتَ الْيومَ قد أمِنتَ ذلك كلّه، وكلّما جدّد الله (عج) لنا نعمةً وأولانا فضيلةً ومكرُمة تجدّد لك بذلك سرورٌ واتّصلَتْ بك باتّصاله نعمةٌ وغِبطة، فلو لم يكن لعدوّنا عقوبَةٌ ولِوَلِّينا مَثُوبَةٌ غيرَ/ هذا لكفاهُما، فكيف وقد تكفَّل الله (عج) لنا 306
بالصُّنع في عاجلِ الدنيا بإعزازِ الوليّ وكبتِ * العدُوّ وأعدَّ لأوليائنا في الآخرة *ب71و
كريمَ الثواب ولأعدائنا أليم العقاب؟

فقال منتصر: صدق والله أمير المؤمنين، لقد كان عدوّ الله ابنُ واسول من توقّع بأس الله الذي وقع به وما يتّصل[3] به من صنع الله عند وليّه لفي أمرٍ ما هو اليومَ بدونِ ما كان فيه، وإنّ عبدَ أمير المؤمنين بحمْدِ الله وفضْلِ وليّه (صلع) من خفض العيش وراحةِ النفسِ لفِي ما يسألُ اللّهَ دوامَه له بطول بقاء وليّه (صلع).

فقال أمير المؤمنين: لن تعدم نعمة وفضلاً من الله وقبولاً منّا عليك/ ما 307

(1) في النسختين: دان.
(2) المنافقون، 34.
(3) أ: يتصول، وفي التركيب غموض.

عرفت قدر النعمة عندك وشكرت ما يأتي منها إليك إن شاءَ اللّهُ (تع).

توقيع بتفضيل أهل الولاية:

الفاطميون يورّثون مواليهم من العبيد

204 ـ (قال): وكتبت إلى الإمام المعزّ لدين الله (صلع) أطالعه فيما يُرْفَعُ
إلَيَّ من تراث عبيدِه والرّقيقِ[1]، وفي مَن يقُومُ عِنْدِي بذلك من وَرَثَتِهم يطلُبُونَه من
عبيد وأحرار، وعن شهادة بعضهم لبعض إذْ كان (عم) ومن قبلَهُ من الأئمّة لم
يَحدُّوا في ذلك حداً علِمتُه، ورأيتُ أكثرَهم يرِثُ بعضُهم بعضاً، والقضاةُ
يورّثونهم[2] ويُجيزون شهادةَ بعضِهم لبعضٍ، وذلك لا ينبغي في الحقيقة، لأنّ
أموالَهم لمَوْلاَهم لا يَرِثُهم[3] أحدٌ من قراباتهم إلاّ ما مَنَّ به منها عليهم. وكذلك
308 شهاداتُهم لبعضِهم/ لا تجوز لأنَّ أموالَهم له، وشهادةُ العبدِ لمولاه فيما أثَرناه عن
الأئمّة (صلع) أجمعينَ لا تجوز. وكذلك تقول العامّة[4]. ولم أدر إن كان القضاة
في القديم سألوا[5] ذلك وحملوهم على ظاهر ما رأوه من أمرهم أنَّهُم كالأحرار
عندهم.

* ب 71 وذكرت شيئاً كان في أيّام القائم بأمر الله (ص) وذلك أنّ رجلاً من جُملة *
العبيد هلك، وكان صاحبَ ديوان. واختصم وَرَثَتُه إلى القاضي يومئذ ودار بينهم
ما ارتفعوا[6] فيه إلى القائم بأمر الله (صلع)، وسألني بعضُهم واستفتَاني[7] في
وصيّةٍ أوصى بها، فقلت له: هو مملوك لا تَجُوزُ له وصيّةٌ ولا يرِثُه أحدٌ من
309 قرابته. وما ترك، فلمولانا (عم) يُجيزُ/ منه ما أجاز ويرُدُّ ما ردّ كما يريد.

فأخبرني ذلك الرجلُ بعد ذلك أنّه احتجّ بذلك عند القائم بأمر الله (صلع)

---

(1) أ: عبيده الرقيق.
(2) ب: سقط: ورأيت... يورثونهم.
(3) ب: لا يرثها.
(4) أي السنة، فالشيعة والسنة متّفقون على منع العبد من الميراث ورفض شهادته لمثله. وانظر: رسالة ابن أبي زيد، 284 وبداية المجتهد لابن رشد 452/2 وفصل «عبد» في دائرة المعارف الإسلامية، ومختصر سيدي خليل مع ترجمة N. Seignette رقم 1509.
(5) أو: سئلوا. وتجوز القراءتان: يسألون الإمام، أو يسألهم المتقاضون.
(6) أ و ب: ارتفعوه.
(7) لم يرتق النعمان بعد إلى وظيفة القضاء.

وذكر له ما أفتيتُه به، فقال: صدق فيما قال.

فلمّا رفع ذلك[1] إليّ طالعتُ المعزّ لدين الله (ص) برقعة رفعتُها إليه فوقّع لي فيها: مَن كان مِن سائر عبيدِنا ممّن شمَلته دعوتُنا، أجرَيْتَ أمورَه مجرى أمورِ الأحرار المَالِكي أمُورِهم في مواريثهم وشهاداتهم وأفعالهم وجميع ما يتصرّف من أحوالهم[2]. ومن لم يشمله ذلك جرى أمرُه مجرَى أمور العبيد الذين لا يجوز لهـم من/أمورِهِمْ إلاّ ما أطلقه لهُمْ مواليهم.

310 فنظرت من ذلك إلى أمر/ لم يكن يقَعُ عليه وهمي ولا خطرَ قبلَ ذلك ببالي، ورأيتُ أنّه جعل (صلع) فضلَه عليهم عتقَه لهم[3]، فأخذتُ بذلك وعمِلت عليه عن أمره (عم).

ثمّ سألتُه بعدَ ذلك عن بعضهـمْ وقد كان دعا قديماً ثمّ خلط وساءت حالتُه وأبدى عُوارَه فلم يَدَعْه هو ـ ص ـ[4]، فوقّع إليّ فيه: يجري مجرى العبيد ويُسْلَك به سبيل من تَقَدَّمَ به الأمرُ في أمثاله. فعلمتُ أنّ ذلك العتقَ لم يُجْرِهِ إلاّ فيمن أخذ عليه[5] عَنْ أمره. فأمّا من صار إلَى ذلك عن غير أمره فهو بحسَب ما كان على الأصل *. *ب72و

تـوريـث العبيـد مشروط بولايتهم

(1) أي: مواريث عبيد المعز.

(2) في هذا النص حكم فقهي مهم من المعز، وهو اعتبار العبيد المناصرين للدعوة الفاطمية ـ حتى وإن لم يعتقوا بعد ـ مثل الأحرار، يرثون وتقبل شهادتهم، ويبيعون ويشترون. وهذه الأحكام لم ترد في كتاب «دعائم الإسلام» بل ورد ما يخالفها (انظر ج 2 ص 286) مثل قول الأئمة: لا يتوارث الحر والمملوك (حكم عدد 1373) وقولهم: العبد يرث إذا أعتق قبل قسمة الميراث (حكم 1370).

هذا وقد انتبه ماريوس كانار M. Canard إلى أهمية هذه المسألة في ترجمته لسيرة الأستاذ جوذر (ص 185 تعليق 411) واستشهد بهذا النص الذي بين أيدينا، مع شيء من الخطإ في فهم عبارة «مالكي أمورهم» فترجمها بعبارة «مثلما يعامل الفقه المالكي الأحرار».

والنص بعد هذا شاهد على تصرّف الأئمة في الأحكام الفقهيّة وعلى عطفهم على كبار خدمهم مثل جعفر الحاجب وجوذر صاحب السيرة وميسور الفتى وجوهر القائد.

(3) أي: صار عطف المعزّ على دعاته من العبيد بمثابة الإعتاق لهم من الرقّ، إذ مكّنهم من الإرث والشهادات والتصرّف في أموالهم.

(4) أ: لم يدعه صلع. ولعل يدعه من دعا، لا من ودع.

(5) أخذ عليه العهد بالولاية وخدمة الدعوة. وفي النسختين وردت «أخذ عليه» مكررة.

توقيع في من تخلَّفَ عن البيعة:

311 205 ـ (قال) واستَعَنْتُ فيما أنا بسبيله من أمـر / المنصور صلوات الله عليه لمّا قلّدَنِي القضاءَ بالمنصوريّة قوماً لم يصِلوا إلى الدعوة ورأيتُ منهم مقارَبَةً، ورجوتُ أن يهديَهم الله إن فتح في ذلك لعباده. فلمّا جاء اللَّهُ من ذلك بِمَا هيّأهُ لخَلقه من فتح باب رَحْمَتِهِ لعباده، تخلّفوا. ورجَوْتُ أن يحاسِبُوا أنفسَهم ورمزتُ لهم وطارحتُهم فلم أرَهم يُقبِلُون على شَيْءٍ، فواجهتُهم وكلّمتُهم واحتججتُ عليهم وناظرتُهم حتى قطعتُهم، فلم يَزِدْهُم ذلك إلاّ تمادِياً في الغيّ وإصرَاراً على الجهل، فثقُل عليّ أمرُهم وكرِهت جانبَهم وأبغَضْتُ رؤيتَهم وسئمت صُحبتهم وأردت الاستِبدَالَ بهم.

قوم طمع النعمان في ولائهم فخيّبوا ظنّه...

312 فرفعت ذلك إلى المعزّ لدين الله (صلع)/ فوقّع إليّ فيهم: أبْقِهِم على خدمتك فإنْ يفيءِ اللَّهُ بهم فسعادةٌ ساقها الله إليهم، وثواب يصيرُ إليك بما بذَلْتَه من النصِيحةِ لهم. وإلاّ فلا يمنَعُك جَهْلُ الحُمُرِ المُسْتَنْفَرَة من الانتفاع بها في بعض مصالحك، ويكونون بعد كما قال (عج): ﴿عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ تَصْلَى نَاراً حَامِيَةً﴾[1]، فكلّما قامت عليهمُ الحجّة وأصرُّوا على الكفر حقّت عليهم كلمةُ العذاب، فلا يخفّفُ عنهم بزوالهم من بين يَدَيْك.

... فاستبقى من أتباب منهم وتخلص من الآخرين.

فمنَّ الله بعد ذلك بالهِداية على عامَّتِهم، وأصرّ على ما هو عليه بعضُهم فما كان من ثِقَل تحمَّلْتُه أثقلَ عليّ منه ولا منظر أنظر إلَيْهِ أبغضَ إليَّ منه حتّى أذِن لي (صلع) في أزالَتِه فأراحني الله منه.

313 توقيع بفضل/ تفضَّلَ به (ص):

*ب 72 206 ـ (قال) واستَحْكَمْتُ عن أمره صلواتُ الله عليه حُكَّاماً * في الكور أخرجتُ بعضَهم من الحضرة واستعملْتُ بعضَهم من مواضعهم ولم يكـن جرى في قديم الزمان لمن ولِيَ حكومةً من أهل البلدان في مواضعهم شيءٌ يُجْرَى عليهم. وإنّما كان يُجْرَى ذلك على من أُخرِجَ من الحضرة. فأجرَى ذلك عليهم أميرُ المؤمنين (ص) وأوسَعَه وزادَ فيه أن خلَع عليهم وحمَلهم وقلّدَهم وأجرى

المعزّ يأمر بجراية لحكّام الأقاليم...

(1) الغاشية، 3 ـ 4.

ذلك في كلّ عامٍ لهم. وبقيَ أهلُ الكور الذين قُدِّموا في مواضعهم على رسوماتهم
لم يُعْطَوْا شيئاً. فجرى لهم خبرٌ أوجَبَ ذكرَ ذلك لهم، فذكرته، فوقّع إلَيَّ
فيه (ص): لا تدَعْ حاكِماً من الحكّام إلاّ قبَضْتَ له ما يصلُحُ لمثله فمن/ كان كما 314
وصفتَه موسِراً قائماً بنفسه راغباً في ثوابِ عملِه، فنحن في ثواب الله أرغَب، وما
أحِبّ أن يتقلّد لنا أحدٌ عَمَلاً إلاّ تَبَيَّنَ له أَثَرُ فضلِنا عليه، فلا تَدَع منهم أحداً إلاّ ... حتى وإن
عَمَمْتَهُ به، ثمّ لا تُبَالِ إذا عمِلت على مَحْبُوبنا مَن سخط ذلك أو رَضِيَه، فإنّا نُعطِي كانوا متطوّعين
من سعة ويبخَلُون من ضِيقٍ[1].

توقيع في ردّ البغي:

207 ـ (قال) وتظلّم إليّ قومٌ من بعض من أقمتُه من الحكّام فلم يسَعْنِي إلاّ
رفعُ ذلك إليه(ص). فوقّع إليّ فيه: المكرُ والحِيَلُ والخديعَةُ اليْومَ في الناس أغلبُ
الطباع عليهم. وهذا الرجل فله سلامةُ ناحية ولينُ جانب، وما كلُّ ما يقال يصِحّ،
وليس شيء أغرب من الإجماع على/ تزكيةِ قاضٍ أو حاكمٍ لأنّ ذلك معدوم إلاّ 315
بزوال التضادد من العالم، لأنّ المحكومَ له راضٍ والمحكومَ عليه ساخط، ولكن الناس بطبعهم
يتقدّم في ذلك إليه فإن غفل في شيء من الأشياء كان في وعظك إيّاه ما يُوقظُه إن يطعنون في الحاكم
شاء اللّهُ (تع).

توقيع في رفع قدر العلم:

208 ـ (قال) وجمعت * كتاباً في الفقه عن الأئمّة الطاهرين من أهل بيت *ب 73و
رسول الله (صلع) فرأيتُ أنّه لا يَصْلُح لِيَ العمل به ولا يحلُّ لِيَ الفتْيَا والقضاء بما النعمان يعرض
فيه ولا انتحالُه إلاّ بعد أن يصحّحَه إمام الزمان. فرفعتُه إليه (صلع) مع كتاب وقَعَ كتاباله على المعز
إليَّ، فيه روايات عن أهل البيت (ص). فوقف على ما فيهـ[ـمـ]ـا ووقّع إليّ في الكتاب
الذي جمعتُه: / هذا كتاب مستملَح عند العالِم قريبٌ مِن فهم الجاهِل، فَجَزِّئْهُ[2] 316

(1) حكم «إداري» من المعز: لكلّ موظّف أجرة على وظيفته، حتى وإن توظّف في مسقط رأسه أو كان موسراً.

(2) لعلّ النعمان عمل بهذه التوصية، فجاءت كتبه مقسّمة إلى أجزاء، ومنها كتاب المجالس والمسايرات، وإن كان أغفل التنبيه إلى التقسيم في مقدمة الكتاب (انظر مقدمة المحققين ص 36).

لِيَكُونَ أقربَ وأسهلَ على السّامع لأنّه لا يَبْتَدِىء البادىءُ في جزءٍ منه إلاّ وقد اشتهى النظرَ فيه؛ وإن طال عليه، ملّه. والكتاب الذي بعثتَ به معه فيه أشياء محرَّفَةٌ لا يَتَهَيّـأ أن يرويَها الناس عنّـا إلاّ استعمَلوا الكذِب واجترأوا على الخُبث، فيكون ذلك سببَ ما كنّا فيه بِجهْلِ الجاهلين. وقد ابتلانا الله بِرَعْيِ الحمير الجُهّال[1]، فإنّا لم نزل نتلطّف في هِدايتهم ومسايرة أحوالهم إلى أن يختم الله لنا بالحسنى والخروج من بين أظْهُرهم على أحمد حالٍ[2]. وإلاّ فإنَّ مثلَ هذه
317 الأشياء المُستغلقة لا تُؤدّيهم إلى شيء من/ المعرفة ويعودُ وبالُ جهلِهم علينا، كفانا الله بفضله وأعانَنَا برحمته. *فأمّا أنتَ فحالُك عندنا حال لا تُؤدّي شكرَ الله عليها ولا تنهَضُ بثِقْلِها إلاّ بعَوْنه إيّاك وتوفيقه لك لما أخذتَ به نفسَك من رضى الله ربِّك ورضى مواليكَ.

المعزّ يشكو من جهـل سكّان إفريقية . . . ويتمنّـى الخروج منها

توقيع في ذكر عاشوراء:

209 ــ (قال) وكنت رويت عن الصّادقين الأئمّة من أهل بيت رسـول الله (ص) ممّا أدّاه إلينـا الرواةُ عنهـم فضائلَ يوم عاشوراء. وحضر وقته فرأيت أن أذكرها في خطبة الجمعة التي تتلوها وأذكر فيها مصاب * الحسين (صلع)[3] وأنّ الله أكرمَهُ بالشهادة في هذا اليوم الذي عظّمه، كما أكرم أباه عليّا أمير المؤمنين
318 بها/ في يوم عظيم أيضاً من شهر رمضان[4]. ثمّ رأيت أن لا أفعل ذلك حتّى أطالع به المعزّ (ص)، فذكرت ما رويتُه في ذلك وما أردتُ أن أخطب به.

خطبة للنعمـان في عاشوراء . . .

*ب 74 و

فوقّع إليّ فيه: يا نعمان، ما ذكرت إلاّ ما جاء عن الصادقينَ صحيحاً. ويوم عاشوراء، فقد علمتَ تفضيل الجُهّال إيّاه من غير وجه التفضيل الذي فضّله الله (عج)، وأنّهم جعلوه يومَ عيدٍ وسرور لمَّا سنّه لهمُ الفسَقة بنو أميّة. فصِفْ تعظيمَهم له من أيِّ وجه كان، مثل أن تقول: «فعظّموا عبادَ الله هذا اليوم الذي عظّمه الله واستنُّوا في تعظيمكُم إيّاه سنّة نبيّكم محمّد رسول الله (ص)، لا أن

. . . يلقنه المعزّ عنـاصرهـا: التفجع على مقتل الحسين

(1) هذا حكم قاس على أهل إفريقية، ولعلّ مصدره الصراع المذهبي بين السنة والشيعة.
(2) لعل في هذا تدعيماً للنظرية القائلة بأن انتقال الفاطميين إلى مصر كان بسبب كراهة أهل إفريقية لهم، وهو رأي كثير من الباحثين، منهم فرحات الدشراوي في رسالته.
(3) قتل الحسين بكر بلاء يوم عاشوراء (10 محرم 60/ 10 أكتوبر 680).
(4) قتل علي ليلة 17 رمضان 40/ 661.

تتّخذوه يومَ عيد وسُرور كما اتّخذه أعداءُ الله وأولياءُ/ الشيطان، وأعداءُ 319
الرحمان، من أبناء مروان، لمَا نالوا فيه من هتك حرم رسول الله وقتلِ أولياء الله، فأحَلُّوه محلَّ السُّرور والجَذَل، لا محلَّ الاستغفار والعمَل. فرحِمَ اللَّهُ امرأ عمِل لنفسه واقتفى سنّةَ نبيّه ورغِب في عفو ربّه ولم يغفل في هذا اليوم العظيم عن ذكر مصاب أبناء نبيّه ولم يُخلِ الظالمين فيه من لَعْنِه! ألا لعنةُ الله على الفاسقين المارقين أولياء الشياطين وقتَلة المؤمنين!».

ثمّ تنسُق على هذا الكلام ما يُشبهُه فإنّ الذي منعني[1] عن تمام الكلام الشغل بشيءٍ نُؤلّفه، نسأل الله عونه وتوفيقه لنا ولأوليائنا، فلقد انفردنا بحَمل ما اجتمعت الأمّةُ الضالّةُ على رفضه/ . 320

(1) سقط من ب: ثم تنسق... منعني.

الجزء التاسع عشر

[بسم الله الرحمن الرحيم]

توقيع في فضل النيّة:

210 ــ قال القاضي النعمان بن محمد: أمرني المعزّ لدين الله صلوات الله عليه بجمع شيء لخّصه لي * وجمعه وبسط لي معانيَه وسطّر لي جملتَه، فابتدأت منه شيئاً ثمّ رفعته إليه واعتذرت عن الإبطاء فيه، لِمَا أردتُه من إحكامه ورجوته من وقوع ما جمعته منه بموافقته (صلع)، فطالعتُه في مقداره. *ب74و

النعمان يؤلف كتابا بطلب من المعزّ

فوقّع إليّ: يا نعمان لا تُبالِ كيف كان القدر مع إشباع المعنى[1] في إيجاز، فكلّما أوجَزْتَ في القول واستقصيْتَ المعنى فهو أوفق وأحسنُ. والذي خشِيتَ من أن يُسْتَنْبَطاً في تأليفه، فوالله لولا/ توفيقُ الله (عج) إيّاك وعونه لك لِمَا تعتَقِدُه 321
من النيّة ومحض الوَلاية، لما كنتَ تستطيع أن تأتي على باب منه في أيّامٍ كثيرة، ولكنَّ النيّةَ يصحَبُها التَّوْفِيقُ.

كلام في مجلس لبعض الأولياء بفضل الوَلايـة:

الأئمّة ضامنون الجنّةَ لأوليائهم

211 ــ (قال) وسمعته (صلع) يقول يوماً لبعض شيوخ الأولياء، وقد نقِه من علّة وهو مع ذلك ضعيف: كيف تجدُك؟

قال: على أفضل حال يا مولاي، إذ قد فسح الله في أجلي حتّى نظرتُ إليك.

فقال: يُبقيك الله وجميعَ ألأليائنا إلى أن تَرَوْا إنْ شاءَ اللهُ (تع) ما تُؤمّلونه وترجونه من وعدِ الله (عج) لنا. ومن مات منكم قبلَ ذلك فَسَيَرَى ما تَقَرُّ به عينُه

(1) ب: سقطت: المعنى.

322 من رحمة الله ويصير إلى ما كان يُؤَمِّلُه ./ أما إنّ جدَّنا جعفر بن محمد (صلع) قال لشيعته: أما والله إنّكم بتولّيكم إيّانا كلُّكم من أهل الجنّة. وإنّا لضامنون ذلك لكم عن الله. ولكن نُحبُّ من جميعكم أن يكونوا معَنا فيها، منازلُهم تقرُب من منازلنا بأعمالهم الصالحة ولا يُؤَخِّروا أنفُسَهُمْ بالذنوب عن قُربِنا، فإنّ الجنَّةَ درجاتٌ
*ب 74 ومنازلُ كما قال * (عج): ﴿وَلَلآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلاً﴾[1].

ثمّ قال (ص): من ذا يضمن عن الله غيرُنا، أم من ذا يتوسّل إلى الله بمثل وسيلَتِنا؟ ووسيلتنا إلى الله جدُّنا محمّد (صلع) أفضلُ الخلق عند الله، فمن ذا يتوسّل بمثله، أم من ذا يحُلّ محلَّنا منه؟ إنّ الله أحلّنا منه محلاّ لم يُشْرِكْ معنا فيه
323 غيرَنا، ولقد اجتهدوا أن/ يتّصِلوا منه بسبب أو نسَب، وفعل (ص) ذلك لمن فعله تألّفاً إلى دين الله فأبى الله (عج) أن يجعَلَ ذلك لغيرنا منه، وقطَعَ سببَ كلّ ذي سبب يتسبّب[2] إليه ولم يُبْقِ من ذرّيّته غيرَنا، اختصاصاً اختصّنا به وفضيلةً أكرمنا بها، على رغم من أراد أن ينافسنا فيها ويشاركَنا في مثلها، ثمّ جعلنا (عج) صفوةَ مَن أكرمَهُ بها ولُبَابَ من انتجَبَهُ منها، وأعطانا وخوَّلنا وفضّلنا، فنحنُ صَفوتُه من خلقه وأُمَنَاؤُهُ على عباده، وأئمّتُهم وأولُو الأمر فيهم. وكم جهِد المتغلّبون علينا على إطفاء نور الله منّا ويأبى الله إلاّ أن يُتِمَّ نوره.

الأئمة لهم نسب محمّد (ص) دون غيرهم

324 ولقد ابتغَوْا ذلك من كلّ جهة واحتالوا فيه بكلّ/ حيلة لمّا استَتَر[3] السّلف من الآباء صلوات الله عليهم تقيَّةً من عدوّهم، وعلماً بأنّ الوقتَ غير وقتم وأنّ وعدَ الله لم يحضُر أوانُه لهم، فدسّ الفسَقَةَ إليهمْ الدسائسَ واحتالوا بالحيَل، وقام من أهل هذا البيت لمّا تطاول الأمرُ بهم مَن ليس من أهل القيام، طمعاً[4] في انتهاز الفرصة والاغتنام، وولاة الأمر في خُفْية واستتار، ينتظرون أوان وعد الله

ادّعى الإمامةَ بعضُ الهاشميّين في دور السّتر

(1) الإسراء، 21.
(2) ب: سقط: أو نسب. . . ذي سبب.
(3) الاستتار: هو اختفاء الأئمة في وقت المحنة. ويؤرخه الإسماعيلية بمدة إسماعيل بن جعفر الصادق، الإمام السابع، فلذلك يعرفون أيضاً بـ «السبعية».
أما الشيعة الإمامية، فيقولون بإن طور الاستتار ـ ويسمونه غيبة ـ قد بدأ مع الإمام الثاني عشر سنة 874/260، فعرفوا بـ «الاثني عشرية». وقد قالت الشيعة الكيسانية أيضاً باختفاء محمد بن الحنفية (انظر فصل «غيبة» بدائرة المعارف الإسلامية).
(4) كأن النعمان يعني هنا الطائفة الاثني عشرية التي هادنت الدولة العباسية إلى زمن الغيبة.

إيّاهم ويعملون على علم من ذلك عندهُم، من العلم المخزون الذي استودعهم،
حتّى إذا ظفر المتغلّبون من أئمّة الضّلال بمن قام عليهم من أهل هذا البيت (ص)
وقد علِموا أنّهم ليسُوا * من أهل الحقّ فيهم وخفِيَ/ عنهم أمرُ أصحاب الحقّ *ب75و
منهم، دبّر اللعين المتسمّي بالمأمون حيلة وكاد مكيدة، فأظهر التشيّعَ والوَلاية 325
والتبرّي من مذهب آبائه، وردّ فدكا[1] على ولد فاطمة (عم) وصرّح بظلم مَن تظاهر المأمون
انتزَعَهَا من يدها وأعلن بالبراءة إلى صاحب الزمان وإمام العصر من آل محمّد، بتسليم الأمر إلى
وأنّه، إن ظهر إليه، أسلَم[ه]له ما في يديه. فأيُّ طَمِعٍ لم يكن يميل إلى من قد ملك بعض ذرية علي...
أمر الأئمّة واحتوى على الدنيا، يرا[ه] وهو يريد البراءة منها إلى من هي له، فلا
يظهر إليه[2]؟! لا جرم أنّ ذلك قد استفزَّ مَن لم يكن من أهل الحقّ إلى أن ادّعَى
ذلك لهُ فقبِله وسلّم الأمرَ إليه ثمّ دَسَّ إلَيْه فقتله[3] وادّعى وَصِيَّتَه ليرى من تمسّك
به أنّه قد/ ذهب وانقَطع ما كانوا به مُتَمَسِّكِينَ، حيلة آبائه أعداء الله الأوّلين إذ 326
ادّعى أوّلهُم[4] أنّ الوصيّة صارت عن ولد عليّ إليه، وكلاّ [لا] يفعل الله ذلك ... ثم قتله
وهو يقول: ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ﴾ إلى يوم الدين[5]. فلن يكون الأعداء وأدعى أنه وصيه
بالأعقاب أبداً! أبداً! لا ترجعُ القهقرى ولا تنتقِل عن الذرّيّة إلى البُعَداء! وكان
ذلك دأبَ أولياء الله حتّى أزِفَ الوقت الموعودُ، وقرب الحدّ المحدُود، وقام
جدّنا المهديّ بالله (عم) يضرب في الأرض من مشارقها إلى مغربها[6] على خوف

---

(1) سبق الحديث عن ضيعة «فدك». انظر ص 122 تنبيه 1.

(2) في هذا الكلام غموض، فالطمع بالكسر هو الطمّاع، أي، هنا، المتطلع إلى الإمامة يخرج إلى الخليفة المنتصب (وهو هنا المأمون) مغتراً بعرضه الإمامة على مستحقها، غافلاً عن هدفه الحقيقي، وهو الكشف عن خصومه الشيعة. والمعنيّ بكلام المعز هو علي الرضا الإمام الثامن (من سلسلة الاثني عشرية) الذي سيأتي خبره بعد قليل.

(3) الخبر عند ابن الأثير: الكامل ج 5 ص 183، وقد ورد خبر هذه البيعة تحت سنة 816/201.

وورد خبر وفاة علي بن موسى تحت سنة 819/203 وقد استبعد ابن الأثير أن يكون المأمون قد سمه.

(4) أي أبو العباس السفاح أول الخلفاء العباسيين.

(5) الزخرف، 28: ﴿وجعلها كلمة باقية في عقبه لعلهم يرجعون﴾، وفي أ: وجعلها باقية وعقبه.

(6) كان خروج المهدي من سلمية سنة 902/289. انظر فصل «الإسماعيلية» بدائرة المعارف الإسلامية وكذلك سيرة جعفر الحاجب بترجمة ماريوس كانار ـ مجلة Hespéris المغربية، سنة 1952 ص 289، تنبيه عدد 4.

من أهلها، واثقاً بوعد الله حتّى مكّنه الله وأظهره وَجَعَلَنَا وَرَثَتَهُ وَمَكَّنَنَا[1] في الأرض من بعدِه.

327 فأكثرُ من حضر المجلس/ من الأولياء حمِدَ الله أن جعلهم ممّن بلغ إلى ذلك وكان من أهل زمانه *، وذكروا ما هَيَّأهُ الله له وأقدره عليه وملّكه إيّاه وأولاهُ في وليّه وعدوّه من الصنيع الجميل له. *ب75

فقال (صلع): نعم، والحمد لله على ما أولى من ذلك وصنعه وتفضّل به. وإنّ ذلك وإن غابت عنه أشخاص الآباء فلن يغيبَ عن أرواحهم الشريفة ذلك، أحياءً قبل أن يكون، ولا أمواتاً بعد أن كان. ولقد كان القائم بأمر الله قدّس الله روحه لَيَأخذُني وأنا في سِنّ الأطفال فيضمّني إلى صدره ويقبّل ما بين عينيّ ويقول: أنت أبو تميم[2] ويحمد الله، وما كنت أدري يومئذٍ ما يريد بذلك.

328 ثمّ قال:/ أفمن أودَعَه الله علمَ ما يكون يُجهَل فضله أو يشكُل أمرُه؟ لـو أنّ قائلاً قال: إنّ هذه النطفَةَ يكون منها بشر من حاله كيت وكيت لكان ذلك من قوله، إذا كان، ممّا يبهرُ، فكيف ممّن علّمه اللّهُ علمَ ما يكون ممّا لم يكن بعد؟. الأئمة يعلمون ما يكـون قبـل أن يكون

فقال ذلك الشيخ من الأولياء الذي كان خاطبه أوّلاً[3]: الحمد لله على ما مَنَّ علينا من معرفتكم، وأن جعلَنا ممّن يتولاّكم ويدين بإمامتكم!.

فقال (صلع): نعم، فاحمدوا الله على ذلك، فوالله ما هيّأاللّهُ لأمّة من الأمم ما هيّأه لكم ولا فتحَ على أحد مثْلَ ما فتح فيه عليكم، وإنَّ أمرَكم معنا لـ[ـمـ]ـمّا
329 فيه برهَانٌ لمن تأمَّله ودليلٌ على إمامَتِنا وذلك لطولِ صُحبتكم/ إيّانا، أجدادُكم مع الأجداد وآباؤُكم مع الآباء، وأنتم معنا، وكذلك يكون إن شاء الله (تع) أعقابُكم مع أعقابنا: ألاّ يموتَ أحد حتّى تخلُف من ولده الجماعةُ/ ممّن يخلُفونه ويسُدّون مكانه ويفضُلُونه ويسعدون بوَلايتنا ويشرُفون بطاعتنا. ولأنتَ اليومَ * بما نِلت منْ رضاتنا عنك أفضلُ من أبيك بالأمس مع آبائنا، وإن كانت السابقة له والفضلُ والجهاد. فما أمّةٌ من الأمم كانت هكذا مع أئمّتها قبلكم مثلكم، وما ذاك إلاّ للحقّ *ب76و

(1) ب: ومكن لنا.
(2) كنية المعز منذ الطفولة هي أبو تميم. وتميم هو أكبر أبنائه.
(3) أي الشيخ الذي أبلّ من مرضه.

الذي نَحْنُ عليه. فأمّا ملوك الدنيا ومن صحبهم عليها وَتَوَلاَّهُم لها، فقَلّمَا يصِحّ الواحد منهم بعدَ الواحد لهم، فضلاً عن اجتماع أمّة مثلكم تتبعهم ذرّياتُهم/ 330 وأعقابُهم. والله ما للدنيا عندنا من وزن ولو اجتمعتْ بأسرها في أيدينا وما انتجبناكم وارتضَيْناكم وآباءَكم إلاّ للدار الآخرة. هذا المهديّ بالله (ص) سمعه الأئمة لا يبتغون هذا ـ وأشار إلى شيخ ممّن بين يديه ممّن كان قد صحب المهديّ (عـم) ـ يقول الدنيا وقد ذكر عنده ما جمع الله (عج) له من الدنيا: هب الدنيا في قبضتي هذه اليسرى فأين ما يكون في يميني؟ قال الرجل: أشهد بالله لقد سمعته يقول ذلك.

كلام في مجلس في الثناء على بعض الدعاة:

212 ــ (قال): وأتاه كتاب من بعض الدعاة من المشرق يصف فيه ما هو عليه والمؤمنون قِبَله من اجتماع الكلمة على الوَلايـة والطاعة وجميل/ الأمُور، 331 وذكر وُرُودَ كتاب ورد من أمير المؤمنين (صلع) بما هيّأ الله له من فتح سجلماسة وغيرها من مدائن الغرب والقبض على من بها من رؤساء الضلال كابن واسول[1] الشكــــر لله المدّعي الإمامةَ وإمرةَ المؤمنين، وغيره من الفسقة الضالّين، وأنّه أكثرُ ما استطاعه بالسجود له تعالى وعوّل عليه عند سماع ذلك أن خرّ ساجداً. وذكر في كتابه ما * جاء عن *ب76 رسول الله (صلع) في سجود الشكر، وذكر ابتهاج المؤمنين بذلك وأنّه نسخ كتاب أمير المؤمنين وفرّقه على دعاته في آفاق الجزيرة[2] التي أمرُ الدعوة بها إليه، ومسرّة مَن سمع ذلك إذا قُرِىء عليه، ووصف ما بعث به من أعمال/ [3] المؤمنين 332 إلى الحضرة[4]، فأحضر أمير المؤمنين رجالاً كانوا بالحضرة من رسله وذكر لهم ما ورد به كتاب صاحبهم وأثنى عليه وذكر وَلايته وصدق نيّته فقبّلوا الأرض شكراً لما سمعوا منه في صاحبهم.

فقال لهم في قوله في السجود شكراً لله لما انتهى إليه ممّا فتحه الله على

---

(1) محمد بن واسول: انظر ص 124 تنبيه 3.

(2) الجزيرة: انظر ص 241 تنبيه 3.

(3) الأعمال: لعلها زكاة الخمس التي تفرض للإمام، وتسمى أيضاً «الواجبات». انظر ص 308 هـ 1. وص 373 هـ 8.

(4) الحضرة تعني هنا عاصمة الخلافة. وفي العصور الموالية، ينقلب معناها إلى السلطان أو الخليفة.

وليّه (صلع): وهل يكون فوق ذلك من شكر؟ وهل نَقدِر نحن في شكر نعم الله/ علينا على أكثرَ من ذلك والاعتراف بالعجز والتقصير عمّا يُبلَغ به كنهُ شكرِ أقلّ أنعُمِه علينا فيما أعطاناه ومنَحَناه وتفضّل علينا به؟.

ثمّ قال لهم: وهل تستطيعون[1] أنتم من أن تبلغوا من شكر هذا الشيخ الذي
333 عرّفكم بنا ووصل/ أسبابكم بأسبابنا على بُعْد ما بيننا وبينكم ونزوح دياركم عن ديارنا حتّى رأيْتُمونا وشافهتُمونا ونلتم فضلَنا وحللتم محلّ الأبناء منّا، على أكثر من الدعاء والإقرار بالعجز عن شكر ما كان إليكم في ذلك منه؟.

قالوا: هو كما قال أمير المؤمنين (صلع)، وقبّلوا الأرض مراراً شكراً لما قاله لهم وما كان من فضله إليهم ووصفوا سرور ذلك الداعي وابتهاجه وفرحه بهم إذ قدموا عليه من حضرة أمير المؤمنين (صلع)، وقال أقربهم عهداً به: لقد
*ب 77 و تلقّاني عندما اتّصل به قدومي مِنَ * الحَضرة مذ سرت، راجلاً في يوم حارّ شديد
334 الحرّ خارجاً عن المدينة التي هو بها، فلمّا التقيت/ معه مال إلى جدار خربة واعتزلْنا عن الناس، فقال لي: رأيْتَ وليّ الله؟.

تـوق الـدعـاة الأوفياء إلى رؤية الأئمة

قلت: نعم!.

فالتزمني وجعل يقبّل عَيْنَيَّ تقبيلاً خفت عليهما من شدّته، وأنا أقبّل يديه ورجليه، وهو كذلك يقبّل عينيَّ ويَضُمُّني إلى صدره حتّى مضت ساعةٌ من النهار ولا يزيد على ذلك، وهو يبكي فرحاً بما بلغه عن وليّ الله، واشتياقاً إليه. ثمّ جعل يسألني عن حاله وأخباره وأنا أخبره، وهو قائم حتّى لقد خشِيتُ عليه من شدّة الحرّ، وقلت له مراراً: يا سيّدي، نصل إلى مكانك ونجلس ونتحدّث معك، فلا يقبل ذلك منّي، بل جعل يسألني ويستفهمني.

335 فقال له أمير المؤمنين: هذا وما/ هو عليه من صِدْقِ الوَلاية وحسن النيّة الذي بان به عن غيره، وفَضَّلَهُ على من سواه من أمثاله فأقبلت قلوبنا عليه. ولو لم يكن له عند الله من السعادة ما يرضيه، لمَا فتَحَ الله له في ذلك ولا وفّقه إليه ولا

المعزّ يطري أحد دعاته بالمشرق

(1) في الأصل: يستعتبون، والإصلاح من ب. وسيأتي المفعول مسبوقاً «بعلى» زائدة: على أكثر من الدعاء.

وفّقَنا لاختياره. وقد جهِد من نازعه الأمرَ وطلب مكانه عندنا[1]، في أن نُقصيَه عنّا ويَسْتَحْوذَ على مكانه بإعطائنا ذلك إيّاه. فلمّا علم الله من هذا ما علِمَهُ وفّقَنا لإقامته وصرَف مَن آذاه خائباً من أمنيّته، ووجدنا عند هذا بتوفيق الله ما كنّا نرجوه/ ونؤمّله وأصبنا لديه صدقَ ما ادّعاه بما أصاره من تقديمه ممّا كان لنا في
يديه إليه[2]. وفصحت تلك[3] / الشواهد من ذلك[4] عليه حتّى جعل هو[5] وغيره 336
من أمثاله من دعاتنا بالمشرق ـ وذكر بعضهم ـ يعتذرون إلينا ويقولون لنا: إن كان *ب77
الذي يحمل فلان إلى الحضرة هو الذي قرّبه من وليّ الله (صلع) فإنّ أكثر أهل[6] جزيرته هم سلاطين الدنيا وملوكها وأهل أموالها ونعيمها وأكثرهم قد دخلوا[7] دعوته فهم يتقرّبون ويُوصلون من الواجبات[8] إليه ما لا يصل إلى غيره، ونحن فإنّما رَغبتنا في إقامة الأمر واستعداد كثرة المؤمنين، وأكثر من يتّصل بنا من أنكد سلاطين الجور وأجحَفهم[9]، وعامّةٌ من الناس لا كثيرَ أموال/ عندهم فقلّ ما يوصلونه إلينا.

دعاة الجزر يرسلون الأموال إلى الإمام

ثمّ/ قال أمير المؤمنين (ص): ومتى سألناهم عن هذا أو عرَّضنا لهم به؟ 337
والله لولا أنّا نضُرُّ بالمؤمنين المتّصلين بنا وندفعُ حقوقَ الله التي أوجبَها عليهم ونخالفُ أمره فيهم، لما قبلنا شيئاً. فقد خوَّلنا الله (عج) مِن فضله وأعطانا من جزيل نعمته وجمع لنا مِن خير الآخرة والدنيا ما أغنانا عن ذلك. ولكنّا نقبله طهراً لهم ونصرفه فيما يعود ثوابه عليهم ونمتثل في ذلك أمرَ الله (عج) فيهم ونُسَرُّ بما

(1) ب: وطلب الأمر مكانه عنده.
(2) إليه، أي، إلى ناقل أخبار هذا الداعي وأمواله إلى الخليفة.
(3) في «أ» و «ب»: ذلك. وأقررنا «فصحت» بمعنى «دلت وأوضحت».
(4) ذلك، أي الناقل الذي شهد لدى المعز بولاء هذا الداعي الوفيّ.
(5) هو، أي الناقل.
(6) في «ب»: فإن أهل أكثر أهل الجزيرة.
(7) أ: قد دخل.
(8) الواجبات: قد تكون زكاة الخمس التي تؤدّى إلى الإمام. يقول النعمان في كتاب الهمة (ص 69): «... فعلى جميع المؤمنين أن يدفعوا خمس ما غنموه في كل عصر إلى إمام ذلك الزمان من أهل بيت رسول الله (ص)».
(9) ب: وكثر من ... انكار ... وأجحفه.
أ : وأكثر من... أنكاد... وأجحفه.

يأتينا من ذلك عنهم لعلمنا بحسن نيّاتهم وقيامهم بِفرض الله (عج) عليهم.

ثمّ ذكر أخباراً قبيحة بلغته عن بعض الدُعاةِ ممّن نصب في طرف من أطراف
338 بلد الإسلام، الشرك به أغلب/ وسلطانه عليـه المستحكم، وأنّ قُرْبَ العهد بذلك وظهورَه في الدار وسوءَ حال ذلك الداعي حمله، فيما اتّصل به عنه، إلى أن
*ب78و رخّص لهم في بعض المحارم[1] التي يستحلّها أولئك المشركون، وأظهر * بذلك الغمّة واستعبر وتأوّه، وذكر أنّه قد أعمل الحيلة في تطهير تلك الجزيرة من ذلك الذي انتهى إليه عنه لكي يصلح الله (عج) أمرها. وذكر من أدّى ذلك إليه عنه ممّن وثق به من جماعة المؤمنين على بُعد الدار، فإنّهم ذكروا أنّ من أنكر ذلك منهم بالموضع جعل يسأل من قدم الحضرة عن ذلك هل فيها منه شيء؟ فأعلمه بأنّ
339 ذلك ليس منه شيء، وأنّ الأمر على/ إقامة دين الله ولزوم طاعته والقيـام بفرائضه واجتناب محارمه. (قال)[2]: فحمد الله وشكره ذلك الرجل[3] وقال: إذا كان أصلنا على هذا، لم يضرّنا فسادُ الفرع، ونرجو أنّ الذي حدث فينا لا يغيبُ عن وليّ الله لبعد داره وأنّ الله يوفّقه إلى ما يرضيه فينا وفيمن غيّر دينه عندنا.

بعض الدعاة ينحرفون فيحلون المحارم...

ثمّ تعجّب (صلع) من ذلك واستعظم الأمر فيه واستَهَاله، وذكر آخرَ من الدعاة النائيين أيضاً عنه وأنّه نظر إلى أهل جزيرته وأكثرهم يذهب مذهبَ الفلاسفة فاشتقّ لهم من كلامهم كلاماً يدلّ بزعمه به على أمر أولياء الله، لم يقولوه ولا
340 أذِنُوا له فيه، [و] خرج به عن نظام الدين وفارق به أصل أولياء الله/ أجمعين.

... وبعضهم يخلط الفلسفة بالدين

قال: فقدم عليّ بعض من أخـذ ذلك عنه واستحكم في صدره منه فسألتُه عنه فأخذ في الكلام فيه: فلا هو أفاد كلامَ الفلسفة كما ذكرَه أهلُها، ولا هو أبان عن دين الله كما زعَم، وجاء من التخليط بما يُخرِجُ عن المِلّة ويدعو إلى الكفر،
*ب78 فجعلت إذا كسرت * عليه لم ينفع الكسر فيه ولا أرى لقبوله حقيقة منه وإن تابَعني عليه، وإذا أرخيتُ له في عنانه فيما استحكم عنده رأيت أثرَ قبوله، فعَلِمتُ أنّ ذلك وأمثاله ممّن داخلُه علّة لا يُبرِئُه منها إلاّ العلاجُ الطويل في اتّساع المدّة،
341 وتفكّرت في كثرة من لعلّه في مثل حاله من أهل ذلك الصُّقع وكيف ينصرفون/

(1) أ: المحاربة، والإصلاح من ب.
(2) ناقل الخبر إلى المعز عن الداعي المنحرف.
(3) المستفسر عن وقوع مثل هذا التساهل بالحضرة أو انعدامه.

عمّا تداخلهم من هذا البلاء العظيم، فهالني ذلك.

وقال: هؤلاء بمنزلة قوم تطلع عليهم الشمس وتغرب عنهم ولا يشعُرون بها ولا يرَوْنها، وتمرُّ آياتُ الله عليهم صفحاً وهم معرضون عنها، والله القادر على ما يحبُّه من صلاح أمرهم على بعد ديارهم منّا وانقطاع أمرهم عنّا، وإنّا لو رمنا صرفهم عمّا استحكم وتقرّر عندهم وأخذه الأبْنَاءُ عن الآباء، لخشِيتُ أن يصيروا إلى ما هو أعظم منه من الانسلاخ من أمرنا، وأن يروا أنّا قد عجزنا عمّا علم سلفنا إذ قد استحكم عندهم أنّ ذلك عنهم، فإمّا يرون أنّا قصّرنا عن علم ذلك عندهم، أو غيّرناه عليهم إذ خالفنا أصلهم وعَدَلْنَا عن مِنْهَاجِهم/ . 342

(قال): ولقد سألني هذا الرجل عن اسم بعض الآباء فذكرته، فإذا هو عنده على خلاف ذلك فيما عرفه.

فقال: نعم، هذا ممّا قيل لنا أنّ الإمام لـه سبعة أسماء:

اسم جسمانيّ

واسم نفسانيّ

واسم روحانيّ

واسم طبيعيّ

واسم حقيقيّ

واسم ظاهر

واسم باطن.

ثمّ جعل (صلع) يَتَعَجَّب لقوله.

(قال): وجاءنا رجل آخر من قِبَل بعض * الدعاة النائبين عنّا بكتاب ذكر أنّه *ب79و سأله أن يجمع له ما به الحاجة إليه وقال: يراه مولانا (صلع) فإن كان الذي فيه صواباً أخذته وعملت به، وما أنكره رفضته واطّرحته. فنظرت فيه فإذا به محشوًّا عويصاً ومحالاً وما لا فائدة فيه ولا حاجة لمسترشِدٍ/ إليه، فلم أدرِ ما أقول 343 فيه: إن أبطلتُه عنده خِفتُ عليه ممّا قدّمتُ ذكرَه، وعلى من يرجع عنّي[1] بذلك

(1) ب: علي.

إليه ممّن خلّفته، وإن صحّحتُه عنده صحّحتُ عنده الفاسدَ، وأعوذ بالله! لكنّني لطفت في تقويمه وتأييده من غير هذين الوجهين وتأنّيتُ له. وكان فيما رأيت في هذا الكتاب أن زعم له فيه أنّ الإمامة انتقلت عن بعض الأئمّة إلى ميمون القدّاح[1] وإلى فلان وإلى فلان ـ لقوم ذكرهم من أفناء الناس ـ ثمّ جعل (صلع) يتعجّب من هذا القول وقال: فإذا كان ذلك كذلك فقد انقطع السّبب ـ ونعوذ بالله ـ من أيدينا فصار أخذنا لما أخذناه من الفضل من قِبل غيرنا وصاروا أحقَّ به منّا، ولن
344 يجعل/ الله (عج) ذلك عند الضرورة عند من جعله في يديه من أهل هذا البيت من غير الأعقاب المتّصلة إلاّ مستودعاً عندهم غير مستقرٍّ[2] فيهم إلى أن يستحقّ ذلك مستحقّه فيأخذَهُ من أيديهم.

/ ثمّ ذكر بعض من صار ذلك إليه كذلك في يديه وأنّه أراد أن يؤثِر به من

---

(1) هذا قول خصوم الشيعة الطاعنين في نسب الفاطميين: فقد قالوا إن المهدي لم يكن إسماعيلياً فاطمياً، كما يدّعي أتباعه، من أنه الحسين بن أحمد بن عبد الله بن محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق، بل كان حفيداً لعبد الله بن ميمون القداح، وهو أولّ الدعاة الإسماعيليّين بالعراق ثم بلسميّة، وقد ذهب هذا المذهب بعض الشيعة الإسماعيليّين أنفسهم واعتبروا أنّ المهدي لم يكن هو المهدي حقّاً، بل كان إماماً «بالتبنّي الروحي»، وأن المهديّ الحقيقيّ إنما هو أبو القاسم محمّد القائم الخليفة المغربيّ الثاني. ويدلّ كلام المعز في هذه الفقرة على أن هذا الزعم في نسب المهدي كان لا يزال رائجاً عند بعض دعاة المذهب، على الأقلّ بالمشرق. انظر بهذا الصدد: دائرة المعارف الإسلامية، فصول: عبد الله بن ميمون ـ الفاطميون ـ أبو الخطاب الأسدي. وانظر أيضاً: رجال الطوسي ص 135 و 205 حيث اعتبرهما من أصحاب محمد الباقر وجعفر الصادق. وانظر كذلك: أصول الإسماعيلية لبرنارد لويس، تعريب خليل أحمد جلو وجاسم محمد الرجب، ص 133 وما يليها. وقد أورد القاضي النعمان في «دعائم الإسلام» (الطبعة الثالثة 1969 بالقاهرة ج 1 ص 45 إلى 55) نبذاً عن المارقين المغالين من الشيعة. (وانظر مقدمتنا ص 21 والمجالس ص 377).

(2) الإمام المستودع حسب ما يفهم من عبارة «من غير الأعقاب المتّصلة» هو من يعهد إليه مؤقتاً بالإمامة، في انتظار صاحبها الحقيقيّ أو الإمام المستقرّ. والمستودع هو أيضاً من آل البيت حسب كلام النعمان، ولعل هذين المصطلحين جاءا عند الإسماعيلية لتبرير ما يطرأ من خلل على ترتيب التعاقب في سلسلة الأئمّة، كانتقال الإمامة من الحسن إلى أخيه الحسين، لا إلى ابنه البكر حسب القاعدة. (انظر فصل «إمامة» بدائرة المعارف الإسلامية، القسم الخاص بالإسماعيلية. وانظر ما يقوله القاضي النعمان في إمامة الحسن ثم الحسين ثم أبناء الحسين بالدعائم ج 1 ص 36 ـ 37).

قرب منه ممّن لم يجعله الله (عج) له، فكلّما نصب لذلك واحداً مات واستأثر الله به، إلى أن ذهب أقاربه وأقام صاحبَ الحقّ ضرورة إذ لم يجد غيرَه، فقال: الآن يا عمّ[1] بعد أن فعلت ما * فعلتَ! فتمثّل له بقول الشاعر (رجز): *ب 79

الله أعطـاك التـي لا فـوقَهـا وكـم أرادوا منعَهـا وعـوْقَهـا
عنـك، ويـأبـى الله إلاّ سَـوْقَهـا إليك، حتّى طوّقوك[2] طَوْقَها/ 345

فردّها الله (عج) إلى صاحبها المستقرّة فيه وأخرجها من يدَيْ من كانت مستودعة عنده بعد أن جهِد في صرفها إلى من قرب منه جهدَه. فليس المستقِرّ كالمستودَع ولا الوكيلُ كالموكِل ولا الوصيُّ كَالمُوصَى عليه، ولا له أن يملك شيئاً ممّا له في يديه ولا أن يعدل بذلك إلى غيره عنه. هي أمانة الله[3] التي قد استحفظها ووديعتُه التي أودعها. قال الله جلّ من قائل: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالعَدْلِ﴾[4]. فإذا كان هذا هكذا في أهْلِ البيت الأقربين، فكيف ينبغي أن يقطع القول فيه بأنّه قد سار بالحقيقة إلى الأبعدِين كالذين/ ذكرهم هذا، من ميمون القدّاح وغيره؟. 346

الإمـام المستقـرّ أفضل من الإمام المستودَع

قال: نعم، إنّ صاحب الحقّ لهو الميمون المبارك السعيد قادح زناد الحقّ وموري نور الحكمة[5]، فإن ذهب من ذهب إلى هذا فنعَم.

---

(1) هذا العم هو، حسب رواية «استتار الإمام» (نشر ايڤانوف ص 96)، سعيد الخير ابن الحسين بن أحمد بن عبد الله، الذي «استبدّ بالإمامة ونصّ بها على ولده... وكان له عشرة أولاد، فلم يزل ينصّ على كل واحد منهم إلى أن هلكوا بأجمعهم... فتاب وجمع دعاته وأعلمهم أنه مستودع للمهدي صلوات الله عليه».

(2) في «أ» طوقوها، والإصلاح من «ب» ومن كتاب «استتار الإمام» (ص 96). وقد ألحق الدكتور إحسان عباس هذا الرجز بالأبيات المنسوبة إلى كثير (ديوانه، بيروت 1971، قطعة 21 ص 535)، وذكر المصادر التي وردت فيها، وأسماء قائليها، ومن قيلت فيهم، ومنهم خلفاء بني أمية بالشام. وانظر المقتبس لابن حيّان ص 174 من الجزء الخامس.

(3) ب: في أمانة الله.

(4) النساء، 58.

(5) هذه التورية باسم «ميمون القداح» تخلّص من مشكلة العلاقة بين عبد الله المهدي وعبد الله بن ميمون، ثم إن القداح مهنة باري القداح، أي النبال، لا قادح النار.. (انظر رجال الطوسي ص 25 في «عبد الله بن ميمون القداح»). وقد قالوا أيضاً: القداح هو من يستخرج ماء العين المتورّمة. وعلى كل، فإن وصف الإمام بأنه قادح الحكمة كان رائجاً=

ثمّ قال للقوم: فلمّا اطّلع الله[1] (عج) من حسن نية صاحبِكم عَافَاهُ من مثل هذا التخليط وأحظاه عندنا وثبّته على حقيقة أمرِنا فسعِدتم بِسعادَتِـه وانتفعتم بحُسن نيّته وطاعته.

فشكروا له وقبّلوا الأرض بين يديه، ثمّ انصرفوا وقد مُلِئُوا سروراً بما سَمِعُوا منه.

كلام في مجلس في جواب ابن واسول:

213 ـ (قال) وسمعت الإمام المعزّ لدين الله (صلع) يقول وقد أُتِي بابن
347
*ب80و واسول المدّعي الإمامة والمتسمّي بأمير * المؤمنين/ بسجلماسة، فأمر بتصييره في سقيفة القصر في وثاق. ودخل شهر رمضان، فسأل ابنُ واسول أن يصلّيَ الجمعة خلف أمير المؤمنين المعزّ لدين الله (ص) وأخبر بذلك عنه. فقال للذي أدّى إليه ذلك عنه: قل: إنّ الصلاة وجميع الأعمال لا تقبل إلاّ بنيّة واعتقاد، ولو كنت تعتقد إمامتنا لم تَحُلَّ هذا المحلَّ ولم نكن لنبخَلَ عليك بسجلماسة ولا لها عندنا من الوزن ولا للدنيا بما فيها، وما كنّا نتكلّف في ذلك ما كنّا تكلّفناه من تَعْبِئة أوليائنا[2] في العساكر نحوك وإتعاب أنفسنا في تدبير ذلك وإقامته لك. فلو
348 كنت رغبت عَنْ نِيّةٍ منك في أن تأتمّ بنا لنِلت فضل ذلك وثوابَه/ وأنتَ وادِعٌ في مكانك آمنٌ في سلطانك بإقامتنا ذلك لك. وإذ قد أنكرت إمامَتَنَا وادّعيت

ابـن واسـول في الأسر أراد أن يصلّي الجمعة وراء المعزّ... فقـال لـه: ... صلاتك باطلة إن لم تعتقد إمامتنا

= في الأوساط الإسماعيلية بدليل هذا البيت لابن هانىء في المعز:

«مستهـديـاً بـدليـل الله تتبعـه | وقادحاً لزناد الحكمة الأول

(قصيدة 82 بيت 69)

هذا، وقد روّج أبو العبّاس المخطوم في انتقاضه على المهدي، التهمة بأنه مستودع، وأن الإمام المستقر إنما هو القائم (انظر افتتاح الدعوة تحقيق الدشراوي ص 309. وانظر كذلك التعليق 62 ص 167 لناشري سيرة الأستاذ جوذر وقد استشهدا بفقرات من كتاب المجالس.

(1) هكذا في أ و ب. وهذا التعبير معهود في النصوص الإسماعيلية، على ما فيه من ظاهر نسبة الآنية إلى علم الله.

(2) يعني الحملة التي قادها جوهر واشترك فيها زيري بن مناد وابنه بلقين أميرا صنهاجة، وجعفر بن حمدون والي المسيلة.

الإمامة[1] دوننا إلى أن أظفرَنا الله بك وأقْدَرَنَا عليك، فماذا يغنيك أن تأتمَّ بنا في صلاتنا وأنت أسيرٌ في أيدينا على ادّعائك مقامنا؟.

وإن كان الذي أردتَه من صلاتك بصلاتنا ما تبتغي به الفضل، وكان ذلك عقد نيّتك، وأنت[2] معترفٌ بإمامتنا منكر لما كنت عليه، نادمٌ راجعٌ عنه، فوالله لَيَنْفَعُكَ ذلك صلّيتَ بصلاتنا أم لم تُصلّ.

وإن كنت إنّما أردتَ أن تُرِيَنَا من نفسك الميلَ إلينا وتتوسّلِ بذلك إلى ما
349 يُرضينا، فوالله لا يرضينا منك إلاّ ما أرضى اللّهَ (عج) عنك، وإنَّ قلوبَنا/ لَبِيَدِهِ
وما يصرِفُها إلاّ لمن رضيَ عنه وارتضى عمله وأحبّ سعادته. فإن أردت منّا ذلك
فأخلِصْ * لله (عج) فيما بينك وبينه، واعتقدْ ذلك تَجِدْ ذلك عنده جلّ ذكره في *ب80
الآجل، وعندنا بما يجعلُه لك في قلوبنا في العاجل، ودع عنك التزيُّنَ بالباطل.

قال الرسول: فلمّا بلّغته ذلك تحيّرَ ولم يدر ما يقول غير أنّه/ قال: والله ما هذا إلاّ مِن كلام النُّبُوَّة، وهو ابنُ رسول الله (ص) حقاً، وهذا من ميراث حكمته.

وفي مثل ذلك:

214 ــ (قال) وأخبره عنه بعض من يجتمع معه ممّن أذن له في ذلك أن
يبسطه[3] ويسألَه حوائجَه، أنّه يسأل هل عنده من كلام أرسطاطاليس شيء؟ والذي
350 سأله/ ذلك ممّن يُعْنَى بمثل هذه الكتب. (قال) فقلت له: ما تريد من كلام
أرسطاطاليس، وأصحابُك يُنكرونه؟. مثال من فطنة المعزّ وحلمه

قال: ينكر ذلك من لا يحسن. فأدّى هذا القائلُ قوله هذا إلى المعزّ لدين الله (صلع) فقال له المعزّ (ص): قل له: لعلّك أردت من كتب أرسطاطاليس رسالته[4] إلى الإسكندر في الإبقاء على مَنْ ظفر به من الملوك، لتأخذ منها ما

(1) الإمامة هنا الخلافة.
(2) أ: وأنك.
(3) ب: وفي أن يبسطه.
(4) لعل هذه الرسالة التي يعرفها كل من ابن واسول والمعزّ هي «رسالة أرسطو طاليس إلى الإسكندر في السياسة» التي أدرجها عبد الرحمان بدوي في كتابه «مخطوطات أرسطو في العربية، القاهرة 1959» ضمن الكتب المنحولة (ص 37 رقم 19). وقد ذكر Reymond=

لعلّك تتوسّلُ به إلينا في الإبقاءِ عليك؟ قال الرجل: فبلّغتُه ذلك من قول أمير المؤمنين فبُهت إليَّ وقال لي بعد حين: ما أظنّ من نُحِلَهُمُ النبوّةَ نُحِلُّهُمْ إيّاها إلاّ من مثل هذا: والله ما عدا ما في نفسي، وما أردت إلاّ هذه الرسالةَ لمثل ما ذكر
351 أنّي أردتُها له./ ثمّ ذكر الحديث الذي يُؤثر عن رسول الله (صلع): بُعِثت وفي هاتين القريتين ـ يعني مكّة والطائف ـ أربعون رجلاً ظنُّ أحدهم كيقِين غيره[1].
قال: فإذا كان مثل هذا يوجد في سائر الناس فكيف في ذرّيّة النبيّين؟.

كلام في مجلس في فضل الولاية:

*ب 81و 215 ــ (قال) وسمعتُـه (صلع) يوماً * يقول لقوم من الحسنيّين وفَدوا عليه من ناحية اليمن ومن الحجاز وقد أحسن نزلهم ووصلهم وأذن لهم في الانصراف، ودخلوا عليه ليودّعوه، فشكروا له فاعترفوا بفضله وقالوا: نحن يا مولانا عبيدٌ لك
352 وحسبنا بذلك شرفاً وفخراً. ولقد أمَرَنا وآباءَنَا من تقدَّم من أسلافنا وعهِدوا/ إلينا في طاعة القائم[2] من أهل هذا البيت (ص) واتّباعه والتسليم به ومعرفة فضله.

وفدٌ من ذرّيّة الحسن...

فقال (صلع): من عرف والله ذلك لنا سعد واغتبط وطابت وَلاَيَتُه وصحّ دينُه. ومن أنكر خسِر دنياه وآخرته. أولاكم والله بمحمّد وأقربكم منه من أقر بفضلنـا وعرف حقّنا، وأبعدُكم منه من أنكر ذلك لنا وجهِله وادّعاه دوننا ودفعه.

... يقـرّون بإمامة المعزّ

= Weil في رسالته عن أرسطو والتاريخ (باريس 1960 ص 157) ترجمة عربية لرسالة من هذا النوع وقال إنها منحولة.

(1) الحديث: لم نجده في المصادر المعروفة.

(2) القائم عموماً اسم يطلق على «صاحب كل زمان»، أي الناطق لكل دور، أي النبي المرسل، «بما يقوم به من نشر العلوم والحقائق» (زهر المعاني لعماد الدين إدريس، ص 437).

وتطلق عبارة القائم خصوصاً على آخر ناطق يختم دور الستر، ويفتح دور الكشف، وهو المعروف عند الإسماعيليين بـ «قائم القيامة».

وفي هذا النص تعني عبارة «القائم» الإمام المنتصب بقطع النظر عن كونه يختم دوراً أم لا.

ونستنتج منه أن ذرية الحسن يعترفون بإمامة ذرية الحسين، وهو اعتراف لم يشمل كافة الحسنيين، بدليل مقاومة الأدارسة للفاطميين (انظر فصل «الأدارسة» بدائرة المعارف الإسلامية).

إنّ الله (عج) يقول: ﴿إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ﴾[1].
وقال حكاية عنه (عم): ﴿فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي﴾[2]. فَلَوْلاَ اتِّبَاعُ من اتَّبعه إيَّاه لم يكونوا منه، وأولى به. ونفى الله (عج) عن نوح ابنَه إذ خالفه فقال: ﴿يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ﴾[3]. فباتّباع أولياء/ الله وطاعتهم والتسليم 353
إليهم ومعرفة حقِّهم وفضلِهم نجاً مَن نجا من ذرّياتهم وغيرِهم، وبخلافهم وعصيانهم وإنكار فضلِهم هلَكَ مَن هلك ممّن قرُب أو بعُد منهم. ولن يقرّبَ الله (عج) منهم إلاّ من قرّبتْـه أعمالُه الصّالحةُ.

كلام في مجلس خاطب به المعزّ (ص) ابنَ واسول لمّا أتي به أسيرا:

216 ــ (قال) وأدخل المعزّ لدين الله (ص) ابن واسول إلى نفسه بعد عدّة[4] * أيّام من وصوله، وهو في وِثاقِهِ. فلمّا مثُل بين يديه أمره بالجلوس *ب81
فجلس، فأمسك عنه حتّى رأى أنّه سكن روعه. ثمّ أقبل عليه من غير تجهّم فقال: ما الذي حملك على ما ادّعيتَه وتسمّيتَ به؟.

قال: الحَيْنُ والجهل يا أمير المؤمنين (ص).

قال:/ أوَ تحتجّ في ذلك بحجّة؟. 354

قال: معاذ الله! ما عندي في ذلك من حجّة إلاّ الاعترافُ بالجهل والخطأ على نفسي. ونظر إليّ كالمستشهِد بي. وذلك أنّه قال لبعض من فاوضه: بلغني أنّ القاضي له تأليف، وكنتُ أحِبّ أن أرى منه[5] شيئاً. فلمّا عرّفني ذلك الذي قال له، بسطتُ له كتاباً في الحجّة عليه[6] فيما ادّعاه من الإمارة بغير عَقد إمام، وما تعدّى إليه بعد ذلك من ادّعائه الإمامة وتسمّيه بأمير المؤمنين وتلقّبه بالشاكر لله، والرّد فيما بلغنا أنّه احتجّ لنفسه بذلك. فتعاظم ذلك لمّا انتهى إليه، ابن واسول يتوب أمام المعزّ من ادّعائه الخلافة

(1) آل عمران، 68.
(2) إبراهيم، 36.
(3) هود، 46.
(4) أ و ب: مدة، والإصلاح من عيون الأخبار، 622.
(5) أ : وكتب أحب.
ب: كنت أحسب.
(6) هذا كتاب آخر من مؤلفات النعمان لم يصلنا.

واعترف بالخطإ والجهل على نفسه. وعلم بذلك أمير المؤمنين (ص)، فقلت له:
355 يا أميرَ/ المؤمنين (ص) بمثل هذا مِن قوله اعتصم وعليه عوّل[1]. فقال له (ص): فتحلف بالله وتشهدهُ على قولك أنّه اعتقادك ونيّتك؟ فحلف على ذلك وأشهَد الله (عج) على نفسه[2] أنّ اعتقادَهُ ونيّتَه كالذي أظهر وقال به.

ثـمّ جعـل أمير المؤمنيـن (ص) يبسّطه ويسأله عن أخباره وأخبار البلد الذي كان به. ثمّ إذا مضى في ذلك عاوده في ذكر حجّةٍ إن كانت عنده في دعواه، فيرجع إلى الاعتراف بالخطإ والجهل على نفسه.

فكان فيما سأله عنه (صلع) أن قال له: ما يقول الناس عندك فينَا وينسِبونَنَا
*ب82و إليه في الذي ننتحِلُه ونقول به؟ فسكت. فقال له: قل ما عندك من ذلك * وما قيل
356 لك فيه فإنّا لا نأنف من سماعه/ ولا نُنكرُ عليك أن تقوله وإن كان من أفحش ما قاله المُبطلون الظّالمون. إنّما يأنف من سماعِ المكروه فيه عمَّن نَسَبه إليه، من كان من أهله، وكان يعلم أنّ الـذي قيل هو عليه، فيغتمّ لذلك إذا أبداه الله (عج) عليه، وأشهره به، وعلمه الناس منه، فيستحي لذلك. فأمّا من علم ما بينه وبين الله، وأنّه نسب إليه من المكروه ما ليس فيه وما لم يفعله، ممّن له تَمَيُّزٌ وعَقلٌ، فإنَّ سماعَ ذلك ممّا يحبّه لما يرجوه من ثواب الله (عج) عليه، وانتقامه ممّن قاله فيه ونسبه إليه. ونحن نُحبّ سماعَ مثل ذلك ونشتهيه. فقل ما بلغك عنّا ولا ترجع عن شيء منه!.

357 فقال: إن رأى أمير/ المؤمنين (ص) أن يُعفِيَني من ذلك فليفْعَلْ، فإنّ لساني لا ينطاعُ للقول بذلك.

تبرّؤ المعـزّ مـن دعاوي الناس ضدّ الأئمّة

فقال له: أليس فيما بلَغنا أنّه انتهى إليك عنّا أنّـا ندفَعُ نبوّة محمد (ص) وندّعي النبوّةَ بعدَه، وندفعُ سُنّته وشريعَتَه وندعو إلى غيرهما؟ فسكت. فقال لَهُ أمير المؤمنين: ويحك قل! أليس قد بلغَنا أنّ ذلك ممّا قيل لك عنّا ونسب إلينا؟.

قال: نعم.

فقال (عم): فلعن الله من قال بهذا وانتحلَه وادّعاه ومن تقوَّله علينا، ورمَانا

(1) أي: اعتذاره بالجهل والخطإ.
(2) ما بعد «قولك» إلى «نفسه» ساقط من ب.

به ونسبه إلينا! فكيف نقول ذلك أو ندّعيه، وشرَفُنَا الذي جَلْبَبَنا اللّهُ جِلبابه وفخرُنا الذي ألبسنا أثوابَه، بجَدّنا محمد (ص)؟ فبِهِ علَوْنا على الأمم، وبه فخرنا على العرب والعجم! فكيف ندفَعُ/ نبوّتَه أو نُنكِرُ فضلَهُ أو ندّعِي أنَّ ذلك لنا دونه؟ 358
واللّهِ لو بعث الله نبيّاً بعده * ـ وكلاّ، لا يكون ذلك! ـ لكُنّا لتمسُّكِنا به أبعدَ *ب82
الناس وأرغَبَهُمْ عنه. إنَّ بني عبد شمس[1] عادَوْنا فيه وأبغضونا من أجله لمّا قال قائلُهم: أطْعَمْنَا وأطعَمْتُم وفعَلْنا من الجميل مثلَ ما فعلْتُم حتّى إذا كنّا كفَرَسَيْ رِهان قلتُم: مِنّا نبيّ! واللّهِ لا سلّمْنا ذلك ولا أقرَرْنَا به إليْكُم[2].

فإذا كنّا نحنُ ندعو إلى البراءة من شريعة جدّنا محمد (صلع)، فمن ذا يدعو إلى الاعتصام والتمسّك بها؟ بل والله فإن قلنا إنّ الله (عج) أورَثَنا شرفه ومجده وفخرَه، وأقامنا أئمّةً للأمّةِ بعده، وأوجَب لنا على الناس من الطاعة بعده مثل الذي كـان/ يجب له، لقد صدقنا لقول الله (عج): ﴿أطِيعُوا اللّهَ/ وَأطِيعُوا الرَّسولَ 359
وَأُولِي الأمْرِ مِنكُمْ﴾[3]. فنحن والله أولو الأمر الذين تعبّدَ الخلائقَ بطاعتنا، وأهل الذكر الذين أمرَهم بسؤالنا على رغم مَن جَحَد ذلك وأباه لنا. فهذا هو فضل الله (عج) علينا ونَعمتُه لدَيْنا، التي لا ننهض بأعباء شكرها إلاّ بعونه لنا. وهي الخطّة التي لا ينافسنا فيها إلاّ دعيٌّ مكابِر ولا يدفعُها عنّا إلاّ ضالٌّ كافر. وما بعدَها من خطّة فندّعيَها ولا فوقَها من رتبة فنسمُوَ إليها. وحسبُنا إن بلغْنا شكرَ نعمة الله (تع) عليها، فكيف ندَعُها وندّعي ما يَصْلِي اللّهُ من ادّعاه النارَ، ونقول بقول من أبطل نبوّةَ جدّنا محمد (صلع) من الكفّار/؟ واللّهُ سائلٌ مَـن قَوَّلنا من ذلك ما لم نقُلْهُ 360
ومؤاخِذُه بقوله.

ثمّ قال له (عم): هات غيرَ هَذا ممّا قيل لك فينا[4].

قال: ما أعرفه يا أمير المؤمنين، وفيما قلتَه محضُ الإيمان * واليقين. *ب83و

قال: بلى! لقد بلغنا أنّه قيل لك إنّا نعبُد رأساً عندنا يُكلّمنا ونسجُد له من

---

(1) أي بنو أمية.
(2) قولة الأمويين: انظر ص 215،
(3) النساء، 59.
(4) في ب: مما قيل لك فينا ما لم نقله ونؤاخذه بقوله. ويبدو أن الزيادة منقولة سهواً من سطر سبق.

خرافة الصنم المعبود عند الفاطميّين، الذي ينثر لهم الذهب

دون الله ويَنْثُرُ لنا من فيه الدنانيرَ.

قال: سَمِعْنا من يقول ذلك.

قال له أمير المؤمنين: فأيُّ رأسٍ قالوا هذا الرأسُ، رأسُ إنسان أم بهيمةٍ أم حيّةٍ أم ما هو؟.

قال: لا أدري ما يقولون لعَنهم الله.

فقال (عم): بلى والله، إنّا لنعبُد رأسَ كلّ شيء وَإلاَهَهُ وخالقَه: الله ربَّ العالَمين، وهو الذي أعطانا وفضّلنا واصْطفانا وكرّمنا.

قال: كذلك هو والله يا أمير المؤمنين.

361 قال أمير المؤمنين: فالعجَب من/ هذه العقول الناقصة والأوهام الفاسدة التي تقبل مثل هذا المُحال من المقال وينطبع فيها ويثبُت عند أهلها حتّى ينسبُوه إلى أحد أو يقبلُوه من قول قائل، أو أن يصدّقوا به لو قد رأوه بأعيُنِهم أو سمعوا من يدّعِيهِ بآذانِهم[1].

كلام في مجلس في تناول ما أحلّ الله وترك الرَّباء[2] بتركه:

لا إفراط في التقشّف

217 ـ (قال) وذكر (صلع) الشهوات وقول الله ((تع): ﴿أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ﴾[3]. فقال: إنّما عنى الله (عج) بهذا القول الشهواتِ المحرَّماتِ. فأمّا من اشتهى ما أحلّ الله وأباحه فلا حرَج عليه فيه أن ينالَه إذا قدر عليه وأمكَنَه. إنّ الله (عج) قد خوَّلنا وأعطانا من الدّنيا ما أعطانا، فما أعلَمُ أنّي
362 حَرمت نفسي/ ما أشتهيه منها، ولكنّ الله بفضله وإحسانه إليّ عصَمَني من أن أشتهيَ شيئاً حَرَّمَه عليّ، لا والله لا أنظر إلى محارم الله إلاّ بعَيْن المقت لها ولا
*ب83 تميلُ نفسي بحمد الله * وفضلِهِ عليّ إلى شيء منها، وإنّ المعاصي عندَ الظالمين

(1) تعرض فرحات الدشراوي إلى هذه «المناظرة» في الفصل الذي كتبه عن أسر ابن واسول في مجلة «الكراسات التونسية» سنة 1956 ص 295. وقد نقلها الداعي إدريس في العيون، 624 ـ 625.

(2) الرَّباءُ بالفتح والمدّ: الطَولُ والمِنّة، أي التبجّح بترك ما أحلّه الله لنا.

(3) مريم، 59.

لأشهى من الحلال وهم فيها أرغبُ ولها أطلَبُ. فالحمد لله الذي منّ علينا بالعِصمة ولم يجعل لنا فيما حرّمه علينا شهوةً. ولو حرّمْنا ما أحلَّه الله لنا ومنَعْنا منه أنفُسَنا وقد أباحَنا إيّاه وَمَلّكَنَاه، لكُنَّا قد دَفَعْنا حُكمَه وخالَفْنَاه ورددْنَا ما تفضَّلَ به علينا وكرِهنَاه، وتحريمُ حلالِ الله وكراهيَتُه كتحليلِ حرامِه وإباحتِه. إنّ الله (عج) يقول في كتابه: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ/ اللَّهِ التِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ 363
وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ (...) قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ القِيَامَةِ﴾[1].

رؤيا رآها المعزّ لدين الله صلوات الله عليه:

218 ـ (قال) ولما قرب وصول الجيش من المغرب إلى الحضرة أمر الإمام المعزّ لدين الله (عم) لابن واسول وابن بكر[2] بعمل عجلتين ليكون كلّ واحد منهما على واحدة تجرّ به في حين النّداء عليه. وذلك ممّا لم يُعلَم أنّه سُبِقَ إلَيْه ولا رآه أحد. وجعل يصفُهُما للنّجّارين، فقال: يُجعَل سَطحٌ من ألواح وعلى خشَبة مصلّبة وتُرفَعُ على أربع فِلَك ويُبْنى عليه بُرْجٌ من ألواح[3] واسع الأسفل ضيّق الأعلَى، يكونُ طوله عشرَة أذرع، ويكون في أسفله قفَص من خشَب ويُشَقُّ له من خلفه/ بابٌ يُدخَلُ فيه أسِيرٌ[4] ويغلق عليه، وله سقفٌ، 364
فوقَهُ تابوتٌ من البرج؛ له باب يُفتَح ويُغلَقُ، وفيه شبّاكٌ يسيرٌ بِمقْدارِ ما يدخُل منهُ الضَّوْءُ، وفي وسط القفَص خشبة عظيمة كصاري المركبِ في أسفَلها مزوّد على سَطح السّرير يخرج من وسَط سقف القَفص وسقفِ التّابوت الذي فوقَه، ويظهر على سقفه منها مثلُ قامةٍ، وعلى رأسها سريرٌ بِمقدارِ ما يجلس فيه الجالس حوله حاجزٌ من شبّاك مخروط يمنع من السّقوط عليه. وَلْيَكُنْ في التابوت رجلاَن لا يُرَيَان وفي الخشبَة معَهُما وتدان بهما يُديرَانها فيدُورُ السرير

(في الهامش: أمر المعزّ يبتكر صفة قفصين عجيبين...)

(1) الأعراف، 32، وقد اختصرها الناسخ بقوله: ... إلى يوم القيامة.
(2) أحمد بن بكر: انظر ص 351 هـ3.
(3) ما بعد ألواح الأولى إلى الثانية سقط من ب.
(4) في المخطوطتين وفي ع 613: «أسد» ولا معنى له، ما دام القفص مصنوعاً للأمير المهزوم.

365 الأعلى بمَنْ يكُونُ عليه ليرى كلُّ مَن حولَه وجهَه/ ولا يعلمون بمَ يذيره.

فتعجَّبْنا لذلك لمّا عُمِل[1] ورأيناه، كيفَ اخترع ذلك واهتدى إليه صلوات الله عليه.

فقال (عم): رأيتُه فيما يرى النائم قبل أخذِ هذيْن الفاسقَيْن بمدّة فجعلت
*ب84و أنظر إليه كما هو الآن * بين يديَّ وأقلّبُه وأقول: ما هذا؟ فيقال لي: هذا يكون ينادَى على أعدائك عليه، ففهمتُ صورتَه وعَمَلْتُه على ذلك[2].

كلام في عقوبة الملحدين في أولياء الله:

219 ـ (قال) وذكر المعزّ لدين الله (ص) رجلاً أصابه بلاء عظيم في نفسه ووصف ما صارت حاله إليه. وكان هذا الرجل قد ألحد في أولياء الله وغلا في
366 دينه. وقد كان قُلِّدَ شيئاً منه، وناله بسبب ذلك من سُخط الأئمّة/ ما نعوذُ بالله منه. فقال المعزّ لدين الله (ص) لمّا ذكر ما صارت حالُ هذا الرجلِ إليه: ما ألْحَدَ أحَدٌ فينا ولا أراد إدخالَ النقص على شيء من أمْرنا إلاّ ابتلاه الله في عاجل الدنيا ببلاءٍ يكون به نَكَالاً. ولَعَذَابُ الآخرة أخزى وأشدُّ وأبقى، وإن كان أهلُ العذاب في الآخرة قد يجِدُون بعضَ العَزاء بمن يرَوْنَه معهم من المُعذَّبين فيها بذنوبهم. والمعاقَب في هذه الدنيا بمثلِ هذه العقوبة لا يَرى مثلَه فيتعزّى به.

المعز يحذّر من غلوّ المغالين من دعاته...

ثمّ قال (عم): إنّه قد أصابته ـ يعني هذا الرجل ـ لعنة ثلاثة أئمّة. وإنَّ لعنة الإمام من أشدِّ عذاب الله لا تُخْطِيءُ فيمن قصَدَتْه ولا ينجو مَن أصابته، ولا والله
367 ما يُرسلها أولياء الله إلاّ على مُستحقِّها بعد أن لا يَرَوا له مَحيصاً منها/ ولا يجدوا له بُدّاً منها. فأمّا ما داموا يرجُون من المرء أوبةً أو يَطمَعون له بتوبةٍ فإنّهم يعفُون ويصفَحُون ويَتَغَافَلُونَ ويغتفرون، لما جبلهم اللّهُ (عج) عليه من الرأفَة والرحمة

(1) في أ: لذلك العمل، والإصلاح من ب.
(2) نفهم من هذه الرواية العجيبة أن القفصين اللذين ذكرهما المؤرّخون لم يتّخذهما جوهر بالمغرب، بل صنعا خصّيصاً للاستعراض الذي كان ينوي المعزّ إقامته بالمنصورية احتفالاً بنصر جيوشه، على غرار ما كان يصنعه أباطرة الرومان عند عودتهم بالأسرى وأسلاب الحرب إلى روما.

والصفح وإقالَةِ العثرة. ثمّ ذكر مِن تجاوز هذا الرجُل وتعدّيهِ وما أدخل على الدين من الشبهة * على ضعفاء المؤمنين ما يطول ذكره. *ب 84

قال: ولقد تقـرّر عنـد المنصور بالله (ص) أنّه يقول: عندنا من حكمة الله وعلمه ما نُزيل به الجبال ونخرُق به البحارَ، ولنا من أوليائنا في الدين من تزول السموات والأرضُون، ولا يحول ولا يزولُ. فأعظم ذلك المنصورُ بالله (صلع) من قوله وأحضر/ جماعةً من الأولياء فذكر ذلك لهم عنه ولعَنه. 368

ثمّ قال المعزّ لدين الله (صلع): أعظم آيات موسى (عم) فلق البحر، وفي ذلك كلام[1]. فهذا الشقيّ ادَّعَى فوق ذلك لنفسه وهو يُنْسَب إلينا ويدّعي عِلْمَنا ومذهَبنا وقولَنا، ونحن نبرأ إلى الله من دعواه وقولِه وما يَنْسِبُه إلى نفسه، أن يُنْسَبَ إلينا وإلى من يتّصل بنـا. إن الله (عج) قد فضّلنا وشرَّفَنَا واختصّنا واصطفانا واجتبانا وافترضَ طاعتَنا على جميع خلقه وجعلنا أئمّةً لجميع عبادِه وأسبابَهم لدَيْه ووسائلهم إليه والوسائط بينهم وبينه، وكفى بهذا فضلاً وشرفاً. ونحن من الاعتراف في ذلك بفضل الله (عج) وإحسانه/ إلينا والتذلّل له والتواضعِ فيما 369
منحَنا إيّاه بحيث تبلغُه طاقتنا، فمَن ادَّعَى لنا أو لنفسِه بنا فوقَ ذلك فعَلَيْه لَعنة الله وغضبُه، ونحن بَراء إلى الله تعالى منه ومن إفكه. واللّهِ ما يُريد بنا من زادنا على حقّنا الذي منَّ الله تعالى به علينا إلاّ وَضْعَنَا، واللّهُ يضع من أراد ذلك ويُخزيه ويُركِسُه ويُقْصِيه.

... فهم على الحقيقـة أعـداء للدعوة

ثمّ قال (عم): سمعت القائم بأمر الله (عم) يقول: إنّما أراد الدعاة إلى النار الذين انتسبوا إلينا بما نحَلُونا إيّاه أنّا نعلَمُ الغيب وما تجُنُّ الصدور، وأشباهَ * ذلك ممّا افتَرَوْه علينا ونسَبُوه إلينا، أن يجعَلُوه عُدَّةً لنِفاقهم. فمتى *ب 85
أظْهَرُوا النفاقَ قالوا لمن دَعَوْه إلينا/ : ليس عند هؤلاء ما وصفنا لكم في الأئمّة 370
الذي دَعَوْنَاكُمْ إليهم، كما قال ذلك بعضُهم، فهلك وأهلَك به خَلقاً من الناس.

---

(1) إشارة إلى الآية 63 من سورة الشعراء: ﴿... اضرب بعصاك البحرَ فانفَلَقَ...﴾ وقوله: في ذلك كلام، كأنه إشارة إلى تأويلات مختلفة لانفلاق البحر، فرجعنا إلى تفسير الكشاف للزمخشري وتفسير البيضاوي وتفسير التحرير والتنوير للشيخ الطاهر ابن عاشور فلم نجد تساؤلاً أو شكاً أو تأويلاً.

ثمّ قال المعزّ لدين الله (ص): إنّ المنتسبين إلينا المتقوّلين ما لم نَقُلْه أعداءٌ لنا وأضرُّ مِن عَدُوّنا المناصِب لنا المبايِن بعَدَاوَتِنا: هؤلاء يدخُل من أجلهم الشبهة في أمرنا بما يُظهِرونه من تولّينا، [و] أولئك قد بايَنُونا وأضجروا الناسَ بعداوتنا فليس يدخُل من أجلهم شُبْهَةٌ علينا، فَهم أقلُّ ضرراً لنا ممّن تولاّنا وخالف أمرَنا وافترى البهتانَ علينا.

الجـزء العشـرون

[بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ]

كلام في/ مجلس في الردّ على بعض المتكلّمين: 371

220 ـ قال القاضي النعمان بن محمد: ذكرت للإمام المعزّ لدين الله (ص) ما يقولُه[1] القائلون بحجّة العقل. فقال لي: يا نعمان أتظنُّ[2] أحداً يدفع أن يكون عاقلاً؟ إنّك لو سألتَ أيّ مجنون شئت أن تسأله، عن عقله لقال لك: إنّي من أعقل الناس. فالناس كلّهم يدَّعُون العقلَ وهم مختلفون في المذاهب. فمنِ ادّعى منهم حُجَّةَ عقله لمذهبه/ لم يَعْدَم مخالفاً له منهم يدّعي دعواه لنفسه، ولكن ثَمَّ شيءٌ يصِحُّ به قولُ[3] المحقّ وتَبطُل به دعوى المبطل، ويميّز بين العقل والجهل.

المعزّ لا يؤمن بحجيّة العقل...

قلت: ما هو يا مولاي؟

فأطرق ساعة متبسّماً ثمّ قال: العاقل/ هو المطيع لله (عج) العامِلُ بأمره، 372
المنتهِي بنهيه، الآخذُ عنه وعن أوليائه. والجاهل، العادلُ عن ذلك، المتعاطِي
علمَ ما لم يأتِ عن الله ولا عن رسوله (صلع) *. فهذا فرقُ ما بين العاقلِ *ب85
والجاهلِ. كما أنّ الفَرْقَ ما بين الخير والشرّ الإباحةُ والحَظْرُ، فما أمرَ الله (عج) بِهِ وأباحَه لخَلْقِه وندَب إليه عبادَه، فالخيرُ في إتيانه، وما حَرّمه ونهى عنه وحظَرَهُ فالشرُّ في اقترافه وتناوُله. فليس بالأعيان عُرف الخير والشر، ولا بالعقل عُلم العدل والجَور، ولكن بتحظير الله (عج) وإباحته وأمْره ونهيه وتحليله وتحريمه علمُ ذلك ومَيْزُ[هُ]. ولو كان ذلك مصروفاً إلى عقول الخلائق وتميُّزِهم

الحسَنُ ما حسّنَهُ الله والقبيحُ ما قبَّحه

(1) أ: يقول.
(2) ب: انظر، أ: أتنظر.
(3) أ: قدر.

373 لاستحسنوا كثيراً / ممن القبح ولاستقبحوا كثيراً من الحسن.

فمَن زعم أنّه يقطع بحجّة عقله في تمييز ما بين الخير والشرّ والعدل والجَور بغير ردّ إلى كتابِ الله، ولا أخذٍ عن سنّة رسول الله (ص)، ولا أثَرة علمٍ عن أولياء الله، فقدِ اختلق الإفكَ[1] والزُّورَ، وتمسّك بالباطلِ والغرور. ومن اتّبع أمر الله وأمرَ رسولِه وأخذ عن أوليائه[2] فقدِ اعتصم بحبل الله المتين، واستمسك بالعروة الوثقى، وفاز بالسهم الأوفى.

لا علمَ صحيحاً دون الأئمة

خذ هذا الأصلَ إليك فإنّهُ قاطع لحجّة[3] كلّ من تعاطى علماً دون أولياء الله ورَغِب بنفسه عن ردّ ما لا يعلمه إليهم[4] كما أمره الله.

374 قلت: آخذه واللّهِ بشُكْرٍ مِن معدن/ العلم وخلَف أهلِ الذكر. وقبّلتُ الأرض شكراً له.

وبنيت على هذا الأصل، وتفرّعَتْ منه فروعٌ كثيرة احتجَجْتُ بها في كثير ممّا ألّفتُه من الكتب، فكانت حججاً قاطعةً نافعة[5]. والحمد لله على ما منَحني من موادّ وليّه ومنًّ به عليّ من بركة حِبائه ورَحْمته، صلوات الله عليه.

كلام في بركة التوسّل بأولياء الله (ص):

221 ـ (قال) وركِب المعزّ لدين الله (ص) ركوباً للعامّة فلقيَه الناس في حوائجهم، ولَقِيَه رجل تاجـر من إخواننا وسلّم عليه، وقبّل يدَه، ومرّغ عليها *ب86و وجهَه *، وأهوى إليه برقعةٍ ليدفعَها إليه، فحال الناسُ فيما بينَهُ وبينه، فانصرف 375 إليّ وأنا في الموكب معه (ص)، فقال: ذهبَ لي غُلامٌ وأردت رَفع/ بطاقةٍ إلى مولانا (ص) ليأمُر لي بطلبه فحيل بيني وبين ذلك، ولم أصِلْ إليه.

قوم من البربر يهربون بغلام...

فلمّا كان من غد، لقيَني فقال: ما زلْنا نتعرّفُ من أولياء الله ما فيه البواهرُ والمعجزاتُ من أمورهم. (قال) ذكرتُ لك بالأمس ذهابَ العبد واغتمامي بذلك،

(1) ب: اختلق الباطل الافك.
(2) ب: أولياء الله.
(3) ب: قطع بحجة.
(4) أ: يعلم. وفي النسختين: عن الرد إليهم ما لا...
(5) أ: نافقة.

وأنّي لمّا لقِيتُ مولانا (صلع) وسلّمتُ عليه، قلتُ في نفسي: اللهمّ إنّي أتقرّب إليك وأتوسّل بوليّك في جَمْع ضالّتي وردّها عَلَيّ ـ وقد كان العبدُ ضلّ عنّي منذ أيّام ـ فوالله ما هو إلاّ أن انصرفت فلقيَني رجلٌ ما أعرِفه، فقال: ذهب لك شيء؟.

قلت: نعم، غلام.

قال: فهب لي شيئاً وأدلّك عليه.

قلت: ما تريد؟

قال: ثلاثة دراهمَ. فدفعتها إليه،/ ومضى بين يديّ حتّى صرنا إلى قصر 376
خَلِق، فإذا أنا بجماعة من البربر، والغلامُ معهم والمكان خالٍ كما تعلم في فحص ... فيسترجعه
أفيح[1]. فلو أرادوا أخذي مع الغلام أو سَلْبي لفعلوا. فلما رآني الغلام جرى مولاهُ منهم ببَرَكة المعزّ
إليّ، وهرب القومُ وتركوه لي، فانصرفتُ به بين يديّ.

ودفع[2] إليّ رقعة ذكر فيها ذلك، وقال: سألتك بحقّ وليّ الله إلاّ دفعتَها إليه.

فدفعت الرقعة إلى أمير المؤمنين (ص). فلمّا قرأها تبسّم، فقلت: يا مولاي أقسم عليّ هذا الرجلُ بحقّك في إيصالها إليك.

وأوقفني[3] على ما فيها، فقلت له: عندنا من هذا ما لا نُحصيه عدداً.

فأطرق أمير المؤمنين (ص) كالمستخذيء[4] لفضل الله عليه/ وقال: 377
الحمد لله على ما وهبنا ومنّ به علينا.

وفي مثل ذلك من بواهر أولياء الله (صلع):

222 ـ (قال) وسمعته (صلع) * يقول: أخبرني فلان ـ وسمّى رجلاً كان *ب86
قد قدِم إليه رسولاً من بعض دعاة أهل المشرق بأموال من أعمال المؤمنين وأمتعة

---

(1) «أ» و «ب»: في فحص أقبح.
(2) مولى الغلام.
(3) أ: وأوقعني.
(4) استخذأ واستخذَى: انقاد وخضع، والأصل فيه الهمزُ.

رسول بأموال الدعاة إلى المعزّ يسلم من الجباة

في أحمال[1]، وكان من ثقات المؤمنين أهلِ الصدق والأمانة ـ أنّه مرّ في طريقه بالمشرق بأصحاب مكس[2] يُغرِمون الناس على[3]/ أحمالهم وهو في رفقة[4] عظيمة، قال: فأخرجت[5] ما يلزمني لهم من الدراهم، وأمسكتُها بيدي، وقعَدوا على مضيق لا يمرّ بهم إلاّ البعيرُ، وكلّ[6] من مرّ بهم دفع إليهم بقدر ما معه.
378 (قال) وقعدوا على/ ثلاثة مواضع موضعاً بعد موضع، يُغرِمونَ كذلك لا يكاد أحد أن يخفى عنهم، ولا يمرّون بهم إلاّ وِحْدَاناً. (قال) فمررت بالقوْم الأوّلين، فلا والله ما منهم[7] أحد نظر إليّ ولا عرَض لي، كأنّ الله قد طمَس أعينَهم عنّـي، فَمَا كلّمني أحدٌ منهم. ثم مررتُ كذلك بالآخرين الذين بعدَهم، فكان ذلك سبيلهم، ما عرض لي أحد منهم.

ثمّ قال المعزّ (صلع): فذكرت ذلك لفلان، يعني رسولاً أيضـاً قدِم بمثل ذلك من قِبَل ذلك الداعي، وهو رجل أيضاً من أهل الصّدق والوَلاية والأمانة. (قال) فحلف لي بالله لقد كان ذلك حاله فيما اجتاز به، وما عرَض له أحد فيه
379 لكأنّما سكَرَت[8] أبصارُهم عنه/ .

كلام في مجلس جرى في ذكر المحسن:

المعزّ يتساءل عن سبب تغلّب الخلفاء العبّاسيّين

223 ـ (قال) وذُكِر له (ص) يوماً ضعف المتغلّبين من بني العبّاس بالمشرق ومن يأتمُّ بهم، ويدعو إليهم، ويتسمّى بطاعتهم، ووهَنُ أمورهم، وما أيّده الله به وشدّد من[9] سلطانه، وأكّد من عزّه، وبسط من قدرته، وجرى بذلك القولُ. وقال بعض من في المجلس: أرجو أنّ وعدَ الله قد قرب[10]، وهذا ـ إن

(1) أ: أعمال.
(2) أ: بياض بمقدار كلمة.
(3) أ: عن.
(4) أ: رقعة.
(5) ب: فخرجت.
(6) ب: فكل.
(7) ب: منعهم.
(8) سكر البصر (بالمعلوم والمجهول): تحير وحبس عن النظر.
(9) أ: وما أيده الله وشدد سلطانه.
(10) أ: قريب.

شاء الله (تع) ـ أوانُ الفرَج.

فقـال المعزّ (صلع): فماذا تقولون فيما مضى على آبائنا من المِحَن ولهؤلاء المتغلّبين من * الإقبال والدَّوْل؟ أذلك شيء أعطاهُم الله إيّاه أم غلبوا على أمره فيه؟. *ب87و

فقالوا: الله ووليُّه أعلم.

380 فقال (عم): إنّه كان فيما أوحى[1] الله (عج) إلى داود:/ يا داود إنّ وَلَدَك سيكون منهم من بعدك ما يوجب عقوبتَهم، وإنّي لست أنزَعُ منهم ما أعطيتُك، ولكن من عصاني منهم فبالعَصَا أقَوّمُه. ثم تنفّس الصّعداء (ص) وقال: في هذا مقال له مقام. وإنّه فيما يروى أنّ القائمَ منّا إذا أسنَدَ ظهرَه إلى الكعبة البيت الحرام، وقام خطيباً للناس[2] فحينئذٍ يقوم لكلّ[3] ما عنده.

تقوم الساعة مع قائم الزمان من الأئمة

فقبّلنا الأرض وقلنا: نسألُ اللَّهَ أن يجعَلَنا ممّن يلحَقُ[4] ذلك ويفوزُ بمشهَدِه بين يدَيْ وليّه وابن نبيّه.

كلام في بواهر أولياء الله (ص):

224 ـ (قال) ونظر المعزّ (ص) يوماً إلى بستان قد اغتَرَسَه وحوّط عليه بجهة وادي القصّارين[5]، وكان ذلك الموضع موضعاً موحشاً قَبْلَ ذلك خالياً،/ 381 بعيداً من حدّ المدينة، لا يظنّ أحد أنّه يُحتَاج إليه لشيء، فلمّا اغترسَه (ص)، وأدار عليه حائطاً، وأجرى فيه النهرَ، أينَع بأصناف الشجَر والرياحينِ والخضر والنوّار، وصار من أحسن بستان رآه الناس.

المعزّ يعمّر موضعا بوادي القصّارين...

(1) ب: أوصى.
(2) ساقطة من أ.
(3) ب: بكل.
(4) ب: يحلق.
(5) وادي القصارين: مسيلة صغيرة متصلة بوادي زرود، تفصل بين المنصورية والقيروان وترتبط بالمجرى الكبير جهة الشرق. ذكره ابن عذاري (البيان ج 1 ص 243): «... فمالوا (العسكر) إلى وادي القصارين وإلى باب تونس أحد أبواب القيروان، فنهبوا ما كان عند القصارين». وفي اللسان (قصر): القصار والمقصّر المُحوِّر (الغاسل) للثياب لأنه يدقّها بالقصرة التي هي القطعة من الخشب.

... بإشارة من المنصور فيصبح بستاناً زاهراً

فقال المعزّ لدين الله (ص) يوماً وقد نظر إليه: لقد مررت يوماً بهذا الموضع وأنا مع المنصور [وَ] فيه حُفَرٌ يُضرَب منها الطوب أو يُنقَل منها[1] تُراب. (قال) فقلت: وما الذي يرادُ من هذا الموضع يا مولاي، والانتفاعُ به في مثل هذا من ضرب الطوب ونقلِ التراب أحسنُ؟ [قال] فنظر إليّ وتبسّم وقال: امنَعْه[2]
*ب 87 على كلّ حال وسوف * تحتاج إليه.

382 قال المعزّ (ص): ففعلت ما أمر[3] به لترك الاعتراض/ عليه وأنا أرى أنّي لا أحتاج إليه ولا غيري لشيء أبداً. (قال) فوالله ما أفكَرْتُ في قول المنصور (صلع) هذا إلاّ اليومَ، كأنّهُ شيءٌ قد كان عرفه (صلع).

كلام جرى في مجلس فيما يريده[4] وليُّ الله لأوليائه من الخير:

المعزّ يشكو العجز من بعض الأولياء...

225 ــ (قال) وذكر المعزّ (ص) يوماً رجالاً من رجال الدولة فاستَعْجَزَهُم عمّا كان يؤمّله منهم ويرجوهم له، وقَصَرَ بهم عن أن يبلُغوا أملَه فيهم ومحبوبَه لهم من العلم والأمانة والكفاية فيما يريدهم له، ويؤمّلُه أن يبلُغَ بهم إليه من درجات المعالي. وقال: عجبتُ لقوم قد ساق الله (عج) إليهم سعادة الدنيا
383 والآخرة فخلّفوا أنفسهم عمّا سيق إليهم منها والله إنْ أريدُ بهم إلاّ أن/ يكونوا أعلامَ الناس ورؤساءَهم، وما أحبّ أن يسبُقَهم أحد إلى فضيلة ولا مكرُمة ولا قربِ حالٍ منّي ولا حُسنِ منزلة، لكنّي لم أجد فيهم كلَّ ما أريده.

والنعمان يعتذر عنهم بصعوبة التخلق بأخلاق الأئمة

فقلت: يا مولاي، ومن ذا تجدُ فيه كلّ ما تريده، والذي يريده أولياءُ الله من العباد ما لا يكون إلاّ فيهم (ص)، فهم الذين أبانَهم الله (عج) بالكَمَالِ، وأعجزَ الخلقَ عمّا أبانَهم به. ولولا فضلُ أولياء الله وتغمّدُهم وصفحُهم عنّا لما كنّا شيئاً. إنّ الله (عج) يقول: ﴿وَلَوْلاَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنكُمْ مِنْ أَحَدٍ أبداً﴾[5]، وإن كان أمير المؤمنين لم يبلغ إلى مُرادِه ممّن أحبّ بلوغَ الخير به

(1) أ: منه. والطُوب ج الطوبَة وهي الآجرة من طين.
(2) أ: منعه
(3) أ: ما أمرت.
(4) أ: يريد.
(5) النور، 21.

ممّن ذكرَهُ فإنَّ أمرَهمُ اليوم ـ بحمد الله في أيّامه/ الظاهرة ودولته الطاهرة ـ من 384
الطاعة والاستقامة وتحرّي الحقّ والسلامة وتَوَقّي النقيصة على خلاف جميع * *ب 88
أهـل الأرض وخلاف ما كان عليه مَن مضى من قبلهم مع الأئمّة الماضين (ص)، وكلّ يوم ـ بحمد الله ـ في أيّام أمير المؤمنين الزاهرة ودولتِه الطاهرة يأتي، فهو أحسن ممّا مضى فيما عليه جميع الأحوال.

فقال (عم): أمّا ذلك فهو كذلك والحمد لله، ولكنّا أردنا بلوغ الأمل في أوليائنا.

قلت: يبلّغ الله مولانا أملَه في أقرب وقت يحبّه.

قال: ما شاء الله.

ثـمّ ذكر القائم (ص) فقال: لقد سمعته أيّام الفتنة وهو يقول لبعض
الأولياء: واللّهِ ما أعلم بيني وبين الله ذنْباً يجب أن أُبتَلَى من أجله بمثل هذا 385
البلاء، وما نقَم هـؤلاء علينا[1] إلاّ فعلكَم فيمـا خالفتُم فيه أمرَنا، ولو كنتُـم القائم يعزو فتنة
عندَمَا أمرنَاكُم به امتَثَلْتُموه[2]، ما أصاب هؤلاء عَلَيْنَا مقالاً يقولونه ولا شيئاً أبي يزيد إلى زلل بعض الأولياء
يذكرونه.

ثمّ قال المعزّ لدين الله (ص): جزى الله عنّا خيراً مَن امتثل أمرَنا ولم يجعل لعدوّنا مغمزاً ولا مقالاً فينا[3] بارتكابِ نَهْينا وتعدّي أمرنا.

كلام في مسايرة جرى في فضل أولياء الله:

226 ــ (قال) وسايرت المعزّ لدين الله (صلع) يوماً فذكر كتاباً نظر فيه في
الليل فقال: أرقت البارحة وأحسست فتوراً، فأخذت كتاب[4] كذا ـ وذكر كتاباً
سمّاه ـ فنظرت فيه. وذكر شيئاً تعقّبه/ منه تكلّم عليه كلاماً طويلاً، وجاء فيه 386
بحجج باهرة عجيبة.

(1) أ. عليكم.
(2) ب: وامتثلتموه، وهي قراءة صالحة لو فصلنا «عند» و «ما» في الجملة الظرفية.
(3) ناقصة من ب.
(4) ب: كتابا.

فقلت: يا مولاي، مثل هذا يخطر على ما ذكره أمير المؤمنين من الكلال والفتور والسّهر والسّآمة؟.

أوقات السآمة أصلح لتأليف الكتب والنظر فيها

فتبسّم إليّ وقال: سمعت المنصور بالله (ص) يقول في بعض ما أوصاني به: متى أردت تأليف[1] كتاب أو تعقّبه أو النظر في أمر تريد إحكامه، فتوخَّ لذلك
*ب 88 حينَ السآمة والكسَلِ والفتور * فإنّ أنفُسَ أولياءِ الله أقوى ما تكون إذا ضعُفَت أبدانُهم وفترت وكلَّتْ قُواهم، وكذلك يكون في حين مفارقةِ أجسامهم ووقت انتقالِهم من الدنيا لعلمِها بفضل ما تصير إليه، وذلك على خلاف ما عليه أنفُسُ
387 أهل الدنيا، لأنّ/ أنفسهم أقوى ما تكون إذا صحّت أبدانُهم ووثقوا بالمُقامِ في دنياهم. ومتى ضعفت أبدانهم ضعُفتْ أنفُسُهم، لأنّ أنفُسَهم خدم أبدانهم ومتعلّقة بدنياهم.

(قال) فما أخذت في شيء من هذا[2] على ما وصفتُ فوجدتُ من نفسي قوّة إلاّ ذكرتُ قوله (صلع).

كلام في تعلّق المُخالِفين بأدنى ما يجدون في الدين من العلل:

كتاب للقاضي النعمان نظر فيه المعزّ فنبّهه إلى سهو فيه

227 ــ (قال) وذكر لي يوماً ـ وأنا أسايره ـ شيئاً رآه في بعض ما ألّفته في الاحتجاج على من خالف مذهبَ أهل البيت (ص) من العامّة، واستجاد القول فيه (ص) ثم أفادَني شيئاً كنت أغفلتُه، وقال: يجب أن تُدخل مثل هذا فيه لتقطع
388 به مقالَ من عَسَى أنْ يَقُولَ/ شيئاً فيه، فإنَّ أعداءَ الله قد يسمعون من حجّةِ الله لنا عليهم ما لا يشكّون فيه ولا يمترون في أنّه الحقُّ[3] فيسكتون عنه حتّى إذا مرّ بهم شيء يدخل منه[4] بعض الشّبهة عليهم تنبّهوا له وتكلّموا فيه، وموّهوا من أجله.

ثمّ قال: سمعت المنصور بالله (ص) ذكر نحواً من هذا من حالهم. ثمّ قال: إنّما مثَلُهم مثَل الذباب قلَّ ما يقع من البدن إلاّ على موضع جُرحٍ أو أثَرٍ أو بثْرة أو حيث يكون بلّة أو مِدَّةٌ.

(1) ناقصة من ب.
(2) «من هذا» ناقصة من ب.
(3) «فيه ولا يمترون» ناقصة من ب.
(4) أ: فيه.

كلام في مسايرة في ذكر تغلّب المتغلّبين وأمر فدك:

228 ـ (قال) وسايرت الإمام المعزّ لدين الله (صلع) فذكر رجلاً ينتحل الوَلاية، وأنّه بلغه أنّه ألّف كتاباً في الردّ على أبي بكر في انتزاعه/ فدكاً من فاطمة 389
صلوات الله عليها، ، وأنّ بعض مَن وقع إليه ذلك الكتاب، ممّن يقصُرُ[1] فهمُه من المتسمّين بالوَلاية أعجبه وبالغ * في مدحه. *ب 89و

المظلمة الكبرى إزاءَ آل البيت ليست فدك وإنما هي اغتصاب الخلافة من عليّ

فقال المعزّ (ص): عجباً لمثل هؤلاء! يذكرون من أمر فدك، ويعظّمون ما كان من انتزاع القوم إيّاها من فاطمة (عم)، ويدعَون ذكر ما هو أعظم وأجلّ منها، وما بسببه والتغلّب عليه قدروا على انتزاعها، وهو[2] ما جعله رسول الله (ص) لعليّ من الإمامة وأمرِ الأمّة من بعده، فمنعوه ذلك وحالوا بينه وبينه، واهتضموه حقّه، وجلسوا مجلسه. فيدَعون ذكر هذا الذي هو الأصل والقُطب [و] يتشاغلون بذكر فدك وغير فدك ممّا هو أقلّ من أن/ يُلتَفَتَ إليه ويُشْتَغَل بذكره. لو 390
لم يكن للقوم إلاّ انتزاع فـدك لرجَا لهم عفْوَ الله، ولو سلّموا الأمر لمن جعله الله له واقتعدوا[3] بِفَدك وأمثالها لما التفت إليها.

ثمّ قال: فتكلّم على فساد أصلهم وأساس ما بنَوْا عليه أمرَهم، فإنّ من فسد أصله ووهى أسّه فسدت أغصانُه ووهى بنيانُه. فأمّا فدك ومثل فدك فنحن نُعرِض عنها لهم وندَعها لمن تقلّدَها منهم.

حديث في حِلم المعزّ لدين الله (صلع) وصبره وتغمّده:

229 ـ (قال) وذكر المعزّ لدين الله (ص) يوماً رجلاً كان ورد عليه من جهة المغرب يُعْنَى بعلم النجوم، فأحسن أمير المؤمنين (صلع) نزله وكَسَاهُ وحملَهُ ووصلَه/ وأجرى عليه جرايةً لقصده إيّاه من بعيد ورحلته[4] إليه، ولم يلْبَثْ إلاّ 391
قليلا حتّى سأل الإذنَ له فـي الانصراف فأذِن له. وكنّا نتعجّب لذلك منه. فقال المعزّ لدين الله (ص) لي يوماً ـ وأنا بين يديه ـ: ألا أخبرك بسبب انصرافه؟

(1) ب: يقصى.
(2) وهذا في أ و ب.
(3) ب: واقتدوا.
(4) أ: من بعد رحلته.

قلت: يفعل من[1] ذلك أمير المؤمنين ما رآه.

* ب 89 فقال: إنّ هذا الرجل لمّا وفد علينا وصار إليه من فضلنا ما صار، حسدَهُ * بعضُ أهل صنعته ممّن أولِعَ بالشّناعة علينا، فذكر له مولداً من المواليد فقال: ما ترى لمن وُلد هذا المولدَ؟

قال: أرى النحُوسَ قد أظلّته، ولا أشكّ أنّ أيّامَه قد انقضت.

392 قال له: فذلك الذي أنت في نزله وقصدك إليه - يعنينا -/ وهذا مولدُه. فرأى الضعيفُ العقلِ أنّ انصرافَه بما نال منّا غنيمةٌ، فسألَنا الإذن - وقد انتهى إلينَا ما قيل له - فأذِنّا له، فانصرف. ولقد رفع إلينا في حين انصرافه رقعةً يعرّض فيها بالمسألة[2]. وقد كنت قبل ذلك أمرت له بمائتَيْ دينار، فَصُرَّتْ في صرّة، وكنت على البعث بها إليه، ثمّ نظرت إلى وقت رَفعه فرأيته وقتَ سعد. فقلت: لا أظنّه إلاّ وقد تحرّى لرقعته هذا السّعد ولكنّي والله لأُبْطِلَنَّ ذلك عنده، فتركتُها على أن نجعَلها له في وقت آخر على غير سُؤاله. فأنْسَأتُها[3] وخرج محروماً.

منجّم محتال وفد على المعزّ فسخر منه وصرفه خائباً

393 فقلت له: لقد أعطى الله وليّه من الصّبر والحلم والتغمُّدِ ما لا أظنّه أعطاه/ أحدا.

فقال (عم): أوَلَمْ أخبرْك عن فلان منذ مدّة بأنّه يتكلّمُ فينا وكنّيتُ لك عن كلامه، فرأيت ذلك أغضبَك وأهاجَك عليه، وقلتَ لي: وددت أنّي ظفِرت به فيما يوجب بسطَ اليد بالمكروه إليه، فأنيلَه من ذلك ما أشفي به صدري منه؟

قلت: نعم يا أمير المؤمنين، قد كان ذلك وإنّي عليه[4].

قال: أفكنتَ فاعلا به ومنتقِماً منه بمثل انتقام الله (عج) لنا؟

قلت: وكيف ذلك؟

قال: أوَمَا بلغك خبره؟

(1) أ: يفعله ذلك... والإصلاح من العيون، 574.
(2) المسألة، أي سؤال الرفد والعطاء.
(3) ب: فأبقيتها. وأنسَأ: أخّر وأجّل.
(4) أي ما زلت على عزم الانتقام منه.

قلت: لا والله.

قال: هلك مذ ثلاثـ[ـة أيام] بأكَلَةٍ أصابته في فمه فأكلَتْ داخله وخارجه.

قلت: إلى غضب الله!

قال: نعم، إلى سعير ناره. أتدري ما كنّيت عنه فيما بلغنا عنه؟

قلت: لا، إلاّ أن يخبرَني أمير المؤمنين/ . 394

قال: حكم علينا فيما دلَّته بزعمه عليه النجوم بأنّ أمرَنا * ينقطعُ ويزول في *ب90و
الوقت الذي قطع الله فيه مدّته بالآفة التي أصاب بها ما لفَظ بذلك به، أفكُنّا نقدِر
على أن نفعل به أكثَر من هذا؟ إنّ كثيراً ممّن يتّصل بنا أذاهُ وقولُه فينا لربّما قيل
لهم: أما تخافون أن يَعلَمَ بمثل هذا منكم؟ فيقولون: هو ممنوع منّا. ثمّ تبسّم
(ص) وقال: نعَم والله، إنّي لَمَمْنُوعٌ منَ الظّلم والتعدّي، وإنّ الله (عج) لينتصر لي الإمام معصوم من
وينْتَقِم ممّن تناول مني ما ليس له. أما والله لو شئت لبطشت بهم ولانتصفتُ الظّلم منزّهٌ عن
منهم، ولكنّي لو فعلتُ ذلك وعلِم الناس أنّي أنتصر لنفسي من مثل هذا لأكثروا التعدّي
من البغي من بعضهم على/ بعض، وشغلوا صدري بذلك كما شغلوا به مَن قَبلي، 395
ولكنّي تغافلْتُ عنهم، وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمّا يَعْمَلُ الظالمون، وهو أعلم بما يُسرّون
وما يُعلنون.

قلت: الحمد لله الذي منح أمير المؤمنين هذا الفضل العظيم، وأبانه بهذا البرهان المبين، ووسمه بالأناة والصبر والحلم ووليَ الانتقامَ له من أهل البغي والظلم. وأميرُ المؤمنين وسلفُه، كما قال أصدَقُ القائلين: ﴿ذُرِّيَّةً بعضُها مِنْ بَعْضٍ واللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[1].

ثمّ ذكرت في مثل ما ذكر من منعه المنجِّم المحروم ما منعَه لئَلاّ يرى أنّ علمَه بالنجوم وتوخّيَه ساعة السّعد، به نال ذلك، ما رويناه عن جعفر بن محمد (ص) أن دارا/ صار له نصفُها عن بعض مواليه[2] ونصفُها لرجل كان يعنى

(1) آل عمران، 34.
(2) بحكم عبوديّة الهالك.

396 يعلـم النجوم، وأنّه دعـاه (ص) إلى قسمتها فسوَّفَ ذلك إلى أن اختار لنفسه ساعةَ سَعد، فأتاه فيها بعد مدّة يسأله القسمة، فأرسل معه من يقاسمه، فانصرف إليه يذمّ علم النجوم وقال: يا ابنَ رسول الله (ص) كنت أُحـبّ ناحية من هذه الدار فَمَطَلْتُ بقسمتها إلى أن تخيّرتُ لنفسي ساعةَ سَعد ووثقت فيها بأنّي أنالُ
*ب 90 بُغْيتـي. فلمّا قُسمَتِ الدار ورُمِي السّهـم وقع لك ما كنت أحبّ ولي ما كنتُ أكرَهُ.

جعفـر الصـادق أيضاً كان لا يؤمن بالنجوم

فقال له أبو عبد الله (صلع): لولا أن ترى أنّ اختيارك أصارك إلى ما تحبّ
397 لأعطيناك ما أحببتَ، نعم، ولتركْنا الكلَّ لك/، ولكن لا والله ما تَأْخُذ إلاّ ما صار لك. ولكنّي أفيدُك ما إن قَبِلْتَه كان خيراً لك ممّا أردتَه.

قال: وما هو، جعلني الله فداك؟

قال: إذا أصبحتَ فتصدّقْ بصدَقة فإنّها تُذهب عنك نَحسَ يومك، وإذا أمسيْتَ فتصدَّقْ بصدَقة فإنّها تذهِبُ نحس[1] ليلتك.

فتبسّم المعز لدين الله (ص) وقال: هو كما قال (عم).

كلام جرى[2] في ذكر قبول الحقّ ودفعه:

المعزّ يسمح لابن واسـول بحضـور الجمعـة في قيوده...

230 ـ (قال) وسأل ابنُ واسول أن يصلّيَ في الجامع صلاةَ الجمعة فأذن له أمير المؤمنين (صلع) اقتداء بفعلِ جدّه عليّ (ص) إذ كان فيما يُؤثَر عنه أنّه كان يدَع من أراد شهودَ الجمعة من أهل السجن أن يأتوها ثمّ يُعادُون إلى السِّجن إذا قُضِيَت / الصلاة. فحضر ابن واسول كذلك صلاةَ الجمعة وهو مقيّد، وجلس في الحلقة بعد الصلاة يستمع المسائل، وجرى من ذلك بعضُ ما يخالف قولَه فبيّنتُه له، فرأيت أنّه اعترف بالحقّ فيه وانقادَ إليه.

ودخلت من غَدٍ إلى أمير المؤمنين (صلع) فقال: أمَا إنّ ابن واسول أعجبه

(1) ب: سقط: يومك... نحس.
(2) ب: جرى في مجلس في...

أمس[1] ما سمع منك، وقال: لقد انتفع بصُحْبة الأئمّة وأفاد عنهم علماً جمّا. فما ... والنعمان
الذي سمع منك[2] ودار بينَك وبينَه، وكيف رأيتَه؟ يعظه ويشفع فيه لدى المعزّ

فذكرت له ما دار من الكلام وقلت: هو رجل قد قرأ كتُبَ العامّة إلاّ أنّه بربريُّ الطبع، وكأنّه ظنّ أنّه ليس الحقّ إلاّ ما انتهى إليه، فرأيتُه إذا سمع الحقَّ أصغى إليه، وإذا بُيّن له وشُرح وفُسّر مجملُه رجع إليه وانقاد، ولم يلجّ في الباطل كما يفعَلُ كثير ممّن/ انتحل مذهباً ونشأ عليه ممَّنْ نشاهده. 399

فقال المعزّ (ص): هذا سبيل أهل الإنصاف * ومن يُرِيدُ اتّباعَ الحقّ. فأمّا *ب91و من جمحَ في الغيّ وآثر حبّ الرّئاسة في الدنيا ، وأنِف من الرجوع عمّا هو عليه / من الباطل لئَلاّ تنقُص رئاستُه ويتّضع حالُه عند العامّة ـ نظير قوم ذكرهم ـ فأولئك ممّن قال الله (عج) [فيهم]: ﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ﴾[3]. وكان من شِرارهم من لعَنه الله وأصْلاه جهنّم وساءَتْ مصيرا، مظفّر[4] اللعين، فإنّه ما كان يدين لله بدين. مظفّر القائد الصقلبـي كـان فاسد العقيدة...

قلت: والله يا أمير المؤمنين لقد كنت إذا قرأتُ على الناس ما أمر أمير المؤمنين بقراءته عليهم من الحِكمة يومَ الجمعة[5]، كثيراً ما أنظر/ 400

(1) أ: أمر.
(2) ب: سقط: وقال لقد انتفع... منك.
(3) البقرة، 171.
(4) مظفر: أحد الموالي الصقالبة الذين خدموا الفاطميين، مثل جوهر، وميسور، وقيصر، ذكره المقريزي (اتعاظ 145 والخطط ج 2 ص 158) فقال: «إنه علّم المعزّ الخط وهو صغير فكان يُدلّ عليه» وقال إن المعزّ قتله لأنه شتمه بلغته. ولعلّ السبب الحقيقي هو، كما قال M. Canard في ترجمته لسيرة الأستاذ جوذر (ص 57، ... Vie)، أن الفتيان الصقالبة قد طغى نفوذهم على الخليفة نفسه فتخلّص من بعضهم مثل قيصر ومظفّر سنة 960/349.
(5) مجالس الدعوة: يذكر القاضي النعمان أنّه يقيم بعد صلاة الجمعة درساً في الدعوة الإسماعيلية بأمر من الإمام. وجاء في خطط المقريزي (ج 2/223 ـ 224) أن القاضي محمد بن النعمان جلس على كرسيّ بالقصر لقراءة علوم آل البيت على الرسم المعتاد المتقدم له، ولأخيه بمصر، ولأبيه بالمغرب...»، وقال: «... أن الفقهاء يَتّفِقُون على دفتر يقال له: «مجلس الحكمة» في كل يوم اثنين وخميس، ويحضر مبيضاً إلى داعي الدعاة، فينفذه إليهم ويأخذه منهم ويدخل به إلى الخليفة في هذين اليومين المذكورين =

إليه[1] في جملة الناس فيقع بقلبي أنَّهُ من بينهم كلّهم غيرُ مصدّق بما سمعه، وأرى ذلك في وجهه وشمائله وعينَيْه، فأقول كثيراً في نفسي: أخشى أنّي آثم بهذا الظنّ فيه وأحاسِب نفسي بذلك.

فقال المعزّ لدين الله (ص): لا والله، مَا أنتَ في ذلك آثِمٌ، بل مصيب لما كان عليه. ولقد سمعتُ منه غيرَ مرّة ما دلّ أنّه ما يعتقد شيئاً من الإسلام. ولقد قال يوماً ـ وقد جرى ذكر محمّد النبي (ص) وابتداءُ نبوّته ـ فقال اللعين، لعنه الله: هذه من حِيَلِ العرب. فما كان يعتقد الإسلام أصلاً، فكيف إمامتُنَا وما نحنُ عليه؟

401 قلت: هو ما قال أمير المؤمنين فيما يظهَرُ منه. فأمّا صاحبه/ قيصر[2] فإنّه كان يميل إلى هذا الأمر ولكنّه هو كان شيطانه.

= فيتلوه عليه إن أمكن ويأخذ علامته بظاهره، ويجلس بالقصر لتلاوته على المؤمنين في مكانين: للرجال على كرسي الدعوة بالإيوان الكبير، وللنساء بمجلس الداعي... وكان الداعي يواصل الجلوس بالقصر لقراءة ما يقرأ على الأولياء والدعاوي المتصلة، فكان يفرد للأولياء مجلساً، وللخاصة وشيوخ الدولة ومن يختصّ بالقصور من الخدم وغيرهم مجلساً، ولعوامّ الناس وللطارئين على البلد مجلساً، وللنساء في جامع القاهرة المعروف بالجامع الأزهر مجلساً، وللحرم وخواص نساء القصور مجلساً. وكان يعمل المجالس في داره، ثم ينفذها إلى من يختصّ بخدمة الدولة ويتّخذ لهذه المجالس كتباً يبيّضونها بعد عرضها على الخليفة. وكان يقبض في كل مجلس من هذه المجالس ما يتحصّل من النجوى... وكانت تسمى مجالس الدعوة «مجالس الحكمة». وفي سنة 400، كتب سجل عن الحاكم بأمر الله، فيه رفع الخمس والزكاة والفطرة والنجوى التي كانت تحمل ويتقرب بها وتجري على أيدي القضاة. وكتب سجل آخر بقطع مجالس الحكمة التي تقرأ على الأولياء يوم الخميس والجمعة».

وقد قرأ القاضي النعمان كتابيه «دعائم الإسلام» و «تأويل الدعائم» في مجالس الدعوة. واشتهرت كتب كثيرة بعنوان المجالس لأنها كانت تقرأ في مجالس الدعوة، نذكر منها: مجالس المؤيد في الدين الشيرازي، والمجالس المستنصرية، ومجالس حاتم بن إبراهيم الحامدي، الخ...

(1) ب: لقد كنت كثيراً ما... يوم الجمعة أنظر إليه.
أ: لقد كنت كثيراً ما... أنظر إليه.

(2) قيصر: مولى آخر من عبيد المعز الصقالبة، قتله المعز مع مظفر.

فقال (ص): هو كما قلتَ: قد كان يميل إليه[1]، ولكنّه لم يكن يحبّ أن ... وكذلك
يَرى على ظهر الأرض أحدا إلاّ واقعاً تحتَ أمره ونَهيه ومن تحـتِ يده. صاحبه قيصر

قلت: أمّا هذا فهو المعروفُ منه.

قال: ومن كانت هذه إرادتُه، لَمْ يُردْ أن يكون الأمرُ إلاّ له، وهذا أعظمُ الجُرم وأسوأ الاعتقاد.

قلت: لا جرمَ إنّ الله تعالى عجّل انتقامه منهما بيدِ وليّه وأصلاهُما وبيلَ عذابه. ولو عمِلا بأمر الله وسلَّما لوليّه لكانا على أفضل حال في الدنيا والآخرة.

فقال: أجل، واللهِ ما كان الله (تع) ليُسلِّطَنا * عليهم بمثل ما سلّطنا به إلاّ *ب91
بعد أن أسرفا[2]/ على أنفسِهما ـ واأسفاه! ـ بسوء[3] فعلهما. قال الله تعالى: 402
﴿فَلَمَّا آسَفُونَا انتَقَمْنَا مِنْهُمْ﴾[4].

قلت: نعوذ بالله من انتقامه وسطوات أوليائه وممّا يوجب ذلك من معاصيـه.

(1) سقط من ب: فيما يظهر منه... كان يميل إليه.
(2) ب: أمرنا.
(3) سبق، في «ب».
(4) الزخرف، 55.

الجـزء الحادي والعشرون

[بسم الله الرحمن الرحيم]

حديث في مجلس في ذكر النجامة:

النظر في النجوم صالح لمعرفة قدرة الله...

231 ـ قال القاضي النعمان بـن محمّد: ذكر الإمام المعزّ لدين الله (صلع)
يوماً ـ وأنا بين يديه ـ النّجامـة والمنجّمين فقال: من نظـر في النّجامة ليعلمَ
عِدَّةَ[1] السّنينَ والحسابَ ومواقيتَ اللّيل والنهار وليَعتبِرَ بذلك عظيمَ قدرة الله جلّ
ذكره، وما في ذلك من الدّلائل على: توحيده/ لا شريك له، فقد أحسن 403
وأصابَ.

... غير نافع في معرفة حظوظ الناس

ومن تعاطى بذلك علمَ غيب الله والقضاء بما يكون فقد أساء وأخطأ. ولقد
كان المنصور بالله (ص) من أعلم الناس بها، ولقد قال لي غيرَ مرّة: والله ما
نظرتُ فيها إلاّ طلباً لعلم توحيـد الله وتأثير قدرته وعجائب خلقه. ولقد عاينتُ ما
عاينتُ من الحروب وغيرها فما عمِلت في شيءٍ من ذلك باختيار من دلائل النجوم
ولا التفتُّ إليه[2].

ثم قال المعزّ (ص): أتاني بعض المنجّمين بكتاب ألّفه يذكر فيه خلقَ آدم
وكيف كانت الكواكب يوم خلقه الله (عج)، وما دلَّتْ عليه ممّا آل أمره وأمرُ ذرّيته
إليه، ورأى أنّه أتى في ذلك إليّ بفائدة وعِلم سبق/ إليه. فلمّا وقفت على كتابه 404
سألته فقلت: هذا خلقُ آدم قد ذكرتَه، وكيف كانت الكواكب يومَ خلقه الله (عج)
فيما زعمتَ، فهل كان قبل آدم شيء؟

قال: نعم، قد كان قبله.

---

(1) أ: مدة.

(2) مر الحديث عن علم المنصور بالنجوم وعدم إيمانه بتأثيرها. انظر ص 122.

المعزّ يُفحِم منجّماً قلت: فما كان قبله[1] ومن كان، وكيف كانت هذه الكواكب قبل ذلك، وما دلّت عليه قبل خلق آدم؟

فلم يُحِرْ جواباً وقال: هذا شيء ما ظننت أنّي أسأل عنه.

قلت: وهذا الذي تكلّفتَه وجئتَ به ما سُئِلتَ عنه أيضاً، فكيف تكلّفتَه؟ فعجبت من قوم يتيهون فيما لا يعلمون ويتعاطون ما لا يدركون[2]، وحسبهم لو
*ب92و أخذوا * عن أولياء الله ما يُعطونهم إيّاه وسألوهم عمّا[3] ينبغي لهم أن يسألوهم
405 عنه ولم يتكلّفوا ما لم يُتَعَبّدوا/ به ولا كُلّفُوه ولا سئلوا[4] عنه.

حديث في مجلس في ذكر المنصور بالله (صلع):

232 ـ (قال) وذكر المنصور بالله (ص) فقال: كان ـ والله ـ تاج آل محمد (ص) وزينتَهم وجمالهم وواحدَهم علماً وورعاً وزهداً وجَمَالاً[5] وحلماً ونزاهة وشجاعة وإقْدَاماً. ولقد كان، قبل أن ينتهي أمر الإمامة إليه في أيّام المهديّ بالله والقائم صلوات الله عليهما، أقلَّ الناس حرصاً على الدنيا والتفاتاً إليها وشغلاً
زهد المنصور في حطام الدنيا... بها. وكان الذي يصير إليه من مثل ما يصير إلى العمومة والإخوَةِ يُبارِكُ[6] فيه على قلّة اشتغاله بالكسب والفائدة، واجتهادهم في ذلك وكلفهم به. وكانت نعمته
406 وخيره علينا وعلى أهله أوسعَ وأكثر من خيرهم على بنيهم/ وأهليهم أضعافاً مضاعفة، حتّى لقد كنّا نستكثر ذلك ونقول له فيه، ونذكر أنّه لا حاجة لنا بكثير ممّا يصيّره إلينا من الخيرات، فيقول: اتّسعوا وتمتّعوا! فهذا فضل من فضل الله استعملني له فِيكُمْ[7]، واستخدمني فيه لإرفادكم وحسن معايشكم، ومن وسّع الله عليه فينبغي له أن يوسّع على من جعل أمره إليه.

(1) ناقصة من أ. س 376: قبل ذلك وما صرفت؟
(2) ب: يدرون.
(3) أ: مما.
(4) ب: ولا سألوه.
(5) أ: مجالا.
(6) في «أ» و «ب»: يترك. وقد استصوبنا قراءة ناشري سيرة الأستاذ جوذر اللذين نقلاً نص النعمان هذا ص 170 تعليق 67.
(7) ب: فيه لكم فيكم.

فكنّا أفضل أهل الجماعة من الأقارب، حتّى إذا أصار الله الأمر إليه، اشتغل بأمر الأمّة وأعرض عنّا وعن نفسه وقصّر بنا وبه عن كثير ممّا كان عوّدنا وتعوّد، حتّى لقد قال له بعض العيال ـ ممّن أَلِمَ لذلك ـ: ليت أنّا كنّا بحسب ما كنّا[1] قديماً قبل أن يفضي إليك/ هذا الأمر!. ... واشتغاله عن شؤون عـائلته بواجب الإمامة... 407

فقال: كنتم يومئذٍ همّي وحدَكم، وأنا اليوم أهتمّ بجميع الأمّة[2].

ثمّ قال (ص): لقد مضى ـ قدّس الله روحه وصلّى الله عليه ـ وما تمتّع * من ب 92 الدنيا بما يتمتّع به من يملك مائة دينار فما دونها، وقاسى من الحروب والتّعب والنصَب ما على الله ثوابه، ونحن اليوم نتقلّب في النّعم ونُمسي ونُصبحُ في الدّعة والأمن واستقامة الأمور لنا فيما نحمد الله حقّ حمده عليه. وما فكّرت فيما كان فيه (ص) وفيما أنا اليوم بسبيله إلاّ ذكرتُ ما كان عليه داود من الحروب والتعب والنصب، وما أصار الله (تع) إليه سليمان (عم) بعده من الملك والسّعة والبسطة واستقامة الأمور/. 408

ثمّ حمد الله وأطرق مليًّا وظهرت عليه خشية وكآبة، واستعبر (ص)، إعظاماً لنعمة الله (عج) عنده وما وهبه الله له وأنعم عليه به، وإن كان ما يتلذّذ في ذلك بكثير مطعم ولا مشرب ولا نكاح ولا طرب، وما تلذُّذه إلاّ بالحكمة، ومثل هذه التذكرة والمواعظ الحشنة.

... كذلك المعزّ منشغـل بشـؤون الدولة...

ولقد انتبه لأمره[3] ابن واسول، وهو أسير في عقلته، على غباوته وغلظ

(1) بحسب ما كنا، ساقطة من ب.

(2) نجد في سيرة الأستاذ جوذر (ص 62) نص رسالة من المنصور في هذا المعنى جاء فيها: «فاسألوا أهلي وولدي كيف كان إحساني إليهم وإفضالي ونعمتي عندهم. والله ما كانوا يرضون منّي بما يكفي ويزيد حتى يأخذوا منّي إسرافاً جزافاً، وإنهم بعد أن أفضت إليّ الإمامة والخلافة لقد ضاعوا بعدي وعدموا الفضل والإحسان الذي كنت عوّدتهم إياه، لشغلي بأثقال ما حملت من أمر العباد عن التجارة، وما كنتُ عودته أهلي وولدي من تلك العادة». وقد تنبه ناشراً السيرة إلى قرابة النصين فأوردا نص المجالس هذا في تعليقهما (عدد 67) على رسالة المنصور.

ولا نستبعد أن يكون النعمان استلهم حديث المعز هذا من رسالة المنصور.

(3) الحديث الآن عن المعز.

طبعه، وقد سأل عن أحواله في لياليه وأيّامه، فأخبِر أنّه إذا أصبح خرج من منزله وجلس في مجلسه ودخل إليه خاصّةُ أوليائه وخدمِه، فلا يزال جالساً إلى أن
409 ينتصف النهار ويحضرَ وقت الغَداء، وهو/ ـ طول ذلك ـ في وجوه ما يأمر به ويُحكمه من أمر المملكة، والحديث في مثل هذا من العلم والحكمة. وإذا حضر وقت قيامه دخل فطعم وصلّى ونام نومة، ثمّ قام فصلّى العصر وخرج إلى مثل ما كان عليه، ولا يزال كذلك إلى اللّيل، ثمّ يدخل ويحضر خاصّته وينظر في الكتب والعلوم ويؤلّف الكتب أكثرَ ليله. فهذا دأبه إلاّ أن يخرج في بعض الأيّام لما يخرج إليه من [الا] طّلاع [على أحوال] الناس والتفرّج، فيركب في صدر النّهار ثمّ يعود فيجلس في آخره.

... وبالعلم والحكمة

*ب 93 و فعجب بن واسول من هذا عجباً شديداً * وقال: إذا كان هذا مع إقبال الدنيا
410 والسّعة والعزّ وعنفوان/ الشبيبة والقدرة، فما عُبِدَ الله بمثل هذا.

فصل من كتاب كتب به المعزّ (صلع) إلى طاغية الرّوم في أمر أهل أقريطش[1]:

هدنة لخمس سنوات بين المعز وإمبراطور الروم

233 ـ قال: وكان طاغية الرّوم[2] قد رغب إلى أمير المؤمنين المعزّ لدين الله (ص) في الموادعة، وبذل له على ذلك أموالاً، وكانت رغبته إليه في الموادعة مدّة طويلة أو أبديّة إن وجد ذلك. فرأى الإمام، لمّا تبيّن له أنّ ذلك خير للإسلام والمسلمين وليستجمعوا فيقوَوْا على حرب المشركين، أن أجابه إلى

(1) قضية جزيرة إقْرِيطش: نشر حسن إبراهيم حسن وطه أحمد شرف في ملاحق كتابهما رسالتي المعز إلى الأخشيد صاحب مصر والي الامبراطور البيزنطي، نقلاً عن المجالس والمسايرات (انظر «المعز لدين الله» طبعة 1947 بالقاهرة، ص 303 و 321).
هذا، وقد حلّل فرحات الدشراوي كلاّ من الرسالتين ومن ملخّص كلام مبعوث أهل الجزيرة إلى المعز في فصل نشر بمجلة الكراسات التونسية Les Cahiers de Tunisie سنة 195 ص 317 تحت عنوان: La Crète dans le conflit entre Byzance et al-Mu'izz. ثم نشر رسالتي المعز إلى الإمبراطور ورسالته إلى الأمير الإخشيدي في العدد الثاني من حوليات الجامعة التونسية سنة 1965 ص 28 ـ 35. هذا وقد كتبنا في المتن «أقريطش» بفتح الهمزة ـ أو كسرها ـ تبعاً لماجاء في معجم البلدان (1/236). أما في حواشينا، فقد اقتصرنا على الاسم المصطلح عليه اليوم، بدون همز.

(2) الامبراطور قسطنطين السابع.

موادعـة خمس سنين[1].

ثمّ اتّصل به بعدَ ذلك، وقبل أن تنقضيَ مُدّةُ الموادعة، أنّه أرسل الدّمستق[2] ـ الذي هو أقرب/ رجاله درجة إليه وأخصّهم به ـ في عُدّةٍ من السّفن كثيرةٍ 411
وجيوش ثقيلة حتّى أناخ بها على جزيرة أقريطش، وهم في دعوة بني العبّاس.

فلمّا حلّ بهم من ذلك ما لا قوام لهم به، وعلموا أنّه ليس عند بني العبّاس نهضة ولا لهم لديْهِمْ نُصرة، أرسَلُوا مركَباً فيه رجال من قِبَلهم مع وجه من وجوههم إلى أمير المؤمنين المعزّ لدين الله يستغيثون به ويسألونه استنقاذَهم الروم يغزون
وإغَاثَتَهُم، فلم يرَ صلوات الله عليه ـ وإن كانُوا تَنَكَّبُوا عنه[3] ـ أن يخيّب رجاءهم جزيرة قريطش
عنده، ولا أن يسلّمهم للمشركين. فأمر عندما اتّصـل به خبرُهم وقبل أن يصلَ إليه رسولُهم، بالأخذ في الأهبة والعُدّة ليكونَ نفوذُ الأساطيل إليهم في أوّل زمان
الإمكان. ثمّ قدم الرسول عليه / وأدّى عنهم ما أرسلوه به إليه. 412

فرأى أن ينبذ إلى المشرك عهده كما أمر الله (تع) بذلك في كتابه، إن هو
أصرّ على حربهم، وأمر بكتاب في ذلك إليه * وأملاه على الكاتب بحضرة مَن *ب93
بين يديه بكلام ما سمعتُ أجزلَ ولا أبلغَ منه.

فقال بعد أن خيّره بين أن يُقلع عن حرب أهل أقريطش وبين أن ينبذ إليه عهده ـ كما نبذ رسول الله (ص) إلى مشركي العرب عهدهم وأرسل عليّاً ببراءة[4] فقرأها في الموسم عليهم ـ ولقولِ الله أصدقَ القائلين: ﴿وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِـنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ﴾[5].

---

(1) وقعت هذه الهدنة سنة 957/346 بين المعز وقسطنطين السابع، ولكن رومانوس الثاني، خليفة قسطنطين نقض العهد بغزوه جزيرة قريطش (انظر فصل الدشراوي ص 313).

(2) هو نقفور فقاس، قاد الأسطول البيزنطي إلى جزيرة قريطش وحاصر عاصمتها سنة 349، أي قبل انقضاء المهادنة بثلاث سنوات (المرجع السابق).

(3) لأنهم أندلسيون أولاً، ثم لأنهم استنجدوا بالإخشيد والي العباسيين على مصر.

(4) أي، بسورة التوبة، وبخاصة الآية الأولى منها: «براءة من الله ورسوله إلى الذين عاهدتم من المشركين». وقيل إنها نزلت سنة تسع بعد فتح مكة وأرسل النبي (ص) علياً ليقرأها في موسم الحج (انظر تفسير الكشاف ج 2 ص 172، وتفسير البيضاوي ج 2 ص 274).

(5) الأنفال، 58.

ثمّ قال له في كتابه (عم):

413 ولا ترى أنّ دعوة أهل أقريطش قبل اليوم إلى غيرنا وقد أنابوا/ اليوم إلينا واستغاثوا بنا، ممّا يُوجب لك عندنا تمامَ الموادعة بتركهم إليك وترك اعتراضك فيهم. إنّ امتناع أهل الباطل من أهل الحقّ ليس بمُزيلٍ حقَّهم وإن تغلّبوا عليه دونَهم، بل هو لهم بتصيير الله (تع) إيّاه إليهم. فأقريطش وغيرها من جميع الأرض لنا، بما خوّلَنا الله منها وأقامَنا له فيها، أطاعنا منها من أطاع وعصانا من عصى، وليس بطاعتهم يجب لنا أن نملك ولا بعصيانهم يحِقّ علينا أن نترُك، ولو كان ذلك لكان الأمر إليهم لا لله (تع) الذي خوّلنا ولا لنا، إن شاؤوا أعطوْنا وإن أحبّوا منعُونا، كلاّ؟ إنّ ذلك لله الذي له ما في السّموات وما في/ الأرض وهو الذي اصطفانا وملّكنا وأعطانا، ولو كان ذلك للخلق لما وسِعَنا قتالُ من امتنع منهم علينا ولا ردُّ ما انتزعوه بالغصْب من أيدينا إذا أقدَرَنا الله على ذلك وبه قوّانا. 414

رسالة المعزّ إلى قسطنطين...

فإن قلت أنتَ غيرَ ذلك، وأنت ترى أنّ ما في يديك لك، فقَدْ كان رومانس[1] تغلّب عليك وعلى أبيك من قَبْلك، ثمّ دارت لكما عليه الدائرةُ. فإن رأيت أنَّ من احتَجَزَ شيئاً وتغلّب عليه فهو له دون صاحبِ الحقّ الذي ملَكه، فلم يكن لك ولا لأبيك القيام على رومانس ولا * انتزاعُ ما صار إليه من بين يديه. *ب 94 و

415 فهذه سبيل أهل الحقّ عندنا. فإن اعترفتَ/ لها فقد أنصفت، وإن جهلتَها لم يكن جهلُك إيّاها حجّةً على من عرفها. وعهدُك إن تماديتَ على حرب من أناب إلينا منبوذٌ إليك، فانظر لنفسك ولأهل ملّتك فإنّا مُناجِزوك وإيّاهم الحربَ بعون الله لنا وتأييده، ولا حول ولا قوّة إلاّ به.

... ينبذ المعاهدة ويأذن بالحرب

وفي مثل ذلك إلى صاحب مصر:

(قال) واستمدّ أهلُ أقريطش هؤلاء صاحبَ مصر وهم من أهل دعوته تجمعهم دعوة آل عبّاس، ومراكبهم بخيرات بَلَدِهم وأطعِمتها تَمِير أهلَ مصر، وهداياهُم تصل إلى عُمّالها، فعجز عن نُصرتهم. وسأل من ينظر لأمير المؤمنين فيما قِبَلَه في أن يكتب إليه (صلع) في إغاثتهم واستنقاذهم، وأرسل/ قوماً كانوا 416

(1) رومانوس: هو Romain Lécapène الذي اغتصب الحكم من قسطنطين السابع سنة 919 (فصل الدشراوي، ص 314 تنبيه 30).

منهم قِبَلَه ليسألوا أميرَ المؤمنين (صلع) ويرغبوا إليه في ذلك. ثمّ أظهر أنّه ينصرهم ورمى بعض/ مَرَاكبَ في البحر لمَّا اتّصلَ به إنكار العامّة عليه[1] للتخلّف عن نصرتهم.

فكتبَ أمير المؤمنين المعزّ لدين الله (ص) إلى من يكاتبه بمصر جواباً عن كتابه إليه بذلك يخبره أنّه قد أمر بإخراج الأساطيل وأخذ في عدّتها. رسالة المعزّ إلى الإخشيد...

وكان فيما كتب به إليه: أن قُلْ لصاحبك: إنّ الله ـ سبحانه ـ قد خوّلَنا من فضله وأمدّنا من معونته وتأييده بما نرى أنّا بحَوْله وقوّته ونصره لنا وإظهارنا على عدوّنا نكُفّ أيديَ الكفرة عمّا تطاولت إليه من حرب هذا الصُّقع والإيقاع بأهله/ 417
وقد انتهى ألينا أنّك أظهرت الحركةَ إلى الجهاد وإمدادَ هؤلاء القوم بمراكب من قِبَلِك، وأنتَ لعمري بذلك أجدرُ لقربهم منك واتّصالهم بك ومَيْرهم بلدَك وكونهم وإيّاك في دعوة واحدةٍ. ولو أسلمناهُم إليك وقعدنا * عنهم لما كان لك *ب 94
ولا لهُم علينا حجّة في ذلك، ولكنّا آثرنا نُصرة أمّة جدّنا محمد (ص) ولم نر التخلّفَ عن ذلك وقد رجَوْنا له، وألقَوْا بأنفُسِهم إلينا فيه. ونحنُ لا نحول بينك وبين الجهاد في سبيل الله، ولا نمنعُك من تمام ما أمَّلْت منه، فلا يكُن ما يتّصل بك من إنفاذ أساطيلنا يُريثُك عن الذي هممْتَ من ذلك، وأن تخشى على من ... يدعوه إلى دفع الروم
تبعَثُ به وعلى مراكبك مِنّا، فلك/ علينا عهدُ الله وميثاقُه أنّا لا نكون معهم[2] إلاّ 418
بسبيل خيرٍ، وأنّا نُحِلُّهم محلّ رجالنا، ونجعل أيديَهم مع أيدينا ونشركُهم فيما أفاء الله علينا، ونُقيمُهم في ذلك وغيرِه مقامَ رجالنا، ومراكبَك مقام أساطيلنا حتّى يفتحَ لنا إن شاء الله، ثمّ ينصرفوا إليك على ذلك أو يكون من أمر الله وقضَائه ما هو فاعله. فاعلم ذلك وثِقْ به منّا، ففي تظافر المسلمين على عدوّهم واجتماع كلمتهم إعزازٌ لدين الله وكبتٌ لأعدائه. فقد سهّلنا لك السبيل، والله على ما نقول وكيل. ... ويضرب موعداً للقاء الأسطولَيْن

فإن وثقْتَ بذلك ورأيتَ إيثارَ الجهاد فاعمل على أن تُنفِذَ مراكبَك إلى مرسى تينة[3] من أرض برقة/ لقرب هذا المرسى من جزيرة أقريطش، ويكون 419

(1) ب: ويرغبوا إليه في ذلك أنه ينصرهم ورمى بعض العامة عليه...
(2) ب: منهم.
(3) طنبة في الأصل. وفي عيون الأخبار، 653 تبنة. والأقرب إلى الظن أنه «مرس التين» =

اجتماعُهم مع أساطيلنا بهذا المرسى مستهلّ ربيع الآخر[1] بتوفيق الله وقوّته وتأييده ونصره وعَونه.

وإلاّ ترى ذلك فقد أبلَغْنَا في المعذرة إليك والنّصيحة لك، وخرجنا ممّا علينا إليك. ونحن بحول الله وقوّته وتأييده ونَصره وعَونه مستغنُون عنك وعن غيرك، وعلى عزم وبصيرة في إنفاذ أساطيلنا ورجالِنا وعُدّتنا وما خوّلنا الله إيّاه وأقدرنا عليه ممّا نرى بحوله وقوّته أنّا نبلغ به ما نؤمّ إليه بذلك ونصمد نحوه.
*ب 95 و فبالله نستعين، وعليه نتوكّل، وعلى تأييده نعوّل، وهو حسبنا ونعم الوكيل *[2].

420 / كلام في بصيرة أمير المؤمنين في جهاد المشركين[3]:

قريطش قاعدة هامّة ضدّ أعداء المعزّ

234 ـ (قال) ولمّا قدم عليه (ص) رسول أهل أقريطش أمر بإدخاله إليه، فلمّا مثَل بين يديه قبَل الأرض مراراً وأدّى إليه عن القوم ما أرسلوه به من تَضرّعهم واستغاثتهم وسُؤَالهم ورَغبتهم واسترحامِهم، وجعل يذكر له قدر البلد وموضعَه من بلد الروم ومن مصر، وأنّه فُرضة[4] لهما، وأنّ الله (تع) ـ إن أقدَرَه على دفع المشركين عنه وملّكه ـ كـان سبب فتح القسطنطينية والمشرق عليه إن شاء الله. وعدّد ما فيه من الآلات والمعادن، وما يتهيّأ به من إنشاء الأساطيل وقربه من القسطنطينية ومن مصر، في كلام طويل ذكره.

421 فقال المعزّ (ص)/: نحن ـ بحول الله وقوّته ـ نبلغ من تحقيق آمالكم وتصديق ظنّكم فينا حسب ما أمّلتموه ورجوتموه. وقد أمرْنا بتجهيز الأساطيل مُذْ بلَغَنا مصيرك إلينا، ولو كان أهل بلدك عجّلوا ببعثك لرجونا أنّه لم تكن أساطيلنا

المعزّ يأمر بتجهيز الأساطيل الى قريطش

هذا الوقتَ إلاّ عندَهم، ونحن نرجو من الله إذ وفّقَهم إلى التّطارح إلينا أن يؤيِّدَهم ويُثبّتَهم إلى أن تصل أساطيلُنا إليهم ويستنقذَهُم الله بذلك بمنّه وفضله وبما عَوّدَنا من تأييده ونصره. وغرضُنا في ذلك القيام بما أوجب الله (تع)/ علينا من الجهاد

= الواقع بين درنة وطبرق في قبالة جزيرة قريطش.
(1) من سنة 350/961 (انظر فصل الدشراوي ص 312).
(2) نشر الدشراوي هذه الرسالة، ص 33 ـ 34 من الحوليات عدد 2.
(3) هذا العنوان ناقص من ب.
(4) فرضة لمصر ولبلاد الروم: أي ميناء تنطلقُ منه سفن الغزو.

لعدوّنا واستنقاذ مَن أناب إلينا من أمّة جدّنا ونصرتِهم ومعُونتِهم.

422 وأمّا أعراض الدنيا فقد/ ملّكنا الله (تع) منها وأعطانا وخوّلنا ما يجاوز الآمال والغاياتِ، ويفوتُ الأمانيَ والنهايات، ونحن على ثقةٍ مِن وعده إيّانا إيراثَنا الأرضَ كما قال الله في كتابه، وإظهارَنا ـ بحوله وقوّته ـ على جميع أعدائه. فطِبْ نفساً وأقِمْ إلى أن تنصرفَ مع أصحابك في أساطيلنا.

وأمر بردّ رَجُلَيْن من أصحابه مع رِجَالٍ من قِبَله إلى أهل أقريطش بجوابهم
*ب95 وبما عزم عليه من إغاثتهم ونُصرتهم في أوّل * وقت الإمكان من الزمان إن شاء الله (تع)[1].

حديث في مجلس في ذكر فضل المنصور (ص):

235 ــ (قال): وذكر الإمام المعزّ لدين الله (ص) يوماً ـ وأنا جالس بين
423 يديه ـ ما لاقاه المنصور، ـ قدّس الله روحه وصلّى/ الله عليه وعلى آله وآبائه ـ من حرب أهل الفتنة إلى أن جَلّاها اللّهُ (تع) على يدَيْه، وما مرّ عليه (ص) في ذلك من التّعب والنّصَب، ومقاساةِ السّفَر ومباشرة الحرّ والقُرّ، وما خرج إليه من ذلك دفعةً بعد الخَفضِ والدّعة من غير دُربةٍ في ذلك ولا ممارسة، وما عرض له لذلك من العلل.

المعزّ يذكر أتعاب المنصور في حرب صاحب الحمار

فقلت له: يا مولاي، لئن كان قاسى لذلك جسيماً، فقد كشف الله (تع) بذلك على يدَيْه عن الأمّة بلاءً عظيماً، وحصّن به (عج) دينَه من أن يبدّل، وسنّةَ نبيّه محمّد (صلع) من أن تُغيَّر.

فقال: أجل، وما زال (ص) في محنة عظيمة ومزاولة شديدة إلى أن
424 نقَلَه الله إلى دار كرامته ومَحَلّ راحتِه/ وقرار جنّته.

ثمّ قال (عم): لقد دخلت إليه في آخر أيّامه (ص) وقد اشتدّت عِلّته، فرأيت منه ما عرفتُ [له] الموتَ في وجهه، فما تمالكت أن استعبرتُ، فنظر إليَّ وقال: ما لك؟.

(1) ص 34 ـ 35 من عدد الحوليات المذكور.

قلت: أفكرت[1] فيك وفي المهديّ بالله ـ قدّس الله روحه ـ وأنّه مذ أفضى الله (تع) إليه بما أفضى به من كرامته وإن كانـ[ـت] المحن قد عارضته، فقد آل أمره إلى راحة طويلة ودَعة ونِعمة. وأنت ـ صلوات الله عليك ـ فمذ أفضى الله (عج) بهذا الأمر إليك لم[2] تنفكّ عن الحروب والمقارعة والأسفار والمزاولة إلاّ إلى العِلل والأسقام والأمراض والآلام، فأسألُ الله لأمير المؤمنين تعجيلَ الراحة
425 ودوامَ العافية/.

أتعاب المنصور في مدّة القائم...

فقال: لئن قلت ما قلت فيما عرفته فظهر[3] إليك، لَلَّذِي استتر وغابَ عنك أكثرُ. أتدري مُذْ كم أنا أزاول المحن؟.

قلت: مُنْذُ كم يا أميرَ المؤمنين؟

*ب 96 و

قال: مذ والله قبَض الله المهديّ بالله (عم) صرت إلى المحَن العظام * وإن كنت لممتَحَناً قبل ذلك بمِحَنٍ كثيرة. إنّه لمّا كان من أمر الله في[4] المهديّ (ص) ما كان، لم يتقدّمِ القائمُ (عم) للصّلاة عليه حتّى أخذَ بيدِي وخلا بـي فقلّدني عهدَه وأسرّ إليّ ذلك واستكتَمَنِي إيّاه. فوالله، ما علم بذلك منه إليّ، بعد الله، غيري[5]. وأقمتُ مدّةَ أيّام حياته ثلاثَ عشرة سنة[6] أنظر إلى من قرُبَ منه ومن

... وامتعاضه من كتمان ولايته للعهد مدّة طويلة

(1) أ: تذكرت. وأفكر في الأمر مثل فكر.
(2) أ: ثم لا.
(3) أ: فنظر.
(4) في، سقطت من ب.
(5) في أ و ب: غيرهُ. وإنّا نفهم من كلام المنصور هنا أن القائم عيّنة وليّاً لعهده منذ وفاة المهدي في 14 ربيع 1 سنة 322/ 4 مارس 934، وأنّ هذا التعيين لم يعلم به إلا القائم والمنصور نفسه. (انظر تعليقنا في ص 128 هـ 2). وقد جاء في ص 202 هـ 2 أن بعض شيوخ كتامة كان على علم من التعيين.
ونجد في سيرة الأستاذ جوذر (ص 40) أن القائم أعلم بالتعيين حاجبه جوذر، وأمره بكتمان «الخبر أشد الكتمان حتى أظهره بنفسي في الوقت الذي يشاء الله ذلك ويختاره». وقد بيّن ناشرا السيرة في التعليق 28 هذا التضارب بين رواية جوذر ورواية النعمان، ونسبا القاضي إلى «الوضع والتدليس»، فرجحا ـ ضمنياً ـ رواية جوذر.
(6) هنا أيضاً خلاف بين الروايتين. فبينما يقول جوذر: «فكتمت أمر المنصور في نفسي لم يطّلع على ذلك منّي أحد سبع سنين» (ص 40)، نرى النعمـان يقول، نقلاً عن المنصور، أن الستر استمر ثلاث عشرة سنة، أي، إذا انطلقنا من 322، سنة وفاة المهدي، إلى سنة=

بعْد عنه (ص) يسعَوْنَ بالفساد في دولة/ هي لي قد قلَّدَنِي الله أمرَها، وأنا كأقلّ 426
الأبعدين لا آمرُ ولا أنْهى، ولا أتعرَّضُ لشيء أنكره ولا أومِئ إليه، ولا إلى شيء
يُتَوَهَّمُ من أجله عَلَيَّ شيءٌ ممّا أنا فيه، وأهلُ خاصّتي يُؤْذَوْنَ ويُسْتَطَال عليهم فلا
يجد عندي أحدٌ منهم نُصْرَةً ولا قياماً أكثر من أن أُقصيَهم عن نفسي وأُبعِدهم عن
قربي، ويُنال منّي وأسمَعُ، وتُهْضَم أموالي وتؤكَلُ، وأنا في ذلك كلّه بمعزِل
أتجرّعُ غُصصَ الغُمُوم وأتحمّل فادحَ النّوازل صبْراً على ما حُمِّلْت، وقياماً بما
قُلِّدتُ، وحفظاً لما استُرعيتُ، وصيانةً لما استُودعت من أن تستحثّني[1] فيه أبّهةُ
القدرة أو أن يظهرَ عليّ منه عزُّ المملكة. ولو بقيتُ على ذلك أيّامَ حياتي/ ما 427
عدوتُ ما كان منّي، ولو شئت لبسطتُ يدي ولساني وأنفَذْتُ أمري، لأنّ الله
(تع) قد جعل إليّ ذلك ولكنّي لم أزل على ذلك من حالِي إلى أن كان من أمر الله
(تع) في القائم (عم) ما كان، وكان من الأمر ما قد انتهى إليك وشاهدتـ[ـهُ]،
وذلك هو الذي علِمتَ. وإنّه ـ في جانب ما قد مضى عليّ ولقيتُه من قَبْله ـ لأقلُّ
من أن ألتفِتَ إليه أو أذكره.

فاستعْبرت لِمَا سمعتُه من ذلك، وأكثرتُ من الصّلاة على المنصور (عم)
[و] قلت: يا مولاي، هذا والله الصّبر الذي وعد الله (تع) أن يُوفّيَ أهلَه أجرهم
بغير حساب.

ولقد روينا * عن عليّ (ص) ما ذكره ممّا امتحنه الله به في حياة رسول/ الله *ب96 428
(صلع)[2] وبعد وفاته من المِحن التي يَمتحِن بمثلها أولياءه، فما بلغَتْ كلُّها ما
ذكـره المنصور (ص) في هذه الواحدة وما قد عَرفنا من حاله يومئذٍ وما جرى

= 335، مع أن القائم توفي في 13 شوال 334/ ماي 946. وقد نبه ناشرا السيرة إلى هذا التضارب أيضاً.
على أن النعمان ينقل عن المعزّ (ص 433 هـ 3) أن الكتمان دام اثني عشر عاماً.
والإعلان على تعيين المنصور كان، حسب رواية ابن حماد (أخبار ملوك بني عبيد ص 21) وابن عذاري (البيان ج 1 ص 218) والداعي ابريس (عيون 338) من القائم إلى وجوه كتامة في رمضان 334، أي قبل وفاته بشهر تقريباً.

(1) في عيون الأخبار، 256، من أن تشخص فيه. وفي النقل الثاني، 506: من أن تُشخِصني فيه...

(2) ب: سقط من «ما ذكره ـ إلى ـ رسول الله (صلع).

محنة المنصور كمحنة علي بن أبي طالب بعد وفاة الرسول (ص)

عليه ممّا أجْرَى جملةَ خبره في حديثه هذا. ولقد كنّا نَتعجّب من خُمُولِه وتواضعه وتوقّيه أيّامَ القائم (صلع) ومحلُّه منه محلّه، ونحن لا ندري ما أفضى الله به إليهِ يومئذٍ ونستعظِم ذلك منه، فكيف لو علِمْنَا بما أصاره الله (تع) إليه؟.

فقال المعزّ لدين الله (ص): إنّ عليّاً وإن كان قد امتُحن بما امتُحِن به لم يكن يدَع (ص) شيئاً في نفسه يجد[1] ألمَه عليه حتّى يَضربَ به وجوهَ المخالفين له
429 والمُعاندين عليه[2] والمتخلّفين/ عنه، إمّا [تـ]ـصريحاً وإمّا تعريضاً، وفي ذلك بعضُ ما يُسلّي الغمّة ويذهب الغُلّة. والمنصور (ص) كالمغضي على شَوك القتاد والقابض على جمر الغضا، ثمّ لا يرى أنّه في شيء من ذلك أخصُّ الناس به وأقربُهم إليه صلاة الله ورحمته وبركاته عليه من صابرٍ على أمر الله محتسِب فيه. فضاعف الله له أجرَ ذلك وأحسن عليه جزاءه.

كلام في مجلس في النهي عن استقلال فضل الله عزّ وجلّ:

ترفّع بعض العمّال عمّا ينتدبهم إليه المعزّ

236 ـ (قال): وسمعت الإمام المعزّ (ص) يقول: إنّا ربّما أردنا أن نستعملَ بعضَ رجالنا وعبيدنا على العمل فيستقلّه من نَنْدُبُه إليهِ ويحتقِرُه، ويرى
430 نفسَه فوق ما ندبناه إليه وأردنا استعماله عليه، فينحطُّ/ عندنا بذلك حتّى نراه دونَ ما أردنا له، لأنّه قيل: من رَفَعَتْه الوَلايَة وتشامخَ لها فهي فوقَه وهو دونَها، ومن تواضع فيها فهي دونَه وهو فوقها.

ثمّ قال (عم): أفلا ينظر هؤلاء الجهّالُ الحمقى أنّ الذي يأنفُون منه من الأعمالِ قد تقلّدناه[3] نحنُ؟ فهِيَ بعضُ أعمالنا ما رغبنا عنها ولا رفضناها، وإنّا لننظر فيها بحسَب ما ننظر في أعلى الأعمال وأجَلّها، فيأنفون ممّا لا نأنف
*ب97و مِنه *، وَيُجِلُّون أنفسَهم عمّا لا نُجِلّ أنفسنا عنه. إنّما لهم فينا أسوة، ثمّ أعظم من ذلك وأجلّ: إنّ اللّهَ عزّ اسمه وتعالى ذكره هو خالق ما استنكفُوا منه،
431 ومدبّرُه والناظرُ فيه بحكمته، ما أهمله ولا ضيّعَهُ/ بل رعاه وحفظه، واستحفَظنا إيّاه. فما كان الله تعالى قد وَليَه برعايته واسترعانا إيّاه فرعَيناه بما خوّلنا من

(1) في العيون، 507: يحمل له عليه... وفي ب: يحمل ألمه...
(2) «عليه» ساقطة من أ.
(3) تقلدناها، في النسختين.

فضله نسترعيه[1] هؤلاءِ الجهّالَ فيأنفُون عنه استكباراً بأنفسهم ورفعة بهـا عمّا وليّه الله ـ جلّ ذكره ـ وولّيناه بأمره.

وجعل يتعجّب من ذلك، فسمعت منه في هذا المعنى ما لم أظنَّ أنّي أسمع مثلَه من الحكمة والتحذير والموعظة.

فقلت: يا مولاي، ما ذهب بنفسه عن شيء تأمر به، ولو كان كسحَ المراحيض والأزبال، إلاّ من تعدّى طوره وجهِل قدرَه. أوَ لم يعرف ما أوجب الله (تع) لك عليه؟.

432 ثمّ قلت: هذا فلان ـ لرجل قد كان من أقرب من كان إلى/ المهديّ بالله (صلع) ـ كان أوّل ما استخدَمَه فيه شراء التّبن وخزنَه، ثمّ ترقّت به الأمور إلى أن صار إلى ما صار عنده (ص). ولأن يكونَ المتولّي يتولّى القليلَ ثمّ يرتقي منه إلى ما فوقه لخيرٌ له من أن يتولّى جليـلاً ثمّ ينحطّ عنه.

فقال (عم): التّبنُ ممّا تلزم[2] الحاجة إليه وكذا وكذا ـ وعدّد أشياء كثيرةً من صغائر الأشياء وخسيس الصنائع ـ فإذا نَدَبْنَا إلى ذلك مَن يتكبّر عنه، أفليس قد أخلّ ذلك بما يحتاجُ إليه؟ إن الله قد استخدم النبيّين أفضلَ عبادِهِ عنده في طاعته فيما استخدم فيه سائرَ خلقه فما أنِفوا عمّا استخدمَهم فيه[3]، ولا جعلَهم في ذلك
433 فوقَ عباده. فهم يَسْتَنْجُون ويتطَهَّرون ويتناولون من ذلك/ بأيديهم ما يتناولُه عامّةُ المؤمنين بها[4]، ما رفعهم الله عن ذلك، ولا استنكَفُوا هم عنه كما يستنكف الجهّال عمّا نندبهم إليه.

97 فجاء أيضاً في ذلك (صلع) بما لا * يخطر على القلوب، وما لم يُسمَع *ب بمثله في حكمة تقَدَّمت ولا موعظة سلَفت.

كلام في مجلس في إحياء شرَف الآباء:

237 ـ (قال): وسمعته (ص) يخاطب بعض الأولياء ممّن كان له أسلاف

(1) هنا خبر فما (= فالذي) كان الله...
(2) أ: تكرم.
(3) سقط من أ: فما... فيه.
(4) أ و ب: بهم.

المعزّ يكرم أبناء بعض العمّال السالفين في خدمة الأئمة

تقدّمت لهم رئاسةٌ في أيّام المهديّ والقائم ـ صلوات الله عليهما ـ ثمّ انقرضوا وزالت تلك الرئاسة من أسلافهم، وخمُل ذكرهم، وقلّت ذاتُ أيديهم. فأراد (ص) أن يحييَ ذكرهم ويصرِفَ إليهمُ العملَ الذي كان أسلافهم عمّالاً
434 عليه، وذُكروا به/ وشرُفوا من أجله. فأحضرهم وقرّبهم وذكر ذلك لهم وما أمّله فيهم، فشكروا فضله بما قدروا عليه، وقبّلوا الأرض مراراً بين يديه.

فقال (ص) فيما قال لهم: أردنا أن نصل عوارف آبائنا (ص) عند[1] أسلافكم فيكم، ونحييَ ذكرهم بكم، ونَلُمَّ شعثكم، ونرفع من حالكم، فكونوا حَيْثُ نُريده منكم، ونقدّره من الخير فيكم، فأعِينونا على ما أردناه من الخير بكم بصالح أعمالكم وحسن نيّاتكم وطوِيّاتكم، فإنّا نقدر على تغيير حالكم وسدّ فقركم وأن نُغنيَكم، ولا نقدر على صلاح ما تفسدونه من أنفسكم إذا أنتم لم
435 تُقبِلوا على أمرنا إيّاكم ووعظنا لكم، فما السعيدُ كلُّ السعيد إلاّ من/ قَبِل عنّا وامتثل أمرَنا وأطاعنا، ولا الشقيّ إلاّ من خالفَنا وارتكب نَهْينا، وما نريد بكلّ ما نفعلُه فيكم ممّا تحبّونه أو تكرَهونه وتعرفونه وتُنكرونه إلاّ صلاحَكم والخيرَ لكم في دنياكم وأخراكم. إن أحْسَنّا إلى مَن نُحِسن إليه منكم ورَفَعْنـا من نَرفَعُه وأنعمْنا على من ننعم عليه، فما نريد منه بذلك إلاّ أن يعرف فضلنا فيشكرَه ويعمَل من صالح العمل ما يستديمه به، ويمتريَ منّا المزيد منه، ويصلَ إلى رضوان الله به،
*ب98و ويرضى بنا عنه. وإن عاقَبْنا من نعاقبه فما نعاقبه[2] إلاّ تأديباً * له، وليرجع عمّا أنكرناهُ عليه ونقمناه من أمره إلى ما يرضي الله (تع) عنه ويرضينا منه فيسعد بذلك
436 / في الدنيا والآخرة. وإن قتَلْنا منكم من نقلته ممّن يجب القتل عليه ولا يسعُنا أن نُبقيَه، فما ذلك منّا فيه إلاّ تطهيراً له وتمحيصاً لذنوبه، وما دونه[3] لغيره ممّن نرجو أن يردعَه ما رأى فيه، عمّا هو عليه من الفساد، وكلّ ما تجري به أمورُنا فيكم فهو صلاح لعامّتكم كيفَمَا[4] جرى تدبيرُنا فيكم ومضت أحكامنا عليكم ما

(1) أ: عن.
(2) ب: سقط: فما نعاقبه.
(3) هكذا في النسختين، ولعلّه تحريف لكلمة بمعنى إنذاراً أو تنبيهاً (لغيره). . .
(4) في النسختين: وكيف ما. . .

سلّمتم[1] لأمرنا ورضِيتم بحُكمنا.

حديث في مجلس في إنكار فعل[2] من غيّر دين الله:

238 ـ (قال): وسمعته (ص) يذكر تغيير بعض الدعاة أموراً غيّروها وأحكاماً حكموا بها وأصولاً أصّلوها من العلم بزعمهم في بعض الجزائر على رأيهم واستنباطهم، وأضافوها/ إلى قول الأئمّة الطاهرين (صلع)، فقال: نحن 437
نبرأ إلى الله (تع) من هؤلاء وأمثالهم ومن أفعالِهم، وما هم لنا بأولياءَ ولا كرامةَ لهم، ولا يدعُون إلينا وإن دَعَوا في ظاهر أمرهم. إنّما أولياؤُنا من قال بقولنا واتّبع أمرَنا ولم يتقوّلْ علينا ما لم نَقُلْهُ. وأمّا من تقوّل علينا الباطلَ ونسبَه إلينا وخالفَ أمرَنا ودعا إلى من قال بذلك القول الذي ابتدَعَه، وذهب إلى المذهب الذي اخترَع، فإنّما دعا إلى نفسه من اتّبعه وكذب علينا، والله سائلُه. والله لو صدق الدعاة إلينا عنّا، وأدّوْا إلى الناس قولَنا ولم يتقوّلوا علينا، ما تخلّفَ أَحد عنّا ممّن يتّبعُ قولَنا، وعرَف مذهبنا/. ولكنَّ هؤلاءِ وأشباهَهم [هم] الصادّون عن الله 438
وعنّا، المبدّلون لقولِ الله وقولِنا، المحرّفُون لكلام الله * وكلامنا. فبُعداً وسُحْقاً لهم وبئسَ المصير! إنّما أرادوا استعجالَ حطامٍ نالوه من أموال مَن استفزّوه وغرّوه منّا. فقد نالوا من ذلك ما طلَبوه، واقتدوا به وتعجّلوه، فذلك حظّهم الذي قصدُوا إليه وأرادوه، وحسبهم به عِوَضاً من ثواب الله الذي قصدوه، وبناره وسعيره وعذابه جزاءً بما فعلوه!. *ب 98

المعزّ يتبرّأ من بعض الدعاة لتغييرهم الأحكام

(1) «ما سلمتم»، ساقطة من أ وألحقتْ بالعنوان الموالي.
(2) أ: . . . فعل ما سلمتم من غير . . .

الجـزء الثاني والعشرون

[بسم الله الرحمن الرحيم]

كلام في مجلس في التواضع لله تعالى وإقامة فرضـه:

239 ـ قال القاضي النّعمان/ بن محمد: وحضر عيد الفطر وتقدّمه نَوْءٌ 439
عظيم وكثُر الوحل والطين. وذُكر ذلك للإمام المعزّ لدين الله (ص)، وما المعزّ يقيم صلاة
بالمصلّى منه وما في الطريق إليه من الماء والوحل والطين، وظنّوا أنّه يُصلّي صلاة العيـد في البراح
العيد في المسجد، فقال (ص): يكون من ذلك ما كان، لا بدّ من قضاء فرض الله رغم الماء والوحل
(تع) في البراح على ما أمر به جلّ ذكره وسنّةُ رسوله (ص). وذكر حديث النبيّ ﷺ أنّه ذكر ليلة القدر من شهـر رمضان فقال: رأيت أنّي أسجد فيها في ماء وطين، وأنّ الناس أمطروا بعد ذلك، فوكف المسجد وصلّى رسول الله (ص)،
فانصرف من الصلاة وقد أثّر الطين والماء في جبهته وأنفه/ لسجوده فيه[1]. 440

وقال المعزّ (ص): وهذا من أقلّ ما ينبغي أن يفعل في ذات الله وأكثر منه، والله لو حَبَوْنَا في هذا الطين حبواً على الرّكب وكان ذلك ممّا يرضي الله عنّا ويقبله مِنّا لفعلْناه. إنّ رسولَ الله (ص) يقول: إذا سمعتم داعيَ آل بيتي فسارعوا إليه ولو حبوا على الثّلج والنار[2]. فإذا كان الله (تع) قد أوجب لنا هذا على عباده ونحن
خلق من خلقه قد ابتدَأنا بفضله وأنعَم علينا بإحسانه، فكيف * بما يجب له علينا *ب99و

(1) رأيت أني أسجد في ماء وطين: ذكره البخاري ج 3 ص 61 (كتاب الصوم، باب تحرّي ليلة القدر) ومسلم ج 3 ص 171 و 172.

(2) حديث إذا سمعتم داعي آل بيتي فسارعوا إليه، ولو حبوا على الثلج والنار. ذكر ابن ماجه حديثين بلفظ مغاير: رقم 4082 يختم بعبارة: فمن أدرك ذلك منكم فليأتهم ولو حبواً على الثلج.

ورقم 4084: فإذا رأيتموه، فبايعوه ولو حبواً على الثلج، فإنه خليفة الله المهدي.
ورواه الحاكم في المستدرك وقال: صحيح على شرط الشيخين.

وعلى الخلق جلّ ذكره أن نرخّص فيه أو نتعاظمَ مشقّةً تدخل علينا من أجله؟ معاذ الله أن نستكبر عن عبادته أو نستحسر[1] في طاعته[2]!.

441 وخرج (عم)/ وخرج الناس في غد يخوضون الماء والطين فما انصرفوا إلاّ وقد تخضّبوا فيه، وامتلأت ثيابهم منه، وكان مشهداً يرضي الله من وليّه وممّن ذهب فيه مذهبه إن شاء الله.

كلام في موقف بكّتَ وليُّ الله [فيه] بعضَ من صدف عن أمره:

المعزّ يعاتب ابن واسول وابن بكر على عصيانهما

240 ــ (قال) وكان هذا العيد وقد أمكنَه الله من محمد بن واسول المدّعي إمامة المسلمين والمتسمّي بأمير المؤمنين ومن ابن بكر صاحب مدينة فاس الغامطِ نعمتَه الكافر إحسانَه، وكانا يومئذٍ معتقَلَيْن في سقيفة القصر، وكان وصولهما في/ آخر شعبان[3]. وظنّ الناس أنْ سيُقتَلا إذا وصلا، فلمّا أُبقِيَا قيل: إنَّهُما يوم الفطر
442 يُقتلان. فلمّا/ انصرف (ص) ودخل إلى داخل قصره، أحضرهما إليه، فمَثلا بين يديه ـ وهو قائم على فرسه والرّمحُ بيده ـ فقبّلا الأرض ووقفا، فقال لهما: أيّهما كان أحسنَ لكما: أن تكونا اليوم في مثل حالكما هذه بمَعْصِيَتِكُما وعداوتِكُما، أو تكونا اليوم في جملة أوليائنا ومن ائتمّ بنا، فتقضيان فرض ربّكما معنا، أو حيث

ابن واسول يقرّ بذنبِهِ

كنتما على طاعتنا التي افترضها الله ـ تعالى ـ عليكما وعلى سائر خلقه، وأنتما وادعان سالمان آمنان؟.

فلم يفهم عنه ابن واسول ما قاله، وأظنّ الخوفَ والذعر غلب عليه، فقال: بل الذي نحن فيه يا مولانا أفضل. فتبسّم أمير المؤمنين لمّا علِمَ بأنّه لم يفهم
443 عنه/. وأظنّ البائس إنّما ظنّ أنّه[4] خاطَبه بمثل ما خاطبه به قبل * ذلك.
*ب99 فإنّه (صلع) قال له قبل ذلك في يوم أحضره إليه: والله إنّك في حالك هذه التي أنتَ فيها ـ وإن كنت في الأسر والوِثاق ـ لأفضل ممّا كنت فيه من معصية الله

(1) ب: نستخف، واستحشر: تعِب وكلّ.
(2) ب: عبادته.
(3) من سنة 358/959. وذكر شعبان هنا غريب، لأن حصار فاس انتهى يوم 20 رمضان من هذه السنة، وأحمد بن بكر كان أمير فاس وقتها.
(4) أ و ب: إنما، والتصويب من عيون الأخبار، 629.

بتخطّيك إلى ما تخطّيْتَ إليه، وتسمّيك بما تسمّيتَ به، وإن كرهتَ ما أنت اليوم فيه. فقال: هو كما قال أميرُ المؤمنين (صلع). فأحسبه ظنّ أنّ الخطاب الذي خاطبه به أمير المؤمنين (ص) في هذا المقام كذلك كان.

المعز يستعرض عصيان أمير فاس ويقيم عليه الحجّة

فأعرض عنه (ص) لمّا رآه لم يفهم قولَه، وعطف على ابن بكر فقال: أنت
يا ابن بكر أمكننا الله منك وأنت على غيّك، فمننّا عليك، وأطلَقْنَاك من أسرك/ 444
وصرفناك إلى بلَدِك، فما رعَيْتَ الإحسانَ بل غمطت النِّعَمَ وتغلّبت على البلاد
دوننا، ودعوت[1] إلى غيرنا[2]. وتقول، فيما انتهى منك إلينا: هؤلاء الفواطمُ
ـ تعني الذين بناحيتك[3] ـ تسترضي أحدَهم بقُلّة من نبيذ وأَتْرُجَّتَيْن تُهدي ذلك
إليه، وتعني أنّا نحن لا نرضى منك إلاّ بالكثير. فلو عقلت لعلمتَ أنّ الرَّاضِي
منك بما وصفتَ، مثلُك في الحال أو دونك، وليتَك أقمتَ لنا ظاهراً أو كنت
واصَلْتَنا بأترجّة لعلّك كنت تستميلُنا بها كما زعمت أنّك استمَلْتَ من استَمَلْتَه،
ولكنّك نابَذْتَنَا وصارَمْتَنَا. ثمّ صارت عساكرنا إليك، فأظهرتَ أنّك على الطاعة
وغلقّت/ دونهم أبوابَ مدينتك، ولم تخرج إلى عبدنا قائد عسكرنا[4]، وسألك 445
أن تبعثَ بابنك ليكونَ عندنا، فأومأتَ إلى أسْوَدَ بين يديك، وقلت لرسولي
إليك: لو سألنـي شعرة من رأس هذا الأسودِ ما أعطيتُه إيّاها، وتقاتِل عساكرنا،
وتقتل أولياءَنا. ثمّ تكتب إلينا أنّه كانت بينك وبين القائد هينمة[5]، وتسألُنا أن
نُحِلَّك محلَّ الأولياء * عندنا. أفترى لو أنّك أسخطتَ بعْضَ نسائك بعضَ السخط *ب100و
فقابلتَها بمثل هذا الذي قابلْتَنا به، أكانت راضيةً منك به؟ فإيّانا يا شقيُّ تقابل بمثل
هذه المقابلة، وعلينا تجترىء بمثل هذه الجرأة؟.

يقول له (صلع) مثل هذا، قولَ مُغْضَبٍ/ ، والرمحُ بيده يديره فيها وسنانُه 446
من قِبَل الفاسق ابن بكر، فظنّ كثير ممّن حضر أنّه سيرسله إليه حتّى لقد تنحّى من

---

(1) أ: سموت.
(2) أي إلى المروانيين بالأندلس.
(3) أي الأدارسة الحسَنيّون، والفواطم ليس فيهـا تهجين بالضرورة مثل: الحوانف، الخوارج الخ.
(4) جوهر الصقلي.
(5) الهينمة: الكلام الخفيّ، ولعلّها تعني هنا: نميمة وسعاية.

كان واقفاً إلى جانبه. فأسكت الخائب[1] ودهش، وأكثر ما قدر أن يقول: يا مولايَ، أنا عبدك وقد أخطأتُ.

ثمّ عطف عليهما فقال: ما كنتما فاعلَيْن بمن حلّ عندَكُما محلَّكُما عندي لو أنّ الله أقدر كلّ واحد منكما عليه كما أقدرني عليكما؟ فسكتا. فنظر إلى ابن واسول فقال: قل ـ والله الشاهد على ما في قلبك ـ: ما كنتَ صانعاً في ذلك؟.

فقال: ومن أنا حتّى أشبَّهَ بعبدٍ من عبيد أمير المؤمنين (ص)، فكيف به في شيء من فعله؟.

447 ثمّ تفحّج فرس أمير المؤمنين/ فبال، فتباعد كثير ممّن كان حولَه، وتنحّى ابن واسول قليلاً، وكان قبالته، وقد جرى من بول الفرس نحوه. فقال له أمير المؤمنين: لمَ تأنّفتَ من بول الفرس؟.

الحكم في نجاسة بول الفرس

فسكت. فقال: قل لي في ذلك ولا علَيْك، فقد ترى كثيراً من عبيدنا فعل مثلَ ما فعلت.

فقال: يا أمير المؤمنين، قيل لنا إنّـه نَجِس.

فقال: ولمَ قُلْتُم إنّه نجس؟.

قال: لأنّه لا يؤكل لحمه، وما لم يؤكل لحمه فبوله نجس[2].

فقال له: وكيفَ لا يؤكَلُ لحمُه؟ أو لم يبلُغْك أنّه يباع في مجازر المسلمين في كثير من أمصارهم؟.

ثمّ نظر إليّ فقال: ما تقول أنت يا نعمان في ذلك؟.

448 قلت: أقول فيه كما قال مواليّ وما رويناه عنهم عن رسول/ الله (صلع) أنّ عليّاً قال: مرّ رسول الله (صلع) برجل من الأنصار وبينَ * يَدَيْه فرَسٌ له يكيد

(1) في عيون الأخبار، 630: الخائن.
(2) يذهب الشافعي وأبو حنيفة إلى أن أبوال الحيوان كلها نجسة. أما مالك فقاسها على لحوم الحيوان: فما حرم لحمه، فبوله نجس (انظر بداية المجتهد لابن رشد ج 1 ص 77. وانظر كذلك: عبد الرحمان الجزيري: الفقه على المذاهب الأربعة: باب الطهارة). ويفهم من جواب ابن واسول أنه متفقه في الدين سنّي المذهب (بعد أن كان خارجياً).

بنفسه[1] فقال له رسول الله (ص): اذبَحْه يضاعَفْ لك أجرُه بذبحه واحتسابك إليه[2]. الرسول أكل لَحمَ الخيل: فهو حلال

فقال: يا رسول الله (صلع)، ألي منه شيء؟

فقال: نعم، كُلْ وأهد إلَيْنَا إن شئتَ. فذبحه وأهْدَى منه فخذا إلى رسول الله (صلع).

قال (عم): فأكل منه رسول الله ﷺ وأطعمنا[3].

قلت: وعلى هذا أكثر العامّة يُجيزُونَ ذبح الخيل وأكلَ لحومها. فأمّا أهلُ البيت (ص) فإنّهم يرون ذبح[4] ما عطِب منها ويُئِسَ مِنْ حياته ـ وهكذا [كان] الذي وُصف أنّ رسول الله (ص) أمر بذبحه لمّا كان يكيد بنفسه ـ ولا يرَوْنَ ذبحَ الصحيح السالم/ منها لقول الله (تع): ﴿وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً﴾[5]. وقوله: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ﴾[6]. 449

---

(1) أي يجُودُ بها.

(2) النسائي (ج 7 ص 201 ـ 202)، ابن ماجة (ص 1064 رقم 3190 ـ 3191) الترمذي (ج 7 ص 294) البخاري 7 ص 123.

(3) ذكر القاضي النعمان هذا الحديث في باب الأطعمة من كتاب الدعائم (ج 2 ص 124)، مع اختلاف يسير في المتن. ولكننا لم نجد في المسانيد السنيّة أن الرسول قد أكل من لحوم الخيل. وإنما جاء عنه أنه رخّص فيها، وتذكر كل المسانيد حديث أسماء بنت أبي بكر مع بعض الاختلاف في السند والمَتن. والحديث: «نحرنا (أو ذبحنا) فرساً على عهد رسول الله فأكلناه (فأكلنا لحمه أو من لحمه). (انظر البخاري، ذبائح، 27، مسلم: باب الصيد، 38، النسائي، ضحايا، 23، ابن ماجه، ذبائح، 12، وأحمد بن حنبل، ج 6 ص 346). أما لحوم الخيل، فقد اختلف العلماء في إباحة أكلها. فمذهب الشافعي والجمهور من السلف والخلف أنه مباح لا كراهة فيه. أما المالكية فقالوا: المشهور عندهم تحريم الخيل، وفيه قول بإباحتها. وأما الحنفية فقالوا: يكره أكل الخيل كراهة تنزيه على المعتمد. (انظر بداية المجتهد ج 1 ص 455 «ذوات الحافر الانسي»، والجزيري: الفقه على المذاهب الأربعة، قسم العبادات ص 611). ونضيف هنا أنه وردت في المسانيد السنية وكذلك عند الشيعة أحاديث تنهى عن أكل لحوم الخيل.

(4) سقط من ب: الخيل... ذبح.

(5) النحل، 8.

(6) الأنفال، 60.

الحظر أو الإباحة بحسب سلامتها أو عطبها فأباحوا ذبحَ ما عطِب منها ويُبِسَ من حياته[1] وأكْلَ لحمه، بالخَبَرِ، وتوقّفوا عن ذبح السالم الصحيح منها، بالنصّ لما فيها من عزّ الإسلام وقوّة أهلِهِ وزينتهم إذا كانت سليمةً. فإذا عطِبَت ويُئس منها زال عنها هذا المعنى وحلّ ذبحُها وأكْلُ لحمِها بالحديث، وبقول الله (تع): ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾[2]. وقد روي عن رسول الله (ص) في ذلك أخبار كثيرة.

فتبسّم (صلع) وصرف عنان فرسه فدخل من باب الخاصّة إلى داخل قصره
450 / وقد نُصِبت الموائد للناس، وصرف القيّمُ على الطّعام ابن واسول وابن بكر إلى حجرة وقرّب إليهما مائدة فأكلا وصُرِفا إلى مكانهما.

وتحدّث الناس بما كان من أمير المؤمنين إليهما. وقال لي بعضهم: ما ظنَنَّا إلاّ أنّ[3] ابنَ بكر سيقتل.

قلت: فلو قُتلَ الآن أليس قد مضى بما فيه واستراح ممّا هو بسبيله، وإنْ كان صائراً إلى غضب الله؟ ولكنّ في متعتنا بالنظر إليه وإشهاده مثلَ هذه المشاهد
*ب101و وتقريعه بمثل هذا التقريع إلى أن يرى * وليُّ الله فيه رأيَه، أفضلَ البُغية والمأمولِ.

ذكر رؤيا رآها المعزّ (صلع):

451 241 ــ (قال) وكنت قد ألّفت سيرة المعزّ (ص) من أوّل ما أفضى/ الله (عج) بالإمامة إليه، وما وهب الله له في أيّامه والأمّة به من بَرَكتِه وسعادة إمَامَتِه، وما تابع فيها من المسرّات وأوْلَى من الْخَيْرات وأوسَعَ من العطيّات، في رجزٍ موزون بقوافٍ مزدوجة[4]. وكثّر الله (تع) ذلك وترادف منه ما أعجزني مع كثرة الشغل بما أنا فيه عن تأليفه وتصنيفه. وكنت رجوت أن أبلُغَ من ذلك في حياتي

أرجوزة للنعمان في سيرة المعزّ...

(1) سقط من ب: ويئس من حياته... ما عطب منها ويئس من حياته.
(2) الحشر، 7.
(3) في «أ» و «ب»: إلا أنهما وابن بكر.
(4) ذكر النعمان تآليف أخرى له فيما سبق من الكتاب (ص 108 وص 125). وهذه الأرجوزة في سيرة المعز ذكرها إيڤانوف في ثبته تحت عنوان «ذات المنن» بعدد 99. وذكرها بوناوالا ص 58 تحت رقم 19.

صدراً، وأن يصل ذلك عقِبـي من بَعدي وأعقابُهم في طول بقاء وليّ الله معزّ دينه ... يشترك في نظمها ابنُه عليّ
ودوامِ عزّه وسُلطانِه، وتتابع آلاء الله عليه.

وكلّفتُ ابني عليّاً(1) عملَ شيء من ذلك لأنظُرَ إليه بحسب ما رجوتُ. فأخذ
في ذلك وعمِلَ منه أبواباً رأيت أنّها/ حسَنَةٌ وعرضتُها على المعزّ (صلع) 452
فاستَحْسَنَها واستجاد معناها.

ثمّ أقبل عليّ (ص) وهو ينظر فيها فقال: لقد ذكّرني هذا ـ وذكر شيئاً فيها ـ
رؤيا رأيتها البارحةَ: كأنّ اللعينَ مظفَّراً(2) قد قال لي مرّة: إنّ من بَعُد عن أمير
المؤمنين كان أسلَمَ ممّن قرُب منه، لأنّه كان يقال: من قرب من الشمس أعْشَتْ
بصره. فإنّي أرى البارحة فيما يرى النائم [أنّي] أذكر ذلك عنه، فيقول لي مَن في القـرب مـن الأئمـة والبعـد عنهم
ذكرتُه له: أوَ قال ذلك لك الفاسقُ؟.

قلت: نعم.

قال: لا جرم أنّ الله ابتلاه بسخطك. وأصاره إلى الخزي المقيم والبلاء
العظيم، إذ كان هذا هو اعتقاده فيك وهذه حاله منك قد عمِيَ أن يستضيء بنُورك/ 453
في حياته وصار إلى عذاب الله بعد وفاته. ثمّ عطف عليّ فقال: إنّما تُعشي
الشمسُ الأبصارَ الكليلَةَ الضعيفةَ. فأمّا الأبصار السالمة الصحيحةُ فهي تَسْتَمِدُّ من
نورها * ولو كان النور يعشي لأعشى من هُوَ فيه. *ب 101

قلت: يا مولاي، فالقائل هذا معروف؟.

---

(1) علي بن القاضي النعمان ولد بالقيروان في رجب سنة 328هـ وقدم مع المعز إلى مصر، ولما توفي والده أشركه المعز في القضاء مع أبي طاهر الذهلي. فظلا يقضيان حتى توفي المعز (365هـ). وولي العزيز، وعرض للقاضي أبي طاهر مرض الفالج ففوض العزيز القضاء إلى علي بن النعمان في صفر 366هـ، وظل منفرداً بالقضاء إلى أن توفي سنة 374هـ، وصلى عليه العزيز.

وعلي بن النعمان أول من لقب بقاضي القضاة في مصر، وكان عالماً فقيهاً ومؤلفاً وشاعراً رقيق الشعر، أورد له الثعالبي شيئاً من شعره. انظر الكندي: الولاة والقضاة ص 495 و 589 و 591 والذهبيّ: سير أعلام النبلاء، 16/367 والثعالبي، يتيمة الدهر، ج 1 ص 385، وابن خلكان (ترجمة النعمان رقم 766) الذي أرّخ ولادته بربيع الأول سنة 329.

(2) مظفر: انظر ص 401.

فقال: أي والله معروف شريف، وتبسّمَ.

قلت: على أنّ هذا كَلاَمٌ يستعمِلُه الأوائل قديماً.

قال: نعم، ولكن المادّةَ سبب فساده كما ترى[1].

قلت: الحمد لله الذي أمدّ وليّه[2] بنور حكمته، وفضّلنا بقربه والأخذ للفوائد من قِبَله.

حديث في مجلس في فضل القرب من أولياء الله صلوات الله عليهم:

454 242 ـ (قال) وسمعته (صلع) يقول/ لبعض خاصّة عبيده وقد قدم عليه من المهديّة، وكان مقيماً بها، وأمره بالمقام بحضرته وخصّه بالقرب منه لقديم وَلايته وصُحْبتِه وعفافه: إنك لَن تَعْدَم بقربك منّا خيراً تُفيده ومسرّةً تُغْبَط[3] بها وتطيب نفساً بوُرودها ونعمةً تَحُوزها وتستفيدها. كما لا يعدَم من قرُب من عدوّنا وحلّ من خاصّته محلّك منّا، من غضب الله ولعْنتِهِ وخزيه ومَقته في عاجل دنياه حسب ما يستحقُّه، ولَمَا أعدَّ لهم في الآخرة أنكى وأشقى، ولعذابُ الآخرة أشدّ وأبقى. كما أنّ ما أعدَّ لأوليائنا ولمن سعِدَ بقربنا ورضانا من ثوابه في الدّار الآخرة عنده
455 أجلّ وأعظمُ ممّا يظنّه/ ويسمو إليه أملُه.

المعزّ يقرّب إليه جوذر الخادم ويُسكنه المنصوريّة بعد المهديّة

فقبّل الأرض بين يديه ذلك الرجل[4] ومن حضر ممّن خصّه بقربه، وحمدوا الله على ما أولاهم من فضله، وشكروا له ذلك بما قدروا عليه.

حديث في مجلس في قبح الخيانة وسوء عاقبة أهلها:

خيانة بعض عمّال المعزّ في مال ائتمنهم عليه

243 ـ (قال) وذكر يوماً (صلع) قوماً وجب عليهم مال في شيء خرجوا به إلى جهة المشرق وكتموه وستروه واختانوا به، فأظهره الله عليهم وأبداه لوليّه. وذكر ذلك بعض من تولّى مثل ذلك.

---

(1) هكذا في أ و ب. ولعل «المادة» محرفة.
(2) ناقصة من أ.
(3) في ع 552: تغتبط.
(4) هذا الرجل هو جوذر، ولا ندري لماذا يكتم النعمان اسمه. وقد ذكره الداعي إدريس، 552.

فقال (صلع): قبّح الله الخيانةَ وقبّح أهلَها، فما أسوأ حالَهم وأقلّ نظرَهم
لأنفسهم! أما إنّ هؤلاء لو سألونا تركَ ما اختانوا به لتركناه وما بخِلنا عليهم به * *ب102و
456 ولا على غيرهم/ بأضعاف ذلك، حتّى لقد تركنا في هذه السنة أكثر ما يلزَمُهم، ما
جَبَهْنا[1] سؤال أحدٍ منهم ممّن عرفناه ولم نعرفه، من يستحقُّ منهم ومن لا
يستحقُّ. فما الذي أحوَجَهُم إلى الخيانة، وما أحوجناهم إليها؟ اللهمّ إلاّ أن تكونَ
الطِّبَاع الفاسدة الغالبة عليهم وسوء الهمّة التي بُنِـيَ عليها تركيبهم، قبّحهم الله
وأخزاهم! والله إنّا لنترك الكثيرَ من حقّنا والواجبِ لنا لهم ولغيرهم وإن لم
يسألونا تركه لهم، ونأمر من يتولّى ذلك لنا بالغفلة عنهم وترك الاستقصاء عليهم.

فقال ذلك الرجل: والله إنّ عبدَ أمير المؤمنين ليتمثّل ذلك من أمر مولاه
457 فيهم، وأنتم كما قال الله (تع) فيكم/: ﴿ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ﴾[2]. ولقد كان
المهديّ بالله (ص) يأمُرني بذلك ويقول: إنّا لو استقضينا حقّنا لذهب الكرَمُ الذي
جَبَلَنا الله عليه.

فقال المعزّ (ص): هو كما قال (ص)، وليس للناس غاية تدرك في رضاهم
فيُستطاع بلوغُها. وما رَضِيَ أكثرهم عن الله فيما قسمَهُ لهم، فكيف يرضَوْنَ عنّا؟
ولكن لا ندع الجميل مَا أمكننا واستطعنا. والله يجزينا بذلك ما نرجوه من جميـل
جزائه، ويَجزي من غَمطَ نِعْمَتَـنَا وكفر إحسانَنا ما يستحقُّه عنده.

كلام في العفو جرى في مجلس:

244 ـ (قال) وذكر الإمام المعزّ لدين الله (ص) فضلَ العفو والصّفح
458 والمرحمة وما جبلَهُ الله [عليه] من ذلك، وحمِد الله على ما وهبه/ منه، وقال: إنّا
نأثر عن آبائنا (ص) أنّ موسى بن عمران (ص) بينا هو يصلّي في موضع خلا فيه
بنفسه، وقد سجد فأطال السجودَ، إذ مرّ به عدوٌّ من أعداء الله، فوضع قَدَمه على موسى والرجل
*ب102 قفا موسى * بن عمران وهو ساجد، فوطِئهُ وطأةً شديدة، ومضى يشتدّ لِئَلاَّ الذي وطيء عنقه
يطلبه.

(1) جبهه: رده.
(2) آل عمران، 34.

فرفع موسى (عم) رأسه وقد أَلِم لشدّة وطأته، وقال: ما لك، لا غفَرَ الله لك! وما هو (عج) بالذي يغفر لك مثل هذا.

فأوحى الله (تع) إليه: يا موسى أتقطَعُ عليّ، وتوجب أنّي لا أغفر ذنباً عمِلَهُ عبدٌ من عبادي، وذلك ممّا يُوئسُهم من رحمتي ويدفع ما أوجبتُ منها لخَلقي؟ لقد
459 أتَيْتَ يا موسى عظيماً بما تبتُّه عليّ من ذلك/، ولقد أتى عبدي هذا الظالم لنفسه إليك ذنباً عظيماً، في عدلي عليه أن أعذّبه عذاباً أليماً. فإذ قطعتَ عليَّ بأنّي لا أغفِرُه له فلأخالِفَنَّ ظنَّك بـي وما أوجبْتَه من قَطع رحمتي، ولأغفِرَنَّ له، وقد غفرتُه لما كان منك في ذلك.

فاستغفر موسى ربَّه وأناب إليه ممّا كان منه واسترحمه وتاب إليه منه.

كلام في مجلس في القيام بحقّ الله مبلغ الجهد:

245 ــ (قال) وذكر يوماً (صلع) قولاً بلغه عن بعض المخالفين المبغضين لأيّامه ـ لعنهم الله ـ ولو شاء (صلع) لدمّرهم، ولكنّ الله (تع) قد جبله على الحِلم والعفو والصفح والمرحمة.

460 فقال: بلغني أنّهم يقولون: قد همّ بكذا فلم يستطعه، وهمّ بكذا/ فلم ينَلْه ولا قدَرَ عليه. فبَحَهُمُ الله! فما أسوأ حالَهُمْ وأقلَّ بصائرَهم ومعرفَتهم بما تعبّدَ الله به رُسُلَه والأئمّةَ من عِبَاده، ونصبهم له، واستخْدمَهم فيه. كأنّهم غيرُ مصدّقِينَ بنُبوّة رسول الله (ص) ولا هُم من أهلِ مِلّته ولا ممّن ينتحِلُ دَعْوَتَه. وإنّهم إذا أخلصوا لذلك[...][1] ولكنّهم يدّعونَ أنّهم من أهل الإسلام، وقد علموا أنّ رسول الله (ص) همَّ بغير شيء فلم يَبْلُغْه وقصَدَ غير مَقْصد فانصرف عنه ولم ينَلْ ما قصد فيه* منه، وبعث غير بعثٍ فانهزم إليه، ولقِيَ غيرَ عدوّ فلم يظفَر به. وإنّما تعبَّدَ اللّهُ *ب103و
461 رسلَه الذين أمرهم بالجهاد، والأئمّـةَ الذين أقامَهُمْ للقيام بأمر دينه/ بما تعبَّدَهم من استفراغ مجهودِهم وبذلِ وسُعِهم فيما افترضه عليهم من جهاد أعدائه. فلذلك أقامَهم واستخدمهم، فهم يُدْئِبُون فيه أنفُسَهم ويَهجُرون أوطانَهم وينفقون فيه ما[2]

أعـــداء المعـــزّ يزعمون أنّه أخفق في بعـــض مساعيه...

(1) هكذا في النسختين، ولعل في الكلام نقصاً.
(2) ما: ناقصة من أ.

خوّلهم من أموالهم، ويبلغون منه ما قدروا عليه وأمكنهم، وذلك فرْضُه الذي فرَضَه عليهم، ولم يفترض عليهم أن يغلبوا العُداة[1] ولا يُبقُوا منهم أحداً إلاَّ دمّروه. بل ذلك من أمرهم وأمر عدوّهم إليه جلَّ ثناؤه، ينصُرُهم على من أحبَّ أن ينصرَهم عليه، ويُبقِي من أعداء الله من يُبقيه لما يريده جلّ جلاله من استنقاذه

... فيردّ بـأنّ رسالة الأئمة هي إعـلاء كلمة الله...

429 إلى الهدى أو الإملاءِ له ليزدَادَ كما قال الله (تع) إثماً[2]. ولو شاء الله لاجْتَاحَ من كَفَر به وعَنِدَ/ عن أوليائه فأدنى إليه عذابه، ولكنّه امتحن عباده بذلك من أمره كما 462
قال، عزّ وجلّ من قائل: ﴿وَلَوْ يَشَاءُ اللّهُ لانْتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَكِنْ لِيَبْلُوَ بَعْضَكُمْ بِبَعْضٍ وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَنْ يُضِلَّ أعْمَالَهُمْ سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ﴾[3].

... أمّـا النصر فبيَدِ الله

فوعد القائمين بحقّه المجاهدين في سبيله ما قد وعدهم من ثوابه ولم يُكلِّفْهم غيرَ القيام بأمره وبذلِ المجهود فيما أمرهم به. ولكنّه لمن يُقالُ هذا؟ ألِلْبَهَائِمِ في أشخاص بني آدم؟ بل البهائمُ أفضلُ مِنْهُم وأهدَى سبيلا! أما إنّهم يتعرّضون لبأس الله أن يَحُلّ بهم بأيدينا وما ذلك ببعيد من الفاسقين. وإنْ نحلُمْ/ 463
430 عن جهلهم ونغْفَلْ عن قبيح ما يأتي منهم فمـا الله بغافلٍ * عمّا يعمل الظالمون. *ب103
وما لنا أن نَتَعدَّى أمرَه وَلاَ أنْ نخَالِفَ حكمه بل نصبِرُ على ما أُوذِينَا كما صَبَرَ أولُو العزم من قبلنا، وكما أمر الله بذلك محمّداً نبيّه جدَّنا (صلع)، فقد قال وهو أصدقُ القائلين: ﴿فاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلاَ تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ﴾[4]. وما عذابُ الله من الظالمين ببعيد، بل أخذُه كما قال: ﴿إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهْيَ ظَالِمَةٌ إنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾[5].

كلام في مجلس في الخروج من حقوق الله:

الإتاوةُ للإمام، إلى من تدفعُ؟

246 ـ (قال) وسألني رجل حضر مجلس الحكمة[6] ممّن دخل إلى دعوة

(1) في النسختين: العداوة.
(2) الآية من سورة آل عمران، 178 ﴿إنما نملي لهم ليزدادوا إثماً﴾.
(3) محمد، 4 ـ 6.
(4) الأحقاف، 35.
(5) هود، 102.
(6) مجلس الحكمة: انظر ص 401.

464 وَلِيِّ الله ممّن قدِمَ من المشرق: إلى من يدفَعُ ما/ يجب عليه في ماله إذا هو انصرف إلى بلده، وهو لا يدري هناك أحداً يقوم بأمر المؤمنين؟.

النعمان: إلى الجناح في كل جزيرة

فقلت: إنّ أولياء الله لن يُخْلُوا موضِعاً من الأرض من جناح[1] لهم فيه، واسطةً بينهم وبين من همَّ به من عباده، فإذا أنت صرت إلى موضعك عرفتَ ذلك إن شاء الله.

ثمّ ذكرت ذلك للمعزّ (عم) فقال: نِعْمَ ما قلت له، إنَّ أكثرَ الناس يجهَلون أمرنا ويظنّون أنّا لا نُعْنَى إلاّ بمن شاهدناه وكان بحضرتنا، ولو كان ذلك لكنّا قد ضيّعْنا من بَعُد منّا، وقد أوجب الله (تع) على جميع خَلقه وَلاَيَتَنا ومعرِفَتَنا واتِّباعَ أمرنا والهجرةَ والسّعيَ إلينا من قُرب ومن بعد، كما أوجبَ الله عليهم في ظاهر 465 أمره/ الحجّ[2] إلى بيته الحرام من الآفاق، ولكنّا للرّأفة بهم ولمَا نرجُوه ونُحبُّه من

(1) الجناح (ج. أجنحة) وهو داعي الجزيرة. وفي الدعوة الإسماعيلية، أن الوظيفة الأساسية للإمام هي تعليم المعنى الباطني للدين، وهذا يقتضي ترتيباً لأعضاء الدعوة الذين هم امتداد لشخص الإمام، ومن ثم وقع تسمية بعض الدعاة بالأجنحة، وكذلك بالأيادي أي أن الدعاة هم أعضاء الإمام ومساعدوه، وكلهم يكوّنون جسداً واحداً. لكن القاضي النعمان في كتاب «أساس التأويل» (ص 70، 85، 87) يجعل الأجنحة في آخر مرتبة من مراتب الدعوة، فتكون مراتب الدعوة كالآتي: الناطق، الأساس، الأئمة، الحجج، اللواحق (النقباء)، الأجنحة. فالجناح هو الحد الأدنى الذي يتصل مباشرة بالمستجيبين. (انظر كذلك جعفر بن منصور اليمن: تأويل الزكاة ص 357. والفترات والقرانات ص 35أ، والسجستاني: إثبات النبوات، ص 100).

(2) أشار القاضي النعمان إلى تأويل الحج، في كتابه «تأويل الدعائم»، في باب الحج فقال: «الحج فيما يتعارفه الناس السير إلى بيت الله الحرام لقضاء المناسك، والحج في اللغة الاختلاف إلى الموضع وإلى الشيء مرة بعد مرة، يقولون: حج فلان موضع كذا إذا أدام الاختلاف إليه ولزمه، وحج فلاناً، أي أتى إليه معظماً له، فأقام عنده وعظمه... فيقال من ذلك: حج الرجل البيت إذا أتاه ليقضي الواجب عنده، وحجّ فلاناً إذا أتاه أيضاً لمثل ذلك تعظيماً له على ما ذكرنا. وهذا هو وجه التأويل. فظاهر الحجّ الاتيان إلى البيت العتيق بمكّة لقضاء المناسك عنده وتعظيمه. وتأويل ذلك الذي جعل الظاهر دليلاً عليه إتيان إمام الزمان من كان من نبيّ أو إمام، وقد ذكرنا أن مثله في الباطن مثل البيت الحرام (ص 196 ـ 197)». إذن يكون الحج في الباطن هو السعي والهجرة إلى الإمام. وكما يقول القاضي النعمان، ولتيسير الأمر لأبناء الدعوة جعل في كل ناحية تقام فيها الدعوة من يقوم بأمره وهو فيها يمثل الإمام.

وكذلك تأويل جعفر بن منصور اليمن في كتاب الكشف (ص 118): «... والباطن=

هدايتهم قد نصَبْنَا بكل جزيرة[1] لهم من يَهديهم إلينا ويدُلّهم علينا، عرَف ذلك من عرفه وجهله من جهِلَهُ، وإن كنّا قَلَّما نجد لِذلك من يقوم بالواجب فيه، ومن نجد عندَه ما نَرتضيه فما علينا إلاّ الجهد والبلاغُ[2]، والله يَهدي من يشاء من عباده ويرحَمُ من أحبَّ من خلقه، ويختار لوَلايتنا من يختاره * من حزبه. *ب 104 و

كلام في مسايرة ذكر عن القائم (صلع):

247 ــ (قال) وسايرت المعزّ لدين الله (صلع) في بعض أسفاره فذكر القائم (ص) واختصاصَه إيّاه ومحبّتَه له وقُربَه منه وما كان امتَحَنَ به المنصورَ (صلع) من طول سَتر/ أمره[3] وتركِهِ إظهارَه إلى أن قرُب وقتُ انتقاله. 466

فقال المعزّ (صلع): دخلت إليه بعد أن أظهر المنصور (صلع) ونصبه للناس[4] بعد مدّة اثنتي عشرة سنة من يوم أفضى إليه بذلك[5]، وذلك قبل وفاته (صلع) بثلاثة أيّام[6]، وعنده بعض حرمه، فأمرها فتنحّتْ عنه، ثمّ أدناني من نفسه، وضمّني إلى صدره، وقبّل بينَ عَيْنَيّ، وبكى فبكَيْت لبكائه، ولا أدري ما أبكاه: القائم لم يعلن بالخلافة للمنصور إلا حين قربت وفاتُه

ثمّ قال لي: يا بنيَّ إنّ مولاك ومُحبَّك مفارِقُك بعد ثلاثٍ. وعَقَدَها بيده.

= من الحج على وجهين: أحدهما الهجرة من وطنك إلى وطن الرسول في عصره أو إلى وطن الإمام في عصره مع معرفة صاحبها وإلى من جاهرت بحقيقة فضله ومقامه حتى يقبل حجّك ويشكر قلبك ويتزكى سعيك وينجلي عن شكك، والوجه الثاني في الباطن فهو معرفة الإمام (ص) في كل عصر وزمان الناطق بالحكمة...».

(1) الجزيرة: انظر ص 241 هـ 3.

(2) ب: البلاء.

(3) ستره عن الناس، أما المنصور فقد كان يعلم بتعيينه حسب روايته للمعز (انظر ص 414 هـ 5) وقد برر القاضي النعمان هذا الكتمان في «أساس التأويل» (ص 51) بحجّة يرفعها إلى جعفر الصادق: «... فكان ذلك ـ أي تأخير الإعلان عن الوصيّ ـ لئلا يجتمع الفضل الكامل في اثنين ولا يكون إلاّ في واحد بعد واحد» (وانظر في ص 472هـ 1 صيغة أخرى من هذا القول مع تعليقنا).

(4) في رمضان 334 كما مر.

(5) عند دفن المهدي، في ربيع 1 سنة 322.

(6) هذه المحادثة بين القائم والمعز دارت إذن يوم 9 شوال 334/13 ماي 946.

قلت: بل يُبقي الله أميرَ المؤمنين ويُمِدُّ في عمُره ويُقَدِّمُنا قبله.

قال: اسْمَعْ ما أقولُ لك: إنَّ أخوَفَ ما أتخوَّفُه عليك من أبيك، ما عِلمَه
467 / من إيثاري إيّاك وإيثارِك أمري على أمره، وميلِك إليَّ دونَه، وما أعلَمُه من ميله إلى
أمَّهَاتِ إخْوَتِكَ[1]. فأخشى خِشيةَ المُشفِق عليك أن يعدل بهذا الأمرِ عَنْكَ إلى غيرك منهم. وكـلاّ لا يفعل الله ذلك إن شاء الله! ولكن متى رأيتَ منه أثَرَةً عليك أو ميلاً عنك فاصبِرْ صبرَ من أحلَّه الله محلَّك، وأقامه مقامك. فأنت والله صاحبُها، ولولا صِغَرُ سنِّك اليومَ ما عَدَتْك[2]. وعن قريب تصير إليك. فأوصيك بتقوى الله واحتمال ما حُمّلتَ والصبرِ على مَضَض ما يُؤتى إليك، وإخْوَتَكَ إخْوَتَك! فَأَحْكِم مُعَامَلَتَهم في يومك وغدِك!.

القائم يخاف على المعـزّ مـن تنكّـر المنصور له بسبب حظوته لديه

468 ثمّ أدركه ضعف وبهَرٌ، فقطع الكلام/ ساعة ثمّ تنفّس الصّعداءَ وقال: الإخْوَةُ[3] وما الإخوةُ؟ يتهوّلُ أمرَهم، لما كان ناله (صلع) من المشقّة في سياسة
*ب104 أمرهم. ثمّ خَفَقَ[4]، ورأيتُ أنّ الكلام أجهده، فقُمْتُ عنه وخرجت * فإذا بالمرأة من وراء الباب تسمَعُ ما جرى من الكلام ـ وهـي بعض أمَّهَاتِ الأولاد ـ فهنّأتْني بما سمعَتْ وقُبض (ص) ثالثَ ذلك كما قال[5].

في بعض بواهر المعزّ (ص):

248 ـ (قال): واعتزم المعزّ لدين الله (ص) على الخروج عن الحضرة

(1) يظهر أن أبناء المنصور الخمسة (والبنات الخمس) كانوا من أمهات مختلفة، ولكن المؤرخين لم يذكروهن.
(2) ولد المعز في 11 رمضان 319، فعُمُرُه إذن 15 عاماً. وقد سبق للمعز أن ذكر عبارة القائم هذه بلفظ مختلف: ولولا صغر سنك لجعلت هذا الأمر إليك (ص 86 من المجالس والمسايرات). وقد لاحظنا (ص 87 تنبيه 1) أن نيّة القائم هذه تشعر بأن الإمام قد يتجاوز ـ في تعيين خليفته ـ الابن إلى الحفيد.
(3) سقط من ب: فقطع الكلام. . . وقال الإخوة.
(4) في الأصل: خَفَق، والإصلاح، من العيون: 528. وخفق: اضطرب وتحرّك.
(5) يظهر أن القائم قدر يوم وفاته تقديراً صحيحاً، وكأن النعمان يريد أن يشعرنا بأن الأئمة يَتَنَبَّؤُون بوفاتهم. هذا، وقد عقد الكليني فصلاً في كتاب الكافي (ج 1 ص 258) بعنوان: باب أن الأئمة (ص) يعلمون متى يموتون، وأنهم لا يموتون إلا باختيار منهم.

لمطالعة بعض الكور واحتفار أنهار [كان على] أنْ يُجْرِيَهَا إلى الحضرة، فبعد أن أعدّ لذلك وقرب الوقت الذي اعتزم على الخروج فيه جاءت الأخبار بأنّ الجراد قد أطلّ على البلد/ وأشرف عليه، وبوّخ[1] في كلّ موضع نزل فيه. فكان ذلك كسراً من عزمه على الخروج، وقال: متى خرجْنا فحلَلْنا ببَلَدٍ وأعقَبَهُم بعد ذلك حلولُ هذا الجراد بهم، خشِينا أن يَتَطَيَّرَ بنا مِنهم مَن لا خيرَ فيه وأن يجعَلَ من ذلك مَقَالاً. 469

الجـراد ينـزل بمواطن كان المعزّ نـوى زيـارتها فتجدب...

فأقام على ذلك أيّاماً حتّى حلّ الجراد وانتشر في البلدان، وبوَّخَ فيها. ثمّ خرج (ص) وقد قحط المطر وأجدبـ[ـت] الأرض وتغيّرَ الزرعُ وذبل وأشفى على الهلكة. فكلّما نزل منزلاً نزل الغيث به بنزوله، وجاء منه ما يجاوز الرَّواء، وأحيـى الزرعَ لا يجاوز ذلك ما[2] بين يدَيْه. فإذا ارتحل من ذلك المنزل ارتفع المطر وصار في صحو حتّى ينزل بالمنزل/ الذي يليه وهو في القحط والجدب على مثل ما كان عليه المنزل قبلَه. فساعة حلوله ينشأ السحابُ ويأتي بالغَيْثِ الوابلِ ما دام مقيماً حتّى يرتحِلَ. 470

... لكن بنزول المعـزّ بها ينـزل الغيثُ...

فلم يزل كذلك مدّةَ مسيره وحلولهِ حتّى انصرف، فنمَتِ الزروع والثمار وكملت، ودُفعت الآفة عنها وأمنت. ورأى الناس من بركة أثره ويُمْن سفره ما بهرهم، وعظّم أمرَه عندهم، وأعقبه الله (عج) بذلك ممّا توقّعه من سوء ظنّهم به وتطيّرهم بحلوله ما اطّلع عليه من جميل نيّته فيهم وحسن اعتقاده لهم *.

... وترتفع عنها آفتـا القحـط والجراد

* ب 105 و

كلام في مجلس في بركة نظر أولياء الله (صلع):

249 ــ (قال) واستعمل المعزّ لدين الله (صلع) يوماً جماعة على أعمال شتّى/ انتخبهم لها ولم يكونوا استُعمِلوا قبل ذلك على مثلها، فتكلّم مَن بحضرته 471
في ذلك، وشكروا له اصطناعه إيّاهم، وتنويهَه بأسمائهم، ودعَوْا بأن يبلّغه الله إلى أن يستعملَ كذلك ذراريَّ أوليائه في مشارق الأرض ومغاربها، وقالوا: نرجو أن يوفّقَهُم الله إلى ما يرضاه وليُّه منهم وألاّ يخيّبَ ظنَّه بهم وانتخابه إيّاهم لما

(1) هكذا في «أ» و «ب»، ولعلها: وفرخ. ويوخ: أفسد.
(2) في أ و ب: إلى ما...

انتخبهم واختارهم.

الإمام قلّما يخطىء الظنّ بمن يرشّحه لخدمته

فقال (صلع): ما نظرنا إلى أحد نظر خير إلاّ تبيّن ذلك فيه، لأنّ نظرَنا إلى من ننظر بذلك إليه سعادةٌ من الله (تع) له، فما دام يعلم فضل النعمة عليه ويعترفُ بفضلنا عندَه ويتحرّى رضاءَنَا، ويحذَرُ سُخطنا لا يزال على خير، وبقدر ما
472 / يعتقده من ذلك ويتحرّاه يرتقي في الدرجات ويتصَاعَدُ في المعلومات ويتزيّد في الفضل والخيرات، حتّى إذا غلَبَتِ الشهوة وحلّت الشِّقوة واستحكم الطَّمَع وقويَ الشَّرَه، فأعرضوا عن أمرنا وجهِلوا حقَّنا وصدفوا عن وصايانا، وخالفوا حدودَنا، وكانت هِمّتُهم أنفسَهم أسلَموا إليها ووكَلوا إلى حَوْلِها وقوّتها، فأظلم نورُهم، وانكسَفَت أحْوالُهم، وساءت أعمالُهم، واستحوَذَ الشيطانُ عليهم فأضلَّهم وأعمى أبصارَهم، فخسِروا الدنيا والآخرةَ، ذلك هو الخسران المبين. وما نولي مَن نُوليه ونستَعْمِلُ مَن نستعمله إلاّ ونحنُ نتوخّى الخير فيه ونُحبّه له. وقليل من
473 يُعين على محبوبنا / ويَمْتَثِلُ أمرَنا. ولو فَعَلُوا لسعِدوا وأدركوا فوق ما أبْتَغوا وأملوا واشتَهوا من أمر الدنيا والآخرة، ولأدركوا خيرَ العاجلة والآجلة، وبلَغُوا
*ب 105 رضاءَنا ورضاءَ أنفُسِهم وآمالَهم وآمالَنا فيهم، وأسألُ اللّهَ توفيقَهم * لذلك وعونَهم عليه، فبذلك تتمُّ الخيراتُ وتعُمّ البرَكات وتشتَمِل المسرّات.

الجزء الثالث والعشرون

[بسم الله الرحمن الرحيم]

كلام في مجلس في انتظار وعد الله لأوليائه صلوات الله عليهم:

250 ـ (قال) وقدِم على الإمام المعزّ لدين الله ـ صلوات الله عليه ـ رسلُ جماعةٍ من الدّعاة من جزائرَ شتّى / بعيدةٍ، فوافَوْا بالحضرة في يوم واحد، 474
فأدخلهم إليه، فقبّلوا الأرضَ بين يدَيْه، ومرّغوا خدودَهم عليها، وأكثروا من حمد الله وشكره إذ أبلغهم إليه وأراهم وجهَه، وأوصلُوا كتبَ الدعاة الذين أرسلوهم وما حمّلوهم من أعمال المؤمنين قِبَلَهُمْ. وَفْدٌ عن دعاة المشرق...

وسألهم (صلع) عن الأحوال ممّن خلّفوه من الدعاة والمؤمنين وما تجري الأمورُ به لديهم، فذكروا من صلاح الأحوال في ذلك واستقامة الأمور والعلوّ والظهور ما حمِد الله عليه، وأكثر (عم) من شكره بما وهَب منه. وذكروا ظهورَهم[1] إلى من يَجْتَازون به من الوُلاَة المتغلّبين في البلدان وإكرامَهم إيّاهم وبِرَّهُم بهم إكراماً لأمرِ وليّ الله وإعظاماً / له. 475

فقال بعض من حضر: ما يمنع أمير المؤمنين من المشرق ولا يحول دونَه إلاّ أنّه لم يرُمِ[2] العزمَ في أمره. فأمّا لو عزم على ذلك لما حال دونَه حائلٌ. ... يحثّ المعزّ على غزو بلدان الشرق...

فقال (ص): إنّا لم نتخلّف عن ذلك إلاّ انتظاراً للمدّة التي وعدَنا الله الظُّهورَ فيها، ولو حضرَتْ ما تخلّفْنَا عن إقامة أمرِ الله (تع) الذي نَصَبَنَا للقيام به، وما ذلك بعاجل دنيا نتكثّر[3] منها، ولو كانت رَغبتُنا في ذلك لكان عندنا ممّا خوّلنا الله

(1) ب: وأظهروهم.
(2) أ: لم ير.
(3) ب: نستكثر.

*ب106و (تع) إيّاه من كريم أموالها ما لا نرى أنّه في أيدي المتغلّبين * على أمرنا، وما كنّا لنتعرّض بأنفسنا وأنفُسِ أوليائنا إلى التّعب والنّصَب في عرض حُطام الدنيا، ولكنَّ
476 اللّـهَ (تـع)/ استحفَظَنَا دينَه واسترعانا أمرَ عباده، ولا بدّ لنا من بذلِ أنفُسِنا فيما استخْدَمَنَا فيه وأن نَدْأبَها فيما يُرضِيه.

... فيجيب بأنّ الـوقـت لم يحـن بعد...

ولقد أنهض المهديُّ بالله (ص) قُرّةَ عينِه ومُهجة نفسه القائم (ص) إلى مصرَ كَرَّتَيْنِ[1] وهو عالم بأنّها لا تُفتَحُ على يدَيْه، ولكنّه أراد تأكيد حجّة الله عليهم بدَعْوته، وألاّ يدَعَ شيئاً من المجهود إلاّ بلغَ منه ما في نفسه، وإن كان ذلك قد أدخل الشكَّ على بعض المستضعَفين في أمره، ولذلك كرِهنا[2] أن نُدْخِل عليهم مثلَه بالحركة في غير أوان الوقت.

ولقد أخبرني المنصور بالله (ص) أنّه تَلَقّى القائمَ (عم) عندما انصرف من
477 الكرّة الثانية عن مصر، وقد كـان / المهديّ بالله ارتحل بعد خروجه إلى المهديّة،

... ويذكر بمحاولتَيْ القائم في فتح مصر...

قال: فلمّا انتهى القائم (صلع) إلى باب المهديّة نظر إليه ثمّ قال: ﴿إلاَّ حَاجَةً فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَاهَا﴾[3]. ودخل، ودخلتُ معه إلى المهديّ بالله (صلع) في وقته ذلك، فسلّم عليه وضمّه إليه ثمّ قال: ﴿إلاَّ حَاجَةً فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَاهَا﴾. فكأنّما نطقا بذلك معاً (صع) بلسان واحد وعن رُؤْيَةٍ واحدة[4].

ثمّ قال المعزّ لدين الله (ص): أما والله لو أراد الله ببني العبّاس خيراً لَقَطَعَ أمرَهم يومئذ على يدَيْه ـ يعني المهديّ بالله (صلع) ـ وهم في عنفوان أمرهم وتمام
478 سُلطانهم وعزّهم، ولم يُرِهم من الذّل والهوان ما أراهم اليومَ على / أيدي شرار الخَلق من الدّيْلم حتّى ملكُوهم وأذلُّوهم ووطِئوا أرضهم وتغلّبوا على ما بأيديهم وصاروا عِلّيَةً[5] عندهم. وإنّ من أعظم البليّة غلبةَ السفَل والأشرار. وأمّا

(1) كانت المرة الأولى سنة 301، والمرة الثانية سنة 306، (انظر المقريزي: اتعاظ الحنفاء ص 98، 103).
(2) في أ و ب: ما كرمنا.
(3) يوسف، 68.
(4) عن رؤية واحدة، ساقطة من ب. وهي في عيون الأخبار، 208. هذا وأن رؤية قد تقرأ أيضاً: رويّة.
(5) أ و ب: علية.

من غلب عليه أهل الحق والأخيارُ، فذلك أقلّ * لمِحنته وأهونُ عليه في بليّته. *ب106
وما أراد الله بما فعله بهم إلاّ أن جعل ذلك عبرةً لمن اعتبرَ، وليعلم من اذَّكَّر في ذلك وأبصرَ، هوانَ الدنيا عند الله وما فيها، إذ قد ملّكها مثلَ هؤلاء السَّفلةِ وأنّه انتقم بهم، وهم شرار خلقه ممّن غمَط نعمته وأخذ غيرَ حقّه[1] وقعد مقعدَ أولياءِ
الله الذي جعله لهم في أرضه، كما أهلك نمرود بن كنعان / ببعوضةٍ، كما جاء 479
الخبر بذلك من أمره. إنّ الله تعالى لو شاء أنْ يُشْرِقَ بنا الأرض من حيث كنّا، لأشرَقَنَا، ولكنّه لمّا سبق في علمه ما نطق به عنه جدُّنا محمّد رسول الله (صلع) أنّ الشمس تطلع من مغربها[2]، أزعَجَنَا من مقرّنا فغرّبْنَا، ثمّ أطلَعَنَا من حيث وعد أن يُطلِعَنا وهو يسيّرنا إذا يشاء حيث يشاء[3] من أرض حتّى يُورثَنا جميعَها كما وعدَنا في كتابه، بمنّه وفضله.

... ويؤكّد يقينَه بأنّ الله سيورث الأئمّةَ الأرض كلَّها

كلام في مجلس في صنع الله لوليّه:

251 ــ وكان بعض الدعاة بجزيرة نائية في صُقع بعيد يدعو إلى أولياء الله بعد دعاة تقدّموا قَبْلَه في المكان الذي هو فيه، واستجاب لهم قبلَه وإليه خلقٌ
عظيم من أهل / تلك الناحية، وعامّة أهلها مجوس، ولكن قد كان الإسْلاَمُ فشا 480
فيهم قديماً، فاتّصل بأمير المؤمنين المعزّ لدين الله (ص) أنّ هذا الداعي آخراً[4] أحدثَ فيهم حدَثاً: وذلك أنّه دعا عالَماً كثيراً من المَجوس وهم على دينهم لم يُسلِموا، وتركَهم على ما هم عليه يستحلُّونَ من محارم الله ما كانوا يستحلُّونَه، ويعمَلُون ممّا نهى الله عنه ما كانوا يعملونه من نكاحِ ذواتِ المحارمِ، وتناول ما لا يحِلُّ من المشارب والمطاعم، تعدّياً منه لحدودِ الله (تع)، ووَضْعاً لأمانته عزّ
اسمه عند من لا يحِلّ وضعُها عنده، لعاجل دنيا أراد نَيْلَه بذلك * منهم، *ب107و

زيغُ بعض الدّعاة...

(1) ب: بغير حقه.
(2) طلوع الشمس من مغربها: جاء في صحيح الترمذي (ج 9 ص 34) وفي تعليق ابن العربي حديث بهذا اللفظ: أن الشمس تذهب تستأذن في السجود، فيؤذن لها، وكأنها قد قيل لها: اطلعي من حيث جئت، فتطلع من المغرب. والحديث يساق في معنى قيام الساعة ووصول الدنيا إلى آخر أمرها.
(3) حيث يشاء، ساقطة من ب.
(4) أ و ب: الآخر، والإصلاح من العيون، 642.

481 واستكثاراً فيما حسّنه سوءُ رأيه له بهم. ثمّ / تعدّى ذلك إلى أن أباح محارم الله (تع) لبعض أهلِ دعوته من المسلمين وغيرهم.

فعظُم على أمير المؤمنين من ذلك ما تناهى إليه، وأكبره، وتبرّأ إلى الله منه، ولعَنه، وأهمَّهُ أمرُه، واشتغل صدرُه. وكان قد أنفذ إليه رسلاً من قِبَلِه، وطوى عنه ما هو عليه. وسأل الإمامُ الرُسُلَ[1] عن ذلك، فأعْلَمُوهُ به، وكان فيهم خير، فعرَّفهم (صع) عظيمَ ما ارتكبه من ذلك، فتبرّأوا منه، وتابُوا إلى وليّ الله من اتّباعه على أمره، ودعاهم وطهَّرهم.

... يبلغ المعزّ فيأمر بالتلطف في قتله...

ثمّ سألهم ومَن بالحضرة من أهل النّاحية غيرهم عن أفضلِ مَن فيهم،
482 فسَمَّوا له رجلاً، فكتب إليه بالعمل على أهل تلك الجزيرة[2] وإطْلاعِ من / يَثِق به من المؤمنين المخلصين قِبَله على ذلك، واستعمال الحيلة في قتل عدوّ الله المرتدّ عن دينه، المبتدع ما ابتدعه، ونَسْخ بِدْعته وإظهار دين الله على ما أمر الله وأولياؤه به. وأنفذ أولئك الرسل بذلك وبِكتابٍ إليه جواباً عن كتابه، وبما رأى (ص) أن يكتُبَ به إليه. / وعرّفَنا ذلك في الوقت أهلُ خاصّة مجلسه وتفرَّجَ بما اغتمّ به من ذلك إليـه. وعرّفَنا وتَطَوُّلاً. وقد ذكرت طرفاً من ذلك فيما مضى من هذا الكتاب[3].

وكنّا نترقّب ممّا نخشى أنّه يحدث عن ذلك في الناحية ترقّبَ الْمُشفِقِين،
483 وقلنا: قومٌ تطاعَمُوا[4] المحارم فما الذي يردُّهم عنها / ، وقد فشت وصارت ديناً عندهم؟ وكان تخَوُّفُنا على المكتوبِ إليه أغلبَ من الرّجاء في هلاك الفاسق المبدّل، غيرَ أنّا نرجع في ذلك إلى الثّقة بالله لوليّه، وأنّه كما عوّده يبلّغه ما يرجوه
*ب107 ويؤمّله. فما كان إلاّ بقدر وصولِ الرسُلِ إلى * المكان وانصرافهم إذ جاء رسل آخَرون من تلك الجهة بكتب وأمانات حمَلوها، فأدخلهم (صلع) فقبّلوا الأرض بين يديه، ومرّغوا خُدودَهم تقرّباً إليه، وحمِدوا الله وشكروه على أن بلّغهم إليه وأدناهم وقرّبهم منه. ويَعُدَ من حضر في مجلسه عنه بحسَب ما يجِب لمكان سرّ

... بعد تعويضه بداعٍ آخر...

(1) ب: نقص من «من قبله» إلى «وسأل الإمام الرسل».
(2) ب: الناجية.
(3) انظر ص 373.
(4) عيون، 643: تطعّموا.

إن أخذ معهم فيه، فسألهم عن الحال. فتكلّموا / بكلام طويل نسمَعُه ولم نصرف 485
الأسْماعَ إليه، تقيّةً من أن يكون ممّا لا ينبغي لنا سماعُه، وننظر إلى وجهه يتهلّل
لمَا سمِعَه، ويُكثِر من حمد الله حتّى إذا انقضى كلامُهم وانصرفوا، التفَتَ إلينا
متهلّلاً مستبشراً مسروراً فقال: قد سمعتم كلام القوم؟

قلنا: سَمِعْنَاه ولم نَفْهَمْ.

... بلغــهُ أنّ الداعي المنحرف استنجَـد بملـوك ناحيته...

فقال: نعَم، فاسمعوه: ذكروا أنّ الله (تع) قد كثّر أهلَ دعوتنا وأولياءَنا
قِبَلَهُمْ، وإن كان هذا الفاسق قد بثّ ما بثّه فيهم، فإنّه لم يشتهر عنه كلَّ الاشتهار،
/ ولم يكن اطّلعَ عليه إلاّ أهلُ ثِقَتِهِ ومَن قَرُب منه، وأنّ الله (تع) أقْبَلَ بملِكٍ من
ملوك أهل الناحية له قوّةٌ ومَنَعَـة/ وعُدّة ورجالٌ، فاستجاب إلى الدعوة[1] بمَنْ 485
مَعَهُ، وصار في حزب المؤمنين، وقوِيَ أمرُهم وأظهروه، وأعلنوا باسمي وشهّرُوه
وكتبوه على الأعْلام، وخطبوا به على المنابر، وأنّ ملوك الناحية أنكروا ذلك
عليهم، فأقبلوا بجموع عظيمة إليهم لا يحصى عددُها، ولا يبلغ عددُ المؤمنين
عُشَيْرَ مِعْشارها. فلمّا [رأى الملكُ المُسْتَجيبُ وأصحابُه][2] ذلك، اجتمعوا في
موضع واْحتَفَرُوا عليهم خندقاً، فما هو إلاّ أن وصل عدوُّهم إليه [و] ردموه
لكثرتهم ساعةَ وصُولِهم إليه، واقتحموه عليهم، فأمر ذلك الملِك المستجيبُ
أصحابَه بالحَملة [عليهم مع] جماعة المؤمنين، وقد حسُنَت بصيرتُه وخلُصَت
نيّته، فقالوا له: / على من نحمل وبين أيدِينا عددُ الثرى؟. 486

... فدارت بينهم وبين أولياء الأئمّة معركة...

فقال: لا تنظروا إلى ما بين أيديكم من الملإ، ولكن انظروا إلى السّماءِ،
فإنّ مَن عليها معكم، وهو ناصركم ومؤيّدكم *. فحملوا حملةَ صِدْقٍ بنيّاتٍ *ب108و
خالصة، وحَمَل جماعتُهم وحمل معهم، فانهزم الملأ بين أيديهم مِن عدوّهم،
ومَنَحَهُم الله أكتَافَهُم، فقتلوا منهم ما لا يُحصى عدداً، وغنِمُوا من أموالهم
وسلاحهم وكُراعهم ما امتلأتْ منه أيديهم، وفرّق الله جمعَ عدوّهم، وأقبل [الناس
ممّن] حولهم بالطّاعة لهم والتسليم لأمرهم، فدانَ لهم مدنٌ كثيرة، واستعْمَلُوا
عليها عمّالاً، وأظهروا فيها دعوتَنا، وحازوا لأنفسهم / معقِلاً حصيناً بقلعة 487

... فانتصر المؤمنون الصادقون...

---

(1) ب: نقص من «له قوة إلى... إلى الدعوة».
(2) الزيادة من العيون، 644.

شاهقة[1] منيعة قطنوا بها واتّخذوها دار هجرة[2].

... وسقط الداعي المنحرف من بغلته فاندقّت عنقه...

والداعي اللعين المبدّل، فهم يعتقدون طاعته لولايتنا ويعظّمون أمره إذ كان يدعو إلينا. فما هو إلاّ أن انتهى الرسل الذين حملناهم في أمره إلى أدنى عمل الجزيرة، ولم يبقَ بينهم وبين الموضع إلاّ مسيرة شهر حتّى أذن الله (تع) في الفاسق بما أرَدْناه بلا عنَت ولا تكلُّف، فطرَقَتْه بغلَتُه[3]، [و] أعجلَه الموتُ فيها عن أن يوصيَ لأحد مقامِه، ولا أن يُقدّمَ أحداً لمكانه فيكون قد سدّ موضِعَه وقام مقامَه. وكفى الله مؤنته، وبلّغنا في عفافٍ ما أردناه منه بفضله ونعمته، وما عوَّدَنَاه

488 / من جميل عادته.

... فعوّضه المؤمنون اتّفاقاً بالداعي الذي اختاره المعز.

ولمّا هلك عدوُّ الله اجتمع الدعاة فيمن يقيمونه مقامَه إلى وقت مطالعتنا، فوقع اختيارُهم واتّفاقهم على الرّجل[4] الذي اخترْنَاه وأقمناه وكتبنا إليه، لمَا أراد الله (تع) من تأليف أمرهم واجتماع كلمتهم وظهور أمرهم على عدوّهم، ليقيموه عليهم ويُرسلُوا رُسُلاً من قِبَلِهم لمطالعتنا بأمرهم. فأكبر ذلك الرجلُ من أمرهم، وقال لهم: إذْ قدِ اتّفق رأيكم عليّ فاسمعوا منّي. قالوا: نعم، نسمع ونطيع لك.

---

(1) شاهقة: ناقصة من أ.

(2) دار الهجرة هو الموضع الذي اتّخذه أصحاب الدعوة وطناً جديداً يستترون به ويجتمعون فيه، ثم ينطلقون منه لنشر دعوتهم. ويقول النويري في نهاية الأرب عن ظهور القرامطة: «ثم أن الدعاة اجتمعوا واتفقوا على أن يجعلوا لهم موضعاً وطناً ودار هجرة يهاجرون إليها ويجتمعون بها، فاختاروا من سواد الكوفة... قرية... فحازوا إليها صخراً عظيماً، وبنوا حولها سوراً منيعاً، عرضه ثمانية أذرع، ومن ورائه خندق عظيم، وفرغوا من ذلك في أسرع وقت، وبنوا فيها البناء العظيم. وانتقل إليها الرجال والنساء من كل مكان، وسميت دار هجرة» (عن حسن إبراهيم حسن، تاريخ الدولة الفاطمية، ط 3، 1964 ص 386). وقد استمدّوا هذه التسمية من هجرة الرسول (ص) إلى المدينة فكانت المدينة دار هجرة الرسول ومركز دعوته. وفي القرآن آيات ترددت فيها كلمة هاجر ومشتقاتها، وكثير منها تُبارِك الذين يُهاجِرُون في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم، وآيات أخر تحثُّ على الهجرة في سبيل الله.

(3) هكذا في النسختين، وأيضاً في عيون الأخبار، 644.

(4) لعلّ هذا الرجل هو داعي السند حليم أو حَلَم أو جَلَم بن شيبان الذي كتب إليه المعزّ سجلاً سنة 965/854 حسب ما أورده بوناوالا ص 69 برقم 5. وهو مذكور في عيون الأخبار ص 249، 641 و 658. وقد نشر شتارن S. M. Stern الرسالة في فصله Heterodox Isma'ilism (ص 24).

فاختارَ أربعةً منهم، وقال لهم: تكونون على الجميع، ويكون * كلُّ داعٍ على أهل *ب108
دعوته، وأكون أنا النافذَ برسالة الجماعة إلى / الحضرة. فما أمر به وليُّ الله 489
امتثلناه، ومن أقامه لنا سمعناه منه وأطعناه.

واختار رجالاً للقدوم معه علينا وقدِم. فلم يسر إلاّ بعضَ أيّام حتّى لقيَتْه رُسُلنا، ففرح واستبشر بلقائهم، وسألهم عن الحال، فدفعوا إليه كتابنا إليه، وكُتُبنا إلى جماعة الدّعاة بما أمرناه به في الخائن. فانصرف إلى مكانه، وبعث بالقوم الذين كانوا معه بما حمله إلينا، وكتاب المؤمنين الذين وافاه الكتاب عندهم من أهل الناحية.

وتناول الكتابيْن (صع) فقرأهما علينا بنفسه إلى آخرهما. فسمعنا من كلام
الرّجل في كتابه ما لم نجد فيه لفظةً ساقطة ولا/ معنًى فاسداً. ووقفنا فيه مِن جزالة 490
لفظه[1] ومعانيه على ما وثقنا لوليّ الله بقيامه له، وذكَرَ مسرّتَه وابتهاجه وما انتهى إليه أمرُ وليّ الله بما أمر به وأحياه من دين الله (تع)، وما كانوا أنكَرُوه ممّا فشا عن الخائن من تغيير الدّين وتبديل الملّة وارتكاب محارم الله (تع). وذكروا ذلك في كتابهم.

المعز يقرأ على خاصة مجلسه رسالة الداعي الجديد

وطالعَ الرجلَ بما يعمل عليه من دعوة مَن صار من المجوس إلى دين الإسلام كما يجب، ثمّ الأخذ عليهم بعد أن يُسلِموا كما ينبغي، وشاور في كثير من أعماله وما يُجريه من أموره.

وذكر صنما معبوداً قِبَلَه يحُجّ المجوسُ إليه كحجّ المسلمين إلى بيت الله
الحرم في كلّ/عام: فطالَعَ في كسره وتعفية أثره، وفي أشياء كثيرة - يطول بها 491
الكتاب - من أمره، واستمدّ وليّ الله من عِلْمِه فاقتبس[2] من نوره ما يعمل به وبذيعه فيمن قِبلَه.

فما ندري كيف نصف ما كان من ابتهاجنا بذلك وموقعَه من قلوبنا. بما أجراه الله منه على يد وليّه ويسّره له، ومنَحه من صنعه فيه. وعوّلْنا على تقبيل

---

(1) من «ساقطة...» إلى «... لفظه»، ناقصة من «ب».

(2) أ و ب: فاقتبسه.

*ب109و الأرض بين يديه، وحمدنا الله وشكرناه بما قدرنا عليه واستطعناه *، وسألنا إنجاز وعد وليّه وبلوغنا إليه.

وفي مثل ذلك:

252 ــ (قال) وصل إلى حضرة أمير المؤمنين الإمام المعزّ لدين الله (ص)
492 رسلٌ من قِبَل داعٍ من بعض دعاته ببعض الجزائر بمال حملوه/ إليه من قِبَلِه من قربات المؤمنين وغير ذلك ممّا حمّلهم[1] إيّاه، فأوصلوا ذلك وأوْصَلُوا كتابه إليه (ص). فذكر لنا أنّه كتب فيه يذكر فيه استقامة الأحوال قِبَلَه وعمومَ سلامة الأولياء لديه وصلاحَ أحوالهم وحسنَ نيّاتهم وإقبالَهم إلى ما يرضي الله (تع) ويُرضي وليَّه (ص)، ويصف أنّ بعض طواغيت بني العبّاس نجَم في ناحية وادّعى الأمر لنفسه وغلب على موضع من الجزيرة التي هو بها، وسار إلى مدينة من مدائنها، والأميـر الذي عليها ممّن شَمَلَتْه الدعوةُ الطاهرة واستجاب إليها، فأظهره الله على الخائب المخذول، فهزم جمعه وأسَره.

بعض أمراء العبّاسيّين اقتحم جزيرة من جزر الدعوة. . .

. . . فرُدَّ على أعقابه

493 وكتب إلى ذلك الدّاعي يطالعه فيما يعملُ فيه/ ، واستأذنه في مكاتبة وليّ الله وأذِنَ له في ذلك، ووصل كتابُه وقرأه أمير المؤمنين علينا، فسمعنا كلام معترف بفضلَ وليّ الله (ص)، مسلِّمٍ لأمره، عارفٍ بحقّه، متديّن بوَلايته.

فقلت: يا مولاي، حقيق على الله نصرُ من كانت هذه طويّته وهذا اعتقاده.

فقال: أجل والله، إنّ الله (تع) لينصُر من تولاّنا كما وعد في كتابه المبين، لأنّهُم حزبه وهو يقول، أصدق القائلين: ﴿ألاِ إنَّ حِزْبَ الله هُمُ المُفْلِحونَ﴾[2]، وأثنى على هذا الرّجل خيراً، ودعا له بخير، وذكر وَلاية أبيه من قَبْله، وما كان عليه من جميل النّية وحسن الاعتقاد لوليّ الله، وترَحَّمَ عليه، واستغفر له، وقال:
494 لقد كان هذا/ الفتى يؤمَّل لمقامه في * حياته وتُعرَف مخايل الخير فيه وهو طِفلٌ
*ب109 بين يديه ومن أصغر بنيه. وذكر مِحنةً كانت قد أصابت أباه وهو لتسْع سنينَ، وصنَع إخوتُه الأكابر صنيعا أرادوا به استمالة العامّة فأنكره عليهم، وقال: إنّ الذي

(1) ب: حملوهم.
(2) ف بالنسختين: . . . هم الغالبون. والتصويب من سورة المجادلة، 22. أما آية 56 من سورة المائدة فهي: ﴿ومن يتولى الله ورسوله والذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون﴾.

المعزّ يذكر وَلاية طفل في التاسعة من عمره... قام والدُنا له حيٌّ لم يَمُت، فإن أصابه ما أصابه فصاحبُ الحقّ الذي تولّيناه ووصلْنا أسبابَنا بأسبابه، في عزّه وسلطانه، فلن نعدَم من الله خيراً ما دُمْنَا نتولاّه، ونصراً نتوقّعه، وفرَجاً نُؤمِّلُه ما خلصَت نِيَّاتُنا له، فعلامَ نُعطي هذه الدّنيّةَ من أنفسنا؟ فعَجِب لذلك يومئذ مَن سمعه لما كان منه على حداثةِ سنّه وقريب
495 عهده/، وقال خاصّة أهله: إن كان مِن سيِّدٍ مكانَ أبيه، فهذا وأزال الله تعالى بفضله تلكَ المحنة عن أبيه، وأعاد إليه سلطانَه وعزّه الذي كان قد خوّله إيّاه. ... ونجاحه في إحباط مساعي أعداء الأئمّة وأخبر بما كان منه فأعجب به[1] واستَحْسَنَه له. ثمّ كان عاقبةُ أمره ما قد سمِعْتُم.

فحمدنا الله على ما أولى وليّه، وشكرناه بغاية جهدنا.

وكان هذا والمجلسان قبله في مجلس واحد[2] فقلت له: يا مولاي، لو جاز لنا أن نُحْدِثَ سُنّة، لاتّخَذْنا هذا اليومَ عيداً لما تواتر علينا فيه من المسرّات، ولكن أكثر ما نقدر في ذلك عليه حمد الله وشكره بغاية وسعنا ومنتهى طاقتنا.

496 قال: نعم، الحمد لله على ما خوّلنا وأعطانا ومنح/ أولياءنا، وأسألُه إلهَامَ شكره وتمامَ نعمته علينا وعليهم بفضله ورحمته.

كلام في مجلس في فضل التمسّك بالطاعة:

قدوم رهائن جوهر من المغرب مع ابن واسول وابن بكر أسيرَين... **253** ــ (قال) ولمّا قفل الجيش المنصور من أرض المغرب بعد أن أظفرَ الله (تع) وليّه بابن واسول المدّعي الإمامة وابن بكر النّاكثِ المتغلّب بفاس، وفَتَحَها الله (تع) على وليّه وما والاها من أرض المغرب، أخذ قائد ذلك الجيش أبناء جميع وجوه أهل * المغرب ورؤسائهم[3] رهائن عنده، وقدم بهم وبكلّ وجه[4] كان بذلك الصّقع ممّن يُطاع به ويُخاف جانبه. وجاء فيهم بجماعة من *ب110و الحسنيّين الذين تناسلوا من ولد إدريس وكانوا قد[5] تأمّروا في القبائل وادّعوا

(1) ناقصة من أ.
(2) أي، الفقرات التي رقمناها 250، 251 و 252، نقلها النعمان عن مجلس واحد للمعز مع أوليائه.
(3) ب: ورؤسائه.
(4) ناقصة من أ.
(5) الزيادة من عيون الأخبار 614. ومعلوم أن إدريس الأول مؤسس الدولة الإدريسية بالمغرب سنة 172/789 هو من سلالة الحسن بن علي بن أبي طالب. انظر =

497 الملك. فلمّا وصلو/ إلى الحضرة، أمر أمير المؤمنين (ص) بإنزالهم، وكساهم، ووصلهم وحمَلهم، وأجرى عليهم النّزل الواسع. فأقاموا على ذلك مدّة ثمّ منّ عليهم بتسريحهم وإطلاقهم إلى بلدانهم، وأمر لهم بِصلاتٍ وخِلَع وحُمْلاَنٍ. وبعث معهم إلى آبائهم وأكابرِ أهاليهم بكُسًى وصلات وسُرُج مُغْرَقَة[1].

... وصفح المعز على الأدارســة الحسنيّين

وأمر بإدخالهم في حين خروجهم ليودّعوه، فصُفّوا بين يديه، وأدنى الحسنيّين منهم، وأمرهم بالجلوس. ثمّ قال للجميع: قد علِمتُم ما كان من إحساننا إليكم، وفضلِنا عليكم، وعَفْونا وصفحنا عمّا سلَف من أموركم، وقد
498 سرّحْناكم لمَا اتصل بنا من شهوتكم ومن خلّفتُموه وراءَكم في سراحكم وشوق / بعضكم لبعض، فآثَرْنا إسعافكم بذلك والمنَّ به عليكم. فاعرفوا ذلك وتَلَقَّوْهُ بالشكر وحميد السعي وحسن الطاعة تعرفوا منّا المزيدَ عندكم[2]، ويتّصلْ فضلُنا لديكم ومعروفُنا عندكم. وليعلَمْ من أدلى إلينا بالنّسب منكم أنّ ذلك إنّما يَتوسّل به من اعتَصَم بالطاعة وتَمَسَّك بها، فأمَّا من عصى أولياءَ الله وخالَفَهم فقد انقطع نسبه[3] منهم، كما قطع الله (تع) نسب ابنِ نوح منه لمّا عصاه. ولولا أنّ الله افترض الطاعة لنا على كافّة خلقه وقرَنَها بطاعته وطاعة رسوله، وجعلها دينا تعبّد العبادَ به، وأقامنا[4] لإقامة دينه، لما عبَأنا بمن أطاع منكم ولا من عصى، ولكنّا
499 / إنّما نريد بذلك إقامة ما أمرَنا الله ـ تعالى ـ به من إقامة دينه. ولو أنّ هذا الفاسق

*ب 110

... بعد أن وعظهم ولامهم على اغترارهم بأمير فاس

ابن بكر أطاعنا * ما بخلنا عليه بفاس وما هو أعظم منها، وما لذلك عندنا ولا للدنيا بأسْرها من خَطَرٍ نَبْتَغِيه ممّن تغلّب، ولا نقيم أنفسَنا لمحاربته لولا ما افترَض الله (تع) علينا من ذلك واستخدَمَنَا له. ولو سلّم ذلك إلينا الفاسقُ ومَن تمسّك به وأطاعه على معصيَتِنا لما عرّضوا[5] أنفسهم للتّلف وحُرَمَهم للانتهاك،
500 وإن كان مَا جَبَلَنَا اللَّهُ عليه من الصّفح والمرحمة/منعنَا من انتهاكها ـ وقد عرّضوها للانتهاك ـ ومن سفك دمائهم وهلاكهم عن آخرهم ـ وقد استهدَفوا بها للسفك

= كـ الاستقصاء للناصري ج 1 ص 147 وما يليها.
(1) مغرقة: محلاة بالفضة. ولعلها «مفوّفة» كما مر.
(2) ب: عنده، والإصلاح من العيون، 615.
(3) أ: نسبته.
(4) ب: نقص من «بطاعته...» إلى «... وأقامنا».
(5) أ: عرض.

وبأنفسهم للهلاك ـ ولكنّا عفونا عند المقدرة، وصفحنا بما جبَلَنا الله (تع) عليه من الصفح والمرحمة، وأبقَيْنا على من بقِيَ منهم ومن أقدَرنا الله تعالى عليه من جميعِهم، وصُنّا حُرَمَهُم، وعفَفْنا عن دمائهم. وَمَا لهذا الفاسق الذي أقدرنا الله (تع) عليه، بعد الذي كان منه من مُناصَبتِنَا وحربنا بعد عفونا قديماً عنه وإحساننا إليه، من المِقدار ما يُوجب عُقلتَه وإبقَاءَهُ إلاّ لما أردنا أن يديم الله (تع) به حَسْرَتَه من كَوْنِه في الأسر، ونظرَه إلى فضل الله علينا وعلى من نُنِيلُه إيّاه ممّن رأَيْنا المنَّ عليه والإحسانَ إليه منكم ومن أمثالكم ممّن آثَرَ طاعتَنا
501 والتسليمَ لأمرنا وأناب إلينا ولم/ يصرَّ على معصيتنا، فيعلم أنّ لله (تع) لو أراد به خيراً لوفَّقه إلى ذلك وقدّره له، فنال من فضلنا وإحسانِنَا ما قد نال غيره. ففي ذلك ما يُنْكِي اللَّهُ (تع) به صدرَه، ويديمُ له حسرَتَه وأسفه، فينال من أليم عذابه ـ جلّ ثناؤه ـ في دنياه صدراً ممّا أعدّه له قبلَ مصيره إلى أليمِ عذابه الدائم والخلودِ في خِزْيِـهِ اللاّزم.

*ب111و إنّا والله ما نبتغي من طاعتكم لنا وتسليمكم لأمرنا وإنابتَكم وإنَابَةِ غيركم * إلينا عزّا إلى عزّنا نستفيدُه، ولا عرَضاً من أعراض الدنيا نستزيده. ولقد خوّلَنـا اللَّهُ (تع) من ذلك وملَّكَنا وأعطانا بفضله علينا وإحسانه إلينا ما لا نتعاطى أن نقومَ
502 بشُكره، ولا تمتدّ أعيُننا/ إلى غيره استقلالا لما خوّلنا اللَّهُ (تع) وأعطانا من جزيلِ كرائمه وأفضلِ علائقه[1]، وأعزّنا به من عزّ سلطان حقّه، وأمجدَنا[2] من مجد شرف دينه، وما وصل من أسبابنا بأسباب جدّنا محمّد نبيّه (صلع)، وأن جعلنا أئمّةَ خلقه الذين لا يقبَلُ [منهم] إلاّ من أقْبَل عليهم، ولا يرتضـي إلاّ مَن ارتضاهم. فما بعد ما عِندَنا من فضلِهِ ونعمته فضلُ نعمة ينبغي أن ننالَها من أحد من عباده ولا فوقَ ما أعطانا من الشرف والمَنزِلَة ما يؤمَّل أن نرتقيَ إليه بشيء نستزيده من قِبَل أحدٍ من خلقه، بل قد أحوجَ اللَّهُ (تع) جميع العباد إلينا دُنْياً،
503 ودِيناً، وله الحمد على ما خوَّلنا وأعطَانَا ومَنَّ به علينا، ولكنّا نُذْئِبُ/ أنفُسَنَا وأبدانَنا ونستعمل أولياءنا ونُنفقُ أموالنا فيما استعمَلنـا الله فيه، واستَخْدَمَنَا له، وأمَرنا بإقامته من معالم دينه والذبّ عنه وإقامة شرائعه، وإحياء ما أماته المُبطلون

الأئمة لا يجرون وراء حطام الدنيا...

... وإنّما يقيمون معالِمَ الدين...

(1) كرائم المال ج كريمة: نفائسُه وكذلك العلائق ج عَلاقة: ما يتبلّغ به من العيش.
(2) أمجدَنا: عظّمنا.

من سُنّته وأحكامه. فنحن ندعو مَن أناب إلى ذلك ونَحُضُّهم عليه، ونجاهد من عَنِد ذلك وصَدَفَ عنّا فيه.

فاعْلَمُوا ذلك منّا وعرّفوه مَن تصيرون إليه، وإنّكم لن تَعْدَموا فضلاً من الله ومَنًّا ما اعتصمتُم بحبلنا وتولّيتُمُونا، ولن تفُوتوا الله (تع) وتفوتُونا إن صدَفتم عن أمرنا وأصغَيْتُم إلى عَدُوّنَا، ويد الله العليا عليكم وعليهم وأيدينا، وعلى كل من
504 *ب 111 عصانا وصدف عن أمرنا، وَعْداً وَعَدَنَا */ إيّاهُ (تع) في كتابه، وواجباً أوجبَه تبارك وتعالى في إيجابه [فـ]إلى مَن عسى أن تَميلوا عنّا؟ ومَن تستبدِلُون بنا؟ ودعوةَ من تُؤْثِرون على دعوتنا، وهي دعوة جدّنا محمّد (ص).

... وهم حزبُ الله، أمّا بنو أميّة فحزب الشيطان...

وطواغيت بني أميّة الذين مال نحوهم ودعا إليهم وأصغى إلى باطلهم هذا النذل ابن بكر واستَبْدَلَهم بنا، هم عدوّ جدّنا محمّد (صلع) وحربُه ولعناؤه وطرَدَاؤه وحزبُ الشيطان وجنوده. ونحن حزب الله، وحزبُه ـ كما وعد ـ الغالبون، وحزبُ رسول الله، وذُرّيّتُه المطهّرون. والله ما تَثْبُت أنفسهم الخسيسة، ولا تتعاطى مقاومة فضلنا، ولا ينكرون ـ وإن أبدوا ما أبدَوْه من محاربتنا وعداوتِنا ـ
505 /حقًّا. وإنّ قلوبَهم لتخَافُنا وجلودهم لتَقْشَعِرّ منا. ولو قُرّب جِلد مَيّتٍ منهم إلى جِلدِ مَيْتٍ منّا لا قشعَرَّ منه، كما[1] قد قيل إنّ ذلك يعتري جلودَ بعض الحيوان إذا قُرّبَ من جلود بعض السباع. ولَـلّذي جَعَلَهُ الله لنا من الهيبَة في صدور عدوِّنـا والخوفِ لهُوَ أشدُّ ممّا جعله الله ـ تعالى ـ في قلوبِ الحيوان للسباع لا محالة.

فمَنْ ذا يعدِلُنا بالأرجاس من بني أميّة ومَن هُوَ في مثل حالهم، إلاّ من أعمى الله قلبَه، وغلبت عليه شِقوتُه وحَيْنُه؟ فاعرفوا فضلَ ما وفّقكم الله (تع) إليه وحباكم بـه، وقُومـوا بفرضه واشكُرُوه على ما وَهَبكم منه، ومَنّ عليكم من رضانا
506 به، تستديموا نِعمتَه بذلك/ وتستزيدوا فضله. أمّا إنّي لم أقُلْ ما قلتُه في نفسي

... ومن والاهم فهو في مثل حالهم

تكبّراً، ولاَ وَصَفْتُ ما وصَفْتُه من فضلِ الله (تع) عندي فَخْرا، بل قلت اعترافاً بفضله عليَّ، وشُكرا لنعمته، وأنا أقلُّ عباده عندَ نفسي تواضُعاً لعظمته وأذلُّهم
*ب 112و لدينها تذلُّلاً وخضوعاً * لقُدرَتِه. واستعبر (صلع)، وظهرت خِشيةُ الله على وجهِه.

فقبّلوا الأرض بين يديه، واعترفوا بفضله، وشكروا له بما قدروا عليه،

---

(1) ب: كما قال قد قيل...

وذكروا ما يعتقدونه وما يعلمونه ممّن خلّفوه وراءهم من أوليائهم واعتقادهم طاعته ووَلايتَه، وودّعوا وانصرفوا.

وكان قد أدخل قبلَهم وجوه أوليائه من كتامة وغيرهم وخاصّة عبيده، فحضروا/ الملجس. فلمّا انصرف القومُ نهض من كان جالساً منهم للقيام، 507
المعزّ يكبر رجال كتامة السابقين الأوّلين
فأمرَهم بالجلوس فجلسوا. ووقف كذلك من كان منهم واقفاً، فأقبل عليهم وسألَهم عن أحوالهم، وذكر مَن مضى من أسلافهم وترحَّم عليهم، وحضَّهم على ما كان عليه أسلافُهم من الرَّغبة في الحكمة وطَلَبِها وسماعِها والمواظبة عليها.

فذكرت له مواظبتَهم على ذلك واجتماعهم في كلّ يوم جمعةٍ واحتفالَهم وغيرَهم من أوليائهم[1] إلى الجامع لشهود الجمعة والتهجير إليها، ثمّ مُقامَهم بعد انقضاء الجمعة لسماع الفقه والمناظرة فيه قبل انقضاء صلاة العصر، ثمّ احتفالهم بأجمعهم ومن عسى أن فاتته صلاةُ الجمعة منهم إلى/ القصر المعمور بطول بقائه 508
لسماع الحكمة وما يظهر من إقبالهم عليها ورَغبتهم فيها.

فقال: هذا الذي نريده منهم ومن غيرهم ممّا فيه حظُّهم وصلاحُ أحوالهم وتمامُ نعمة الله عليهم، إنّهم ومن مضى من أسلافهم كانوا مع من مضى من آبائنا ـ قدّس الله أرواحهم ـ قليلا ما يُنعَمُ عليهم مثل ما نُنْعم نحن على هؤلاء بحسب ما أوجبَه الزمان وجرت به الحكمة في أعصارهم (صع) وعصرِنا هذا المباركِ من بعدهم. إنّهم كانوا يأخذون أقلّ ما سمحوا لهم[2] به * من العلم والحكمة، فلمّا *ب 112
أخذوا ذلك عنهم ترَكُوهم، ولم ينقَموا عليهم تركَهم لسؤالهم المزيدَ من فضل الله (تع) لهم. ونحن نبذُل لأهل عصرنا/ ما يجب في بَدْءِ الأمور بذلُه لهم، ونزيدهم 509
الأئمّة لا يضنّون بعلمهم
ما رأينا الرَّغبة والإقبال منهم، ونُنعِمُ عليهم إذا سكتوا عن طلب الزيادة منّا لهُم ونُحبّ أن نجعَلَ جميعهم أعلاماً يُهْتَدَى بهم، وسُرُجا يُستضاء بنورهم، وعلماء تَقْتَبِسُ الخلائقُ منهم.

فقبّلوا الأرض بين يديه، وشكروا فضله وجزيل ما أولاهم من نعمه.

---

(1) ب: أوليائه.
(2) أ: كانوا يأخذون قبل ما سمحوا به من...
ب: كانوا قد ما سمحوا به من... وأخذنا بنقل العيون، 619.

فقال (عم): أحبّ لكم ولغيركم خاصّةً ولجميع مَن تمسّك بوَلايتنا عامّة أن يكونَ ما تُكِنُّه صدورُكم لنا موافِقاً لما تَنْطِقُ به ألسنَتُكم عندنا، فإنّ الله (تع) إنّما يَجْزِي العبادَ بِنِيَّاتهم، وإلاّ فمِثْلُ مَن سمع الخائبَ اللعينَ قيصر[1] وقد سأله بعضُ
510 رجالنا رفعَ حاجة إلينا/ فأعرض عنه، وقال: إنّما تُقْضَى جوائجُ الرّجال إذا احتيج إليهم، واليومَ فليس لمولانا عدوٌّ يُحْتَاجُ معه إلى الرجال. فيطوي هذا عنّا ويرضاه مِن قولـه، ويصحبـه ويتولاّه بعدَه، [أ] يكون قد حفظ لما أُخِذ لنا عليه وصحّت لنا نِيَّتُه؟

فقالوا: لعن الله من فعل ذلك.

باب الإمام مفتوح لكلّ ذي حاجةٍ

قال (عم): نعم، ورحم الله من بلّغه إلينا نصيحةً لنا كما أخذناه عليه وأنكرَه بقلبه لمّا سمعه منه. فمثل هذا فارعُوه من أنفسكم ولا تتّخِذُوا ولائج من دوننا، فوالله ما أحوَجْناكم إلى ذلك، وإلاّ فأخبروني أيَّ كبيرٍ منكم أو صغيرٍ كتب إليّ رُقعةً
511 في ليل أو نهار يقول إنّه يريد الدخولَ إليّ فحجبته، أو الاجتماع معي/ لحاجة يريدها أو لأمر يُنهيه إليَّ فمنعتُه أو دفعتُه؟ إذاً والله لا يقول ذلك قائل منكم ولا يتعلّق به عليّ، فأيّ حجّة لكم في وضع أنفسكم لمن هو دوني، وأنا أريد رفعتَكم وتشريفكم؟

* ب 113 و فقبّلوا الأرض بين يديه وشكروا له * واعترفوا بفضله وإحسانه[2].

---

(1) قيص: انظر ص.436. وفي ب: اللعين ـ يعني قيصر ـ

(2) نقل الداعية إدريس هذه الخطبة الطويلة ص 620.

الجزء الرابع والعشرون

[بسم الله الرحمن الرحيم]

حديث في مجلس في حمد الله عزّ وجلّ وشكره والاعتراف بفضله:

254 ـ قال القاضي النعمان بن محمّد: سمعت الإمام المعزّ لدين الله ـ صلوات الله عليه ـ وقد أتاه فتح مدينة فاس بعد أن كان أكثر الناس يئسوا من ذلك لطول إقامة الجيوش عليها[1] / وهروب مَن هربَ منهم عنها وقوّةِ أهلها 512
وكثرةِ الأطعمة فيها ووعر خنادقِها وحصْنِها، فقال (ص): هذا من قول الله (عج): ﴿حتَى إذَا اسْتَيْأسَ الرّسُلُ وَظَنُّوا أنَّهُمْ قَدْ كُذِّبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا﴾[2]. والله ما استيأس رسل الله من فضلِهِ (عج) ونصرِهِ إيَّاهم، ولكنّهم استيأسوا ممّن خذَلهم ولم يَقُمْ بواجب حقّ الله (تع) الذي افترضه في جهاد عدوّهم، فقطعوا منَ الخلق رَجاءهم، ووصلوه بالله ربّهم، فآتاهم نَصْرَه الذي به وعَدَهم.

وقد كان المعزّ لدين الله (صلع)، كلّما ورد عليه من أمر فاس هذه أمرٌ يئس مَعَهُ مَنْ سَمِعَهُ مِنْ فتحها، يقول: ـ ونحن نسمعه من غير موطن إذا أتى مثل هذا ـ: ما أتوكّل في / أمرها وكلّ أموري إلاّ على الله لا شريك له، ولا أرجو 513
غيرَه، وإنّي لواثقٌ بفضله ونصرِه.

ثم قال (ص) لمّا أتاه الفتح: والله إنّي لربّما أريد أن أسأل الله ـ تعالى ـ في الزيادة من فضله فيما يكون من مثل هذا فأستحي أن أسألَه ذلك لكثرة ما أولاني منه، له الْحَمدُ لا شريكَ له. وإنّي لربّما سألتُ الله (تع) طول البقاء لعدوّي

عرض المعزّ الأمان على أهل فاس فرفضوه فأقام عليهم الحجّة...

(1) دام الحصار نصف شهر في الحقيقة، ولعل النعمان يعني هنا طول إقامة جوهر بالمغرب عامة، أي سنة أو أكثر، كما يقول ابن عذاري (ج 1 ص 222) وابن الأثير (الكامل ج 6 حوادث 347).

(2) يوسف، 110.

لِيُخزِيهَه الله بذنوبه، ويرى ويَسْمَعَ من صنع الله عندي ما يُنكِيه ويؤلمه.

*ب113 ثمّ قال (عم): أتدرون ما أردْتُه بالكتاب الذي كتبته منذ قريب * لأهل فاس هؤلاء الأشقياء؟ ـ وقد كان كتب لهم كتاباً بالأمان إن أنابوا، وعَرَّفَنا به، فلمّا
514 انتهى إليه ردّوه فلم يَقْبَلوه ـ/ .

قلنا: الله ووليُّه أعلم.

قال: والله إنْ أردتُ بذلك إلاّ هلاَكَهم بإقامة حجّة الله تعالى عليهم، وإلاّ فقد علمتُ أنّهم، متى جاءهم وهم يرون أنّهم في قوّة وأنّ عساكرَنا قد سئمَتْ من المُقام عليهم وانحلّ بعضُها عنهم، وجاءهم مثل هذا من عندي، [فَـ]ـإنّهم يدفعونه.

... كما فعل الرسول (ص) مع كسرى، والمنصور مع أبي يزيد

فأردت أن أجعَله ككتَاب رسول الله (صلع) إلى صاحب فارس[1] إذ[2] أتاه فمزّقه فمزّق الله تعالى ملكه، وككتاب المنصور بالله (صلع) إلى مخلد اللعين وأصحابه، وقد حاصرهم بقلعة كيانة[3] إذ كتب إليهم الأمان فردّوا كتابه، فأمكنه الله (تع) منهم في أقرب وقت. وكذلك أردتُ بكتابـي الذي رأيتموه، وكان كما
515 أردت ذلك بحمد الله / ونعمته.

ثم حمد الله (تع) بما هو أهله، وشكر فضلَه بماقدر عليه وأمكنه.

كلام في مجلس في ترتيب استعمال العمّال على العمل:

تكون الرفعة في المراتب بحسب الكفاءة والنصيحة

255 ـ (قال): وذكر (صلع) بعض الأولياء لبعض الأعمال[4] فقال: إنّا ربّما أردنا مثل هذا لمن نندبُه فيرى نفسَه فوقَ ما ندبناه إليه، ويرى أنّا قصّرنا به في ذلك، وما نقصِد بأحدٍ من أوليائنا وغيرهم ممّن نندُبه إلى عمل نستعمله عليه إلاّ شرَفَه وترفيعه. وما شـيء استعمَلَنا الله (تـع) فيه فعمِلناه له بقليل، [و] ينبغي لمن ندبناه إليه أن لا يحتقرَه، ويرى نفسه فوقه. ونحن عمّال الله (عج) عليه.

(1) رسالة النبـي إلى كسرى: حملها عبد الله بن حذيفة فقرئت على كسرى ثمّ أخذها فمزّقها، فقال الرسول (ص): اللهم مزّق ملكه! (النويري: نهاية الأرب، 18/163). وانظر أسد الغابة في ترجمة عبد الله بن حذيفة.

(2) في النسختين: إذا أتاه.

(3) في جبال المعاضيد شمالي شط الحضنة ومدينة المسيلة.

(4) ب: لبعض العمال.

وإنّما[1] ننقُل الناس كما ينبغي أن يُنْقَلوا في الأحوال حالاً عن حال. فمن / رَفَعَتْه 516
كفايته[2] ونصيحتُه رفعْنَاه، ومن قعد بنفسه فلا يلُمْ أحداً سواه.

وليس ينبغي لنا أن نبتدىء من نبتدِئُه حتّى نختبرَه بمعالي العمل[3]، وما المعزّ يختبرُ عمّاله في خدمتهم ويكافىء بحسب الجهد
سبق منه فيما هو دونه، لأنّا لو فعلْنا * ذلك لعرضنا به إلى هلاكه. فقد قيل إنّ
الإنسان إذا رمى شيئاً من يده من نحو صدره إلى ما دونَ ذلك من أسفلِ يدَيْه،
فالمعلوم أنّه لم يُرِدْ به كسرَه ولا إفسادَه، وإذا رفعَه إلى أعلى من ذلك وإلى فوق *ب 114 و
رأسه وضرب به الأرضَ، كان العلم محيطاً بأنّه أراد أن يَكْسِرَهُ ويُوهِنَه. فهذا
مثَلٌ لما قلناه إنّا لربّما نُعطِي من نُعطيه اختباراً ومحنة. فإن رأينا من أعطيناه ما
نُعطيه قامَ به وشكر / عليه وأدّى الأمانة، زِدنَاه، وإن قصّر، قصّرْنا به ونقصناه. 517
وهذا دأب[4] الله (تع) لخلقه فقد جعل ثواباً لمن أطاعه وعقاباً لمن عصاه وقال:
﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾[5].

كلام في مجلس في فضل النّية:

256 ـ (قال) وذكر للمعزّ (صلع) بعضُ دعاته بعضَ عمّال المهديّ (ص)،
فقال: ذكر عنه أنّه افتتح مدينةً فلم يُصب فيها كثيرَ شيء، فاغتمّ لذلك وأرسل إلى
أهل خاصّته من الجيش الذي كان معه، فقال لهم: هذه مدينة مذكورة قد افتتحناها
عَنوة، ونحن كما ترون لم نجد فيها مَالاً نقابـل لـه/ وليَّ الله ونُبقِي[6] به وجوهَنا
عنده، وإذا لم نفْعَل ذلك صرنا في / حدود التّهمة. فأيّ مصيبة أعظمُ ممّا نحنُ 518
اليوم فيه؟ ليت أنّا لم نفتح هذه المدينة، وكنّا رجَعْنا عنها ولم نَصِرْ عرضا للتُّهَم قائدٌ يغتمّ لفقدان الغنائم من مدينة افتتحها للمهديّ
وقول البغاةِ والحسَدة! وأظهر لهم بذلك غمّة شديدة.

فقالوا له: مَا يغُمُّك من هذا وأنتَ على يقين من نفسك وصحّةِ من نيّتك؟

(1) ب: وأن.
(2) كفاية في معنى كفاءة، والخلط بين الكلمتين بعد شائع.
(3) هكذا في النسختين، ولعل في الكلام تحريفاً، إذ المنتظر أن يختبره في العمل المتواضع أولاً، وفقاً لمدلول الجملة اللاحقة.
(4) ب: وهذا الأداب.
(5) إبراهيم، 7.
(6) هكذا في النسختين. ولعلها: نقي.

ونحن وأهل العسكر قد[1] أصبنا غنائمَ كثيرة، فنحن نَضُمُّها كلَّها إليك فتأمر ببيعها وتبعَثُ بأموالها.

فقال: والله إنَّ في هذا لبعضَ ما سلّى قلبي. وعندي أيضاً من نعمة وليّ الله
*ب 114 وفضله عليّ ما نَزِيدهُ إلى ذلك ونتجمَّلُ * به.

فانصرف القوم عنه يجمَعُون الغنائم، ودخل هو إلى الدّار التي نزل بها
519 وهي دار / سلطان تلك المدينة - فاستلقى على سريره لينامَ، فتَعَذَّرَ عليه النومُ، وبيده مِروحَةٌ يتروّح بها، وجعل يفكّر فيما يبيعُ من متاعه ويزيده من ماله إلى ما يجتمع من الغنائم، وشقّ عليه أخذُها من أيدي الأولياءِ وقد قاتَلوا عليها وكان قد أباحهم إيّاها. فهو يفكّر في ذلك ويَنْكُت الحائطَ بالمِروحة التي في يده لاشتغال ذهنِه، إذ سمع الحائطَ يَدْوِي لوقع المِروحة عليه، فانتبَه لذلك واختبره، فَرَآهُ كذلك يدوي وكأنّما وراءَه شيءٌ، فدعا بالفأس فضرَب فيه فإذا بأموال عظيمة
520 قد خُبِّئَتْ فيه تربو على الأمَلِ، فأخرِجَت وصُبّت بين يَدَيْه، ففرِح وزال / عنه ما كان مغموماً به.

... فيكتشِفُ كنزاً في جدار الغرفة، فيُهديه إلى الإمام

وأتاه القوم الذين خاطبهم بصدر من الغنائم، وقالوا: هذا ما عندنا قد بدأنا به فخُذْه إليك لتخرجَ إلى الناس فتكلِّمَهم في ذلك، فإذا علِموا أنّا سارعنا بما عندنا سارعُوا بما عندَهم. فأخبرَهم بما أصاب، وشكرهم وردّ عليهم ما أتَوْهُ به، وبعث بالمال، فانتهى إلى المهديّ (صلع) ما كان في ذلك منه، فحسن له موقعُه عندَه.

المعزّ يروي خبراً آخر في إخلاص هذا العامل...

قال المعزّ لدين الله (صلع): وأخبرني عنه بعض من يخصّه ويقرّبه أنّه أدخله إليه يوماً إلى داره في الموضع الذي كان عاملاً عليه، وقد أخرج أموالاً كثيرة ليبعَثَ بها إلى المهديّ بالله (ص) ممّا اجتمع عنده من مرافق العمل. (قال): فقال
521 / لي ذلك الرجل: ولم أكن قطّ رأيتُ ألفَ دينار مجتمعةً فلما رأيت ما بين يدَيَّ من الأموال تعاظمْتُ أمرَها. فقال لي: أتدري لماذا بعثت إليك؟

قلت: لا.

(1) في النسختين: فقد...

قال: هذه الأموال عندي وهي أكثرُ ما قدَرْتُ عليه ـ وذكر لي مبلَغَها ـ وإنّما نخافُ أن يستقِلَّها مولانا (عم).

قال الرجل، وكان من أهل ذلك البلد: فلمّا قال ذلك خشيتُ إن بعَث[1] بذلك المال* كلّه أن يصير قانوناً مقطوعاً على البلد، فلا يقوم أهلُه به، فقلت: *ب115و أيّدك الله، إنَّ هذا مالٌ عظيم لم يُخرَجْ مثلُه من هذا البلد، فإن أنتَ بعثتَ به كلّه دَفعةً واحدة أجحَفْتَ بنفسك ولم تأمن من أمرٍ يحدُث عليك / تحتاجُ فيه إلى 522 المال، فلا يكون عندك منه شيء، فلا يتهيّأ لك فيما يُسْتَقْبَلُ مثلُ هذا. فإن قصّرتَ ... ورغبته في دونه كنت قد تعرَّضْتَ للقول فيك. وفي بعض[2] هذا المال ما يستكثر لك لأنّه لم توفير الإتاوة يكن يحمِلُ أحدٌ من العمّال قبلَك بعضه، فاقتصِرْ منه على ضِعْفَيْ ما حمَلَه من كان للإمام قَبْلَك[3]، فإنّ ذلك [مـ] ـمّا يُعرَفُ فيه فضلك وتوفيرُك، ودعِ الباقِيَ عندك لما عسى أن ينوبَك وتحتاج إليه وتوفّر به ما تبْعَثُ به بعدَ اليوم إنَ نقُصَ[4] المال في يديك.

(قال) فرأيته تغيّر لكلامي وأطرق ساعة ثم رفع رأسَه إليّ مُغْضَباً فقال: أمَا والله لولا علمي بنصيحتك ومودّتِك لقلتُ إنّك أردتَ بـي سوءاً / ولعاقبْتُك عقوبة 523 مثلك، ولكنّي لا أشكّ في أنّك لم ترد إلاّ خيراً، ولكن ربّما أراد الإنسان الخيرَ فأخطأ. أفَكُنْتَ ترى لي أن أخون مولانا (عم) وأحتبِسَ مالَه، وأَكذِبَهُ فيما أبعَثُ به إليه، فأقول: هذا ما اجتمع لي؟ فأينَ عهدُه في عنقي وأين فضلُه عليّ وأينَ إحسانُه إليّ، وما رجاه من نصيحتي وأمانتي؟ والله لا أدَعُ منه حَبّةً واحدةً إلاّ بعثْتُ بها، فإن احتجْتُ إلى شيءٍ طالعتُ مولانا بحاجتي، وأرجو أن يُغنِيَنِـي اللهُ عن ذلك، وإن لم أجِدْ مثلَ هذا فيما أسْتَقبِلُ بعثْتُ بمَا وجَدْتُ، [و] توكَّلْتُ على الله في حسن ظنّ وليّه بـي لما اعتقَدْتُه ونَوَيْتُه.

وبعث بالمال عن آخره، فما احتاج إلى شيء / بعد ذلك. وكان إدخاله 524

---

(1) في النسختين: بعثت.

(2) ب: نقص من: هذا. فإن... إلى: وفي بعض...

(3) زيادة في ب: لا بعضه فاقتصر منه على. وقد تكون تكراراً لما في السطر السابق.

(4) ب: أن تقبض.

زيادة في كلّ عام إلى أن توفّيَ وهو على ذلك من حاله.

ثمّ قال المعزّ لدين الله (صلع): فهذا ممّن كانت نِيّتُه ونصيحتُه قد أدّاه
*ب115 فضلُهما إلى السعادة * وكان المهديُّ بالله (صلع) يشكر فعله ويحمد أمره، وإن لم يكن ممّن برع في الدّين من المؤمنين، فكان فيه بعض ما كان ممّا يعفو الله عنه إن شاء الله له ولمن كان في مثل حاله من أوليائنا، وإن كانت الشهادة قد طهّرته ومَحَّصَتْ عنه ما تقدّم له مع ما كان عليه من رضى وليّ الله لما كان من نصيحته وأمانته وكفايته.

كلام في استحباب العدل وشكر أهله:

525 257 ـ (قال) وكان المعزّ لدين / الله (صلع) قد استعمل على ناحية من نواحي الزّاب رجلاً فأدخل مالاً كثيراً، وصحبه سوء ثناء عليه وشكوى من الرعيّة[1] له لم يتحقّق عند وليّ الله، إلاّ أنّ ذلك ممّا ظهرت منه له غمّة شديدة، وعزل ذلك العاملَ من البلد وأقصاه واستعمل عاملاً مكانَه. فجاء عند رأس الحَوْل بمال دونَ ما جاء به الذي تقدَّمَه، وجاء قاضي البلد معه ووجوهُ أهله يشكرونه[2]. فأمر المعزّ لدين الله (عم) بإدخالِه وإدخالهم إليه، وقرّبه وأدناه وأدنى القاضيَ، فذكر حُسن سيرته، وشكروا ذلك بأجمعهم، ووصفُوا ما عامَلَهم به من الجميل، فاستبشر بذلك المعزّ (صلعم) وقال: الله يعلَمُ أنّا ما أمَرْنا أحداً استعملناه
526 / إلاّ بمثلِ الذي تَصِفونَه من فعل هذا الرجل فإنّا ما نرضى لأحدٍ خلافَ أمرنا، ولا نجد حجّة عليه، فنُهمِلُ ما يجبُ فيه. ولكنّكم معشرَ الرعايا لا تصدُقُونَنا ولا تُبلِغوننا ما يكون منه على وجهه، وإذا شكا بعضُكم أكذَبَهُ غيرُه وشكر من يشتكيه، ولو صدقتمونا عن آخركم وزالت الشُّبهة عنّا في أمرِكم لصلُحت أحوالُكم واستقامت أموركم، ووجدتُم من إنصافنا وعدلِنا عليكم ما لا تبلغه آمالكم. ولكنّكم أنتم سببُ إدخال الوهَن على أنفسكم، فاصدقُونَا تجدوا[3] الصدق
*ب116و عندنا. والله * ما صَدَقَنا من كذَب ظنُّه فينا، ولا أمَلَنا بنيّة صالحة من خاب أملُه

(المعزّ يحثّ الدعاة على الصدق والعدل)

(1) أ: من شكوى. ب: سقط: عليه.
(2) الضمائر ملتبسة: فمن المشكور؟ السابق المعزول أم العامل الجديد؟
(3) في «أ» و «ب»: تجدوا نحب... وفي رأينا أن الكلمة مكررة عن تجدوا، فأسقطناها.

عندنا. وإنّا لنحبّ/ لكم من الخير فوقَ ما تحبّونه لأنفسكم وما تحبّه لكم 527
آباؤكم وأمّهاتُكم. ونُشفِق عليكم فوق إشفاقهم بكم. والله الشاهدُ على نيّاتنا في
ذلك لكم ولكافّة المسلمين والمعاهدين.

فشكروا له وقبّلوا الأرض بين يديه، وأحسن نزلهم، وصرفهم إلى بلدهم، وصرف ذلك العاملَ عليهم بعد أن قرّبه واختصّه وأدناه وأكرمه وحباه وزاد في عمله وبسط يده وقوّى أمره.

كلام في استعظام الشكر في أمر أولياء الله وجهل الجاهلين(1):

258 ـ (قال) وسمعت المعزّ لدين الله (صلع) يذكر قوماً قد سبَقوا إلى
الإيمان وكانت لهم أحْوالٌ جميلة تقدّمت به. ثمّ تداخلَهُمُ الشكّ وصار بعضهم
إلى النّفاق، ـ نعوذ بالله من البلاء ـ/، فقال: هؤلاء من الذين قال الله (عج) 528
فيهم: ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ﴾(2). هذا فلان منهم يقول للمهديّ (عم):
أرِنَا آيتَك؟ فأراه الله الآية في نفسه. ويقول له: أنت المهديّ ليس بعدك أحد، في زيغ بعض الأولياء عن الحق
فيقول له المهديّ (عم): لو كان الفضل مقصوراً على واحد لما كان وصل إلينا منهُ
شيء، ولكن لي من الفضل ما جعلَه الله (عج) لي، ولمن يأتي مِن بعدي ما يجعَلُه
لكلّ واحد منهم. ويقول الآخر لمّا قُبِضَ المهديّ (ص): إنّا لله، لا دُنيا ولا
آخرة، كأنّه توهّم أنّ الله (عج) قد قطع فضلَه، وأنّ ما كان يراه في المهديّ وينتظره
قد انبتر وزال من يديْه وكذب من عرفه به، فأيّ شِقوة تكون مثلَ هذه / الشقوة 529
وأيّ مصيبة أعظمُ منها مصيبةً؟ ولكنّ الجهلَ والتخلّفَ عن المعرفة إذا اجتمع
مع الكِبْرِ والأنَفَة كانت هذه ثمرته وعاقبته. توهّم * هذا الجاهل بجهله أنّ مفتاح *ب116
الشيء هو الخزانة في ذاته.

فذكرت له (صع) سببَ مصارمة صاحب هذا القول لبعض الدعاة وأنّه قال يوماً لذلك الداعي: أخبِرْنا عن هذا العمل الذي يصل إليك من المؤمنين، يعني النَّفَقَة(3) [أ] هو العملُ الذي ذكره الله (عج) في كتابه وأمر [به] عباده

(1) ب: ويجهل جهل الجاهلية.
(2) البقرة، 89.
(3) لعل السائل يشير بالنفقة إلى النجوى (ج نجاوى)، وهي التبرع الذي كان يؤخذ من كلّ من=

مثال من تقصير بعض الدعاة في الاحتجاج

كقوله (تع): ﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسولُهُ وَالمُؤمِنُونَ﴾[1] أم ثمّ عمل غيره وأنتم تسمّونه العمل؟

(قلت) فلم يدر ذلك الداعي ما يقول له إلاّ أن أغْلظَ عليه في القول وقال
530 / له: أردْتَ أن تُضلّ المؤمنين بهذا القول وتصدّهم عن دين الله.

فقال: أنا أضلُّ المؤمنين وأصُدُّهم؟ لأَنَا أعلمُ مِن كثير ممّن يرى أنّه فوقَ الناس في العلم. ونحو هذا من الكلام. واعتكر الكلام بينهما فقطعه وصارمه.

الإيمانُ قولٌ وعملٌ

فقلت: لو قال ذلك الداعي جواباً له ما قد بسطه اليوم مولانا في أوّل تربية المؤمنين[2] ممّا حكاه عن الصادق جدّه جعفر بن محمّد (صلع) لمّا سأله السائل عن الإيمان: أقَوْلٌ هو أم قَوْلٌ وعمَلٌ؟ فقال: الإيمان عملٌ كلُّه، والقول بعضُ ذلك العمل ـ ثم فسّر ذلك في كلام طويل واحتجّ له من كتاب الله (عج) ـ بحجج
531 كثيرة ـ فكان يقول هذا الداعي: هذا الذي ذكرتَه هو عمل، وغيره / من أعمال البرّ التي افترض الله (عج) وسنّها رسوله (ص) فهي كثيرة، فكلُّ واحدٍ منهما إذا

= يتعلم أصول المذهب الإسماعيلي (حسن إبراهيم حسن، تاريخ الدولة الفاطمية، ص 223). ويذكر المقريزي في خططه (ج 2 ص 225) أن لداعي الدعاة أخذ النجوى من المؤمنين بالقاهرة ومصر وأعمالها لا سيما الصعيد، ومبلغها ثلاثة دراهم وثلث، فيجتمع من ذلك شيء كثير يحمله إلى الخليفة بيده... وفي الإسماعيلية الممولين من يحمل ثلاثة وثلاثين ديناراً وثلثي دينار على حكم النجوى وصحبة ذلك رقعة مكتوبة باسمه فيتميز في المحول فيخرج له عليها خط الخليفة: بارك الله فيك وفي مالك وولدك ودينك، فيدخر ذلك ويتفاخر به».

ومن أنواع النفقة الفطرة، وهو ما يدفع في عيد الفطر، ويقول المقريزي (خطط م 2 ص 225) «وكذلك في عيد الفطر يكتب ما يدفع عن الفطرة ويحصل من ذلك مال جليل يدفع إلى بيت المال». وانظر الأعمال والواجبات في فهرس المصطلحات.

(1) التوبة، 105.

(2) تربية المؤمنين: يقول القاضي النعمان أن المعز بسط اليوم هذه المسألة في مجلس الحكمة لتربية الدعاة والمؤمنين. ونعرف أن «تربية المؤمنين» هو عنوان كتاب للقاضي النعمان وهو تأويل دعائم الإسلام، والعنوان الكامل هو: «تربية المؤمنين بالتوقيف على حدود باطن علم الدين في تأويل دعائم الإسلام». وإن أول أبواب هذا الكتاب هو باب الايمان. فمسألة الإيمان قد بسطها القاضي النعمان في أول كتاب دعائم الإسلام، وكذلك في تأويل هذا الكتاب (انظر ثبت إيفانوف رقم 66 وبوناوالا رقم 40 ص 64، ومقدمتنا ص 14).

انفَرَدَ فهو عمَلٌ، فكذلك أعمالُ / البشر، لكانَ[1] قد بيَّنَ له وكفى نفسَه وإيَّاه ما أدخل في ذلك.

فقال المعزّ (ص): ولو كان هذا هكذا لم يكن ما قال الله (عج): ﴿ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ﴾[2]. إنّ الجاهلَ لا يعلَم إلاّ الجهلَ والمفضولَ لا يبلُغ أهلَ الفضل، وما أُتِيَ أكثرُ مَن يُؤتَى ممّن انتحل أمرَنا إلاّ من قِبَل هذا الوجه من قوم قد ضلُّوا فأضلُّوا كثيراً عن سواء السبيل.

فقلت: يا مولاي، لقد سألني المنصور (ص) يوماً عن * مثل هذا فقال لي: *ب117و
يا نعمان، أخبرني عن هؤلاء الذين كان المهديّ قد قتل بعضَهم / وخلّد آخرين 532
في السّجن ممّن تقلّد عهدَه من أهل إفريقيّة لِمَا اتّصل به عنهم من القول بالإباحات، أعندك في ذلك عِلم من دعاتِهم أو سمعتَ من أحدهم شيئاً من ذلك؟

فقلت: يا مولاي، لم أسمعه، وقد سمعتُه.

قال: وكيف ذلك؟

قلت: كان الدعاة يومئذ عامّتهم لا يعرفون شيئاً من ظاهر دين الله (عج) من حلال وحرام، وكانوا يأنفون أن يعترفوا بالجهل لشيء يُسألُون عنه، فما أحصي ما سمعتُ عن واحد من أكابرهم يُسأل عن شيء من ذلك مثل طهارةٍ أو صلاةٍ أو صوم أو غيرِ ذلك من فرائض الدّين وأحكامه وحلاله وحرامه، فإذا سأله السائل
عن ذلك / انتهَره وأغلظَ عليه، وقال: ما سؤالك عن هذا المُحال من الظاهر 533
وتدَعُ علمَ الباطن؟

بعض الدعاة يخفون جهلهم بأحكام الدين...

(قلت) فإذا سمع هذا مَنْ يميّزُ حالَهم ويعرِف تخلُّفَهم وأنّ ذلك منهم بِجَهْلِهم بما يُسْألُون عنه، وعَلِمَ ما يَأخُذُونَه في العهد الذي في أيديهم من إقامة ظاهرِ دين الله وباطنِه، ثبت على ما هُوَ عليه، وألقَى قولَهم هذا. ومَن كان من أهل التخلُّف وغَلَبَتِ الشهواتُ عليهم والشِّقوة مثل أولئك، تأوّلوا قولَهم هذا في إسقاط الظاهر كلِّه. وذكرتُ له كلاماً كثيراً بلَغَني عن كثير منهم.

... فيتكلّفون الاهتمام بعلم الباطن

(1) جواب لو قال، في أول الفقرة.
(2) النور، 40.

فتهوّل ذلك وأكبَره وقال: أجل، لَمِنْ مثلِ هذا وأشباهِه هَلَكَ كثيرٌ.

534 فقال لي المعزّ (ص): أفَمِثْل هؤلاء يقال / لهم دُعَاةٌ إلينا بل والله هم الصادُّونَ عن الله (عج) وعنّا، وما دعا إلينا مَن خالف أمرنا وتقوّل علينا وقال برأيه في شيء ممّا نسبه إلى أمرنا دون مطالعَتِنا ورِدّ ما جهله، كما أمر الله (عج)، وغَيْرِه، إلَيْنَا.

ب 117 حديث في مجلس في ذكر رموز أولياء الله (تع):

الأئمة يلجأون إلى الرموز في حالة الشدّة...

259 ـ (قال) وذكر الإمام المعزّ لدين الله (ص) يوماً رموز أولياء الله لأوليائهم في حال التَّقِيّة على أنفسهم وعليهم، وفي غير ذلك ممّا تُوجبُه الحكمةُ عندهم، فقال: سأل رجلٌ من المؤمنين بعضَ الأئمّة عن مسألة فأجابه عنها بجواب، ثمّ قال له: كأنّي بك بعدَ أن سمِعْتَ جوابي هذا تسأل فلاناً ـ وسمّى له
535 رجلاً ـ فيُجيبُك بخلاف ما / أجبتُك به، فتدَعُ قولي وتأخُذُ بقوله؟

... يفْتون بخلاف ما يعتقدون، ولكن ينبّهون السامعَ

فقال الرجل: أعوذ بالله من أن أفعَلَ هذا يا ابنَ رسول الله (ص)! وكان بحضرة الإمام حينئذ حجّته فلمّا ولّى الرجل قام[1] في أثره، ودعا به إليه، فقال له: امض إلى الرّجل الذي قال لك، فاسأله فإنّه سيُفتيك كما قال لك الإمام (عم) بخلاف ما أفتاك به، فاعمل على ما يُفتيك به الرجل.

قال: وكيف يكون هذا يا مولاي؟

قال: اسمع ما أقول لك فإنّما ذلك رَمْزٌ رَمَزَ به إليك.

ثـم قال المعـزّ (ص): من لم يعرف حقيقةَ أمرنا ضلّ عن سبيلنا، وما يُؤْتَى أكثر الناس إلاّ من ذلك، إنّ الله (عج) يقول: ﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ
536 مِنْ كُلِّ مَثَلٍ﴾[2]. وقال: ﴿وَتِلْكَ / الأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا للنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إلاَّ العَالِمُونَ﴾[3]. وقال في قصّة عيسى (عم): ﴿فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ، قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ

(1) أي: قام الحجة. وقد وقع تعريف الحجة. انظر ص 85 هـ 4.
(2) الروم، 58.
(3) العنكبوت، 43.

كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا﴾[1]. وذكر بعد هذا من العلم والحكمة ما شفَى به القلوب.

قول في إنهاء ما يجب إنهاؤه إلى وليّ الله صلوات الله عليه:

260 ــ (قال) وسمعته (صع) يوماً يحُضُّ على إنهاء ما يجب أن يُنْهَى إليه. متى يجب رفع الأخبار إلى الإمام، ومتى يجوز كتمانُها؟
ثم قال بعقب ذلك: أمّا ما ينبغي إبلاغُنا إيّاه من ذلك ولا يسَعُ[2] طيُّه دوننا ويعلَمُ مَن كان ذلك عندَه أنّ الفرضَ عليه أن يُنهِيَه إلينـا كما قد أخذناه في عهدنا عليه بذلك، لا شُبْهةَ فيه ولا خَفَاء به، فطيُّه دوننا لمن وجد سبيلاً إلى * رفعه/ إلينا *ب118و 537
خيانةٌ ومعصية لنا.

وأمّا ما كان ممّا يسع السّكوتُ عنه ممّا رخّصنا لأوليائنا في سَتره وتركهم أن يكشف بعضُهم عوراتِ بعض فيه ممّا لا يُحظَر فيه سَتره[3]، ويؤمّل لذي الزلّة منه التوبةُ ويُعلم ذلك بحقيقة، فسَتْره وطيُّه أولى.

وأمّا ما يشكّ مَن انتهى علمُه إليه ولا يَدْري أيَسَعُه طيُّه دوننا أو يجب رفعُه إلينا، فينبغي له أن يُعَرّضَ بذكره، فنحن نعلم ما يُومِيءُ به من ذلك، فإن استَفْهَمْنَاه أخبرَنا وإن سكَتْنَا عنه سكَتَ عنّا، وكان ذلك الفرض الواجب عليه لنا.

حديث في مجلس في ذكر الحكمة:

261 ــ (قال) وكان المعزّ لدين الله/ (صلع)[4] يحلّ من القائم (ص) والأئمّة من ذرّيته الطاهرين محلاً خصيصاً مذ نشأ، وكان يقرّبه ويدنيه/ ويسرّ إليه 538
دون أبيه. وكان رسولَه وسفيرَه إلى الناس فيما يأمر به وينهى عنه ويحتاج إليه. فإذا خلا كان بين يَدَيْه، ومتى غاب عنه أرسل إليه.

وكان المنصور من المهديّ (ص) بهذه المنزلة لا يكاد يُفارقُه إذا خلا، ويحدّثُه سرّاً ولا يعلم أحد ما يجري بينهما. فأخبرني بعض من كان يدخل إلى

(1) مريم، 29.
(2) في الأصل: ولا يسع عليه.
(3) من: وتركهم إلى... فيه ستره: زيادة من ب.
(4) أ: صلعم، وإضافة الحرف الرابع نادرة جداً في الكتاب. وفي عيون الأخبار، 526: صلع فقط. وانظر في علاقة الأئمة بالأحفاد اتعاظ الحنفاء 178.

لأحفـاد الأئمّـة مكـانـة خـاصّـة عندهم: المنصور عنـد المهـدي، والمعزّ عند القائم

المهديّ (ص) في أكثر الأوقات لما لا بدّ له منه أنّه لم يكن قطّ دخل إليه في خلوة إلاّ وجد المنصورَ (عم) بين يدَيْه يناجيه، فإذا رآه تنحّى من بين يدَيْه حتّى يقضِيَ ذلك الرجل حاجته، فإذا خرج عاد إليـه. (قـال) وما سمعتُ قطّ ما يجري بينهما، وما علمت أحداً ممّن يقرُب من المهديّ (عم)/ كان يحلّ محلّ المنصور منه، ولا
539 رأيت أحداً يخلو معه، فأدخُلُ عليه على ذلك إلاّ كلّمه بحضرتي، وسمعت ما يجري بينهما، إلاّ المنصورَ (صلع).

فذكر المعزّ لدين الله (صلع) يوماً مثل هذا من حاله، وأنّ المهديّ (صلع)
*ب 118 كان * يغذّيه بالحكمة، ويرشّحه للإمامَة بحسَب ما كان القائم بالله (ص) يفعل به هو.

قال: فمن ذلك ما أخبرني به المنصور (ص) أنّه ابتدأ به. قال لي: دخلت إليه يوماً وأنا حين ابتدأت النظر في الكتب، فقال لي: نظرتَ في شيء من العلوم؟ جمعتَ شيئاً من الكتب؟.

قلت: يا مولاي، ابتدأت في شيء من ذلك.

قال: في ماذا نظرتَ؟ فذكرت له ما أنظر فيه.

540 قال: أما نظرت في شيء من الطبّ؟/

قلت: لا.

قال: إنّه أحقّ ما نظرتَ فيه وتعلّمتَه، ومثلُكَ لا يستغنِي عنه.

قلت: ما أمر به مولانا (ص) انتَهَيْتُ إليه.

قال: فأنا أُخرجُ لك كتاباً منه تنظرُ فيه.

المهديّ يـوجّـه المنصور نحوَ طبّ الأرواح، أي علم الباطن

فلمّا دخلت من غد إليه، ناولني كتاباً ضخماً وقال لي: هذا كتابٌ من الطبّ شريف، فانظر فيه وصُنه ولا يراه أحدٌ عندك، ولا تطالِعْ أباك عليه، ولا تخبرْ بما جرى بيني وبينك فيه، واحتفِظْ بالكتاب غايةَ الاحتفاظ.

فأخذته وشكرتُ له وانصرفتُ وأنا أقول في نفسي: وما في الطبّ ما يبلغ المهديّ (عم) به هذا المبلغ؟ وسترتُه كما أمر. فلمّا صرت إلى مكاني، نظرتُ
541 فيه، فإذا فيه من علم الباطن، وأنا لا أعرف/ يومئذٍ ذلك، فتحيّرتُ فيه،

وتوهّمتُ أنّه أمثال مضروبةٌ في الطبّ، وأقمتُ يومي وليلتي أدرس فيه فلا أرى إلاّ علمَ الباطن محضاً. فلمّا دخلتُ إلى المهديّ (صلع) من غد، أدناني وقال لي: نظرت في الكتاب؟.

قلت: يا مولاي، نظرت فيه وليس فيه من الطبّ شيء. فإن كان أمير المؤمنين أراد به الطبّ فليس في هذا الكتاب منه شيء.

فتبسّم (ص) وقال لي: يا بنيّ، ذلك هو الطبُّ الحقيقيّ وهو طبُّ الأرواح الباقية في الدار الآخرة، به يعالَجُ من ألمها ويُدَاوَى من سُقمها، فأمّا الأبدان الفانية فهي أقلُّ من أن يُرفَعَ * بها هذه الرّفعَة. انظر فيه واعرف معانَيه واحفَظ *ب 119 و
/ أصوله فإنّ فيه أصولاً من العلم الشريف، فإذا أنت حفِظتَ ذلك وأيقَنْتَ معرفته 542
فاصْرِفْهُ لأعْطيَك غيرَه إن شاء الله تعالى.

الجزء الخامس والعشرون

[بسم الله الرحمن الرحيم]

حديث في مجلس في فساد الناس:

262 ـ قال القاضي النعمان بن محمد[1]: سمعت الإمام المعزّ لدين الله، صلوات الله عليه، يذكر فساد أحْوال النّاس وما يحاوله من أمورهم، وما يناله من صعوبة سياستهم، فقال: والله ما ندري أيَّ وجه نقصده بهم، فنجد فيه راحة ممّا نحاوله ونزاوله من أمرهم. قد قلّدنا/ الله (عج) أمورهم، واستخدَمَنا في تقويم 543
أسبابهم ورعايتهم، وهم من سوء الحال وقلّة الإنصاف منهم وعدم الخير فيهم في غايـة المكروه. فإن أعرضْنا عنهم وتركناهم كنّا قد ضيّعنا ما افترضه الله عزّ وجلّ علينا من أمرهم. وإنْ نحنُ أقمنا الواجب فيهم[2] أهلكناهم عن آخرهم لعموم المكروه واشتماله عليهم. وإن نحن أهملنا ذلك لهم كنّا قد أبحنا ما أمر الله (عج) بتحظيره وما نهى عنه ونعوذ بالله من ذلك.

المعزّ يشكو فساد الناس وصعوبة سياستهم

والله ما مثّلت نفسي وإيّاهم إلاّ برجل ابتلي بِدُخلة سَوْءٍ وَوَلَدِ سَوْءٍ: إن هو أبدى عوراتِهم وهتك أستارَهم فَضَح نفسَه وهتك ستره، وإن هو تركهم وما هم عليه لحقه ألمُ ذلك ونقصُه وعارُه، وإن هو/ أراد أن يُصلحهم ويصرفَهم إلى ما 544
فيه حظُّهم عنِدوا عليه، وصعُب أمرُهم. فنسأل الله التوفيقَ إلى ما يرضيه منّا فيما استرعاناه منهم، والعونَ علـى ما نحاوله من أمورهم *. *ب 119

ذكر رؤيا رآها المعزّ لدين الله (صلع)[3]:

وذكر يوماً (ص) ما كان المرجفون أرجفوا به وقالوه، فضّ الله أفواههم[4]

---

(1) ب تضيف: قدس الله روحه.
(2) أ: منهم.
(3) ب: العنوان هو: حديث في ذكر المرجفين.
(4) أ: وجوههم.

المنجّمون يتنبّؤون بموت المعزّ... وانقطع دابرهم، من أنّه يموت (ص) لعام مضى من أعوامهم لما زعموا أنّ النّجوم عليه دلّت.

فقال: لقد رأيت في ذلك الوقت فيما يراه النائم[1] بعضَ عبيدِنا قد وقف بين يديَّ[2] وهو يستحثّني على الخروج إلى المشرق ويصف لي ضُعف أهله وأنا
545 أسوّف ذلك وهو يحثُّني[3] فيه،/ فأقول له: كأنّك إنّما تريد بهذا ما يقول هؤلاء الأنذالُ من قرب الأجَل؟ إنّا لا بدّ أن ندرك ما قضاه[4] الله (عج) وقدّر أن يجريَه لنا من فضله ويجعلَه على أيدينا ممّا تقدّم لنا من وعده، طالت الأيّام بنا أم قصرت.

(قال) ثم كأنّي بعد ذلك قد اجتمعت مع المنصور بالله (ص) فقال لي: ما قال لك فلان[5] وما قلت له؟.

فأعدت عليه ذلك. فقال لي: بل يجعل الله لك من طول العمر ما تبلغ به أقصى أمنيتك، ولكن في كم تقاوم الدول؟ كأنّه يستحثني على الخروج.

ثمّ أُتيتُ بفرس أشهبَ من أعتق الخيل وأعلاها، فقال لي المنصور (صلع):
546 هذا فرسُك الذي تخرج عليه إلى المشرق، ولم/ يكن عندي يومئذٍ فرس أشهبُ شبه ذلك الفرس ـ وأومأ إلى الفرس الذي أُتِيَ إليه به من سجلماسة ـ وتأوّلْتُ أن تنبأ المنصور للمعزّ بفتح مصر يكون هو، إذ كان في نعت الفرس الـذي رأيتُه، إلاّ أنّي رأيت[6] في هذا ـ لمّا أُتِي به إليَّ ـ حمرةً، وكان ذلك الذي[7] رأيتُه في المنام صادق البياض. ثمّ هذا اليوم قد ذهبت منه تلك الحمرةُ وخلُص بياضُه حتّى كأنّه هو الذي رأيته في المنام.

*ب 120 و قلنا: يعجّل الله لسيّدنا ومولانا أمير المؤمنين (ص) وعده * وينجز ذلك له ويقرّبه بفضله.

قال: ما شاء الله تعالى.

(1) أ و ب: يرى النائم الناس.
(2) ب: بين يديه.
(3) ب: يستحصني فيه.
(4) ب: أن ندرك بهذا ما يقول هؤلاء إلى ما قضاه..
(5) سقط: لك، من ب.
(6) إلا أني رأيت، ناقصة من ب.
(7) ب: سقط: ذلك.

حديث في مجلس في الكذب على أولياء الله (عم):

547 263 ـ (قال) وذكر يوماً (صلع)/ روايةَ أكثرِ العامّة عن الأئمّة من أهل بيت رسول الله (صلع) خلافَ قولهم، وكذبَهم عليهم، وتحريفَهم حديثَهم، فقال: إنّا نأثَر عن جدّنا جعفر بن محمّد (ص) أنّ رجلاً طوى إلى المدينة من طلبة الحديث من العامّة، فمرّ بداره (ص)، وناس يدخلون إليه، بأيديهم الكتب والمحابر يكتبون عنه. فلمّا رآهمُ الرجلُ دخل في جملتهم، وجلس معهم، وخرج إليهم جعفر بن محمّد (صلع). فلمّا نظر إليه نَكِره، فسأله ممّن هو؟.

أهل السنّة يروون عن الأئمّة أحاديث مدلّسة

فقال: رجل غريب[1].

فقال: وما تريد؟

فقال: أنا رجل أطلب الحديث فرأيت هؤلاء في زيّ أهله، فدخلت معهم لأكتب.

قال له: أفتعرفني؟.

548 قال: لا، ولكن تخبرني ـ أصلحك الله ـ من أنت، وتحدّثني فأكتب/ عنك.

قال: فهل كتبتَ عن أحد؟

قال: نعم.

قال: فاعرض عليّ ما معك ممّا كتبت.

فأخرج إليه كتاباً من كمّه وجعل يقرأ عليه حديثاً رواه عن رجل ذكر عنه (ص) من تحليل المسكر وإباحة المتعة أشياء[2] لم يقل بها قطّ (ص) ولا حدّث بشيء منها.

فقال له: هذا الذي حدّثك هذا الحديثَ ثقةٌ عندك؟.

قال: أي والله، إنّه لثقة مأمونٌ.

حادثة جعفر الصادق مع طالب الحديث

فقال جعفر بن محمد: هذا الذي روى لك عنه ما رواه، تعرفه؟

---

(1) فقال: رجل غريب، ساقطة من ب.

(2) «وأشياء» في «أ» و «ب».

قال: لا.

قال: فلو رأيتَه بعد هذا فأنكر لك أن يكون[1] حدّث بهذا ولا قال به، ما كنت صانعاً؟.

قال: ما عسى أن أصنعَ وقد حدّثني به عنه الثقة، فحملته وحدّثتُ به
549 / وأفتيتُ.

قال: أفما كنت تصدّق من روى لك عنه في إنكاره؟.

قال: لا والله، لأنّ الذي أخبرني عنه ثقة مأمون.

*ب120 قال: اذهب لشأنك أيّها الرجل، فليس عندي حديث * وإنّما دخل هؤلاء إليّ لحاجةٍ لهم.

فخرج الرجل، فعطف جعفر بن محمد (ص) على أصحابه الذين بين يديه من شيعته، فقال لهم: أما سمعتم قول هذا وما ابتُلِينَا به من أمثاله من العامّة، يكذبِون علينا ويروي ذلك منهم مَن يرويه عنّا ثمّ يصدّقهم فيه ولا يصدّقنا إن أنكرناه؟.

ثمّ تعجّب (صلع) من جهلهم.

حديث في مجلس في منع الحقّ من أهله وتجاوزه إلى غيره:

550 **264** ـ (قال) وسمعته (ص) يقول: ما أعجبَ حكمَ الحقّ/ على أهله وأغفلَ أهلَ الباطل عن أمره! إنّ أهل الباطل يتناولون من أهل الحقّ ما قدَروا عليه وأمكنهم منه، ويتشفَّوْنَ بدرك ما يصِلون به إليهم من قول وفِعل بباطلهم وخَساسة همّتهم ونذالة أنفسهم، وكلّ ما أمكنهم منهم نالوه ووصلوا إليه، ولم يَزَعْهم حقٌّ ولا تكرُّمٌ عنه. وكذلك سبيلهم في كلّ ما حرّمه اللّهُ عليهم، ومنعَهُم منه ولم يوجبه لهم، وحال الحقّ بينه وبينهم، إن قدروا عليه وتناولوه وتجاوزوا الحقّ إليه، وتخالفوا أمر الله (عج) فيه ولم يَقْصُرْهم مروءة ولا أدب صالح عنه. وأهل الحقّ يحجزهم الحقّ عن التعدّي،عليهم وتناول ما ليس لهم منهم ويزَعُهُم الكرمُ
551 / والحياءُ وشرف الأنفس عن تناول كثير من الواجب لهم عليهم والمباح لهم فيهم.

---

(1) «أن لا يكون» في «أ» و «ب».

ثمّ هم لجهلهم وسوء طباعهم يحتجُّون على أهل الحقّ بما يُوجبه الحقُّ عليهم، إن ظنّوا أنّهم يتجاوزونه إليهم بذلك على أنفسهم إن أمكنهم الفرصة فيهم، وقدروا على ما يريدونه منهم. ثم إنّ كثيراً منهم يقول لأهل الحقّ إنّهم لا يقدِرون لهم على ما يقدرون هم[1] عليه منهم، وإنّ الذي عرفوا به من الحقّ وكرم الأخلاق يقصر بهم عنهم. وقحة أهل الباطل وحياء أهل الحق

ثمّ تعجّب (عم) من ذلك وقال: نعم والله، إنّهم لكما قالوا، وما يقدرون إلاّ على ما أقدرهم الله (عج) من جهة * طاعته واتّباع أمره. فأمّا من خلافه *ب121و
552 ومعصيته/ فما السفل الأشرارُ بأقدرَ على ذلك من غيرهم، ولكـن حدودَ الله وأوامرَه تمنَعُ أهل طاعته ووَلايته من تعدّيها، والعفوُ والفضلُ والحرمةُ تقصُرهم عن كثير من الأشياء رخّص لهم فيها، وإنّهم من الغبطة والمسرّة بذلك على أضعاف ما عليه أهل الباطل من مسرّتهم بما ينالونه من وجه باطلهم وغبطتهم بما يدركونه من غير طريق الحقّ بتعدّيهم. وإنّ أهل الحقّ لينظرون إليهم في ذلك طورا بعين الزّراية وطوراً بعين الرحمة لما حَمَّلُوه ظهورَهم وطوّقوه أعناقَهم ممّا
553 يصليهم أليمَ عذاب الله وناره، ويلحقهم في الدنيا له من/ عاره وشَناره، والحمْدُ لله على ما خصّنا [به] من فضله، ونسألُه أن يُوزِعنا شكرَ نِعَمه.

حديـث فـي مجلس في فضل القبول عن أولياء الله والرّضى بما أوتوه وترك التخطّي والتّطاول إلى غيره:

265 ـ (قال) وذكر الإمام المعزّ (ص) تطاول أكثر الناس إلى أن يبلغوا من علم أولياء الله ما يجاوز حدودَهم، فقال (ص): يريدون أن يبلغوا من العلم غايةَ ما أودَعَنا اللّهُ منه وجملةَ ما خصّنا به من فضله، فاستودَعَنَاه من سرّ حكمته. ولو كان ذلك يجري فيهم ويحبّب لهم لما كان لنا فضل عليهم إذ قد حَوَوْا ما حويناه، الأئمة لا يعطُون الحكمة إلاّ بمقدار
554 وَوَعَوْا ما وعيناه، وبلغوا من فضل الله إلى حيث بلغْنا/ إليه. ولكنّ الله (عج) منَحَنا من ذلك بفضله ما منَحَنَاه وأعطانا منه ما أعطاناه، وجعل لنا أن نعطيَ من ذلك مَن رأينا أن * نعطيَه ما رأيناه، ونمسك عمّن رأينـا الإمساكَ عنه، لقوله جلَّ *ب121

---

(1) في «أ» و «ب»: يقدرونهم.

من قائل: ﴿هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾[1].

وليس ينبغي لنا أن نعطيَ الناس كلَّ ما في أيدينا ولا أن نبخَلَ عليهم بما أُعْطِينا، ولكنّا نعطي من ذلك ما نعطيه بقدرٍ كما أوجب الله (عج) ذلك بقوله: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَاما﴾[2]. وقال: ﴿وَلاَ تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلاَ تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ﴾[3].

555 ولم يجعل الله (عج) لمن أعطاه/ حُطام عاجل الدنيا ووسّع منه عليه أن

الله (عج) حثّ على الاقتصاد في بذل المال...

يخرجَ من جميعه إلى مَن افترض نفقتَه عليه، وإنّما جعل له من ذلك قدرَ ما يقوم به ويكفيه دون أن يخرجَ من جميع ما أعطاه إليه. قال جلّ من قائل: ﴿وَلاَ تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ/ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ/ . . . / إلى . . . مَعْرُوفاً﴾[4]. وقال: ﴿وَلاَ تُبَذِّرْ تَبْذِيراً إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ﴾[5].

... فالاقتصاد في بذل الحكمة أوكد

فإذا كان هذا أمره (عج) بالاحتياط على حُطام الدنيا الذي هوّنه وزهّد فيه، فكيف بما عظّمه وشرّفه وحضّ عليه من العلم والحكمة وما لم يؤته إلاّ لمن ارتضاه من عباده، ولم يستحفظ عليه إلاّ مَن[6] ارتضى من خلقه؟

556 ولو أنّهم شكروا على ما أوتوه وعرفوا فضله/ وعملوا به، لَزِيدُوا منه، فكانوا على خير ما امتدّت بهم الأعمار حتّى يلقَوا الله وهُم لفضله شاكرون، ومنه متزيّدون. ولكنّ أحدَهم لا يُرضيه إلاّ أن يأتيَ على كلّ ما عندنا ويَحويَه ولم
* ب122و يجعل الله (عج) ذلك له ولا لغيره دوننا. ولو كان ذلك لأحد غيرنا لشارَكَنا * في فضلنا، وما جعل الله (عج) لنا في ذلك لأحد من [غيرنا] شِـرك، وليتَهم قاموا بما أوتُوه، وفهِموا ما سمعوه، ونَهضوا بالواجب فيه! ولكن إنّما غرضُهم أن يسمَعُوا مَا

(1) ص، 39.
(2) الفرقان، 67.
(3) الإسراء، 29.
(4) في «أ» و «ب»: «جعلها» ولعلها إحدى القراءات. وقد اختصرت الآية فيهما، وعوض المحذوف بحرف «إلى» وتمامها هو: ﴿... التي جعل الله لكم قياماً وارزقوهم فيها واكسوهم وقولوا لهم قولاً معروفاً﴾ (النساء، 5).
(5) الإسراء، 26 ـ 27.
(6) ب: إلا لمن.

يسمَعُونَه فيُعرضُونَ عنه ويطلبون ما فوقَه كأهل الرَّغبة في حُطام الدنيا والبُخل به، الذين إنّما غايتهم جمعُه، وما جَمَعوا منه/ لم ينتفعوا به، وأعيُنهم ممتدّة، 557
وأنفسهم نازعة إلى ما في أيدي غيرهم منه، ليجمعوه إليه، وإن كانوا لا ينتفِعون به، مُنافسةً فيه وشَرَهاً ورغبة.

ولو كان هؤلاء الذين ذكرنا حالهم كذوي[1] البصائر في أمر الدنيا، الذين يرضَوْن بما أوتوه منها، ويحمدون الله عليه، وينتفعون بما صار إليهم منه على قدر ما أُعطُوه، ولا تمتدّ أعينهم إلى من هو فوقهم، لحسنت أحوالهم كما حسنت[2] أحوال هؤلاء في دنياهم وطاب عيشهم. وكما أنّه من لم يقنع بما قسّم الله (عج) له من أمر الدنيا، وكان نظرُه ومطلبُه منها درجةَ من هو فوقه، لم يزل فقيراً فيها متعباً مغموماً محزوناً/، فكذلك يكون هؤلاء فيما تسمو إليه 558
أنفسهم إذا لم يقنعوا بما آتيناهم فيشكروا الله (عج) عليه ويعرفوا فضله.

من السعادة أن لا يتجاوز الإنسان حدّه

لو أنّا [أ]قطَعْنَا إنساناً داراً تَسَعُه وتسَعُ عِيَاله فشكر على ذلك وقنع بها لطاب عيشه فيها. فإذا استقلّها ولم يقنع إلاّ بمثل ما نحن فيه من المساكن، كفر إحسانَنا إليه وعدِم المزيدَ عنده، واشتدَّت فاقته وغُمّته، ولم ينل ما سمَتْ إليه همّته.

قلت: يا مولاي، كما أنّه ليس لما في الدنيا غاية يبلغها من رغب فيها ولم يقنع بما قسَم الله له منها *، فالذي عند أولياء الله من فضله أجدر ألاّ يكون له *ب122
غاية فيرى من رغب في ذلك أنّه يبلغ غايته إن لم يحمد الله ويشكُرْ لأوليائه ما مَنَحوه من ذلك[3] وأعطوه.

قال: يا نعمان،/ لا تقل مثل هذا في هذا! بلى! والله إنّ لكلّ شيء من ذلك 559
غايةً ومُنتهى. وإذا سمع بأنّ ذلك لا غاية له من يطلبه[4] كان ذلك ذريعة إلى تركه طلبَ ما يرى أنّه لا غاية له. ولكنّ غاية كلّ إنسان من ذلك أن يكون راغباً طالباً، وبفضل ما أوتيه وصار إليه عالماً، وعليه شاكراً. فإذا كان كذلك لم يزل مترقّيا في

لا بدّ للإنسان من الرغبة في الحكمة

(1) أ: لذوي...
(2) سقط من ب: أحوالهم كما حسنت...
(3) من: أنه يبلغ... إلى... من ذلك، ساقطة من «أ».
(4) من يطلبه فاعل سمع تأخر عنه.

درجات الفضل، زائداً فيه حتّى يلقَى اللَّهَ على أفضل حال. وما جعل الله (عج) فضلَه عندنا بلا نهاية. ولقد جاء: أنّ الماضي منّا لا يصير فضلُه إلى من يخلُفه من بعده إلاّ في آخر دقيقة تبقَى من نفَسه، لِئَلاَّ يستوِيَ الفضل عند اثنَيْن باقيَيْن[1].
560 وأن الله (عج)/ يزيد التالي[2] من الفضل أضعافا ممّا كان آتاه الماضي. ولذلك نهاية ينتهي إليها. ولو لم يكن له نهاية لكان فضل الآخر منّا على الأوَّل بمقدار ما بينه وبينه، ولكن قد جعل الله (عج) لذلك منتهى ينتهي إليه، ومداراً يدور عليه.

لا يكون إمامان في زمنٍ واحدٍ

فتعرّضت لبيان ذلك منه فأومأ إليّ بشيء فهِمْتُه، وكان المجلس معموراً. فسكتّ، وحمدت الله على ما صار إليّ عنه، صلـوات الله عليه.

حديث في مجلس في ذكر تخلّف بعض الدعاة:

266 ــ (قال) وذكر المعزّ لدين الله (ص) بعض الدعاة وما يقولونه
561 للمتّصلين بأسبابهم عند سؤالهم إيّاهم عن بعض ما يسألونهم عنه/ : لم تبلغوا حدّ هذا الذي تسألون عنه.

(1) ذكرنا هذا القول فيما سبق (انظر ص 433 هـ 3). وقد نسبه القاضي النعمان في كتابه «أساس التأويل» (ص 51) إلى جعفر الصادق. وذكرنا أن الإسماعيليين لا يجيزون اجتماع إمامين في عصر واحد. وعلى ذكر قول الغزالي في كتابه «فضائح الباطنية» (ص 52) «ولا يتصور في زمان واحد إمامان كما لا يتصور نبيان تختلف شريعتهما» يقول علي بن الوليد، أحد مفكري الإسماعيلية في القرنين السادس والسابع الهجريين، في كتابه «دامغ الباطل» (ج 1 ص 254 وما بعدها): «لما كان النبي (ص) قائماً بهداية الخلق وتعليمهم كما سبق له منا القول، ولا مشارك له في عصره، بل هو الحاكم في جميع أتباعه بما أمره الله، وجب أن يكون خليفته القائم مقامه في هداية أتباعه وحفظ دينه واحداً في عصره لا يشاركه في الحكم بما فوّض إليه من أمر الدين مشاركٌ، بل له رتبة الوحدة في ذلك. ولو كان جائزاً حصول إمامين في عصر واحد يفوّض الحكم إلى كل واحد منهما لأمكن اختلافهما فيما يحكمان به في دين الله. وإذا جاز منهما الاختلاف انسد طريق الرشاد على التابعين لهما.. فلهذا وجب أن تكون رتبة الإمام لخلافته كما اجتمع مع مولانا علي بن أبي طالب ولداه الحسن والحسين، لم يكن للخليفة مع مستخلفه في دين الله أمر ولا حكم إلا ما حكم به المستخلف إلى أن ينص عليه ويشير بالأمر ويفوّض الحكم إليه... فحقيقة القول: «أن لا يكون إمامان في عصر واحد» يراد به أن لا يكون الأمر والحكم في دين الله إلا لواحد منهما دون الآخر وعلى الآخر الرضى بذلك والتسليم».

(2) ب: الثاني.

فقال (عم): وما ذلك إلاّ أنّهم هم لم يبلغوا معرفة ما يُسألون عنه، ولو صدقوا عن أنفسهم واعترفوا بذلك لِمَن سألَهم * لكان أولى بهم، كما قال جدّنا *ب123و عليّ (ص): أربعٌ لو شدّت إليهنّ المطايا حتّى يُنضَيْن لكان قليلا: لا يرجو العبد إلاّ ربَّه، ولا يخاف إلاّ ذنبَه، ولا يستحي الجاهل أن يتعلّمَ، ولا العالِم إذا سُئل عمّا لا يعلم أن يقول: لا أعْلَمُ.

ولو كانوا يعلمون ما يُسألون عنه لأجابوا كلّ سائل بجواب حَدّه كما قال جدّنا جعفر بن محمد (ص): إنّا لنجيب في المسألة الواحدة بسبعة أوجه، لكلّ وجه جدّ. فاستكثر ذلك من سمعه وقال: بسبعة أوجه يا رسول/ الله (صلع)؟! 562
فتبسّم إليه وقال: نعم، وسبعون! ولو زاد لزدنا[1]!

التأويل له وجوهٌ متعـدّدة بحسب طاقة المتعلّم

فلو كان من يقول ذلك عالما بهذه الحدود والوجوه لأجاب أهلَ كلّ حدّ بالوجه الذي يجب به جوابهم، ولم يقل ما قاله لهم. وفي ذلك القول تقصير بالعلم ودفع[2] للحجّة عمّن سأل فلم يجد جوابا، ولكن ينبغي أنّه يجاب بما يلزمه في حَدّه ذلك، فيكون عاملاً بما يجب على مثله، عالما بما يجب علمه لأهل حدّه حتّى يرتقي منه إلى غيره ولا يُتْرَكَ سدى مهملا.

ثمّ تنفّس الصّعـداء (صلع) وقـال: وأين لنا من يقوم بمثل هذا ويُعْتَمَدُ عليه أو أن يصدُقَ عن نفسه فلا يدّعيَ ما ليس فيه/، ويردَّ إلينا ما جهله؟ والله لو كان 563

---

(1) ذكر القاضي النعمان هذا الخبر في كتابه «أساس التأويل» (ص 27) هكذا: «وهو أنه قيل له (أي جعفر الصادق) يا ابن رسول الله، سمعنا منك قبل هذا الوقت على خلاف هذا الوجه؟ فقال عليه السلام: أنا نتكلم في الكلمة الواحدة سبعة أوجه، فقال الرجل متفكراً: سبعة يا ابن رسول الله؟ فقال: نعم... وسبعين ولو استزادنا لزدناه». ويرى مفكرو الإسماعيلية أن للتأويل أوجهاً متعددة، فيقول الكرماني: «إن العبارات في أداء معاني التأويل مختلفة والمعاني على تباين ألفاظها متفقة، وكل ذلك كاف شاف ما لم يُرفع أحد فوق حده ولم يوضع آخر دون قدره. وقد يكون تأويل أبين من تأويل وأوضح على قدر صفاء جوهر المؤوّل وقوته في العلم والاستنباط، فيكون أوقع في نفوس المرتادين وأقرب إلى أفهام المتعلمين» (الرسالة الحاوية ص 241. وانظر كذلك: راحة العقل ص 188 ـ 189) ويبين القاضي النعمان في هذا الفصل أن التأويل يكون حسب مستوى الحدود والدرجات في الدعوة.

(2) ب: ورفع.

من الأولياء والدعاة من يجيب السائل بغير علم...

ذلك لما اختلف اثنان في أمرنا، ولكنّ أكثر من يقوم بذلك لنا أحدُ رجلين: إمّا قائل برأيه، وكلّ ما عرض له ممّا يرى أنّه يوافق ما عندنا [كان] من غير ردّ إلينا ولا اقتصارٍ على ما أَعطينا، فيهلَكُ ويهلَكُ من أجله كثير، أو متوقّف عمّا لا يعلم وهو يوهم أنّه يَعْلم، وما مثل من كانت هذه حاله ببعيد عن حال غيره ممّا ذكرنا

*ب 123 قبله. وقليل منهم من يعتمد على أمرنا. وبقدر ذلك * يفتح اللَّهُ له ويصنَعُ على يديه لنا. وإنّ كثيراً منهم ليسألُنا فنُجيبُه كما ذكرنا من حيث يجب جوابه وبقدر

564 حدّه وبمثل ما يجوز أن يكون الجواب، بالمكاتبة والرسالة/. فربما رأى من يأتيه ذلك منّا أنّ ذلك تقصير عظيم به، وبِحَسْب مَن يَنْتهِي إليه أمرٌ من أمورنا أن يعتمدَ عليه ويُسلّمَ لنا فيه ويقنَعَ ويرضى به إلى أن يأتيَه منّا ما يأتيه. ولو جرتِ الأمورُ على مثل هذا ونحوهِ لاعتدَلَتْ واستقامت. والله يوفّق لذلك أولياءَنا ويجمعُهم عليه من طاعتنا بمنّه وفضله وقدرته وحوله وقوّته إن شاء الله تعالى.

... ولا يرجع إلى الأئمة فيما سئل عنه

حديث في مجلس في لوازم الواجب للغنيّ والفقير من المؤمنين:

276 ــ (قال) وذُكر الفقير، عند المعزّ لدين الله (صلع)، فقال رجل ممّن حضر: ما أسوأ حالَ الفقير يسبق أهل الغنى بأعمالهم ويقعد به الفقر عنهم!

565 فقال المعزّ لدين الله (ص): كلاّ! إنّ/ الله (تع) لا يَقْصُرُ به إذا حسُنَت نيّته. فإذا كان ينوي أنّه لو كان له مال لخرج من حقّ الله عليه فيه فهو على نيّته. ولم يجعل الله على أحدٍ فرضا ولم يُعطه ما أوجَبَ مثلَ ذلك الفرض فيه.

نيّة الفقير تجزيه عمّا لم يقدر عليه من أعمال الخير

قال الرجل: فيكف به، ولغيره عملٌ، ولا عمل له؟

قال له المعزّ لدين الله (صلع): قد أخبرناك أنّ نيّته تَجْزيه من ذلك، وما لم يوجبه الله (عج) عليه فلا حسابَ عليه فيه، وعليه أن يقومَ من الأعمال [بـ] ـغير ذلك بما كلّفه اللَّهُ، واستطاعه وقدر عليه من فرائض الله (تع) التي افترضها على عباده. فليس العمل النفقة في سبيل الله فقط، ولكنّ ذلك عمل من الأعمال التي

566 أوجبها/ الله سبحانه. ومن لم يستطِعها كلّها أو شيئاً منها لم يكلّف ما لم يستطع

*ب 124و لقول الله (تع): ﴿لاَ يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْساً إلاَّ وُسْعَهَا﴾[1] وقوله: ﴿لاَ يُكَلِّفُ اللَّهُ *

(1) البقرة، 286.

نَفْسا إلا ما آتاهَا﴾[1] وقوله: ﴿لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلاَ عَلَى الْمَرْضَى وَلاَ عَلَى الَّذِينَ لاَ يَجِدُونَ مَا يُنْفِقُونَ حَرَجٌ إذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ، مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾[2].

(1) الطلاق، 7.

(2) التوبة، 91.

الجزء السادس والعشرون

[بسم الله الرحمن الرحيم]

حديث في مجلس في بذل المجهود من المقلّ:

268 ـ قال القاضي النعمان بن محمد: ذكرت للإمام المعزّ لدين الله (صلع) أعمال/ قوم من المؤمنين ذوي إقلال، غير معروفين، يأتون بالقليل من 567
الأعمال مواظبين على ذلك دائمين عليه.

إتاوةُ الفقراء إلى الأئمة أفضل من إتاوة الموسرين

فقال (ص): والله لَلْقليلُ الذي يأتي به هؤلاء وأمثالُهم من كسب أيديهم على ضيق معايشهم وغباوتهم لا يريدون بذلك سُمعةً ولا رياءً ولا يبتغون به نيل منزلة من منازل الدنيا، لأزكى عند الله (تع) وعندنا من كثير[1] [مـ]ـمّا يأتي به أهل السَّعة والغِني والجِدَة ممّن نعرفه، ونرى أنّ ما يأتي به[2] نقف عليه ونعلَمُه، لأنّ القليل من المقلّ يُنْقِصُ من معاشه ويُخِلّ به، والكثير من أهل الكثير لا يُنْقِصُهم ولا يُخلّ بهم كذلك ولا يؤثّر في/ معايشِهم. ولذلك قال رسول 568
الله (صلع). أفضل الصدقة جهد من مقلٍّ[3].

ثمّ قال (عم): لا يستوي من نُعطيه ونوسّع عليه من فضلنا فيصلُ إليه بلا تعب ولا نصب[4] فيُخرجُ منه حقَّ الله إلينا، ومَن يُخرِجُ ذلك من كدّه وسعيه، وعن عرَقِ جبينه وعمل يده.

---

(1) ب: كسب.
(2) ب: نقص من «أهل السعة» إلى «ما يأتي به».
(3) الحديث: أفضل الصدقة جهد من مقل. ذكره النسائي (ج 5 ص 58)، والسيوطي (ج 1 ص 50) في صيغ مختلفة.
(4) ب: نقص من «ونوسع عليه» إلى «ولا نصب».

قلت: يا مولاي، فمن لم يجد شيئا غيرَ فضلك فيُخرِجُ منه ما يلزمه[1]؟

قال: ذلك إلى نيّته، والله (تع) يَجزِي العبادَ بنيّاتهم. فمن كان نيّته مِن[2] ذلك، لو كان ذلك من كسب يده، وكان في مثل هؤلاء الذين وصفتَ حالَهم ولا

*ب 124 نعرِفهم * بأسمائهم، أنّه كان يفعل في ذلك مثل أفعالهم، فله في مثل ذلك مِثلُ ما

569 لهم/ .

ومن كان إنّما يفعل ذلك رياءً وسُمعة، وأنّه لو لم يفعله لانحطّت عندنا درجتُه، كانت له في ذلك نيّته. فينبغي للمؤمن أن يعتقدَ وينوِيَ جميعَ عمله لله (تع) لا يشُوب ذلك بتصنّع ولا رياءٍ، فإنَّ الله (تع) ﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الأَعْيُنِ وَمَا تُخفِي الصّدورُ﴾[3]، وما بين قبول الأعمال وحبوطها إلاّ اعتقَادُ النيّاتِ فيها، وبذلك خلّد الله (عج) أهلَ الجنّة في الجنّة وأهلَ النار في النار، بأنَّ كلّ فريق منهم كان اعتقادُه لو خُلّدَ في الدنيا أن لا يفارِقَ ما هو عليه، فجُوزُوا بنيّاتِهم. ومن ذلك قال رسول الله (ص): نيّة المؤمن أبلغ من عمله[4]، ولأنّه إن نَوى خيراً ولم يعمله

قبول العطاء عند الله بحسب نيّة المعطي

570 أثيب/ على نيّته فيه، ولو عمل ولم ينو لم ينفعه العلم.

حديث في مجلس في حجّة العقل[5]:

269 ـ (قال) وأمر المعزّ لدين الله (ص) بإدخال ابن واسول ـ وهو في العقلة ـ إليه. فلمّا مثل بين يديه، أمره بالجلوس فجلس ـ وهو مكبّل ـ فسأله عن أخبار سجلماسة وأهلها وسيرته [حينَ] كان فيهم وما يقال عنه من قبوله ما كان يُطرَى به ممّا ليس فيه ويتصنّع[6] به عنده. فدفع كثيراً من ذلك وأنكره، وأجاب عن كثير ممّا سأله أمير المؤمنين عنه.

سنّ عليّ زين العابدين يوم كربلاء...

---

(1) ب: ما يلزم.

(2) في النسختين: أن، ولا تستقيم بها القراءة.

(3) غافر، 19.

(4) نية المؤمن أبلغ من عمله: ورد هذا الحديث في الجامع الصغير (ج 2 ص 188) بعبارة «خير من عمله». أما الصحاح والمسانيد فتذكر الحديث المعروف: إنما الأعمال بالنيات، الذي ورد في ص 274. وجاء في الكافي للكليني (ج 2 ص 84 رقم 2) بتكملة: ونية الكافر شر من عمله، وكل عامل يعمل على نيته.

(5) أ: في رحمة للعقل.

(6) أ: ويتسع به.

ثمّ نظر إلينا أمير المؤمنين (صلع) فقال: لقد رأيته ـ يعني ابن واسول ـ مذ
ليال وكأنّه بين يديّ وأنا أقول له فيما كان/ اتّصل بـي عنه من قوله في عليّ بن 571
الحسين (عم) أنّه كان يوم أصيب الحسين (عم) طفلاً مثل هذا ـ وأومأ إلى
خنصره ـ فأقول له شيئاً والله ما سمعته قبل ذلك ولا عرض لي: أرأيتَ هذا الذي
قَبِل ذلك عنك أنّكَ ذكرته[1] من أنّ عليّ * بن الحسين كان طفلاً يوم أصيـب *ب 125 و
الحسيـن (عم)، يذهَبُ إلـى أنّ الإمامةَ لا تجب له يومئذٍ؟ فما تقول في رجل هلك
وخلّف امرأة حاملاً منه، أليس لمَن تلد حَظُّه من الميراث؟ فاجعل[2] عليّ بن
الحسين (عم) كان[3] حَمْلاً يوم أصيب أبوه (صلع)، أليس له ميراثه؟ فإن كان
الأمر لأبيه فهو له، صغيراً كان أو كبيراً، وإن لم يكن لأبيه شيءٌ فلا شيءَ له/ [و] 572
لو كان شيخاً.

... إمامته صحيحة حتى ولو كان في بطن أمّه

فجعل ابن واسول يتعجّب من ذلك ويقول: هذا والله هو الحقّ! ويقول:
والله ما سمعتُ بمثل هذه الحجّة! أشهد أنّ ذلك كما قال أمير المؤمنين.

فقال له أمير المؤمنين (ص): وما يدريك أنّ هذا هو الحقّ؟.

قال: هذا البيان والشاهد الذي يثبته العقل[4] يا أمير المؤمنين.

قال له: وكلّ شيء قلتَ به وذهبتَ إليه من دينك واعتقادك فهو على هذا بما يشهد له عقلك؟

المعزّ يبطل حجّيّة العقل...

قال: نعم.

قال له: أوَلَيْسَ ما كنت عليه قبل هذا، ممّا يخالفه، كذلك شهد له عقلك؟.

قال: نعَم.

قال: أفليس أخطأ، فيما تقدّم، الصوابَ؟

(1) في ب: ذكرتك، والجملة كلها تحتاج إلى تحوير وإصلاح: أرأيت لو أن هذا الذي قبل عنك ما ذكرته من أن علي... يذهب إلى...
(2) في أي: فاعمل. واخترنا «فاجعل» لمقاربتها لمعنى الافتراض.
(3) «أليس لمن... إلى... كان»، سقط من ب.
(4) ب: هو العقل.

قال: نعم.

573 قال: وما يدريك أنّه قد أخطأ آخراً/ كذلك، وأنّ الحقّ في غير ما شهد به لك إذ قد علمت أنّه قد أخطأ أوّلاً؟.

فسكت ابن واسول ولم يُحِر جواباً. وقال: هو والله كما قال أمير المؤمنين، ولكنّ قول أمير المؤمنين هو الحجّة.

قال له: وما يدريك أنّي أردت أن ألْبِسَ عليك وأقرّرك على خطئك؟.

قال له: أوَ يكونُ هذا من مثل أمير المؤمنين؟

قال: نعم، لأنّ الله يقول وهو أصـدق القائلين: ﴿وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِمْ مَا يَلْبِسُونَ﴾(1). فإذا شئنا أن نَلْبِسَ عليك ونمتحنَك فعَلْنا. وقد امتحن الله (عج) إبراهيم (عم) بذبح ابنه ولم يكن ذلك ممّا أراد منه ولا ممّا تعبَّدَه به في قولك،
574 * ب 125 وكذلك امتحن الله (عج) أولياءه للحقّ * وامتحن/ كثيراً من خلقه، ولكنّ للحقّ مناراً إذا نصب وقام كان هو الحجّة.

... لأنه قد يظهر الخطأ صواباً

فسكت ابن واسول شبيهاً بالمتعجّب المتحيّر ولم يوفَّقْ إلى سؤال ما يفتح له ذلك.

وقد أفادني أمير المؤمنين المعزّ لدين الله (صلع) حجّةً في الرّد على القائلين بحجّة العقل يطول ذكرها ويخرج عن حدّ هذا الكتاب وقد أثبتّها في كتاب «اختلاف أصول المذاهب»(2).

أعمار أبناء الأئمة يومَ كربلاء

والذي ذكره (ص) مـن أمر عليّ بن الحسين (عم) هو من بعض التلبيس على ابن واسول، والحجّة عليه فيه من نفس ما قاله وذهب إليه. فأمّا عليّ بن

(1) الأنعام، 9.

(2) يقول المجدوع: هو «كتاب عجيب بليغ كاف فيما بني عليه، استوعب فيه دلائل كل منهم، وذكر جميع ما قالوه في دعواهم جملة، ثم الرد عليهم في ذلك تفصيلاً» (فهرسة الكتب والرسائل ص 96 ـ 97). ويقول إيڤانوف Ismaili Literature، 34: إن القاضي النعمان لم يشر إلى المذاهب التي يناقشها، وترك القارىء في لبس من أمرها. وفي ثبت بوناوالا وردت ثلاثة عناوين قريبة: رقم 8 و 14 و 60. هذا وقد سبق للمعز طعن في حجية العقل (انظر ص 389).

الحسين (صلع)[1] فكان يومَ أصيب الحسين (عم) رجلاً كاملاً قد ولد له أبو جعفر
محمد بن عليّ (صع) وكان/ معه ذلك اليوم حَمل مع النساء، ومحمّد (عم) يومئذٍ 575
ابن خمس سنين لأنّ مولده سنة ستّ وخمسين ومقتل الحسين (عم) سنة إحدى
وستّين. ومات أبو جعفر (ص) سنة أربع عشرة ومائة وهو ابن ثمان وخمسين
سنة، وولد عليّ بن الحسين (عم) سنة اثنتين وثلاثين، وكان يوم مقتل الحسين
(عم) ابن تسع وعشرين سنة، ومات سنة أربع وتسعين. هكذا قال أصحاب 534
التاريخ في غير كتاب ممّا ألّفوه، وإن كان بعضهم اختلف في ذلك، فهو أثبت ما
قالوه. وكان عليّ بن الحسين (عم) يوم أصيب الحسين بن عليّ (ص) فيما ذكروه
أيضاً، عليلاً ثَقيلاً شديد العلّة/ فلم يشهد القتال، وشهده أخوه عليّ الأصغر فقتل 576
في مَن قتل، وحُمِل هو (عم) إلى يزيد (لع) بحال علّته، وحُمِل ابنه أبو جعفر
(عم) معه مع حرم الحسين وأصحابه (صع).

حديث في مجلس في النهي عن الغلوّ في أولياء الله (عم):

270 ــ (قال) وسمعته (صع) يقول: ينتهي إلينا أخبار عن بعض من يزعم
أنّه يتولاّنا وبعض من يدّعي أنّه يدعو إلينا من الغلوّ فينا والقول * بما لم نقله في *ب126و
أنفسنا وبما لم يسمعه أحد منّا، حتّى كأنّهم أعلمُ منّا بما يقولونه فينا، ونحن نبرأ الأئمة لا يدّعون
إلى الله من كذبهم علينا وتقوُّلِهم فينا. ونحن عباد من عباد الله مخلوقون النبوّة...
مربوبون، لا علم لنا إلاّ ما علّمنا وصار إلينا عن نبيّه/ جدّنا محمّد (ص)، ممّا 577
أودعه الله إيّاه وأُورِثْناه[2] ممّن بعده وأودِعْنَاه، لا نحيط من علمه إلاّ بما شاء ولا
من غيبه إلاّ ما أطلع عليه منّا مَن ارتضاه كيف أحبّ وشاء، لا ندّعي النبوّة
والرسالة، بل نحن المستحفَظون على الإمامة، حلالُنا من كتاب الله وحرامنا منه،
وطاعتنا مفروضة على عباد الله بحكمه. من عَرَفنا فقد عرف اللّهَ، ومن جهلنا فقد ... ولا يعلمون
جهله. نحن الدالّون بحكمتِهِ عليه، والقائمون بأمره على عباده. نحن دون ما الغيب، كما يزعم بعض الدعاة
يقول الغالون وفوق ما يظنُّ الجاهلون.

إنّما أراد من نحَلَنا علمَ الغيب ونسَب إلينا تنزّلَ الوحي ممّن يدعو بزعمه

---

(1) ب: سقط منها: «هو من بعض التلبيس...» إلى «... علي بن الحسين (صلع)».
(2) أ: وأورثنا. ب: وأورثناه إلينا.

578 إلينا، أن يجعَلَ ذلك مقدّمة/ لنفاقه علينا. فإذا أراد ذلك قال لمن كان دعاه: لم أدْعُكُمْ إلاّ لمن وصفتُ لكم فيهِ ما وصفت، فيصُدّهم بذلك عَنَّا، لعن الله الصّادِّين عنّا فإنّهم عن الله يَصِدّون، وبدينه يتلاعبون! أرادوا الدنيا وعسُر عليهم طلبها من وجوهها فالتمسوها بوجه الدين ليَنَالوا من حُطامها ما هو عن قليل منهم زائل، وهم به مطالبون. وقد سعد من أخذ عنّا ما نعطيه واقتصر عليه ولم يقل بغيره ولا تكلّف من القول ما لا يعلمه.

لقد انتهى إلـيّ عن بعضهم أنّه قال: وددت أنّه لو سُئلتُ عمّا لا يكون
579 *ب 126 فأجبتُ عنه. فرأى عند نفسه ومن سَمِعَ/ ذلك ممّن يصدّقُه أنّه قد * جاء بما أبان به من علمه، وافتخر بذلك له. فلو تدبّر هذا القول مَن وُفّق للصّواب لوضح له من خطئه أنّ ما لا يكون لا يكون عنه جواب، لأنّه لا يكون[1].

داع زائغ يودّ أن يُسأل عمّا لا يكون...

فجمع (صلع) في هذا القول جملاً من الحكمة يتفرّع منها من السؤال على هذا القائل ما يخرج عن حدّ هذا الكتاب. وإنّ الله (عج) قد سأل الملائكةَ عمّا كان ممّا لم يُطلعْهُم على علمه فقالوا اعترافاً بالعجز: ﴿لاَ عِلْمَ لَنَا إلاَّ مَا عَلَّمْتَنَا إنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾[2]. فكيف يدّعي مَن دونهم علمَ ما لم يكوّنه الله (عج) وما لا يكون؟ ولا يجوز أن يقـال: يكونُ، فيكون حكمه إذا كان كذا وكذا.

580 لو أنّ قائلاً قال: لو أنّ رجلاً/ مات فقُسّم ميراثه ونُكِحَ نساؤه ثمّ عاش بعد الموت، هل يرجع في ماله وأهله، أو يكون ذلك لمن صار إليه عنه؟ لم ينبغِ للمسؤول عن ذلك أن يجيب عنه، لأنّه ممّا لا يكون.

... ولا جـواب عمّا لا يكون

ولو قال: لو ذهب الليل والنهار والشمس والقمر وبقيَتِ الدنيا وأهلُها بحالهم، متى كانوا يصلّون ويَحُجّون ويصومون، وهم لا يعلمون الليلَ والنهار اللذَيْن تعبّدوا بأداء ذلك في أوقاتهـ[ـمـ]ـا؟ لم يكن على المسؤول أيضاً[3] في ذلك جواب لأنّه ممّا لا يكون. ومثل هذا ممّا يكثُرُ القولُ فيه ويُنسب[4] الجهل إلى

(1) في ب: لوضح له من خطئه أنه لا يكون عنه جواب لأنه سيكون، وفي أ: فلا يكون... لأنه سيكون والجملة لا تخلو من غموض.
(2) البقرة، 32.
(3) أ: سقط: أيضاً.
(4) أ: ينسب، بدون عطف.

السائل عنه ومدّعي الجواب فيه. وقد نهى الله عن القول بما لا يعمله القائلون
وبما لم يكن ولا يكون ولا علم/ للعباد به. وقد قال رسول الله (صلع): من أفتى 581
الناس بغير علم لعَنته ملائكة السماء وملائكة الأرض[1].

باهرة للمعزّ (صلع):

271 ــ قال القاضي النعمان بن محمد: ورفع إليّ وكيل لي ببعض البوادي
أنّ لي * بها موضعاً يصلح أن يُبنى به رَبْعٌ يُغِلّ في السنة مثل ثلاثين ديناراً. وجعل *ب127و
يرغّبني في الأمر بابتنائه، ويكرّر ذلك عليّ حتّى رأيت أنّ ترك ذلك من إضاعة النعمان يبتني دوراً بإحدى ضياعه...
المال المنهيّ عنها.

فاستأذنت المعزّ لدين الله (صلع) في رقعة رفعتها إليه إجلالاً عن مواجهته بها، فوقّع إليّ: ابْنِه، بارك الله لك فيه!.

فما وثقت بشيء ثقتي بأن تكونَ البركة فيه. فأمرتُ الوكيل بالبناء. فعاد
إليّ يذكر أنّ بعض الموضع يستحقُّه/ رجل، فأمرتُه بدفعه إليه، وقلت: ابْنِ فيما 582
بقي.

قال: فإنّه ينقصُ عمّا كنتُ قلتُ.

قلت: لا، بل يزيد إن شاء الله.

فدفعه. ثمّ عاد إليّ فقال: إنّ الرجل يريد بيع ما صرفتَه إليه مع شيء له يتّصل به، ويتّصل بذلك موضعان لرَجُلَيْن يبيعَانِهِمَا.

قلت: وكم يسأل جميعُهم؟.

قال: مثل أربعين ديناراً.

قلت: اشترِ منهم وادفَعْهَا إليهم.

ففعل وابتنى في الجميع رَبْعاً جاء بموضع رغِبَ فيه النّاسُ وتزايدوا في

(1) حديث: من أفتى الناس بغير علم لعنته ملائكة السماء والأرض: ذكر بهذا اللفظ في الجامع الصغير (ج 2 ص 166) وبلفظ آخر في معناه عند أبي داود (ج 2 ص 288) وابن حنبل (ج 2 ص 365) وكذلك في الجامع الصغير بالصفحة نفسها: من أفتى بفتيا بغير علم كان إثم ذلك على من أفتاه/ من أفتى بفتيا غير ثبت فإنما إثمه على من أفتاه. وبلفظ مقارب عند الكليني (ج 1 ص 42 رقم 3).

... فيكريها بمالٍ كثير، كلّ ذلك ببركة المعزّ

اكترائه، فبلغ كِراؤه في السنة نحواً من مائتي دينار بعد أن بُني بأيْسَرِ مؤنة في أقلّ
من مدّة شهرين. فما رأيت دعوةً أسرع منها إجابة، ولا بركةً أعظمَ منها نفعاً
583 وزيادة في أقرب وقت/ وأوشك مدّة، وما لم يتوهّمه أحد أن يكون، وكان بفضل
دعوة وليّ الله (ص)، زوّدنا الله وجميعَ المؤمنين إيّاها بالرحمة والمغفرة لمستقرّ
الدار الآخرة التي هي أكثر ثواباً وأعظم أجراً.

حديث في مجلس في فضل الأولياء (عم):

حسن معاملة المعزّ لشبّان كتامة

272 ـ (قال) ودخل إليه (ع) رهط من كتامة قدموا من أعمالهم وارتضى
*ب 127 سيرتهم فيها. وهم أحداث نشأوا في دولته، ومضى آباؤهم وأجدادهم في أيّام *
الأئمّة الطاهرين مِن قَبْله. فأثنى عليهم خيراً وقال: أما والله لو تعلمون ما لكم
ولجميع أوليائنا عندنا من الرضا والمحبّة لاستفزّتكم المسرّة، وما نُعرِض عمّن
584 نُعرض عنه[1] منكم ونعاقب من نعاقبه/ إلاّ تأديباً وتقويماً لكي يزدادوا من الفضل
والخير. ولو علم آباؤكم ومن مضى من أسلافكم قبل أن يموتوا ما لحقهم فيكم
من بعدِهِم لتمنّوا الموت في أيّام حياتهم لما تطيبُ به أنفسُهم لكم من بعدهم[2] إذ
كانوا في دون ما أنتم فيه في أيّامنا، وإن كان الأئمّة (ص) لم يترُكوا في الإحسان
إليهم، فلم يبلغوا معهم ما بلغتُمْ أنتمُ اليومَ معنا.

سواءً عاقب الإمام أو أثاب، فإنّما يطلب صلاح الأولياء

ولكلّ زمان حال توجبها الحكمةُ ويجري فيها بالعقوبة والرحمة. إنّا والله إنْ
قتلناكم فما نريدُ بِكُم إلاّ الحياة الدائمةَ إذا وجب تطهيرُكم بالقتل في العاجلة. وإن
عاقبناكم بدون ذلك فما نعاقِبُكم حنَقاً عليكم ولا مقتاً وبُغْضاً لكم، ولكنّا نفعل
585 ذلك بأيدينا/ تطهيراً لكم. وإنْ عفَوْنا عنكم وأحسنّا إليكم فنحنُ أهل العفو
والإحسان. فأنتم والله معنا في كلّ الأحوال وعلى جميع الأمور كيفما تصرّفْتُم
وجرى تدبيرُنا فيكم، على سبيل نجاةٍ وخيرٍ وسلامة وغبطة.

فاعرفوا حقّنا وفضلَنا، وسلّموا لحكمنا وأمرنا، ولا ترتابوا فينا، ولا تشكّوا
فيما نأتيه ونذَرُه من أمركم كيفما جرت الأحوال بكم معنا، تسلَمْ صدورُكم
وتظفَروا بحظّكم في دنياكم وآخرتكم.

---

(1) أ: عن من نعرضه منكم.
(2) ب: في أيام حياتهم التطيب به الأئمة من بعدهم.

فشكروا لَهُ بما قدروا عليه وقبّلوا الأرض بين يديه، وقالوا: نحن يا أميرَ المؤمنين عبيدُك وصنائِعُك والمعترفون بفضلك، فما أصبناه فبتقويمك وتأديبك، وما أخطأنا فيه، فنحن نرجو فيه/ * رأفتك ورحمتَك. 586 *ب 128 و

فقال (عم): يعصكمكم الله من الخطإِ بتأديبنا وتقويمنا إذ لا نرى لأحدٍ منكم زلّةً إلاّ نبّهناهُ، ولا غفلة إلاّ أيقظناه، ولا تخلّفا إلاّ حرّكناه، ولا تقصيراً إلاّ وعظناه. فليس يَهْلَكُ مع هذا إلاّ الشقيّ الذي غلبت عليه شِقْوتُه، والله يُعيذكم من الشِقوة بوَلايتنا وجميل رأينا فيكم إن شاء الله تعالى.

الجزء السابع والعشرون

[بسم الله الرحمن الرحيم]

حديث في مجلس في فضل النيّة وكراهية الإعجاب [بالنفس]:

273 ـ قال القاضي النعمان بن محمد: سمعت الإمام المعزّ لدين الله (صع) يقول: إنّما هلك/ من هلك من الناس من قِبَل الإعجاب بأنفسهم 587 وبأعمالهم، واعتقاد قلوبهم على ما أعجِبُوا به من أعمالهم وقوّتهم، فيحبط الله بذلك أعمالَهم ويَكلُهُم إلى أنفسهم، ولا يوفّقهم لشيء من رشدهم وما يكون فيه سعادتهم. فأمّا من حسنت نيّته وعمل بمبلغ مجهوده، واستقلّ ما يكون من ذلك في الخير منه، واعتقد أنَّ ما عمِلَه من خير فبتوفيق الله (تع) له، وأنّ ما عمله لنا فزكا على يديه، فبفضل الله علينا وَصُنْعِهِ الذي عوّدَنَاه، لا بحوله هو ولا بقوّته، ولم يستكثِرْ ذلك لنفسه، فذلك السعيد الموفَّق لخير دنياه وآخرته، يمدّه الله (تع) من التوفيق والمعونة، ويُجزِل له من الأجر والمثوبة، ويُكسبُهُ/ من رضانا عنه ما 588 لا يسمو إليه أملُه ولا تبلُغه همّته، ويصل ذلك له ما وصل ذلك ودام عليه، ابتغاءَ وجهه، ونواه له جلّ ذكره، ولم يُرد به غيرَه. فإنّما يرجع كلّ شيء إلى النيّات، بها يجازى[1] العباد * ويثابون ويطالبون ويعاقبون. ومن أعجبته نفسه *ب 128 وعمله أسلمه الله (عج) إلى ما أعجبه.

المعزّ يوصي بحسن النيّة... ويذمّ الإعجاب بالنفس

ثمّ أراد (ص) أن يذكر شيئاً، ثمّ أمسك وأعرض بوجهه وأطرق كالمستحي ممّا يريد ذكره وقال: ما عسيت أن أقول؟ فالله يعلم أنّني لربّما صلّيت وأجهدت نفسي في تمام الصلاة وكمالها، وإنّي لأنصرف عنها، وما أرى أنّني أكملتُها ولا

ما شكر الله إنسانٌ حقّ شكره ولو أفنى عمره في طاعته

---

(1) ب: مما يهارى.

589 أنّها قُبلت منّي لا لسوء ظنّي بالله ـ جلّ وعزّ ـ ولكن لاستقلال ما كان/ منّي. وما عسى أن يكون عمل[1] المخلوق الضعيف المسكين لما يرجو [به] ثواب ربّه وشكر نعمته، وهو لو تقطّع إرباً طول عمره في طاعته لم يبلغ حقّ جزء لا يتجَزّأ من أقلّ نِعمةٍ من نَعَمِه؟. فحسب المؤمن بلوغ المجهود في طاعة ربّه وطاعة وليّه، والإقرار بالعجز عن القيام بالواجب في ذلك عليه، والإخلاص واعتقاد حسن الطويّة، ولا يكون ذلك منه إلاّ بحسن توفيق الله (عج) له وفضله عليه به.

حديث في مجلس في حسن صنع الله لوليّه (عم):

274 ـ (قال) ووصل إليّ كتاب من صاحب الأحباس بمدينة سوسة يذكر
590 فيه أنّه ظهر بدار الصناعة[2] بها على سبعة مواجل أوّلية متقنة العمل/، ينفذ بعضها إلى بعض، كانت مدفونة/ تحت الأرض، إلاّ أنّها تحتاج إلى بعض إصلاح
العثور على مواجل مدفونة بسوسة
وإلى صهريج يجري عنه الماءُ إليها، وأنّها متى امتلأت ماءً استغنى بها أهل المدينة عمّا هو خارج منها. وكانت ذخيرة للمرَاكب ولغير ذلك ممّا يحتاج إليه. فرفعت ذلك إلى الإمام المعزّ لدين الله (ص) فسُرَّ به، وأمر بإصلاحها وإصلاح هذا الصهريج، وأن يُبْنَى مسجد.

*ب 129 و
وكان قبل ذلك قد ذكر له تضايق دارَيْ[3] الصناعة * بالمهديّة بالمراكب وكثرتها وما زاد منها، وأن الدارَيْن قد غصّتا بها. فذكر عمارة دار الصناعة بسوسة
591 والإنشاء بها. وكان وجود هذه المواجل/ من مقدّمة الخير فيها. ثمّ قال (ص):
المعزّ فكّر في فتح قنـاة بين البحـر والمنصوريّة
لئن امتدّ بنا المقام هاهنا لنُجْرِيَنّ البحر بحول الله وقوّته إلينا في خليج حتّى تكون مراكبنا تحطّ وتقلع بحَضْرَتِنَا[4].

فقلت: يُبلغ الله مولانا أمله بحوله وقوّته، وينجز له وعده إن شاء الله.

---

(1) في «أ» و «ب»: من عمل، وهي منقولة خطأ عن السطر الموالي.
(2) دار الصناعة هي معامل صنع المراكب، وعن دار الصناعة بالمهدية انظر: سيرة الأستاذ جوذر ص 154 من الترجمة الفرنسية وص 121 من النص العربي. وكذلك المقريزي، اتعاظ ص 101.
(3) ب: دار.
(4) هذه أول إشارة إلى إمكانية ربط المنصورية والقيروان بالبحر.

ما فضّل الله به الخلفاء الفاطميّين على غيرهم

فقال: إنّا بحمد الله ونعمته علينا، وهي أكثر من أن نُحصيَها، في غاية من
فضله وإحسانه، قد مكّن الله لنا وخوّلنا وأوسَع في نعمته علينا، وآتانا ما لم يؤتِ
أحداً غيرَنا. فأعداؤنا والمتغلّبون على حقّنا، وإن رأوا أنّهم قد حازوا من الدنيا
أكثرَ مـ[ـمّـ]ـا عندنا، فإنّ الله (عج) قد جعل البركة فيما آتانا، فنحن نبلغ به
فوقَ ما يبلُغون، ونعطي أولياءَنا/ ورجالَنا وأنصار دولتنا أكثرَ ممّا يُعطُونَ. 592
وعندنا بحمد الله ونعمته أكثرُ ممّا عندهم، ورجالنا أفضلُ من رجالهم محبّةً لنا
وبصائرَ في أمرنا وصحّةَ وَلاية لنا وطولَ صحبة ومواظبة على جهاد أعدائنا. إنَّ
ملوك الدنيا من قَبْلنا لم يكونوا يؤثرون النزولَ إلاّ على مواضع الأنهار والمعادن،
وإنّا نزلنا بحمد الله على معدن الوَلاية، وجمع الأولياء الذين لا يُحصى عددُهم
ولا يفنى مَددهم ـ يعني كتامة ـ قد جمعتْهُمُ الدار وألّفْتهم الوَلاية والمحبّةُ، مضى
على ذلك معنا آباؤهم وأجدادُهم مع الآباء والأجداد، ونشأ عليه مَن معنا
وفُطروا على وَلايتنا. وإنّما تُعِدُّ / الملوكُ الأموالَ للرجال. فقد أعطانا الله بفضله 593
الرجال والأموالَ، وبسط أيدِيَنا على أعدائنا، وجمع شمل * كلمةِ أوليائنا على *ب129
وَلايتنا، وعبيدَنا على محبّتنا والسمع والطاعة لنا والشكر على ما يُوليهم من
رضائنا.

حسن معاملة المعزّ للأولياء والقوّاد في الحباء والأعطيات

فقال بعض من حضر المجلسَ من أهل المشرق: وأين يبلغ يا أميرَ المؤمنين
عطاءُ غيرك من عطائِك؟ إنّ الذي يُعطيه أعداؤك جندَهم نزْرٌ عند عطائك
لأوليائك[1] إذا حُصّل لهم. إنّ أعداءك إنما يُعطُون الرؤساء من أجنادهم العطاءَ
بعد العطاء لهم ولأتباعهم ومَن قدّموهم عليه من أجنادهم، ولعبيدهم وسائر
أسبابهم، فيقطع العرفاء[2] من ذلك / كثيراً منه لأنفسهم، ويفرّقون باقيةً على مَن 594
قُدّموا عليه، وربّما عاملوهم فيه. ولا يبلغ ما يصل إليهم بعضَ ما يصل إلى أقلّ
عبدٍ من عبيد مولانا (صلع). ومولانا يُسبغ على أوليائه وعبيده الصلات
والأرزاقَ والكُسى والحُملانَ[3] والعَلُوفةَ والجِرَايَةَ على نسائهم وأبنائهم، يقبضون

(1) ب: لأوليائنا.
(2) العرفاء ج عريف، ولعله الموظف على توزيع الأعطيات على الجند.
(3) الحملان: ما يحمل عليه من الدواب كالإبل والبغال وغيرها.

الجرايات تبقى لأهلهم بعد موتهم

ذلك بأيديهم. وإن خرجوا في بعثٍ حمَلَهم ووصَلَهُم وأدرّ أرزاقهم ما غابُوا، وأبقى على مخلَّفيهم ما كان يُجْرِي عليهم. ومن استشْهَدَ منهم أو مات أبقى ما كان يُجْرِي عليه لمخلَّفيه. ويفرّق عليهمُ السلاحَ والزواملَ والمضارب[1] وجميع
595 أدوات السفر إذا سافروا، مع إقطَاعِهم القطائعَ[2] / والضياعَ، واستعمالِهم على الأعمال، وتعاهدِهم بالهبات الجزلة والعطايا السنيّة، وبُلْغتِهم عند أوبتهم من البعوث، بالكساء والصلاتِ والمراكبِ والحُمْلانَاتِ. فأين يبلغ مثلَ هذا عطاءُ غيرِ أمير المؤمنين (ص)؟

فقال: الحمد لله الذي جمع لأوليائنا بنا الدنيا والآخرةَ وجمع لنا ذلك بفضله علينا وجزيل إحسانِه إلينا حمداً نبلغ به رضاهُ ونقضِي به شكرَ نعَمه.

حديث في مجلس في الاستدلال بالنجوم:

*ب130و 275 ـ (قال) وأقحط المطرُ أوانَ الحرث ووقتَ الحاجة * إليه. وكان المنجِّمون قد ذكروا أنّها تكون سنة جَدْبٍ وقحط، فما كانوا بأوشك من أن أتى الله
596 (عج) من الغيث والسقيا والمطر / بما لم يروا عن بعيد مثله. ودام أيّاماً حتّى خاف الناس من أجله.

المطرُ يكذّب تنبُؤَ المنجِّمين بالقحط

وحضرت مجلس المعزّ (صلع) في وقت ذلك فذكر عنده قولُ أصحاب النجوم ما قالوه، فقال (ص): ما كان هذا الغيثُ إلاّ تصديقاً لقول رسول الله (صلع) في الخبر المأثور عنه لمّا أمطِروا بالمدينة، فجعل بعضُ الناس يقولون: أمطِرنا بنجم كذا، وقال قومٌ: أمطرنا بفضل الله (تع) ورحمته. فقال رسول الله (صلع): أصبح الناس رجلَيْن: رجل مؤمن بالله كافر بالكواكب، ورجل مؤمن بالكواكب كافر بالله[3].

---

(1) الزوامل ج زاملة: الرواحل من الإبل. والمضارب ج مضرب: الخيام.

(2) القطائع ج قطيعة: ما يقطع من ربع أو أرض.

(3) ورد هذا الحديث في المسانيد السنية مع اختلاف جزئي في المتن. ففي صحيح البخاري في باب الاستسقاء (ج 2 ص 41): أصبح من عبادي مؤمن بـي وكافر. فأما من قال: مطرنا بفضل الله ورحمته فذلك مؤمن بـي كافر بالكوكب. وأما من قال بنوء كذا وكذا فذلك كافر بـي ومؤمن بالكوكب. انظر نفس هذا الحديث في صحيح مسلم، كتاب الايمان، باب بيان كفر من قال: مطرنا بالنوء، ج 1 ص 59. وانظر الكامل للمبرّد، 1233.

ثمّ قال المعزّ (صلع): لقد أجمعوا كما علمتم على ما أجمعوا عليه من
القحط والغلاء / فجاء الله (عج) بخلاف ما أجمعوا عليه. وما كان أجماعهم غلطاً 597
على ما قاله أصحاب النجوم، بل كلّ قولهم وما جاء من المتقدّمين منهم دلّ على ما قالوه، ولا تكلّموا إلاّ على ما قاله أصحاب النجوم الأوائلُ، وما هو في الكتب بلا اختلاف بينهم فيه. لكن جاء الله (عج) بخلاف قولِهم تصديقاً لرسول الله (صلع) وتكذيباً لمن ادّعى علمَ غيبه الذي لم يُطلع عليه إلاّ من ارتضى من رُسُله.

حديث في مسايرة في الرغبة في العلم:

276 ــ (قال) وسايرت المعزّ لدين الله (صلع) يوماً في بعض ما خرج إليه فذكر شيئاً من العلم في فنّ جرى الذكرُ فيه منه، فقال: ذكرت مثلَ هذا مذ المعزّ يطيل الوقوفَ على الكتب...
598 / ليال، وأنا أعرف كتاباً فيه كلامٌ منه مستقصًى فأمرت بإحضاره، فلم يعلَم من يقوم على الكتب مكانَه، فقمت بنفسي إلى خزانة الكتب، وفتحتُ بعض الصناديق
وأنا قائم أطلب ذلك الكتاب * من المكانِ الذي قدّرتُ أنّه فيه، وذلك في أوّل *ب130
الليل، وقلّبت الكتبَ، فجعلت إذا مرّ بي كتاب أتصفّحه فيعرض لي فيه ما أحبّ أن أَسْتَقصيَه، ثمّ يمرّ على يدي غيرُه فيجري منّي كذلك مجراه، فلم أزلْ قائماً كذلك أتصفّح كتاباً بعد كتاب وقد شغلَني ذلك عن أن أذكر ما أنا فيه
فأجلسَ، حتّى حان نصفُ الليل، ونبّهني على ما أنا عليه وجَعٌ / شديد بقدَمي من 599
طول القيام. فانصرفت، وأصبحتُ وقد عرض لي من ذلك وجع مؤلمٌ برجلي كان من سبب ذلك. فيصيبه وجَع في رجله

فقلت: هذه والله يا مولاي الشهوة للعلم[1]، والرّغبة فيه التي لم يُتَحَدَّثْ بمثلها عن أحد قبل أمير المؤمنين (ص)، فهنّأه الله ما وهبَه من ذلك، وبارك له فيه.

فأطرق (ص) كالمستحيِي من ذكر ذلك وتكلّم بكلام خفيّ لم أفهمه عنه.

(1) في الأصل: في العلم، والإصلاح من العيون 579.

وصيّة في مجلس:

277 ــ (قال) وتوفّي بعض الأولياء وكان عاملاً على كورة، وخلّف ولداً حدَثًا فاستعمله المعزّ (ص) على عمل إبيه وأقامه عليه إبقاء للصنيعة عنده في مخلَّفي من صنعها لديه، وحفظاً لمخلَّفيه، وبحسب ما جرت عادته (صلع) في من
600 / مضى من أوليائه. وكان هذا الولد غائباً عن وفاة أبيه بموضع عمله. وكانـ[ـت] وفاة أبيه بالحضرة. فلم يبلغ إليه بحمد الله خبرُه إلاّ ومعه عهدُ أمير المؤمنين (ص) إليه بولايته مكان أبيه. فأقام إلى أن أحكم ما رأى إحكامه من أمر العمل، ثمّ استأذن في القدوم على أمير المؤمنين (ص) فأذن له، فقدم ودخل إلى أمير المؤمنين. فكان منه إليه من الجميل ما ودّ من حَضَره وسأل الله أن يُميتَه في طول بقائه وعلى رضائه ليُخْلَفَ في مخلَّفيه بمثل ذلك.

المعزّ يولي شابًا حدثًا خلافةَ أبيه على بعض الكور...

*ب 131 و ولمّا أراد الانصراف إلى عمله استأذن * في الدخول إلى أمير المؤمنين
601 (ص) فأذن له فدخل ليودّع. فلمّا مثُل بين يدي أمير / المؤمنين (ص) وقبّل الأرض، قال له أمير المؤمنين (ص): أزمعتَ على الخروج؟

قال: أزمعتُ ما يراه أمير المؤمنين (ص).

قال: سر على بركة الله مصحوباً بعافيته! نحن نرجو أن يجعل الله فيك من البركة ويوفّقك من الخير إلى ما تكون به أفضلَ من أبيك. فأنت من بلادنا ورَبِـيُّ أيّامنا ونشرُ دَوْلتِنا وغذِيُّ نِعمتنا، فأشْعِرْ نفسك العملَ بما أمرناك، والانتهاءَ عمّا نهيناك، والوقوفَ على ما حدّدنا لك، وخذها بذلك ولا تتعدَّهُ تحسُنْ أحوالُك وتَزْكُ أعمالُك وتستكمل رضانا عندك. اجعلِ الحقَّ قصدَكَ
602 والعدلَ سيرتَك وأمرَنا ونهيَنا نُصبَ عينك وإمَامَك. إنْ / غضبتَ فليكن غضبُك لله (عج) ولنا، وإن رضِيتَ فليكن رضاك بسبيل ذلك، وذرِ الرضا والغضب لنفسك عنك بجانب. فمن تجاوز إليك ما عسى أنّه يغضبك وينقصك فإلينا تجاوزَ ذلك، وتجد [عندنا] من الانتصار لك ما لا تنتصر به لنفسك[1]. طالعْنا بأمورك وما عسى أن تريد العمل به قبل أن تعمله، فما أتاك منه فأمْضِه

... وينصحه بالإغضاء والتأنّي

(1) في النسختين: ونحن من وراء الانتصار لك. وقد أصلحنا بما يوافق السياق.

على ما نأمُرُك به تكنْ على سبيل نجَاةٍ وسلامة وراحة في كلّ أمرك، وتزول الحجة عنك[1] فيما تخشى أن تقوم فيه عليك. فما ندم من شاورنا في أمره وطالعَنا به، وما عدِم ندَما من ترك ذلك / من أمثالك واعتمد على هواه ورأي 603
نفسه. سر راشداً وفّقك الله.

فقبّل الأرض مراراً ودعا بما قدر عليه وانصرف.

توقيع في إقامة حقّ الله عزّ وجلّ:

278 ــ (قال) ونفّذ أمير المؤمنين (ص) الإمام المعزّ لدين الله (ص) إليّ في النهْي عن النياحة على الموتى *، كالذي يؤثر في ذلك عن آبائه عن جدّه *ب131
رسول الله (ص) والأئمّة الطاهرين من ذرّيته. فتقدّمت في ذلك بالنهي والتغليظ فيه والنداء بذلك وإشهاره. المعزّ يحجر النياحة...

وعثرت بعد ذلك على نساء ينُحْنَ فعاقبتُهنّ بالضرب الوجيع، والنداءِ عليهنّ والحبسِ الطويل، حتّى أظهرن التوبةَ. وكلّ من كانت تعرف / بذلك من النساء 604
حضرت إليّ فأظهرن إخلاصَ التوبة بين يديَّ، وأشهدن الله ومن حضرني بذلك عليهنّ. وتوثّقتُ بالأيمان المؤكّدة في ذلك منهنّ. وكفل عندي بهنّ كُفَلاءُ، فأطلقت سبيلهنّ. ونزع ـ فيما ذَكَرَ مَن أمرتُه بطلبهنّ ممّن ينظر في أمور مثلِهنّ ـ جماعة منهنّ عن الحضرة واختفَيْن. وذكر الذين أخذتُهم بطلبهنّ ممّن يجب أخذُهُ بذلك وزِمامُهم[2] أنّهم لم يقدِروا عليهنّ، وضمِنوا عندي ألاّ تنوحَ نائحةٌ إلاّ قبضوا عليها، وحضَرُوا[3] بها إليّ. ... والنعمان يطبّق القرار على النائحات...

فاستقام الأمر على ذلك مدّة طويلة. ثمّ اتّصل بي أنّهنّ قد عُدن إلى النِّياحَةِ / في السرّ وفي داخل البيوت. فأخذت من تضمَّن ذلك به، فنفاه وأنكره وأبطله. 605
ثمّ تزيّد الخبرُ بذلك واشتهر، وسمعت النياحة في غير موضع، وأرسلتُ للقبض على النائحات. فدخلْنَ في جملة نساء المأتَمِ، واستترن بهنّ، ولم يقدر عليهنّ. ... فيطاردهنّ بأعوانه...

(1) في أ: عندك. وفي النسختين: تزول كما أثبتنا عوض: تزل، كما قد يقتضي جواب الشرط.
(2) الزمام: المقدّمُ عليهنّ المكلّف بهن.
(3) في الأصل: وأحضروا بها.

فأخذت بذلك زِمام القوم الناظرين في مثل هؤلاء المفسدين بما تضمّنَه من أمرهنّ، وقد اتّصل بـي أنّه أطلقهنّ لشيء تناوله منهنّ. فجاء بكلام مجمل فيه وذكر أنه يطالع أمير المؤمنين مولانا (صلع). وتمادى الأمر على ذلك، ولم أجد إلى أخذ الفواسق سبيلاً.

... فلا يقدر عليهنّ...

واتّصل أمرهنّ بأمير المؤمنين(ص). فخشِيت أن يَنسِب إليّ تقصيراً في
606 أمرهنّ، فكتبت رُقعة بخبرهنّ وما / صنعتُه * في أمرهنّ وما آل إليه ذلك، مطالعاً فيما أعمل عليه في ذلك:

*ب 132و

... فيغضب المعزّ ويأمر بالحزم والشدة

فوقّع إليّ: والله يا نعمانُ ما أدري ما أقول لك، ولقد كثُر تعجّبـي منك، مع طول الصحبة ومصابَحَتِنا ومماساتنا، خفيَت عنك أخلاقُنا. متى علمتَ منّا بدأة أو رجعةً عن إقامة حقّ الله، والرضاءَ ببيع الآخرة بالدنيا؟ أسألُ الله أن لا يُبقيَنا إلى يوم نُرى فيه على مثل هذه الحال! فبحقِّنا عليك إلاّ بعثْتَ أعواناً في طلب الفَسَقَةِ - يعني الذين تضمَّنوا أمر هؤلاء النوائح - ليَحضرُوك بهم. وخذهم أشدّ مأخَذٍ بإحضار الفاسقات إليك - يعني النوائح - وأوجِعْهُنَّ ضرباً وصيّرهن في الحبس إلى
607 / العقلة وألزم النذلَ فلاناً - يعني رئيس هؤلاء المتكفّلين - عشَرة أعوان حتّى يحضر بهنَّ الساعةَ، ولا تَرْكُنْ في ذلك إلى شيء من المعاذير، فلن يُقبَل منك! وما وقع من الخلل فيما أمرناك به من إقامة الحقّ كان الله مسائلَك عنه. فقد وثِقنا لك واستَنَمْنَا إليك. فإذا كنتَ أنت يتخالجُك الشكّ فيما يقوله السُفْل عنّا، فما ظنك في مثل ذلك بالسفلِ العوامّ الذين يُحبّون أن تشيعَ الفاحشة عمّن طهّره الله وعصمه بفضله، وله الحمد؟

فلمّا وقفت على مثل هذا التوقيع لم أضعه من يدي حَتّى تقدّمت فيما أمر به
608 (صلع) من إلزام الأعوان مَن أمر بإلزامهم / إيّاهم[1]، وكان ذلك في يوم نَوْء منطبق ولزمني من الغمّ بما وقّعه (ص) من أنّي كنت ممّن تَخَالَجَه الشكّ فيه (صلع)، نعوذ بالله من ذلك، ما لم أدر ما كنت فيه. فرفعت إليه رقعةً بما صنعتُه، ووصفتُ ما نالني من الغمّ بما ذكر من الشكّ (ص) وذكرت أنّي لم أتوقّف عن الإمضاء إلاّ رجاءَ صلاح الأمر من دون أن أشغل به صدره (ص) بمثل ما اشتغل

... امتعاض النعمان من اتهام المعزّ له...

(1) هكذا في الأصل، والتعبير حشويّ.

به، فلمّا لم أجد ذلك طالعته به ليكون العمل فيه * عن أمره المقرون بالسعادة *ب132
والتوفيق.

فوقّع إليّ: يا نعمان، وقفْنا على ما ذكرته في رُقعتك هذه، وتالله ما نظنّ ... واسترضاء المعزّ له
الذي نالك من الاغتمام بما وصفتَه أكثرَ ممّا نالنا / من ذلك عند الوقوف على ما 609
ذكرتَه في تلك الرقعة. فلعن الله مُطْلِقَهُنَّ ومُطْعِمَهُنَّ على ذلك وصدق وعيدُه عليه!
فلو لم يكن من شؤمهنّ إلاّ ما كان لكفاهُم. فأمّا على أنّا وجدنا عليك وجداً
يدركك منه إثمٌ فمعاذَ الله! ولكنّا نحبّ أن تكون ـ كإرادتنا لك ـ نافذَ العـزم،
ماضيَ الأمر، وألاَّ[1] نَرْفَعَ إليك أمراً أنكرناه وتقَدَّمْنا إليك في تغييره فتَمسِكَ عنه
المُدّة حتّى تلاطف فيه فلاناً وغيره، فيكونوا بباطلهم وجسرهم على الله وعلى
أوليائه أقوى عزماً منك في إقامة حقّ الله، فهذا أردناه لا غَيْرَه. فامض على ما
أمرناك به، ولا تُزلِ الأعوانَ عن النذل أو يحضُرَ / بهِنَّ. ومن كان منهنّ عند أحد 610
مِن شِيَع إبليس، لا من رجالنا[2] فتقدّم إليهم فيهنّ، وخذهم في إحضارهنّ أشدّ
مأخذ، وحذّرهم سَطوتنا. فإن حاطوا أنفسهم ولزموا مابه أمرناك فهو أعودُ على
الجميع. فإن اتّصل بك عنهنّ غير ذلك فتقدّم إلى من يهجم عليهنّ ويخرجهنّ
شرّ[3] خروج من الموضع الذي هنّ فيه، ولو كانُوا في قصرنا، أبْعَدَ الله صانعَ
المنكَر ومستحسِنَه. وما رأيتَه من اختبار حالهنّ بالجيران فنعمَ ما رأيتَ. فامض
على ذلك إن شاء الله.

ثمّ خرج إلى مجلسه (صلع) فجلس، ودخل مَنْ رسمُه الدخولُ إليه،
وكان فيهم هذا الذي أمر بإلزامِ الأعوان، / وقد ألزمته ذلك، فشكا ذلك إليه، 611
فأسمعه (صلع) كلاماً غليظاً في إباحة النياحة. فأنكر الرجل ذلك يحلف عليه
بما يعلم مولانا (صلع) منه خلافه، فأعرض عنه بوجهه * تكرّماً من مواجهته إيّاه *ب133و
بجحده أن يكون اتّصل به نهي أمير المؤمنين عن ذلك. وقال له: يا نذلُ، إذا المعزّ يوبّخ المأمور
568 كنتَ تجسر على مثل هذا في مجلسنا فيمكننا أن نجحد الباري / ـ جلّ وعزّ ـ ما بمراقبة النوائح
بلّغنَاه الآباء الأطهار عن رسول الله (ص) من قوله: «من أطعم نائحة درهما كلّفه

(1) في الأصل: واما...
(2) هكذا في النسختين. ولعل «لا» زائدة.
(3) في النسختين: أشر.

الله إخراجه بفيه من قعر الجحيم»[1]. فأي نكير أغلظ من هذا، فلعن الله الظالمين!

ونظر إليّ فقال: أما والله لقد سمعتُ مذ ليال مرّت صوت نائحة وأنا قائم
612 في / الصلاة فما عرفت كيف أتمّمها غضَبا لله (عج) وما ارتكب من نهي في ذلك[2]. فلمّا انصرفتُ من الصلاة قلت: اللّهمّ إنّك تعلم أنّي لم أرضَ هذا الصوت ولا أطلقتُ، وأنّي نهَيْت عنه وغلّظت فيه. اللّهمّ فخذ بعقوبة[3] مَن أباحه. ولقد اشتدّ حنَقي عليك في غفلتك عن ذلك.

فقلت: الله يعلم أنّ عبدَ أمير المؤمنين ما غفَل عنه، ولقد بذل المجهودَ فيه، وما استطاع أكثرَ ممّا فعله ولا قدَرَ على من ارتكبه فيعاقبَه. ولكن إذا أمر أمير المؤمنين بأخذ هؤلاء الذين أباحوا ذلك لهنّ بإحضارهنّ، فعبدُ أمير
613 المؤمنين (صلع) يأخذ في ذلك بأشدّ المأخذ / ، ويبذل فيه من المجهود ما يرجو به قطعَ هذا المنكر بحول الله وقوّته، وجميل رأي أمير المؤمنين (ص) وبركته فيه.

المعزّ يحثّ النعمان على إمضاء الأحكام

فقال: نحن قد أقمناك لتنفيذ الحقوق وإنصاف المظلوم وتغيير المنكر. وبسطنا يَدَيْك ولم نقبضهما عن أحد فيه. فَاشْدُدْ وطأتَك وقوّ عزمَك في الحقّ، ولا تكن لأحد ممّن كبر وصغر عندك فيه هَوادة، ولا تخاطِبْ أحداً من رجالنا في ذلك ولا في شيء ممّا نَأمُرك به في قصرنا، ولكن تُحضِره في مجلس قضائك
ب133 وتُنَفّذ له وعليه ما وجب عندك فمن أنف لنفسه من الحضور مع خصمه إليك،
614 [كائناً] مَن كان من الناس، فليُنصِف من نفسه/ ، أو يَدعْ ما يطالب به إن كان الطلبُ له، وليقُم في ذلك في الحقّ مَقَامَ أقلّ الناس، وإن كان عند نفسه شريفاً، فالمقام في الحقّ مَقامٌ واحدٌ للقويّ والضعيف والشريف والمشروف. فمن ظنّ غير ذلك وشمخ بأنفه أو توهّم أنّ له في الحقّ فضلاً على غيره، فأبْعَدَهُ اللّهُ كائناً من كان!

---

(1) لم نجد هذا الحديث في المسانيد السنية وإن أوردت أحاديث متعددة تنهى عن النياحة، مثلاً: أبو داود 2/173 وابن ماجة رقم 1581.
(2) هكذا في الأصل، ولم نفهم الربط.
(3) في الأصل: بعقوبة ذلك مَن. . .

فقبّلتُ الأرض بين يديه، وشكرت بما قدرت عليه، وامتثلت في الأمر الذي ذكره (صلع) ما أمره، ونفّذت منه ما أمر بتنفيذه، وَأَذَعْت ذلك عنه (ص) وأشهرتُه، وأمرت [بحمل] من ظُفِر به من النوائح إلى المحابس إلى أن اجتمعن، 571
وأنزلـ[ـت] العقوبةَ بمن تستحقّها مِنْهنّ[1]/ .

---

(1) في النسختين: وأمرت من ظفرت به من النوائح إلى المجالس. . . وأنزل العقوبة بمن يستحقها منهن.

هذا وقد تحدث النعمان عن منع الأئمة «البكاء والنوح» (المجالس ص 102). وانظر كذلك جواب المعز عن طلب أحد الأمراء في سيرة الأستاذ جوذر (ص 100 من المتن. والتعليق 108 ص 182 للمحققين، وأيضاً تعليق ماريوس كانار في ترجمة السيرة، تعليق 340 ص 151).

وقد ذكر ابن عذاري، تحت سنة 349 (البيان، ج 1 ص 223)، رسالة من المعز إلى الأئمة والمؤذنين جاء فيها: ولا تصيح امرأة وراء جنازة، ولا يقرأ العميان على القبور إلا عند الدفن. . .

ويبدو أن ظاهرة النياحة الجماعية كانت مدعاة للفِسق والفجور، ممّا يبرّر صرامة المعزّ في منعها وزجر النائحات وعقاب المنتفعين بهنّ. وانظر ما كتبه الفقيه التلمساني أبو عبد الله العقباني (ت 811/1408) في «تحفة الناظر وغنية الذاكر» نشر علي الشنوفي بدمشق B.E.O ص 269.

الجزء الثامن والعشرون

[بسم الله الرحمن الرحيم]

كلام في ذكر الإمامة جرى في مسايرة:

279 ـ (قال)[1] وسايرت الإمام المعزّ لدين الله (صلع) يوماً في بعض ما كان يخرج إليه، فذكر المهديّ (ص) فقال: إنّي لأذكر يوماً كنت حُمِلْتُ فيه إليه، وأنا يومئذٍ فطيم أعقل الكلام وأحفظ ما يكون، فتناولني وقبّلني، وأدخلني تحت ثوبه، وكشف عن بطني وألصقها ببطنه[2] ثمّ أخرجني وبارك عليّ، وسألني عن حالي، وأجلسني في حجره، ودعا لي بمأكل. فأتيتُ بطَبَقٍ من فضّة مذهّب/ فيه 616 مَوْز وتفّاح خريفيٌّ وعِنَبٌ، فوُضِعَ بين يديّ، فلم أتناول منه شيئاً. فأخذه بيده وناوَلَنيه، فأخذتُه بيدي، فقال: امض به فكل أنت ما فيه وأعْطِ الطبقَ فلانة * *ب134و ـ وذكر بعض البنات وهي يومئذٍ في مثل سِنِّي ـ فقلت له: لا، بل آخذ أنا الطبق، وأعطيها ما فيه. فضَحِك وتعجّب من انتباهي لذلك، ودعا لي بخير، وقال للخادم: احمله، فحُمِلتُ وحُمِل معي الطبقُ بين يديّ، وقال: سيكون له نبأ، ومثل هذا من الكلام، لم أضبطه أنا عن المعزّ (صلع).

محبّة المهديّ للمعزّ، وهو طفل

ذكاء المعزّ وفطنتُه مُذْ كان طفلاً

ثمّ قال المعزّ (ص): كان المهديّ واحد الزمان وخبِيئةَ آل محمد عليه وعليهم السلام، وعالِمَهم وكاشفَ جلباب/ المحنة عنهم. ثمّ ذكر حديثاً 617 عنه (صلع) سمعناه قديماً يذكر عنه (عم): وذلك أنّه كان يرمز بمحنة تكون، وفتنة تظهر، ونفاق يشتمل على أكثر الأمّة، ومن أجل ذلك ابتنى المهديّة وحصّنها، وانتقل إليها. وكان يؤثر عنه أنّه إذا نظر إلى سورها العالي الحصين

سبب بناء المهديّة: توقّع المهديّ لفتنة أبي يزيد

---

(1) ب: قال القاضي النعمان بن محمد.

(2) إن المعز في هذا النص يكشف لنا عن نوع من الطقوس كان يقام من أجل التبريك وإسباغ نور الإمام على المولود الجديد الذي هو من ولد الأئمة.

وأبوابها الحديد، وتكلّم على ذلك مَن يكون بين يديه ووصَفوها بالمنعة، وأنّه لم يُبْنَ مثلُها، يقول: كلّ ذلك إنّما أعددناه لمقام ساعة من النهار. فلم نكن ندري ما معنى قوله ذلك حتّى ظهر الدجّال مخلد بن كيداد، وهاجت فتنته، واشتملت على أكثر الأمّة. وجاء بمَن كان معه حتّى وقف بباب المهديّة[1] ساعة من النهـار.
618 / وكان ذلك آخر ما انتهى إليه. ولم يزل بعد ذلك في نقص وانحطاط حتّى أقدر الله (تع) المنصورَ (ص) [عليه] ففضّ جموعَه، وأخذه أسيراً برمقه بعد أن طلبـه في الفيافي والقفار وشواهق الجبال، حتّى أظفره الله (عج) به، وأمكنه منه، وكشف به جلبابَ تلك المحنة، وأطفأ به نارها.

ثمّ ذكر المعزّ (عم) الحديث الذي كنّا نسمعه أيضاً يؤثر عن المهديّ (عم) في كاشف هذه المحنة، ومطفىء نار هذه الفتنة، أنّه ذكره في بعض أيّامه، فقال:
*ب 134 صاحب هذا * الأمر في هذا الوقت حَمْل في بطن أمّه، وعن قريب يولَدُ. وكان المنصور (ص) حَمْلاً في ذلك الوقت، وكان عند المهديّ (ص) حَمْل فوُلِدَ
619 المنصور (ص) وولد/ أبو الحسن للمهدي. وكانت أمّه قد قالت ـ وهي حامل به ـ للمهديّ: إنّي رأيت كأنّ القمر في حجري وأنا أرضعُه. فلمّا ولد المنصور وأتِي به المهديّ ليباركَ عليه، دعا بأمّ ولده أبـي الحسن وقد ولدَتْه[2] فدفع المنصور إليها وقال لها: أرضعيه مع ابنك. ففعلت مسرورة بذلك فرحة به. فلمّا أرضعته، قال لها المهديّ (ص): أتذكرين الرؤيا التي رأيتِ أنّك تُرضِعِينَ القمر وهو في حجركِ؟.

المهـديّ يتنبّـأ للمنصـور وهـو جنين بكشف غمّة أبـي يزيد

قالت: نعم يا أمير المؤمنين (ص).

(فـ) ـقال لها المهديّ (ص): فهذا تأويل رؤياك. ثمّ لم يلبث ابنها أبو الحسن أن جَدِرَ فذهب بصره، فأيقنت أنّ رؤياها كانت للمنصور (ص) مع تأويـل

---

(1) ذكر المقريزي خبر بناء المهدية والموقع الذي اختاره لها المهدي (اتعاظ الحنفاء، 101 ـ 103).

(2) ولد المنصور برقادة في أول جمادى الثانية سنة 301. وأبو الحسن (أو الحسين) عيسى ابن المهدي ولد أيضاً في هذه الآونة، حسب كلام النعمان هنا. ومات عم المنصور هذا سنة 382 (انظر ملاحق اتعاظ الحنفاء ـ الملحق 12). وفي هذا الخبر يظهر ميل المهدي إلى المنصور وتنبّؤه له بالخلافة منذ أن كان رضيعاً.

620 / المهديّ (ص) لها ذلك.

قال المعزّ (ص): فكانت بعد ذلك من اليقين والوَلاية لنا في غاية ما يكون عليه أهل الإخلاص، وكبُرَتْ وأسنَّتْ وهي على ذلك. وكانت تقول لولَد المهديّ ونسائه بعد وفاته: والله/ لقد خرج هذا الأمر من هذا القصر ـ تعني قصر المهديّ بالله (صلع) ـ فلا يعود إليه أبداً. وصار إلى ذلك القصرِ ـ تعني قصر القائم بأمر الله[1] ـ فلا يزال في ذرّيّة صاحبه ما بقيَتِ الدنيا. وإذا رَأتْ الواحدَةَ من نسائنا، قالت: هذه السيّدة، لمن كانت منهنّ قد ولدت إمَاماً، فيقول لها بناتُها: لقد كبرتِ وخلّطت. فتقول: أما الكَبَرة فنعم، وأمّا التخليط فلا، والله ما أنا

621 / بمخلّطة ولكن سمعتُ ذلك من علم الأئمّة.

مرضعة المنصور هي إحدى أزواج المهديّ.

ولم تزل على ذلك حتّى ماتت.

قلت: رحمها الله (تع).

قال: نعم، ونفعها اعتقادها[2].

حديث في مسايرة:

280 ـ (قال) وسايرت المعزّ لدين الله (ص) يوماً في بعض ما خرج * إليه، فسألني ابتداء عن نفسه الشريفة ـ حماها الله من كلّ/ سوء ـ عن الأهل والصِّبْية والولد والدُّخلة سُؤَالاً لو كان من أحد الأصدقاء المساوين في الحالة لتعاظمتُه له واعتقدت يداً له عندي به. وانبسطتُ إليه لما بسَطه من فضله انبساطَ العبد الواثق بحنان مولاه وإقباله عليه، أذكر حال الدُّخلة والولد والصبية على

622 حسب ما يجري بيني وبينهم بإسقاطي/ التكلّف، وهو مقبل عليَّ بوجهه الجميل الشريف، مُتَبَسِّم لما يسمعه من الحكايات عنهم، ويستزيدني، حتّى بلغتُ من ذلك إلى ذكر البنات وأولادهنّ وما يجري مجرى ذلك. وجعل بفضله يسألني عن صغيرهم وكبيرهم وأحوالهم.

*ب 135 و

المعزّ يسأل النعمان عن ولدَيْه...

(1) هذا القصر وهذا القصر: كأنها تعني القصرَين بالمهديّة وهما متقابلان كما دلّت عليه الحفريّات والساحة بينهما المسمّاة «بين القصرين».

(2) عيون الأخبار، 257.

ثمّ ذكر ولديَّ عبْدَيْه[1]، فقال: ما لهما وَلَدٌ بعد؟.

فقلت: يا مولاي، لكلّ واحد منهما جارية، وكأنّهمـا لم يَقْنَعَا بهما للولد، وتاقت نفسهُمَا إلى ما هو أحسنُ منهما، وإلى التزويج.

وذكرت له ما عاق عن ذلك ومنَع منه من أنّني لم أنظر لهما في مساكن بَعْدُ.

623 قال: وأظنّك أيضاً ملتَ إلى الجواري لمقاربة الثمن فاشتريت لهما/ ما لا يصلح لمثلهما؟.

قلت: لا والله، ما اشتريتهما ولكنّهما من رقيق كان مولانا (ص) منَّ بهم على عَبْده من رقيق الفَيْء.

... ويلومُه على الإبطـــاء في تزويجهما من بناتٍ حرائر...

فقال (ص): وهذا أعجبُ! ما في أولئك ما يصلح لمثل هذا، ولقد ضيّقتَ عليهما.

قلت: يا مولاي، على أن ينظر عبدك لكلّ واحد منهما في مسكن ويزوّجه.

فقال (عم): إلى متى يكون هذا؟ والله لئن لم يَفْرَحَا ولم يسرّا في أيّامنا وإقبالنا عليك وعليهما، ويسرّ كذلـك جميع أوليائنا، فأنّى كانت لهما مسرّة مثلُها؟.

*ب 135 فقبّلت عَرف الفرس وقلت: يَمُدُّ اللّهُ في أيّام أمير المؤمنين (ص) ويصل *

624 إقبالَه على عبيده وجميع أوليائه، حتّى يسرّ بذلك ذراريّ ذراريهم، ويُسبغ/ الله من فضله عليهم ما يسرّهم، ويكبت أعداءهم.

قال: فعل الله ذلك. وأمّا ما ذكرت من تزويجهما، فبالله عليك إلاّ عدلْتَ

وجوب التحرّي في اختيــار الكنّـات لغلبـة السـوء على نساء الوقت

عنه، فقلّما [لاّ] ما تقع الموافِقة من النساء. وإن كانت موافِقة لم تعدم مخالَفةً من الأصهار ومن يتقرّبُ بقربهم، فيجمعك الخلطة مع غير الشكل. وكيف، والغالبُ اليوم على النساء عدمُ الموافقة، والأمَةُ التي تصلُح أن تتخذَ للولد تُخْتَبَرُ وتجرَّبُ، فإن كانت موافِقةً اتُّخذَتْ، وإن لم تكن موافِقَةً نُظِرَ في غيرها أحسن وأوفق[2]؟.

(1) محمد وعليّ ابنا النعمان.

(2) هذا النصّ يبيّن الفرق بين الزوجة والسرّية في الفقه.

فقلت: أصاب أميرُ المؤمنين، أصاب الله به المراشدَ، ووفّق في قوله، 580
أدام الله توفيقَه، والسعادةُ والرشاد فيما رآه/ لعبيده. وهذه ساعة جرت بالسعد 625
لهم بحسن رأيه وجميل نظره، فمدّ لأوليائه وعبيده وللدين والدنيا في أيّام عزّه
وتمكينه وطول بقائه، ودوام مسرّاته.

وانصرفت وقد مُلِئتُ سروراً بما كان من اختصاصه إيّاي بمثل هذا الذي لا يختصّ به الصديقُ صديقَه ولا الحميم حميمه.

تـوقيـع[1]:

281 ــ (قال) وأمرني الإمام المعزّ لدين الله (صلع) بتأليف شيء من العلم المعزّ يأمر النعمان
وقَفَنِي على جميع معانيه، وأصّل لي أصوله، وألقى إليّ جملة من القول فيه. بتأليف
ولم أكن قبل ذلك تقدّمتُ في تأليف شيء منه، ولا اتّسع علمي فيه اتّساعاً كتاب...
يوجب أن أتقدّم في تصنيفه. فلمّا فتق لي/ المعنى فيه، ولخّصه لي، وأوضح 626
لي معانيَه، وأمرني بتأليفه وبسطه، تقدّمت في ذلك تقدّمَ واثق بعون الله به، إذ
كان عن أمره (ص). وتهيّبت أمره ولم أرني أبالغ فيه، ولا أنتهي منه إلى ما
يرضيه.

فابتدأت منه جزءاً ورفعته إليه (ص) ولم أفرغ منه إلاّ عن مشقّة شديدة، وأنا أرى أنّي مقصّر فيما وُلّيتُ * منه، ورفعت معه رقعة وصفت فيها بعض ما اعتراني *ب136و فيه.

فوقّع إليّ في أسفلها صلوات الله عليه: يا نعمان، وقفتُ على الكتاب الذي عمِلتَه فرأيته قد جاء حسناً ما بعده أحسن، فتمادَ على عملك فيه، أحسنَ الله عونَك، وأجزل أجرك!.

فوالله/ ما هو إلاّ أن قرأت توقيعَه هذا بخطّه (عم) وقبّلته ووضعته على 627
صدري، فكأنّ الله (تع) أوصل إلى قلبي في ذلك مادّةً من المَعُونة التي دعا لي ... فيسرع فيه
بها (صلع) فتحَتْ ما كان انغلقَ عليَّ من معاني ما بدأت به، وقدّرت أنّه يأتي ثمّ يعرضه على
قليلاً، فانفتح لي من معانيه ووجوه أجناسه ما جاءني منه فوق ما أمّلتُه وأضعافُ ما المعزّ فيستحسنُه

(1) التوقيع: انظر ص 90 وص 94.

توهّمته، وبدأت في الذي يلي منه ما رفعته، فكان أيسرَ شيء عليّ وأسهلَه، فرأيت تعجيل إجابة دعوته لي (ص) بحسن المعُونة فيه.

توقيع آخر:

282 ـ (قال) وكان المعزّ (ص) أقطع أولياءه مواضع يبنُون فيها
628 بالمنصوريّة المباركة. وكانِ البنون والبنات وبعض المقرّبات/ سألوني في سؤال ذلك لهم ليجمع شملَهم وتتقارَب مساكنُهم، ولمَا في ذلك من سَتر الحُرَم عند حاجتهنّ إلى التزاور والتفقّد من بعضهنّ لبعض وأنس بعض الجميع ببعض، ولمَا نالهم في التفرّق من الوحشة والانقطاع، ولتضايق بعض مساكنهم، وكون بعضهم معي في مسكن ضاق بهم لمّا اتسع بنا فضلُ وليّ الله، وكثرت نعمتُه عندنا.

أولاد النعمان وبناته يطلبون أرضاً بالمنصوريّة...

فرفعت إليه (صلع) رقعةً أسأله فيها ذلك إجلالاً عن مواجهته بالسؤال، وذكرتُ فيها ما دعاني إلى سؤال ذلك من سؤال الولد ومَن ذكرتُه إيّاه. وإنّ ذلك
*ب 136 لو كان لنفسي لكان في أقلّ ما أنا فيه بُلغَةٌ مع الكِبرَ وقرب الأجل *.

629 وكان رفعي/ لهذه الرقعة في يوم جمعة. وسألته مع ذلك منشوراً في حاجة لي، وما أقرأه في ذلك اليوم على جماعة المؤمنين ممّا عوّدهم أن يُقرَأ عليهم في كلّ جمعة، ويخرجه من عنده (ص)، فأقرأه بعد انصرافه من صلاة الجمعة وعن حلقة المناظرة، وقراءة كتب الفقه بالجامع، وبعد أن يحتفلَ المؤمنون في قصره ـ عمّره الله بطول بقائه ـ فأقرأ عليهم في كلّ جمعة كذلك ما يُخرِجُ إليّ من الحكمة والوصايا والموعظة والعلم الحقيقيّ.

... فيبلّغ النعمان رغبتهم إلى المعزّ معتذراً...

فوقّع إليّ: يا نعمان، قد أخرجْنا إليك ما تقرأه اليوم، والذي سألتَه من أمر السجلّ، فاجتمعْ فيه مع جوهر[1] يكتبْه لك، ولا تصفْ نفسك بالكبر وتحدّثْها

(1) هذه هي المرة الأولى التي يذكر فيها القائد جوهر باسمه، وإنما يكني عنه النعمان عادة بلقب «القائد». ويظهر من جواب المعز هنا أن جوهراً كان كاتبه المكلف بتدبير شؤون القصر، ومعلوم أنه يُدعَى أيضاً عند المؤرخين بـ «جوهر الكاتب». ونجد في سيرة الأستاذ جؤذر (ص 95) إشارة أخرى إلى هذه الوظيفة «الإدارية» عند جوهر، إذ يكتب المعز توقيعاً لجؤذر يقول فيه:
«... فاذكر خبرها ـ خبر الإبل التي كثرت المكوس عليها ـ لجوهر عن أمرنا «ليكتب لك كتاباً بما أردت...».

/ بقرب الأجل، فالله(عج) يهبك السلامة والعافية حتّى تبتني فـي أيّامنا ومعنا حيث 630
يختاره الله ويرضاه لنا من أرض المشرق بالأبنية الواسعة المنيفة، وقد جمع الله لنا ... فيأمر جوهرا بإقطاع النعمان الأرض المطلوبة
بلوغ الأمل في الدين والدنيا، وما ذلك على الله بعزيز. ونحن نأمر لك بما سألتَه
وفوق ما أمّلتَه إن شاء الله.

فقبّلت توقيعَه، وأحسست ـ عَلِمَ اللّهُ ـ من وقت ذلك فما بعده، في نفسي قوةً، وانبسَط أملي، ووثقتُ بأنّ الله (عج) يبقيني حتّى أبلغ ما أمَّله (صع). فما أحصِي ما سمعته (عم) يؤمّلُ ما قد رأيتُ اللّهَ (عج) قد بلّغه أمله فيه مِمّا هو أصعب وأبعد من هذا الذي ذكره وتمنّاه (ص)، حتّى لقد قلتُ له في بعض ما
631 شاهدت من/ ذلك: يا مولاي تمنّ وأكثِرْ، فما زلنا نرى أنّ الله (عج) يبلغـك كلَّ ما تؤمِّلُه.

توقيـع آخـر:

283 ـ (قال) ولما نصب نفسه الشريفة لأخذ ميثاقه على المستجيبين إليه[1]، وولي إخراج ما يقرأ عليهم على نحو ما تقدّم القول فيه ممّا يُرَبّوْنَ به،

---

(1) من بين رسوم الدعوة أخذ العهد والميثاق على المستجيبين ـ وهم الدعاة الجدد المتهيّئون للدخول في الدعوة ـ والعهد والميثاق شرط أساسي في دخول المستجيب كلية في الدعوة ومفاتحته بأسرارها وترقّيه في درجاتها. يقول حميد الدين الكرماني في رسالة الكافية، (مجموع الرسائل ص 411): وإنما وجب أخذ العهود والمواثيق من الناس في دين الله لحالين:

أحدهما لكي تجب عليهم الحجة من جهة الله بقبولهم ما يقبلونه من أوامر الله (تع) وبذلهم القيام بها وإن قصروا فيها، فتكون مجازاتهم بحسب فعلهم بعد الميثاق.

وثانيهما لكون الخلاف فيما بين الناس موجوداً وامتناع الأمر في الاطّلاع على سرائر الناس فيمنع من كانت سريرته غير الإخلاص لله وفي الله، ولئلا يكون من يعاهد عيناً وعدوا فيطلع على ما يدبره الإمام أو الدعاة من المكر بأئمة الدين، فيكون الاستضرار بمكانه فيما يراد من إقامة عبادة الله (عج) على وجهها أكثر من الانتفاع به، ثم ليكون الأمر في الميثاق إلى أمانته بعد الاستيثاق فيستحقّ بالنقض إن نقض ما على الناقضين، وبالوفاء إن وفى ما للموفين. ولذلك كان الأنبياء يبايعون الناس الذين يجيبون إلى دعوتهم. والعهد والميثاق رسم سابق من الله (تع). . .

ويقول المقريزي، (خطط ج 2 ص 227) بعد ذكر الآيات الدالة على العهد والميثاق أن الداعي يقول للمستجيب: «فأعطنا صفقة يمينك وعاهدنا بالمؤكد من أَيْمَانِكَ وعقـودك =

*ب 137و ويرتفع من يرتفع في درجات العلم * الحقيقيّ له، نصبني[1] (صلع) لقراءة ذلك عليهم لِئَلاَّ يقعَ فيه نقص ولا زيادة ولا استحالة، إذا كان مكتوباً في كتاب يقرأ بلا زيادة عليه ولا نقص منه. فكثر المستجيبون وعظمت رغباتهم، وأقبلوا من كلّ أفق يقطعون البحار والقفار إلى ذلك من نيل رحمته، وصارت لهم بكلّ مصر جماعة وأُلْفةٌ واجتماعٌ على طلب العلم/ والحكمة، وبثّ فيهم (صلع) ما يُقرأ عليهم، وتواتَرَتْ عليّ كتبُ جماعة من أهل ذلك من قريب البلدان وبعيدها يسألون الزيادة من فضله ونعمته.

رغبة الدعاة في الاستزادة من علم الإمام وحكمته...

632

فرفعتُ ذلك إليه، وسألته إسعافَهم ببعض ما يخرجه به ليُقْرَأ[2] على مَن بحضرته المرضيّة، وأنهيتُ إليه رغباتِهم وسؤالَهم. فوقّع إليَّ: كثّر الله المؤمنينَ ومحَقَ الكافرين، وما سألْتَ وسألوا إلاّ ما ينبغي إسعافُهم به، ونحن نتصفّح من ذلك ما يصلُح لهم ونُنفِذُهُ إليهم إن شاء الله (تع).

... المعزّ بعد النعمان بإنجاز ما يطلبون

توقيـع آخـر:

284 ــ (قال) وكنتُ ربّما أفدتُ الفائدة من فضل الله وفضل وليّه من عَيْنٍ
633 وعُروض وطعام وغيرِ ذلك ممّا يجب فيه حقّ الله الذي/ أمر (عج) بدفعِه إلى أوليائه والخروج منه إليهم، فأتوخّى أن يجتمعَ فأوصلُه جملةً. وربّما كان منه ما لا يتهيّأ بيعُه وما يلـزم الحاجة في الوقتِ إليه، فأؤخّر الواجبَ فيه إلى أن يتهيّأ وجودُه، وأثبتُ ما قد لزمني من ذلك في كتاب وصيَّتي خوفَ الْحِدْثَان، ولم يمكنني غير ذلك. ثمّ خشِيتُ أن يكون فيه عليَّ إثم، فرأيتُ مطالعةَ مولانا المعزّ لدين الله (صع)، وسألتُه تحليلي منه بفضله إن رأى ذلك أو الأمر بِمَا أعمَلُ عليه،

هدايا الأولياء إلى المعزّ

= أن لا تفشي لنا سراً ولا تظاهر علينا أحداً، ولا تطلب لنا غيلة ولا تكتمنا نصحاً ولا توالي لنا عدواً». فإذا أعطى العهد قال له الداعي: «أعطنا جعلاً من مالك نجعله مقدمة أمام كشفنا لك الأمور وتعريفك إياها...» فإذا امتنع المدعو أمسك عنه الداعي، وإن أجاب وأعطى، نقله إلى الدعوة الثانية...». انظر صيغة العهد في المقريزي: خط ج 2 ص 232 ــ 234، والغزالي: فضائح الباطنية ص 27 ــ 29، وأربع رسائل إسماعيلية ص 69 ــ 79.

(1) في «أ» و «ب»: ونصبني...

(2) ب: ليقرأه.

فوقّع إليّ: يا نعمانُ، أنت مِن ذلك في حلّ وسَعة، فنِيَّتُك تنوب عنك، نفعَك الله
بها في العاجل * والآجر. *ب 137

كلام في مسايرة:

634 **285** ـ (قال) وسايرت الإمام المعزّ/ لدين الله (صلع) في بعض ما خرج
إليه فذكر ما ينسبه إلى الأئمّة مَن يتسمّى بوَلايتهم ويدّعي الدعوة إليهم فيما بعُدَ
589 ونأى عنهم من الباطل الذي برّأهُمُ الله (عج) منه ونزّههم عنه، وينحَلُونهم/ إيّاه
من الخروج عن حدّ مراتبهم التي أقامَهُمُ الله (تع) لها إلى ما يخرج عن ملّة
جدّهم (ص)، ويقطع عن دعوته التي نصبَهمُ اللّهُ (تع) لإحياءِ ما أمَات المبطلون
منها، وغَيَّرَهُ المُبْتَدِعُونَ من سُنَنِهَا، وجعلهم (عج) حفظة لها، فلعَن (صع) من
فعل ذلك منهم، وقال به، ونسبه إلى أئمّة الهدى (صع).

المعزّ يتبرّأ من بعض الأولياء الذين ينسبون إليه علم الغيب...

ثمّ قال: وأعجب ممّا ينتحله هؤلاء الفسقة ويعتقدونه من تبديل دين الله
635 والخروج عنه، وإضافة/ ما يذهبون إليه من ذلك[1] إلَيْنَا، أنّ بعضهم ربّما تجرّأ
علينَا بإظهار ذلك إلينا، ومراسلتنا ومكاتبتنا بما زخرفه من باطله وكُفره بالله
وبرسوله محمّد جدّنا (صلع)، وما بسطَه في قوله من تغيير شريعته وهدْم ملّته،
وابتداع بدعٍ يبتدعونها في دين الله من ذات أنفسهم وبما يتعلّقون به ممّا يأخذُونَه
من انتحال مِلَلِ أهلِ الكفرِ وزخاريفِ باطلهم، فيبسطونها في كتب يؤلّفونها
وينسِبون ذلك إلينا، حتّى إنّ بعضَهم كتب إلينا يذكُر أنّه أقام شريعةً وأكّدَهَا بحيل
تقبلُها العقول ولا يدفعُها مَن سمعها ولا ينفكّ عنها، وألّف لها كتاباً كالقرآن
636 لشريعة الإسلام/، وأنّ الناموس يغشاه لذلك بأن يقيمه لنا ويصلّيَ علينا في كتابه،
و [مثل] هذا من عجيب القول.

... وقيمون شعائر لا تمتّ إلى الإسلام

وكانت صلاته على نفسه أشبه بقولِهِ هذا القذر[2]، والله يعلم ما داخلني * *ب 138 و
من ذلك، من الغمّ والوحشة. وأكثر ما فزعت فيه وقدرت عليه، أن تبرّأت إلى الله

(1) في «أ» و «ب»: ما يذهبون من ذلك إليه إلينا.
(2) القراءة هنا تقريبية، ولعل المعنى هو: وكان الأولى أن يدعو إلى الصلاة على نفسه لا علينا، فيشبه فعله هذا قوله السابق في الضلال. فيكون ذلك منه أقل شناعة ممّا زخرفه فينا وما أحدثه في الإسلام.

(عج) من قوله، ولعنته، وهذا من حبائل الشيطان، وما يريد به الصدّ عنّا من سمع بأنّ مثلَه يضاف إلينا ونحن بَراءٌ، بحمد الله ونِعمته، منه، فيما بيننا وبين الله وبين أوليائنا[1] الآخذين عنّا حقيقةَ ما نحن عليه، العارفين بالمنازل التي أنزلَنا الله
637 (عج) بها من منازل أئمّة دينه الذين نصبهم لعباده، ولن يضرّنا ـ إن شاء/ الله ـ افتراءُ الظالمين المبطلين علينا وما ينسبونه من الباطل والبهتان إلينا. وإنّما يهلَك من أجلِ ذلك من انتحله وافتعله ومن صدّقه فيه وقبله منه ممّن[2] يزعم أنّه يتولاّنا أو من يتّخذه علينا حجّة ممّن عادانا.

فقلت: أعاذ الله أولياءه وبرّأهم من قول المبطلين الكاذبين عليهم القائلين فيهم بخلاف ما هم عليه. وأعجب ما سمعه عبدُ أمير المؤمنين عن هذا القائل قوله إنّه احتال بحيل توهّم بها أنّ الحقّ ما افتعله. فإذا كان قد أقرّ بأنّ[ـها] حِيَلٌ احتال بها فكيف يدّعي الحقَّ لها؟.

فقال (ص): أو ليس كذلك انتحال هذا الفاسق، ومن كان في مثل حاله
638 ممّن يقول بقوله، أنّ الذي/ أتى به النبيّون (ص) من البراهين والكتب والآيات
إنّما كان ذلك بحِيَل منهم احتالوها، وأمور أوهموا الناس بها؟ هذا اعتقاد كلّ من المعزّ يجدّد اللعنة
دفع نُبُوَّةَ النبيّين ـ صلوات الله عليهم أجمعين ـ الذين نزّههم الله وبرّأهم من قول هؤلاء الفاسقين. وهذا اللعين أحدهم، ومثله كثير، لمّا اعتقد مثلَ هذا، وزيّن له
138 ب* الشيطان ما زيّنه منه * لنفسه، وعلِم أنّه إن[3] ادّعى ذلك لمن يعرفُه، ونسبَه إلى نفسه، لم يُقْبَلْ منه، فأراد أن ينسب ذلك إلينا ليصلَ به إلى ما يريدُه من جَمْعِ حُطام الدنيا به، وأن يُوهِمَنَا أنّه أراد، بذلك، الدعاءَ إلينا وتعظيمَ أمرنا عند من
639 يدعوه ويستجيب له، وتوهّم أنّ ذلك/ يزكو له عندنا ونقبَلُه منه، فيستدعي الناس إلى حقّنا بالباطل الذي زيّنه وزخرفه بزعمه لنا، وما هو اعتقادُه الفاسدُ برأيه الضالّ المُضِلّ لَعنه الله وأمثالَه، وأمكنَنَا منهم ليطهّرَ الأرض من رِجسِهم ويقطَعَ عنّا شناعَتَهم بفضله.

(1) ب: أوليائه.
(2) ب: من.
(3) أ: واعلم أنه إن ادعى... ب: واعلم أنه ادعى...

كلام[1] في فضل قوّة النفس:

المعزّ يدعو جلساءَه إلى الاعتبار بجثّة أسدٍ...

286 ـ (قال) وسايرت الإمام المعزّ لدين الله (ص) يوماً في بعض ما خرج إليه، فذكر فضل النفس فقال: أُتيتُ منذ يومين بأسد ميتٍ، هائلِ الخلق، عظيم الجثّة، ضخم الأعضاء، فألقِيَ بين يديّ، وجعل من كان بالحضرة عندي يقلِّبُون أنيابَه ومخالبَه وينظرونَ إلى عظيم خَلقه وظاهرِ ما يدلُّ عليه من شدّته/ وقُوّتِه 640
ويتهوّلون ذلك ويستعظمونه. فقلت لبعضهم: هذا ظاهر ما كان يبطش به ويُخافُ له من بأسه وسَطوتِه، تقلّبونه بأيديكم الآن لا تخافونَه ولا تتّقون منه ولا تخشَوْن سطواتِه عليكم به. فهل ترون ذلك يُغني شيئاً أو يخاف منه أحدٌ إذ فارقَه ما كان مستجِناً فيه من النفْس التي بقوّتها كانت تفعل هذه الأدواتُ ما تفعلُه، وهي التي كانت تستعمِلُها فيما يُرْهَبُ ويُتَخَوَّفُ منه؟ هذا الجسد والخلق الهائل الذي أنتم اليوم تستكبرونه وتستعظمونه وتستهيلون منظره، هذا * هو لا[2] يغني شيئاً لمّا *ب139و
فارقَتْهُ القوّةُ التي كانت فيه كامنة مستجِنّة! ففيها/ فكّروا، وإيّاها فاستَهيلُوا 641
واستعظموا! وفي قدرة الله (عج) فيها وتدبيره إيّاها وإحكامه لها فتفكَّرُوا! واعتبروا ذلك حقّ الاعتبار، فهو ممّا إليه من هذا تنظرون، وإيّاه تتهوّلون وتستعظمون، أحقّ.

... فقدَ النفس المحرّكة لهيكله العظيم وأدواتِ بطشِه

فجاء (صلع) في هذا القول بأصل من البيان في النفس والبرهان، يطول فيه غَوْصُ الفكَر، وتنتُج منه الدلائل والعبَر، ويشهد بفضله ما بطَن على ما ظهَر، ويقوم حجّة ودليلاً لمن وفّق وهُدِيَ فأبصَر.

حديث في بواهر الأئمّة:

ما أنفقه القائم في حرب أبي يزيد...

287 ـ (قال) وذكر الإمام المعزّ لدين الله (ص) يوماً وأنا جالس بين يديه أمرَ الفتنة وما جرى فيها من المحنة. فذكر بعض من كان بين يديه ما أنفق فيها / القائم (عم) من الأموال بقول مجمل، يستكثرُ ذلك ويستعظمُه. فقال المعزّ 642
لدين الله (ص): أفلا أُخبِرُكُم عن جملة ما أَنْفَقَ فيها؟

---

(1) ب: كلام في مسايرة في...
(2) في النسختين: وهذا هو، عوض: ها هو، وهو تعبير شائع في الكتاب.

قلت: يخبر أمير المؤمنين بما أحبّه، فإنّا لنحبّ ذلك.

مـائـة ألـف دينار واثنا عشر مليون درهم قدّرها حتّى قـدرهـا فلـم يـزد عليهـا ولم يفضـل منها

قال (عم): أمر (عم) هذا ـ وأومأ بيده إلى خازن بيت مال القائم[1] وهو بين يديه ـ أن لا يُخْرِجَ من النفقة في ذلك إلاّ من ماله، وعزل له مائةَ ألف دينار واثنَيْ عشرَ ألفَ ألفِ درهم، وقال له: احذَر أن تُنْفِقَ في شيء من أمر هذه الفتنة شيئاً من/غير هذا المال، فإنّك إن أنفَقْتَ شيئاً من غيره ذهب ضياعاً ولا بدّ من أن يَنْفَدَ هذا المالُ في هذه النفقة[2] كلُّه.

643 فوالله ما زاد عليه ولا نقّص منه، ولا / كان إلاّ كفاف النفقة في ذلك حتّى انقضت الفتنة بفراغه.

ثمّ نظر إلى الخازن فقال: أليس كذلك كان الأمر؟

قال: نعم، كذلك كان أمرني القائم (عم)، وما أنفقت[3] غيره وما بقي منه

*ب139 درهم فما فوقه ولا * احتيج إلى غيره.

في الزهد في الدنيا:

بنـاءات المعـزّ: القنـوات وخـزّانـات المـاء والقصور...

288 ـ (قال) وذكر المعزّ لدين الله (صلع) يوماً بناء لبعض الأوّلين وما فيه من العجائب، فذكر بعضُ مَن حضر، بناء المعزّ (ص) وما هيّأهُ الله (عج) من بناء النهر المُعِزّيِّ، وإجرائِـهِ فـي القناة العجيبة المرصوصة بالحجَـر والجِيرة المبنيّةِ به العجيبة البناء مسيرةَ يوم، ثمّ بناءَ القصر الشامخ العظيم البنيان بالحجر

644 المنحوتِ المقطوعِ من الجبَل، على بعد مسافته/[4]، ولم يتهيّأ لأحد من ملوك

(1) «صاحب بيت ماله أبو الحسن بن علي الداعي» (ابن حماد: أخبار، 21).
(2) في عيون الأخبار، 323: في هذه الفتنة.
(3) ب: من غيره.
(4) النهر المعزي، والقناة المبنية والقصر الشامخ: إشارات إلى مبتنيات المعز بالمنصورية. وقد أشار إليها ابن حماد أيضاً فقال:
«وهو الذي بنى الإيوان بالمنصورية وبنى المعزّية بها، وبنى قناصر ـ ساق الماء ـ عليها» (ص 47 من أخبار ملوك بني عبيد).
ولعل «النهر المعزي» والقناة المرصوصة يعنيان الساقية التي تجلب الماء من الجبال البعيدة إلى البركة العظيمة التي بها سمّي القصر «دار البحر»، كما سمي في رقادة الأغلبية، ويسمى في قلعة بني حماد فيما بعد وسيذكر النعمان فيما يأتي (ص 515) «ساحة قصر =

الدنيا الذين ملكوا الموضع أن يضعوا فيه حجراً على حجر، وبناءَ الإيوان[1] العجيب الشامخ وجرَّ العمد الهائلة من مسيرة يوم إليه ورفْعَها، بعد أن أجمعَ الناس على أنّه لو اجتمع أهل الأرض ما استطاعوا عملَ ذلك منها.

المعزّ لم يرد بذلك إلاّ إظهار نعمة الله عليه

فحمد المعزّ (ص) الله على ما هيّأه له من ذلك، وجدّد شكره، ثمّ قال: والله ما أردنا بهذا علوّاً ولا افتخاراً، وإنّا لعلى بصيرة ويقين واستعداد لمفارقة
ذلك وتركه عمّا قليل كما ترك غيرُنا مثلَه، ولكن/ لمّا ملّكنا اللّهُ (عج) وأعطانا، 599
أظهَرْنا نعمته. ما للدنيا[2] وما فيها عندنا حظّ، ولو كان لها عندنا حظّ لما
بذلناها لهؤلاء، وأومأ بيده إلى ما بين يديه من الأموال وإلى الناس من أهل بدو 645
وحضر، وهم يمرُّون بين يَدَيه بمن يُطهَّر من أوْلادهم، ويعطي كلَّ من يمرّ منهم من صغير وكبير وشريف ومشروف[3].

الإعذار الجماعيّ سنة 351

= البحر بدل الماء». وقد نقلنا (ص 326 جـ 2) وصف الشاعر علي الإياديّ لهذا القصر.

ويظهر أن «دار البحر» إنما هي جزء من قصر واسع لعله هو «المعزية» التي ذكرها ابن حماد، ذلك ما يفهم من عبارة وردَت في سيرة الأستاذ جؤذر (ص 86): «... وأسكنه (المعز أسكن جوذرا) عنده في دار البحر داخل قصره المبارك...».

وهذا وأن الحفريات بالمنصورية قد لا تسمح بضبط جميع المعالم الفاطمية على حقيقتها.

(1) نقلنا في التنبيه السابع كلام ابن حماد عن الإيوان، وقد اعتمد G. Marçais على هذا الاسم الفارسي، وكذلك على اسم «الخورنق» وهو قصر آخر للمعز بالمنصورية، فتحدث عن تأثير الفن المعماري الإيراني في المعالم الفاطمية. (المرجع المذكور ص 119).

(2) ب: وما للدنيا.

(3) الطهور أو الختان أو الاعذار: لعل هذا الحديث جرى في اليوم الذي أمر فيه المعز بـ «إعذار الأمراء بنيه: عبد الله، ونزار وعقيل» وكان ذلك سنة 351 في مستهل ربيع الأول، وعمم الختان إلى كافة صبيان مملكته «فأمر ولاته وعماله من لدن برقة إلى أقصى سجلماسة، وما بين ذلك إلى جزيرة صقلية وما والاها، في حضر وبدو، وبحر وبر، وسهل وجبل، بطهور من وجد من أولاد سائر الخلق، حرّهم وعبدهم، وأبيضهم وأسودهم، ودنيئهم وشريفهم، وملّيهم وذميّهم (هكذا)، لمدة شهر، وتوعّد على ترك ذلك، وأمرهم بالقيام بجميع نفقاتهم من مطعم وملبس ومشرب وطيب...» (المقريزي، اتعاظ... / 135).

وسيذكر النعمان هذا الحدث بالتفصيل فيما يأتي من هذا الجزء (ص 516).

في ذكر النصر:

289 ـ (قال) وانتهى إلى المعزّ لدين الله (ص) أنّ بعض البربر في الأطراف قطعوا على أهل رفقة قدمت من جهة المغرب فانتَهَبُوا ما معهم، فأخرج (ص) إليهم عبداً من عبيده، وأخرج معه خيلاً منهم، وظنّوا وظنّ كلّ مَن رآهم أنّ
*ب140و بعضهم يستولي على أمثالهم فخرجوا مستخفين بهم يتبادرون إليهم، وقطعوا *
646 مسيرة عشَرة أيّام في يومين وبعض يوم حتّى إنّ أكثر (هم) انقطعت / خيلهم، ووقف كثير منها مبادرة منهم إليهم لئلاّ يفوتوهم، وظنّوا أنّهم قادرون عليهم. واتّصل الخبر بالبربر فأدبروا هاربين بين أيديهم، وأدركوهم فحملوا عليهم حملةَ رجل واحد مستخفّين بهم، فاحتوَوا على بيوتهم، وقتلوا جماعةً منهم، ومالوا إلى الغنائم والأموال، فمال البربر عليهم، وقد افترقوا، فنالوا منهم وهزموهم، وحال الليل فيما بينهم، وذهب البربر فدخلوا في الرمال وفاتوهم، وانصرف البعث.

جيش فاطميّ هزمه الثوّار البربر لأنّه وثق بعدده وعدّته

فقال المعزّ (ص) عند انصرافهم: نال هؤلاء ما نال أصحابَ رسول الله (صلع) يوم حُنَين كما حكى الله (عج) بقوله: ﴿وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ
647 كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئاً، وَضَاقَتْ / عَلَيْكُمُ الأرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ﴾[1]. والله ما وثِقَ قوم بأنفسهم قطّ إلاّ وَكَّلَهُمْ الله إليها، ولا استهانوا بعدوّهم إلاّ غلب عليهم. ولا توكّل قوم على الله قلُّوا أو كثُروا وأخلَصوا نيّاتهم له وأيقنوا أن لا حولَ ولا قوّة إلاّ به، إلاّ أيَّدَهُمُ اللَّهُ بنصره، وذلك قوله لا شريك له حكاية عن طالوت وأصحابه في قوله: ﴿وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْراً وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الظَالمِينَ﴾[2] وقوله وهو أصدق القائلين: ﴿كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَابِرِينَ﴾[3].

ثمّ قال المعزّ لدين الله (ص): قد جاءتنا الفتنة ونحن في سبعين ألفَ

(1) التوبة، 25. وحنين واد بين مكة والطائف، حارب فيه الرسول (ص) في اثني عشر ألفاً، وقال بعض الصحابة إعجاباً بهذه الكثرة: لن نغلب اليوم من قلة. فغلبوا وبقي الرسول (ص) في جمع قليل (انظر تفسير البيضاوي 2/280).

(2) البقرة، 250.

(3) البقرة، 249.

/ مقاتل أو يزيدون فاستخفّوا بالعدوّ، فما زال يصيب منهم ويُنقِصُ من عددهم 648
حتّى هلك الجبّارون منه والمُخَالِفون والواثِقُون بأنفسهم، حتّى إذا لم يبق منّا إلاّ
سبعمائة رجل[1]، والعدوّ في مَا لا يحصى * عددُه، أظهَرَنا اللّهُ عليهم، وأظفَرَنا *ب140
بهم، ومكّننا من رُمّة[2] رئيسهم، وفرَّقَ جَمْعَهُمْ، وقتلهم بأيدينا وأيدي أوليائنا
الذين أخلَصُوا لله وتوكّلوا عليه، وأيقنوا أن لا حولَ ولا قوّة إلاّ به، وعلِموا
ضُعفَهم وقلّةَ عددهم، وأهلك عدوّنا لما بطَروا وأشِروا وأعجبتهم أنفسهم ممّا
نالوا. وهذه سُنّةُ الله في الأوّلين والآخِرين.

الاستخفاف بالعدوّ يجرّ الخيبة والهزيمة

ثمّ أومأ بيَده إلى رجل من أوليائه قد كان خرج في / بعث فأصابته نكبة 649
فقال: والله لقد قال لي هذا وقد توجّه إلى الموضع الذي كان فوّض إليه لمّا رأى
ما معه من الجمع والعدة: والله لو أمر[تـ]ـني أن أخرُقَ بهؤلاء إلى أطراف
الأرض لخرقت.

(قال) قلت له في الوقت: لا تقل مثل هذا ولا يدخلك العُجْب بنفسك
وبمن معك، وتوكّل على الله، وثِق به وبنصره.

فناله ما قد ناله. ولا أظنّ ذلك إلاّ لإعجابه بمن كان معه وما تهيّأ له من
القوّة، وإن كان بعد ذلك قد زكا عمله، وفتح الله على يديه وأظفره، لما عوّدَنا من
فضله.

وكذلك هؤلاء البربر الأنذال: قد كنّا أمرنا من يخاطِبُهم في ردّ ما استَلَبُوه
لأهل هذه الرّفقة، فامتنعوا / من ذلك. فلمّا وقع بهم ما وقع، وإن أفلتوا، فقد 650
قتل منهم بشر كثير، وشُرّدوا إلى موضع لا يقيمون به إلاّ هلكوا خصاصة،
فأرسلوا إلينا يتضرّعون ويسألون الأمانَ على أن يردُّوا ما أخذوه لأهل الرّفقة
ويأتونا بمال بذلوه لِنُؤَمِّنَهُمْ على أنْفُسِهِم.

وهذه عادة الله الجميلة عندنا فيمن عَنِدَ أمرَنا. ومن بطر من أوليائنا وجندنا
وأعجَبَتْه نفسه، أدّبه الله بمثل ما أدّب به مَن ذكرناه منهم من غير وهن يدخل علينا

سوء عاقبة الإعجاب بالنفس

---

(1) كان الجيش الفاطمي يعد سبعين ألف مقاتل حين اندلعت ثورة أبي يزيد، فنقص إلى سبعمائة رجل: هذا التقدير من المعز لم يذكر عند المؤرخين، فيما نعلم.
(2) الرمّة: القطعة من الحبلِ يُشدّ به هُنا الأسيرُ.

*ب141و ولانقص يُنْسَبُ إلينا. وذلك بما عوَّدَنا الله * جلّ وعزّ من فضله وإحسانه وطَوْله وامتنانه، فله الحمد لا شريك له.

651 رؤيا رآها المنصور (صلع) / :

290 ــ (قال) وذكر المعزّ لدين الله ـ صلوات الله عليه ـ المنصور، قدّس الله روحه وصلّى عليه، وما قام به من أمر الفتنة حتّى جلاّها الله على يديه، وما ناله من ذلك في طلب مخلد اللّعين في فيافي الصّحاري وقرون الجبال حتّى أقدره الله (عج) عليه، وما أحدث ذلك عليه من العلل.

المنصور يعتلُّ بتاهرت حتى يئس من الحياة...

فقال (عم): لقد أخبرني (صع) بعد انصرافه أنّه لمّا اعتلّ بتاهرت العلّة التي أشفَى منها على الموت، اشتدّ يوماً به الوضع، ويئس من نفسه. (قال): فذكرت ما يجب لله (عج) عليّ من تسليم الأمر إليك والوصيّة بذلك، وما يجب أن أوصي

652 به، فأرسلت في طلب فلان وفلان ـ وذكر جماعة من وجوه أوليائه ـ / لأذكر ذلك مِن عهدي إليهم فيك. (قال) فبعد أن مضى الرسول نِمْتُ وما كنتُ أنام قبل ذلك،

... فيرى في منامه من يبشّره بالنصر القريب مع العافية

فرأيت رجلاً وقف عليّ فقال: ما الذي أردتَ أن تقول لهؤلاء القوم الذين أمرت بإحضارهم إليك؟

قلت: أردت أن أشهِدَهم على عهدي ووصيّتي.

قال لي: ولِمَ ذلك؟

فقلت: لما أنا فيه من العلّة وقد يئست من نفسي.

فقال: أفظننتَ أنّ الله يقطَع [بك][1] عن أملك وقد قمت له وبذلت من نفسك في طاعته ما بذلته؟ كلاّ والله لا ينالك شيء ممّا تخوّفتَه حتّى يجمعَ الله لك شملَكَ ويُبلغَك، فيما تحبّه، أملك من هذا الأمر. فطب نفساً وقرّ عينا ولا تخَفْ.

653 (قال) / ثمّ انتبهت والرسول قائم، فقال: قد حضر القوم.

قلت: أدخلهم! فأدخلهم إليّ فعرّفتُهم ما بعثتُ فيه إليهم وما رأيته وأنا من العلّة والضعف فيما لا يَطْمَعُ لي بالحياة فيه مَن / رآني. فوالله ما أمسيت يومئذ إلاّ

(1) زيادة من عيون الأخبار، 465.

مُفِيقاً معافًى، وعادت القوّة * في أيّام قلائل باتّصال الصحّة، فانصرفت بعد بلوغ *ب 141
الأمل ونيل البغية والظفر.

ذكر طهور ولد المعزّ لدين الله (ص):

291 ــ (قال) ولمّا أراد الإمام المعزّ لدين الله (صلع) أن يطهّر عبد الله ونزاراً وعقيلاً بَنِيهِ تقدّم إلى خاصّته وأوليائه وسائر جنده وعبيده وجميع رجاله وكافّة مَن بالحضرة من سائر التّجار والصنّاع وعامّة الرعيّة بالمنصورية / والقيروان، وجميع أهل مدن إفريقيّة وكورها من حاضر وباد، وأمر بالكتب إلى 654
العمّال من لدن برقة وأعمالها إلى سجلماسة وحدودها وما بين ذلك وما حوته مملكته وإلى جزيرة صقليّة ومن بها من طبقات الناس في حضر وبدو، أن يتقدّموا في طهور أبنائهم يوم الثلاثاء أوّل يوم من شهر ربيع الأوّل من سنة إحدى وخمسين وثلاثمائة[1] إلى انقضاء هذا الشهر، وأمر أن يحمل إلى كلّ بلد من هذه البلدان من الحضرة أموال وخلع تُفرّق على كلّ من طهّر من أبناء المسلمين من خاصٍّ وعامّ.

المعزّ يختن أبناءه عبد الله ونزاراً وعقيلاً...

فكان الذي رأيناه حمل إلى صقلّية من المال خمسين حِمْلاً[2] سوى الخلع / ، 655
ومثل ذلك ونحوه إلى كلّ عامل ليفرّقه على أهل عمله. وتقدّم (صلع) في طهور ولده يوم الثلاثاء هذا المذكور، وجلس بنفسه الزكيّة لطهور سائر أهل الحضرة ومن يليها من البوادي، وأمر بضرب سرادقات بساحة قصر البحر حول الماء وبإدخال الصبيان مع من أراد الدخول معهم من آبائهم وأمّهاتهم وعبيدهم وخدمهم، ومن أرادوا أن يطهّروه من عبيدهم. واعتزم على أن يصل الطهور أيّام
هذا الشهر كله *. وذاع في الناس أنّه أمر (صلع) أنَّ من لم يطهّر ولداً يكون عنده *ب 142و
في هذا الطهور ثمّ يطهّره[3] بعد ذلك لمدّة سبع سنين فقد أَنِفَ عن / فضله، 656
وخالف أمره فسارع الناس بأبنائهم وعبيدهم عن كافّتهم. واتّصل به ما أشيع من

(1) يوافق يوم (الأربعاء؟) 9 افريل 962.

(2) ذكر المقريزي (اتعاظ الحنفاء ص 136) إن الخمسين حملاً كانت من الدنانير، وأن كل حمل عشرة آلاف دينار.

(3) في أ: ثم لم يطهره...

ذلك، فقال: لقد أحسن من أشاع[1] هذا، وما يتخلّف عنّا في ذلك مَن يحبّ أيّامنا.

ويأمر بأن يختن جميع الصبيان في كامل مملكته...

وكان يجلس (صلع) من وقت الغداة، فلا يزال جالساً وهم يطهّرون ويمرّون بين يديه فيُكْسَوْن، ويوصَلُون لا يخيّب من ذلك منهم شريف ولا مشروف، ولا حرّ ولا عبد، [ولا] قريب ولا بعيد، [ولا] حاضر [ولا] باد. والختّانون في السُّرادقات على الكراسي وبين أيديهم المنابر لجلوس الصبيان، والقوم يمسكونهم في حجورهم ويذرون الذرارات المُمْسِكَ للدّم على ختاناتهم،
657 ويقفون بالبخور وماء/ الورد على رؤوسهم، ويرشّونهم على وجوههم لما يعتريهم من الرَّوْع، والسِّنْدُ بأصناف الملاعب قيامٌ عليهم يُلْهُونَهم ويصحَبُون من طُهِّر منهم يزفّون به إلى منزله[2].

وكان الذي أعطاه الخاصّة من الخلَع والصلات على أقدارهم ما يتفاوت ويطول ذكره. وكان الذي أعطاه العامَّةَ من الصلة غير الكسوة: لكلّ صبيّ منهم مائتا درهم إلى مائة وخمسين. وأقلّ ما أعْطِيَ المجهولون من أهل البوادي ونظرائهم وعبيدهم: كلّ صبيّ منهم عشرة دراهم. وكان يطهّر في كل يوم من أيّام هذا الشهر منهم من عشرة آلاف صبيّ إلى خمسة آلاف[3] أقلّ ذلك. وأكثر
658 الناس الخوض / والحديث في ذلك، وتعاظموه، وأجمعوا في ابتداء الأمر أنّ
*142ب ذلك لا يتمّ وأنّ * الأموال لا تنهض به، وذكروا لكثرة ما[4] رأوه من الخلائق أنّ ذلك لو وصل حولاً لما انقطع الناس ولا أتى على آخرهم فيه.

... فيستعظم الناس العدد والنفقة مع قصر المدّة...

وكنت ممّن تعاظم ذلك وتداخلَهُ الإشفاقُ منه، وعرّضت يوماً بذكر ذلك، فقال لي: يا نعمان، طب نفساً، فقد عزلنا لهذا ما لا نرى أنّنا نأتي على نفَقَتِه

(1) في الأصل: من شيّع، والإصلاح من العيون، 638.
(2) السند: لعلهم جماعة من الغز أو العجر يقومون بالألعاب البهلوانية وما شابهها من أمور الترفيه.
(3) يقول المقريزي: «فكان المعز يطهر في اليوم من أيام الشهر بحضرته اثني عشر ألف صبي وفوقها ودونها، وختن من أهل صقلية وحدها خمسة عشر ألف صبي» (اتعاظ الحنفاء ص 136)، وهذه الأرقام تبدو خياليّة.
(4) في النسختين: وذكروا الكثرة بما...

فيه بأسره. واللّهِ ما هو من شيء كنّا نُلقي له بالا ولا وجدنا لإخْرَاجِه نقصاً ولا خللاً، وما [هو ممّا] كنّا نلتفت إليه[1] من ذخائرنا ولا من ذخائر الآباء (صلع)، 659 وما هو إلاّ شيء كان لا يُلتَفَتُ إليه، وكثير ممّن تقدَّمنا / من ملوك الدنيا أنفق مثلَ هذا وأضعافَه في معاني الله (عج)، وفيما تبقَى شناعته عليه. وهذا شيء أردنا به وجهَ الله (عج) وإقامةَ فرضه وإحيَاءَ سنّة جدّنا رسوله (صلع) ومِلّة خليله إبراهيم (ص)، ما أردنا بذلك إلاّ الله (عج) والقربةَ بذلك إليه، وما من هؤلاء من يريد بذلك التحبّبَ إليه ولا التزيُّنَ بذلك عنده. وقد عزلنا لذلك مالاً لا بدّ لنا من إنفادِه فيه، ووقّتنا له وقتاً لا بدَّ لنا إنْ عِشنا أن نبلُغَ بِهِ إليه - يريد مدّة هذا الشهر الذي وقّته لذلك (صلع) -.

وكان من صنع الله (عج) له أنّه لمّا كان يوم الأربعاء[2] سلخُ ربيع الأوّل 660 هذا، انقضى جميعُ مَن كان بالحضرة ومن حضر إليه من / البوادي، واجتمع ذلك اليومَ من الصبيان زُهاء اثنَيْ عشر ألفاً[3] فطهّروا عن آخرهم، وتلاحق من غد بقايا من بقِيَ من نحو ثلاثمائة، فرآهم المعزّ لدين الله (ص) من منظر كان له، وَقَدْ اجتمعوا بباب القصر، فأمر بتطهِرهم. فانقضى جميع الناس عن آخرهم في الوقت الذي وقّته والحدّ الذي حدّه، حتى إنّهم لَوْ حُسِبوا وقُسّموا على تلك الأيّام لما اتّفق أن يكونَ ما هيّأه الله (عج) من فرَاغهم عن * آخرهم في الوقت الذي وقّته لهم. *ب143و

وجرى على ذلك جميع أهل الكور والبلدان بكلّ وجه، وأخْرَجَ في ذلك من الأموال والخِلَع والنفقاتِ ما لا يُحصِيه إلاَّ مَن وقف عليه. وكانت أيّامُ هذا 661 / الشهر أيّامَ أعيادٍ ومسرّاتٍ وأفراحٍ وهِباتٍ بكلّ وجه وجهة من مملكة أمير المؤمنين (ص) من بدو وحضر، وعمَّهُمْ فضلُه[4]، وتبيّن عليهم أثَرُه، وارتفق به أغنياؤُهم، وانتَعَشَ له فُقَرَاؤُهم، ودخلت المسرّة على أهل كلّ بيْتٍ منهم. وكان أثراً جميلاً لم يسبُقْه إليه (صع) أحدٌ قبلَه، ولا ظنّ أحدٌ أن أحـداً يتّسع له مثله.

... ولكنّ الأمر يتمّ على حسب ما قدّره المعزّ

(1) ب: وهو مما كنت نلتفت إليه.
(2) أو الخميس 8 ماي 962.
(3) كأنّ المقريزي نقل عبارة القاضي النعمان، بتصرف.
(4) ب: من فضله.

والحمد لله على ما أولى وليّه وأنعَمَ به عليه.

كلام في عطيّات وصلات:

292 ــ (قال) ولما انقضى أمر هذا الطّهور الذي تقدّم خبره في المجلس
الذي تقدّم قبل هذا، وافق ذلك قدُومُ رسلِ بعض دعاة نواحي المشرق بأموال
662 قدِموا بها من أعمال المؤمنين، وطرائف / وتُحَف. فجلس المعزّ (ص) يوم
الخميس أوّلَ يوم من شهر ربيع الآخر[1] بعقِب هذا الطهور، وأمر بإدخال خاصّة
المعزّ يتقبّل التهاني بعد الختان الجماعيّ... أوليائه من كتامة وغيرهم. فقرأ كتب دعاته بماهم عليه من صلاحِ الأحوال
واستقامة الأمور وظهور الكلِمَة وانبساط الدعوة. فحمد الله على ذلك من حضره،
ودعَوْا بما أمكن، ثمّ ذكروا ما كان من فضل أمير المؤمنين على عامّة الناس،
وما انتشر من الثّناء عليه في ذلك والدعاء له على ألسن العامّة والمخالفين
والمؤالفين، وما ظهر من فضله على الفقراء والمساكين. إذ كان أحدهم يأتي
663 بالثلاثة والأربعة وأكثر [من] ذلك من ولده، فيأخذُ لكلّ واحد منهم صلةً / لعلّه
لم يرَ في يده قطّ مثلَها.

*ب 143 فقال المعزّ لدين الله (صلع): والله لقد ساءني مَن رأيتُه يمرّ * بـي من أهل
... ويتألّم لفقر بعض رعيّته... الفقر والمسكنة، وإن كانوا قليلاً في كثير، لأنّهم رعيّتُنا وممَّن نُحبّ أن يكونوا
أغنياءَ تظهر[2] نِعمةُ الله (عج) عليهم بنا، إذ قد جرى مثل هذا.

وقد حضر عامّة أوليائنا ومن قد نستعمله على رعايانا، ونتوخّى فيه من
الخير ما نظنّ به أنّه يمتثل فهيم أمرَنا، فيوفّي بحسن سيرته فيهم أموالَ
أغنيائهم، يُنعِش بذلك فقراءهم، كما يجب أن يجريَ ذلك فيهم[3]، ويمتثل الحقّ
في صغيرهم وكبيرهم، ويعمل بأمرنا فيهم. فرحم الله من فعل ذلك وامتثل، ولا
664 يرحم من تعدّاه وتجاوزه ولا غفر له وحرمه / شفاعتنا عنده. فَوَاللّه ما آلَوْنا في
توقيف مَنْ نستعمِلهُ على ما نريده ونحبّه من العدل والإنصاف وحُسنِ السيرة في
الرعيّة والرّفق بها والإحسان إليها. فأنا بريء إلى الله ممّن خالفَ أمري فيهم ولم

(1) من سنة 351/9 ماي 962.
(2) أ: يظهر. ب: ليظهروا.
(3) سقط من ب. أموال أغنيائهم... ذلك فيهم.

يمثلِه في جميعهم. والله ما فوقَ مَحَلِّكم عندي محلّ، وما أحد من ولدي بأحبَّ ... فيدعو
إليّ منكم، إلاّ من جعل الله له الخيبةَ فيهم منهم[1] وإنّ ذلك ممّا يُوجِبُه ما جرى أصحابه إلى الرفق
لكم معنا من صحبة الأجداد للأجداد وصحبة الآباء للآباء والأبناء للأبناء. بهم...

وأنتم خاصّتنا وبطانتنا وأحبّ الخلق إلينا لو أَعَنْتُمونا بسمع وطاعة وامتثال أمرٍ، وإن كنّا لا نشكّ في حسن اعتقادكم لوَلايتنا وصفو نيّاتكم لنا، ولكنّ الدنيا ربّما / استمالَتْ كثيراً منكم بحُطامها، والحميّةُ والهَوَى ربما مال بكثير منكم عن 665
أمرنا، لا سيما ما يعتَري بعضَكم لبعض من الحسَد والمنافسة حتّى يصيروا[2] في ... ويحذرهم
مواضعكم إلى الحروب والقتلِ وهتكِ الحريم، وذلك، وإن يَشْفَى به بعضُكم من من الشقاق
بعض، فإنّه مما يغمُّنا ويُنكينا فيكم. وكان الواجب عليكم أن تَدعُوا ما تحبّونه من والتطاحن...
شفاء غيظكم وبلوغ شهواتكم لما نُحبّه من حَقْن دمائكم وصلاح أموركم وبقاءِ * *ب 144و
نعمة الله عليكم، ثمّ تضعونه من أنفسكم لمن لم يجعل عليكم حكماً، ومن أنتم أفضل منه ممّن يدّعي أنّه يستعطفُنا عليكم، ويستدرُّ إحسانَنا إليكم، ويتقرّب بذلك إليكم، ويمنّ / به عليكم ويستطيل. 666

والواجب عليكم وعلى جميع من ائتَمَّ بنا وعرَفَ فضلنا أن يكون نظرُه ... ويدعوهم
واعتمادُه على أمرنا. فمن قدّمنا عليه وأمرْنَاهُ باتّباعه وطاعتِه وضَعَ له خَدَّه تسليماً إلى الإئتمام به دون
لأمرنا وطاعةً لنا، ومن لم نرفَعْه ولم نقدّمْه عليه لم يلتفت إليه[3]، ولم يوجب له غيره والاعتراف
ما لم نُوجِبْه، ولم يتّخذْ دوننا وَلاَئِجَ. فوالله ما أحوَجْناكم إلى أحد، ولا يعلّق بفضله...
منكم أحدٌ عليّ بأنّي أحوجتُه إلى أحد غيري، ويرى أنّه ينفعه أو يضرّه عندي حتّى يتحمّلَ له ما كان يتحمّلُه كثير منكم لمن غضِبَ الله عليه ولعنه ـ يعني به
اللعين قيصر[4] ـ فيروح ويغدو إليه قبل الرواح والغدوّ إلينا، فكان ذلك / هو 667
الفرض عليه، ونحن النافلةُ عنده، وما وصل إليه من فضلنا رأى أنّه إنّما وصل إليه به، وما عسى أن يعطيَه دونَنا، خيانةً وسُحْتاً، يملكه به ويعظم له في صدره ويتّسع فضلُنا عليه. والله لدرْهَمٌ نُعطيه أحدَكم فيأخذه منّا بشكرٍ لأعظمُ فضلاً وبركةً

---

(1) هكذا في النسختين، ولم نتبين القصد من الخيبة.

(2) ب: حتى يعدوا.

(3) سقط من ب: لأمرنا... لم يلتفت إليه.

(4) قيصر الفتي: قد مر ذكره في ص 436.

وأزكى عند الله من الدنيا بما فيها من غير وجهِها، مع ما في ذلك من سرور الأنفس وكرَمِ الأخلاق.

وقد اتّصل بنا من بعض مشايخنا المستجيبين لدعاتنا أنّه كان يجرَى عليه من قِبَل داعيه فضل يصل إليه من قبله وأنّ بعضهم لقيَه يوماً فذكر له أنّه عرّض
668 بذكره عند ذلك الداعي فأمر له بشيء / كان يُجريه عليه، فقال: وقد بلغتُ مبلغاً لا أُذْكَرُ فيه حتّى تذكُرَني أنت؟ لا أبقاني الله إلى يوم أكونُ منسياً فيه عند من أرجوه إلى أن يذكرني غيري.

... ويدعو أولياءه من كتامة إلى الوفاق والوئام...

*ب 144 فهكذا أريد أن * تكون أنفسكم وهِمَمِكُمْ بقدر مكانكم منّي ومحلّكم لديّ، إنّي أحبّ أن أباهيَ وأكاثرَ بكم في الدنيا والآخرة كما قال جدّنا رسول الله (صلع) لمن كان في عصره: إنّي مكاثرٌ بكم الأمم يوم القيامة[1]، وقد قال الله (تع): ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَٰؤُلَاءِ شَهِيداً﴾[2]، وقال: ﴿يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ﴾[3]. فبـي والله تُدْعَون وأنا الشهيد عليكم، وما
669 أحسِب أن يأتيَ أمثالي بقوم / صالحين وآتي أنا بقوم لا خيرَ فيهم.

فسكت القوم ورأيت أنّ ذلك قد خفض منهم. فقلت: قد وعظ أمير المؤمنين (ص)عبيدَه وأبلغ في الموعظة، ونبّههم وتفضّل عليهم، ونسأل الله أن لا يُخلِينَا من تنبيه وليّه، وأن لا يجعَلَنا ممّن يُعرضُ عنه ويُسْلِمُه لاختياره.

... ويحذّرهم مغبّة الشقاق والتمرّد...

فقال (ص): إنّهم لو لم يكونوا عندي بمحلّ مَن نحبُّ صلاحَه ونشتهي رُشْدَه لم أقُلْ لهم مثلَ ما قلتُ. ولولا ما أخشاه عليهم لعزفتُهم مكانَهم عندي وكيف محلُّهم من قلبـي. ولو أشار لعاقبتُ المذنِبَ عقوبةَ مثله، ولقتلتُ من
670 يجب في صلاح الدولة قتلُه، وأبقيتُ من يُنْتَفَع فيها به، ولكنّني حملتُ / الأمرَ على ما أوجبه الزمان لي وجرت به عادةُ الله الجميلةُ عندي. إنّ الله (عج) يقول: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾[4]. فهذه من نعم الله عندي: فقد خوّلني ومكّنني

---

(1) الحديث: انظر ص 345 جـ 3.
(2) النساء، 41.
(3) الإسراء، 71.
(4) الضحى، 11.

وأعطاني وأقدَرني وبلَّغَني فوق أملي وفوق ما بلغ به مَن سبقني. ولقد سبق من آبائكم مع الآباء وأجدادكم مع الأجداد مَن يقول الناسُ إنّهم بِسَبْقِهم أفضلُ منكم. وما أقول أنا إلاّ أنّكم أفضلُ ممّن تقدّمَكُمْ بما فضّلكم الله به في أيّامي ورَحمتي وحياتي *، وإن كان مَن تقدّم من الآباء (صلع) لم يألوا[1] إحسَاناً وفضلاً لمن كان في عصرهم، وإن كان ما كان منهم إليهم من التأدّب / لما فيه صلاح جميعهم. فلكلّ زمان رجال، وَلَيَهْلَكَنَّ بسيرتي اليومَ غداً خَلْقٌ كثير ممّن يظنُّ أنّ الأمرَ لا يعدو ما أنا اليوم عليه. فاعرفوا قدْرَ ما منَّ اللّهُ عليكم به، واشكروه بزِدْكُم من فضله. *ب145و 671 ... ونكران الجميل

فقال بعض من حضر: وكيف لنا بشكر ما أولاه أميرُ المؤمنين؟

فقال: إنّ الذي أولى الله عبادَه أجلُّ وأعظم، وقد أخبر (عج) أنّ مِن عباده من قد شكره، إذ قد شكروا بما قدروا عليه. فأخلِصوا نيّاتِكم له وما يريد منكم إلاّ الإخلاص.

فقبّلوا الأرضَ مراراً بين يديه، وشكروا بما قدروا عليه، وانصرفوا، فخلع يومئذ على جميع مَن حضر المجلس خِلعاً رفيعة. وكان يوم سرور خَتَمَ / أيّامَ 672
الطّهور التي قدّمنا ذكر السرور فيها، وما علم الناسُ من فضل وليّ الله بها، صلوات الله عليه وعلى الأئمّة الطاهرين من سلفه والصفوة المهديّين من خَلَفِه وسلّم كثيراً.

س: تمّ كـ المجالس والمسايرات في 7 محرم 1307؟ محمل علي بن ملاّ؟

---

(1) في النسختين: لم ينالوا.

وقع الفراغ[1] من زبر هذا الجلد الثاني من كتاب المجالس والمسايرات صباح الثلاثاء الرابع عشر من شهر ربيع الأوّل من سنة 1351 المطابق للتاريخ السادس عشر من أكَست من سنة 1932م كتبه الأقلّ الراجي رحمة ربّه العليّ شيخ آدم ابن الشيخ الماجد محمد علي الكجراتي وطنا، السورتي مسكنا ثبّته الله (تع) على طاعته وعلى طاعة جميع حدوده، العلويّين والسفليّين، الروحانيّين والجسمانيّين بحقّ سيّدنا محمد وآله الطاهرين أمين يا ربّ العالمين.

نقلته من النسخة التي عبارة آخرها هذه: تمّ كتاب المجالس والمسايرات والحمد لله وصلّى الله على محمد وآله وسلّم تسليماً، في اليوم التاسع والعشرين من شهر صفر المظفّر من اثنين وثلاثين وثلاث مائة وألف سنة 1332 28 ديسمبر 1913 من هجرة رسول الله (صلعم)، كتبه أحقر الأحقرين محمد علي ابن ملاّ سلطان علي في بلد برهانبور المسمّى بدار السرور غفر الله ذنوبهما.

* * *

(1) هذا من نسخة «أ». وفي «ب»، كتب في الطرة اليسرى من الورقة 145، بخط مائل مغاير، عبارة: كاتبه... ملا داود بن أيوب... المدفون في... مندرة في 1415/1897.
فإذا قارنا بين التواريخ الواردة في آخر «أ» و «ب»، استنتجنا أن «ب» المنقولة سنة 1315 أقدم من «أ» المنقولة سنة 1351/1932 عن أصل يرجع تاريخه إلى 1332/1913.

الفهارس العامة

1 ـ القرآن
2 ـ الحديث
3 ـ الأمثال
4 ـ القوافي
5 ـ الأعلام
6 ـ الأماكن
7 ـ المفاهيم
8 ـ الكتب
9 ـ اللغة
10 ـ المراجع العربية والأجنبية

1 ـ فهرس القرآن

الآيـة	رقمها من السورة	الصفحة
﴿أإلاَهٌ مَعَ الله؟﴾	النمل، 62	134
﴿آمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أنْ آذَنَ لَكُمْ﴾	طه، 71	149
﴿اخْرُجْ مِنْهَا مَذْؤُوماً مَدْحُوراً﴾	الأعراف، 18	131
﴿إذَا أخَذَ القُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ، إنَّ أخْذَهُ أليمٌ شَدِيدٌ﴾	هود، 102	431
﴿(فَ) اذْهَبْ أنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلاَ، إنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ﴾	المائدة، 24	312
﴿اسْلُكْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ . . . فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ مِنْ رَبِّكَ﴾	القصص، 32	134
﴿أشِدَّاءُ عَلَى الكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾	الفتح، 29	70
﴿أضَاعُوا الصَّلاَةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ﴾	مريم، 59	384
﴿أطِيعُوا اللَّهَ وَأطِيعُوا الرَّسُولَ وَأولِي الأمْرِ مِنْكُم﴾	النساء، 59	169، 383
﴿أفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ العَذَابِ، أفَأنْتَ تُنْقِذُ مَنْ فِي النَّارِ؟﴾	الزمر، 19	251
﴿ألاَ إنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ المُفْلِحُونَ﴾	المجادلة، 22	444
﴿ألاَ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾	هود، 18	106، 162
﴿إلاَّ حَاجَةً فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَاهَا﴾	يوسف، 68	151، 438
﴿إلاَّ الَّذِينَ تَابُوا مِنْ قَبْلِ أنْ تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ، فَاعْلَمُوا أنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾	المائدة، 34	231
﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الأنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾	الزمر، 42	147

الآيـــة	رقمها من السورة	الصفحة
﴿الم، ذَلِكَ الكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ﴾	البقرة، 1 ـ 2	347
﴿أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ حَتَّى زُرْتُم المَقَابِرَ﴾	التكاثر، 1	164
﴿أَمِ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً، قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ﴾	الأنبياء، 24	134
﴿إِنْ أَتَّبِعُ إِلاَّ مَا يُوحَى إِلَيَّ مِنْ رَبِّـي﴾	الأحقاف، 9	378
﴿إِنْ أَحْسَنْتُمْ، أَحْسَنْتُمْ لأَنْفُسِكُمْ﴾	الإسراء، 7	48
﴿انظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾	الإسراء، 21	67
﴿(إِنْ هَؤُلاَءِ) إِلاَّ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلاً﴾	الفرقان، 44	261
﴿إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِـيُّ﴾	آل عمران، 68	381
﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾	الرّعد، 3	301
﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾	ق، 37	210،140
﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ﴾	البقرة، 7	350
﴿إِنَّ اللَّهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حتّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِم﴾	الرّعد، 11	180
﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلاَئِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِـيِّ، يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً﴾	الأحزاب، 56	176
﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا، وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ﴾	النساء، 58	377
﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآناً عَجَباً﴾	الجنّ، 1	248
﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ، وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾	الرعد، 7	109
﴿إِنَّمَا تُنْذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ﴾	يس، 11	348
﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ		

الآيــة	رقمها من السورة	الصفحة
في الأرضِ فَساداً أنْ يُقَتَّلُوا . . . أوْ يُنْفَوْا مِنَ الأرْضِ﴾	المائدة، 33	171
﴿إنَّمَا المُؤْمِنُونَ إخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾	الحجرات، 10	225
﴿إنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ﴾	هود، 46	264
﴿إنَّهُمْ لَهُمُ المَنْصُورُونَ، وَإنَّ جُندَنَا لَهُمُ الغَالِبُونَ﴾	الصّافات، 173	180
﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ المُسْتَقِيمَ﴾	الفاتحة، 6	286، 346
﴿أَوْ أَلْقَى السَمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾	قَ، 37	140
﴿(وَرَدَّ اللهُ الَّذِينَ كَفَرُوا) بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْراً . . .﴾	الأحزاب، 25 ـ 26	162
﴿بَلْ قَالُوا إنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ، وَإنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُهْتَدُونَ﴾	الزخرف، 22	264
﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ، فَإذَا هُوَ زَاهِقٌ، وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ﴾	الأنبياء، 18	85، 107
﴿(وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الكِتَابَ) تِبْيَاناً لِكُلِّ شَيْءٍ﴾	النّحل، 89	247
﴿يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا على بَعْضٍ في الأُكُلِ﴾	الرعد، 4	301
﴿ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾	التكاثر، 8	347
﴿ثمّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلاً﴾	غافر، 67	205
﴿. . . حَتَّى إذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِّبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا﴾	يوسف، 110	451
﴿. . . حَتَّى تَفِيءَ إلَى أمْرِ اللَّهِ﴾	الحجرات، 9	160
﴿خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ، وَعَلَى أبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ﴾	البقرة، 7	350
﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ . . . فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾	الأعراف، 199ـ200	213

الآيــة	رقمها من السورة	الصفحة
﴿ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾	آل عمران، 34	61،60،46، 73، 321، 429،399
﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ﴾	الحديد، 21	115
﴿ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾	الحج، 11	182
﴿رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَ﴾	الأحزاب، 68	130
﴿سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الأَعْرَابِ شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا فَاسْتَغْفِرْ لَنَا ، يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ. . .﴾	الفتح، 11	250
﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لاَ يَرْجِعُونَ﴾	البقرة، 18	275
﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ﴾	البقرة، 171	401
﴿ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ﴾	النور، 40	459
﴿عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ تَصْلَى نَاراً حَامِيَةً﴾	الغاشية، 3 ـ 4	362
﴿عَسَى اللَّهُ أَنْ يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُمْ مِنْهُمْ مَوَدَّةً. . .﴾	الممتحنة، 7	235
﴿عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ. . .﴾	الشورى، 10	157
﴿غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ﴾	غافر، 3	67
﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ. . .﴾	الأنفال، 1	225
﴿فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ﴾	يونس، 71	150 ،148
﴿فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ، وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ﴾	الحجر، 34 ـ 35	131
﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ. . . وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ﴾	النحل، 43 ـ 44	248، 253، 343، 349

الآيــة	رقمها من السورة	الصفحة
﴿فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ، قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا﴾	مريم، 29	460
﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ... وَلاَ تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ...﴾	الأحقاف، 35	257، 431
﴿فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ﴾	طه، 72	148
﴿فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ...﴾	آل عمران، 7	343
﴿فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا... فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ...﴾	الحجرات، 9	171
﴿فَإِنَّهَا لاَ تَعْمَى الأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾	الحجّ، 46	350
﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ...﴾	آل عمران، 159	113، 213
﴿فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ مِنْ رَبِّكَ﴾	القصص، 32	134، 137
﴿فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ...﴾	فصّلت، 12	148، 149
﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ؟...﴾	النساء، 41	520
﴿فَلأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلاَفٍ...﴾	طه، 71 ـ 72	49، 149
﴿فَلَمَّا آسَفُونَا انْتَقَمْنَا مِنْهُمْ...﴾	الزخرف، 55	180، 403
﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ﴾	البقرة، 89	457
﴿فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَراً...﴾	الأحزاب، 37	152
﴿فَلَمَّا قَضَى مُوسَى الأَجَلَ﴾	القصص، 29	152
﴿فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ ما دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلاَّ دَابَّةُ الأَرْضِ تَأْكُلُ مِنْسَأَتَهُ...﴾	سبأ، 14	151
﴿فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ؟ كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُسْتَنْفِرَةٌ...﴾	المدثّر، 49 ـ 52	109

الآيــة	رقمها من السورة	الصفحة
﴿فَمَنْ اهْتَدَى فَلِنَفْسِهِ، وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا . . .﴾	الزمر، 41	286
﴿فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي﴾	إبراهيم، 36	52، 381
﴿فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شاءَ فَلْيَكْفُرْ﴾	الكهف، 29	109
﴿فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ﴾	الأحزاب، 23	150
﴿فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى﴾	فصّلت، 44	348
﴿فَيُمْسِكُ التي قَضَى عَلَيْهَا الْمَوْتَ﴾	الزُمر، 42	147
﴿قُلْ إِنَّمَا أَتَّبِعُ مَا يُوحَى إِلَيَّ . . .﴾	الأعراف، 203	344
﴿قُلْ لا يَعْلَمُ مَنْ في السموات والأرضِ الغَيْبَ إلاَّ الله . . .﴾	النمل، 65	78
﴿قُلْ لَوْ أَنَّ عِنْدِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ . . .﴾	الأنعام، 58	151
﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ . . . خَالِصَةً يَوْمَ القِيَامَةِ﴾	الأعراف، 32	385
﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا . . . وأنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ . . .﴾	الزمر، 53 ـ 54	67
﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلا وَجْهَهُ﴾	القصص، 88	76، 263
﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾	الرحمن، 26	263
﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ المَوْتِ﴾	آل عمران، 185	75، 263
﴿كَلاَّ بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾	المطفّفون، 14	350
﴿[ضَرَبَ الله مَثَلاً] كَلِمَةً طَيِّبَةً . . . وَيَفْعَلُ الله مَا يَشَاءُ﴾	إبراهيم، 24 ـ 27	286
﴿كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ، وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾	البقرة، 249	512
﴿لاَ تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مِنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾	المجادلة، 22	67، 157

الآيـــة	رقمها من السورة	الصفحة
﴿لاَ عِلْمَ لَنَا إلاَّ مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ العَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾	البقرة، 32	482
﴿لاَ يُسْأَلُ عَمَّا يَفعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾	الأنبياء، 23	255
﴿لاَ يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الفَتْحِ وَقَاتَلَ. . . وَكُلاًّ وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى﴾	الحديد، 10	224 ،67
﴿لاَ يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفساً إلاَّ مَا آتاهَا﴾	الطلاق، 7	474
﴿لاَ يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْساً إلاَّ وُسْعَهَا﴾	البقرة، 286	474
﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفسِكُمْ﴾	التوبة، 128	170 ،70
﴿لَقُضِيَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ﴾	يونس، 11	151
﴿لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ﴾	قَ، 37	140
﴿لَوْلاَ يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ. . . لَبِئسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾	المائدة، 63	219
﴿لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ. . . وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾	التوبة، 91	475
﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾	إبراهيم، 7	453 ،214
﴿مَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ فِي القُبُورِ﴾	فاطر، 22	263
﴿مَا فَرَّطْنَا فِي الكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾	الأنعام، 38	247
﴿مَثَابَةً لِلنَّاسِ﴾	البقرة، 125	331
﴿[ضَرَبَ الله]مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً. . . وَيَفْعَلُ الله مَا يَشَاءُ﴾	إبراهيم، 24 ـ 27	286
﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ. . . لِيَغِيظَ بِهِمُ الكُفَّارَ﴾	الفتح، 29	314
﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ﴾	الشورى، 20	245
﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الحَيَاةَ الدُّنْيَا. . . وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾	هود، 15 ـ 16	245

الآيــة	رقمها من السورة	الصفحة
﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ العَاجِلَةَ . . . وَلَلآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلاً﴾	الإسراء، 18 ـ 21	246، 368
﴿مَنْ يَعْمَلْ سُوءاً يُجْزَ بِهِ﴾	النساء، 123	68
﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا . . . أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ العَذَابِ﴾	غافر، 46	262
﴿هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾	ص، 39	470
﴿هُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ اللَّهِ﴾	آل عمران، 163	68
﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ المُحْسِنِينَ﴾	آل عمران، 134	193
﴿وَابْتَلُوا اليَتَامَى حَتَّى إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ﴾	النساء، 6	100
﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ﴾	إبراهيم، 7	214
﴿وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ المُحْسِنِينَ﴾	المائدة، 13	213
﴿وَأَضَلُّوا كثِيراً . . . عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾	المائدة، 78	343
﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ﴾	الأنفال، 60	425
﴿وَالخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً﴾	النحل، 8	425
﴿وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي القُرْآنِ﴾	الإسراء، 60	106
﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى . . . عَلَّمَهُ شَدِيدُ القُوَى﴾	النجم، 1 ـ 5	344
﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا﴾	الفرقان، 67	470
﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّاتِهِمْ﴾	الطور، 21	264
﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ﴾	محمد، 17	346
﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾	الضحى، 11	163، 520
﴿وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ﴾	الأنفال، 58	409
﴿وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ﴾	القلم، 45	180

الآيــة	رقمها من السورة	الصفحة
﴿وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ، فَلاَ تُطِعْهُمَا﴾	العنكبوت، 8	54
﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلاَّ عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلاَّ بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ﴾	الحجر، 21	277
﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ، وَلاَ تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾	الأنعام، 153	286
﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾	القلم، 4	113
﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ. . . وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾	البقرة، 155 ـ 157	176
﴿وَتَرَاهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لاَ يُبْصِرُونَ﴾	الأعراف، 198	210، 350
﴿وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ. . . فَانْظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ﴾	النمل، 20 ـ 28	239
﴿وَتِلْكَ الأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلاَّ الْعَالِمُونَ﴾	العنكبوت، 43	460
﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ﴾	الأنعام، 83	204
﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ﴾	النمل، 14	136
﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾	الزخرف، 28	369
﴿وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ. . . وَكُلاًّ آتَيْنَا حُكْماً وَعِلْماً﴾	الأنبياء، 77 ـ 78	58
﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾	الأعراف، 156	250
﴿وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ﴾	الإسراء، 60	106
﴿وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ﴾	طه، 121 ـ 122	131
﴿وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلاَّ مَنْ كَانَ هُوداً. . . إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾	البقرة، 111	133
﴿وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾	الملك، 10	136

الآيـــة	رقمها من السورة	الصفحة
﴿وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُوراً﴾	الفرقان، 21	170
﴿وَقُضِيَ الأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الجُودِيِّ﴾	هود، 44	151
﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ﴾	الإسراء، 23	147، 149
﴿وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الأَرْضِ مَرَّتَيْنِ﴾	الإسراء، 4	147، 149
﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾	التوبة، 105	458
﴿والكاظمينَ الغَيْظَ﴾	آل عمران، 134	193
﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ آيَةٍ فِي السَّمَاوَاتِ﴾	يوسف، 105	271، 282
﴿وَكُلاًّ آتَيْنَا حُكْماً وَعِلْماً﴾	الأنبياء، 78	64
﴿وَلاَ تُبَذِّرْ تَبْذِيراً إِنَّ المُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ﴾	الإسراء، 26 ـ 27	470
﴿وَلاَ تَتَمَنَّوا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ وَاسْأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ﴾	النساء، 32	190
﴿وَلاَ تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلاَ تَبْسُطْهَا كُلَّ البَسْطِ﴾	الإسراء، 29	470
﴿وَلاَ تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ﴾	هود، 113	52، 67
﴿وَلاَ تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمْ. . . قَوْلاً مَعْرُوفاً﴾	النساء، 5	470
﴿ولأُصَلِّبَنَّكُم في جذوع النخل﴾	طه، 71	48
﴿وَلاَ يَحْسَبَنَّ الذِينَ كَفَرُوا أَنَّ مَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لأَنْفُسِهِمْ﴾	آل عمران، 178	157
﴿وَلاَ يَحِيقُ المَكْرُ السَّيِّءُ إِلاَّ بِأَهْلِهِ﴾	فاطر، 43	281
﴿وَلَعَذَابُ الآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَى﴾	طه، 127	94

الآيــة	رقمها من السورة	الصفحة
﴿والعَافِين عنِ النَّاسِ﴾	آل عمران، 134	193
﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحاً . . . إِنِّي إِذاً لَمِنَ الظَّالِمِينَ﴾	هود، 25 ـ 31	354
﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ . . . الخَاسِرِينَ﴾	الزمر، 65	170
﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا القُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ﴾	الروم، 58	460
﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِنْ قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْماً﴾	طه، 115	257
﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الأَرْضَ يَرِثُهَا عِبادِيَ الصَّالِحُونَ﴾	الأنبياء، 105	180
﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا﴾	يوسف، 24	133
﴿وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾	يونس، 44	245
﴿وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِمْ مَا يَلْبِسُونَ﴾	الأنعام، 9	480
﴿وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ . . . الظَّالِمِينَ﴾	البقرة، 250	512
﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاؤُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّاباً رَحِيماً﴾	النساء، 64	204، 250
﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكاً لَجَعَلْنَاهُ رَجُلاً . . . يَلْبِسُونَ﴾	الأنعام، 9	267
﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾	النساء، 83	205
﴿وَلَوْلاَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَداً﴾	النور، 21	394
﴿وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لانْتَصَرَ مِنْهُمْ . . . الجنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ﴾	محمد، 4 ـ 6	431
﴿وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالاً مَعَ أَثْقَالِهِمْ﴾	العنكبوت، 13	131
﴿وَمَا آتَاكُمْ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ، وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾	الحشر، 7	426

الآيـــة	رقمها من السورة	الصفحة
﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾	الشورى، 30	68
﴿وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لأَبِيهِ إِلاَّ عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ﴾	التوبة، 114	264
﴿وَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ﴾	العنكبوت، 48	140
﴿وَمَا كُنْتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُداً﴾	الكهف، 51	168
﴿(وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ ثُمَّ) بُغِيَ عَلَيْهِ لَيَنْصُرَنَّهُ اللَّهُ﴾	الحجّ، 60	212، 281
﴿وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ﴾	الذاريات، 49	136
﴿وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ﴾	المائدة، 51	51، 67، 106، 162
﴿وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَاهاً آخَرَ لاَ بُرْهَانَ لَهُ بِهِ﴾	المؤمنون، 117	134
﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ . . . وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ﴾	محمد، 16 ـ 17	195، 275، 355
﴿وَنَزَعْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيداً . . . يَفْتَرُونَ﴾	القصص، 75	134
﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾	البلد، 10	286
﴿وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ﴾	الشورى، 25	67
﴿(وَيُؤْتِ) كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ﴾	هود، 3	224
﴿وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ . . . مُدْبِرِينَ﴾	التوبة، 25	512
﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ . . . وَاسْتَمْتَعْتُمْ بِهَا﴾	الأحقاف، 20	246
﴿يَا أَيُّهَا الذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا . . . نَادِمِينَ﴾	الحجرات، 6	255

الآيـــة	رقمها من السورة	الصفحة
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الكُفَّارِ﴾	التوبة، 123	154
﴿يَا أَيُّهَا الذِينَ آمَنُوا لاَ تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ﴾	الممتحنة، 1	161
﴿يَا أَيُّهَا الذِينَ آمَنُوا لاَ تَتَوَلَّوْا قَوْماً غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ	الممتحنة، 13	67
﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ﴾	النساء، 174	133
﴿يَا أَيُّهَا النَّبِـيُّ جَاهِدِ الكُفَّارَ وَالمُنَافِقِينَ﴾	التحريم، 9	70
	التوبة، 73	154
﴿يَا صَاحِبَـي السِّجْنِ أَمَّا أَحَدُكُمَا. . . تَسْتَفْتِيَانِ﴾	يوسف، 41	151
﴿يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ منْ أَهْلِكَ. . . صَالِحٍ﴾	هود، 46	381
﴿يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ العَدُوُّ﴾	المنافقون، 4	359
﴿يُخْرِجُ الحَيَّ مِنَ المَيِّتِ وَيُخْرِجُ المَيِّتَ مِنَ الحَيِّ﴾	الروم، 19	264
﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ﴾	الصّفّ، 8	108
﴿يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الأُكُلِ﴾	الرعد، 4	301
﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾	غافر، 19	478
﴿يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ﴾	الشورى، 25	231
﴿يَقُصُّ (يَقْضِي) الحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ الفَاصِلِينَ﴾	الأنعام، 57	151
﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا. . . صَادِقِينَ﴾	الحجرات، 17	49
﴿اليَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ. . . الإِسْلاَمَ دِيناً﴾	المائدة، 3	299
﴿يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ﴾	الإسراء، 71	520

2ـ فهرس الحديث

الحديث	الصفحة
إذا تمنّى أحدكم فليكثر	190
إذا سمعتم داعي آل بيتي، فسارعوا إليه، ولو حبوا على الثلج والنار	421
إذا لقي المؤمن أخاه فليسلّم عليه وليصافحه	70
اذبحه يضاعف لك أجره	425
أصبح الناس رجلين: رجل مؤمن بالله كافر بالكوكب، ورجل مؤمن بالكوكب كافر بالله	490
أعظم الناس عذاباً يوم القيامة من نصب ضلالاً	131
أفضل الصدقة جهد من مقلّ	477
أقيلوا ذوي المروءات عثراتهم	132
أمّا أنّه ستكون بعدي فتنة (الحارث الأعور عن عليّ)	248
أما ترون ما صرف الله عنّي من شرّ هؤلاء؟	259
إنّ أزهد الناس في العالم أهل بيته	92
إنّ الله ليحفظ المؤمن في ولده سبعين خريفاً	263
إنّ الله يعطي الدنيا من يحبّ ومن يبغض، ولا يعطي الآخرة إلاّ من يحبّ	246
إنّ أهل الجنّة ينظرون إلى أهل علّيّين	68
إنّ من البيان لسحرا	133
أنا سيد ولد آدم ولا فخر	164
أنت مع من أحببت	52

الحديث	الصفحة

إنّك (الكعبة) لعظيمة عند الله 101
إنّكم ستحدّثون ومن يأتي بعدي بما لم أقله 72
إنكم لتجازون في الدنيا: أما تصابون؟ أما تألمون؟ 68
إنّما الأعمال بالنيّة ولكلّ أمرىء ما نوى 274
إنّما الطاعة في المعروف 54
أنهاكم عن قيل وقال 266
إنّي مكاثر بكم الأمم يوم القيامة .... 315، 520
بعثت وفي هاتين القريتين أربعون رجلاً ظنّ أحدهم كيقين غيره 380
تجاوز الله لأمّتي خطأها .... 274، 322
جزاك الله خيراً عن نبيّه 49
الحبّة السوداء: الشونيز 267
الحمدُ لله الذي عافاني 78
خلّفت فيكم ما إن تمسّكتم به 300
رأيت كأنّي أسجد في ماء وطين 421
رحم الله امرءاً سمع مقالتي فوعاها 43
سلمان منّا أهل البيت 52
طلوع الشمس من مغربها 439
قد كانت لأبيك عندي يد، فهل لك من حاجة 49
قولوا: اللّهم صلّ على محمّد وعلى آل محمّد 176
الكبر رداء الله فمن نازعه فيه قصمه 146
لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق 54
لا يحبّك إلاّ مؤمن ولا يبغضك إلاّ منافق 345
لا يحلّ قتل امرىء يؤمن بالله واليوم الآخر إلاّ في ثلاث 171
لقي عيسى بن مريم يحيى بن زكريا 70
لكنّ حمزة لا بواكي له 96
لمّا أسري بي لقيت ملكاً صاعداً وملكاً هابطاً 244

الحديث **الصفحة**

لمّا خلق الله العقل قال له: أقبل 136
اللّهم سق إليّ أحبّ خلقك إليك 73
لو أمرت لأحد أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها 55
ما أقرّ قوم على المنكر بينهم لا يغيّرونه إلاّ عمّهم الله بعقابه 219
ما جاءكم عنّي فاعرضوه على كتاب الله 138
ما من آدميّ إلاّ وفي رأسه حكمة بيد ملك 146
ما من عبد مؤمن إلاّ ولله عليه سبعون ستراً فاسألوا الله أن لا يهتك أستاركم! 132
ما من قوم إلاّ وفيهم نجيب أو ناج خلا بني أميّة 106
من أراد أن يعرف مال امرىء من حيث اكتسبه فلينظر فيم ينفقه فإنّ الحرام في مثله ينفق 165
من استنّ سنّة حسنة فعمل بها وعمل بها بعده فله أجره 131
من أطعم نائحة درهماً كلّفه الله إخراجه بفيه من قعر جهنّم 495
من أفتى الناس بغير علم لعنته ملائكة السماء وملائكة الأرض 483
من تواضع لله رفعه 146
من طلب العلم ليباهي به العلماء... فليتبوّأ مقعده من النار 345
من كنت مولاه فعليّ مولاه 299
من لقي الكافر فليلقه بوجه مكفهرّ 70
من نظر إلى صاحب بلاء فقال: الحمد لله الذي عافاني... كان حقيقاً أن لا يصيبه الله بذلك البلاء 78
نَسألُ الله المزيد منها... لكافة المؤمنين 326
نعوذ بالله من الحَوْر بعد الكَور 218
نيّة المؤمن أبلغ من عمله 478
يا عبد الله أطع أباك 53
يحمل هذا العلم من كلّ خلف عُدُولُه 43
يسأل كلّ امرىء منكم عن ماله ممّ اكتسبه وفيم أنفقه 165
يمرّ قوم من أهل عليّين على من هم أسفل منهم 68

3 ـ فهرس الأمثال

ٱلتَقَتْ حِلَقُ البِطان 232
أمر مشي فيه بليل 168
رمتها بدائها وانسلّت 168
فما عدا ممّا بدا 218
كل مفتون ملقّن حجّة 204
من جهل شيئاً عاداه 345
من سرّه بنوه ساءته نفسه 244

4ـ فهرس القوافي

البيـــت	وزنه	قائله	الصفحة
يا أمّة السّوء التي قد غيّرت . . . ظلماءها	كامل		197
وأجرأ من رأيت بظهر غيب . . . العيوب	وافر		91
وفي كلّ شيء له آية . . . واحدُ	متقارب	أبو العتاهية	283
إذا الرجال ولدت أولادها . . . أعضادُها	رجز		244
وعليهما مسرودتان قضاهما . . . تبّعُ	كامل	أبو ذؤيب	150،148
أخذنا بآفاق السّماء عليكم . . . الطّوالع	طويل	الفرزدق	80
بلينا وما تبلى النجوم الطّوالع . . . والمصانعُ	طويل	لبيد	97
قضيت أموراً ثم غادرت بعدها . . . لم تفتق	طويل	الشمّاخ؟	148
الله أعطاك التي لا فوقها . . . طوقها	رجز	كثيّر	377
وليت فلم تشتم عليّاً ولم تخف . . . مجرم	طويل	كثيّر	167

5 ـ فهرس الأعلام والجماعات

ـ أ ـ

آدم: 129، 131، 170، 191، 249، 405.

إبراهيم (النبيّ): 204، 480.

إبراهيم (قتيل باخمري): 80.

ابن حمدان (سيف الدولة): 336، 337.

ابن قتيبة: 147.

ابن نوح: 446.

ابن واسول: كثير.

أبو بكر (الصدّيق): 113، 143، 168، 397.

أبو الحسن (ابن المهديّ): 500.

أبو الخطّاب: 78.

أبو ذؤيب الهذليّ: 148.

أبو سفيان بن حرب: 214.

أبو العبّاس الداعي: 169.

أبو عبد الله الداعي: 169.

أبو موسى الأشعريّ: 143.

أبو يزيد = مخلد بن كيداء.

أبيّ بن كعب: 143.

أحمد بن بكر أمير فاس كثير: 351، 353، 422 ـ 424، 445، 446، 448.

إدريس الحسَني: 445.

أرسطاطاليس: 379.

أسامة بن زيد: 229.

الإسكندر: 379.

أنس بن مالك: 73، 74.

الأنصار: 74، 168.

أهل إفريقية: 174.

أهل الأندلس: 174، 175.

أهل الروم: 174.

أهل العراق: 174.

ـ ب ـ

الباقر = محمد الباقر.

البربر: كثير.

بطليموس: 296، 297.

بغدادي: 198.

بنو إسرائيل: 265.

بنو أميّة وبنو العبّاس = كثير.

بنو عبد شمس: 383.

بنو كملان: 235.

بنو هاشم: 333.

- ت -

تبّع: 148.

- ث -

ثعلب النحويّ: 124.

- ج -

جابر بن عبد الله: 143.
الجاحظ: 239.
جعفر الطيّار: 190.
جعفر الصادق = كثير.
جوهر: 504.

- ح -

الحارث الأعور: 247.
الحسن: 60، 96، 114.
الحسن (بن عليّ): 59، 60.
الحسن بن عليّ الكلبيّ: 153، 220.
الحسن والحسين: 87، 112.
الحسَنيّون: 380، 445، 446.
الحسين: 53، 96، 114، 364، 479، 481.
الحكم بن أبي العاص: 259.
حمزة بن عبد المطّلب: 96، 190.
حميد بن يصل: 231.

- خ -

خازن بيت المال: 510.
خالد بن الوليد: 109، 227.
خديجة: 113.
الخليل بن أحمد: 147، 149.

- د -

الداخل (الواصل): انظر عبد الرحمان.
داود: 58 ـ 60، 129، 148، 170، 393، 407.
الدمستق: 409.
الديلم: 438.

- ر -

الروم: 154، 155، 165، 174، 342.
رومانوس: 410.

- ز -

الزبير بن العوّام: 190.
زيد بن ثابت: 143.

- س -

سفيان الثوريّ: 45.
سَلْمان الفارسيّ: 52، 143.
سليمان بن داود: 58 ـ 60، 170، 239 ـ 241، 245، 407.
السِنْدُ (الملاعبون): 516.

- ش -

الشاكر لله (ابن واسول): 355، 381.
[الشيخان]: 112.

شيبة بن ربيعة: 262.

- ص -

الصابريّة: 232.
صاحب الأحباس: 488.
صاحب الزمان: 369.
صاحب الفرس (كسرى): 342، 452.
صاحب مصر (الإخشيد): 410.
صفوان بن أميّة: 228.
الصقالبة: 224.

- ط -

طاغية الروم: 154، 220، 334، 335، 408.
طالوت: 512.
الطريد، الطرداء: 448.
الطلقاء (بنو العبّاس): 202.

- ع -

العامّة، العوامّ: 89، 125، 146، 169، 184، 203، 236، 283، 286، 333، 347، 396، 401، 425، 467، 468.
العبّاس بن عبد المطّلب: 203.
عبد الرحمان الداخل (الواصل): 171، 232.
عبد الرحمان الناصر: كثير. وهو في كامل الجزءين 7 و8 وص214، 331.
العبشميّة: 108.
عبد الله بن عمرو بن العاص: 53.
عبد الله بن مسعود: 59، 60، 143.
عبد الله (بن المعزّ): 515.
عبد الملك بن مروان: 259.
عتبة بن ربيعة: 262.
عثمان بن عفّان: 112، 143، 168، 259.
عقيل (ابن المعزّ): 515.
عليّ بن أبي طالب = كثير.
عليّ الأصغر: 481.
علي زين العابدين: 90، 93، 96، 479، 481.
عليّ (ابن النعمان): 427.
عمر بن الخطّاب: 59، 60، 143، 148، 168.
عمرو بن العاص: 53.
عمر بن عبد العزيز: 167.
عيسى ابن مريم: 113، 262.

- ف -

فاطمة: 112، 397.
فرج الخادم: 220.
الفرزدق: 80.
فرعون: 149.

- ق -

القائم = كثير.
القائمان بعد الرسول (الشيخان): 259.

القرمطيّ: 201.
قيصر الخادم: 402، 450.

- ك -

كتامة = كثير.

- ل -

لبيد: 97.
اللعين، اللعناء (بنو أميّة): 202، 231، 258، 448.

- م -

المأمون: 369.
المُجْبِرة: 346.
المَجوس: 439، 443.
محمد الباقر: 71، 114، 192، 247، 266، 299، 330، 345، 481.
محمد بن خالد القسري: 266.
مخلد بن كيداد: 51، 66، 67، 103، 104، 196، 198، 223، 294، 295، 308، 452، 500، 514.
مروان بن الحكم: 167، 169، 259.
مظفّر الخادم: 401، 427.
معاذ بن جبل: 143.
معاوية: 54، 84، 112، 167، 168، 169، 214.
معاوية بن المغيرة: 259.
معاوية بن يزيد: 167.
المعتزليّ: 343، 346.
المعزّ = كثير.
المفضّل بن عمرو: 79.
المقتدر: 104.
المكتفي: 202، 203.
ملكة سبأ: 239 ـ 241.
المنتصر أمير سجلماسة: 356،358،359.
المنصور = كثير.
المهديّ = كثير.
المهديّة (فرقة): 232.
موسى (عم): 149، 213، 312، 387، 429، 430.
ميمون القدّاح: 376، 377.

- ن -

نزار (ابن المعزّ): 515.
نمرود بن كنعان: 439.
نوح: 315، 446.

- هـ -

الهدهد: 239 ـ 241.

- ي -

يزيد بن معاوية: 483.
يعقوب: 170، 240.
يعلى بن محمد: 199، 251.
يونس: 170.
يوسف: 240.

6ـ فهرس الأماكن

- أ -

أحد: 96، 130.
الأزهر (المسجد الجامع): 283.
إطرابلس: انظر طرابلس.
إفريقية: 152، 173، 174، 196، 294، 295، 306، 317، 459.
اقريطش: انظر: قريطش.
المريّة: انظر مريّة.
الأندلس: 83، 153 ـ 155، 160، 166، 174 ـ 178، 199، 214، 231، 258.
الإيوان بالمنصورية: 511.

- ب -

باب الخاصّة (بقصر المنصورية): 426.
باب الفتوح (بالمنصوريّة): 331.
بدر: 262.
برقة: 183، 411.
بستان لكنية: 50.
بقلوط: 295.

- ت -

تونس: 185، 305.
تينة (مرسى): 411.

- ج -

الجابية (بالشام): 168.
جبل زغوان: 305.
الجزيرة (جزيرة الأحاسيّ أو جزيرة شريك): 295.

- ح -

الحجاز: 380.
الحضرة = المنصورية.

- خ -

الخصوص (وقعة): 104.
خمّ (غدير): 298.

- د -

دار الصناعة بسوسة: 488.
دار الصناعة بالمَهْدِيَّة: 488.

- ر -

ريّة: 155.

- ز -

زغوان (جبل): 305.

- س -

سبأ: 240، 241.

سجلماسة = كثير.

سلميّة: 266.

سوسة: 295، 306، 488.

- ش -

الشام: 168، 240.

شرف سوسة: 294.

- ص -

صفّين: 53، 214.

صقلّيـــــة: 152، 154، 161، 220، 335.

- ط -

الطائف: 380.

طرابلس: 47، 183، 317، 318.

طرسوس: 337.

طنباس: 56.

طنُبَة = (برقة).

- ع -

عرفة: 299، 300.

عين أيّوب (نهر): 303.

- ف -

فاس: 351، 353، 446، 451، 452.

فدَك: 113، 497.

- ق -

قرشقة: 179.

قرطاجنّة: 185، 305.

قريطش: 408 ـ 413.

القسطنطينية: 154، 161، 334، 412.

القصّارين = (وادي).

قصر البحر: 296.

قصر الزجاج: 295.

قلوريّة: 155، 220، 335.

القليب (حديث): 262.

قناة المنصورية = المهدية.

القيروان: 196، 304، 310، 317.

- ك -

الكعبة: 101، 330، 353، 393.

كيانة: 452.

- ل -

لكنية (بستان): 50.

- م -

المدينة: 162، 175، 266، 267.

مرسى تينة: 411.

مرمَجَنَّة: 294.

[الـ]ـمريّة: 153، 179.

المسجد الجامع (عُقبة): 317.

المشرق: 230، 335 ـ 340، 371، 373، 391، 392، 412، 428، 432، 437،

466، 489، 505.
مصر: 230، 240، 410، 412، 432.
المغرب: 155، 158، 175، 230، 335، 340، 385، 397، 445، 512.
مكّة: 139، 162، 380.
المنصوريّة = كثير.
المهديّة = كثير.

- ن -

نهر أيّوب: 303.
النهر المعزّيّ: 510.

- و -

وادي القصّارين: 393.

- ي -

اليمَن: 167، 380.

7 ـ فهرس المفاهيم والمصطلحات

ـ أ ـ

الآية (مصطلح): 326.
أحجية نحويّة: 284.
إحراق الخصوم: 253.
إحراق الرسوم والوثائق: 265.
الأسد الميت: 509.
استتار الإمام: 368.
الاستشهاد بكلام الأعراب:
الإسراء (حديث): 245.
أسماء الإمام السبعة: 375.
أصحاب المكس: 392.
الإعذار الجماعيّ: 511، 515.
الأعمال: 338، 371، 391، 437، 477، 518، وانظر: الأمانات، الأموال، القربات، النجوى، النفقة، الواجبات.
اغتصاب الخلافة من عليّ: 397.
انتقال العلم من إمام إلى إمام: 243، 472.
أمّ الكتاب (الفاتحة): 348.
الإمام المستودَع والإمام المستقِرّ: 376.
الأموال: 308.
إيصال البحر إلى القيروان: 488.
الإيمان، ما هو؟: 348، 458.

ـ ب ـ

براءة (سورة): 409.
البرهان: 132.
بطرِيق: 334.
البكاء على الأئمّة: 130.
بَول الفرَس: 424.

ـ ت ـ

تأجير أعوان الدولة: 363.
تحجير النياحة: 493.
التطوّر تدريجيّ: 243.
التفّاح الخريفيّ: 499.
تفّاح سلميّة: 266.
تفسير جعفر الصادق لسورة البقرة: 348.
التقيّة: 368، 460.
التنجيم: 298، 491. وانظر: المنجّمون.
توريث ذوي الأرحام: 89.

توريث العبيد: 360.
توق النفس إلى الأعلى: 330.
توقيع، توقيعات: 90، 94، 320، 323، 327، 503.

- ج -

الجباية: 308، 311.
الجبريّة: 346، 347.
الجراد: 435.
جزء لا يتجزّأ: 488.
الجزيرة (مصطلح): 241، 242، 371 ـ 374، 419، 433، 437، 439، 442، 444.
الجِزية: 334.
الجناح (مصطلح): 432.
الجهاد (واجب): 336.
الجواب في مسألة ما بسبعة أوجه: 473.
الجواهر، أنواعها ومراتبُها: 209 ـ 211.

- ح -

الحبّة السوداء: 267.
الحجّام (المزيّن): 353.
الحجّة (مصطلح): 85، 243، 349، 460.
حجيّة العقل، بإبطالُها: 389، 480.
حديث الملَكيْن: 244.
حَفْر البحر بالمنصوريّة: 296.
الحَلفُ بِفضل الأئمّة: 292.

- خ -

الخطّابيّة: 78.
الخلفاء الثلاثة بعد الرسول (ص): 345.

- د -

دار الهجرة: 442.
الدجّال البربريّ مخلد: 308
دروس الفقه والمناظرة بجامع القيروان: 449، 504.
دنانير معزّية بسجلماسة: 206.
ديوان الرسائل: 317.

- ذ -

ذو الفقار: 104، 190.

- ر -

الرأس المعبود: 384.
ركشوة أعوان القاضي: 494.

- ز -

زيّ أهل الحديث: 467.

- س -

سبب بناء المهديّة:
السجود للأئمّة: 54.
سفارات بيزنطيّة:
السماح بحضور الجمعة للمساجين: 400.

السند (بهلوان):

- ش -

الشجرة الملعونة:
شرعيّة الجباية: 311.
شهادة العبد: 360.
الشونيز: 267.
صلاة العيد في الوحل والطين: 421.
الصنَمُ المعبود: 443.

- ض -

ضلال المعتزلة:

- ط -

طِبُّ الأرواح: 463.
الطبعُ البربريّ: 401.
الطلقاء: 201.
الطهور (الختان):
الطوب (ضربٌ): 394.

- ع -

عاشوراء (فضائل): 364.
«عرصات الدم»: 306.
العُرَفاء: 489.
العصبية المذهبيّة: 318.
العصمة:
عطاء المعزّ للأولياء والعبيد: 489، 490.
العِلج: 336 ـ 338.
علم الباطن: 462.
علم الغيب (نفيه عن الأئمّة): 389،482.
عمل المعزّ في يومه وليله: 408.
العمودان الأحمران بسوسة: 306، 511.

-غ-

الغدير (يوم): 298.
غزو كرسيكا: 179.

- ف -

الفتنة (ثورة أبي يزيد): 226، 292، 310، 395، 413، 509، 513، 514.
فدك: 369.
فوّارة ماء: 330.

- ق -

قائم الزمان، قائم القيامة: 380، 393.
القائم على خزانة الكتب: 491.
قحطٌ ثمّ فيضان: 490.
القُرُبات: 216، 444.
القضاء، معانيه: 147.
القضاء (الواجبُ فيه): 279.
قفص الأسرى: 385.
القلم الخزّان: 289.
القمران (العمدان، الأطيبان إلخ).
القيّم على الطعام بقصر المعزّ: 426.

- ك -

كتمان القائم اسم وليّ عهده: 414.
كفّارة بَيض النعام:

الكيمياء: 307.

- ل -

لحوم الخيل: 425.
اللعن على المنابر: 259، 352.
اللعناء: 202.

- م -

المادّة: 138، 323.
مجالس الحكمة: 353، 401، 431، 449.
المجبرة: 346، 347.
المركب الحمّال: 165.
مروحة:
مساوىء الخمر: 301.
المستجيبون:
المعتزلة: 343، 346.
المكتب: 82.
ملكة سبأ: 239.
المنجّمون، النجامة، التنجيم: 122، 298، 397، 405، 491.
المنية، مُنَى: 194.
المهديّة (فرقة):
مواجل سوسة: 488.
المولَّدون: 185.
مياه القيراون:

- ن -

نار موسى: 303.
النائحات: 493.
نَدب حمزة بالمدينة: 96.
النظر إلى الكعبة: 330.
النعيم همُ الأئمّة: 347.
النفَقة (اصطلاح): 457.
نقل الحديث باللفظ أو المعنى: 205، 207، 273.
نكاح ذوات المحارم: 439.
نكاح المتعة: 61، 467.
النهرُ المعزّيّ: 510.
النياحة على الأئمّة: 96.
النيّة: 507.

- هـ -

الهدهد: 239، 240.

- و -

الواجبات: 308، 373.
الوصيّ، الوصيّة: 190.

8 ـ فهرس الكتب

ـ أ ـ

أخبار الدولة: 108.

الاختصار أو ك. الدينار: 327.

اختلاف أصول المذاهب: 480.

أرجوزة ذات المنن: 426.

أرسطاطاليس (رسالته إلى الإسكندر)

ك. الإمامة للمنصور أو للنعمان: 287.

الإنجيل: 345.

ـ ت ـ

تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة: 147.

ك. تربية المؤمنين: 458.

ك. تفسير القرآن إلى المائدة:

التوراة: 145، 345.

ـ د ـ

ك. دعائم الإسلام:

ك. الدينار (مختصر الآثار): 327.

ـ ذ ـ

ذات المنن (منظومة):

ـ ر ـ

رسالة أرسطو إلى الإسكندر: 379.

ـ ز ـ

الزبور:

ـ س ـ

ك. سيرة المعزّ: 44.

ـ ع ـ

ك. العين: 147.

ـ ف ـ

ك. في الاحتجاج على ابن واسول للنعمان: 381.

ك. في الاحتجاج على مخالفي أهل البيت للنعمان: 395.

ك. في الفقه للنعمان: 363.

ـ م ـ

ك. المجالس والمسايرات:

ك. المجسطي: 297.

ك. المقصور والممدود:

ك. المناقب والمثالب: 108.

9ـ فهرس اللغة

ـ أ ـ

أُخذ عليه: 361.

الأذبُ: 144.

أزج: 304.

الأشر: 164.

ـ ب ـ

بتر: انبتَر: 457.

بدر: تبتدر: 76.

يبسُطه: 382.

بسطه في القول: 333.

بهظني: 206.

البوائج: 148.

بوّخ الجرادُ: 435.

ـ ت ـ

التباعة: 220، 351.

تيك: 162.

ـ ث ـ

الثبتُ: 136.

ـ ج ـ

الجبرة، المجبرة: 151.

جَبَهَهُ، نُجبَهُ به: 337، 429.

الجذوع: 211.

جُلّ، جلال: 332.

جلبيَه: 383.

ـ ح ـ

الحجّام: 353.

إحداث: 204.

محتسباً: 308.

استحْسَر: 422.

حصره: 249.

تحظير: 465.

احتفار البحر: 296.

الحكمة: 146.

استحكمَ حكّاماً: 362.

حملهم، الحُمْلان، الحُملانات: 358، 362، 397، 446، 489، 490.

ـ خ ـ

الخبيئة: 499.

الخَترُ: 302.
الخاتام: 211.
المستخذيء: 391.
استخذى: 333.
الخريطة: 152.
تخوّنوا: 343.

- د -

دُخلة: 465.
الدعاء/ الدعوة الدعاء إلينا: 350، 508.
الديدان: 139.
أُذور: 309.

- ذ -

الذِمام: 280، 318.

- ر -

الراءة: 153.
الرباء: 384.
الأرجاس: 448.
رَجل القارب: 152.
المراشد: 353.
ترفيع الرجل: 452.
يُركِسُهُ: 387.
الرين: 350.

- ز -

لَمْ يُزَرَّ: 154.
زِمام: 493.
الزوامل: 490.

- س -

الأسبوع (عدد 7): 271.
السحت: 328.
يسترقون: 276.
سُرُج: 446.
مسطّح: 354.
سكرت الأبصار: 392.
الأسناد: 304.
سائس السِباع: 298.
ساق، سُوق: 314.

- ش -

شبّ: 123.
شفّ: 65.
شنِع: 165.
الأشانيع: 318.
الشونيز: 267.

- ص -

المصابَحَة: 494.
تصوّب: 305.

- ض -

المضارب: 490.

- ط -

الطخياء: 198.

طارح الحديثَ: 120.
الطرطور: 332.
تطرّق به: 287.
الطُعمة: 280، 316، 318.
طيلسان: 290، 291، 296.
طمِعٌ: 369.
الطُوب: 394.

- ع -

استعدّ عُدَّةً: 329.
الإعذار: 357.
أتعرّضُهم: 320.
العُرَفاء: 489.
عزم لهم: 117.
تعاظَمَ الأمرَ: 124.
علائقُه: 447.
المعلومات: 436.
أعتمّ النبت: 300.
عمرَه الله: 76.
عاملوهم: 489.
الأعمال: 308، 332.
عَنِد، عنود: 202، 448، 513.
اعتنقني: 243.
العود (للمراكب): 133، 153.
اعتياص: 241، 246،327.

- غ -

غَِبّ الأمر: 321، 322.
الأغتم: 173.
غَذِيٌّ: 492.
مغرّقة: 358.
الغِشاوة: 350.
استغطاؤه أن...: 350.

- ف -

الأفتح: 206.
تفحّج: 424.
افترقُوهم: 309.
الأفاعيل (التفعيلات): 184.
الفكرة في الأمر: 326.
أفكرت: 414.
أفناء الناس: 376.
يفوت (= يفوق): 413.
فوّارة الماء: 330.

- ق -

التقحُمُ: 322.
استقدّ جلبابا: 320.
أقدام (= آثار): 164، 166.
القُذّة: 162.
قرف: 90.
القصّارون: 393.
اقتعدُوا: 397.
الأقعدُ: 163.
استقلَّهُ: 488.

قمشوا: 328.
قام بكذا: 327.

- ك -

الكبرة: 501.
أكدّ: 77.
كرّاسة: 326.
كرائم المال: 447.
كسر عليه: 374.
أكفأ: 245.
كفاية: 453.
الكلاءة: 217.
الكيمياء، تكمّى: 307.
اكتناب: 210.
كورة كور: 362، 363، 435، 492.
كنت على أن: 296، 398.
(الفرس) يكيدُ: 425.

- ل -

ألبِس عليك: 480.
اللعن: 259.
يلافظونه: 275.
ألويتُ بـ. . . : 159.

- م -

أمْجَدنا: 447.
استمدّوه: 410.
أمترى: 396.
المماساة: 494.

- ن -

استنباط مدينة: 294.
النجيب: 183، 331.
نجِيّا: 318.
النحب: 150.
النداء عليه: 493.
إنزالهم: 446.
تنسق: 365.
ينشف: 283.
نضّ المال: 310.
النِعمة: 314.
النِفار: 323.
النفقة: 308.

- هـ -

الهجّيرى: 292.

- و -

الواجبات: 308.
ودى دية: 309.
إيراث: 413.
اتّصل: 239.
الوكفُ: 156.
الوليجة: 102، 450.
المولد (الطالع): 398.

10 ـ قائمة المراجع

أ ــ بالعربية:

ـ إدريس عماد الدين (الداعي):

زهر المعاني، مخطوط.

ضياء البصائر، مخطوط.

عيون الأخبار (تاريخ الخلفاء الفاطميّين بالمغرب، نشر محمد اليعلاوي، بيروت 1985.

ـ الإدريسي:

صفة المغرب، ليدن 1864.

ـ أدّي شير:

معجم الألفاظ الفارسيّة المعرّبة، بيروت 1990.

ـ الأمينيّ النجفيّ:

كتاب الغدير 11 جزءاً، بيروت 1977.

ـ ابن أبـي زرع:

الأنيس المطرب القرطاس، طبع حجر، المغرب، د.ت.

ـ ابن أبـي زيد القيرواني:

الرسالة نشر مع ترجمة فرنسيّة، الجزائر 1968.

ـ ابن الأثير:

أسد الغابة، كتاب الشعب 1970.

الكامل في التاريخ، القاهرة 1353.

ـ ابن بابويه (القُمّي) (ت 381):

علل الشرائع والأحكام.

- ابن جبير:

الرحلة، نشر د. حسين نصّار، القاهرة 1955.

- ابن جلجل:

طبقات الأطبّاء، تحقيق فؤاد السيّد، القاهرة 1955.

- ابن الجوزي:

صفة الصفوة، حيدرآباد 1355 هـ.

- ابن حجر:

الإصابة (مع الاستيعاب لابن عبد البرّ)، القاهرة 1939.

تهذيب التهذيب، حيدرآباد 1325.

رفع الإصر (ذيل ك. الولاة والقضاة للكندي) بيروت، 1908، وليدن 1912.

لسان الميزان، بيروت 1970. (مصوّرة عن طبعة حيدرآباد 1337هـ).

- ابن حزم:

جمهرة أنساب العرب، تحقيق عبد السلام هارون، القاهرة 1962.

- ابن حمّاد:

أخبار ملوك بني عبيد، نشر Vonderheyden، الجزائر 1927.

- ابن حوقل:

صفة الأرض، بيروت، د.ت.

- ابن حيّان:

المقتبس، الجزء الخامس، نشر بدرو سَالميتا. مدريد 1979.

- ابن الخطيب:

أعمال الأعلام، نشر ح. ح. عبد الوهاب، بالرمو 1910.

رقم الحلل في نظم الدول، تونس 1316.

- ابن خلدون:

العبر، طبع بولاق 1284، وبيروت 1956.

- ابن خلّكان:

وفيات الأعيان، تحقيق د. إحسان عبّاس، بيروت 1969.

- ابن رشد (أبو الوليد محمد):

بداية المجتهد، القاهرة 1928.

- ابن سعد:

الطبقات الكبرى، دار صادر، بيروت.

- ابن سينا:

القانون.

- ابن شهراشوب:

معالم العلماء، النجف 1961.

- ابن عبد البرّ:

الاستيعاب (بهامش الإصابة)، القاهرة 1939.

- ابن عذاري:

البيان المغرب، باريس 1948.

- ابن قتيبة:

تأويل مشكل القرآن، تحقيق سيد أحمد صقر، القاهرة 1970.

عيون الأخبار، القاهرة 30 ـ 1924.

كتاب المعارف، تحقيق د. ثروت عكاشة، القاهرة 1981.

المعاني الكبير، حيدرآباد، 1368هـ.

- ابن مراد (إبراهيم):

المصطلح الأعجميّ في كتب الطبّ والصيدلة العربيّة جزءان، دار الغرب الإسلاميّ، بيروت 1985.

- ابن ناجي:

معالم الإيمان، ج 1، تحقيق إبراهيم شبوح، القاهرة 1968.

- ابن هانىء (محمد):

ديوان، نشر محمد اليعلاوي، دار الغرب الإسلاميّ، بيروت 1995.

- ابن الوليد:

دامغ الباطل، مخطوط.

لبّ المعارف (ضمن ثلاث رسائل إسماعيليّة يمنيّة، تحقيق الحبيب الفقي، باريس 1970 مرقونة).

ملحقة الأذهان ومنبهة الوسنان (مثلها).

رسالة المبدأ والمعاد.

- أبو الفداء:

تقويم البلدان، باريس 1840.

- البخاري:

الجامع الصحيح، كتاب الشعب، القاهرة د.ت.

- بدوي (د. عبد الرحمان):

مخطوطات أرسطو في العربية، القاهرة 1959.

- البكري:

المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، نشر دي سلان، الجزائر، 1911.

- التجاني (عبد الله):

الرحلة، تونس 1958.

- الترمذيّ:

- الثعالبي:

يتيمة الدهر، القاهرة 1947.

- الجاحظ:

كتاب الحيوان، تحقيق عبد السلام هارون، القاهرة 1938.

كتاب العثمانية، تحقيق عبد السلام هارون، القاهرة 1955.

- الجزيري (عبد الرحمان):

الفقه على المذاهب الأربعة، القاهرة 1936.

- جعفر بن منصور اليمن:

كتاب الكشف، نشر ستروطمان، الهند 1952.

تأويل الزكاة، مخطوط.
الفترات والقرانات، مخطوط.
- الجوذري (منصور الكاتب):
سيرة الأستاذ جوذر، تحقيق محمد كامل حسين ومحمد عبد الهادي شعيرة، القاهرة 1954.
- الحامدي (حاتم بن إبراهيم ت 596/1199):
الابتداء والانتهاء (ضمن ثلاث رسائل إسماعيليّة، تحقيق الحبيب الفقي).
المجالس، مخطوط.
- حسن (حسن إبراهيم) وطه أحمد شرف:
المعزّ لدين الله الفاطمي، القاهرة 1948.
- حسين (محمد كامل):
في أدب مصر الفاطميّة، القاهرة 1972.
طائفة الإسماعيليّة، القاهرة 1959.
- الحميريّ:
الروض المعطار، تحقيق د. إحسان عبّاس، بيروت 1975.
- الخشني:
طبقات علماء إفريقية، نشر محمد بن شنب، الجزائر 1914.
- الخطاب بن الحسن الحجوري الهمْدانيّ (ت 533/1138):
غاية المواليد، مخطوط.
- خليفة بن خيّاط:
التاريخ، تحقيق د. سُهيل زكّار، دمشق 1967.
- خليل بن إسحاق:
المختصر في الفقه، نشر مع ترجمة فرنسيّة N. Seignette، باريس 1911.
- الدشراوي:
الخلافة الفاطميّة بالمغرب، تعريب حمّادي الساحلي، دار الغرب الإسلاميّ، بيروت 1994.

ـ الدميريّ: حياة الحيوان الكبرى، القاهرة 1890.

ـ الذّهبـي:

ميزان الاعتدال، القاهرة 1325.

ـ الرقيق القيروانيّ:

تاريخ إفريقية والمغرب، نشر المنجي الكعبـيّ، تونس 1968.

ـ السجستاني (أبو يعقوب):

إثبات النبوات، نشر عارف تامر، بيروت 1966.

الينابيع، (ضمن Trilogie ismaélienne تحقيق Henri Corbin باريس 1961).

ـ السكري:

شرح أشعار الهذليين، تحقيق عبد الستار فرّاج، القاهرة 1965.

ـ السيوطي:

الجامع الصغير، القاهرة 1954.

ـ الشيبيّ العبدريّ: تمثال الأمثال، نشر أسعد ذبيان، بغداد 1982.

ـ الطباطبائي:

تفسير الميزان، بيروت، 1974.

ـ الطبري:

تاريخ الرسل والملوك، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة، 1960.

ـ الطوسي:

كتاب الرّجال، النجف 1381/1961.

ـ العبدري:

الرّحلة المغربيّة، نشره محمد الفاسي، الرباط، 1968.

ـ عبد الوهاب (ح. ح.):

ورقات عن الحضارة العربيّة بإفريقيّة 3 أجزاء، تونس 1972.

ـ علي بن أبـي طالب:

معجم ألفاظ نهج البلاغة، تصنيف كاظم محمّدي ومحمد رشتي، بيروت 1986.

ـ عنان (محمد عبد الله):

الحاكم بأمر الله وأسرار الدعوة الفاطميّة، القاهرة 1959.

ـ الغزالي:

فضائح الباطنيّة، أو المستظهري، تحقيق د. عبد الرحمان بدوي، القاهرة 1964.

ـ القاضي النعمان:

انظر: النعمان.

ـ قدامة بن جعفر (منسوب إلى):

نقد النثر، نشر طه حسين وعبد الحميد العبّادي، دار الكتب 1933.

ـ القفطي:

إنباه الرواة على أنباه النحاة، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة 1950.

تاريخ الحكماء، ليبسك، 1320 هـ/1903م.

ـ الكرماني (أحمد حميد الدين ت 411/1020):

راحة العقل، نشر محمد كامل حسين ومحمد مصطفى حلمي، ليدن 1953.

رسائل الكرماني، مخطوط.

المصابيح في إثبات الإمامة، نشرَ مصطفى غالب، بيروت 1969.

ـ الكندي (محمد بن يوسف):

الولاة والقضاة، تحقيق كست، ليدن 1912.

ـ لويس (برنارد):

أصول الإسماعيليّة، تعريب خليل جلّو وجاسم الرجب. القاهرة د.ت.

ـ متز (آدم):

الحضارة العربية في القرن الرابع الهجري، بيروت 1967.

ـ المجدوع (إسماعيل):

فهرسة الكتب والرسائل، طهران، 1966.

ـ محمدي (كاظم) ودشتي (محمد):

المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة، بيروت 1986.

- المسعودي:

التنبيه والإشراف، ليدن 1893.

- المقدّسي:

أحسن التقاسيم، بريل، ليدن 1906.

- المقريزي:

اتعاظ الحنفا، تحقيق د. جمال الشيّال، القاهرة 1948.

الخطط، (المواعظ والاعتبار)، بولاق 1316.

المقفّى، نشر محمد اليعلاوي، دار الغرب الإسلاميّ، بيروت 1992.

- المؤيّد الشيرازي (أبو نصر، ت 470/1077):

الديوان، تحقيق محمد كامل حسين، القاهرة، 1949.

المجالس المؤيّديّة، مخطوط.

- الميداني:

مجمع الأمثال، بيروت 1961.

- الناصري:

الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى، الدّار البيضاء، 1954.

- النعمان بن محمد (القاضي):

أساس التأويل، نشر عارف تامر، بيروت 1960.

افتتاح الدعوة (تحقيق د. وداد القاضي، بيروت 1970). و (تحقيق د. فرحات الدشراوي، تونس 1975).

الاقتصار، نشر محمد وحيد ميرزا، دمشق 1957.

تأويل الدعائم، نشر محمد حسن الأعظمي، القاهرة 1969.

دعائم الإسلام، نشر آصف أصغر فيضي، القاهرة 1969.

شرح الأخبار في فضائل الأئمة الأطهار نشر محمد الحسينيّ الجلالي، 3 أجزاء، بيروت 1994.

الهمّة في آداب أتباع الأئمّة، نشر محمد كامل حسين، القاهرة د.ت.

- الهمداني (حسين بن فيض الله):

الصليحيّون والحركة الفاطميّة في اليمن، القاهرة 1955.

في نسب الفاطميّين، القاهرة، 1958.

- اليافعي:

مرآة الجنان بيروت، د.ت. (مصورة عن طبعة حيدرآباد).

- اليعقوبي:

كتاب التاريخ، ليدن 1883.

- اليعلاوي (محمد):

الأدب بإفريقية في العهد الفاطميّ. دار الغرب الإسلاميّ، بيروت 1986.

أشتات في اللغة والأدب والنقد، دار الغرب الإسلاميّ، بيروت 1992.

ب ــ بغير العربية:

— M. Canard:

- L'expansion arabo-islamique et ses répercussions, Variorum Reprints, London 1974.
- L'autobiographie d'un Chambellan du Mahdi Obeid-Allah le Fatimide (Traduction de la Sirat Ja^{c}far al-Ḥâjib). Hespéris, 1952.
- Vie de l'Ustadh Jawdhar, Alger, 1958

— F. Dachraoui:

- Le Califat fatimide au Maghreb, thèse d'Etat (sous presse), Paris, 1970.

— H. R. Idris:

- La Berbérie Orientale sous les Zirides, Paris, 1962.

— Ivanow (W.):

- Ismaili Literature, Téhéran, 1963.
- Studies in early persian ismailism, Bombay, 1955.

— Levi-Provençal:

Histoire de l'Espagne musulmane, Paris, 1950-3.

— B. Lewis:

- The origins of Ismailism, Cambridge, 1940.

— G. Marçais:

- L'architecture musulmane d'Occident, Paris, 1955.
- Manuel d'art musulman, Paris, 1962.

— L. Massignon:

- Esquisse d'une bibliographie qarmate.

— Poonawala (Ismail K.):

- Biobibliography of Ismā^{c}īlī Literature, UCLA, Malibu 1977.

— G. Schlumberger:

- Un empereur byzantin au Xème siècle: Nicéphore Phocas, Paris, 1890.

— N. Solignac:

- Recherches sur les installations hydrauliques de Kairouan, Alger, 1953.

Introduction

Ceci est une nouvelle édition, revue, corrigée et par endroits augmentée, du recueil de propos variés attribués aux quatre premiers califes fatimides de l'Ifriqiyya (296-362 H/908-973) et notamment aux deux derniers, al-Manṣūr et al-Mu^{c}izz, par leur exégète, jurisconsulte et historiographe attitré, le célèbre cadi al-Nu^{c}mān, témoin permanent de leur ascension et serviteur fidèle de leur cause jusqu'à sa mort au Caire (mars 974) au début de l'installation de cette dynastie ismaélienne en Egypte.

Ce recueil que l'auteur - ou plus probablement un copiste - intitula «al-Majālis wal-Musāyarāt» - Ce qu'on pourrait traduire par: «[Dits recueillis au cours des] Séances [d'exégèse] et [des] Voyages d'accompagnement» a été publié par la Faculté des lettres de Tunis en 1978, en une édition soignée basée sur deux manuscrits ismaéliens de Hayderabad-Deccan.

La prèsente édition reprend la première, en y apportant les corrections et les ajouts que nous ont suggérés, d'abord l'ouvrage historique du dā^{c}ī ismaélien Idris ^{c}Imād al-Dīn (m. 872/1468) intitulé ^{c}Uyūn al-Akhbār dont nous avons publié la partie Ifriqiyenne à Beyrouth en 1984 (Dar-al-Gharb al-Islāmī), ensuite le microfilm 15.1.20 du fonds H. Ritter de l'Université d'Uppsala.

De l'édition originale, nous avons supprimé la table détaillée des matières qui nous semble aujourd'hui faire double emploi avec les divers index, mais nous y avons ajouté un index lexical propre à renseigner sur la langue de Nu^{c}mān et, partant, de L'Ifriqiyya au 4^e/X^e siècle.

Tunis le 19 décembre 1996
Mohammed Yalaoui



دار الغرب الإسلامي

بيروت - لبنان
لصاحبها : الحبيب اللمسي

شارع الصوراتي (المعماري) - الحمراء ، بناية الأسود
تلفون: Tel: 009611-350331 / خليوي: Cellulaire: 009613-638535
فاكس: Fax: 009611-742587 / ص.ب. 113-5787 بيروت ، لبنان
DAR AL-GHARB AL-ISLAMI B.P.:113-5787 Beyrouth, LIBAN

الرقم: 316 / 2000 / 4 / 1997

التنضيد : كومبيوتايب للصف الطباعي الألكتروني

الطباعة : دار صادر ، ص.ب. 10 - بيروت

Cadi Nuʿmān al-Maghribī (m. 363/974)

KITĀB
AL-MAJĀLIS WAL-MUSĀYARĀT
(Propos d'audiences et d'escortes)

Texte établi sur des
manuscrits ismaèliens
par

Habib Feki   Brahim Chabbouh   Mohammed Yalaoui

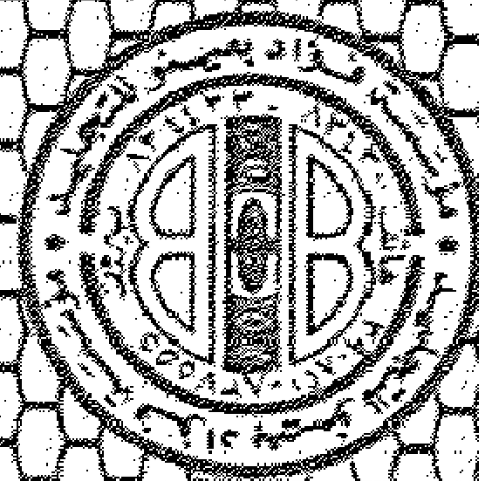
nouvelle édition revue et corrigée
par

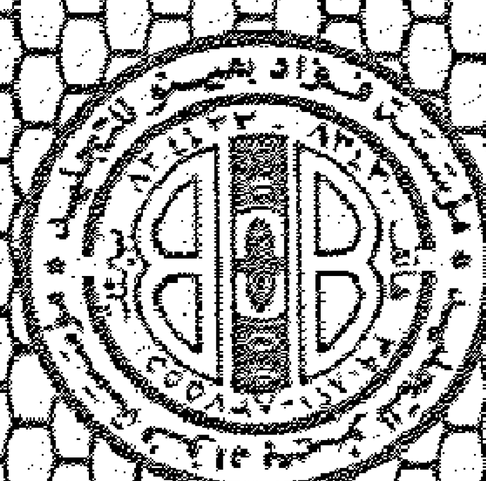
Mohammed Yalaoui



DAR AL-GHARB AL-ISLAMI

KITĀB
AL-MAJĀLIS WAL-MUSĀYARĀT





Cadi Nu'mān al-Maghribi (m. 363/974)

KITĀB AL-MAJĀLIS WAL-MUSĀYARĀT

(Propos d'audiences et d'escortes)

Texte établi sur des manuscrits ismaèliens par

Habib Feki Brahim Chabboub Mohammed Yalaoui

nouvelle édition revue et corrigée par

Mohammed Yalaoui





DAR AL-GHARB AL-ISLAMI